العنوان
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف ٢١٥١٥
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب

مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
٢٥ ريالاً للأفراد و ٧٥ ريالاً لغير الأفراد
الهيئات، يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء ٦ ريالات

ج١ و٢ س١٣ رجب وشعبان ١٣٩٨هـ - تموز / آب (يوليو / أغسطس) ١٩٧٨م

العرب في عامها الثالث عشر

وَبِهذا الْجُزْء تَسْتَقْبِل مَجَلَّةُ « العرب » سَنَتها الثالِثة عَشْرَةَ ، بعد أنْ قَدَّمَتْ لِقُرَّائها من الغِذَاء الفِكْرِيِّ في سنواتِها الماضية مَا شَغَلَ فَراغَ (١٤١١٦) من الصفحات ، أي إنَّها قَدَّمَتْ للقارئ عن كُلِّ سَنَة من سِنِيهَا كتابًا تتجاوز صفحاته ١١٧٨ .

ولئن كانَتِ الْعِبْرَةُ بِالْكَيْفِ لا بالْكَمِّ - كما يُقَال - فإنَّ القائمينَ على إِصْدَارِها لَمْ يَدَّخِرُوا وُسْعًا بأن يُقَدِّمُوا خَيْرَ مايَسْتَطِيعُون تقديمَهُ ، وهو غِذَاءٌ قَدْ يكونُ مِنْ بَيْن الْقُرَّاء مَنْ لا يَسْتَطِيعُ هَضْمَهُ ، أوْ مَنْ لا يَسْتسِيغُ تَناوُلَهُ ، ولكنْ لَيْسَ الذَّنْبُ ذَنْبَ مَنْ قَدَّمَ لَكَ مَايَملِكُ تَقْديمَهُ ، أوْ مَنْ رَآى فِيمَا قدَّم لَكَ خَيْرَ مايُقَدَّمُ لمثلك ، فَتُخَالفه الرأيَ ، وتَخْتَار لنَفْسكَ مايَحْلُوْ لَهَا .

وَكَمَا قِيل في الْمَثَل الدارج على أَلْسِنة أهل العصر : (كلٌّ بِعَقله راضي) وعلى أساس هَذَا الرِّضَا سَتَسِيرُ المجلَّةُ عَلَى نَهجها ، ما اسْتَطَاعت

السَيْرَ ، ولها مِن حُسْنِ الثِّقَةِ بِقُرَّائها ، والحِرْصِ على تَقْوِيَةِ تِلْكَ الثِّقَة ، مَا يُمَهِّد لَهَا الطريق ، ويُعِيْنُها على تَحْقيق الغاية الكريمة .

ولَن يَنْسَى القائِمُون على إصدارها ما للدولة الكريمة من يدٍ بيضاء لا على هذه المجلّة وعلى القائمين بشؤونها - بل على كل أبناء هذه البلاد عامَّةً ، في مختلف مجالاتهم .

ومَنْ ذَا الَّذِي يُنْكِرُ ما لِلرَّجُلِ الشَّهْمِ - وللرجولة والشهامة مَعْنَاهما - معالي الدكتور **محمد عبده يماني وزير الاعلام** ، وما لرجال وِزَارَتِه الأكْرَمِينَ من فَضْل فى استمرارِ صُدُوْر هذه المجلة ، وهو فَضْلٌ يَتَجَدَّدُ بصدور كُلِّ جُزْءٍ من أجْزَائِها ؟ و(من لا يَشْكُر النَّاسَ لا يَشْكُر الله) .

وبعـــد : فَلَئِنْ صَدَق أبو الطَّيِّب - وما إخاله كاذبًا - بقوله :

مَا كل مايَتَمَنَّى المَرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّيَاحُ بِمَا لاَ تَشْتَهِي السُّفُنُ !؟

فإنَّ الحياةَ - أيَّ حَيَاة - بلا أمانٍ عذابٌ ، وآمالٍ رِغَابٍ ، لا طعم لها ولا خَيْرَ فيها .

وما أجهل من لَمْ يَتَّخِذْ مِنْ آماله حَوافِزَ قويةً لاجتيازِ مَا يَعْتَرِض طريقَ سَيْره فى حياته من صِعَاب . وكما قيل :

مُنًى إنْ تَكُنْ حقًّا تَكُنْ أحْسَنَ المُنَى وَإلاّ فقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رغـدًا

حمــد الجــاسر

ليس الحجر مدائن صالح

يُطلَق الناس الآن اسم مدائن صالح على الوادي الواقع شمال مدينة العُلاَ ، المعروف باسم الحِجْر – بكسر الحاء المهملة وإسكان الجيم وبالراء – ذي الاثار التي تناولها الباحثون بالدراسات الوافية .

والواقع أن إطلاق ذلك الاسم على هذا الوادي خطأ ، وقع فيه الناس منذ عهد قديم . وتوضيح هذا :

(ا) أنّ الحِجْر هو الوادي الذي ورد ذكرُه في القرآن الكريم ، وورد النهي عن الشرب من مائه سوى بئر الناقة التي كانت معروفة إلى عهد قريب ، لأن هذا الوادي كان منازل قوم غضب الله عليهم فأهلكهم قبل ظهور الإسلام بعصور مجهولة .

وهذا الوادي لايزال معروفاً باسم (الحِجْر) عند سكان جهاته ، وعند غيرهم ، لا خلاف في ذلك .

(ب) وفي جنوب مدينة العُلا بنحو ٥٥ كيلا آثار عمران قديم ، من أسس بناء ، ومجاري مياه وآثار زراعة ، يطلق على موضعها الآن اسم غريب هو (المابيات) جمع (مابِيّة) بالميم المفتوحة بعدها ألف فباء موحدة مكسورة فهاء – وهذا الاسم حادث ، فقد كان الموضع في القرن السابع الهجري وما قرب منه يعرف باسم مدينة صالح ، ثم مدائن صالح .

وله قبل ذلك اسم آخر أُرَجِّحُ أنه (الرَّحبة) الوارد في كثير من كتب الرحلات ومعجمات الأمكنة . فَنُسِي اسم الرحَبَة ، واسم مدينة صالح – أو مدائن صالح – وعرف باسم وادي (العطاس) على ما جاء في « رحلة ابن بطوطة » الذي مَرَّ بهذا الموضع في عشر الثلاثين من القرن الثامن ، مع أن

الوادي كان معروفاً باسم وادي الدَّيْدان ، الذي نجده في الكتب الأعجمية وما عُرِب عنها صورًا غريبة (ددان) و (دادان) و (ديدان) .

(جـ) وادي الدِّيدان ، الذي تقع فيه مدينة صَالح التي عرفت باسم مدائن صالح – ليس مُتَّصِلاً من حيث الجوار بوادي الحِجْر الذي قَرَّر العلماءُ أخيرًا عدم سكناه ، بل يفصل بينهما مسافة من الأرض تقارب خمسين كيلا . بل تزيد(١) .

(د) أما كيف نشأ الخطأُ فهو أن الحِجْر كان من منازل قوم النبي صالح عليه السلام فكذبوه ، فأهلكهم الله ، ونَجَّا صالحًا والذين آمنوا معه ، وقد ذكر الله خبرهم في سُوَر من القرآن الكريم ، ومنها (سورة الحِجْر) في الآية الحادية والثمانين منها : (وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحابُ الحِجْرِ المُرْسَلينَ • وآتيناهم آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْها مُعْرِضِيْنَ • وكَانُوا يَنْحِتُوْنَ مِنَ الجِبَال بيوتًا آمِنِين • فأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِيْنَ) .

وقد بقيت آثار القَوْم ، في البيوت المنحوتة في الجبال ، وفي الآبار المحفورة في الوادي ، وفي غيرها . فكان المسافرون الذين يذهبون من الحجاز إلى الشام أو من يمرون بهذه الجهات يشاهدون تلك الآثار ، ويتناقلون أخبارها ، من الكتب أو من الرواة ، وكثير من رواة الأخبار ومُدَوِّنيها لايلتزمون الدِّقَّة وتَحَرّي الصواب فيما ينقلون أو يكتبون ، فوقع الخلط بين الآثار الواقعة شمال مدينة العُلاَ في وادي الحِجْر ، وهي آثار سابقة وبين الآثار الواقعة جنوب مدينة العُلاَ ، وهي مما حدث في صدر الإسلام ، وساعد على وقوع الخلط أن الموضع الأخير الواقع جنوب العُلاَ كان يُعْرَف بمدينة صالح ، وهو رجل مسلم من بني العباس ومدينته هذه كانت قائمة إلى القرن الرابع الهجري كما سيأتي – وأن الموضع الأول الذي هو الحِجْرُ ، الواقع شمال العُلاَ عُرِف

(١) أنظر تفصيل هذا في مجلة « العرب » س ١٢ ص ١٦١ وما بعدها .

سكانه بقوم صالح ، وعرفت إحدى آباره ببئر ناقة صالح ، وعرف موضع في أحد جباله بمسجد صالح – أي المكان الذي كان يتعبدّ فيه .

ومن هُنَا أُطْلِق على الحجْرِ خطأً اسم (مدائن صالح) .

وأقدم من رأيته فعل ذلك ما عُرّب لي من مؤلف تركي اسمه « بهجة المنازل » أو « نهجة المنازل » مؤلفه يدعى محمد أديب الموقع الروحي – على ما جاء في كتاب « إيضاح المكنون » [1] فقد نُقِل عن كتابه أن الحجر يعرف بمدائن صالح أو قرى صالح ، أو عدالى ، والمساكن في مدائن صالح منحوتة في الصخر ، ولايسكنها أحد ، ويقول : إن هناك جبلا يعرف باسم (أثان) في مرتفع منه يوجد مسجد صالح (ع . ص . م) وهو منقور في الصخر .

أما أوّل من وقع منه الخلط بين الموضعين فوصف الموضع الواقع جنوبه العُلاَ بِصفات الحِجْرِ فأقدم نَصٍّ اطلعت عليه هو ما جاء في رحلة البلوي الأندلسي ويحسن إيراده كاملاً . قال خالد بن عيسى البلويّ الأندلسيّ في رحلته « تاج المفرق في تحلية أهل المشرق » وقد حج سنة ٧٣٨ – قادماً من الشام مع حجاج الكرك ، في وصف الطريق إلى المدينة : (ثم سرنا من تبوك في مهامه .. إلى أن وصلنا العُلاَ بعد مدًى بعيد ، وعناء شديد ، وهي بُلَيْدَة ذات منظر جميل ، كثيرة المياه والنخيل ، بينها وبين تبوك مسيرة ثمانية أيّام نهارًا وليلا ، وهي مسافة لها مهابة ومخافة ، تتعب فيها الركاب ، وتفقد الرفقاء والصحاب ، وقديماً ضربتِ العامّةُ بها مثلاً فقالت : تُرِكَ أبوك بين العُلاَ وتبوك .

ثم رحلنا من العُلاَ صباحًا ، وسِرْنا غُدُوًّا ورواحًا إلى أن وردنا بئراً يقال

---

(١) : ١-٦٩٦

(٢) نشرت « العرب » (ملخص كلامه عن الحجاز وطريق الحج س ١١ ص ٧٥٣-٨٢٨

لها بئر الناقة ويعنون بالناقة هنا ناقة النبي صالح عليه السلام ـ فوافينا البئر بجهد عظيم ، وعطش عميم ، وهجير كأنّما أرسل من نار الجحيم ، فبتنا بها .

ثم أدلجنا منها وتَبَلَّجَ الفجر ونحن نسير في مدن النبي صالح ـ عليه السلام ، فعاينت منها عجباً عظيماً ، بيوتاً منحوتة من الصخر ، ومجالس مكونة من الجبال لاتفنى إلى آخر الدهر ، وغرفاً معلقة في الهواء مأوى للنسر ، وقصوراً مقصورة على الوحوش والطير ، كما قال وهو أصدق القائلين: ﴿ وتَنْحِتُونَ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴾ فأدرك النَّاسُ العِبَر ، وعايَنُوا مَنْظرًا لا تشرحه عبارةُ الخبر ، لايخبر عنه إلا منظره ، ولا يشفي من حديثه إلا محضره وما عدا ذلك فنجم سماء ، ونقطة ماء .

كما قَابَل الزَّندُ بركَانَ نَارِ وحيًّا الثمَادُ القـليـلُ بحـارًا

ولَمْ نزلْ نسير ، وقد جدَّ المَسِير ، وحمى الْهَجِير ، وعُدِم الماء ، وتحكم العناء ، وعمَّ العطشُ والإعياء ، وكاد أن يَسْتولِي علينـا الفناء .

ولذَّةُ الجسم بذاك الضنا وراحةُ قلبيَ ذاك الألَمْ

ولم تزل الحال كذلك حتى وردنا ماء هديّة ، فأغثنا به غلل الأكباد ، وعادت الأرواح للأجساد .

ولمّا شارفنا أرض هدية ، تفاءلنا بأن تكون لنا هدية ، وقصد عربان العلا أن يتخذونا كاسمها ، ويجعلونا في الدروس كرسمها ، فضربوا على ذنب الركب في رأس المضيق ، وأذاقوه دون بَرْدْ الماء بأطراف الأسنّة عذابَ الحريق ، فانبرى من صرفهم عن تلك النيّة ، وصافحهم بيد المنيّة) .

فالرحالة ـ وهو قادم من الشام متوجه جنوباً إلى المدينة يقول : (ثم رحلنا من العُلاَ صباحًا ، وسرنا غُدُوًّا ورواحًا) ثم ذكر أوصافاً تنطبق على الحجر ، وسمى الموضع (مدن صالح) فخلط بين الموضعين ، ونقل أوصاف أحدهما إلى الآخر .

ويحسن أن نورد من نصوص علماء الشام ممن وصف الطريق مايوضح ماتقدّم .

١ - قال إبراهيم بن شجاع الحنفي في كتاب ألفه سنة ٦٢٣ - فيما نقل عنه ابن العطار[1] في وصف منازل طريق الحج من دمشق إلى مكة المكرمة - بعد ذكر الأُخيضر والحاكة والأقارع - : (الثانية والعشرون : الحِجْرُ ، أرض ثمود ، نصف طريق مكة ، بينها وبين دمشق ثلاث مئة ميل ، ومئة فرسخ ، أرض رمل ، وتلال وجبال ، وواد به ماءٌ معتمد ، يُسمى ثمد الروم ، حفائر مطر أسود رويّ ، يسلكون بمضيق وارتفاع وانحطاط موضع شبيه باب عالي واسع ، اسمه باب ناقة صالح عليه السلام ، ثم مدائن ثمود ، أرض دائرة ، يحيط بها جبال ، وباب مقابل إلى فرجة أرض دائرة أخرى بها آثار عمارة ، ومغاير منحوتة ، على باب كل مغارة صورة لوح ، منحوت عليه أسطر كثيرة غير عربية وبالمقابر رِممٌ باليةٌ ، وآبار كثيرة ونبعٌ طيِّب ، وروي النهيُ عن شُرْبِها ، وأن لايُتَطهَّر منه ، بل يسقَى منها الدواب .الثالثة والعشرون : العُلاَ : أرض رمل أبيض بين جبلين عاليين ، ثم مَضيِّقٌ ، ثم وادي ، ونبات كثير ، ثم عيون ، ثم مدينة العُلاَ وسط الوادي ، نخل كثير وتمر ، والمدينة صغيرة ، وبها قلعة صغيرة على رأس جبل صغير ، وعيون عذبة يُزْرَعُ عليها ، ولها أمير ، ويودعون بها أمتعتهم الرابع والعشرون : الحفائر : أرض رمل وتلال وجبال ، وواد مُتَّسع يسمى اللَّيْدَان ، ومدينة صالح ، بها بقايا بنيان وبيوت ، وقلعة خراب برأس تَلٍّ عال ، وآبار نبْع طيبة ، وعين ماء ، وفضاء ، وحفائر مطر) .

٢ - وقال الحسن بن عمر بن حبيب الدمشقي ثم الحلبي الشافعي

---

(١) : « العرب » س ١٠ ص ٨٧٠

(٧١٠ ـ ٧٧٩ هـ)(١) في أرجوزته « دليل المجتاز بأرض الحجاز(٢) » في وصف طريق الحج من دمشق إلى مكة المكرمة ـ بعد ذكر بركة المعظم والمنصف وثمد الروم :

بِمبْرِك النَّاقَة يَامَا نَظَرُوا ... من العجائبِ الَّتي لاتُحْصَرُ
جاؤوا سُحَيْرًا نَحْوَ بِئْرِ الحِجْرِ ... وأَوْرَدُوْا الْمَطِيَّ عِنْدَ الْفَجْرِ
وَشَكَرُوْا ربَّ الْبَرَايا والْعُلاَ ... وأدْلَجُوا حَتَّى دنَوْا منَ الْعُلاَ
ذات النَّخيل والعُيُونِ الدافقَهْ ... والثمَرَات والجبال الشاهقَهْ
بِهَا أرَاحُوا الإِبلَ المُجِدَّة ... وأوْدَعُوْا الزَّادَ لأَجْلِ الرَّدَّهْ
ثمَّ يَسِيْرُونَ لِمُدْنِ صالِح ... وَكُلّ قَلْبٍ لِلْمَسِيْرِ جَانِح
ونَظَرُوا آثارَ قَوْمٍ بَادُوْا ... وَخَلَّفُوا وراءهُمْ ما شَادُوا
جَلَّ الَّذيْ أهْلَكَهُمْ إذْ كَفَرُوْا ... برُسْلِه ، وكذَّبُوا وفَجَرُوا
وافَوْا إلى حَفَائرِ الزمُرُّدِ ... والله خيْرٌ حافظ ومُسْعد

٣ ـ وقال محمد بن علي بن طولون(٣) الدمشقي المتوفى سنة ٩٥٣ في كتاب « البرق السامي في تعداد منازل الحج الشامي » ما نصُّهُ : (ثم دَخَلنا أرض مبارك الناقة بعد العشاء ، واستمرَّ بنا السير إلى أن عشينا قِبْليَّ المبرك الكبير بتلك الرُّبا ، بالوادي ، وقد حصل على الناس مشقَّة .

ثم رحلنا عند طلوع الشمس من الغد ، فمررنا على الجبل اليتيم ، وهو قطعة جبل كبير منفرد ، شمالي الوادي المذكور ، ثم على أبيار الحجر .

(١) انظر ترجمته في « الدرر الكامنة » ومن مؤلفات المطبوعة « نسيم الصبا » .
(٢) نشرتها مجلة « العرب » س ١٢ من ص ٤٠٦ إلى ص ٤١٤ عن مخطوطة (دار الكتب الظاهرية) بدمشق رقم ٦٩٢٧ .
(٣) نشرته مجلة « العرب » س ١٠ من ص ٨٦٩ إلى ص ٩٠٥ وهو يصف مسيرة إلى الحج سنة ٩٢٦ .

وأوائل مدائن صالح ، قال ابن ناصر الدين في مسودة « توضيح المشتبه » له :

ومدائن صالح التي بالقرب من العلا من طريق الحاج من الشام بلد إسلامي ، وصالح المنسوبة إليه من بني العباس بن عبد المطلب ، وفيها قبور عليها نصائب تاريخها بعد الثلاث مئة [1] ذكره الحافظ أبو محمد القاسم ابن البرزالي فيما وجدته بخطه انتهى كلام ابن ناصر الدين ورأيت بها عجائب من رمل أصفر كالورس ، ومنها جبال منحوت فيها بيوت بأبواب صغار منحوتة بإتقان ، ومنها جبال صغار ليس فيها شيء منحوت . ثم رأيت جبلاً يميناً وجبلاً يساراً كالسور ، من بينهما خندق إلى أوائل أرض العلا العتيقة .

ثم دخلنا المحطة تحت الجبل الغربي العالي غربي العين الجوانية بعد العصر ، فرأينا بالعلا الخير الكثير : حتى أبيع رطل العجوة والرطل التمر بثلاثة .

ثم شاهدت تحت هذا الجبل قبراً فقيل لي : إنه قبر أمير الحاج الشامي شاذ بك الأشرفي ، توفي في العقبة السوداء عند هديّة ، سنة ٨٧٢ ، فصبّرته زوجته ، ثم ماتت هي أيضاً فدفنا جميعاً تحت الجبل الذي بمحطة العُلاَ غربي العين .

ثم رحلنا بعد يومين بعد الفجر ، فمررنا على العلا العتيقة ، ثم على طويل دغيم ، وهو الذي يقال له فرس النبيِّ ، ثم على معرج البغلة

---

(١) هذا الكلام في مخطوطة « توضيح المشتبه » التي في المكتبة الظاهرية بدمشق .

ثم على مطران الكبير فعشينا به) . انتهى ولكن كلام ابن طولون هذا فيه خلط أيضاً فقد ذكر أنه مرَّ بآبار الحِجْر ، وأوائل مدائن صالح ، ثم ذكر دخوله المحطَّة التي وصفها وصفاً ينطبق على مدينة العُلاَ . ثم ذكر أنه بعد ارتحاله من العُلاَ مرَّ على العُلاَ القديمة ، فهو أدخل (مدائن صالح) بين الحجر وبين العُلاَ وهذا خطأ ، ثم ذكر العُلاَ القديمة ، والعُلاَ القديمة هذه هي مدائن صالح أو مدينة صالح التي أورد النَّص عن ابن ناصر الدين والبرزالي أنها بلد إسلامي . والظاهر أنه نقل النَّصَّ ولكنه لم يعرف الموضع المقصود به ، فوقع فيما وقع فيه .

وقد أشرت فيما تقدم إلى ما جاء في رحلة ابن بطوطة ، ويحسن إيراد ذلك كاملاً ، وإن لم يُضِفْ جديدًا سوى تسمية الوادي ، وإن كنت لست واثقاً من صحة الكلمة للتحريف السِّيء الواقع في كثير من أسماء المواضع في النسخ المطبوعة من تلك الرحلة .

وقال ابن بطوطة[1] : (وفي اليوم الخامس من أيام رحيلهم من تبوك يصلون إلى بئر الحِجْر ، حِجْر ثمود ، وهي كثيرة الماء ، ولكن لا يردها أحد من الناس ،مع شدة عطشهم ،اقتداءً بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مرَّ بها في غزوة تبوك ، فأسرع براحلته وأمر أن لا يسقى منها أحد ، ومن عجن به أطعمه الجمَال ،وهناك ديار ثمود في جبال من الصخر الأحمر منحوتة ، لها عتب منقوشة ، يظن رائيها أنها حديثة الصنعة ،وعظامهم نَخِرة في داخل تلك البيوت إن في ذلك لَعِبْرَة .

(١) ص ١١٢ طبع بيروت دار صادر سنة ١٣٨٤ (١٩٦٤ م) .

ومبرِك ناقة صَالح عليه السلام بين جبلين هناك ،وبينهما أثر مسجد يصلي الناس فيه .

وبين الحجْر والعَلاَ نصف يوم أو دونه .

والعُلا قرية كبيرة حسنة ، لها بساتين النخل والمياه المعينة ، يقيم بها الحجاج أربعا ، يتزودون ويغسلون ثيابهم ، ويدعون بها ما يكون عندهم من فضل زاد ، ويستصحبون قدر الكفاية .

وأهل هذه القرية أصحاب أمانة ، وإليها ينتهي تجار نصارى الشام ، لايتعدّونها ، ويبايعون الحجاج بها الزاد وسواه .

ثم يرحل الركب من العلا فينزلون في غد الوادي المعروف بالعطاس ، وهو شديد الحرّ ، تهبُّ فيه السموم المهلكة ، هبّتْ بعض السنين على الركب فلم يخلص منهم إلا اليسير ، وتعرف تلك السنة سنة الأمير الجالقي .

ومنه ينزلون هدية ، وهي حسيان ماء بواد يحفرون به فيخرج الماء وهو زعاق) . انتهى .

بقيت كلمة حول إطلاق اسم (المابيات) على ما كان يعرف قديماً باسم وادي الديدان والرحبة ، ومدينة صالح ، ومدن صالح ومدائن صالح .

لقد سألت كثيراً ممن اجتمعت به أثناء رحلتي إلى العلا [(١)] عن معنى هذا الاسم ومتى أطلق على هذا الموضع ، فلم أجد جواباً وكل ما علمته ممن سألته أن المابيات بلدة قديمة ، انتقل بعض سكانها في عهود مجهولة إلى بلدة العلا ، ومن أولئك الزحوف .

وقد لاحظت أن اسم المابية في شمال غرب الجزيرة يطلق على موضع

(١) انظر « العرب » س ١٢ من ص ١٦١ إلى ص ١٨٥ .

آخر هو اسم واد من الروافد الشرقية لوادي السرحان ، ينحدر من حرة وآكام وحزون تُدْعَى المِسْمَى ، شمال وادي السرحان ، وفي أسفل وادي المابية ماءٌ يدعى المابِيّة أيضاً يقع شرق الأمغر ، في الشمال الغربي من نقرة حَضَوْضَا ومن هذا الماء طريق يخترق سَبِخَة حَضَوْضا .

ويطلق على وادي المابية وما حوله اسم المابيات . وهو الاسم الذي يطلق على الموضع الذي نتحدث عنه .

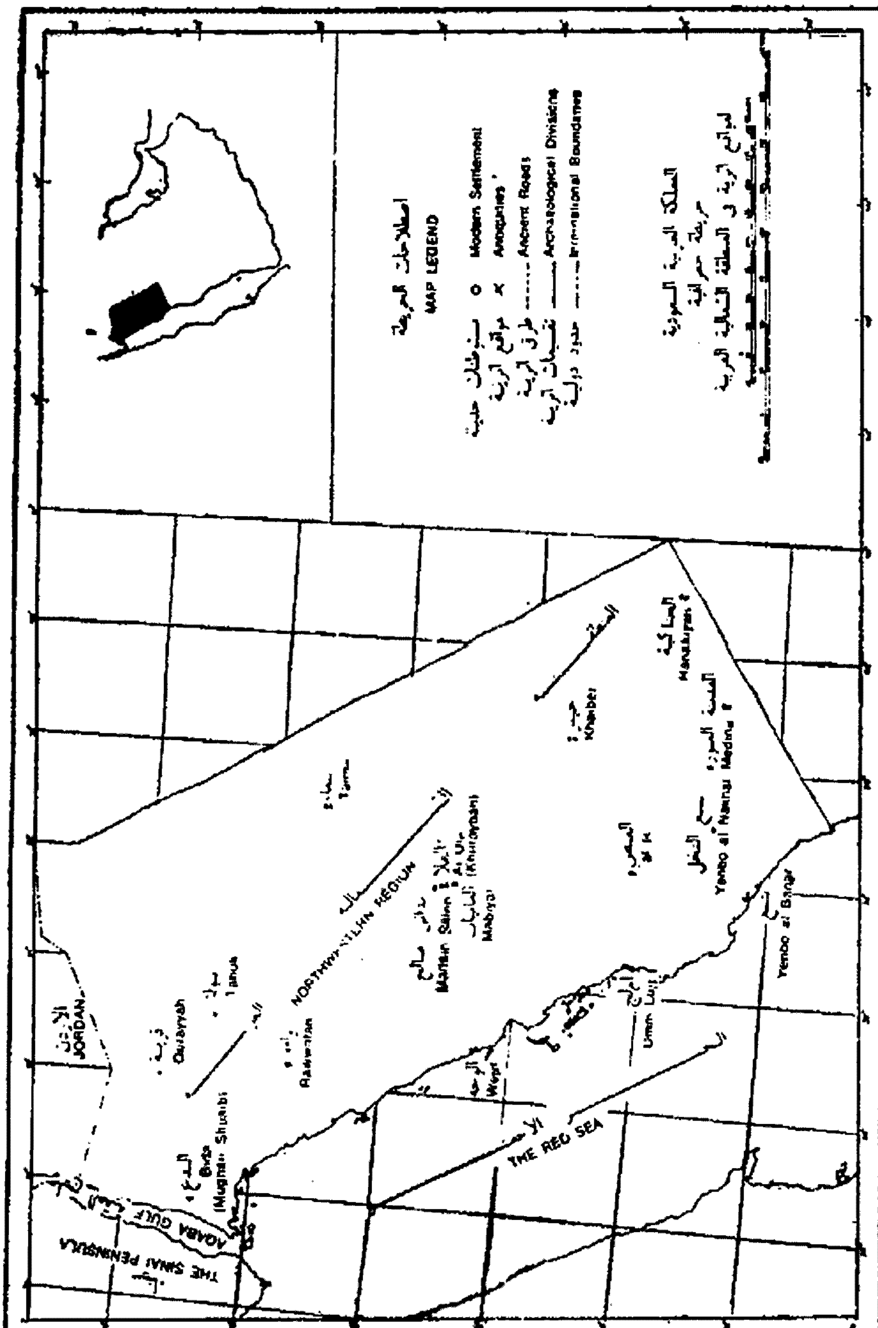
وفي شرق الجزيرة ووسطها موضعان يطلق عليهما اسم : (جَو مايبات به) أحدهما في القصيم وكان يعرف قديماً باسم جوّ مُرَامر على ما يرى بعض الباحثين المتأخرين والآخر يقع شرق الحزول ، فهل هناك صلة بين كلمة (مابيات) و (مايبات به) يقصد بالكلمة الأخيرة الموضع المخوف الذي لا ينبغي للمرء أن يبيت فيه ، والغالب أن الأمكنة التي يفنى سكانها فتخرب تصبح موحشة ، مأوى للأشباح ،ومبعثاً للأوهام التي تحول دون المبيت فيها .

فهل كلمة (مابيات) تؤدي معنى (لا) (مبيت) في هذا المكان الموحش؟ مثل كلمة (مايبات به) أي ليس صالحاً للمبيت لوحشته ولأشباحه المرعبة ؟!

أو أنه لاصلة بين كلمتي (مابيات) و(مايبات به) .

وأن كلمة (مابيّات) هي (موبيّات) وأبناء البادية كثيراً مايبدلون الواو ألفاً . وأن الكلمة من (الوَبَاء) أي أن تلك المواضع (موبوءات) وأن أهلها هلكوا من وباء أصابهم ، ومهما يكن فتعليل هذا الاسم مجرّدُ رأي ، لست منه على يقين .

وها هو رسم يوضح كيف طغى اسم (مدائن صالح) على (الحِجْر) الاسم الصحيح لهذا الموضع ، وهو منقول عن كتاب أصدرته (إدارة الآثار) في (وزارة المعارف) .


MAP LEGEND
Modern Settlement
Antiquities
Ancient Roads
Archaeological Divisions
International Boundaries
THE RED SEA
AQABA GULF
THE SINAI PENINSULA
JORDAN
Khaiber
Wejh
Umm Lujj
Yenbo al Bahr

وادي الكُلاب

الكُلَابُ[1] : بضم الكاف ثم لام بعدها ألف ، وآخره باءٌ موحدة : قال ياقوت : علم مرتجل غير منقول ، وقال عن أبي زياد : الكلاب واد يسلك بين ظهري ثهلان ، وثهلان جبل في ديار بني نمير ، وقيل : ماءٌ بين جبلَة وشَمَام على سبع ليال من اليامة وفيه كان الكلاب الأول والكُلاب الثاني من أيامهم المشهورة ، واسم الماء قِدَةُ وقيل :قِدّة بالتخفيف والتشديد ،وإنما سُمّي الكلاب لما لقوا فيه من الشر . قال أبو عبيدة : والكلاب عن يمين شمام وجَبَلة ، وبين أدناه وأقصاه مسيرة يوم .

وقال البكريُّ : الكلاب بضم أوله وبالباء المعجمة بواحدة في آخره ، الكلاب : هو قدة بعينها ، وبين أدناه وأقصاه مسيرة يوم أعلاه مما يلي اليمن وأسفله مما يلي العراق .

وقال ياقوت في تحديد قِدّة ، قِدَّة بالكسر ثم التشديد ، بلفظ واحدة القدّ من اللحم اسم ماءة بالكلاب ، وقيل : قِدّة بوزن عدّة اسم للماء الذي يُسمّى بالكلاب ومنه ماءٌ في يمين جَبَلة وشهام ، قالوا : إنما سمّي الكلاب لما لقوا فيه من الشر »

وقال أبو علي الهجريُّ : تَيْمَنُ : هضبة برأس الذَّرْوِ ذَرْوِ الشْريف ، مغرب الشمس من حصن ابن عصام بيوم . وسيل تيمن يصبُّ على الكُلاب .

---

(١) من أبحاث « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » – قسم عالية نجد – تحت الطبع .

والكلاب واد به نخل وسدر وطلح ، وبجانب الكلاب ثهلان جبل عظيم ،علم أسود به الوحوش، عرضه يوم ، به فَلَجَى[1] ، وذُوَيْقَن والرِّيَان والأُطَيَّا والبَرِيض خسف به ماء وكلّ ما أسمينا الشُّريف .

وحُذُنَّةُ : هضبة عن الكلاب بميلين تدفع في الكلاب .

وفي شعر مالك بن الرَّيب المازني :

عليَّ دماءُ البُدْنِ إنْ لم تُفارقي أبا حَرْدَبٍ يومًا وأصْحَابَ حَرْدَبِ
سَرَت في دُجَى لَيْل فأصبح دونَها مفاوز جُمْران الشُّرَيف فَغُرُّبِ
تُطَالِع من وادي الكُلاَب كأنها وقد أنجدتْ منه فَرِيدة رَبْرب

ممَّا تقدم يتبيّن لنا بوضوح موقع وادي الكلاب وتحديده وكذلك صفته الجغرافية ، وليس فيما ذكره المؤرخون اختلاف في موقع وادي الكلاب أو وصفه ، بل إنما ذكروه يؤيد ويكمل بعضه بعضاً في توافق في الوصف والتّحديد .

وكلهم يتفقون أنه واد بين ظهري ثهلان وأنه بين جبلة وشمام ،وأن بين أدناه وأقصاه مسيرة يوم ، وأن أعلاه مما يلي اليمن وأسفله مما يلي العراق .

وفيما ذكره الهجريُ دليل على قربه من حُذُنَّة ، وأن هضبة تَيْمن (تَيْما) واقعة في أعلاه ، وفي شعر مالك بن الريب دليل على قربه من جُمْران وغرّب وأنه في بلاد الشريف .

ومما يدل على قربه من جمران والنشّاش ووقوعه في الشريف ما ذكره الهمداني حيث قال :

ومن مياه ثهلان ذو يقن وقلحا والريّان والكلاب والشّعرا ، وأسفل من ذلك ذَرْوُ الشريف وغُلاّنه ومياهه ، ومن أيسرها البرقعة وخائع والنشّاش ماءان

---

(١) كذا وسيأتي (قلحا) .

مقابلان لجمران ؛ وهو جبيل مطروح من دونه السّمنات .

وهذه المواضع التي ذكرها الهمداني قريب بعضها من بعض ومعروفة بأسمائها إلى هذا العهد .

وهذه الصفات التي ذكرها المؤرخون لوادي الكلاب تنطبق تمام الانطباق على وادي الشّعْراء ، غير أنه تغلب عليه اسم الشعراء – التي هي أحد موارد مياهه القديمة بعد أن أصبحت بلدة عامرة مأهولة بالسكان .

ولم يبق من اسمه القديم إلا اسم دخل عليه تحريف يسير وأصبح اسماً لأحد روافده الشرقية الجنوبية الذي يسمّى وادي الكلبة .

ومما يزيد الأمر وضوحاً ولايدع مجالاً للشك في أن وادي الشّعراء هو وادي الكلاب ، وأنه الموضع الذي وقع فيه اليومان الشهيران من أيام العرب ما جاء في شعر مُحْرِز ابن المكعبر الضبّي في يوم الكلاب الثاني حيث قال :

فِدًى لقومي ما جمَّعتُ من نَشَبٍ ... إذ لقّت الحربُ أقوامًا بأقوامِ
إذْ خُبِّرت مذحِج عنّا ، وقد كَذَبَتْ ... أنْ لن يُروِّعَ عن أحْسَابِنا حامِي
دَارتْ رَحَانا قليلاً ثم صَبَّحَهُمْ ... ضَربٌ تصيّح منه حَلْقَةُ الْهَامِ
ظَلتْ ضِباعُ مُجَيْراتٍ يَلُذْنَ بِهِمْ ... وألحَدُوهُنَّ مِنْهُم أيَّ إلْحَامِ
حَتَّى حُذُنَّةَ لم يَترِكْ بها ضَبُعًا ، ... إلاَّ له جزَرٌ مِن شِلْوِ مِقْدامِ
ظَلت تدُوسُ بني كعْبٍ بِكَلْكَلِها ... وَهمَّ يَومُ بني نَهْد بإظْلامِ

حُذُنَّةُ : هَضْبَة سوداء لاتزال معروفة بهذا الاسم ، تقع صوب مطلع الشمس من بلدة الشعراء ، ويأتي من ناحيتها واد يدفع في وادي الشعراء (الكلاب) يلتقي به عند البلدة ، وهي ترى منها بالبصر ، وقد حددها الهجري وذكر أنها تبعد عن وادي الشعراء ميلين وأنَّ سيلها يدفع فيه ، أي في الكلاب .

مُجَيْرات : هضاب حمر لاتزال معروفة بهذا الاسم ، تقع شرق حُذُنَّة ، ترى من بلدة الشعراء بالبصر ، وقسم من سيولها يدفع في وادي الشعراء (الكلاب) .

وقد ذكر محرز في شعره أن ضباع هذه الهِضاب ظلت تلوذ بجثث قتلى هذا اليوم وتعيش على لحومهم ، وهذا يدل على قرب موقع المعارك من هذه الهضاب .

وجاء في قصيدة وعلة الجرمي – وكان أول منهزم انهزم يوم الكلاب – قوله يذكر هزيمته وفراره من المعركة :

ومنّ على الله منّا شكرته غَدَاةَ الكُلاَبِ إذ تجزّ الدّوابرُ
ولما سمعت الخيل تدعو مُقاعسًا علمتُ بأن اليوم أحمس فاجر
نجوتُ نجاءً ليس فيه وتيرة كأنّي عقاب عند تيمَن كاسر [(1)]
كأنّا وقد حالَتْ جدّيه دوننا نعام تلاه فارس متواتر [(2)]

تَيْمَن : يقال تيماء وتيمن : هضبة حمراء كبيرة تقع في أعلا وادي الشعراء جنوباً من البلدة ترى منها بالبصر ، وقد ذكر وعلة في شعره أنه كان عندها حين فر منهزماً من ساحة الحرب .

وقد ذكر الهجري تيماء (تيمن) وقال إن سيلها يصبّ على الكلاب ، ولا تزال مُعرفة بهذا الإسم .

وجاء فيا ذكره في « الأغاني » في سياق خبر يوم الكلاب الثاني : وأقبل أهل اليمن من بني الحارث من أشرافهم يزيد بن عبد المدان ويزيد بن مخرم ويزيد بن الطيسم بن المأمور ويزيد بن هوبر حتّى إذا كانوا بتيمن نزلوا قريباً من الكلاب . ورجل من بني يزيد بن رباح بن يربوع يقال له

(١) في العقد الفريد : عند تيماء كاسر . (٢) جدية : يبدو أن صحته (حذنة) .

مشمت بن زنباع في إبل له عند خاله من بني سعد يقال له زهير بن بو فلما أبصرهم المشمت قال لزهير : دونك الإبل وتنح عن طريقهم حتى آتي الحي فأنذرهم قال : فركب المشمت ناقة ثم سار حتى أتى سعداً والرِّبَاب وهم على الكُلاب ، فأنذرهم فأعدوا للقوم وصبحوهم فأغاروا على النعم فطردوها وجعل رجل يرتجز ويقول :

في كل عام نعم تنتابه على الكلاب غُيَّبًا أَرْبَابُه

فأجابه غلام من بني سعد في النعم على فرس له فقال :

عمّا قليل سترى أربابه صلب القناة حازماً شبابه

وفي هذا الخبر مايثبت أن وادي الكلاب الذي وقع فيه اليومان الشهيران من أيام العرب هو الكلاب الواقع بين ظهري ثَهلان ، وهو الذي نقع هضبة تيمن في أعلاه ، وهو وادي الشعراء . وقد قال ذو الرمة شعراً يذكر فيه يوم الكلاب يؤكد هذا القول ويزيده وضوحاً ، قال :

فما شهدتْ خيلُ امرىء القيس غارةً بثهلان تحمي عن ثغور الحقائق
أثرْنا به نقْعَ الكُلاَب ، وأنْتمُ تثيرون نقع الملتقى بالمفارق
أدرْنا على جَرْمٍ وأفناء مذْحِجٍ رحى الموت فوق العاملات الخوافق
صلمناهُم كور الأمانيّ صدْمة عماسا بأطواد طوال شواهق
إذا نطحت شهباء شهباء بينها شعاع القنا والمشرفي البوارق

فذكر أن خيلهم أغارت بثهلان فأثارت نقع الكلاب .

والمعروف أن جبل ثهلان حاف بالوادي من الغرب على طول امتداده من الجنوب إلى الشمال .

وقد جاء في خبر يوم الكلاب أن شرحبيل ومسلمة تواعدا في الكلاب بمن معهما من الأقوام فالتقيا فيه .

وفي خبر يوم الكلاب الثاني : قام النعمان بن الحسحاس فقال : ياقوم انظروا ماء يجمعكم ولا أعلم ماء يجمعكم إلا قدة ، فارتحلوا وانزلوا قدة ، وهو موضع يقال له الكلاب .

فلما سمع أكثم بن صيفي كلام النعمان قال : هذا هو الرأي فارتحلوا حتى نزلوا الكلاب ، وبين أدناه وأقصاه مسيرة يوم .

ويتضح من هذه العبارات أنهم اختاروا وادي الكُلاب وقصدوه لوفرة مياهه وسعة مراعيه ليتسع لهم جميعاً ، وكذلك وادي الشعراء بوفرة مياهه وجودة مراعيه وكثرتها ، فموارد مياهه ممتدة فيه على طول امتداده ، متعددة الآبار وفيرة المياه ، وأسفله كله أحساء قريبة المنزع ، ولهذا السبب نفسه اختاره الإمام فيصل بن تركي رحمه الله ، ففي عام ١٢٥٠ هـ سار بجنود المسلمين فأغار على فريق من الدواسر في أرض الْعَرَمة ثم نزل قرب بلد تُمَيْر حتى اجتمع إليه باقي غزوانه فرحل بهم ونزل بهم الشعراء وأقام فيها نحو أربعين يوماً . ووفد عليه رؤساء العربان محمد بن فيصل الدويش رئيس مطير ومحمد بن قرملة رئيس قحطان وغيرهما [(١)] .

وكذلك فإن المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود اختار الشعراء لهذا السبب نفسه فعقد فيها مؤتمراً عام ١٣٤٨ هـ سُمّي مؤتمر الشعراء ، وأقام فيها ثلاثة أسابيع ، استقبل فيها قادة الجيوش ورؤساء القبائل وزعماء العشائر ، وكبار الجماعات في القرى والبلدان ، ووفد عليه الكثيرون [(٢)] .

وبلغني أن محمد بن هندي بن حُميد شيخ قبيلة عُتيبة كان يقطن في وادي الشعراء ومعه قبيلته خلال فصل الصّيف كل عام لوفرة المياه فيه

---

(١) عنوان المجد ٢-٧٢ .

(٢) أصدق البنود ٢٩٣ – ٢٩٤

وجودة المراعي ، فاجدبت أرضه سنة فانتحى صوب الشمال ونذر أن يذبح بدنة إذا بلغه الخبر أن هذا الوادي قد سال ، فوصل إليه الخبر أن الشعراء قد مطرت وأن واديها قد سال ، فوفى بنذره وذبح بدنة ، وعاد إليها وقطن فيها كعادته .

ولوادي الكلاب ذكر كثير في الشعر العربي ، ومنه مايفيد في تحديده وفي وصفه الجغرافي

ويقول لبيد بن ربيعة العامري :

ياهل ترى البرق بتُّ أرْقُبُهُ يزجي حَبِيًّا إذا خَبَا ثَقَبا ؟
قعدتُ وخدي له وقال أبو ليلي : متى يغتمن فقد دأبا
كأن فيه لمّا ارتفَقْتُ له ريْطا ومرباعَ غانم لجَبا
فجاد رهْوًا إلى مَدَاخل فالصَّخْرة أمست نعاجُه عُصبا [(١)]
فحدّر العُصْم من عماية للسَّهْل وقضى بصاحة الأَرَبَا
فالماءُ يجلو متونَهُنّ كَما يجلو التلاميذ لُؤْلُؤًا قَشِبَا
لاقى البديُّ الكلاب فاعتلجا موج أتيّيهما لمن غلبا
فدعْدعا سُرّة الركاء كما دعْدع ساقي الأعاجم الغَربا
فَكُلُّ واد هَدّت حَوَالِبُهُ يقذفُ خُضْر الدُّبّاء فالْخَشَبا
مالَتْ به نَحْوَهَا الْجنوبُ معًا ثم ازدهتْهُ الشَّمَالُ فانْقَلَبا
فقلْت صاب الأعْراضَ ريّقُهُ يسقِي بلادًا قد أمحلَتْ حُقُبَا
لِتَرْعَ من نَبْتِه أُسيمُ إذَا أنْبَتَ حُرَّ الْبُقُول والعُشُبا
وليرْعَهُ قَومُها فإنَّهُمُ من خَيْرِ حيٍّ علِمْتُهُمْ حَسَبَا
قَوْمِي بنُو عامِر وإنْ نطَقَ الْ أعْداءُ فِيهِم مناطقًا كَذِبا

(١) في رواية : فجاد رهوا إلى مناجل فالصخرة ، وهذه الرواية أصح .

ذكر لبيد في هذه القصيدة أنه اتكأ على مرفقه وبات يرقب سحابا متقدماً جاد بصوبه مناجِل والصّخرة ثم حدر سيْلَه العُصْمَ من عماية وقضى في صاحة الأَربا ، وهذه المواضع لا تزال معروفة بأَسمائها ، وكلها واقعة في وسط بلاد قومه بني عامر ، وكلها متقاربة .

وهي في بلاد بني قشير والحريش والعجلان .

ثم ذكر أن ريح الجنوب مالت بالغيث معها صوب الشمال ، فقال :

لاقَىَ البديُّ الْكُلاَبَ فاعْتَلَجَا مَوْجُ أَتِيَّيْهما لمَنْ غَلَبا
فَدَعْدَعَا سُرَّةَ الرَّكَاء كَمَا دَعْدَعَ ساقِ الأَعاجم الغَربا [1]
فَكُلٌّ وادٍ هَدَّتْ حَوَالِبُهُ يقذفُ خُضْرَ الدَّباء والْخَشَبا
مالَتْ به نَحْوَهَا الْجَنُوبُ مَعًا ثم ازدَهَتْهُ الشَّمَالُ فانْقَلَبَا

وفي هذه الأَبيات ذكر أن الغيث حين مالت به الجنوب أصاب مواضع في شمال بلاد قومه ، أصاب البدي في بلاد الضِّباب وأصاب الكلاب في بلاد بني نمير ، وبلاد هذين الحيين من بني عامر هي شمال بلاد قومه ، وبعد أن جاد هذين الواديين ودعدعا بسيلهما سرة الرشاء ، أَزْدَهَت هذا السّحاب المطرَ رِيحُ شمالية فانقلب صوب الجنوب ليجود ناحية أُخرى من بلاد قومه ، فجاد الأَعراض ريِّقه ، فشمل بقيَّة بلاد بني عامر ، ثم قال : لترع من نبته أُسَيْم ولِّرَعَه قومُها ، قومي بنو عامر .

فبين في شعره أن هذه المواضع التي ذكرها في شعره ومنها البديُّ والكلاب هي بلاد قومه بني عامر ، وفيها يرعون ماينبته هذا المطر .

وتقدم ماذكره المؤرخون في تحديد الكلاب ، وذكروا أنه بجانب ثهلان وأن أعلاه صوب الجنوب وأسفله صوب الشمال ، وهذا التحديد

---

(١) يبدو لي أن صحته : فدعدعا سرة الرشاء .

يلائم الوضع الطبيعي لوادي الشعراء ، وهو واد بعيد مابين اعلاه واسفله وتدفع فيه روافد كثيرة ويدفع في بطن الرشاء من جانبه الجنوبي ويقابله من الشمال وادى جهام ، واد عظيم يدفع في بطن الرشا من جانبه الشمالي ، فيدعدعان سرة الرشاء ، وقد اتضح لى من البحث والتحقيق أن وادى جهام هو وادي البَديّ ، وقد استوفيت كل ماورد فيه في رسم جهام فانظره .

وينبغي أن أشير إلى أنني قلت فيما تقدم في التعليق على قول لبيد : فدعدعا سرة الركاء . فَدَعدعا سرّة الرشاء ، وذلك لأدلة منها : أن بطن الرشاء واقع بين هذين الواديين ، ومدافعهما تلْتقي في سُرّته ، وقد ذكرت من الأدلة مايفيد أن البَدىّ هو وادى جهام والكلاب هو وادى الشعراء ، ومنها أنه لايعرف في روافد الركاء واديان ينطبق عليهما تحديد البديّ أو الكلاب أو وصفهما . ومنها أن البدي معروف في بلاد الضِّباب والكُلاب معروف في بلاد بني نمير ، والركاء مرتفع في الجنوب عن هذه البلاد . ومنها أن التحريف في أسماء المواضع في الشعر العربي معروف وشايع في مثل هذه الأسماء المتقاربة في النطق ، المتشابهة في الكتابة وغير ذلك من الأدلة .

وفي القصيدة الآتية من شعر لبيد أيضا مايزيد الأمر وضوحا . قال :

تَخَيَّرْنَ من غَول عِذَابًا رَوِيَّـة ... ومن مَنْعِج بيْضَ الْجِمَام ، عَدَامِلا
وقد زَوَّدَتْ مِنّـا على النأْى حاجة ... وشوقاً لو أن الشوقَ أَصْبح عادلا
كَحاجة يوم قَبـل ذلكَ مِنْهمُ ... عشِيَّةَ ردُّوا بالكُلاَب الجمـائلا
فَرُحْنَ كأنَّ الناديَات منَ الصَّفَـا ... مذَارعهَـا والـكارعات الحـواملا
بذى شَطَب أحدَاجُهـا إذْ تحمَّلوْا ... وَحثَّ الحُداةُ الناعجـات النَّوامِلاَ
بِذى الرِّمْثِ والطَّرْفاء لمّا تحمّلوْا ... أَصيْلًا وَعَالَيْنَ الْحُمُولَ الْجَوَافلاَ
كأَنَّ نِعَاجًا من هَجَائن عازف ... عليهـا وآرامُ السُّلَيِّ الخَـواذلاَ
جَعَلْنَ حرَاج الْقُرْنَتَيْنِ وناعتًـا ... يَمِينَـا ونكَّبْنَ الْبَديَّ شَمَائـلا

ومن دراسة هذه القطعة الشعريّة يتبيّن صورة جغرافية لهذه المواضع التي احتوتها ، حيث ردّوا جمالهم وحيث تحملوا والنهج الذي سلكوه والأعلام التي جعلوها يمينا منهم والتي جعلوها ونكبوها شمائلا .

ففيها الكُلاب ، وفيها شطب وفيها ذو الرِّمْثِ والطرفاء ومن هذه المواضع تحمَّلوا وحَثَّ الحداةُ الناجيات وقد جعلوا حِراج القُرْنَتَيْنِ وناعتًا يمينا منهم ونكّبوا البَدِيَّ شمالاً .

والواقع أنّه من إطار هذه الصورة الجغرافية الناصعة وتطبيقها موضعيا ، في هذه البلاد ومشاهدة أعلامها ، يتضح لنا أنَّ الكلاب وذَا شطب وذَا الرِّمث والطَّرفاء إنَّما تعني موضعا واحدا ، فيه رَدُّوا الجِمال وفيه أحداجها إذْ تحملوا ، وفيه عالين الحمول ، وهذا الموضع أسفل وادي الكلاب (وادي الشّعراء) وهو ذو شُطب لأنّه حاف بخشوم جبــل شطب الشرقي وهو ذو الرمث والطرفاء لأنّه مزدحم بغابات كثيفة من الرمث والطرفاء ، فهذه الصفاة كلها يجمعها أسفل وادى الشعراء مما يلي جبل شطب ؛ وشطب جبل أسود كبير منقطع من ثهلان شمالا معروف بهذا الاسم قديماً وحديثاً .

أما اتجاه سيرهم فإنه صوب الشمال لأن القُرْنتين وناعتا واقعتان شمالا شرقياً من الموضع الذي تحملوا منه والبديُّ واقع شمالاً غربيا منه .

وقد استوفيت ماورد في تحديد القرنتين في رسم القُرْنة وفي رسم جهام ، واستوفيت ماورد في وصف ناعت وفي تحديده في رسم الخلَّة وفي رسم جهام ، وكذلك ماورد في وصف البديّ وفي تحديده في رسم جهام فانظره ، وسيتّضح لك بجلاء أن وادي الشعراء هو وادي الكلاب وأن وادي جهام هو وادي البدي.

أمّا ماذكره محمد بن بُلَيْهِد رحمه الله في تحديده ، فمن الملاحظ أنه قال في بداية حديثه ، قد اختلف أهل المعاجم وأهل التاريخ في موضع وادي الكُلاب ثم أورد بعضها من أقوال المؤرخين في تحديده واورد شواهد من الشعر

الذي قيل في يوم الكلاب مقرَّرًا بذلك كله أنه هو وادي الشعراء ، وبعد أن قرر ذلك قال : والذي نعتقده أن اسمه الذي كان قبل ذلك « وادي قَحْقَح » ووادي قحقح باق إلى اليوم بهذا الاسم . ويؤيِّد هذا القول أنهم ذكروا في أخبار أيام العرب في اليوم الأخير من أيام الكلاب أن مسعود بن القريم فارس بكر بن وائل قُتِلَ في وادي الكلاب الذي كانت به الوقعة قتله حُشيش بن نمران : وعلى هذا يكون كل ماذكر من الشعر في وادي الكلاب إنما حقيقته أنه في وادي قحقح .

ثم قال : ويدل لذلك أيضا أنهم قالوا إنه يبعد عن طرف ثهلان الجنوبي مسافة يوم أو أقل . ووجه ثالث : ذكروا أن وادي الكلاب تقاتل العرب فيه وهم يشربون ماء العُوَيْنِد ، والعُويْند ماءٌ باق إلى اليوم بهذا الاسم ، وأهل قحقح اليوم قاطنون على ماء العُويْند وهم يرعون إبلهم في وادي قحقح .

قلت : الواقع أن هذه الأوجه الثلاثة التي استدل بها على رأيه أن الكلاب هو وادي قحقح ماهي إلاَّ أدلة اجتهاديَّة أتى بها ليوفق رأيه مع بيت لبيد :

لاقى البَدِيُّ الـكُلابَ فاعْتلجـا سيـلُ أتِيَّيْهِمـا لِمَـنْ غَلَبـا
فَـدَعْدَعـا سُـرَّةَ الـرَّكَـاءِ كَمَا دَعْـدَعَ سَـاقِي الأَعَـاجِمِ الْغَرَبا

وقد استوفيْتُ مايخصُّ شعر لبيد في رسم (البدي) جهام .

والواقع أن ماأورده في تحديد الكلاب من النقول والشواهد الدالة على أنه هو الواقع بجانب ثهلان (وادي الشعراء) أقوى بكثير من آرائه الاجتهادية التي استدل بها على أنه وادي قحقح ، وسأُجيب على أدلته الثلاثة بما يناسب مقام كلٍّ منها بحول الله وقوته .

أولاً أن أهل المعاجم والمؤرخين لم يختلفوا في موضع وادي الكلاب ، بل كل أقوالهم يؤيد بعضها بعضا في وصفه وفي تحديده ، ومَا قِيلَ في

يوم الكلاب من الشعر يؤيد ماقاله المؤرخون في تحديده ، فذكروا أن المعارك في يومي الكلاب حول تَيْمَنَ وحُذُنَّة ومُجَيْرَات :

ظَلَّتْ ضِبَاعُ مُجَيْرَاتٍ يَلُذْنَ بِهِم   وأَلْحَمُوهُنَّ مِنْهُم أيَّ الْحَامِ
حتى حُذُنَّةَ لم يَتْرُكْ بها ضَبُعاً   الاَّ لــه جَزَرٌ شَلْوٍ مِقْدَامِ

هذه المواضع في أعلى وادي الكلاب (وادي الشعراء) شرق ثهلانَ .

ويقول ذُو الرُّمَّةِ :

فما شهدت خيل امْرِىءِ القيس غارةً   بثهلان تَحْمِي عن ثُغُور الحقائقِ
أثرنا به نَقْعَ الكُلابِ ، وأنتـمُ   تُثِيرُونَ نَقَعَ الْمُلْتَقَى بالْمَفَـارِق

فأين هذه المواضع من وادي قحقح ؟ .

أما فيما يخص الوصف الجغرافي فإنَّ وادي قحقح يبدأ سيله قريبا من غَشْيَرَا دَمْخ ثم يتجه جنوبا بين دَمْخٍ وبين الْعَلَمِ مارًا بين هضبة وَتدةَ وبين مَذَارِيب المِعْزا ، ويدفع في مشاش مِجْدَلٍ في أعلا وادي السُّرَّة ، فهو يَتَّجه من الشمال إلى الجنوب وهو واد ضيق قليل المياه ، وليس أعـلاه من أسفله ببعيد ، وهذا الوصف يخالف ماوصف به المؤرخون وادي الكلاب فقد ذكروا أن أعلاه مما يلي اليمن وأسفله مما يلي العراق وبين أدناه وأقصاه مسيرة يوم ، وقالوا : انه واقع بين جَبَلَةَ وشَمَام على سبع ليال من اليمامة وقالوا : أقبل أهل اليمن من بني الحارث حتى إذا كانوا بتَيْمن نزلوا قريبا من الكلاب ـ وذلك في يوم الكلاب الثاني ـ :

وفي وصف مياهه بالوفرة ـ قال النعمان بن الحسحاس لقومه في يوم الكلاب الثاني : لا أعلم ماء يجمعهم الاَّ قِدَّة : فارتحلوا وانزلوا قدة ، وهو موضع يقال له الكلاب فارتحلوا حتى نَزلوا الكلاب ، فهذه الصفات تنطبق على وادي الشعراء الوفير المياه والمراعي ولا تنطبق بحال على وادي قحقح ، ومن الملاحظ أنه قال : ووادي قحقح باق بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، والواقع أن وادي قحقح معروف بهذا الاسم قديما وحديثا ولا يزال يعرف به ،

وقد وقع فيه يوم من أيام العرب في الجاهلية يُسمّى يوم قحقح ويوم المالّة ، والمالّةُ فيما يبدو لي وادٍ يُوَازي وادي قحقح من الغرب يخرج من شرقيّ الْعَلَم ، قريب من قحقح وهذا اليوم له ذكر في كتب المعاجم وكتب المؤرخين ، ولم يقل أحد من المؤرخين أن وادي قحقح سُمّي الكلاب ، أو أن يوم قحقح كان يُسمّى يوم الكلاب ، فيوم الكلاب الأول ويوم الكلاب الثاني ذكرهما المؤرخون بتفاصيلهما ، وهما يختلفان عن يوم قحقح وفي يوم قحقح قتل مسعود بن القريم فارس بكر بن وائل ، قتله حُشيش ابن نمران ، قال :

ونحن تركنا ابْنَ القُريم بِقُحْقح صَرِيْعًا ومولاه الْمُجَبَّهَ لِلْفَم

هذا ماذكره ياقوت .

وقال البكري : في رسم قحقح : وفيه أدركت بنو يربوع الْمُجَبَّةَ أحد بني أبي ربيعة ابن ذهل ، وكان أغار على سرح لهم فقتلوه وقتلوا عمرو بن القريم ، أحد بني شيبان وقال سُحَيم بن وَثِيل الرِّيَاحيُّ :

ونحنُ تركنا ابنَ القُريم بقُحقح صريعا ومولاه المجبَّهَ للفم

فهو يوم القحقح ، ويَوم بطن المالّة .

ويبدو لي أن وادي المالّة هو الوادي المعروف هذا العهد باسم وادي الجلْة ، وأن الجلّة ، تحريف المالّة لقربه من قحقح ، ولم أر أحَدًا ممن كتبوا عن يومي الكلاب ذكر أن مسعود بن القريم قتل في يوم الكلاب أو ذكر أنه شهد يوم الكُلاب ، ويوم قحقح لاصلة له بيومي الكلاب .

أما قوله إنّ المؤرخين قالوا : إنه يبعد عن طرف نهلان الجنوبي مسافة يوم أو أقل فأنَّا لم أر فيما اطلعت عليه من كتب المؤرخين من قال بذلك . ولا أعرف مصدره فيه . أما قوله : أنهم تقاتلوا في الكلاب وهم يشربون العُوَيْنِد ، والعوينِد ماءٌ باقٍ إلى اليوم بهذا الاسم ، فأنّا قد اطلعت على كثير

من كتب المؤرخين ولم أر مَنْ ذكر ذلك ، وعلى افتراض أن أحداً منهم قال بذلك فإنّه لايعني ماء العويند الذي أشار إليه محمد بن بليهد الواقع في بلاد عمرو بن كلاب فإنّه إنما يعني ماء العويند الواقع في بلاد بني نمير ، في بطن الكلاب ، وكلا الماءين محدّدان في كتب المعاجم الجغرافية . قال ياقوت في كتابه « المشترك وضعًا والمفترق صقعًا » العويند : بضم العين وفتح الواو وياء ساكنة ونون مكسورة ودال مهملة :

العويند من مياه بني عمرو بن كلاب ، عن أبي زياد . والعويند من مياه بني نُمَيْر ببطن الكلاب ، عن أبي زياد أيضا . وذكر الهجريُّ أن لباهلة ماء خارج عن ثهلان في بطن الرشا ، يقال له العويند .

وقد رأينا أنه – رحمه الله – بذل جهداً ومحاولات اجتهادية لتقريب وادي الكلاب من وادي السرّة وتقريب وادي السُّرّة من الركاء ليوفق بين هذه المواضع وبين مافهمه من شعر لبيد :

لاقى البديُّ الكُلاب فاعتلجا موج أتيّيْهما لمن غَلَبَا
فدعدعا سُرَّةَ الرَّكَاءِ كمَا دَعْدَعَ ساقي الأعَاجِم الغَرَبا

مع أنّ المفهوم من الشعر أن سرّة الركاءِ وسطه ، وسرة الوادي معظمه .

أما ما ذكره بعض المؤرخين أن الكلاب بين البصرة والكوفة فإنْ هذا التحديد مُقَيَّدٌ بقولهم على سبع ليال أو نحوها من اليمامة .

أما تسمية هذا الوادي بهذا الاسم ، فقد ذكر بعض المؤرخين انه سمي به لما لَقُوا فيه من الشر . أي أنه إنما سُمَي بهذا الاسم بعد وقوع المعارك الحربية فيه ، ولكن الذي يفهم من سياق خبر أيام الحرب أنه كان يسمّى وادي الكلاب قبل وقوع الحرب فيه ، وأن قدة موضع من مواضعه .

قال صاحب « العقد الفريد » فيما نقله عن أبي عُبَيْدَة : اختلف شر حبيل

ومسلمة في المُلْكِ فتواعدا الكلاب ، فاقبل شرَحبيل في ضَبّة والرِّباب كلها وبَنِي يربوع وبكر بن وائل . وأقبل مسلمةُ في تغلب والنَّمر وبَهْرَاء ومن تبعه من بني مالك بن حَنظَلة وعليهم سفيانُ بن مجاشع وعلى تغلب السَّفّاح.

وانما قيل له السّفاح لأنّه سفح أوعية قومه . وقال لهم : ابدروا إلى ماء الكلاب. فسبقوا ونزلوا عليه ، وإنما خرجت بكر بن وائل مع شرَحبيل لعداوتها لبني تغلب ، فالتقوا على الكلاب واستَحَرَّ القتل في بني يربوع وشدَّ أبو حنش على شُرَحْبِيْلَ فقتله . وكان شرحبيلُ قد قتل حَنَشًا فأراد أبو حنش أن يأتي برأسه إلى مَسْلمة فخافه فبعثه مع عَسِيف له . فلما رآه مسلمة دمعتْ عيناه فقال له : أنت قتلته ؟! قال : لا ولكنه قتله أبو حنش !. فقال : إنما أدفع الثواب إلى قاتله وهرب أبو حنش عنه فقال مسلمة :

ألا أبْلِغْ أبا حنَشٍ رَسُوْلاً   فما لَكَ لاتَجِيءُ إلى الثواب؟!
تَعَلَّم أنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيْتًا   قَتِيل بين أحْجَارِ الْكُلابِ
تداعَتْ حَوْلَهُ جُشَمُ بنُ بَكْرٍ   وأسْلَمَهُ جَعَامِيْسُ الرِّبَابِ

هذا ما ذكر في سياق خبر يوم الكلاب الأول ، وهو يفيد أنهم تواعدوا ماء الكُلاب وأنهم التقوا فيه ، وأن مسلمة قال شعره حين بلغه قتل شرحبيل وقد ذكر الكلاب باسمه ، وهذا يدلُّ دلالة واضحة على أنه كان معروفاً بهذا الاسم قبل وقوع الأيام الحربية فيه .

وقال في خبر يوم الكلاب الثاني : قام النعمان بن الحسحاس فقال : يا قوم انظروا ماءً يجمعكم ، ولاأعلم ماءً يجمعكم إلاَّ قدة فارتحلوا وانزلوا قدة ، وهو موضع يقال له الكُلاب . فلما سمع أكثم ابن صَيْفي كلام النعمان قال : هذا هو الرأي ، فارتحلوا حتى نزلوا الْكُلاب . وبين أدناه وأقصاه

مسيرة يوم . وأعلاه مما يلي اليمن وأسفله مما يلي العراق ، فنزلت سَعْد والرِّبابُ في أعلا الوادي ونزلت حنظلة بأسفله .

وقال ياقوت في تحديد قدَّة : قدّة بالكسر ثم التشديد بلفظ واحدة القِدْ من اللحم : اسم ماءة بالكلاب ، وقيل قِدة بوزن عدَه اسم الماء الذي يُسَمّى بالكلاب ، ومنه ماء في يمين جبلة وشمام .

قلت : يتضح من سياق الأخبار الوارد في ذكر الكُلاب أنه اسم للوادي وأن قدة اسم ماء فيه ، وأنه معروف بهذا الاسم قبل وقوع اليومين الحربييّن فيه

تقدم قول ياقوت : إنه عَلَم مرتجل غير منقول .

وقد وقع في هذا الوادي أيام شهيرة للعرب المتأخرين ، من أشهرها يوم سنَاف الطَّرَاد وقع في أعلاه بجانب هضبة تيْما بين قبيلة الدواسر ومعهم اخلاط من قحطان (وبين عُتَيبة) استمرت معاركه أياماً وقتل فيه خلق كثير ، وانتصرت فيه قبيلة عُتيبة . ومنها المعارك الأُولى ليوم مناخ عرِجَة الشهير ، بعضهم يسميه مناخ الشعراء لأَن معارك الأَيام الأُولى دارت فيها ، ولأَن قبائل عُتَيبة المحاربة كانت قاطنة في هذا الوادي ، وبعضهم يسميه مناخ الدَواْدمي لان المعارك أزاحتها قبائل عُتيبة إلى الدّوادميّ وبعضهم يسّميه مناخ عرجة لأَن المعارك الأَخيرة الحاسمة دارت بقرب عرجة .

وهذه الحرب دارت بين قبائل عُتَيبة من ناحية وكانوا قاطنين في وادي الشعراء ، وبين حرْبٍ ومُطير وقحطان من ناحية ، وحَرْب كانوا في عرجة ومطير في الدوادمي وقحطان في الحَسْرج .

سعد بن عبد الله بن جنيدل

كيف كان ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب

هذا العنوان ليس في حقيقة الأمر عنواناً لهذا المقال أو التقرير وإنما هو عنوان لمخطوطة موجودة في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٦٠٦١ . والمخطوطة المذكورة مكوّنة من أربع وخمسين صفحة ، في كل صفحة منها اثنا عشر سطراً . وهي مكتوبة بخط رقعة صغير الحجم جميل الشكل لكنه كثير الأخطاء من الناحيتين الإملائية والنحوية بدرجة لا تحتاج إلى الإشارة إلى أماكنها .

واسم مؤلف هذه المخطوطة غير مذكور . وليس في داخلها ما يدل الباحث إلى معرفته أو معرفة البلدة التي يَنْتَمي إليها . بل ليس من الواضح ما إذا كانت هذه النسخة الوحيدة ـ حسب المعلومات المتوفرة الآن ـ قد كتبت بخط مؤلفها نفسه أم بخط أحد النساخ . وإذا كان ما فيها كلام مؤلفها فإنه يدل بوضوح على أن ذلك المؤلف ليس نجدياً ولا مطلعاً على كتب جغرافية بلدان الجزيرة العربية وتاريخها ؛ لأنه يخطىء كثيراً في أسماء بعض المدن النجدية المشهورة . ومن أخطائه فيها حذف أل من أوائل أسماء بلدان اشتهرت بها مثل العيينة والدرعية والرياض ؛ وإن كان ذكر أسماء هذه البلدان صحيحة في حالة واحدة [ص ٥٠] .

وقد استعمل بعض التعبيرات التي كثيراً ما استعملها أهل نجد مثل كلمة « طارش » بمعنى رسول أو مندوب [ص ٢١] . ولكن هذه التعبيرات قد تكون مستعملة في مناطق أخرى غير نجد . كما أنه يستعمل تعبيرات لا يستعملها النجديون ، وإنما يستعملها سكان بلاد الشام وما

حولها مثل كلمة عُمّال في قوله : (وجَدَ أن أبيه ــ هكذا ــ عمّال يرنشي) [ص ١] . ومن استعماله لهذه التعبيرات وأخطائه في أسماء المدن النجدية يحتمل جداً أن يكون من سكان سوريا أو ما جاورها .

ومن الواضح أن هذا المؤلف مُؤَيِّدٌ كلَّ التأييد للشيخ محمد بن عبدالوهاب وأنصار . فهو بالنسبة إليه شيخ الإسلام ، كما يدل على ذلك عنوان كتابه . ودعوته التي نادى بها هي الإسلام ذاته ؛ فهو حين يتكلم عن قفار يقول إن أهلها كانوا يتحاربون قبل الإسلام ، ومن بعد الإسلام حكم عليهم ابن سعود فصاروا إخوانا [ص ٤٣ ــ ٤٤] . وهو يصف الشيخ بأنه كان عظيم الجهاد ، ولا ينام الليل من أجله ، وأنه كان يُؤْثر الضعفاء على نفسه [ص ١٣ ــ ١٤] . وحينما يذكر أنصار الشيخ يصفهم بالمسلمين ويصف خصومهم بالمشركين [ص ٣ و ٢١] . وإذا ذكر قتلى أتْباعه في المعارك مع أعدائهم قال : نسأل الله أن يسكنهم الجنة برحمته [ص ١٢] . ويدعو للحيّ من زعماء أنصار محمد بن عبد الوهاب بالنصر وطول البقاء [ص ١٩ و٥١] . كما يدعو للميت منهم بالرحمة [ص ٧] .

ورغم أنه واضح التأييد لدعوة الشيخ محمد التي يصفها بأنها مذهب نبينا صلى الله عليه وسلم [ص ٢٠] إلا أنه استعمل من التعبيرات ما هو غير سائغ لدى أنصارها مثل دعائه بجاه النبي صلى الله عليه وسلم [ص٥١] .

ويبدو أن الكتاب لم يدوّن في فترة واحدة لأن مؤلفه قال مرة عن عبد العزيز بن سعود : أطال الله لنا بقاءه [ص ٥١] مما يشير إلى أن عبد العزيز كان لا زال حيا آنذاك . وقال مرة أخرى عنه : رحمة الله عليه [ص ٥٢] مما يوحي بأنه كان قد توفي .

وقد تعرض مؤلف هذا الكتاب للأحداث التي وقعت منذ ظهور الشيخ

محمد بن عبد الوهاب حتى استيلاء آل سعود على الحجاز . ولم يشر إلى الحملة المصرية العثمانية التي قضت على دولتهم الأولى .

وطريقة تسجيله للحوادث ليست قائمة على ذكر حوادث كل سنة بذاتها ، كما فعل ابن غنام وابن بشر والفاخري وأمثالهم ، بل إنه لم يربط أية حادثة بسنة معينة ، وإنما تكلم في بداية الكتاب عن الشيخ محمد وتحركاته الأولى بصفة عامة . ثم بدأ يتكلم عن غزوات أنصاره ، مبتدئاً بعبد العزيز بن محمد آل سعود ، ضمن فصول يبلغ عددها تسعة وثلاثين فصلا . وأكثر هذه الفصول قصير جداً ولا يحتوى إلاّ على ملخص غزوة واحدة . ويتكلم في نهاية الكتاب عن بعض البارزين من أمراء المناطق الخاضعة للدرعية ، محدداً البلدان التابعة لهم من الناحية الادارية وما يمكن أن يجنّده كل واحد منهم من رجال وقت الحرب .

وعدم ذكر المؤلف للسنوات حين كلامه عن الحوادث المختلفة يجعل الفائدة التي يمكن أن تجنى من الكتاب أقل بكثير مما لو ذكرها . ولهذا فإنه لا يمكن أن يستفاد مما فيه دون مقارنته بالمصادر المشهورة لتاريخ هذه المنطقة.

والكتاب رغم ما فيه من أخطاء كثيرة وواضحة فانه لا يخلو من بعض الأمور التي تضيف إلى ما في المصادر الأخرى شيئاً من التفسير والتعليل أحياناً . وهذان الأمران قابلان مع ذلك للرفض أو القبول ، شأنهما شأن كثير مما ذكره المؤرخون الآخرون .

فمن النقاط التي يشير إليها هذا الكتاب سبب الخلاف بين الشيخ محمد عبد الوهاب وأبيه . فابن بشر يذكر فقط أن الشيخ حين جهر بدعوته وقع بينه وبين أبيه كلام لكنه لا يذكر سببه [٢] أما مؤلف هذه المخطوطة فيقول : إن عبدالوهاب كان يرتشي فأنكر عليه ابنه فطرده من

(١) انظر عنوان المجد في تاريخ نجد ، الطبعة الثانية لوزارة المعارف السعودية ، ١٣٩١ ج ١ ص ٢١ .

بيته [ص١] ومن المعروف أن الشيخ محمد عبد الوهاب اعتبر ما كان يأخذه بعض القضاة النجدية من المتخاصمين مقابل الفصل بينهم رشوة . وكانت هذه المسألة من المسائل التي دار نقاش بينه وبين خصومه حولها [1] ومع ترجيح نزاهة عبدالوهاب فان هذه المسألة تبقى محتملة لأن تكون من بين أسباب الخلاف بين الأب وابنه على الأقل من الناحية النظرية .

ومن بين ماذكره هذا المؤلف أن الشيخ ذهب من البصرة إلى المدينة المنورة ، ثم عاد منها إلى حريملاء [ص ٢و٥] . وهو في هذا يتفق مع ظاهر ما رواه حفيد الشيخ عبد الرحمن بن حسن عن خط أسفار جده [2] ، خلافاً للمشهور عن تلك الرحلات من أنه لم يذهب من البصرة إلى المدينة وإنما خرج منها إلى نجد ، ماراً بالاحساء [3] .

ومن محاولاته لتعليل الحوادث — مثلاً — قوله : إن دعوة الشيخ لم تنجح في العراق لأن سكانها مفتونون في حب الدنيا ، ولم تنجح في المدينة لأن أهلها مفتونون في عبادة الأوثان [4] ، ولم تنجح في حريملاء لأن أهلها مختلفون وعددهم لا يتجاوز ثلاثمائة رجل ، وكل واحد منهم يقول : أنا الرئيس . ولكنها نجحت في العُيَيْنَة لأنها بلد حكم وكبيرها شيخ وادي حَنِيفة [ص ٥] . ويعلل موقف عثمان بن معمر غير الحاسم من أهل ثرمداء بأنهم أخواله [5] [ص٦] ، كما يعلل انتصار دعوة الشيخ بالجهاد الذي جعلته أساساً لها [ص١٣ — ١٤] .

وحين يتكلم هذا المؤلف عن حادثة الزانية التي رجَمها الشيخ محمد في العيينة يقول : إنه قد حضر رجمها أحد أولاد حاكم الأحساء الذي كان صاحب مَعْصية فغضب وكتب إلى عثمان بن معمر ليقتله أو يرسله إليه ،

---

(١) انظر حسين بن غنام : «روضة الأفكار والأفهام» .. ، القاهرة ١٣٦٨ ج ١ ص ١٨٦ و ١٣٣ — ١٣٦ .
(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ط ٢ ، ١٣٨٨ ، ج ٩ ص ٢١٦
(٣) ابن بشر المصدر السابق ج ١ ص ٢٠ — ٢١
(٤) واضح أنه لا يمكن قبول كلامه هنا . ومن المعلوم أن الشيخ لم يكن له نشاط في المدينة مثل نشاطه في البصرة .
(٥) ابن بشر ، المصدر السابق ج ١ ص ٣٦ .

لكن ابن معمر بعثه إلى ابن سعود في الدرعية [ص ٦] . وهو في هذا يتفق مع بعض ما ذكره مؤلفون آخرون عن هذه الحادثة [١] .

ومع افتراض صدق ما ذكره هؤلاء المؤلفون من عدم استقامة سليمان ابن محمد زعيم بني خالد وحاكم الاحساء فانه من المستبعد أن يكون رجم الزانية السبب الوحيد في حد ذاته لغضبه ؛ لأنه من الممكن أن يكون الحاكم غير مستقيم ومع ذلك لا يغضب من تنفيذ الأحكام الشرعية ، بل ربما نفذ هو نفسه تلك الأحكام مع عدم استقامته .

والمعروف أن إقدام الشيخ على رجم المرأة المذكورة كان من بين المسائل التي أخذها عليه خصومه بحجة أن مثل ذلك الحد لا ينفذه إلا الامام أو نائبه ، والشيخ ليس إماماً ولا نائباً له . وكان رده عليهم واضحاً وهو أن لكل متغلب على قطر تنفيذ أحكام الشريعة وإلا تعطلت [٢] . ومن هنا فإن موضوع الزانية قد يكون من الأمور التي أثارها خصوم الشيخ من العلماء أمام حاكم الاحساء . وكان نجاحهم في اقناعه بوجوب الحد من حركة ابن عبد الوهاب سبباً في كتابته إلى عثمان بن معمر ليتخلص منه .

وعند كلام هذا المؤلف عن هروب دهام بن دواس من الرياض يؤيد ما ذكره كل من ابن غنام [٣] وابن بشر [٤] من اتجاهه نحو الدِّلَم ، ويضيف إلى ذلك قوله بأن دهاماً سار من عند زيد بن زامل إلى الأحساء مقر زعيم بني خالد [ص ١٦]. وروايته هذه تؤيد الرواية الشعبية التي تقول إن حاكم الأحساء لام أمير الرياض على هروبه أمام هجمات آل سعود وأتباعهم فاستثاره بقوله : إني صبرت على مجابهة الدرعية

(١) ابن غنام ، المصدر السابق ج ١ ص ص ٢ - ٣ ، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق أحمد أبي حاكمة ، بيروت ١٩٦٧ ، ص ١٦٠ .

(٢) ابن غنام ، المصدر السابق ج ١ ص ص ٢٠٣ و ٢٠٧ .

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٨٥ . (٤) المصدر السابق ج ١ ص ٧٧ .

٢٨ سنة فقاتلها ٢٨ يوماً ! . وربما كانت تلك الاستشارة عاملا نفسياً أضيف إلى عوامل أخرى جعلت الحاكم الأحسائي يقوم بغزو المناطق التابعة للدرعية بعد بضعة شهور ، كما هو معروف [1] .

ويلاحظ أن تركيز المؤلف على المناطق الشمالية والشمالية الغربية من جزيرة العرب أكثر من تركيزه على المناطق الأخرى ، مقارنة بالمصادر المشهورة عن تلك الفترة ؛ فهو يذكر معلومات عن جبل شمر ورئيسه محمد بن علي أكثر مما فعل غيره ، من ذلك ما قام به حُجَيْلان بن حمد حين استسلام حائل له : فقد انفرد هذا المؤلف بذكر بعض الإجراءات التي قام بها حُجَيلان هناك مثل قتله لساحر كان في تلك البلدة [ص ٢٢] .

ومما ذكره عن نشاط محمد بن علي أمير الجبل غزوه لِتَيْمَاء وإدخالها تَحْتَ نفوذ الدرعية [ص ٢٢] ، وغزوه لجهات العراق حيث أخذ قوما يسمون البُعَيْج [ص ٣١] وإغارته على قبائل حول خيبر حيث غنم منها ٢٥٠٠ بعير ، كما ذكر غزوه للشرارات في منطقة الجوف وفشله في محاولته الأولى ، ثم مشاركته مع محمد بن مُعَيْقِل في غزوة ناجحة بعد ذلك [ص ٤٦] . كما يذكر أن جُبَّة وتَيْماء كانتا من بين المناطق التابعة إداريا لأمير الجبل [ص ٤٧] .

ومهما يكن من أمر فإن الكتاب – كما ذكر سابقا – يحتوي على كثير من الأخطاء ، بما في ذلك الأخطاء التاريخية وأسماء بعض القادة والمدن ، ولكنه مع ذلك كله لايخلو من فائدة . واستعانة الباحث في تاريخ هذه البلاد بكل ماتقع عليه يده – مهما كان نفعه ضئيلاً – أمر ضروري .

الدكتور عبدالله العثيمين

---

(١) انظر ابن غنام ، المصدر السابق ج ٢ ص ٨٩ .

من جبال القصيم :

جبل خزاز

خَزَازٌ – بفتح الخاء أوله ثم زاي مفتوحة فألف فزاي ثانية : جبل احمر واقع إلى الجنوب من الرّس على بعد ٤٩ كيلا ويبعد عن بلده دخنة نحو خمسة أكيال قال البكري : جَبَلٌ لِغَنِيٍّ [1] وهو جبل أحمر ، وله هضبات حمر . وقد ذكره عمرو بن كلثوم بقوله :

ونحن غداة أو قد في خزازٍ رَفدنَا فوق رَفْد الرافدينا

وفي أصل خزار : ماءٌ لغَنِيٍّ . يقال له : خزازة. وخزار في ناحية مَنعج [2] دون إمرة [3] وفوق عاقل [4] على يسار طريق البصرة إلى المدينة [5] ينظر إليه كل من سلك الطريق هذا قول السكوني . أقول هذا صحيح وحدَّد أبو عمرو خزازًا فقال : هو جبل مستقبلك(؟)، قريب من إمَّرَةَ عن يسار الطَّريق ، خلف صحراء منعج أقول : صحراء منْعج إلى الشمال من دخنة تسمى الآن السهب سهب الظاهرية وعلى هذا فهي خلف خزاز لمن يكون في الحجاز . قال : ولولا عمرو بن كلثوم ما عُرف يوم خراز .

وهو أول يوم امتنعتْ فيه معدٌ ، من ملوك حِمْيَر ، أي أول يوم انتصر فيه النْجديون على اليمانِيّة – أوقدوا نارًا على خزاز ثلاث ليالى ، ودخنوا ثلاثة أيام .

---

(١) غنى من قبيلة باهلة .

(٢) راجع رسم ملعج .

(٣) راجع رسم أمره .

(٤) راجع رسم العاقل .

(٥) كذا وهو غلط بلا شك صحته (الى مكة) إذ طريق البصرة إلى المدينة يمر بشمال القصيم يمر على أثال والفوارة (بالفاء) وقطن .

ثم قال : وقد ذكر خزازا وعَرَفه مُهَلْهِلْ ولُبيد وزهير بن جناب، وغيرهم ، قال زهير :

شهدتُ الوافدين عـلى خـزاز وبالسّلان جمعا ذا هواء [1]

أقول :

ملخص يوم خزاز كما ذكره ابن الأثير أن ملكا من ملوك اليمن كان في يديه أسارى من مضر وربيعة وقضاعة ، فوفد إليه وفد من وجوه بني معدّ فاحتبس الملك عنده بعض الوفد رهينة ، وقال للباقين : ائتوني برؤساء قومكم لآخذ عليهم المواثيق بالطاعة لي ، وإلا قتلتُ أصحابكم ، فرجعوا إلى قومهم ، فأخبروهم الخبر ، فبعث كُليب وائل إلى ربيعة فجمعهم ، واجتمعت عليه معدّ ، فسار بهم ، وأمرهم أن يوقدوا على خزاز نارًا ليهتدوا بها وخزاز : جبل بطخفة مابين البصرة إلى مكة [2] وهو قريب من متالع [3] جبل أيضا . وقال : إن غَشيكم العـدوّ فأوقدوا نارَين .

فبلغ مَذْحِجًا اجتماع ربيعة ومسيرها ، فأقبلوا بجموعهم ، واستنفروا من يليهم من قبائل اليمن فساروا إليهم ، فلما سمع أهل تهامة بمسير مَذْحج انضمّوا إلى ربيعة .

ووصلتْ مذحج إلى خزاز ليْلاً ، فرفع السفّاح التغلبيّ وكان على مقدمة جيش ربيعة نارَيْنِ ، فلما رأى كُليبِ النارين أقبل إليهم بالجموع فَصَبَّحهُم ، فالتقَوا بِخزَاز ، فاقتتلوا قتالا شديدًا أكثروا فيه القتْل ،فانهزمت مذحج ، وانفضّت جموعها ، فقال السفّاح في ذلك :

---

(١) كذا فيه وفي البعض النسخ (ذا زهاء) ولعله الصحيح .

(٢) في العبارة اضطراب لعل صحتها (وخزاز جبل قبل طخفة من البصرة إلى مكة أو السائر من البصرة إلى مكة .

(٣) في الأصل « مبالع » والصحيح ما أثبتناه ويسمى هذا الجبل الآن (أم سنون) وكان قديمًا يسمى متالع راجع رسم (أم سنون) .

وليلة بِتُّ أوقد في خزاز ... هَدَيْت كتائبا متحيِّراتِ
ضَلَلْنَ من السُّهاد ، وكنَّ لولا ... سهاد القوم أحْسبُ هادياتِ

ثم قال ابن الأثير : قيل إنه لم يعلم من كان الرئيس يوم خزاز لأن عمرو بن كلثوم ، وهو ابن ابنة كُليب يقول :

ونَحْنُ غداة أُوْقد في خزاز ... رَفَدْنا فوق رفد الرافدينا

فلو كان جَدُّه الرئيس لذكره ، ولم يفتخر بأنّه رفد ، ثم جعل من شهد خَزازا متساندين فقال :

فكنا الأَيْمَنِين إذ التقينـا ... وكان الأَيْسَرِيْنَ بَنُو أبينَـا
فصالوا صولةً فيمن يليهم ... وَصلْنَا صَوْلة فيمن يلينـا

فقالوا له : استأثرت على إخوتك ـ يعني مُضر ـ ولما ذكر جَدَّه في القصيدة قال :

ومنا قبله الساعي كُلَيْبٌ ... فأَيُّ المجد إلا قدْ وَلِيْنَـا

فلم يَدَّع له الرياسة يوم خزاز وهي أشرف ما كان يفتخر له به[1]

أقول : قد صرح ياقوت رحمه الله بذكر الرجل الذي أَبْهَمَ ابن الأثير اسمه فذكر أنه أبو زياد الكلابيّ كما تكفَّل ياقوت بالردّ عليه قال

وقال أبو زياد الكلابيّ : أخبرنا من أدركناه من مضر وربيعة أن الأحوص بن جعفر بن كلاب كان على نزار كلها يوم خزاز ، قال : وهو الذي أوقد النار على خزاز ، قال وأخبرنا أهل العلم من الذين أدركنا أنه على نزار الأحوص بن جعفر . ثم ذكرت ربيعة ههنا أخيراً من الدهر أن كليبا كان على نزار ، وقال بعضهم : كان كليب على ربيعة والأحوص على مضر ، قال : ولم أسمع في يوم خزاز شعرًا إلا قول عمرو بن كلثوم :

ونحن غـداة أوقد في خزازي ... رفدنا فوق رَفْـد الرافدينـا

(١) الكامل ج ١ ص ٥٢٠ – ٥٢٢ .

بِرأس من بني جشم بن بكر ندق به السهـولة والحـزونا
تُهددنا وتوعِدنا ، رويْـدًا متى كُنَّـا لأمِّـك مُقْتَوِينَـا

قال : وما سمعناه سَمَّى رئيسا كان على الناس .

قال ياقوت ، قلتُ : هذه غفلة عجيبة من أبي زياد بعد إنشاده : برأس من بني جشم بن بكر

وكليب اسمه وائل بنِ ربيعة بن زهير بن جُشم بن بكر بن حُبَيْب ابن غنم بن تغلب بن وائل . . وهل شيء أوضح من هذا ؟ ! .

أقول : ربما كان الدافع لأبي زياد على قول ماقاله حُبُّهُ لمجد قومه بني كلاب وليس الغفلة كما ظنها ياقوت رحمه الله ، وإلا فقد قيل من الشعر في خزاز مالا نظن أنه يخفي على مثل أبي زياد وسنورد بعضه إن شاء الله

ولعل أبا زياد الكلابي اطلع على هذا الخبر المنسوب إلى أبي عمرو بن العلاء والذي أرى عليه علامات الوضع لاسيما وهو قد رُوى في سياق المفاخرة والمنازعة على الرئاسة وهي كثيراً ماتبني على ذلك في معرض اسكات الخصم وهذا نصه : تنازع عامر ومسمع ابنا عبد الملك ، وخالد بن جبلة ، وابراهيم ابن محمد بن نوح العطاردي وغسان بن عبد الحميد ، وعبد الله بن سَلْم الباهلي ، ونفر من وجوه أهل البصرة كانوا يتجالسون يوم الجمعة ويتفاخرون ، ويتنازعون في الرياسة يوم خزاز فقال خالد بن جبلة : كان الأحوص بن جعفر الرئيس ، وقال عامر ومسمع : كان الرئيس كليب ابن وائل . وقال ابن نوح : كان الرئيس زُرارة بن عُدَس . وهذا في مجلس أبي عمرو بن العلاء . فتحاكموا إلى أبي عمرو ، فقال : ماشهدها عامر بن صعصعة ، ولا دارم بن مالك ، ولا جُشم بن بكر ، اليومُ أقْدمُ من ذلك ؛ ولقد سألت عنه منذ ستين سنة فما وجدت أحداً من القوم يعلم منْ رئيسهم

ومن الملك غير أن أهل اليمن كان الرجل منهم يأتي ومعه كاتب وطنفسة [1] يقعد عليها ، فيأخذ من أموال نزار ماشاء ، كعمال صدقاتهم اليوم ، وكان أول يوم امتنعت معدٌ عن الملوكِ ملوك حِمْيَرَ ، وكانت نزار لم تكثر بَعْـدُ ، فأوقدوا نارا على خزاز ثلاث ليالي ، ودخّنوا ثلاثة أيام . . فقيل له : وما خزاز ؟ قال : هو جبل قريب من إمَّرَة على يسار الطريق ، خلفه صحراء مَنْعج يُنَاوحه كور [2] وكوير إذا قَطعت بطن عاقل ، ففي ذلك اليوم امتنعت نزار من أهل اليمن أن يأكلوهم ، ولولا قول عمرو بن كلثوم ماعُرِف ذلك اليوم حيث يقول :

ونحن غداة أوقد في خزاز   رفدنا فـوق رفْد الرافدينـا
فكنّـا الأيمنين إذا التقينا   وكان الأيسرين بنو أبينا
فصالوا صولة فيمَن يليهـم   وصلنـا صَولة فيمن يلينا
فآبوا بالنِّهـاب وبالسبـايا   وأبْنا بالملوك مُصَفَّدِيْنَـا

قال أبو عمرو بن العلاء : ولو كان جدُّه كليب بن وائل قائدهم ورئيسهم ماادَّعى الرِّفادة ، وترك الرياسة ، وما رأيت أحداً عرف هذا اليوم ولا ذكره في شعره قبله ولا بعده (١) .

وهذا إخباري مشهور يعول الاخباريون على قوله ، ويتتبعون كلامه يتكلم على نتائج يوم خزاز ورياسة كليب فيه وهو ابن الكلبي .

قال هشام بن محمد الكلبي : لم تجتمع مَعدٌ كلها إلاَّ على ثلاثة رهط من رؤساء العرب وهم عامر ، وربيعة ، وكليب . إلى أن قال : والثالث : كليب بن ربيعة ، وهو الذي يقال فيه (أعز من كُليب وائل) وقاد مَعَدّاً كلها يوم (خزاز) فَفَضّ جموع اليمن وهزمهم ، فاجتمعت عليه مَعَدٌ كلها

(١) لعل صواب الأصل : كير وهو جبل إلى الشمال من خزاز سيأتي ذكره في حرف الكاف
(٢) العقد الفريد ج ٦ ص ٨٤ .

وجعلوا له قَسْم الملك وتاجه ونجيبته وطاعته ، فَغَبَرَ[1] بذلك حينا من دهره ، ثم دخله زَهْوٌ شديد ، وبغى على قومه ، لما هو فيه من عِزِّه ، وانقياد مَعَدٍّ له ، حتى بلغ من بغيه أنه كان يحمي مواقع السحاب فلا يُرْعَى حماه ، ويجير على الدهر فلا تُخْفر ذمته ، ويقول . وحْشُ أرضٍ كذا في جواري فلا يُهاج ، ولا تورد إبل أحـد مـع إبله ، ولا توقد نارٌ مع ناره ، حتى قالت العرب : أعز مِنْ كُليب وائل[2]

وماءُ خزازة الذي ذكر البكري أنه في جبل خزاز يوجد أثره الآن في غربي جبل خزاز ولكنه ماءٌ رِسٌّ أي قَليل ينقطع إذا احتبس المطر ، وربما كانت خزازة تلك كان فيها آبار محفورة قديمة قد درست . .

وقال لغدة : بجنب منعج خزاز وهو جبل[3] .

أقول : وهذا صحيح لأن منعجا هو وادي دُخْنة الذي كان يعرف في العصور الوسطى في جزيرة العرب بـاسم ملعج ثم أصبح الآن يشتهر في نجد باسم دخنة يقع إلى الشمال من هجرة دخنة وقال في موضع آخر : وتنظر إذا أشرفت رامة إلى خزاز والأنعمين ، ومتالع[4] ، أقول : هذا صحيح فأنت ترى خزازا وأم سنون التي هي متالع قديما والأنعمين وقال ياقوت : خزاز وخزازي : هما لغتان . كلاهما بفتح أوله ، وزاءين معجمتين . قال أبو منصور وخزازي مشكل في النحو ، وأحسنه أن يقال : هو جمع سُمِّيَ به كَعَرَاعِر ، ولا واحد له من لفظه ، وقال الحارث بن حِلِّزَة

فَتَنَوَّرتُ نارهـا من بعيد بِخَزَازَى ، هيهات منك الصِّلاء

ثم قال ياقوت : واختلفت العبارات في موضعه ، فقال بعضهم : هو جبل بين منعج وعاقل[5] بإزاء حمى ضرية .

(١) غبر : مضى وفات . (٢) العقد الفريد ج ٦ ص ٥٩ — ٦٠ . (٣) بلاد العرب ص ٣٨٥ . (٤) ص ٣٨٦ وعن متالع انظر رسم (أم سنون) . (٥) هو العاقل الآن

أقول : جميع الأقوال التي ذكرها ياقوت تصدق على خزاز ، هذا الجبل الباقي على اسمه قرب بلدة دخنة مع اختلاف عباراتها ماعدا عبارة مختصرة نقلها عن ابن الحائك — وهو الهمداني صاحب « صفة جزيرة العرب » قال :

وكثير من الناس يذكر أن خزاز هي المهجم من أسفل وادى سُردد .

أقول : ومثل ذلك ذكره البكريُّ عن الهمداني فقال : قال الهمداني : خزازى هي المهجم .

وقد رجعت إلى « صفة جزيرة العرب » للهمداني فوجدته يورد هـذا القول على سبيل الردِّ عليه ، وليس على سبيل تقريره . قال : وقد يرى قوم من الجهال أن ديار ربيعة بن نزار كانت من تهامة ، بسُرْدد[1] وبلد لعسان من علكٍ ، وأنَّ تُبَّعًا أقطعهم هذه البلاد لما حَالفوه ، وهذا من الأخبار المصنوعة لأن الملوك أجلُّ من أن يُحالفوا الرعايا ، وإنما بنوا هذا الخبر على وَهْم وهَوَى فقالوا : في المهجم وهي خَزَّةٌ خزازى ، وفي الأنعوم الأنعمين ، وفي الذنبات الذنائب وفي العارض ، عويرض[2]

ويدل على ذلك قوله في مكان آخر بعد أن أنشدبيت الحارث بن حلزة . قال : خرازى جبل في نجـد

فتنورت نارها من بعيد بخزازى هيهات منك الصِّلاءُ

هذا هو نص كلامه كما وجدته في النسخة المطبوعة من « صفة جزيرة العرب » وهي نسخة كثيرة التحريف إلى درجة أنه لايمكن الاطمئنان إلى مافيها اطمئنانا كاملا .

ويجوز أن يكون قول الهمداني هذا في كتاب آخر من كتبه غير « صفة جزيرة العرب » والله أعلم .

قال ياقوت : قال أبو عبيدة : كان يوم خزاز بعقب السُّلَّان ، وخزاز

(١) صفة جزيرة العرب ص١٧٣ (٢) صفة جزيرة العرب ص٢٣٠ .

وكير ومتالع أجبال ثلاثة بطخفة ، ما بين البصرة إلى مكة ، فمتالع عن يمين الطريق للذاهب إلى مكة ، وكير عن شماله وخزاز بنحر الطريق ، إلا أنه لا يمر الناس عليها ثلاثتها. أقول هذا صحيح. وقيل: خزاز[1] : جبل لغاضرة خاصّة .

أقول : غاضرة هم من بني أسد وهناك غاضرة من بني صعصعة من هوازن فهذا مشكل وإنما خزاز واقع في بلاد غنيّ مما يؤيد أن هذا القول وَهْمٌ .

ثم قال ياقوت : وغلط الجوهريُّ فيه غلطا عجيبا فإنه قال : خزاز جبل كانت العرب توقد عليه غداة الغارة ، فجعل الإيقاد وصفاً لازماً له ، وهو غلط . إنما كان ذلك مرّة في وقعة لهم .

ثم نقل كلامًا لأبي زياد الكلابيّ عن قصّة يوم خزاز ومنه قوله : يوم خزاز أعظم يوم التقته العرب فى الجاهلية .

وقال أبو زياد الكلابى : حدثنا من أدركناه ممن كنا نثق به بالبادية أن نزارًا لم تكن تستنصف من اليمن ، ولم تزل اليمن قاهرة لها في كل شيء حتى كان يوم خزاز فلم تزل نزار ممتنعة قاهرة لليمن في يوم يلتقونه بعد خزاز حتى جاء الاسلام[2] .

أشعار قديمة فى خزاز :

قال لبيد بن ربيعة رضى الله عنه[3] :

ومَصْعَدَهم كَي يقطعوا بطنَ مَنْعِج   فضاقَ بهم ذَرْعا خزاز وعاقل

وقال آخر[4] :

تَذَكَّرَ مَتى خطوبا مَضَتْ   ريوم الإباء ، ويوم الكثيبْ
ويوم خَزَازَ وقد ألجموا   وَاشْرَطْتُ نفسي بأنْ لا أثوبْ[5]

---

(١) أى جهة الشمال .

(٢) « معجم البلدان » : خزاز .

(٣) البكرى : رسم « خزاز » .

(٤) الحيوان ج ٦ ص ٤١٧ .

(٥) الاشتراط : أن يجعل لنفسه علامة يعرف بها ، وأثوب من ثاب يثوب إذا رجع .

وقال أوس بن حجر [1]

وبالأُنَيْعم يوما قد تَحِلُّ به لدى خزاز ، ومنها مَنْظَرٌ كِير

أي أنت في الموضع الذي ترى منه كيرًا ، والأُنَيْعم : واحد الأنعمين وهما جبيلان صغيران واقعان بقرب مدينة الرَّسّ ، يسميان (القشيعين) فمن يكون بقرب خزاز يرى كِيرًا ومن يكون بقرب القشيعين يرى خزازًا وكيرًا.

وقال القَتّال الكلابيُّ [2] :

وما إنْ تُبَيِّـنُ الدَّارُ شيئًا لسائل ولا أنا حتّى جَنَّني الليـلُ آيِس
على آلةٍ مـا ينبرى لي مساعد فيسعدني ، إلا البـلاد الأمـالس
تجـوب على ورق لهنَّ حمـامةٌ ومنْثلم تجرى عليه الأداهس [3]
وسُفْعٌ كذود الهاجريّ بجَعْجَعٍ تُحَفِّرُ في أعقارِهنَّ المَجارِسُ [4]
مواثِل مـادامت خَزَازُ مكانها بِجَبَّانَةٍ كانَتْ إليها المَجَـالِسُ [5]
تَمَشّى بها رُبْدُ النّعـام كأنّها رِجالُ القرى تَجْري ،عليها الطيالس [6]

وقال مالك بن عامر [7] :

عُمِّرتُ حتّى مَلَلْتُ الحيـاة ومات لِداتِي من الأشعر [9]
وأصبحتُ من أُمّةٍ واحـدًا أَجُوِّل كالجمـل الأصورِ [9]
شهدتُ خزازَى وسُلّانَهـا على هَيْكَل أَيِّد الأنسرِ [10]

(١) ديوانه ص ٣٩ وسيأتى فى رسم النمايم « ذكر وهم وقع فى التعليق على هذا البيت من ديوان أوس بن حجر . (٢) ديوانه ص٦٥ — ٦٦ .

(٣) على آلة وقفت على آلة ، وهى عود الخيمة أو خشبة منها ،والأمالس التى لا علاقات فيها .

(٤) سفع « جمع سفعاء » وهى أثافى القدر والذود : القطيع ، والهاجرى . المنسوب إلى هجر الجعجع : المناخ الضيق الخشن ، واعقار : جمع عقر وهو مؤخرة الحوض والمجارس : الثعالب.

(٥) الجبانة : كل صحراء وقيل ما استوى من الأرض فى ارتفاع .

(٦) ربد النعام جمع ربدا . والطيالس : ملابس مفتوحة الأمام .

(٧) مجالس ثعلب ج ١ ص ١٨١ والشرح من حاشيته .

(٨) الأشعر : يريد الأشعر بين رهطه .

(٩) السلان : موضع كان فيه يوم بين حمير ومذحج وهمدان وبين ربيعة ومضر .

وقال من شهد الوقعة في خزاز من خولان من اليمن [1] :

كانت لنا (بخزاز) وقعة عَجَبٌ ... لما التقينا وحادي الموت يحلوها

وقال النميري : وهو رجل من بني ظالم يقال له الدهقان [2] :

أنشد الدار بِعَطْفَي منعج ... وخزاز نِشْدَةَ الباغي الْمُضلْ

قد مضى حولان مذعهدي بها ... واستَهَلَّتْ نصف حول مقتبل

فهي خرساء إذا كلّمتُها ... ويشوق العين عرفان الطَّلَلْ

وقال المهلهل [3] بن ربيعة :

إلى رئيس الناس والمُرْتجى ... لعقدة الشَّدِّ وَرَتْقِ الْفُتُوقْ [4]

مَنْ عرفت يوماً خزاز له ... عَلَيا مَعَدٌ عند أخذ الحقوق

إذا أقبلت حميرٌ في جمعها ... ومَذحج كالعارض المستحيق [5]

وجمعَ همدان له لَجْبَة ... وراية تهوي هُوِيَّ الأنوق [6]

وأنشد ياقوت عن الهمداني لعمرو بن زيد [7] :

كانت لنا (بخزازى) وقعة عَجَبَ ... لما التقينا وحادى الموت يحديها

مِلْنَا على وائل في وسط بلدتها ... وذو الفخار كليب العز يحميها

قد فوّضوه وساروا تحت رايته ... سارت إليه مَعَدٌ من أقاصيها

وحمير قومنا صارت مَقَاوِلُهَا ... ومَذْحِجُ الغُرُّصارت في تعانيها

وقال القِنْد الزِّمّاني أحد شعراء الجاهلية يذكر وقعة (خزاز) وما فعلته

---

(١) صفة جزيرة العرب ص ١٧٢ : وقد أورد القصيدة كاملة وسمى قائلها في « الاكليل » .

(٢) ياقوت (خزاز) البيت الأول في البكرى (خزاز) وفيه (خزازى) .

(٣) جمهرة أشعار العرب ص ٢٠٧ — ٢٠٨ .

(٤) لعقدة الشد : أي لحلها ورتق الفتوق : سدها .

(٥) المستحيق : المهيط . (٦) الأنوق : العقاب .

(٧) رسم « خزاز » وقال عمرو بن زيد لا أعرفه لكن ابن الحائك كذا قال في يوم خزاز وفيه دليل على أن كليب كان رئيس معد . البيت الأول في صفة جزيرة العرب ص ١٧٢ وفيه خزاز بدون ألف مقصورة .

معد بخصومها فيها من قصيدة طويلة [1] :

واسألوا عنا بقايا حميَر | وبقاياكم إذا النقع مُطَارَ
أيّ قوم ناجدوا إذ ناجدوا | وعلا بالنقع في الدار الغُوَار
لم تلومونا على ريث القُوَى | (بخزاز) يوم ضَمّتْنَا الدّيار
كم قتلنا (بخزازى) مِنْكُمُ | واسرنا بعدما حلّ الحرار
من ملوك أشرفت أعناقها | بوجوه نجبت فهي تصار

وظلت وقعة (خزاز) وما فعلته ربيعة هناك مذكوراً مشهوراً موضع فخر ربيعة بين الأُدباء حتى القرون الوسيطة فممن ذكره ونوه به الشاعر الأحسائي ابن مقرب فقال من قصيدة (٢) :

ألا إنما فعل الأمير محمد | لإحياء ما سنّ الجدودُ الأوائِل
هم (بِخزازى) دافعوا عنكم العدى | وذلك يوم مُمْقِرُ الطّعم باسِلُ
فشكرًا بلا كُفْر لسعي ربيعةٍ | فما يكفر النعماء في النّاسِ عَاقِل

وقال المستر لوريمر : جبل خزاز : هي سلسلة صغيرة من التلال (٣) تتجه موازية الطريق عنيزة ـ مكة قريباً من دخنة ، على بعد أربعة أميال أو خمسة تجاه الشمال الغربي ، ويقال : انه في هذا المكان قد دارت معركة حاسمة قبل أيام الاسلام بين تُبّع من اليمن وكليب وهو شيخ ربيعة(٤)

وحدثني الأخ بدر بن مفضي البهيمة من أهالي دخنة ، التي كانت تسمى في القديم منعج وأبوه كان أمير دخنة حتى توفي أن راعية غنم من أهالى دخنة ، كانت ترعى غنمها في سفح جبل خزاز بعد وقعة السبلة التي كانت عام ١٣٤٧ هـ. وجدت خبيئة في أسفل جبل خزاز فظنت أنها كنز وعالجتها

---

(١) مجلة العرب م ٩ ج ١١ و ١٢ وقالت إنها مستخرجة من منتهى الطلب .
(٢) ديوانه ص ٣٥٨ .   (٣) كذا عربت والصحيح من الهضاب .
(٤) دليل الخليج ج ٥ ص ٢٣٤٧ .

مع رفيق لها فوجدا مايشبه التنور من الفخار نازلا إلى الأرض بحوالي المترين فحفراه ووجدا في داخله جثة رجل بقي منه جمجمته وبعض فقار ظهره ويعتقد أنه كان في التابوت متخذا جلسة القاعد فتركاه وأخبرا أهالي دخنة بذلك .

ومن الطريف أن أحدهم ويدعى جميعان بن ميزر قال لهم : لابد أن هذا هو رأس أبو زيد الهلالي لأنه على ماوصف مصندق ـ أي على هيئة صندوق.

ان هذه الواقعة المؤكدة تدل على أن منطقة خزاز كانت قد شهدت عمرانا قديما أو أن هذاالرجل الذي دفن على طريقة غير الطريقة الاسلامية كان أحد الكبار من جنود اليمن الذين ذكر المؤرخون أنه كانت لهم السيادة على القبائل العدنانية في تلك المنطقة قبل الاسلام كما سيأتي ذلك في رسم العاقلي (عاقل قديما) وذلك حتى انتصر العدنانيون في موقعة خزاز التي سبق ذكرها

شعر عامي : قال : سرور بن عودة الأطرش من شعراء الرّس [1] :

جَنِّبْ (خَزَاز) وْما زَمَا لك منَ القور ونوِّخ قْعُودك في(نِفِي) وقت الافطار [2]

نَوِّخ قعودك ، وأنْتْ لاتَجْعفَ الكُورْ واعْرِف تَرى صَيُّورك العصر سَيَّار [3]

خَزَّةُ : بفتح الخاء والزاي المشددة المفتوحة فهاء . إحدى هضاب جبل خزاز المذكور قبله ، واقعة في جهته الشمالية الشرقية ، وفيها ماءة قديمة تسمى الآن باسم المضبة (خَزَّة) وهي التي ذكرها البكريُّ فيما قدمنا من كلامه في أول رسم خزاز إذ قال : وفي أصل خزاز ماءٌ لغني يقال له خزازة وخزازة في ناحية منعج .

محمد بن ناصر العبودي

(١) شعراء الرس النبطيون ص ٢٣ .

(٢) زما : زم وارتفع والقدر : جمع قارة : نوخ : أنخ قعودك نفي : بلدة سيأتي ذكرها في حرف النون .

(٣) تجعف الكور : تميل الرحل ، والمراد تضعه . صيورك : مصيرك . سيار : مسافر

- ١٧ -

اطلعت في الخزانة العامة [١] في الرباط على رحلة لعالم مغربي من أهل القرن الحادي عشر . ولما استوضحت من الصديق الأستاذ محمد بن ابراهيم الكتاني قال : إن مؤلفها أحمد بن محمد المشتكي ، المتوفي سنة ١٠٩٦ هـ. ولكنني رأيت في أحد المواضع منها : (عام ٩٩ وألف) . ومؤلفها معاصر للسلطان اسماعيل لأنه يدعو له بالنصر وكما سيأتي في كلامه على سرف. واسماعيل هذا عاش من سنة ١٠٥٦ إلى ١١٣٩ هـ وتولى سنة ١٠٨٢ .

قد اجتمع مؤلفها بالشيخ عبد الله بن سالم البصري (١٠٤٨ – ١١٣٤ هـ) ورحلة المشتوكي ذكرها الأستاذ ابن سودة ومما قال عنها :

"هداية الملك العلام ، إلى بيت الله الحرام » لأبي العباس أحمد بن محمد ابن داود بن يعزي بن يوسف المعروف أحوزي الجزولي نسبا المشتوكي شهرة (... – ١٠٩٦ هـ)

وقال : وقف عليها الأخ الأستاذ محمد ابراهيم الكتاني الحسني بخزانة (تمكروت) ويظن أنها بخط المؤلف [٢].

ومهما كان مؤلف هذه الرحلة ، فهو عالم مغربي من أهل القرن الحادي عشر ، ومع قلة ماتضيفه من معلومات جديدة إلا أن الباحث قد يستفيد

---

(١) انظر « العرب » س ٧ ص ٧٢١ .
(٢) « دليل مؤرخي المغرب » ص ٣٧٠ .

منها . وهاهو مايتعلق بـأماكن طريق الحج من العقبة إلى مكة ، ثم ماتحدث به عمن شاهده من علماء مكة وعما شاهده فيها .

ويلاحظ أن كاتب الرحلة كان مرافقا لشيخ ، فهو يدوّن رحلته ، وكثير من أسماء المواضع أوردها محرّفة مما يدل على قصوره فى المعرفة ، مثل (المليح) و (الازلام) و (الاكراه) يقصد المويلح والأزلم وأكره ـ وهكذا .

العقبة ـ ظهر الحمار ـ عش الغراب :

من العقبة يوم السبت فبلغنا ظهر الحمار بعد أداء الظهر ، فوجدنا الركب المصري فوقفنا حتى سار كله ، ثم صلينا العصر ، فسرنا فنزلنا بعيد المغرب . ثم منه يوم الأربعاء ١٤ أنبير ١١ من ذي قعدة فبلغنا عش الغراب قبل العشاء .

شرف بنى عطية :

فبلغنا شرف بني عطيّة [1] بعد العصر ، فنزلنا قبل مغيب الشمس .

المغاير ـ عيون الأقصاب :

ثم منه ـ شرف بنى عطية ـ يوم الإثنين فصلينا العصر بالمغاير(؟) فسرنا فنزلنا بين المغرب والعشاء .

ثم منه يوم الثلاثاء ، فنزلنا عيون الأقصاب بعد العصر ،

المليح :

ثم يوم الأربعاء ١٣ من ذي القعدة . . [1] من ينير فنزلنا المليح قبل الغروب ، ونزل أول الركب المصري ، فضربنا الأخبية بازاء القحر(؟) [2] والحمد لله كثر فيه المطر جدًّا ، وقلّ مايمضي يوم إلا ونجد فيه غُدُرًا ببركة شيخنا هذا واخلاص النية مع الله خالقه وما شربنا منه . . وشيّخنا..

(١) بياض (٢) بياض ولعل كلمة (القحر) صوابها : (البحر) .

فحمد الله بعد فراغ ماء النيل إلا ماء المطر . [1] فأقمنا به الخميس والجمعة فرحل المصري سحر ليلة الجمعة لأجل السُّبيخة التي كانت أمامه ، فأراد أن يجاوزها نهاراً فمطرنا ليلة الجمعة ويومها إلى أن تعالى النهار مطرًا غزيرًا ، ثم خزنًا بالمليح من الزاد ما يبلغنا – إن شاء الله تعالى – إلى العقبة ، ومن العقبة كذلك إلى مصر ، فوجدنا هناك رجلا من سكان زاوية الفتح ، طلع معنا عام ٩٩ وألف [2] ، انقطع هنا وتزوج فولد له ولد اسمه الحاج أحمد المغربي ، وله وجه ومعرفة بالناس وعنده أودع الشيخ ما أودع ، وكذلك نحن أودعنا عنده مزودين شعيراً ودقيقا ، كما فعلنا بالعقبة .

وذكر للشيخ أنه غرس هناك مائة نخلة ، وأنها أدركت كلها .

دار أم السلطان :

ثم منه – صلاة الصبح يوم الأحد ١٦ من ذى القعدة ٦ من ينير فنزلنا ليلا دار أم السلطان قبل المغرب ، وهي ثلاثة آبار محكمة الصنعة والبناء ، وماؤها كلها عذب فرات ، غير انه ليس باردًا ، وهو أحلى مياه الحجاز سوى ماء الحرمين الشريفين وأحلى من النبط .

تنبيه : وهذه الآبار الثلاثة محدثة ، لم يذكرها شيخنا أبو سالم العياشي في رحلته ، بل قال لما ذكرها : ولا ماء بها ، وسنذكر سبب بنائها وحفرها ومن وصّى بذلك إن شاء الله تعالى . وقد سرق فيها ليلة بتنا بها لبعض نساء العرب إبلها ، وكانت تبكي وتنوح إلى الصباح ، ولغيرها . فمن لم يأخذ الحذر من السراق وحرص على متاعه أخذه الحراميّون .

الأزلام :

ثم منها قبيل الفجر يوم الأحد ، وبقينا نحن وشيخنا أيده الله – إلى

---

(١) بياض (٢) كتب بالرقم (٩٩ ألف) .

أن صلينا الصبح ، فمشينا ، ولما طلعت الشمس كثر حرّها جداً فنزلنا الأزلام قبيل الإصفرار ، فألفينا فيها الأعراب بكثرة الغنم والحشيش واللبن واللحم ، وماؤه كله مر وفيه بئر مهدومة ماؤها طيب ، وهذا البندر أقبح البنادر كلها

اصطبل عنتر :

ثم منه يوم الإثنين ، فنزلنا اصطبل عنتر بعيد المغرب ، وفيه آبار لابأس بها ، فسق واستق من شاء ، ونزل بنا الحاج عبد الكريم ابن أبي القاسم الفلالي منزلاً نحسا ، وذكر لي الشيخ أنه وجد بمجالسته (؟) علرة قرب فراشه .

الوجـــه :

ثم منه يوم الثلاثاء سحرًا فنزلنا الوجه عصراً وماؤه كما تقدم[1] فيه الطيب والوسط والخبيث .

الاكراه :

ثم منه يوم الأربعاء ٢١ ذي القعدة ١١ من الليالي (؟) فنزلنا غربي الاكراه بين العشائين ، ثم منه فبلغنا الاكراه ضحى فسقينا واستقينا ، فسرنا قبل الظهر ، فنزلنا غربي بين الدركين .

بين الدركين :

ثم منه وبلغنا بين الدركين طلوع الشمس ، والفينا هناك الأعراب يبيعون المياه العذبة واللبن والحشيش ، فملت أنا والمتفقه أحمد بن طاع الله القصرى فاشترى أولا قدح لبن وأخذه وشربه كله ، واللهماالتفت إليّ ، ولا عرض عليّ ، ثم اشتريت قدحًا آخر ، فناولته ليشرب فأبى ، فشربت

---

(١) كذا ولم أر للوجه ذكرا فيما تقدم في النسخة التي اطلعت عليها .

بعضه وتركت بعضه لصعلوك كان معنا وهو صاحب الفقيه المذكور ، وتعجبت منه كيف لم يتعرض لنا ولا ترك فقلت لصاحبه الصعلوك : وهذا الدرب الصعب (...)[1] هذا العام خصب به اللبن ، وبعضنا (؟) كنا نشتريه ونصنع العصيدة بالسمن واللبن ، وليس عندي في هذا الدرب ألذُّ منها توافق طبيعته ، وآكل منها حتى الشبع ، فحمله وغيرها من خبز وكسكرته بصماطه (؟) والبسيسة فلا أستلذ ذلك كله كالعصيدة .

العقبة السوداء — الحوراء :

وسرنا ولما تعالى الضحى وارتفع ، بدا لنا نجعٌ من أعراب تلك البلاد قرب البحر ، راحلين بإبلهم وغنمهم وبقرهم ، ولما وصلنا للعقبة السوداء تلقوا الحجيج بكثرة اللبن والسمن والاملاش (؟) والخرفان للبيع على عادتهم وأما الصدقة عندهم على الحاج فحرام معدومة عندهم ، لايوجد ذلك ، بل ولا يعرفون صلاة ولا زكاة ولا صياماً ولا نكاحًا صحيحا ، (إنهم إلا كالأنعام بل هم أضل) فاشترى الناس منهم ما اشتروا سوى الشيخ فإنه لم يشتر منهم وقتئذ شيئًا ، فبلغنا الحوارءه بعد المغرب في مشقة عظيمة ، وزحام جسيم واختلطت الأخبية (؟) ونزنا بعض الناس على بعض في ليلة مظلمة ، وماؤها كله مرٌ جدًا

النبط :

ولما صلينا الصبح ظعنّا منها — الحورا — فنزلنا غربي النبط ، بُعَيْدَ المغرب ، ثم من النبط يوم الأحد ٢٤ من ذي القعدة ١٤ من الليالي (؟)[2] فبلغنا النبط بعيد طلوع الشمس ، وألفينا فيه الماء الكثير ، والله على كل شيء قدير .

تنبيه : من الاكراه إلى هنا وقع فيه وصبّ المطر الغزير ، حيث نبت الربيع الكثير ، فسقينا واستقينا .

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) لعله (من غربي النبط) .

وادي النــار :

فمشينا ـ من النبط ـ فصلينا الظهر بوادي النار ، ثم سرنا فوقفنا على غدير من ماء المطر في شعبته بسفح جبل هناك فأوردنا دوابنا وملأنا مامعنا من الركاوي ، فحمدنا الله وشكرناه الذي سقانا ماء المطر في مكان يتشوى فيه الناس ويموتون فيه عطشا . . ونزلنا مغيب الشفق .

الخضيرة ـ ينبوع النخــل :

وظعنا قبل الفجر فصلينا الصبح بالخضيرة ، وبلغنا ينبوع النخيل الذي بلغه النبي (ص) في غزوة العشيرة ، غروب الشمس ولما بلغنا ـ بل قربنا ـ مضيق ينبوع تأخر وراء الركب كثير من الصعاليك ، فخرج عليهم الحراميون ، فجردوا منهم واحدًا ، فصاحوا على البغالين من الفاسيّة وغيرهم فرجعوا إليهم ، وعطفوا عليهم فهربوا ، وجلسوا في الجبل تحت الأحجار ، فكانوا يرمون بالرصاص والبارود ، ورماهم الحجاج كذلك سويعات فكفى الله ببركة النبي (ع . م) شرّهم .

تنبيه : ينبوع هذا البلد كثير النخل ، وماؤها طيب عذب ، وبه قرى كثيرة ، وكان يسكنه الشرفاء اخوان ساداتنا شرفاء ، سجلماسة على مزاعم(؟) أهـل ينبوع ، وفيه مسجد كان شيخنا سيدي أحمد بن[1] ينزله[2] العـام خربا .

وعين ماء هناك يذهب إلى العشيرة ، موضع الغزوة . وذلك الموضع الذي وصل إليه النبي صلى الله عليه وسلم من هذه النواحي على ماقال أهل السير .

تنبيه : كان الحجيج إذا وصلوا إلى الينبوع يرون قبل بَدْرٍ ضياءً ، ويزعمون أنه الأنوار النبوية ، وما ذلك والله بغريب ، ذلك قليل فى جانب

(١) غير واضحة .　　(٢) بيــاض .

المصطفى صلى الله عليه وسلم . . وقد شاهدنا ذلك غير مامرة ، وقد قالُوا : إن ذلك يشاهد في كل عام ، وصحح ذلك عند العوام ، والعلم عند الله الملك العلام ، وزعم شيخنا أبو سالم العياشي في رحلته أن ذلك برق الغور ، واستدلّ على ذلك بأدلة واهية وكيف يكون البرق في ذلك المكان في هذا الوقت من الزمان الآن والله ربنا المستعان .

دار الشعلة ـ دار الغرباء :

ثم من الينبوع قرب عصر الثلاثاء ٢٦ من ذى القعدة ، ١ من ينير فنزلنا بعد المغرب قرب دار الشعلة ، ثم منه يوم الأربعاء فنزلنا دار الغربا ، وألفينا الركب المصري حينئذ ، وظَعَنَّا نحن بعد صلاة الظهر .

بــدر :

وظعنا ـ بعد صلاة الظهر .

تنبيه : كثر على لسان الحجيج أنهم يسمعون . . . [1] بدر الطبل ، وقد سمعنا نحن في الحجة الأُولى سماعاً ظاهرا صحيحا من غير شكٌ ولاريب وقد ذكر الشيخ ابن مرزوق انه سمعه وأنه هو بلا شك ولا ريب في « شرح البردة » فانظره . وهناك قبور الشهداء والعريش الذي صنع للنبي صلى الله عليه وسلم وموقع القليب الذي طرحت فيه أولئك الكفرة أبو جهل وأصحابه . . وألفينا هناك الرجل الصالح محرما مع بعض أصحابه الفقيه الأجل الشيخ محمد ابن أحمد الأخصاصى وسار معنا للحج ، وحمله الشيخ على جمل ، وأنزله مع أصحابه .

تنبيه : إعلم أن قبور الشهداء أسفل الوادي من جهة البزوة . وليسوا الذي تزعمه العوام تحت الكثيب على طريق القادم من مصر ، بل مازعموا إفكٌ من القول وزور ، وكلام أهل الخرافات والكذب والفجور .

(١) بيــاض .

سبيل البزوة :

وسرنا فَبِتْنا بعيد المغرب ، ومشينا فبلغنا السبيل الذي بالبزوة ، ولا ماء فيه في الوقت لفساده ، فصلينا تحته حتى بلغنا الركب فسرنا ، وبتنا غربي مستورة حيث نراها ، وهناك رأينا هلال بدء القعدة[(1)] ليلة السبت

رابــغ :

ثم منه يوم السبت الأول من ذي القعدة ١٢ من ينير فبلغنا رابغ — بكسر الباء الموحدة ، كما في « النهاية » لابن الأثير — ظهراً ، فنزلنا وألفينا به الركب المصريَّ ، وأمّا الركب الشاميُّ فقد رحل [(2)] في هذا العام على الركب المصري ، حتى خاف منه ، إذ منعه من . . .[(3)] المغربي قدر خمسمائة ومعه خيل كثير ، وقد خرج إليه (؟) .

الجحفة :

ثم منه ضحى بعد أن اشترينا محارمنا ونعالنا ، ضحى الأحد ثاني الشهر ، بعد الاغتسال وإزالة الشعث ، ولم نُحْرِم نحن وأصحابنا وقتئذ ، بل مشينا حتى وصلنا جبال الجحفة وقُدَّامها ، فنزلنا ، وقلّد من معه المدْي كشيخنا العالم وزوجتيه السيدة صفية والسيدة فاطمة . . .

تنبيه : إعلم أنَّ الموضع الذي أحرمنا فيه قُدَّام الجحفة به رجم من الحجارة كبير ، وكان [(4)] صاحب المحب في الله الشيخ محمد بن أحمد الخصاصي هو العارف بذالك ، ومشى معنا إلى أن أوقفنا عليه ، وبينه وبين رابغ مسافة طويلة جدًّا ، وأرانا الجحفة ، وبناءً خربا . ويذكر أنَّ بها موضع

---

(1) كذا ولعله الحجة فقد تقدم القعدة .
(2) بياض ومفهومه (وتقدم) .
(3) بياض وهي (الركب) .
(4) بيـاض .

حرث ، وأن الأعراب تحرثها بعض السنين ، ولا نخل بها في الوقت ، ولا أشجار ، . . . .[1] وأحجار سود عليها إمارات العذاب . . .[1] وقلَّ أن يسلم من سلكها من الحمى لأنه صلى الله عليه وسلم دعا بنقل حُمَّى طيبة إليها فنقلت إليها لأن أبا(. . .)[1] من اليهود المؤذين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فسرنا حين أحرمنا ولم نبت إلا شرقي السيبا (؟) بعد المغرب .

الكديد :

ثم منه لم يزل وكان الشيخ (؟) حتى بلغوا الكديد قبل الزوال فنزلوا تحت قبة هندية (؟) بازاء الصهريج ، فناموا هنية وتوضؤوا وصلوا الظهر ، فبلغناهم هناك ، فتوضأْنا وصلينا ، فسقّى الناس واستقوا واشتروا الدلاح[2] الكثير .

تنبيه : هناك مسجد خرب ، قيل إنه مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وإن صح أنه للنبي صلى الله عليه وسلم فيجب على امراء الحج رمُّه وإصلاحه ، وعلى جيرانه أهل البلد وسكانه من الأعراب . وهناك عين جاءت من الجبل ، ماؤها غزير عذب فرات كثير . وقد سأل الشيخ رجلا من سكان الموضع من أيٍّ موضع جاءت هذه العين ؟ فقال له : من ذلك الجبل ، فنعت له موضعاً بعيدًا ، وقد أكَّد الشيخ على أمير حجاج مصر أن يَبْنِيَهُ فقبل ، وأما الآن فقد هدم[3] ويتغوط فيه البدو من الأعراب وغيرهم ولا يعظمونه . فيجب على من له قدرة بناؤه وإصلاحه ورمُّه لمكانه صلى الله عليه وسلم وصلاته فيه ، فمن حقه أن يُذَهَّب ويُفَضَّض .

(١) بياض .
(٢) كذا لم وبعضهم يسميه الدلاع وهو الجح والحبحب البطيخ الأحمر .
(٣) بياض .

وفي هذه البلاد دلاح كثير غير أنه غالٍ . وحرتهم أقلُ وكانوا يكثرون منه ، وعندهم العنب الكثير يبيعونه للحجاج ، ولا يسمحون ولو بورقه . ويا سبحان الله ما أبخلهم وأفصحهم (؟) وأبغضهم للحجيج لاسيّما المغاربة

المشلل — عسفان :

ثم سرنا منه قبل صلاة الظهر قبيل العصر فنزلنا بين العشاءين .

تنبيه : إعلم أنّ بالمشلل مسجدًا على تَلٍّ مرتفع ، يقال أنه مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أيضا على يسار الذاهب إلى عسفان ، ذكر ذلك السمهودى .

ثم منه قبل الفجر فبلغنا عسفان ضُحّى ، فسقينا واستقينا ، من بئر واسعة هناك كثيرة المياه ، وهي التي قيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم ، تفل منها (١) وبصق فصارت عذبة ببركته صلى الله عليه وسلم هكذا شاع ، وأستبعد . . . (٢) من عند العوام ولم نَرَ من عرض لذلك من أهل السير والتواريخ . والله أعلم بما هنا لك ، وليس بِبَعِيد ماشاع عند الناس إذ بركته صلى الله عليه وسلم لاتُعدُّ ولا تحصى .

تنبيه : هناك مسجد لانعرف من بناه ، ولا أصله ، ولم نطلع على من ذكره ، ولكنّ البلاد قديمة ، وبها سجن الفرزدق حين مدح زين العابدين حيث يقول :

وَلَيْسَ قَوْلك : من هذا ؟ بضائِرِهِ الْعُرْبُ تعرف من أنْكرتَ والْعَجَم

— القصيدة — وعسفان قد ذكر في أشعار العرب كثيرا فالمسجد لابُدَّ له من أصل والله أعلم .

---

(١) كذا . وكلمة (قيل) تدل على أن الخبر غير صحيح . والواقع أنه حديث خرافة .

(٢) بياض ولعل الساقط (ذلك ، وأنه) .

مر الظهران :

ومنه فنزلنا مرّ الظهران العشاء (. . .) [1] الركب الشامي والركب المصري معًا ورحل الشامي وقت نزولنا ، وتبعه المصري آخر الليل .

سـرف :

ثم رحلنا قبل الفجر فبلغنا سرف حيث قبة أم المؤمنين ميمونه رضي الله عنها . . والذي بني قبّتها أخونا في الله محمد بن سليمان الرداني – رحمه الله ، بإشارة شخِنا أبي مروان العالم المحدث المسند الأديب المحقق المؤرخ مات رحمه الله ببلده مجموعة سجلماسة ، وقد ناف على تسعين سنة ، وقد أخذ السلطان مولانا اسماعيل أمواله وكتبه وحُلِيّ بناته وأزواجه ، بعد أن كان [2] ماينيف على ثلاثين سنة ، ولعل ذلك ليزول عن رقبة سيدي عبد الملك المذكور ، لكونه جمعه بجاهه من أهل الزاوية ، ومولانا الرشيد رحمه الله ، ومولانا اسماعيل نصره الله على الحق ؟ فيكون في بيت مال المسلمين ، أما الكتب فكلها من كتب أحباس مراكش إلا ماشراه تمام محنته من القاهرة فقد أخذه منه رحمة له لئلا يجد سببا . . [3] حيث (...) في بيت مال المسلمين ، فمولانا اسماعيل – نصره الله على الحق والشريعة . لم يفعل معه إلا نفعه والله أعلم بما كان هناك وكثير مايقول رحمه الله (. .) قيل له : أين زكاتك ؟ ! فيقول : ليس لي مال أزكّيه ، إنما هو للناس ، وليس عندي أجلُّ من نُخَيلاتٍ ورثها أبي بغرير (؟) وقد رضيت أن أكفَّن منها إذا متُّ – رحمه الله (. . .) [4] بذالك فامتثل أمره ، وبني عليها بناءً وثيقاً [5]

القدوم إلى مكة : ثم ذكر قدومه إلى مكة المكرمة . وقال :

---

(١) بيــاض . (٢) بيــاض . (٣) كلمات غير واضحة .

(٤) كلمة غير واضحة ولعلها (أوصى) .

(٥) البناء على القبور محرم بنص الحديث الشريف .

دار محمد بن سليمان :

فنزل الشيخ بدار محمد بن سليمان الرواتي وهي (   )[1] المسجد ينظر من كان بها إلى البيت الشريف ، أكراها بتسعين دينارًا ذهبا ، فنزل مع حرمه بالبيت الأعلى ، ووضع دَبَشَهُ وأثاثه بالوسطى ، وأولاد إخوانه بالبيت المساوي لأرض المسجد الحرام بحيث ينظرون إليه ، ونزلت أنا مع أصحابي بدار بباب سيدنا ابراهيم .

من اجتمع بهم من علماء مكة : وقال عمن اجتمع بهم علماء مكة :

١ ـ عبد الله بن سالم البصري : وفرح بالشيخ ، وأعانه على كراء الدار ، وزرناه أنا والشيخ بداره بناحية باب إبراهيم ، فألفيناه في غرفة له هو وابنه وجماعة من أصحابه ، والكتب يمينه وشماله ، وأمامه ووراءه ، فوجدنا عنده مسند الإمام أحمد في ثلاث مجلدات كبار ، وأخبرنا أنه كتب نُسْخةً من اليانونية[2] بيده ، وشرع في شرح البخاري ، وناولنا منه جزءًا لا بأس به ، بلغ فيه الحج غاية ما فيه أنه يصحّح النسخة المعتمد فيها ، وكثرة اعتماده في النقل على ابن حجر والقسطلاني والبرماوي والشرواني بعبارة لا بأس بها ، وقد مَدَحْنا شرحه بقصيدة لا بأس بها ضاعت عني الآن ، وقد ناولتها إيَّاه ، وسُرَّ بها غاية ، ودعا بالبركة والخير .

تنبيه : زعم طلبة مكة أن الشيخ عبد الله بن سالم المذكور فاق أهل الحرمين في الحديث ، بل وكل النواحي ، وقد سأله الشيخ عن شيوخه في الحديث وغيره فقال : الشيخ محمد بن سليمان الرداني والسيد عبد الملك السجلماسي والسيد عيسى التعلبي والمغربي .

---

(١) كلمة ساقطة ولعلها (جوار) .

(٢) كذا والمقصود (النسخة اليونينية) من « صحيح البخارى » .

٢ ـ الشيخ محمد أكرم بن الشيخ عبد الرحمن الهندي ، له تآليف على رجال البخاري ، واختصر البخاري في مجلد واحد حذف منه الأسانيد والمكرر، ذكر أنه اجتمع به في منى وشرح نخبة ابن حجر، وله رد على الروافض وسأله الشيخ عن المسافة التي بيننا وبين الهند فقال : أربعون يوماً في البحر وأربعة أشهر أو ستة في البر ، وأخبره أن بلده السِّنْد ، وأن بينه وبين الهند ثلاثون يوماً .

٣ ـ خطيب اليوم السابع من ذي الحجة ولد الشيخ محمد تاج الدين مفتي الحنفية (عبد القادر بن أبي بكر تلميذ الشيخ اليوسي) .

٤ ـ أحمد النخيلي [1] وجده عند الشيخ عبد الله بن سالم .

الوقوف بعرفة : قال :

ولما صليت العصر بمنى جلسنا هنية وأرسلنا أصحابنا لسقي الماء والدواب فلم يَرُعْنَا إلى أن جاءنا محمد بن المصطفى التونسي الذي أجلاه صاحب تونس ـ خائفاً من أن يقوم عليه ، إلى القاهرة وحبس أولاده هناك بتونس ، وهو رجل عزٍ وجمال وخير ، مع حسن أدب مع الناس كلهم ، فأخبرنا أن أهل تونس زعموا أنهم رأوا هلال ذي الحجة ليلة الشك ، ومن زعم أنه رآه منهم سبعة ، وأحدهم قيل : إنه من طلبة العلم ، وأوقعوا الناس في الشّك ، فسألنا عنهم ليخبرونا بما زعموا فأخبرنا أنهم توجَهوا قِبَل عَرفة للوقوف ، وتبعهم الناس كلهم ، على أن الأركاب هذه الأزمنة يتوجهون من غير بياتهم بمنى ، وهو سنّة ، وأماتها أهل هذه الأوقات والأزمنة قبلها .

ثم جمع الشيخ وجوه ركبنا ورؤساءه كيف يفعلون ؟ ! فاتفق رأيهم على التوجه إلى الجبل احتياطًا ، فتوكلنا على الله .

(١) لعله (النخلي) فهو من معاصري الشيخ ابن سالم وهو محدث .

العودة من الحج :

وقال في الكلام على العودة : ثم أكرينا على سلعنا التي أعِنّا على شرائها المحبّ الحاج أحمد المنجور وابن عمه الحاج عبد الوهاب ، والحاج مسعود الأبّار ، من عند أهل الهند ، وعلى زادنا ومائنا وعلف دوابّنا وخيامنا وأثاثنا والبطاطِيف (؟) والقدرة والقصعة . وحوائج الجميع ، لمحمود العجمي ، واشترط علينا مؤنته بستة وعشرين دينارًا ذهبًا ، وكان معنا عبْدُنا الحاج بركة رحمه الله والحاج السيد عبد الله بن . . . وكان رجلا حازمًا ، غير أنه كان أكولاً لايشبع ، ولا يفارق الأكل ليلاً ولانهارًا ، ولا يكفيه ما أكل مع الناس ، بل جعل مِزْوَدًا يحمله معه مملأه طعامًا خبزًا وبشماطًا [1] ، ويأكل كل ما وجد من الطعام على أي حالة كان حسنًا كان أو قبيحًا مسخونا أو باردًا ، ولا يملك نفسه متى رأى طعامًا أو شرابًا ، وكنت أنهيه (؟) عن ذلك وأقول له : في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم : « المؤمن يأكل في مِعًى واحد ، والكافر في سبعة أمعاء » وكان مسرفًا في الزاد من دقيق وسمن وخليع ، ويأكل ما يأكل سبعة رجال متوسطي الأكل ، إلا أنه كثير الصبر والتواضع والدِّين ، ولاعيب فيه إلا كثرة (. . .) والتقذر مع من يعرف ومن لا يعرف وراء قول في الفضول وما لايعنيه .

وصبرت لعشرته من مكة المشرفة إلى القاهرة ، وكان معي حين المصاحبة عَبْدِي بركة كان يخاصمه كثيرًا ، وكنت أنهاه عنه . . . فيأبى إلا خصامه . ولما بلغنا المليلح مرض العبد ، ضُرِب من الشمس في جانبه فجلس أيامًا فمات بين سطح العقبة والقاهرة .

فطلب مني السيد عبد الله المذكور برنوس العبد وصباطه وعمامته ، فأعطيته ذلك .

---

(١) هو (البقسماط) .

عُتَيْبَة، فروعها ومنازلها

« أقوم بتأليف معجم لقبائل المملكة ، مستعينا بمن أعرفه من أبنائها ، وقد طلبت من الأخ العقيد حمود بن ضاوي القثامي- أحد كبار موظفي الأمن العام - ومن قبيلة القثمة (النجشمة) من عتيبة أن يمدّني ببيان فروع قبيلته وأفخاذها فتفضل - مشكورًا - بكتابة هذا البحث[1] » .

عُتَيْبَةُ : (النسبة عُتَيْبي) تنقسم إلى قسمين كبيرين - الرُّوقَة وبَرْقَاء

أولاً : بَرْقَاء (بَرْقَاوِي) تنقسم إلى : أولاد منصور ، وطفيح، وأولاد منصور هم :

القُثَمَةُ (والنسبة قَثَامي) والأصل جُشَم ، قوم الشاعر الجاهلي المشهور. دُرَيد بن الصِّمَّة ، ومن هذه القبيلة :

الدُّهَسَةُ (النسبة دِهَاسِيٌّ) وهم من أهل نَجْد : ولهم الدهاسيَّة بشرهم شرق عَفِيْف وجبال النِّير شرق عفيف حيث نجد الصُّفيان من النُّفَعَة في شمال النِّير والدُّهَسَة في جنوبه ، ويمتدُّون إلى الخاصرة جنوب شرق عفيف الخاصرة للشيابين من عُتَيْبَة ، وفي جنوب الدهاسيَّة تقع منازلهم بقرب القاعيَّة والبجادية وذُرَيْع والخوّار ، ولهم الحَسْرَج شمال الخاصرة عارضهم فيه الشيابين وهو وادٍ فيه عدد من الآبار ، انتهت المشكلة إلى نزع ملكية هذا الوادي بحيث لم تَعُدْ ملكيّتُهُ للدهسة ومن معهم من بقية القثمة ولم يعد

---

(١) انظر مجلة « العرب » س ٣ ص ١٦ ففيها بحث وافٍ عن قبيلة عتيبة للأخ الأستاذ الشيخ محمد سعيد كمال .

أيضاً للشيابين – وللشاعر ضاوي بن حمود الدهاسي القثامي قصيدة طويلة تذكر مشكلة هذا الوادي [1]

وأقسام الدهسة :

١ – ذوي درويش – ومنهم الطوالع ، والطوالع منهم ذوي سليمان وذوي سالم وذوي نُوار وذوي ثلاب .

ومن ذوي درويش – ذوي مبارك وذوي وهق .

٢ – ذوي بُنَيَّة (البُنَيَّات) .

٣ – الجنادبة (الجنادب) .

٤ – المَرَاهِيَة .

(ب) : الجبرة – وفيهم المشيخة والنسب (جباري) وهم :

١ – الحضانية ومنهم شيخ شمل قثام عائض بن شُلَيِّد العَبُّوْد .

٢ – ذوي مَهْدِي .

٣ – ذوي قُبَيَّل .

٤ – ذوي سَوِيد .

٥ – ذوي هُدَيَّان .

٦ – العقايلة .

ومنازل الجُبَرة في نجد مع الدهسة وفي الحجاز بضواحي الطائف وعُشيرة .

(جـ) : الزوران – النسب زَوَارِي وهم :

١ – السراحات .

٢ – الضّعيف .

---

(١) حذفنا كلاماً يتعلق ببعض مشاهير القبيلة ، محله كتب التراجم .

٣ ـ ذوي غنيم .

٤ ـ المحاميد .

٥ ـ المتان .

٦ ـ البراعصة .

٧ ـ الجراوين .

٨ ـ الحواشين .

والزوران في الحجاز ومنازلهم السيل الصغير وعُشيرة وفي نجد منهم عدد قليل .

(د) : الغشاشمة النسب (غَشّامي) وهم :

١ ـ الصقرة والنسب (صقيرى) ولهم وادي قُرّان قرب عشيرة .

٢ ـ العمامرة والنسب (عَمّارى) وعددهم كبير وفخوذهم متعددة ويدعون أنهم أكبر من جميع فخوذ الغشاشمة وبالتالي هم الأصل فهم لاينسبون أنفسهم من الغشاشمة وكبيرهم مذعور .

٣ ـ ذوي حِجّي

٤ ـ الصُّوَايين .

٥ ـ البداحِين .

٦ ـ الضياغمة .

٧ ـ الْخَضَارِيّة .

٨ ـ الخضاعمَة .

ومنازل الغشاشمة في الحجاز غالبًا ضواحي الطائف شمالاً .

(هـ) : الدوانية : النّسب (دُوَيْني) وهم :

١ ـ الفواضل .

٢ ـ القحرة قوم ابن ندحان (أهل الحوية) .

٣ ـ القحمان قوم ابن حامد .

٤ ـ الحبالصة قوم ابن جميل .

والدوانية عمومًا هم سكان السَّيْل الصغير والحوية والمِضباع بقرب الحويَّة .

(و) : الخماش [1] حليف للقثامي وبلادهم شرق الْحَوِيَّة وجنوبها .

(ز) قريش القثمة ـ حلف أيضًا ولهم القُرَشيَّة في طريق الطائف إلى الرياض بجانب المبعوث ولاتتَعَدّى منازلهم أقصى رُكْبَة . أي إنهم مع قثمة الحجاز ، ولاينجدون .

ثانياً : العُصَمَة النسب (عُصَيْمي) :

ومنهم عدد كبير في نجد وآخرون في الحجاز وهم :

١ ـ التباعين (نبعاني) .

٢ ـ الحمارين (حمراني) .

٣ ـ العلوات منهم أبا العلا .

٤ ـ الشفعان (شفعاني)

٥ ـ العمرية .

٦ ـ العلجة (عُلَيْجي) قريتهم أم سراحة [2] .

٧ ـ ركيبات (ركيبي) .

٨ ـ حلاحلة (حَلْحلي) .

٩ ـ حسنات (حُسَيني) .

---

(١) انظر من الخماميش « العرب » س ٢ ص ٩٧٥

(٢) هي (سريحة) ولكن أهل البادية قد يبدلون الياء ألفا مثل (فاصل) و (سلامان) في (فيصل) و (سليمان) .

١٠ ـ نفارين (نَفرَاني) .

١١ ـ جعادين (جَعْداني) .

١٢ ـ غزول .

ومن منازلهم في الحجاز ساموده وجَليل شرق الطائف ، وفي نجد قريتهم سنام جنوب غرب الرياض وفيها (أبا العلاء) شيخ العصمة كافّة ـ ولهم أيضًا طحَيٌّ ـ وأم سراحة وهي (للعقيلي) .

ثالثاً : الدعاجين (النسب دعجاني) .

وهم بنجد لهم ماسَل بضواحي الدوادمي ومنهم :

١ ـ الملابسة .

٢ ـ ذوي خيوطوهم أهل الخُفَيّرة ومُغَيّراء ، ومنهم قوم ابن عقيل .

رابعاً : الدغالبة والنسب (دُغيْلبي) وهم في شرق قبائل برقاء بقرب الرياض والقويعية وشرق الدوادمي وخف والخُفيفية وعددهم قليل من أهل نجد ، ومن مشائخهم المهري ومنهم العُوَيْدات ولهم لبخَة شرق مغيراء .

خامساً : الشيابين والنسب (شيباني) ومنازلهم في نجد ولهم ـ حَلَبَان جنوب الدوادمي والرواضة [1] ولهم الخاصرة جنوب شرق عفيف وهم :

١ ـ ذوي مَرْشَد (مرشدي) .

٢ ـ الدموخ .

٣ ـ ذوي نجم .

٤ ـ القرافين (قرافي) .

٥ ـ قوم ابن مسيفر (ذوي مسيفر) .

٦ ـ ذوي عواد .

---

(١) هي الرويضة بابدال الياء ألفا كما تقدم .

٧ ـ الزبالجة ـ (الزبالقة) .

٨ ـ ذوي عمرو (العمور) منهم ابن عُديس دليلة المرحوم الملك فيصل بن عبد العزيز وله قرية بين عشيرة والمهد على الطريق .

٩ ـ ذوي خليفة قوم ابن سحمان .

١٠ ـ الفواريِن .

١١ ـ الفهيدات منهم الشيخ ابن فهيد ومسكنه حَلَبَان .

والفرع الثانى من برقا (طفيح) :

(ب) طفيح ويقال لهم (أبرق عباة) وهم قبائل عُتيبيّة برقاوية متعددة هناك اختلاف في أنسابهم ويقال : إن جميعهم يرجعون للنفعة يقول الشاعر :

(نَفاعيّة) إذا جات من قباله وطفيحيّة إذا جاءٔ خَرَزْها من جنُوبها

أي إذا حصل اعتداء خارجي فالقبيلة كلها (نفاعيّة) وإذا كان الاعتداء داخليا فهناك تفرقة بين طُفَيح وشمله .

وأهم قبائل طفيح .

(أ) النُّفعة والنسب (نفيعي) وهم في نجد وفي الحجاز ، في الحجاز ضواحي الطائف في كلاخ وسديرة وفي نجد في النِّير وهم :

١ ـ ذوي زِياد (النسب زيادي) في نجد قوم ابن عائد .

٢ ـ الزُّوْدُ والنسب (زائد) في الحجاز .

٣ ـ النُّخشَة (نخيش) قوم ابن هذلول .

٤ ـ ذوى سنان .

٥ ـ ذوى مفرج (مفرجي) قوم ابن درعان وابن حجْنَة .

٦ ـ قوم ابن عور .

٧ ـ المحايا (مُحَيَّاني) .

٨ ـ المساعيد (مسعودي) قوم الدُّهَيْنَة ومنهم الصفيان أهل النِّير شرق عَفِيف وجنوب القاعيّة .

٩ ـ البسايس قوم الكِرناف.

١٠ ـ الوذانين (وَذْنَاني) وهم من أهل سُدَيرة ضواحي الطائف من أهل الحجاز .

١١ ـ الجُعَدَة قوم ابن عنيبر ومنازلهم في أُوقح والنِّير نِيْر الحجاز .

١٢ ـ السوطة (سَوَّاط) .

١٣ ـ الحُلَفَة (حليف) .

١٤ ـ الحُلَسَة (حُلَيس) .

١٥ ـ الحميان (حميّاني) .

(ب) المُقَطَة (مُقَاطى) وفيهم مشيخة عُتَيبة قاطبة برقاء والروقة الشيخ ابن حُمَيْد شيخ شمل عتيبة وأهل نجد قاعدتهم عَرْوًا جنوب الدودامي وهم :

١ ـ خنافرة (الخنفري) .

٢ ـ الكرزان (كريزي) ويقال إنهم من كرزان البقوم .

٣ ـ شلطه (شلاطي) .

٤ ـ غُزَلَه (غزيلي)

٥ ـ روسان (رويس) وهم غير روسان المراوحة .

٦ ـ العلابية (عُلَيْبي) .

٧ ـ الخمْجَان (خُمَيجي) .

٨ ـ قُمَزَة (قُمَيْزي) .

٩ ـ حوابية (حُوَيبي) .

١٠ ـ خضارية وهم من سكان الحجاز .

١١ ـ أغره .

١٢ ـ سُلَفَة (سليفي) .

١٣ ـ عُقَفَة .

١٤ ـ هُذَبَة (هُذَبيي) .

١٥ ـ هَوَازِنَة .

١٦ ـ هَمَارِقَة (هِمْرق) .

(جـ) الرُّوسَان (المراوحة) وشيخهم ابن جامع وقريتهم مُصِلَّة في نجد وأُفْقِرَة ومنهم :

١ ـ المقاحِصَة قوم ابن عون .

٢ ـ الشهبة (شهيبي) .

٣ ـ المرابضة ومنهم (المريبض) .

٤ ـ العُوَنَة .

٥ ـ السَّراحِين ـ وهم في نجد وفي الحجاز

٦ ـ ذوي منصور

(د) الثُّبتَة والنسب ثُبيتي وهم أهل السيل الكبير وهناك اختلاف بين نساب عصرنا الحاضر في نسبهم هل هم من بر قاه أو من الروقة والراجح أنهم من برقاه ومنهم اللويبات والمناصير .

(هـ) وَقْدان (وقداني) هناك اختلاف أيضاً حول نسب وقدان وهل هم من عتيبة أم من خلافهم ولكن شاعرهم الكبير الملقب بشاعر الطائف بَدَيْوِي الوقداني يقول :

أيّامنـا والليـالي كم نُعاتِبْهـا   شِبْنا وشَابَتْ وعِفْنَا بَعَض الأَحْوال
أيام في غُلْبَهَـا وأيام نَغْلِبْهـا   وأيام فيها سُوَى والدَّهر مَيَّال

إلى أن يقول :

أنا عُتَيْبِي عَريـب الجدّ والخالِ

وهو الراجح إذا ماقلنا المؤكد بأنّهم من عتيبة (طفيح)

القسم الثاني من عُتَيْبة الرُّوقة (واحدهم رَوْقِي) وهم طلحة ومزحم ومنهم :

١ ـ السُّمَرة ـ ومنازلهم ضواحي دُغَيْبجَة وشيخهم ابن زيد ـ وشيخ الروقة هو ابن رُبَيعان من ذوي ثُبَيت وهو صاحب نِفِي .

٢ ـ العِضْيَان ـ قوم الضَّيط ـ منهم الثُعالِيَة قوم ابن ثعلي ، والدماسين والجمانية (عُضَيَّاني) .

٣ ـ الغُبَيَّات ـ (غبيوى) وهم قوم ابن نجم .

٤ ـ المراشدة ـ (مَرْشِدِي) قوم ـ أبو خشيم ـ ولهم كَبْشَان والمَرْدَمَة ، في ضواحي عَفِيف .

٥ ـ النُّيَبَة (ذيابي) منهم الاديب مطلق مخلد الذيابي وأخوه المذيع في الكويت ياسر مخلد الروق . وهم قوم عارف بن سويلم ولهم أم اللّوْم ـ وغالبيتهم جنوب غرب عفيف .

٦ ـ ذوي عَطِيَّة ومنهم الخراريص (خَرَّاصي) ولهم ماحول الدفينة والمُوَيْه والمحازة .

٧ ـ المغايرة ، قوم ابن حمد وابن عماره (مغيرى) .

٨ ـ الغنانم (غَنّامى) وهم قوم ابن شليويلح وهو ابن ماعز من المهادلة وهم حول الدَّفينة ووادى الرِّشاء وغرب الدوادمى .

٩ ـ القساسمة وهم قوم السَّلاّت .

١٠ ـ الفراهدة .

١١ ـ الدلابحة (دَلْبَحِي) وهم قوم ابن شريم وهم أهل القُرَيْن .

١٢ ـ الحزمان وهم قوم ابن زريقة ولهم شبارمة (١) .

١٣ ـ ذوي عالي .

١٤ ـ الدَّماسين ولهم أبو جلال شبال نفي .

١٥ ـ ذوي مُحَيّا ـ أهل ساجر .

١٦ ـ الزرقان .

١٧ ـ العوازم قوم ابن تويلي والقبيح ولهم وادي جهام غرب شبارمة .

١٨ ـ ذوي زراق .

١٩ ـ الحُفَاةُ ـ وهم أهل القاعِيَّة وسجا وعُسيلة قوم التَّوم .

٢٠ ـ الأساعدة ـ في الداهنة والزلفي والغاط .

٢١ ـ البراقين (بَرّاق) .

٢٢ ـ الكراشمة ـ أكثرهم في الحجاز ومنهم أهل نَجْد في ساجر .

٢٣ ـ الجذعان قوم ابن زُرَيبة .

٢٤ ـ الحمران .

٢٥ ـ الحَبَرْدِيَة .

جدة : ص ب (١١٧٠)
الطائف : ص ب (١٦٩)

محمد بن حضاوي القثامي

(١) هي (شبيرمة) تصغير شبرمة .

ديوان حاتم الطائي

- ١ -

في كتاب « الموفقيات » للزبير بن بكار ، ثم في كتاب « الأغاني » للأصبهاني طائفة كثيرة من أشعار حاتم وأخباره . وطبع ديوانه الذي رواه ابن الكلبي عن أبي صالح يحيى بن مدرك الطائي ، مراراً ، غير أن أجود طبعة وأوسعها هي التي حققها الدكتور عادل سليمان جمال ، وصدرت في القاهرة قبل عام — غير مؤرخة — .

فقد قدمها بدراسة وافية عن حاتم . وعن شعره في نحو ١٤٤ صفحة ثم أورد الشعر على ماجاء في رواية الكلبي عن أبي صالح ، تتخلله أخبار وشروح لأبي صالح . وفي هوامشه إضافات شروح وإحالات للمحقق الفاضل (من ص ١٤٥ إلى ٣٠٤).

ثم ألحق بذلك مانسب لحاتم وليس له (من ص ٣٠٥ إلى ص ٣١٤) .

ثم تعليقات المحقق عن المصادر التي ورد فيها الشعر ، وعن بعض الأخبار المتعلقة به في تلك المصادر (من ص ٣١٧ إلى ٣٧٨) .

ثم مصادر التحقيق التي بلغت أكثر من ثمانين ومئة كتاب بين مطبوع ومخطوط (من ص ٣٨١ إلى ص ٣٩٨).

ثم الفهارس (من ٣٩٩ إلى ٤٢٠ آخر صفحات الديوان) .

ويلفت النظر اهتمام محققي كتب التراث بسرد أسماء كثير من المؤلفات باعتبارها من مصادرهم التي رجعوا إليها ، وهذا لامأخذ عليه ، غير أن القارىء عندما يرى اسم كتاب بين مصادر أحد المحققين يثق بأن هذا

المحقق كفاه مؤونة الاطلاع على ذلك الكتاب ، وأورد كل مافيه مما يتعلق بالكتاب المحقق ، ولكن هذا لاينطبق في حقّ كل من نشر كتاباً مخطوطًا ، أو حققه ، وأنا لا أَصِمُ الدكتور عادل سليمان جمال بهذه الوصمة ولكنني كنت أود لو اقتصد فذكر من تلك المؤلفات ماله صلة قوية بموضوع الديوان . ومهما يكن فإن ماأبرز المحقق الفاضل من جُهْد لتحقيق شعر حاتم ، وما قدّم من دراسة عميقة عن حياة ذلك الشاعر الجواد ، من مختلف جوانبها مما يشهد له بالفضل ، وجودة العمل .

ولقد كرم أستاذنا الأُستاذ الجليل محمود محمد شاكر فقدّم لي نسخة من ذلك الديوان ، طالعتها فرأيت أن من تمام شكر عمل المهدي والمحقق الفاضلين أن أتحدث عنها حديثاً موجزًا ، أحصره في ناحيتين : إحداهما تتعلق بتحديد المواضع . وهو أمر بذل المحقق الكريم فيه ماااستطاع ، ورجع إلى كتب الأئمة في هذا الشأْن كمعجم البكريّ « معجم مااستعجم » و « معجم البلدان » ولهذا ستكون الملاحظات حول تحديد المواضع منصبّة على مانقله من نصوص ، وصلته بها لاتعدو صلة الناقل ، لا القائل . .

والناحية الثانية تتعلق بالمحقق وتتصل بعمله ، ولا يضيره أمرها ، فأنا لست مما ذكرت على يقين ، ولكنني أوردته من قبيل المذاكرة . وسأبدأ بهذه الناحية :

١ ـ ص ٣٨ ـ ورد خبر أسر حاتم . ولكنّ مثلاً شائعاً منسوبًا إلى حاتِم في بعض كتب اللغة هو : (لو ذَاتُ سِوارٍ لطمتني) مع قصته ، لم أر إشارة إليه ، ولعل صاحبي « مجمع الأمثال » و « المستقصي » وقد ذكرا المثل لم ينسباه إلى حاتِم ، مع أنني لم أطلع على ماجاء فيهما ، ولكنهما من مصادر المحقق الفاضل .

٢ ـ ص ٤٦ : (قائد جديلة أُسَيع بن عمرو بن لأم) .

(أسيع) هنا تصحيف (أشنع) بالشين المعجمة بعد الألف ، وبالباء الموحدة ، والعين مهملة وهو في كتاب « النسب الكبير »[1] وفي القاموس وشرحه[2] : أشنع بن عمرو بن طريف وهو أخو لأُم ، على ما في كتاب « النسب الكبير » .

٣ - حَبَّذا لو تحدث المحقق الفاضلُ عن السلاسة والوضوح في شعر حاتِم ، مما لايجده القارىء في أشعار الجاهليين . بحيث يساوره الشكُّ في ذلك الشعر من أساسه .

ويظهر لي أن خُلُوَّ شِعْرِ حاتِم - في مُجْمَلِه - من الكلمات العويصة ، من التعقيد أو التداخل في الجُمل ، يمكن إرجاعه إلى سببين :

أحدهما أنَّ حاتِمًا حَضريًا ، يسكن قرية ويستثمر نخلا ، ويخالط قوما متحضرين تخالف لهجتهم لهجات أهل البادية وخشونتها .

والثاني : أن قبيلة - حاتم - وهي طيء - كانت قوية الصلة بالحواضر ، في الشام والعراق ، حيث تلتقي بأُناس من مختلف القبائل ذوي لهجات مختلفة فتحاول أن تكون لغتها واضحة مفهومة ، فتختار السلاسة والوضوح كما أن الطريق إلى الشام من بلاد نجد ، ومن الحجاز عند مبدإ ظهور الإسلام كان يَمُرُّ بأعلى بلادها ، وهو الطريق المعروف قديما باسم الجوشية . وهذا يقوي صلة قبيلة طيء بمختلف قبائل الجزيرة .

٤ - ص ٢٠١ قال حاتم :

لَيْتَ الْبخِيلَ يَرَاهُ الناسُ كلُّهُمُ ... كما يَرَاه ، فَلَا يُقْرَى إذا نَزَلا

وعلق المحقق الفاضل : كذا في الأصل : يراه كما يراه وفي (م) يراه كما يراهم . ولا أدري ما الصواب انتهى . وهذا عملٌ حسن فليت

---

(١) المخطوطة ص ١٥٠

(٢) رسم شنع .

كل من يتصدّى لتحقيق كتب التراث يقف هذا الموقف في كلّ مالم يتضح له معناه ، ولا يتعرض للنصوص القديمة فيغيّرها حسب هواه [1] .

وأرى أن لاضير لو قرأنا كلمة (بزاه) : (نراه) ليستقيم المعنى .

٥ ـ وأورد في الديوان ـ ص ٢٢٠ ـ عن ابن الكلبي قال :

ذكروا أن عامر بنَ جُوَينٍ حالفَ محاربًا ، فأدخلهم الجبل ، فقاتلوا بني بولان ، وبولان غُصَين بن عمرو ، وأخوه تغلب بن عمرو .

وعلق محقق الديوان بقوله : لم أجد بين إخوة بولان ـ واسمه غُصَيْن ـ من يسمى تغلب ، ولعل الصواب ثعلبة ـ وهو جَرْم ـ وهما ابنا عمرو بن الغوث بن طيّئ ، وأشهر إخوتهم ثعل بن عمرو وفيهم البيت والعدد ، واسودان بن عمرو وهو نبهان ، وهُنَيّ بن عمرو . . الخ .

ولما لايكون الصواب (ثعل) فالاسم إلى أن يصحف بـ (تغلب) أقرب من أن يصحف (ثعلبة) به .

ولأن بني ثُعل هؤلاء كانت مساكنهم في جبل أجا ، وهم قوم حاتم الأدنون ، أهل القُرَيَّة. قرية حاتم : التي وردت في شعر امرىء القيس :

تَبِيتُ لَبُونى بالقُرَيَّةِ أُمَّنـاً وَاسْرَحُهَا غِبًّـا بـأَكْنافِ حـائِلِ

وقـال :

أيا ثُعَلاً وأينَ مِنِّي بنـو ثُعَلْ ؟ ألا حَبَّذَا قَوْمٌ يَحِلُّونَ بِالْجَبَـلْ

نَزَلْت على عَمرٍو بن دِرمَاءَ بُلْطَةً فَيَاكَرَمَ ماجارٍ ، ويـاحُسْنَ مامَحَلْ

وأما بنو ثعلبة ـ جَرْم ـ فمنازلهم خارج الجبل ، جبل أجإ غربه ، إلى فَرْدَةَ وما دونها وما حولها .

---

(١) انظر أمثلة لذلك في مقال « تاريخ الإسلام وموقف مركز إحياء التراث منه » في مجلة « العرب » جزء جمادى سنة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

٦ – ص ٢٧٦ : –

قال المحقق – تعليقا على قول حاتم :

وَحَنَّتْ إلى فَتٌّ بِجَنْبِي بُسَيطة

فَتٌّ : لم أجد موضعا بهذا الاسم . وهو بالثاء المثلثة – وفَثٌّ هنا ليس اسم موضع ، بل اسم نبات يجمع حَبُّه ويؤكل ، وهو يجود وقت الخصب . ويكثر في شمال الجزيرة في أرض بُسَيْطة ، وفي بلاد الجوف . وقد شاهدته هنالك ، وتحدثت عنه في كتابي « في شمال غرب الجزيرة »[1] وتحدث عنه المستشرق الويس موزل في كتابه « شمال نجد Northern Negd » وهو يسمى السَّمْح .

وجاء في كتاب « النبات » صنعة الدكتور محمد حميد الله ، مما نقل عن أبي حنيفة[2] : والدعاع والفَثُّ بقلتان ، يخرج منهما حبٌّ أسود ، كالشِّينيز ، يُختبز ويُعتصد ، ورقه قريب من ورق الهِنْدِباء ، وتظهر البرعومة من وسطها في أول نباتها . انتهى المقصود منه .

وورد الاسم مصحفاً في بعض المطبوعات العربية : (القَتُّ الذي يأكله الناس) . والقتُّ ليس من أطعمة الناس .

٧ – ص ٢٩٢ – أورد المحقق عن كتاب « الجبال والأمكنة والمياه للزمخشري » : قوله : قرص : تَلٌّ بأرض غَسَّان ، واستدل بقول حاتم :

نَحْوَ قُرْصٍ ثُمَّ جالَتْ جولة .

ولكن جاء في « اللسان » وفي « القاموس » وشرحه « تاج العروس » : وقُرصٌ بالضم – تَلٌّ بأرض غَسَّانَ ، كأنه سُمِّي لاستدارته كهيئة القُرْص.

قال عَبِيدُ بنُ الأبْرص :

ثُمَّ عُجْنَاهُنَّ خُوصًا كالْقَطَا الْقَا ربَات الماء مِنْ أيْنٍ وكِلال

(١) صفحة : ١٠٠ (٢) : ١٨٣ .

نَحْوَ قُرْصٍ ثُمَّ جَـالَتْ جَوْلَةَ الْخَيْـ ـلِ ، قُبًّا عن يمينٍ وشمال

أضافَ الأَيْن إلى الكلال وإن تقارب معناها لأنّه أراد بالأَيْن الفتور ، والكلال الاعياء وقيل : قرص هو ابن أُخت الحارث بن شمر الغساني ، وهو المراد بقول ابن الأَبرص .

الناحية الثانية : الملاحظات المتعلقة بالمواضع

وسأُحاول أن أتناول بالكلام المواضع الواردة في شعر حاتِم ، سواء كان صحيحا أو منسوبًا إليه باستثناء ماهو خارج منها عن جزيرة العرب ، بل قد أذكر اسماء يسيرة وردت عَرَضًا في الكلام على ذلك الشعر ومما ينبغي إدراكه حول تحديد المواضع أن الخطأ في ذلك ينشأُ عن أسباب منها .

الأول ــ وقوع التحريف أو التصحيف في الأسماء ، في كثير من الكتب ومن أمثلة ذلك من المواضع الواردة في هذا الديوان .

١ ــ الحلبط ــ حالة .

٢ ــ الرداة ــ الرِّداهُ ــ جمع ردهة .

٣ ــ زخة ــ رخّة ــ بالراء .

٤ ــ ستار ــ مشار .

٥ ــ سيرا ــ سَميراء .

٦ ــ مصاخر ــ مضاخر .

الثاني ــ أن الاسم الواحد قد يطلق على عدد من المواضع ، وإذا لم يكن لدى الباحث إلمام بالنازل التي يتحدث عنها ، قد يذكر من بينها ماليس منها ومن أمثلة هذا في الديوان .

١ ــ الفرية ــ تصغير قَرْية .

٢ ــ متَالع .

الثالث – أنّ معجمات الأمكنة التي بين أيدي الباحثين ليست شاملة لكل المواضع الواردة فى الأشعار القديمة والأخبار. ولذلك أمثلة كثيرة يمكن الرجوع إلى بعضها في كتاب « أبو علي الهجري ، وأبحاثه في تحديد المواضع » .

ومن الأمثلة فى شعر حاتم : مَضاخِر – بالضاد والخاء المعجمتين – فهذا لم يذكره البكرى ولا الحموي فى موضعه من معجميهما ، وإنما ذكره نصر بن عبد الرحمن الاسكندري في كتابه الذي لايزال مخطوطًا ، وقرنه بموضع لايزال معروفًا في جهة الجبلين .

الرابع – أنَّ أصحاب المعجمات الذين تصدوا لتحديد المواضع كانوا ينقلون عن كتب مختلفة في مناهجها وعن دواوين لشعراء من مختلف القبائل . ومن هاؤلاء من يورد اسم موضع ورد في شعر شاعر باعتباره من بلاده ، وما كلّ موضع يذكره الشاعر في شعره يكون في بلاد قومه .

ويورد صاحب المعجم لتحديد الموضع أقوالا مختلفة ، اعتماداً على مانقل عنه من كتب ، فقد يعرف الموضع بالنسبة لسكانه كان يقول : متالع في بلاد طيء وقد يعرفه بصفته كان يقول : جبل أبيض. أويعرفه بما يقع بقربه من المواضع المشهورة كان يقول : متالع غرب أجا .

وقد يظن من ليس لديه إلمام تامٌ بطريقة أصحاب المعجمات هذه أن تلك الأقوال تقع على مواضع متعددة وما هي في الحقيقة سوى موضع واحد في كثير من الأحوال ، بخلاف ماإذا نسب الموضع لقبيلَتين – أو أكثر – من القبائل المتباعدة في المنازل ، كما في متالع – عند ياقوت – فالاسم يطلق على جبال متعددة ولكنه لم يذكر من بينها متالع الواقع في بلاد طيء وقد ذكره نَصْرٌ ، وهو من مصادره .

بعد هذا الاستطراد يحسن أن ندخل في الموضوع ، وليسمح لي المحقق

الفاضل في إطالة النفس فى الكلام على تحديد المواضع ، فأنا أكتب هذا لِقُرّاءٍ يحتاجون إلى تفصيل القول عن مواضع يعيشون فيها وحولها ، ويودّون الاستزادة من معرفة ماضيها .

وهذا يبعدنا عن الديوان ، ولكنه يُعَدُّ ذو فائدة .

١ ـ أُبَايِرُ : ص ٢٧٥ ـ قال حاتم :

بِأَنَّ بَنِيهِ قَدْ تناءوْا بِدَارِهِمْ   فَحَوْرَانُ أَدْنَى دَارِهِم فَأُبَائِرُ

وقال المحقق الفاضل : أبائر لم أجد موضعا بهذا الاسم : فقراقر . البكري وقال : وَيَدُلُّ أن قراقر بشق الشام بيت حاتم هذا ، لأن حوران من عمل دمشق . انتهى .

وأضيف : سيأتي الكلام عن قراقر ، أما أبايِرُ فقد ورد مُصَحّفًا في « معجم البلدان » وفي كتب أخرى ، مع أنه لايزال من أشهر المواضع في شمال الجزيرة ، وهاهو ماقلت عنه في « المعجم الجغرافي »[1] .

أُبَايِرُ : ورد اسم هذا الوادي مصحفاً في شعر الرماح بن ابرد ـ ابن ميادة ـ الذي أورده صاحب « معجم البلدان »[2] ومنه ـ :

وبالغمر قد جازت وجاز مَطيها   فتسقى الغوادى بطن بيسان والعمرا

فلما رأت أن قد قربن أثابرا   عواسفَ سَهبٍ تاركات بنا ثَجْرا

(أثابر) صوابه : أباير . و (بيسان) صوابه : نيَّان . والغمر ونيان وأباير كلها مواضع معروفة متقاربة .

وأورده ياقوت أيضًا في « معجم البلدان » قائلاً : أُبايِرُ بالضم والياء الثانية مكسورة ـ منهل بأرض الشام في جهة الشمال من أرض حوران . قال الرمّاح بن ميّادة وهو عند الوليد بهذا الموضع ، وكان يخرج إليه في أيام الربيع للنزهة :

---

(١) : (قسم شمال المملكة) ٢٥-٢٧ .   (٢) ثجـر .

لَعَمرك إني نـازل بـأَيابرٍ وضوءٍ ومشتاق وإن كنت مكرّما
أبيت كـأنّي أرمدَ العين ساهراً إذا باتَ أصحابي من الليـل نوّمَا

وأقول : والصواب أباير ـ بالباء الموحدة بعدها ألف فياءٌ مثناة تحتيّة وآخره راءٌ ـ ويعرف الآن باسم (باير . أُنظر هذا الاسم) وهو واد من روافد وادي السرحان ، يقع في الجنوب الغربي من النبك قاعدة الوادي . ويفيض فيه بين قريتي غطّي شمالاً والعين البيضاء (الجفيرات) جنوباً ، وفي أعلى أباير منهل من أشهر المناهل في ملتقى طرق ويدعى باير (ويقع الوادى بين خطي الطول ٣٠َ و ٣٦ْ و ٣٠َ و ٣٧ْ تقريباً وخطي العرض ٤٥َ و ٣٠ و ١٥َ ـ ٣١ْ تقريباً) أما ضَوْء ـ الوارد في شعر الرماح ـ فقد يكون محرفاً وأن الصواب ضَرْء ـ بالراء بدل الواو ـ وهو وادٍ أيضاً يقع بقرب وادي أباير شماله ، ويدعى الآن الضّروة يفيض بعد أن يجتمع بوادي الغدف (الأغدف) شمال قرية الحديثة ، في الرشرشية في أعلى وادي السرحان وبقرب وادي أباير واد يدعى وادي الضّواين ، وقد يكون هو المقصود في قول الشاعر ، وهو يقع شرق جنوب وادي أباير ، ويفيض في وادي السرحان شمال العيساويّة بعد أن يجتمع بوادي الحصاة . على أن البيتين وردا في « الأغاني »[1] هكذا :

لعمرك إني نازل بـأَباين لصَوْأَرَ مشتاق . الخ

ـ وأراه تصحيفاً في الموضعين ، وللخبر بقية طريفَةٌ يحسن إيرادها . فقال الوليد : كـأنك عزفت من قربنا ؟ فقال : ما مثلك يا أمير المؤمنين يُعْزَف من قربه ولكن :

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة بحرّة ليلى حيث ربتني أهلي

(١) طبعة الساسي ٢ ـ ١٠٤

وهل أسمعنَّ الدهرَ أصواتَ هجمة تطالع من هَجْل خصيب إلى هجل
بلاد بها نيطت عليَّ تمائمي وقُطعْنَ عني حين أدركني عقلي
فإن كنت عن تلك المواطن حابسي فأيسرْ عليَّ الرزق واجمع إذَنْ شملي

فقال : كم الهجمة ؟ قال : مئة ناقة . فقال : قد صدرْتَ بها كلها عُشَرَاء ! قال ابن ميَّادة : فذكرت ولْداناً لي بنجد إذا استطعموا الله عزَّ وجلَّ أطعمهم وأنا ، وإذا استسقوه سقاهم وأنا ، وإذا استكسوه كساهم وأنا . فقال : يا ابن ميادة ! كم ولدانك ؟ فقلت : سبعة عشر منهم عشرة نفر وسبع نسوة . فذكرتُ ذلك بقلبي . فقال : يا ابن ميادة قد أطعمهم الله وسقاهم وكساهم . أما النساء فأربع حلل مختلفات الألوان ، وأما الرجال فثلاث حلل مختلفات الألوان ، وأما السقي فلا أرى مائة لقحة إلَّا ستروِيهم ، فإن لم تروِهِمْ زِدْتهمْ عَيْنَيْنِ مِنَ الحجاز . قلت : يا أمير المؤمنين لسنا بأصحاب عيون ، يأكلنا بها البعوض ، وتأخذنا بها الحمّياتُ . قال : قد أخلفها الله عليك كل عام لك فيه مثل ما أعطيتك العام مئة لقحة وفحلها ، وجارية بكْرٌ ، وفرسٌ عتيق .

أُبْضَةُ ـ ص ٣١٣ ـ أورد محقق الديوان هذا الشطر :
عَفَتْ أُبْضَةٌ من أَهْلِهَا فالأُجَاوِلُ .

وقال : نسبه البكريُّ لحاتِمٍ في مادة أُبْضَة وهي ماءة لطيِّء ، والصواب أنه لزيد الخيل ، من قصيدة في ديوانه . انتهى . هنا إشكال ، فالبكريُّ أورده في كلامه على حِمى فَيْد ، والبكريُّ نقل كلامه على الأحماء كلها ـ حمى ضرية وحمى فيد وحمى النقيع ـ نقلها نَقْلاً ، ولم يصرِح بمصدره. ولكن مؤرخ المدينة السمهودي أورد ما ذكره البكري ، ونسبه إلى الهَجَرِي ، ونصَّ على أنه نقله عن كتابه ، والهجريُّ من علماء الجزيرة ، بل من كبار

علماء اللغة القدماء ، عاش في القرن الثالث ، وكونه ينسب الشعر لحاتم ، ثم يأتي إنسان متأخر عن زمنه وينسبه لزيد الخيل ، ثم يعمد أحد المعاصرين فيجمع الشعر المنسوب لزيد في ديوانٍ فإنَّ من الصعب الجزم بأن كل ما ورد في هذا الديوان من شعر زيد ، لا من شعر غيره .

ولكن ينبغي البحث عن وسائل أخرى تحمل على ترجيح أن الشعر لزيد ، وإن لم تبلغ حدَّ الجزم ، ومن تلك الوسائل أن أُبضة والأجاول بقرب جبل سَلْمَى التي هي بلاد بني نبهان قوم زيد ، كما أنه ذكر مواضع كثيرة بقرب أُبضة ، منها طابة والقفيل وإرمام ، وكلها بقرب فيد الذي أقطعه إياه الرسول صلى الله عليه وسلم حين وفد إليه ولكنه مات في الطريق على ماء فَرْدَةَ قبل أن يصل إلى بلده ، وقال قبل موته أبياته المشهورة :

أَمُطَّلِعٌ صَحْبِي المَشَارِقَ غُدْوَةً وأُتْـرَكُ في بَيْتٍ بِفَـرْدَةَ مُفْـرَدِ
سَقَى اللهُ مابَيْنَ القُفَيْلِ وطابَةٍ فما فَوْقَ إرْمام فَمَا دُوْنَ مُنْشِد

أمَّا أُبْضَةُ فالقول بأنها ماءة لطيِّء صحيح ، ولكنه لا يفي بتحديد موقعها . ولأن بعض من سيقرأ ملاحظاتي هذه قد يتطلع إلى مزيد إيضاح عنها فسأُورد ما ذكرته في كتابي « معجم البلاد العربية السعودية » قسم شمال المملكة » [(١)] :

أُبْضَةُ : بضم الهمزة وكسرها قال الهجريّ [(٢)] في تحديد حمى فيد : الأجول جبل أسود لبني ملْقط من طيء وأقرب مياههم إليْه ماءة يقال لها أُبضة وهي في حرَّة سوداء غليظة ، وقد ذكرها حاتم فقال :

عَفَتْ أُبْضَةٌ من أهلها فالأَجاولُ

ثم يلي الأجول جبل يقال له دخنان لبني نبهان من طيء بينه وبين

---

(١) ص ٢٠ . (٢) ص ٢٨٢ .

فيد اثني عشر ميلاً . وقال البكري : أُبْضَةُ .. قال زيد الخيل :

عَفَتْ أُبْضَةُ من أهلها فالأجاول فوادي نضيض فالصعيد المقابلُ
وذكَّرنيها بعدما قد نسيتها رمادٌ ورَسْمٌ بالشبابَةِ ماثلُ
فبرقة أفعى قد تَقَادم رسمها فما إنْ بها إلّا النَّعاجُ المطافل

وقال اليزيدي أُبضَةُ ماء لبنى ملقط من طيء ، عليه نخلٌ ، وهو على عشرة أميال من فيد ، على طريق المدينة [1] . وقال ياقوت [2] : — أُبْضَةُ : ماءة لبني العنبر ، وقال أبو القاسم الخوارزمي : أُبضة ماءة لطيء ثم لبني ملقط منهم عليه نخل ، وهو على عشرة أميال من طريق المدينة ، قال مساور بن هند يصف هذا المكان :

سائلْ تَميماً هَل وفيتُ فإنَّني أعدَدْتُ مكرمتي ليوم سبَابِ
وأخذتُ جار بني سَلَامة عَنوَةً فدفعتُ رِبْقَتَهُ إلى عتاب
وجَلَبْته من أهْل أُبْضَةَ طائعاً حتّى تحكم فيه أهْلُ إراب

وفي كتاب «المناسك» [3] : وعلى أربعة عشر ميلًا من فيد منازل للأعراب فيها نخل وآبار ماؤها غليظ ، يقال للموضع أُبْضَة ، وخلف أُبضة بثلاثة أميال ونصف عن يسار الطريق هضبات يقال لها هضبات أُبضة ، على بعضهن صخرتان منفردتان ليس يمسكهما شيءٌ لم يزالا على ذلك تسمى أحدهما جمْل والأخرى جَميلة . وفي « معجم ما استعجم » أن أُبضة على عشرة أميال من فيد ، ويمكن الجمع بين القولين بأَنّ قول صاحب « معجم ما استعجم » بالأميال الطويلة .

ويوم أُبضة من أيام العرب المعروفة ، أغارت فيه ضبّةُ على بني قَرِير وبحتر من طيء .

---

(١) « معجم ما استعجم » . (٢) معجم البلدان » . (٣) ص ٥١٥ .

وأَبْضةَ الآن قرية ، ويضاف إليها خرة تدعى حرة أبضة (عبضة في المصور الجغرافي خطأ) تقع في الطرف الشرقي الجنوبي من جبل سَلْمَى ، غرب بلدة فيد ، كما يضاف إليها جبل يدعى جبل أَبْضَةَ يفصل بينه وبين سلمى من الجنوب حَرَّةٌ تقع بلدة طابة في طرفها الغربي الشمالي .

وقد عَدَّها الأُستاذ سليمان الدخيل من ديار الأسلم من شمَّر ومنهم سكانها الآن وهي تبعد عن مدينة حائل قاعدة الجبلين مئة وعشرة أكيال ، في الجنوب الشرقي .

٣ ـ أجأ ـ ص ٢١٨ ـ قال حاتِمٌ :

أَرَى أَجَأً من وَرَاء الشقِيْقِ ... والصَّهْوِ زَوَّجَهَا عَامِرُ

ـ في خبر سيأتي ذكره في الكلام على الصَّهْوِ :

وقد بسطت القول عن جبل أجإ هذا فى كتاب « المعجم الجغرافي » المتقدم ذكره [١] بما لايتسع له المجال هنا .

٤ ـ أظَايِفُ : ـ ص ٢٤٥ : قال حاتم :

إذَا الرِّيْحُ جَاءَتْ من أَمَامِ أظَايِفٍ ... وَأَلْوَتْ بِأَطْنَابِ الْبُيُوْتِ صُدُورُها

أظَائف : جبل في ناحية طيِّء .

وأورد المحقق في الحاشية قول ياقوت : أُظايف بالمهملة والمعجمة ، ولا أدري أَأَحدهما تصحيف أم هما موضعان ، وبالظاء المعجمة ذكره نصْرٌ وقال : جبل فارد لطيء ، أخلق أحمر ، على مغرب الشمس من تنغة و كانت تنغة منزل حاتم الطائي . انتهى .

وأضيف إلى هذا : (١) : هذا الوصف لجبل أظايف في كتاب نصر الاسكندري ولم يشر إلى هذا ياقوت ـ والله يغفر له (٢) : كان مما أوردت في كتاب « المعجم الجغرافي » عن أظايف هذا بعد كلام نصر

(١) ٤٧-٥١

(١) ص : ٩٦ .

وقال الهجريّ : وُظَايِفَ جبل شرقي آجا ، مطلع الشمس ، به قبر حاتم ، ليس قربه جبل . انتهى .

وكثيراً ما تبدل الألف واواً مثل أضاخ ووضاخ . فوظايف هنا هو أظايف من قبيل تسهيل الهمزة واواً .

وقال المرقّش في قصيدة في « المفضليات »[1] :

يِوُدُّكِ ماقَوْمي على أنْ هَجَوْتَهُمْ   إذا أشحذ الأقوامَ ريحُ أظَايِفِ

وأورد ياقوت هذا البيت بالطاء المهملة ، ثم لما ذكر (أظائف) قال : (تقدم في الهمزة والطاء المهملة ، ولا أدري أحدهما تصحيف أم هما موضعان) .

وأقول : الصواب بالظاء المعجمة كما ينطق الآن[2] ، ولا يزال معروفاً ، هو جُبَيل صغير ، من سلسلة الجبال التي تقع شمال أجا ، بينه وبين النفود ، وعن يمين ذلك الجبيل جبل أكبر منه يُدْعى القاعد ، ويبعد أظايف عن مدينة حايل بما يقارب الـ ٤٠ كيلاً في الشمال الغربي منها (بقرب خط الطول ٤٥َ ـ ٤١ وخط العرض ٥٥َ ـ ٢٧ْ) .

أمّا لماذا خُصت الريح التي تأتي من جهة أظايف بالبرودة فَلأنّ الجبل يقع بالنسبة لقرى أجا في الشمال الغربي وريح تلك الجهة هي أشدّ الرياح بَرْدًا في الشتاء ، ثم إن جهته مكشوفة لهبوب الريح ، بخلاف الجهات الأُخرى .

٥ ـ بُسيطَة ـ ص ٢٧٦ ـ قال حاتِمُ :

وَحنُّوا إلَى فَتٌّ بِجَنْبِي بُسَيْطَة   كَمَا حَنَّ لِلْإِكْلاءِ نِيبٌ صوَادِرُ

وشرحه محقق الديوان فقال : فَتٌّ : لم أجِد موضعاً بهذا الاسم ؛ وبُسَيْطَةُ فلاة على طريق طَيِّء إلى الشام .

---

(١) « شرح المفضليات » للأنبارى ٤٧٦ .

(٢) غير أن العامة يحذفون الهمزة فيقولون (ظايف) .

والإكْلاءُ : مَصْدَرُ أكْلَأَتِ الأرْضُ أي كثر كلأُها .
فَثٌّ - بالثاء المثلثة وتقدم الكلام عليه .

أما بسيطة هذه فهي فلاة واسعة وتخترقها طرق إلى الشام من بلاد طيء ، ومن جهات خيبر ومن شمال الحجاز .

وهناك بُسَيْطَة أخرى على مقربة من سواد العراق .

وقد ورد ذكر البسيطتين اللتين لاتزالان معروفتين في شعر المتنبي .
وأكتفي بإيراد مايتعلق ببسيطة التي يغلب على الظن أنَّ حاتمًا قصدها .

في « معجم البلدان » أيضاً : (بسيطة بلفظ تصغير بسْطة - أرض في البادية بين الشام والعراق ، حدُّها من جهه لشم ماءٌ يقال له أمر ، ومن جهة القبلة موضع يقال قعبة العلم ، وهي أرض مستوية ، فيها حَصًى منقوش ، أحسن مايكون ، وليس بها ماءٌ ولا مرعى ، أبعد أرض الله من السكان ، سلكها أبو الطيب المتنبي لما هرب من مصر إلى العراق ، فلما توسطها قال بعض عبيده - وقد رأى ثورًا وحشيًا - : هذه منارة الجامع وقال آخر منهم وقد رأى نعامة : وهذه نخلة . فضحكوا فقال المتنبي :

بُسَيْطَةَ - مَهْلًا - سُقِيْتِ القِطارا تَركتِ عُيُونَ عبيدي حَيَارَى
فَظَنُّوا النَّعامَ عليكِ النَّخِيْـلَ وَظَنُّوا الصُّوارَ عليكِ المَنَـارَا
فـأمْسَكَ صَحْبِي بـأكْـوارِهِـم وقد قَصَد الضِّحكُ منهم وجَارَا

وقال نصر : (بُسيطة فلاة بين أرض كلب وبلقين ، بقفا عفر ، أو أعفر ، وقيل : على طريق طيء إلى الشام . وأقول :

١ - بُسَيْطَة هذه - وتُعرَف (البُسَيطَة) : موضع لايزال معروفاً ، وقد يسمى : (بُسَيْطَا) بالألف كما في شعر شاعر عاميٍّ يدعى الهِرْبيد : (اللِّي هم بـأقصى بْسيْطا مَدَالي) .

والبسيطة هذه تقع بقرب غربي وادي السِّرحان ، وتمتد بامتداد الوادي من وادي حلرج إلى قرب نهاية الوادي من الناحية الجنوبية (أي من الدرجة ٣٠ َ ٣٠ ـ ١٩ ْ إلى الدرجة ٣٠ َ ٣٠ ـ ٢٠ ْ عرضًا شمالياً وغرباً ومن الدرجة ٠٠ ـ ٣٨ ْ إلى الدرجة ٣٥ َ ـ ٣٨ ْ طولاً شرقياً) .

وتمتد بسيطة هذه غرباً بحيث يمرُّ بها الطريق من الشام إلى تبوك ، وفيها هناك منزلة لحجاج الشام ، قبل ذات الحاج ، للمتجه إلى تبوك تدعى العرائد ، والقاع أيضًا ، وهي واقعة شرقيّ حالة عمار ، بينها وبين المُدوَّرة . وفي البسيطة هذه يقول صلاح الدين الصفدي ، في رحلته « حقيقة المجاز إلى الحجاز » .

سرْنَا بركْبٍ كبيـر ... لَمْ يَقْـطَعِ السَّيْرُ خَيْطَهْ
كُنَّا بِقَاعَات بَسْـط ... نَلْهُـو بِقَـاعِ بُسَيْطَة

٦ ـ بُلْطَـة : ص ٢٩٧ ـ من الشعر المنسوب لحاتم ولغيره :

فَهَـلْ أنَا مَاشٍ بَيْنَ شَوْط وحيَّة ... وَهَلْ أنَا لاَقٍ حَيَّ قَيْسِ بن شمَّرَا
وَكُنْتُ إذا ما خفْتُ يَوْمًا ظُلاَمَةً ... فإنَّ لها شِعْبًا بِبُلْطَـةِ زَيْمَـرَا
نِيافًا تَزِلُّ الطَّيْرُ عنْ قَذَفاته ... يظَـلُّ الضَبابُ فَوْقَهُ قَدْ تَعَصَّرَا

وفي الحاشية مايشير إلى أن الأبيـات نسبها ابن النحاس لامرىء القيس . وذكر أنها تروى لحاتم . شوط : في ديار بني ثعل ، من أحد جبـال طيء .

وحيَّة : موضع في ديار بني ثعل :

بلطة زءمر : موضع بجبلي طيء :

وأكتفي بإيراد ماقلته عن بلطة في « المعجم الجغرافي » .

بُلْطَةُ : ـ بضم الباء وإسكان اللام بعدها طاءٌ مهملة وآخره هاء ـ

قال الهجري : قال الرِّزْنيُّ : بُلْطَةُ وشُوْط – مضمومة الشين – ومسطح فرعان من أجإٍ كانا لجرم ، فهما اليوم للدرماء) وقال : (ومن شعاب أجَإٍ : تُوَارِن – غير معجمة الراء – وحقل ، وبلطة – بفتح الباء وضمها وحضن ، ورُميض ، معجمة الضاد ، وثرمداء : مثل الذي في اليامة) [1]

وقال نصر [2] : (بلطة : عين بها نخل ، ببطن جَوٍّ ، من مناهل أجإٍ) .

وفي « معجم ما استعجم » بلطة : موضع بجبل طيء قال امْرؤ القيس :

نزلتُ على عمرو بن دَرْمَاء بُلْطَةً ... فيا خَيْرَ ما جار ، ويا حُسْنَ مَا مَحلّ

ويشهد لك أنه أرض أنه أتى به في موضع آخر مضافاً إلى زَيْمَرَ – قال :

وكنتُ إذا ما خِفتُ يومًا ظلَامةً ... فإن لها شِعْباً ببُلْطَةِ زَيْمَـرَا

جعلهما اسماً واحدًا) .

وفي « معجم البلدان » : (بلطة : موضع معروف بجبل طيء ، وهو كان منزل عمرو بن درماء الذي نزل به امرؤ القيس . . وقال :

نزلت على عمرو بنِ دَرْمَاء بُلْطَةً ... فيا حُسْنَ مَا جَارٍ ، ويا كُرْمَ ما مَحَل

وقال أيضاً :

وكنتُ إذا ما خفتُ يوماً ظلامةً ... فإنَّ لها شِعْباً ببلْطةِ زَيْمَـرَا

قال أبو عبيد السكوني : بلطة : عين ونخل وواد من طلح ، لبني درماء في أجَإٍ ، وقد ذكرها امرؤ القيس لما نزل بها على عمرو بن درماء فقـال :

ألا إنَّ في الشِّعْبَيْن شِعْبٍ بِمسْطَحٍ ... وَشِعْبٍ لنا في بَطْنِ بُلْطَةَ زَيْمرَا

(١) « أبو علي الهجري » ص ١٨٣-٢٠٧
(٢) كتاب نصر .
(٣) « معجم ما استعجم » .

وقال سلام بن عمرو بن درماء الطائي :

إذا ما غضبتُ أوْ تقلّدْتُ منصلي فَلَأْياً لكم في بطن بُلْطَةَ مَشْرَبُ

فإنَّكُمُ والحقُّ لو تدعونه كما انتحلت عرضَ السَّماوَة أهيبُ

كسنبسنا المدلين في جو بلطة ألا بئس ما أدلوا به وتَقَــربُوا

وحدث نَفْطَوَيْه قال : قدمت امرأة من الأعراب إلى مصر ، فمرضت ، فأتاها النساء يعللنها بالكعك والرمان وأنواع العلاجات فأنشأت تقول :

لأهْلُ بُلْطَةَ إذْ حَلُّوا أجَارِعَهــا أشْهَى إلى القَلْبِ من أبوابِ سُودانِ

جَاؤا بِكَعْكٍ ورُمَّانٍ لِيَشْفِيَنِي ياوَيْحَ نَفْسِي من كَعْكٍ ورُمَّانِ

وفي كتاب « التكملة » للصَّغاني [١] بعد إيراد قول امرىء القيس : –

وكنت إذا ما خفت يوماً ظَلامة فإن لها شِعْباً بِبُلْطة زَيْمَــرا

منيفٌ تَزِلُّ الطَّيْرُ عَنْ قَذَفَاته يَظَلُّ الضَّبَابُ فَوْقَهُ قَدْ تَعَصَّرَا

بلطة : اسم واد . وزيمر موضع أضاف الأول إليه .

وأقول بلطة : شعبة في جوف أجَا ، فيها عين تسقي نخيلات قليلة [٢] ، وسيل هذه الشعبة يفضي إلى وادي الرَّصَف ، فوادي حايل وتبعد عن مدينة حايل بـ ٣٢ كيلاً ، وتعتبر من متنزهات حايل :

قال عبد العزيز بن عبدالله الجريفاني شاعر شعبي يعدد متنزهات حايل :

وبُلطَــهْ ومَعْهــا جَــوّ قالوا : عليهــا نَــو

السَّيْــل جاهـا تَــوّ والــكُــلّ مَلْيَــان

وعندما زرت مدينة حايل في شهر المحرم سنة ١٣٨٤ (انظر العرب س ٢ ص ١٠٥٧) دعاني الأستاذ محمد بن عبدالله آل مبارك مدير

(١) ٤ – ٥٤٧ . (٢) وتقدر النخيل نخلها بـ ٤٠٠ .

التعليم إلى العشاء ، فطلبت أن يكون في ذلك الموضع ، فأنعم وأفضل ، ودعا جماعة من رجال العلم والفضل منهم الأستاذ عبد الرحمن الملق ، والشيخ علي الصالح .

وقد أمضيناها سويعاتٍ لا تُنْسَى مع أولئك الإخوة ، وفي ذلك الموضع الذي يضفي عليه جلال الذكريات القديمة جمالاً وروعة .

ثم زرت المكان في شهر ربيع الأول سنة ١٣٩٥ هـ ولكنني وجدت ماء العُيَين ضعيفاً ، والنخيلات مهملة ، وكان الوقت عَصْراً ، فأحسست بالوحشة لِخُلُوِّ المكان وتغيره .

٧ ـ بُوَاعَةُ : ص ٢٧٥ قال حاتِمُ :

وأرْسِلَتِ الأشْوالُ حَوْلَ بُوَاعَةٍ عِرِينَ وترعَى بِالرِّداه الْعَشَاثِر

نقل محقق الديوان قول ياقوت : بُوَاعَةَ صحراء ، عندها رَدْهَةُ القُرَينين ، لبني جَرْم . انتهى .

وهذا القول من كتاب نصر الاسكندري ، ولم يزد عليه ياقوت بشيء .

وقال الهجري : بُوَاعة جبال لجرم من طَيْء ، ثم دفعت عنها اليوم ، وهي للدرماء وزُرَيق ومَعْنٍ ـ والكل من طيء ـ وفي كتاب نصر : (بواعة صحراء عندها ردهة القرينين لجرم) . وبواعة لا تزال معروفة . قال موزل[1] : (وفيا بين وادي الشعبة وجُوَىّ رشيد[2] تقع تلال أم لحم والبويب وصعنب وضراف وبئر الأطرم والقرانين وبئر البواعة) .

(١) « العرب » ص ٥٦٦ س ٩ .

(٢) لم أجد أحداً يعرف جوى رشيد هذا ، ولكن موقعه مرسوم على الخريطة يخترقه وادي سقف .

وأضيف : يظهر أن اسم بواعة كان يطلق على صحراء واسعة ذات جبال ، أما الآن فيطلق الاسم على جبل يقع غربي جبال الصّهو المتصلة بأجا من الناحية الغربية يميل نحو الشمال ، غرب بلدة موقق بما يقارب خمسين كيلًا ، وهو بقرب قرية فَيْضة ابنِ سويلم في الجنوب الشرقي منْهَا بما يقارب عشرة أكيال ، ويشاهد منها رأى العين ، ويبعد عن حايل بما يقرب من ١٣٠ كيلًا في الجنوب .

وبقرب الجبل بئر تسمى بُواعة أيضاً .

٨ ـ تُنْغَةُ ـ ص ١١٢ : (ودفن حاتم بتنغة ، وهي منهل في بطن وادي حائل) والمصدر « معجم البلدان » مع ذكر عوارض بأنه جبل عليه قبر حاتم على مافى الهامش نقلاً عن ياقوت .

وجاء فى الديوان (ص ١٧٤ :) أن الخيبرىَّ مَرَّ بقبر حاتم بمكان يقال له تنغة ، وحوله أنصاب من حجارة ، كأنّهن نساءٌ نوائح .

وهنا إشكالان أحدهما يتعلق بتحديد موقع تنغة قرية حاتم . والثانى : موقع قبره حيث لدينا عنه ثلاثة أقوال ، ثالثهما ماتقدم عن الهجري بأنه فى أظايف .

أما عن تُنْغَة فجهل ضبط الاسم مع غرابته من الأسباب التى ساعدت فى خفائه ، ولنستعرض ماورد عن المتقدمين مما وصل إلينا عنه ، مما أوردته فى « المعجم الجغرافى » :

تُنْغَةُ : قال نصر : (باب تَلَعَةَ وتُنْغَة ونَبْعَة وبَتْعة : أما بفتح التاء ويليها لام : ناحية قريبة من اليمامة .

وما بعد التاء نون ثم غين معجمة : قرية من حضرموت عند وادي برهوت .

وأيضاً في ديار طيء حيث قبر حاتم ، وقيل : بضم التاء وصحف فقيل بالثاء . وبخط أبي الفضل : تنعة منهل في بطن وادي حائل لبني عدى ابن أخزم وكان حاتم نزله .

وأما بفتح النون وسكون الباء الموحدة وعين مهملة : بلد بعمان ، وأيضاً : من جبال عرفات .

وما أوله باءٌ موحدة مفتوحة يليها تاء ساكنة عليها نقطتان : جبل لبني نصر بن معاوية ، فيه قبور لقوم عاد) . انتهى وأورد ياقوت في « معجم البلدان » ما يتعلق بالموضع الذي في حائل وضبطه بضم أوله والغين المعجمة .

وفي « ديوان حاتم » : (قبر حاتم بمكان يقال له تنعة ، وحوله أنصاب نوائح من حجارة كأنهن نساءٌ) . انتهى ومطبوعة الديوان الأولى كثيرة الأخطاء فلا يوثق بها .

ويورد موزل [1] : ما ذكره ياقوت من أن حاتماً دفن في المكان الذي عاش فيه في تنعة في وادي حايل ، ويستسخف ما ذكر ياقوت من أنه ولد في قرية بيست في برقة في شمال افريقية قائلاً : من السخف أن رجلاً من قبيلة طيء التي تسكن وسط الجزيرة العربية التي لا تعرف قرية بيست قد ولد هناك في نهاية القرن السادس .

وكنت كتبت [2] حينما زرت مدينة حايل أوّل مرة في محرم سنة ١٣٨٨ كلمة بعنوان (في مرابع حاتم الطائي) حاولت فيها تحديد القريّة ورجحت أن يكون موقعها السويفلة أسفل مدينة حايل على مقربة منها ، وكان هذا قبل مشاهدة وادي تُوَارن حيث يعتقد السكان هناك أن قرية حاتم كانت

---

(١) « شمال نجد » حاشية ص ٨٣ الأصل الإنجليزي .

(٢) « العرب » الثانية ص ١٠٦٤ .

فيه . فلما شاهدته وشاهدت المكان الذي ذكرت أن تنغة قرية حاتم تقع فيه اتضح لي :

١ ـ أن المكان الواقع شرقي حايل كان موضع بلدة معمورة قديماً ، ولكنه غير حصين ، فالوصول إليه لا تحول دونه جبال ، وخاصة من أعلى الوادي ومن أسفله حيث الأرض متسعة ، ومن الميسور تطويقه من الجهتين والانحدار إليه من جبلي السمراوين إذ من السهل صعودهما .

٢ ـ أن وادي تُوارِن ـ وهو أحد شعاب أجا ـ داخل في الجبل ، وهو ذو اتساع عند مدخل الجبل ، ولكنه بعد مسافة قصيرة ، يتقارب أنفان بارزان من الجبل فيضيق ما بينهما حتى يصعب اجتيازه للجيش الغازي ، وخاصة إذا وجد عنده من يحميه من الرجال الذين يتخذون من طرفي الجبل موقعاً للحماية .

٣ ـ أن حاتماً ذكر قرب قريته من مُوَاسل [(١)] فقد ذكر صاحب « الأغاني » [(٢)] أن ملك الشام المحرق من آل جفنة أراد من حاتم أن يبايعه فقال حاتم : إن لي أخوين ورائي فإن أذِنَا بايعتك ، وإلّا فلا . قال : فاذهب إليهما فإن أطاعاك فائتني ، وإن أبيا فائذن بحرب . فلما خرج حاتم من عند الملك قال أبياتاً منها :

أتاني من الدَّيَّان أمسِ رسالة وغدرا بحيٍّ ما يقول (مواسل)

ومواسل هذا هو ما يعرف بالزُّعيلة من أعلى قِمَم أجا . وهو مشرف على شعب توارِن ، ويبعد عن الموقع الذي أسفل مدينة حايل .

---

(١) هو غير مويسل .
(٢) « الأغاني » ج ١٦ ـ ١٠٥ ط : الساسي .

وهذا فإن تنغة قرية حاتم هي إلى أن تكون في شعب توران أقرب من أن تكون في غيره من المواضع ، لكون هذا الشعب من أحصن المواقع وفي داخله متسع من الأرض ، فيه آثار عمران قديم ، وفيه آبار وبساتين ، كما أن فيه من الشعاب والأمكنة ما يصلح ليكون مرعى للإبل فيا لو حوصر أهله :

وقد تكون القُرَيَّةُ غير تُنْغَة التي هي قرية حاتم إذ القُرَيَّة كانت معروفة في صدر الإسلام كما ورد في خبر أورده ابن جرير [1] في الكلام على خروج الحسين رضي الله عنه على يزيد .

ويرى موزل أنها السويفلة التي قامت مدينة حايل مقامها ، فبعد أن كانت تُدْعى قُرَيَّة حايل ، نسبة للوادي حُذفت كلمة (قرية) وبقي اسم (حايل) .

ويتناقل السكان في مدينة حايل منذ زمن أن حاتِماً كان يسكن في تُوَارِن ، ويرون أن قبره هناك ، وهذا يستلزم تحديده .

تُوَارُن : في « معجم البلدان » – بضم التاء والراء – قرية في أجا أحد جبلي طيء ، لبني شَمَّر من بني زهير . وقال الهجري [2] : (ومن شعابه أجا تَوارن ، غير معجمة الراء) .

وفي « معجم ما استعجم» : توازن – بضم أوله وكسر الزاي المعجمة ، وبالنون بعدها – جبل باليمن قال الطرمّاح :

---

(١) تاريخ ابن جرير ق ٢ ص ٣٠٤ طبع أوربا .
(٢) ص ١٨٣ .

إلى أصل أرطاة يشيم سحابــة على الهضب من حيران أو من توازن

وحيران : جبل هناك أيضاً .

وأقول : في هذا الكلام ثلاثة أخطاء :

١ – توارن بالراء لا بالزاي ، ولا يزال الموضع معروفاً .

٢ – ليس توارن باليمن بل في غربي جبل أجا من بلاد طيء متصل بالجبل .

٣ – حبران بالباء الموحدة لا بالياء وهو جبل معروف الآن .

وقد عول صديقنا الدكتور عزة حسن على ما جاء في « معجم ما استعجم » في تحقيقه « ديوان الطرماح » فقال – بعد أن أشار إلى ورود البيت في « معجم ما استعجم » واعتماد نصه :[١] (الأصل المخطوط : حبران وتوارن ونراهما تصحيفاً) انتهى ، والواقع أن التصحيف هو ما في « معجم ما استعجم » .

وقال ابن دخيل – عن شمر الذي عرفت به القبيلة[٢] : (ولما مات دفن في توارن ، بجبل فيه قبر حاتم الطائي المشهور في الكرم ، وإنما دفن هناك لأنه في وقته أتى بمآثر كمآثر حاتم الطائي في العرب[٣] .

وتوارن الآن اسم واد يبعد عن مدينة حايل ٤٩ كيلاً ، أسفل الوادي – إذ الاسم يطلق على واد من أشهر أودية أجا الشمالية ، ويمتد الوادي في الجبل ثمانية أكيال ، ومدخله ضيق ثم تتسع جنباته ، وتكثر روافده ،

---

(١) ص ٣٢٢

(٢) « القول السديد » ص ٨١ نسخة المتحف العراق .

(٣) انظر عن قبر حاتم مجلة « العرب » ص ٢ س ١٠٦٢ .

وتقع قرية توارن في وسط الوادي ، وهي قرية قليلة المنازل والبساتين . وقرب مدخل الوادي آثار حصن لا تزال بعض جدرانه قائمة ، يقارب طول ما بقي منها خمسة أمتار ، أساسها وأسفلها مبني بالحجر وأعاليها بالطين ، وهو مربع تقريباً عرضه ٣٧ خطوة ، وعرض الأساس يقرب من المترين وله باب في الجهة الشمالية .

وكأنه بني للحيلولة دون دخول الوادي .

ويحوك السكان حوله حكايات ، ويزعمون أن القصر لجدهم زُمَيْل ، وآخرون ينسبونه لحاتم الطائي . وبعد هذا القصر بما يقرب من أربعة أكيال في أعلى الوادي تقع القرية . وفيها قصر خرب مبني بالطين تجاوره من الغرب مقبرة إسلامية ، وفيها قبران طولهما مفرط يقاب عشرة أمتار ، يزعمون أن أحدهما قبر حاتم الطائي ، وليس من المستبعد أن تكون قرية بني عدىّ بن أخزم – قوم حاتم – وأنها سكنت في وادي توارن ، فالمكان فيه آثار عمران قديم من أبنية وآبار .

وجبل عوارض الذي قيل : إن قبر حاتم فيه ليس بعيداً عنه ويقع شماله .

ومدخل الوادي ضَيِّق ، بحيث لو وقف عنده عدد قليل من الرجال لمنعوا من يحاول الدخول ، ثم إن الوصول إلى مدخل الوادي يمرُّ بمنعطفات أسفله ، وهي على اتساعها تتيسَّر حمايتُها . والوصول إلى قرية حاتم وقومه كان صعباً ، كما يفهم من كلمة : (لقد جهل مَداخل سُبُلَّات) وقد يكون المقصود الوصول إلى جبل أجا كُلِّه ، كما أشرت إلى ذلك في الكلام على جبل (سابل) . (للبحث صلة) .

عالية نجد

(سيصدر عن « دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر » كتاب « عالية نجد » وهو قسم من المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية . تأليف الأستاذ سعد بن جنيدل ، وقد رأت مجلة « العرب » أن تتحف قراءها بمقدمة هذا الكتاب ، لطرافتها) .

نجد : النَّجد ما أشرف من الأَرض وارتفع واستوى وصَلُب وغلظ ، جمعه أَنْجُدٌ ، جمع قلّة ، وأَنجاد ، ونِجاد بالكسر ، ونُجود ونُجد بضمّهما ، ولا يكون النِّجاد الاّ قفًّا أَو صلابة من الأَرض في ارتفاع ، مثل الجبلِ معترضًا بين يديك ، يردُّ طرفك عمّا وراءه ، يقال : اعْلُ هاتيكَ النجاد ، وهذاك النجاد يُوحّد ، وليس بالشديد الارتفاع .

وجمع النُّجُود بالضم أَنْجدة ، جَمْعُ جَمْعٍ ، والنّجد ماخالف الغور[1] .

ونَجْدٌ فيما تعارف عليه سكانُه يعني البلاد الممتدة من نفود الدَّهْناء غرباً إلى أطراف جبال الحجاز الشرقية ، ومن ناحية الشمال تَبْدأُ من النّفود الكبرى وتمتدُّ صوب الجنوب إلى أطراف الرُّبْع الخالي ، وقد اعتادوا على تقسيمه إلى قسمين جغرافيين وفقا لجغرافيته الطبيعيّة ، قسم غربي : ويقولون له : الدِّيرة العُلُوّة ، من العلوّ والارتفاع ، ويقولون لمن يذهب إليه : سَنَّد فهو مُسنِد ، أي مُصعد ، ويقصدون به أنه يسير في أرض سَنَد ، ويقولون للأَرض المرتفعة سَنْدَى ، يقول الشاعر الشعبي عبد الله بن سبَيِّل :

سَيِّل النّحا ما يَتْبَع إلاّ مجَارِيه والى عَطى السّنْدى يكودْ عليَانهْ

(١) « تاج العروس » .

ويقولون لها أيضاً : سند ، ويجمعونه على سَنَادي ، يقول أحدهم :

لا تعتِرِضْني بِالْجَحش يادْغَيْمانْ   واللهْ لأَعَرِّضْكَ الوَعَرْ والسّنادِي

والمُسَنِّدُ هو من يذهب باتجاه غربي في هذه البلاد ، يقول محمد ابن بُلَيْهد في قصيدة شعبية قالها في جلالة المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز حين بلغه أنّه عزم على السّفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية لأول مرة ، وكان فيصل عند والده في الرياض [1]

يَبِي يْسَنِّدْ سِيدْ كِلّ الاعاريبْ   لهْ يَمّ بَيْتَ الله مْنَادي وَجَذّابْ
لَوّاهَنِي (دَاوِرْدِ) و (امّ المشَاعِيبْ)   إنْ مَرّهَا مِعْطِي طِوَيْلاتَ الارقابْ
جَانَا الخَبَرْ يامِرْذِيَ الفِطّرَ الشِّيْبْ   إنّ السّفَرْ قد تمّ لِذْيَارَ الاجْنابْ
قدْرَتْبهْ حَامِي الْوِنيّـات تَرْتَيِبْ   أَبُوكَ فكّاكَ المشاكِلْ والأنْشَابْ

ويقول سعد مُطَوّع نفي :

يَاحْسَيْن دَاوَيْتكْ وأنَابَا تِداوَى   مَالي علَى نَابِي الرّدَايِفْ بْرُوهْ
لَوَا عِشيري يَمّ دَارْ الشّـلاوَى   يِمّةَ (حَضَنْ) واهْل الدّيَارْ الْعَلُوهْ

وقسم شرقي : ويقولون له : الدّيْرَة الْحَدْرِيّة والدّيرة السُّفلى ، ويقولون لمن يسير باتجاه شرقي أو شرقي شمالي : مُحَدِّر ، لأنه يسير في سهول مُنْحدرة .

والعرب الذين في نجد من الحضر والبدو يدركون ببديهتهم ويعرفون أن هذه البلاد تنحدر تدريجيا من الغرب إلى الشرق الشمالي ، ويدركون ببديهتهم مدى ارتفاع قسمها الغربي وانخفاض قسمها الشرقي ، وهذا مادعاهم إلى أنْ يقولوا للذاهب غربا (مُسَنِّد) ولمن يذهب صوب الشرق : حادِرٌ ومُحَدِّر . يقول الشاعر الشعبي عبد الله بن سُبَيِّل يصف رحيل البدو من منزلهم في نفي وقد انقسمت رحالهم إلى قسمين ، قسم

(١) شرح الأبيات موضح فى رسم (أم المشاعيب) .

اتّجه صوب الشرق إلى البلدان ليتزوّد منها ، وكان ذلك في وقت صرام النخيل ، وقسم اتجه صوب الغرب ، ليترك جبل النّيّر يسارا منه بحثا عن المراعي الوفيرة التي حدثهم عنها الركبان :

عَهْدي بْهُمْ باق من السّبع ثِنْتَيْن قَبل الشّتا ، والقَيْظ زَلّ مْحَسُوبَه

قَلّت جهامَتْهم مْنِ الجو قِسْمين الزِّمِلْ حَدَّرْ والظّعَنْ سَنْدَوْا بِهْ

يِبُوْنْ مِضْفارٍ من النّير ويمين الله لا يَجْزِى طْرُوشي حَكَـوْا بِهْ

ويقول عَوَر المقرن :

في القَيْظ مِقْيـاظهْ طُوارِفْ خَمِرّهْ وعَنْ خَشِمْ هكْرانَ الحَمَرْ مَايروْح

وإلْيا حَدَرْ خَشْمَ الينُوفي بْمِرّهْ إلْيَاقَامْ بَرَّاقَ الـثَّرَيَّا يِلُـوح

ويقول آخر :

يَا مَنْ لْعيْنٍ وَدّهَـا بَالْمَسَـانِيدْ ولَا ترزَقْ إلّا في عَلَاوِي دْيَرْهَـا

مِيْر البلاَ ذَرْواتْ قطّاعَةَ البِيـدْ أَزْرِيتْ لاَ اصَلْ دِيْرتي مَن خَطَرْهَا

ونلاحظ مما تعارفوا عليه أنّ الديرةَ الحدرّية هي مادفعه امتداد نفود السّر ونفود الْخَبْرا وما صاقبَهما جنوبا صوب الشرق ، وأن الدّيرة الْعُلْوَّة (العالية) هي البلاد الْممتدة من هذه النُّفُد وما صاقبها جنوبا وشمالاً صوب الغرب إلى حدود الحجاز ، ويمكن أن نتبيّن ماتعارفوا عليه في ذلك من شعرهم ، يقول الشاعر الشعبي عبد الله اللّوْح :

أنا تَحدّرْت لِبْلَادِ الرّياضْ وصاحِبِي فُوْق

مَتَى على خَيْر تِلْتَمّ الرّعيّهْ بِالْـرَعِيّـهْ

وقال أيضا وهو في مدينة الرّياض وهو يريد السّفر إلى بلدة الشعراء الواقعة غرب مدينة الدّوَادمي ، في العالية :

دُوْنَكَ الْمُوَاتِرْ كلّها سَنّدَتْ فُوْقْ واللّـوْح قَازٍ مِن مَنَامِـهْ لْحَـالِهْ

وقال الشاعر الشعبي هُوَيشل بن عبد الله من أهل بلدة مِزعل الواقعة غَرب بلدة القويعية وقد أشار عليه بعضهم بأن يحدر إلى الرّياض لطلب المعيشة :

يَا لَلّي تِشيرُون بَالمِحْدارِ مَالي بِهْ   إلاّ انْ وَمَرّني عَلَيْهَ الله ومَشّانِي
مِنْ شَانْ أنَا يَا محمّد مَا اقْدرالغَيْبَهْ   رزْقِي عَلى الّلي خَلقْنِي يا بْنِ سَجْدان
مِنَ يَوْم زَلّ الشّبابْ ولَاحَتْ الشّيْبَــهْ
والعَزْم مَعَــادَ يا صَــلْ خلّ دَلْقــان

وخَلّ دَلْقان واقع في الطّريق بين القويعية وبين الرّياض .

وقال آخر :

عَــلّ الحَيَــا يِزّي الاوْطَــانْ   يزّي الرّفايــعْ وحُمْرورَهْ
والْيــا تَحَــدّرْ وطَــا دَلْقــانْ   وَامْطَــرْ عَلى جَــوّ وقْصُــورِهْ

قوله يِزّي أي يسقي .

الرّفايع : قرية زراعية تقع جنوب بلدة الشّعْرا .

حمْرُورَة : قرية زراعية تقع جنوب مدينة الدوادمي ، غرب الرّفايع .

دَلْقَان : ماءٌ يقع شرق بلدة القويعية .

جَوّ : مزارع تقع غرب بلدة المزاحمية .

فالرفايع وحمرورة يقعان في العالية ، ودلقان وجوّ من أدنى الديرة الحدريّة إلى العالية .

نجد فى كتب المتقدمين: قالت ياقوت : النَّجَدُ بالفتح والتحريك وهو البأس والشهرة ، يقال : رجل نجد ، بيِّن النجدة ، وهو صقع واسع من وراء عُمان عن ابن موسى .

نَجْــدْ : بفتح أوله وسكون ثانيه ، قال النّضْرُ : النّجد قِفاف الأَرض وصلابها وما غلظ منها وأشرف ، والجماعة النِّجاد ، ولا يكون

إلَّا قفاً أو صلابة من الأَرض في ارتفاع من الجبل ، معترضا بين يديك يردّ طرفك عما وراءه ، يقال : اعْلُ هاتيك النِّجاد وهذاك النجاد بوجه ، وقال : ليس بالشديد الارتفاع .

وقال الأَصمعيُّ : هي نجود عدَّة منها : نَجْد بَرْق واد باليمامة ونَجْدِ خالٍ ونجد عَفْرٍ ونجد كبكب ونجد مَريع ، ويقال : فلان من أهل نجد ، وفي لغة هذيل والحجاز من أهل النُّجدِ ، قال أبو ذُؤيب :

في عانة بجنوب السِّيِّ مَشربُها غَوْرٌ ومَصْدَرُها عن مائها نُجُد

قال : وكل ما ارتفع عن تهامَة فهو نجد ، فهي ترعى بنجد وتشرب بتهامة ، وقال الأَصمعي : سمعت الأَعراب تقول : إذا خَلَّفْتَ عَجْلَزًا مصعدا فقد أنجدت ، وعَجلز فوق القريتين ، قال : وما ارتفع عن بطن الرُّمَةِ ، والرُّمَةُ واد معلوم فهو في نجد ، إلى أن تميل إلى الحرَّة ، فإذا وصلت إليها فأَنت بالحجاز .

وقيل : نجد إذا جاوزت عُذَيبًا إلى أن تجاوز فَيْدَ وما يليها .

وقيل : نجد هو اسم للأَرض العريضة التي أعلاها تهامة واليمن وأسفلها الشام والعراق ، وقال السكريُّ : حدُّ نجدِ ذات عِرْقٍ من ناحية الحجاز كما تدور الجبال معها إلى جبال المدينة ، وما وراء ذات عرق من الجبال إلى تهامة فهو حجاز كله .

فإذا انقطعت الجبال من نحو تهامة فما وراءها إلى البحر فهو الغور . والغور وتهامة واحـد .

ويقال : إنَّ نجداً كلها من عمل اليمامة .

وقال عُمَارَةُ بن عَقِيل : ما سال من ذات عرق مقبلا فهو نجد ، إلى

أن يقطعه العراق.. وحدّ نجد أسافل الحجاز وهودج [1] وغيره ، وما سال من ذات عرق مُوَلِّيًا إلى المغرب فهو الحجاز إلى أن يقطعه تهامة . وحجاز يحجز أي يقطع بين تهامة ونجد .

وقال العُتْبِيُّ : حدّثنا الرّياشي عن الأصمعي قال : العرب تقول إذا خلّفت عَجْلَزًا مصعدا حتى تنحدر إلى ثنايا ذات عرق فإذا فعلت ذلك فقد أتهمت إلى البحر ، وإذا عرضت لك الحرار وأنت تنجد فتلك الحجاز . تقول : احتجزنا الحجاز ، فإذا تصّوبت من ثنايا العرج فقد استقبلت الأراك والمرخ وشجر تهامة ، فإذا تجاوزت بلاد فزارة فأنت بالجناب إلى أرض كلب ، ولم يذكر الشعراء موضعا أكثر مما ذكروا نجدًا وتشوّقوا إليها .

وفيما تقدم نجد الأصمعيّ قال : هي نُجُودٌ عدّةٌ ، وذكرها بأسمائها .

وهذه النجود التي ذكرها مواضع معيّنة ، منها ماهو في نجد ومنها ماهو في الحجاز ومنهاما هو في اليمن ، ، ويتضح مما ذكر من أقوالهم أنهم يوسّعون في حدود نجد مما يلي الحجاز إلى ذات عرق ، وذات عرق هو المكان الذي يحرم منه حاج شمال نجد وأهل المشرق كأهل العراق ومن أتى على طريقهم ، ويتوسّعون في تحديده مما يلي الشر ق إلى حدود العراق ، وشمالاً إلى حدود الشام .

وقد أورد ياقوت قولاً : ان نجداً كلّها من عمل اليمامة ، والصّحيح أنها مقسمة إلى قسمين ، القسم الغربي تابع للمدينة المنورة والقسم الشرقي تابع لليمامة . وقد ذكر المؤرخون أن عامل المدينة يصدق على مَذْعَا والمصلوق ، وهذان الماءانِ تابعان لإمارة الدوادمي في هذا العهدواقعان فيما بينها وبين عفيف.

---

(١) كذا في « المعجم » ولعله تحريف (وهو العرج) .

قال ياقوت عن أبي زياد : إذا خرج عامل بني كلاب مصدقا من المدينة فأول منزل ينزله يصدق عليه أُرَيكة ثم العناقة ثم يرد مذْعَا لبني جعفرثم يرد المصلوق ، وعلى مَذعًا عَظْم بني جعفر وكعب بن مالك وغاضرة بن صعصعة .

ومن هذه العبارة يتضح أن بني كلاب لهم عامل خاص يخرج من المدينة ، وبلادهم واقعة في عالية نجد ، تابعة في هذا العهد لإمارة عفيف وإمارة الدوادمي .

وقال الاصفهاني : معدن الأحسن معدن ذهب ، معدن لبني كلاب ، بينه وبين العيصانُ مسيرة ليلتين أو ثلاث ، وبينه وبين ضَرِية ليلتان ، وهي من عمل المدينة ، أدنى عمل المدينة إلى اليمامة تخالط لعمل اليمامة .

وهذا المعدن قد تغير اسمه ، وهو في بلاد كلاب ، واقع على طريق أهل ضرية إلى حجْر ، غرب الدوادمي (العيصان) فتبين بذلك مدى توغّل عامل المدينة في نجد . وقال سعيد بن عمرو الزُّبيريّ وكان ساعيا على بني عمرو بن كلاب وذكر بعض أعلام بلادهم :

إنْ يكُ ليلي طال بالنِّير أو سَجَا   فقد كان بالجَمّاءِ غَيْرَ طَويل
ألا لَيْتني بُدِّلْتُ سَلْعاً وأهْلَه   بِدَمْخٍ وأَصْرَاماً بهَضْب دَخُول

والنِّيرُ من الأعلام الشهيرة ولا يزال يعرف باسمه ؛ واقع بين الدوادمي وعفيف ، ودَمْخ جبل شهير مازال معروفا باسمه ، واقع جنوب النير . أما سَجَا فانه ماءٌ له شهرة ، ويقع غرب مدينة عَفيف على بعد أربعة وأربعين كيلا . والدخول هضب وفيه ماءٌ مازال معروفا باسمه ؛ يقع جنوب بلدة عفيف على بعد مائتي كيل تقريبا تابع لإمارتها ، وهو من بلاد بني كلاب قديما .

وقال لغَدَةُ الأصفهاني : قال الأصمعي : إذا جزت ذات عرق إلى البحر فأنت في تهامة ، وإذا جزت وَجْرة وغَمرة فأنت في نجد إلى أن تبلغ العُذَيْب ، وغمرة في طريق الكوفة ، ووجرة في طريق البصرة .

وقال : ويقول بعض الناس : إذا بلغت العُذَيب من ناحية الكوفة ؛ وهي من الكوفة على مرحلة – فأنت في نجد إلى أن تبلغ حدَّ تهامة .

وقال الأصمعي : إذا جاوزت عَجْلَزَ من ناحية البصرة فقد أنجدتَ ، وإذا بلغت من ناحية الكوفة سَمِيْراء أودُونها فقد أنجدت إلى أن تبلغ ذات عِرْق ، فإذا تَصَوَّبْتَ في ثنايا ذات عِرْق فقد أتهمت .

فني ماذكره لغدة الأصفهاني مزيد من الإيضاح والتفصيل ، ولا خلاف بينه وبين ماذكره ياقوت في الحدود .

وقال الأصفهاني أيضاً : فإذا ارتفعت فخرجت من فَلْج فأنت في الرمل فإذا جاوزت النَّباج والقريتين فقد أنجدت . وقال بعضهم : إذا جاوزت الحَفَرَ ، حَفَرَ أبي موسى الأشعري ، وهو حفَر بني العَنْبَرِ كان أبو موسى احتفر فيه ركيّة ، فأنت في نجد .

وهذه المواضع التي حدّد بها بداية حدود نجد من الناحية الشرقية قد تغيّرت أسماؤها ، ففلج هو الوادي الذي يخترق شرقيّ نجد من الدّهناء إلى قرب البصرة ، ويعرف في هذا العهد باسم (الباطن) وفيه الحفر ماء يضاف إليه ، يقال له حفر الباطن ، وأصبح الآن بلدةً أما النّباج فانه يعرف في هذا العهد باسم (الأسياح) واقع شرق شمال القصيم .

وقال البكري : نجد مابين جُرش إلى سواد الكوفة ، وآخر حدوده مما يلي المغرب الحجازان : حجاز الأسود وحجاز المدينة ، والحجاز الأسود سراة شَنُوءَةَ ، ومن قبل المشرق بحر فارس ، مابين عُمان إلى بطيحة

البصرة ، ومن قبل يمين القبلة الشّامي : الحزن ، حَزْنُ الكوفة ، ومن العُذيب إلى الثعلبية إلى قُلَّةِ بني يربوع بن مالك ، عن يسار طريق المُصْعِد إلى مكة ، ومن يسار القبلة اليُمْنَى مابين عمل اليمن إلى بطيحة البصرة .

وقال عُمَارة بن عَقيل : ما سال من الحرة : حرّة بني سليم وحرة ليلى فهو الغور ، ومَا سَال من ذات عِرْق مقبلا فهو نجد ، وحذاء نجد أسافل الحجاز ، وهي وَجْرة والغَمرة ، وما سال من ذات عرق مولّيا إلى المغرب فهو الحجاز .

قال عُمارة : وسمعت البَاهِليّ يقول : كلّ ماوراء الخَنْدق خَنْدَقِ كِسْرَى الذي خَنْدَقَه على سواد العراق هو نجد إلى أن تميل إلى الحرّة ، فإذا مِلْتَ إلى الحرّة فأنت في الحجاز ، حتى تغور ، والغَوْر : كلّ ما انحدر سيله مُغَرِّباً فبذلك سُمّي الغور ، وكلّ ماأسهَل مشرِّقًا فهو نجد .

والشَّرَفُ : كَبِدُ نجد ، وكانت منازل الملوك من بنى آكل الْمُرَارِ وفيه اليوم حِمَى ضَرِيّة ، وضَرِيّةُ اسم بئر ، قال الشاعر :

فَأَسْقَاني ضَرِيَّةَ خيرَ بئرٍ   تَمُجُّ الماءَ والْحَبَّ التُّؤَامَا

وفي الشَّرف الرَّبذة ، وهي الحمى الأيمن ، والشُّريف إلى جنبه ، يفرق بين الشَّرَف والشُّرَيف واد يقال له التَّسرير ، فما كان مُشَرِّقًا فهو الشُّريف وما كان مُغَرِّبًا فهو الشَّرف ، والطَّود الجبل المشرف على عرفة ، ينْقَاد إلى صنعاء ويقال له السَّراة ، أوله سراة ثقيف ، وسراة فَهْم وعَدْوان ، ثم سراة الأَزْد ، ثم الجرّ آخر ذلك كله ، وما كان منه إلى الشرق فهو نجد .

وقال أبو الفداء : قال المدائني : جزيرة العرب خمسة أقسام ، تهامة ونجد وحجاز وعروض ويمن ، فأمّا تِهامة فهي الناحية الجنوبية من

الحجاز ، وأمّا نجد فهي الناحية التي بين الحجاز والعراق ،وأمّا الحجاز فهو جبل يقبل من اليمن حتى يتّصل بالشّام وفيه المدينة وعَمّان ، وأمّا العروض فهي اليمامة إلى البحرين ، وإنّما سمي الحجاز حجازاً لأنه يحجز بين نجد وتهامة .

وقال ابن الأعرابي : ما كان بين العراق وبين وجرة وغمرة والطائف فهو نجد ، وما كان وراء وجرة إلى البحر فهو تهامة ، وما كان بين تهامة ونجد فهو حجاز .

وقال الواقديُّ : الحجاز من المدينة إلى تبوك وأيضا من المدينة إلى طريق الكوفة ، وما وراء ذلك إلى أن يشارف أرض البصرة فهو نجد ، ومن المدينة إلى طريق مكة إلى أن يبلغ مهبط العَرْج حجاز أيضا ، وما وراء ذلك إلى مكة وجُدَّة فهو تهامة ، قال : والعُذَيب – بضم العين المهملة وفتح الذال المعجمة – ماءٌ لبني تميم هو أول ماء يلقاه الإنسان بالبادية إذا سار من قادسية الكوفة يريد مكة ، والعُذَيب اسم لعدة مواضع بالبريّة ، والعَرْجُ : – بفتح العين وسكون الراء المهملتين وفي آخرها جيم – قرية جامعة من نواحي الطائف ، وإليها ينسب العرجي الشاعر [1] ، وفي نجد المشهورة خلاف ، والأكثر على أنها اسم للأرض المرتفعة الفاصلة بين اليمن وتهامة وبين العراق والشام ، فاليمن وتهامة أعلاها والعراق والشام أسفلها وأولها من ناحية الحجاز ذات عرق .

قلت : لا خلاف بين ماذكره المتقدمون في تحديد نجد مما يلي الحجاز واليمن ، أما مما يلي المشرق فإنَّ مايراه الاكثرون يفيد أن حدوده تمتد شرقاً إلى ماء العُذَيب القريب من الكوفة ، وما ذكره أبو الفداء فيه

(١) الظاهر أن المقصود في عبارات الذين حددوا نجداً – عرج المدينة لاعرج الطائف هذا .

مزيد من الإيضاح والتفصيل ، وذلك بالنسبة لحدود نجد ، وكذلك في تحديد المواضع التي حدّد بها .

نجد في كتب المتأخرين : في كتب الجغرافيين المتأخرين نجد أنهم حدّدوا بلاد نجد ، وما كانوا يرونه لا نجد فيه خلافاً ظاهراً فيما بينهم ولكنهم يختلفون عن المتقدمين في الحدود الشرقية والشمالية يوافقونهم وفي الحدود الغربية والجنوبية ، فهم يرون أن حدود نجد تنتهي شرقاً بنفود الدّهناء ، وشمالا بالنفود الكبرى ، ومن ناحية الغرب بالحجاز ومن ناحية الجنوب بصحراء الرّبع الخالي ، وسأورد هنا ماتيسّر لي من أقوالهم .

قال مصطفى الدّباغ[1] : هضبة نجد تشمل المنطقة الوسطى من جزيرة العرب ، وتنحدر انحداراً تدريجياً نحو الشرق والشّمال وتمتد من صحراء النفود في الشمال إلى الرّبع الخالي في الجنوب ومن حدود الأحساء شرقا إلى حدود الحجاز وعسير غربا .

ويقول فؤاد حمزة[2] : تطلق كلمة نجد على الأرض المرتفعة وتستعمل اصطلاحاً لتدلّ على المنطقة الوسطى من جزيرة العرب ، وهي المنطقة الواقعة شرقي الحجاز إلى الدّهناء في الشرق . وقد اختلف الجغرافيون العرب في تحديد المكان الذي تبدأ نجد فيه من جهة الحجاز إلا أنّ المعترفَ به أنها تبدأ من ذات عرق (نخلة) وهو مكان يبعد عن وادي السّيل المشهور في الحجاز ببضعة أميال ، ويقال : إنّ من رأى حَضَناً فقد أنجد .

غير أننا نطلقها على المنطقة الواقعة بين الدّرجة ٢٧ من العرض

---

(١) جغرافية « جزيرة العرب » ١ - ٢٠ .   (٢) « قلب جزيرة العرب » ص ١٤ .

الشمالي وبين الدرجتين ٤٣ و ٤٧ من الطول الشرقي ، وهذا التحديد يشمل الأرض التي يحدّها جبل شَمّر من الشمال ومنطقة الهضاب الحجازية شرقي سلسلة جبال الحجاز وعسِير من الغرب والصحراء الكبيرة (الرُّبُع الخالي) من الجنوب والدهناء الفاصلة نَجْداً والحسا من الشرق .

وفي كتاب «جغرافية الوطن العربي»[1] : وإلى الشرق من مرتفعات الحجاز توجد هضبة نجد ومعناها الأرض المرتفعة ، ويحدّها من الشمال صحراء النفود ومن الجنوب الربع الخالي ، وإلى الشمال منها جبال شمر ويفصلها وادي الرمة عن بقية أراضي نجد ، وتنحدر هضبة نجد تدريجيا نحو سهول الأحساء ، وفي شمال نجد توجد الكثبان الرملية التي تعرف باسم النفود ، وهي تمتدّ إلى الجنوب حتّى الرّبع الخالي وتتصل بصحراء الدّهناء .

ويقول عمر رضا كحّالة في كتابه[2] : أمّا القسم الواقع في شرقي جبال السّراة فيُسمّى نجدًا ، ويتألّف من مناطق مترامية الأطراف مختلفة الأشكال والصّفات ، تمتدّ من سفوح جبال السرّاة إلى الدهناء ، التي تفصل بنيها وبين ساحل الخليج الفارسي ، والأقسام الجبلية التي ترتفع عن المستوى العمومي للمنطقة التي أُطلق عليها اسم نجد والتي تبتدئ من شرقي جبال السّراة تكاد تكون منحصرة في جبلي طي (أجَأ وسلمى) . وتقسم نجد سلسلة من الجبال تسمّى العارض تتجه من الشمال إلى الجنوب بشكل مقوّس تقريبا .

أما السهول والرمال والصحارى المحيطة بها فهي السهول النجدية والنفود الكبير والدّهناء والربع الخالي ، وهي صحارى مترامية الأطراف انتهى .

(١) ص ٣٥٠ .

(٢) « جغرافية جزيرة العرب » ص ١٤.

هذه الأقوال أهم ماطلعت عليه مما كتبه المتأخرون في تحديد بلاد نجد ، وهذه الأقوال متفقة في مدلولها الجغرافي وفي نواحي الحدود إلاّ ماقاله فؤاد حمزة في الحد الشمالي لنجد فانه يختلف مع الآخرين ، فهو يرى أن جبلي طي أجأ وسلمى خارجان من حدود نجد ، بينما الآخرون يرون أنها تحدُّ بالنفود الكبرى الواقعة شمال جبلي طي ويعتبرون الجبلين من نجد .

ولا مُرَجِّحَ لما قاله فؤاد حمزة في الحدّ الشمالي لنجد ، إذ المعروف قديماً والمتعارف عليه في هذا العهد أنَّ بلادالجبلين ـ أجأ وسلمى ـ داخلة ومعدودة من بلاد نجد .

عالية نجد : العالية تأنيث العالي من العلوّ ، قال ياقوت : النّسب إلى العالية عُلْوِيٌّ ، فمن ضَمَّ فهو إلى العُلوّ ، ومن فتح فهو إلى العَلْو مصدر علا يعلو عُلُوًّا ، يقال عالَى الرّجل إذا أتى عالية نجد ، ورجل مُعالٍ أيضا قال بشر بن أبي خازم :

مُعالِيَةٌ لا همَّ إلاّ مُحَجَّرٌ وحَرَّةُ لَيْلَى السهلُ منها ولُوبها

وإيّاه أراد الشاعر بقوله :

إذا هَبَّ عُلويُّ الرّياح وَجَدْتني يَهَشُّ لِعُلْوِيِّ الرِّيَاح فُؤاديا
وإنْ هَبَّتِ الرِّيحُ الصَّبا هَيَّجَتْ لَنَا عَقابِيلُ حُزْنٍ لا يَجِدْنَ مُدَاوِيا

وقال الأصفهانيُّ: قال ابن الأعرابي : نَجد اسمان : السافلة والعالية ، فالسّافلة ماولي العراق ، والعاليةُ ما ولي الحجاز وتهامة .

وقال ياقوت : العالية ما جاوز الرُّمَةَ إلى مكة ، وهم عُكْلٌ وتيْم وطائفة من بني ضَبَّةَ وعامر كلّها وغَنيٌّ وباهلة ، وطوائف من بني أسد ،

وعبدَالله بن غطفان ومن شقه الشّرقي أبان بن درام وهم علويون .
وأهل إمَّرَةَ من بني أسد وألمامُهُم ، وطائفة من عوف بن كعب بن سعد بن سليم وعَجُزُ هوازن ومحارِبُ كلُّها وغطفان كلُّها علويّون نجديّون .

ويتّضح مما ذكره ياقوت أنه حدّد عالية نجد بمنازل القبائل التي تسكنها ، وقد أدخل بلاد ضبّة وعامر كلّها وغني وباهلة في عالية نجد ، وبلاد ضبة وغنيٌّ داخلة في حمى ضرِيَّة ، وتمتد صوب الشّرق منه ، أما بلاد بني عامر فانها تشمل بلاداً واسعة ، فبنو نُمَيْر منهم وتمتد بلادهم إلى أضاخ وجُمْح ماسَل ، ولهم مياه شرق بلدة القُويعِيّة ومنهم بنو قُشير وبلادهم فيها الرِّيب (الرين) وتمتد شرقا إلى نفود الخبراء وجنوب المَرُّوتِ وتمتد جنوبا إلى نفود الّدحي ، ومنهم الْحَرِيش والعجلان ولهم عَمَايَتَانِ (حصاتا قحطان) ولهم بطن الركا ، وبلاد السَّوادَة ، ومنهم جَعْدَة وعُقَيل : وهؤلآء لهم بلاد الدواسر ، الأفلاج والوادي والهضب والحزم ، أما قبيلة باهلة فإن لهم عِرْض شَمَامِ وتمتد بلادهم غرباً إلى غربيّ نَهْلان وإلى عَرْوَا وإلى صَبْحَا (يَذْبُل) .

ويفهم من تحديد ياقوت لعالية نجد أنها تشمل كلَّ مادفعه جبل طويق غربًا إلى حدود جبال السروات الشرقية ، وقد توسع فى التحديد مما يلي جنوب العالية صوب الشرق فأدخل بلاد بني عامر كلها ، ويتضمن ذلك دخول وادي الدواسر وبلاد الأفلاج ، ومما يلي شمال العالية أدخل بلاد غطفان كلَّها ، وهؤلآء بلادهم واقعة غرب القصيم ، وتمتد غربا شمالياً إلى بلاد فزارة وحدود الحجاز .

موضوع هـــذا الكتاب

وعالية نجد التي تحدثت عنها في هذا المعجم هي مادفعه نفود قُنَيْفذة ونفود الخبرا وصحراء الساقية غربا إلى شرقي حَضَنٍ وصحراء رُكْبة وحرة كُشب وماء السَّليلة والرَّبَذَة والقوز غربًا ، ويدخل فيما تحدَّثت عنه أيضا هضب الدواسر ووادي الدواسر في الجنوب ، ومايقع شمال بلدة رَنْيَةَ وبلدة الخُرْمة من بلاد قبيلة سُبَيْع . أما من الناحية الشمالية فإنني أقف عند حدود منطقة القصيم الإداريّة التي تلي البلاد التي تحدَّثت عنها ، لأن بلاد القصيم وعاليتها قد تحدث عنها الشيخ محمد العبودي في معجمه (بلاد القصيم) .

وتتوسط هذه البلاد بلاد قبيلة عُتَيْبة ممتدة من الحجاز إلى جبل طويق ، وتحفُّ بها من الشمال بلاد مُطَيْر بني عبد الله ، وبلاد قبيلة حَرْبٍ ومن ناحية الجنوب تحفّ بها بلاد قبيلة البُقُوم وسُبَيع والدواسر وقحطان ، وتليهم في الشرق بلاد سُبيع وبلاد السُّهُول .

وتشمل هذه البلاد عدّة إمارات تابعة لإمارة الرياض هي : إمارة الدوادمي ، وإمارة القويعيّة وإمارة عفيف وإمارة الخاصرة وإمارة وادي الدواسر ، وكلّ مايتبع هذه الإمارات من البلدان والقرى ومياه البادية وبلادها ، وتشتمل أيضا على جانب من البلاد التابعة لإمارة مكة المكرمة وجانب من البلاد التابعة لإمارة المدينة المنورة : وهي البلاد الواقعة في غربي العالية مما يلي أطراف الحجاز التابعة لهاتين الإمارتين .

وتشتمل أيضا على البلدان والقرى الواقعة في عرْضِ شَمَام وفي منطقة السرِّ التي يسكنها أُسَرٌ حَضَريَّةٌ تَنْتَمِيْ إلى قبائل مختلفة .

ولهذه الصّحراء المترامية الأطراف في بحبوحة نجد أهميّة تأريخية لأنها كانت موطن كثير ن القبائل العربية قديماً وحديثاً ، وعلى تراها جرى كثير من أيامهم القديمة ، وأشهر أيامهم المتأخرة .

وفيها كثير من الأعلام ذات الشهرة في أشعار العرب وأخبارهم . كعمايتين وصاحتين والدخول وحومل وماسل ، والريّان ودَمْخ وثَهْلان ، والنِّير وثَهْمد وجَبَلة ويَذْبُل ونَمَلَى وظَلم وأجَلَى والذَّنَائب وغيرها .

وفيها أشهر داراتهم : كدارة خِنزير ، ودارة ماسل ودارة المَرْدَمَةِ ودارة الجُثُوم ، ودارة عُكْلِيةّ ودارت وسَطِ ، ودارة مُنْيَة وغيرها ، ومعظم داراتهم واقعة في هذه البلاد ، والكثير منها لايزال معروفا باسمه .

وسكان هذه البلاد في هذا العهد قبائل عربية تنتمي إلى الأصلين العدناني والقحطاني ، وليس بينهم اختلاف في عاداتهم وتقاليدهم ، فالطابع العربي الأصيل هو الغالب على هذه القبائل في هذا العهد ، كما هو معروف لأسلافهم ، سواء منهم البدو الرُّحــل أو سكان البلدان والهُجَر المقيمون .

أما من ناحية اللغة واللهجة فانّ لغتهم هي لغة عامة القبائل العربية في نجد ، وهي لغة عامية ذات أصل عربي أصيل في مفرداتها ، غير أنهم لايلتزمون بشيء من قواعد اللغة العربية الفصيحة وتصاريفها .

أما اللهجة فإنَّ بين كل قبيلة وأخرى ، وبين كلّ بلدة وأخرى اختلافاً يسير في لهجتهم بحيث يمكنك معرفة القبيلة أو البلدة التي ينتمي إليها أحدهم إذا تكلّم ، غير أن هذا الاختلاف لا يؤثر بأي حال على معرفة مقاصد الكلام ومعانيه فيما بينهم ، لقرب لهجاتهم من بعضها ، وضعف الفوارق بينها ، ولرجوعها في معانيها إلى أصل عربيّ واحد .

مَنْهَجُ البحث

تبدأ دراسة الموضع باسمه الذي يعرف به في هذا العهد دراسة ميدانية تعتمد على وصفه الجغرافي وتحديده ، ومعرفة القبيلة التي يقع في بلادها في هـذا العهد ، ثم تُثبت هذه الحقائق بشواهـد من الشعر الشعبي إن وجدت له شواهد ، ثم بحثه في كتب المعاجم القديمة والشعر العربي القديم وتاريخ القبيلة التى يقع في بلادها قديماً .

ومن الملاحظ أن كثيراً من المواضع أصبح معروفا بأسماء غير الأسماء الواردة في كتب المعاجم القديمة ، وبعض منها دخل عليه تحريف، وهناك كثير من البلدان والقرى التي نشأت في وقت متأخر وسُمِّيَتْ بأسماء غير معروفة في كتب المعاجم القديمة، ومثلها كثير من القصور الزراعية ومياه البادية وهُجَرِهِمْ ، وفي محتويات هذا المعجم كثير منها ، وكل موضع أذكره باسمه المعروف به في هذا العهد ، ثم أذكر اسمه القديم سواء كان متغيرًا أو غير متغيّر ، أو دخل عليه شيء من التحريف أو بقي كما هو لم يدخل عليه تغيير ، ويكون تحديد كل موضع بالأعلام الواقعة حوله ، ونسبته للقبيلة التي يقع في بلادها .

المصطلحات الجغرافية

في هذا المعجم سيطلع القارىء على أسماء لتكوينات جغرافية مختلفة تعارف عامة النا س على تسميتها بهذه الأسماء في هذا العهد مثل : رِجْم ، سنَاف ، قَهَب ، زَريبة ، هضبة ، قَوِيْد ، سَمَار ، حِنّة ، جِمْش ، عَبَل ، جَلِيب ، صَفْراء ، وهذه كلها تكوينات جبلية .

وهناك مسمّيات أخرى : مثل : دعب ، تَلْعة ، وهما خاصان بمجاري السُّيول وكذلك دَحْلَة .

وهناك نوع آخر مثل : حَاجِر ، مَقَرْ ، مَحَامَة ، هجْلَة ، خفق ، وهذه تختصّ بالأَمكنة التي تستقرّ فيها مياه الأَمطار .

وهناك نوع آخر خاص بالآبار والأَوشال والينابيع مثل : رِسْ ، وطل ، مُشَاش ، سرف ، حفْنَة ، نَبَّاع .

وسأَتحدث عن هذه التعبيرات واحدا واحداً ، لتوضيح شكل مدلولها وخصائصه الطبيعية .

أولا – التكوينات الجبلية :

رِجْم : براء مهملة مكسورة وجيم معجمة مكسورة ثم ميم : قمة تكون بارزة في الجبل ، أو على حدب من الأَرض ، وهو قسمان ، رجم طبيعي من أصل تكوين الجبل مثل رجم مُغَيْرا ، الواقع شرق جنوب الدوادمي ، والقسم الثاني رجم مبني بالحجارة على مرتفع من الجبل ، مثل الرجمين اللذين على قمة جبل ثهلان المطلَّين على بلدة الشعراء ، وهما رجمان متجاوران ، تراهما من الأَرض صغيرين لارتفاع مكانهما وإذا صعدت اليهما وجدت بنايتين كبيرتين من الحجارة المرصوصة ولهما سنون طويلة منذ بنيا ، ولأَهل الشعراء فيهما شعر كثير ، كقول أحدهم حينا بداله جبل ثهلان وهما يَتَسَنَّمان قمته :

يَا حَيْ ذَاكْ السَّمارْ الّلي بَدَا كلُّـهْ
ورجُـومَهْ اللّي بْرَاسهْ كنّهـا ازوال

ويجمع الرجم على رجوم وتصغيره : رجيم ، قال الشاعر :

أنا أمّس الضّحى عذّيتَ في عَاليْ أم رُجُومْ

واخيْل الْعَـذَارىَ يَوْم لِلّزمِلْ يَنْحنّهُ

ولتسمية الرُّجم أصل في الّلغة العربيّة الفصحى .

سنَافٌ : بسين مهملة ونون موحدة ثم ألف بعدها فاءٌ موحدة ، ويجمع على سنْفَان ، وتَصغيره سُنَيّف ، وجمع التصغير سُنَيّفات- : تكوين جبلي يكون له ظهر محدّب ، ومنها ماله متن مرتفع وعر المرتقى، ومنها ماهو سهل منطرح على الأرض ، ومن أمثلة الوعرة منها : سناف الطراد ، الواقع جنوب بلدة الشعراء ، بجانب هضبة تَيْما من الجنوب .

وفي القاموس : المسنفة كمحسنة الأرض المحدبة . والواقع أن متون السّنْفَان من أفقر الصحارى نباتا .

قَهَب : بقاف مثناة مفتوحة وهاءٌ مفتوحة ثم باءٌ موحدة : تكوين جبلي يشبه السّنَاف ذا المتن المرتفع ، وقد يكون صغيرا ، غير أنه لايكون منفرشا في الأرض ولا يكون القهب إلاّ أغبر ، أو أحمر عليه غُبْرة ، وجمعه قُهْبَان وتصغيره قُهَيْب ، وجمع التصغير قهيبات .

قال في القاموس : القهب الأبيض علته كدرة ، قلت وأكثر القهبان المعروفة من هذا النّوع ، بيض تعلوها كدرة أو حمر تعلوها كدرة .

زَريْبة : بزاءٍ معجمة وراءٍ مهملة وياءٍ مثناة وباءٍ موحدة ثم هاء : جمعها زرائب ، وتصغيرها زُرَيّبة - بضم أوله وتشديد الياء وفتح الباء الموحدة - وجمع التصغير زُرَيّبات ، وهي نوعان كنوعي الرّجم ، وقد تكون مرادفة لكلمة رجم .إلّا أنها للرجوم الصغيرة الطبيعية وغير الطبيعية أكثر من غيرها ، ويقول سعد بن محمدين يحيا ، من أهل الشعراء :

أَمسِ الضُّحى في نَايِفَاتْ الزَّرَايِبْ   هَيَّضتْ شِنْ من خاطِرِي مَاهِقَى بِهْ

النايفات : العاليات ،

هَضْبَة : ــ بهاء ثم ضاد معجمة وباء موحدة مفتوحة ثم هاء ــ : قمة جبلية منفردة ، وقد تكون ذات رؤوس متعددة ومناكب عالية ، وتطلق هذه التسمية بصفة أكثر على التكوينات الجبلية ذات اللون الأحمر أو اللون البُنّي ، وتجمع على هضاب ، وتصغيره هُضَيبة وجمع التصغير هُضَيْبَات ، وهذا النوع كثير في عالية نجد ، وبعضها عال ممتنع الجوانب .

قال في القاموس : الهضبة : جبل خُلِقَ من صخرة واحدة ، أو الطويل الممتنع المنفرد ، ولا يكون إلّا في حمر الجبال .

قَوِيْد :ــ بقاف وواو بعدها ياء مثناة تحتية ثم دال مهملة ــ تكوين جبلي طبيعي يشكل امتداداً جبلياً ، لجبل يمتد على اتجاه واحد أو عدة هضاب تشكل صفا منظما في اتجاه واحد .

وتصغيره : قُوَيد ، وأصله من القود .

قال في القاموس : القائد من الجبل أنفه ، وكلُّ مستطيل من أرض أو جبل على وجه الأرض ، ويلاحظ في الأسماء في اللغة الشعبية أن اشتقاقها يأتي على غير قياس فصيح .

سَمارْ : ــ بسين مهملة وميم بعدها ألف ثم راء مهملة ــ من السَمرة وهى السَّواد ، وهي صحراء تغطيها حجارة سوداء صغيرة ، مثل سمار الراهصية ، وسَمَار الخضارة ، وقد يرد مؤنثا فيقال سمَارة والمصغر لا يذكر غالبا إلّا مؤنثا ، فيقال : سُمِيِّرة .

حِشَّةٌ :- بحاءٍ مهملة مكسورة وشين مشدَّدة مفتوحة ثم هاء - :

جبل غير مرتفع سهل المرتقى ، ويكون تارة على شكل جبيلات متلاصقة وقد تكون واسعة يتخللها طرق ومسالك ، مثل حِشَّة رَثْمة في غربي عِرْض القويعيَّة .

وإذا كانت الحشَّة معقدة وكبيرة خفية المسالك قالوا لها :حشَّةٌ متَداخلَةٌ .

وجمع الحِشَّةِ حِشَاشٌ وتصغيرها حُشَيْشَة ، وجمع التصغير حُشَيْشَات ، ولا تكون الحِشَّةُ غالباً إلَّا سوداء .

جِمْشٌ :- بجيم موحدة مكسورة وميم ساكنة ثم شين معجمة-:

أرض تكون تربتها رملية خشنة ، وتكثر فيها النتوءات الصخرية ، مثل بلاد الجِمش الواقعة شمال الدوادمي غرب هضبة جَبَلَة ، ولا يكون الجِمشُ إلا في نطاق الهضاب الحمر ، ونتوءاته الصخرية حمراء .

وجمع الجمش جُمُوش ، وتصغيره جُمَيْش ، وجمع التصغير جُمَيْشَات .

عَبَلُ : - بعين مهملة مفتوحة وباءٍ موحدة مفتوحة ثم لام : جبل يتكون جميعه من المَرْوِ الأبيض ، ويكون غالباً على هيئة قمة صغيرة منفردة ، أو جبل مدور ذو قمة وعرة المرتقى كعبل مُعَيْقِل الواقع جنوبا من بلدة الشعراء ، وهذا النوع كثير في عاليه نجد ، وتصغيره عُبَيْل قال عبد الرحمن بن محمد العُضَيَّاني في عبل مَقْذَل الواقع غرب جنوب عفيف :

فَاطْرِيْ مَرْباكْ في زَيْن المشَاحِي ... منْ عَبَـلْ مَقْذَلْ إلى ضِلْعَ الدِّفِيْنَهْ

وفي القاموس : الأَعْبل الجبل الأبيض الحجارة .

جَذِيبْ – بجيم معجمة وذال معجمة مكسورة ثم ياء مثناة بعدها باء موحدة – : حدب مستطيل من الأرض له ظهر ضيق تكسوه حجارة صغيرة ، وغالباً تكون حجارته سوداءُ – وتصغيره جُذَيب بضم أوله وفتح ثانيه ، ويذكر مذكرا ومؤنثاً ، يقال جَذِيب وجَذِيبة ، وتصغير المؤنث جُذَيِّبة – بضم أوله وفتح ثانيه – وهو من المد والانجذاب ،

وفي القاموس : جذبه يجذبه مدّه كاجتذبه .

ويقول الشاعر الشعبي عليٌّ الطويل :

يَقولْ من عَدّا بْراسَ الجِذِيبَهْ   عَدّا على عَالي طوِيْلَ المَرَاقِيْب

صَفْرا : – بصاد مهملة مفتوحة ثم فاء موحدة ثم راء مهملة بعدها ألف – : يقصد بها القِفَاف والقورُ ذاتُ الارتفاعات القليلة ، ذات اللون الأصفر والأصفر الداكن ، كصفراء السِّرّ وصفراء الوشم ، أو ذات اللون البني كصفراء مُغَيْراء ، وهذا اللون أكثر انتشارًا في البلاد الواقعة في النطاق الواقع غرب جبل طُوَيْق ، غير بعيد منه .

ثانياً مجارى السّيول :

دِعبْ – بدال مهملة مكسورة ثم عين مهملة ساكنة ثم باء موحدة : وهو مجرى قصير وضيق يدفع في الوادي أو في روافده الكبيرة – قال في القاموس : ماءٌ داعب : يَسْتَنُّ في سيله . انتهى .

وجمعه دَعَوب ، ودِعْبان ودِعَابَةٌ ، وتصغيره دعيب ، ويبدو أن اسمه مأخوذ من دَعب الماء فيه .

تَلْعَةٌ : – بتاء مثناة ولام ساكنة وعين مهملة ثم هاء –: مجرى السّيل في صدر الجبل وفي متون المرتفعات حتى تنحدر إلى الأودية ،

والتّلعة أكبر من الذّهب ، وتجمع على تِلاع وتَلْعَات ، وتَصغيره تُلَيْعة ، وجمع التّصغير تُلَيْعَات .

وفي القاموس : التلعة مسيل الماء ، جمعه تلعات وتلاع ، أو التِّلاع مسائل الماء من الأسناد والجبال حتّى ينصبّ في الوادي .

دحلَة ـ بدال مهملة وحاء مهملة مفتوحة ثم لام بعدها هاءٌ ـ : واد رَغيب يكثر فيه النبات الطويل كالثّام والهَضِيد والرِّمْثِ ، ومجراه أقصر من الوادي وأقل انحدارا ،مثل دحلة جزا ـ وانظر رسمها في موضعه في هذا المعجم ـ وجمعه دحَال .

ثالثاً : مواضع تجمع مياه السيول :

حَاجِرٌ : بحاء مهملة ثم ألف بعدها جيم معجمة مكسورة ثم راء مهملة : موضع يكون له شفة تحجز ماءَ المطر ، ويكون في الصحراء ذات الانحدار اليسير ، وتكون شفته غالبا على شكل هِلَالِيٌّ ، ويكون الحاجر خلف الآخر فإذا زاد فيه الماءُ فاض منه إلى الذى يليه وهكذا ، وبطن الحاجر غير عميق . وجمعه حُجُرٌ على وَزْنِ فُعُلٍ ، وتصغيره حُوَيْجِر .

وفي القاموس : الحاجر الأرض المرتفعة ووسطها منخفض ومايمسك الماء من شفة الوادي كالحاجور ، ومنبت الرِّمْث

مَقَرٌّ : ـ بميم مفتوحة وقاف مفتوحة ثم راءٌ مهملة مشدّدة ـ : منخفض صغير ليس له شفة بارزة ، ولا يكون عميقا ، ويكون في الصحراء غير منحدرة يَسْتَقِرُّ فيه ماءُ المطر ، وهو أصغر من الخبراء وأقل عمقا ، وجمعه مَقَارٌّ ، وتصغيره مُقَيْرٌّ ، وجمع المصغّر مُقَيْرَّات ، ويذكر مؤنثا وبصيغة أُخرى ، فيقال له قرارة ، ويجمع على قرار وفي القاموس : القرار والقرارة ماقَرَّ فيه والمطمئن من الأرض .

وفي شعر عنترة بن شداد :

جَادَتْ عَلَيْهِ كُلّ بكرٍ حُرَّةٍ فَتَرَكْنَ كُلّ قَرَارَة كَالدِّرْهَم

قال التبريزيُّ : القرارة الموضع المطمئن من الأرض يجتمع فيه السيل ، فكأن القرارة مستقرّ السَّيْل .

مَحَامَة : ـ بميم مفتوحة ثم حاء مهملة بعدها ألف ثم ميم، ثانية مفتوحة ثم هاء ـ : جُوبَةٌ مستوية محاطة بتلال أو حزم ، تدفع فيها شعاب ، وتستقر فيها مياهها ، وبعضها يكون واسعا ، ويكثر فيها الثُّمَام والجثجاثُ والمَضيد غالبا وجمعها مَحام ، وكثيراً ما تكون فى أسافل الأودية التى تتلاشى مجاريها تدريجيا وتنتهى بجانب نفود أوفي بطون الصحارى .

ويبدو لى أنه مأخوذ من الحوم ، ويراد به تحرك السيول في بطونها وإلى حافاتها .

هَجْلَة ـ بهاء مفتوحة وجيم معجمة ساكنة ولام مفتوحة ثم هاء ـ : خَبْراءُ واسعة بطنها عميق ، وتدفع فيها أودية ويلبث ماءُ السيول فيها مدة طويلة ، مثل الهجلة الواقعة شرق جبل ذِقَان وإياها يعني الشاعر الشعْبِىُّ إبراهيم بن جُعَيْثِن بقوله :

وانزلْ من الهجْلَهْ إلى النيرْ وبْحار ووادي سْدَيرْ وْكِلْ حَلاوِي ثمارِه

وفي القاموس : الهَجْل المطمئن من الأرض . وجمع الهجلة هجال .

خَفَقٌ :ـ بخاء معجمة مفتوحة وفاء موحدة مفتوحة ثم قاف مثناة ـ : خبراء عظيمة ويكون بطنها عميقاً ، تجتمع فيها السيول مثل خَفَق الشَّلَوِيّ الواقع غرب النِّير ، وجمعه خفقان ، قال شاعر من عُتَيْبة :

يَاذِيْبْ أَبا القُوسْ والْخفقَانْ والنِّبْرْ   عَانَ العَشَا في جِرَاديح الصمودْ

ويبدو لى أنهم اشتقوه من الخفوق ، بمعنى أنه يُغَيِّبْ من يقع فيه لعمقه وسعته .

رابعا – الخاص بالمياه :

رِس : – براء مهملة مكسورة ، ثم سين مهملة : هو مورد ماء يكون ماؤه قليلاً ، لا يكفي لإرواء كثير من الناس ، وكلما نزح ماؤه عاد ، ويُطلق غالبا على المياه التي تكون في داخل المضاب مثل رسّ أبو حِيْشَة ، وانظر رسمه في موضعه في المعجم .

وَطِل : – بواو مفتوحة وطاء مهملة مكسورة ثم لام : – ماءٌ ينعطف بقطرات قليلة ودائمة ، ويكون له حوض يستقر فيه ، ويزيد ماؤه مع كثرة الأمطار . ولا يكون إلّا في صدور الجبال والمضاب ، وهذا النوع كثير فى جبل تهلان .

مُشَاش : – بميم ثم شين معجمة بعدها ألف ثم شين ثانية – : أحساء تكون في بطون الأودية ، وكذلك تحفر في بطون الخباري الكبيرة بعد نشوف المياه منها ، ويكون ماءُ الرِّسْ وفيرا تبعاً لكثره السيول وانظر رسمه في موضعه في المعجم .

ومثل المشاش الثِّمِيْلَة ، وتجمع على ثَمَايل ، وتصغيره ثمَيِّلة ، إلاّ أنّها لَا تستمر طويلا ، ولا تكون الاّ في بطحاء الأودية ، وللثميلة ذكر كثير في الشعر الشعبي .

قال عبد الهادي بن جُوَيْعد العُضَيَّاني :

عَسَاهْ يِزْنِي لِي شِعِيبَ الثِّمِيْلَهْ   لَيْن انْ شعِيبْ غثَاهْ يَشْبِكْ زَهَرْهَا

سَرْف : ـ بفتح السين المهملة وسكون الراء المهملة ثم فاء موحدة ـ ماءٌ يتسرب من الجبل ، في مجرى منحدر بصفة دائمة ، ولا يبلغ حَدَّ الجريان لضحالته ، وهذا النوع موجود في ثهلان وفي هضب الدواسر.

وقال في القاموس : ذَهَب ماءُ الحوض سَرَفًا محرّكة فاض من نواحيه .

حِفْنَة ـ : بحاءٍ مهملة مكسورة وفاءٍ موحدة ساكنة ونون مفتوحة ثم هاء ـ : قَلْتَةٌ تكون في بطون أودية الجبال الداخلية ، وغالبا تكون ذات عمق ، وتدفع فيها السيول ، ويلبث الماءُ فيها طويلاً يردها الناس . وفي القاموس : الحَفْنَة الحفرة والنقرة .

والواقع أن الحَفنة حفرة أو نقرة في الوادي تتسرب اليها المياه ، وجمعها حُفَنٌ

نَبّاع : ـ بنون مفتوحة وباء موحدة مشددة بعدها ألف ثم عين مهملة ـ : ماءٌ ينبع من بين الصخور ، ويكون على قطرات قليلة ، ودائرة ، وجمعه ينابيع ، وتصغيره نُبَيْبِيْع ، وهو مشتقٌ من النبع ، وهذا النوع كثير في جبل ثهلان .

البلدان وهجر البادية والقصور الزراعية :

البلدة أو البلد : يراد به القرية التي شملها شيء من التطور العمراني والاجتماعي ولم تبلغ درجة المدينة في نموها وتطورها .

القرية : ويراد بها قرى الحضر القديمة التي لم تنم نُمُوّاً واضحاً في عمرانها وعدد سكانها .

الهجْرَة القديمة : هي الهجرة التي أُسِّسَتْ في عهد المغفور له الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود ، واستقرت فيها قبيلة من القبائل ، في الوقت الذي أفلحت فيه سياسته الاصلاحية في تحويل البادية من

حياة البداوة والترحال إلى حياة الاستقرار والتحضر مثل هجره عَرْوَا التي تأسست عام ١٣٣٦ هـ وهجرة الغُطْغُط قبلها عام ١٣٣١ هـ

الهجرة الحديثة أو المحدثة : الهجرة التي تأسست في آخر حياة الملك عبد العزيز أو بعد وفاته مثل هُجَر الجِمْش : العبل ، عصما ، عصام ، العقلة ، أو هجر النِّير : الجمّانية ، أو أبو عشرة ، وغيرها .

القرية الزراعية : هي القرية التي يعمل أهلها في الزراعة وليس لهم فيها سوق تجاريّ .

القصر الزراعي : هو قرية صغيرة يسكنه أسرة أو أسرتان ، ويعمل أهله في الزراعة ، ويسكنون بجانب زراعتهم .

وقد تحدثت أثناء حديثي عن هذه البلدان والمواضع عن أثر النهضة الاجتماعية والعمرانية والزراعية التي شملت هذه البلاد ، ضمن النهضة الشاملة التي شملت بلدان المملكة العربية السعودية ، والتطور السريع الذي أخذ يبدو في كل جانب من حياة الناس ، في مختلف شؤون الحياة ، وقد دونت عن كل بلد وموضع لمحة تاريخية موجزة ، وضَمَّنْتُها التعريف بالسكان وأعمالهم في كلٍّ منها .

وقد رتبت هذا المعجم ترتيباً هجائياً ، ودونت أسماء المواضع حسب سماعها في هذا العهد ، وما هي معروفة به بين أهلها وسكانها ، وما وردت به في أشعارهم وأخبارهم ليسهل التعرف عليها في هذا المعجم .

الرياض شهر ربيع الأول سنة ١٣٩٨ هـ

سعد بن عبد الله بن جنيدل

كتابة التاريخ

(كانت مجلة « العرب » نشرت للأستاذ الدكتور عبد الله العثيمين بحثاً من أبحاث(الندوة الأولى لتاريخ الجزيرة) فى الجزء الخاص بتلك الندوة حول اعتبار الشعر العامى مصدراً من مصادر التاريخ ، وقد ورد للمجلة هذا التعليق للاستاذ ناصر العمرى ، جاء فيه مانصه : (قرأت البحث المعلق عليه فى مجلة « الفيصل » ثم قرأته فى مجلة « العرب » وموضوع مجلة « العرب » يختلف اختلافاً غير جوهرى عما نشر فى مجلة « الفيصل » وفى البحث أخطاء فى نصوص الشعر لم أتعرض لها ، وفيه أشياء أخرى بحاجة للتحقيق ، وكتابتى هنا عابرة ، كتبتها دون رجوع إلى مرجع أو نص) .

و « العرب » ترى من حق كل قارىء أن يعبر عن رأيه صريحا ، حول كل ماتنشره ، ولهذا فهى تنشر ماكتبه الأخ ناصر العمرى ، وإن كان فيه ماهو خارج عن الموضوع ، وفيه ما هو بحاجة إلى مزيد من الدراسة وعمق البحث ، ولا داعى للاسترسال فى الموضوع ، لضيق المجال فى هذه المجلة) .

الاطلاع على الحوادث التاريخية التي تستحق التسجيل للتاريخ والتجرد عند تسجيلها من أية نزعة أو غرض يؤثر على تصويرها كما وقعت ، من الأمور المهم توفرها في المؤرخ . ولكن أين هذا المؤرخ المتجرد الخالص من الهوى ؟ ! المؤرخ الجبرتي أنصف الدعوة التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأنصف آل سعود بعيداً عن النزعة المؤثرة متجرداً من الهوى ! . والدكتور عبدالله العثيمين يريد اتخاذ الشعر النبطيّ مصدراً من مصادر تاريخ نجد ؛ والحقيقة أن الشعر الشعبي سِجِلٌ حافل بحوادث الدهر ، لكن الشعر كمصدر للتاريخ يحتاج إلى انصاف الشاعر لخصمه والمحافظة على نص قول الشاعر ، وبعض الشعراء ينصفون خصومهم وآخرون منهم يحطون من قدر خصمائهم ! وفى التاريخ أشياء

لا يقبلها العرف ولا العقل، ونجد في الشعر النبطي ما هوأصدق من التاريخ حتى وإن كان الشاعر خصماً في التاريخ لابن بشر رحمه الله عن وقعة بقعا أن أهل بقعا مسكوا أهل القصيم حتى جاء إليهم أهل حائل فهل يصدق هذا القول؟ ابن بشر رحمه الله لا شكّ أنه نقل ما وصل إليه إن لم يكن قد عُبِثَ بتاريخه وأن هذا القول ليس قوله أما رواية الشعر لوجود أهل القصيم في بقعا فتقول :

جِينا صباح وهم لنا مِستِكِنِيْن ۝ وْثَارَ الدَّخَنْ من حَرّ صَلْوَ الفتايِلْ

والرواية التاريخية لاتذكر أنه عَنَزَة مع أهل القصيم في بقعا ، لكن شعر عُبَيْد بن علي يذكر أنها (صارت على القصمان وأولاد وايل) وعنزة حلفاء لأهل بُريدة من قديم الزمن وقصيدة عبد الله العلي بن رشيد التي قالها بعد التجائه إلى جُبَّةَ ووجه فيها اللوم إلى عيسى بن علي فيها بيت عجْزُهُ هكذا : (وَدْوَهْ يَمّ العرفجيّة تْرويه) وهو يرِدُ بعد البيت الأوّل المنشور في رأس الصفحة ٨٥٩ من مجلة العرب ـ فهل أُسْقِط هذا البيت من قبل مقبل الذكير أم من قبل الدكتور ابن عُثيمين ؟ وهذا البيت له قصة تاريخية : امرأة من أهل بُريدة من تميم من بيت إمارة أخذتْ ثَأْرَها فقتلتْ قاتل ولدها ولهذا مدحها عبد الله العلي بن رشيد بقوله :

إن كانْ مانِرْوِيْه من دَمّ الأَضْدَاد ۝ وَدْوَهْ يَمّ العرفجية ترويه

أما وقعة بقعا بين أهل القصيم وأمير حائل وأتباعه فسببها أن صالح ابن عبد المحسن آل علي أمير حائل المعزول والمعين بَدَلَهُ عبد الله العلي ابن رشيد تحول إلى بريدة ، وبقي في جوار أميرها عبد العزيز بن محمد آل عُلَيّـان فحاول عبد الله العلي بن رشيد وأتباعه خطفه من بيته في بريدة

فانْتَبَه بهم أهل بُرَيْدة ، وأدركوهم وأنقذوا منهم صالح بن عبد المحسن آل علي ، فغضب عبد العزيز بن محمد آل عُلَيَّان أمير بُرَيْدَة ، وعزم على غزو حائل وانضم إليه وساعده أمير عُنَيْزَة ، وأهل عُنَيْزَة ، فحصلت وقعة معا ، لكنْ هل رُوِيَتْ لنا أخبارها كما هي لا أظنُّ ذلك ! ؟ وقف الدكتور عبد الله العثيمين عند قصيدة الشاعر الكبير الوفي محمد العبدالله العوني المسماة (الخلوج) فقال بأنَّ فتح الشاعر العوني للهاء في ضمير الغائبة على خلاف عادة أهل القصيم لاينفي كون القصيدة للعوني وهو من أهل القصيم ! ياسبحان الله قصيدة العوني الخلوج قالها بعد معركة الصَّريف ، التي خسرها أهل بُرَيْدَة وأعوانهم مبارك الصَّباح ومُغَيْر وآل سعدون وكسب المعركة ابنُ رشيد ، فقال العوني هذه القصيدة يثير فيها حماسة أهل بريدة الموجودين بالشَّام ومصر والعراق والكويت ، ويثير فيها نخوة المنتفق ومبارك الصباح ، وهذ القصيدة كانتْ أعظم قصيدة شعبية تدعو للثَّوْرة على حكم عبد العزيز بن رشيد ، وقد وضع أهل بُرَيْدة آلاف الجنيهات لحرب ابن رشيد بين يدي أميرهم صالح الحسن وتَجمَّعُوا حموله فجاءُوا من الشام والعراق ومصر والكويت يقودهم صالح الحسن لاستعادة بُرَيْدَة وعموم القصيم من حكم ابن رشيد ، وتَمَّ لهم النَّصر فلم تَقُمْ لابن رشيد قائمة بعد حركة أهل بريدة . وهذه القصيدة لايوقف عندها مثل وَقْفة الاسْتِدْلال على اللَّهْجَة فالشعراء عمومًا في نَجْد : لهم لغة شائعة بينهم معْروفة يعرفها الشُّعَراء والمهتَمُّون بالشعر ، وهذه القصيدة (الخلوج) كانت جديرة بالوقوف عندها وقفة تاريخيَّة ولكن كما قلت : من يكتب التاريخ !؟ التاريخ يُثْبِتُ أنَّ عَبْدًا لأمير عُنَيْزة كان يغير على أطراف حائل ، ورواية الدكتور عبد الله العُثيمين تقول بِأنَّ أمير عُنَيْزَة في عام ١٢٦١ قام بإغارة

على أطراف حائل مردٌ عليها عبيد بن علي بغزوة انتقامية قتل فيها أمير عنيزة ، ومن المعروف أن غزوة أهل القصيم حيث كمنوا لابن رشيد وأتباعه في بقعا كانت اعتداءً على أطراف حائل ، ونجد في شعر عبد الله العلي بن رشيد المنشور في ص ٨٦٠ من مجلة « العرب » ذكر محاولة اغتيال عبد الله ابن علي بن رشيد ويذكر الدكتور الشيخ عبد الله العُثيمين في أول الصفحة المذكورة أن أهل عنيزة حاولوا اغتياله ولكن هناك قصة وشعر أوردهما الشيخ فهد المارق[1] في كتابه « من شيم العرب » يوضحان أنَّ عبد العزيز بن محمد أمير بريدة أرسل رجلاً لاغتيال ابن رشيد وألقى القبض على الرجل وعفى عنه ابن رشيد ، ونقول له مرة ثانية : من يكتب التاريخ للحقيقة والتاريخ ؟ ! وما دمت ذكرتُ وقعة بقعا ووقعة الصِّريف فإنَّ إمام جامع بريدة وخطيبه وهو قاضي بريدة الشيخ سليمان العلي بن مُقبل لما علم أن أمير بريدة عبد العزيز بن محمد بن عُلَيَّان يَعْتزم الكرة مرة ثانية على حائل بعد وقعة بقعا قام وخطب في جامع بُرَيْدة خطبة الجمعة بحضور الأمير عبد العزيز بن محمد العليان ، ونهى عن إثارة الفِتْنَة ، وبعد الصلاة قام الأمير وتكلم في المسجد وتهدَّد وتوعد . وأظهر عزمه على الحرب ونهى الناس عن الإلتفات لقول الخطيب[2] ولكن يظهر أن دعوة القاضي الشيخ سليمان العلي المقبل وجدت تأييدًا من أهل البلدة فلم يَغْزُ أمير بريدة حائل بعد وقعة بقعا وهناك رواية تقول بأن ركبًا من أهل حائل عادوا من الرياض نهبت إبلهم في مكان في القصيم ، وهذا سبب الحرب بين أهل عُنَيْزَة وأمير حائل ، ومع ذلك أكرر قولي : من يكتب التاريخ ؟! أمّا وقعة

(١) توفى رحمه الله فى جمادى سنة ١٣٩٨

(٢) أورد الشيخ عبدالله البسام فى ترجمة ابن مقبل من كتاب « علماء نجد خلال ستة قرون » ماجرى بين الخطيب والأمير من الكلام ، وفيه إقذاع من الأمير « العرب » .

الصريف التي انتصر فيها عبد العزيز بن رشيد على أهل بُرَيْدَة وأعوانهم فإنَّ ابن رشيد كان قد علم بحركة مبارَك الصَّباح وصالح الحسن في الكويت ضدّهُ فسبقهم إلى بُريْدَة ، وأخذ من شباب بُريدة ورجالها الأشدّاء خمسمائة مُقاتل ، وأبعد بِهِم عن بريدة ، ولما وصل مبارك الصبّاح وصالح الحسن المهنّا إلى بريدة ، ومعهم أعوانهم وبعد مضي شهور زحف إليهم عبد العزيز ابن رشيد ومعه أعوانه ، ومعه خمس مئة رجل من أهل بُريدة وكان يحاذر من اتِّصَالهم بِبُرَيْدة أو بأحدٍ من أهلها . وقبل تحرّك ابن رشيد إلى أرض معركة الصريف أرسل أهل بريدة صَبِيًا إسمه فائز القليش ومعه كلمة تحذير لأهل بُريدة الذين مع ابن رشيد فأمسكه ابن رشيد وهمَّ بِقَتْله ، ولم يعْرِف كلمة السِّرِّ التي يحملها الصبيُّ وقد فُتِّشَ فلم توجد معه رسالة ، وقد خلصَهُ من القتل الشاعر الصغير حيث كان أحد الرجال الذين مع ابن رشيد ، وعند دخول ابن رشيد للمعركة ركب حصانهُ وجاء إلى أهل بريدة الذين معه وقال لهم : أمامكم مبارك الصَّبَاح جاء يُريد بلادكم بريدة ، وهذا خطٌّ من أهل بريدة يقولون (أنْتَ في نَحْرِه وحنّا في ظهره) فوقعت الحرب وانتصر ابنُ رشيد ، وبعد انتهاء المعركة شاهد أهل بُريدة الذين مع ابن رشيد جُثث جماعتهم في المعركة فعرفوهم ، وأدركوا أنَّ ابنَ رشيد خَدَعَهُمْ ، فانصرفوا عنه ، ومن الذين انصرفوا الشاعر الصغير فقد اتّجَهَ من مكان المعركة إلى العراق ومعه إبلٌ أعْطَاه إياها عبد العزيز بن رشيد ، وكان قد أعجب عبد العزيز بن رشيد ، فضمه إلى صدره وقَبَّلَهُ والشاعر الصغير من ألَدِّ أعداء ابن رشيدٍ ، وشاركه في حربِهِ البُكَيْرِيَّةِ وغيرها ولكنه قد انضم إلى ابن رشيد قبل وقعة الصّريف غير عالم بغاياته ، ولم يكن يعرف من هو خصم ابن رشيد إلاَّ أنه دعي للغزو

مع ابن رشيد فلّي ، ولايَسْتَطِيع الفكاك من إجابة أمر أمير بُريدَة قبل وقعة الصريف ، وبعد الوقعة فعل عبد العزيز بن رشيد بأهل بريدة وبأهل الكويت أفعالاً قاسِيَّة لايعرف التاريخ في نجد لها مثيلاً فقد قتل أهل بريدة وأهل الكويت صَبْرًا بعد المعركة ، ثم صادر أموال أهل بُريدة وهدم بيوتًا كثيرة في بُرَيْدَة ، وهي البيوت القريبة من قصر الحكم مع أنها لم تكن مُلاصقة للقصر ، وبينَهَا وبين القصر شوارع واسعة وساحات ، ولكنه أراد الانتقام من أهل بُريدة ولم يفعل في بِلدان القصيم الأُخرى مثل فعله في بريدة ولكن أيظنُّ القارىء أنَّ ابن رشيد لم يخسر رجالاً في معركة الصريف ؟ لقد خسر عددًا كبيرًا من رجاله ومن أهل بيته وأيٌّ بعيد عن معركة الصريف لايعرف عنها إلا أنَّ ابن رشيد انتصر على صالح الحسن ومبارك الصَّبَاح ، والمنتفق ومُطَيْر في المعركة ، ولكنَّ الحقيقة غير مايعرفه البعيد من الناس عن المعركة لقد اعترف حمود العُبيْد بن رَشيْد بشجاعة أهل بُرَيْدَة وشبابهم حتى وصفهم بأنهم أشجع من عيسى وموسى وداود [1] استمع إليه أو اقرأ قوله في المعركة يرثي ولده سالماً الحمود المقتول في وقعة الصريف :

يَابُو حمَدْ تَبْكِيْكَ بِيْضَ الدْلاَلِ	وتَبْكِيَك حمر عِيْفَر(؟)بِيْض الْخُدوْد
وتبكيك شَقْرًا كنهاأمُّ الغزال	الِلي تغِزّ الرَّاسْ واللّيْل مَكْنُودْ
عَرَّضْتَهَا لمهـذَّبين العيـال	اللِّي يعضُّون النَّوَاجِذْ عَلَى الْكُوْدْ
اللِّي مواقفِهِـم نَهَـارَ القتالِ	مَاياقفهُ عيسى وموسى وداود
تحسبهم(؟) مُقطعين الشَّيَال	اللِّي تجارَتْهُمْ بِمخلْتِيْت وجَلُوْدْ

(١) وقد أخطأ في قوله ، فالأنبياء أجل وأرفع قدراً مما توهمه « العرب » .

ويقول حين رأى ماجدا (صويبا) على الفرس :

هَـلاَ هَلاَ فيكْ يَاالْوَجْعَـانْ   ياالِّلي صُوَابكْ جَرَحْ كَبْـدِي
يَااخْوَ الطِّـرِيْحَيْن بَالْمَيْـدَانْ   اللِّي سبَايِبْهُـمَ (الرِّبْـدِيْ)

وهو هنا حين قال : (يا اخو الطريحين بالميدان) يقصد وَلَدَيْه سَالماً ومُهَنَّا حيث قُتلا في المعركة معركة الصريف ، فإذا كان حمود العبيد قُتل له ولدان وجرح ولده الثالث فكيف بالآخرين من أتباع ابن رشيد ؟! وأنت أيُّها القارىء تدرك من قول حمود العبيد إنصافه أهْل بريْدة ، واعترافه بشجاعتهم وتدرك السبب الذي جعل عبد العزيز بن رشيد يقْتل عبد الرحمن الرِّبْدِيَّ ، وهو أكبر أو من أكابر أهل بريدة قتله صَبْرًا وقتل معه ولده سليمان العبد الرحمن الربدي ، وصادر أموال بيت الرِّبْدِي ، الذي كان أغنى بيت تجاريٍّ في القصيم ، وقد أخذ منهم عبد العزيز ابن رشيد سبعين ألف ريال فرانسي وهم تُجَّار خَيْل وإبل وغَنَم وعقار في بُرَيْدة ، ولكنه لم يُصادر أملاكهم الزِّراعيَّة ولا بيوتهم ، ولم يَعْتَدِ على حرمات بيوتهم إلاَّ لطلب المال ، لقد قتل ابن رشيد خَصُوْمَهُ صَبْرًا بعد وقعة الصريف في مكان المعركة ، ثم نصب مخيما بين بريدة والصريف وجعل من هذا المخيم مجْزَرَةً لأَهل بُريدة ، ولأَهل الكويت وبعض أَهل بريدة اتجهوا بعد المعركة إلى المدينة وإلى العراق وإلى الكويت ومن الشام والعراق ومصر والكويت تحرك أهل بريدة مرة ثانية بقيادة زعيمهم وأميرهم الرجل الصالح الأمير صالح الحسن المهنَّا ، وهو أمير وابن أمير وحفيد أمير أما والدته فهي مزنة الجار الله العُقَيْلي من أمراء المذْنَب ، .

وللحقيقة والتاريخ أقول بأَنَّ آل مُهَنَّا ساعدوا محمد العبد الله بن رشيد على حكم نجْد ، فبهم استطاع الوصول إلى حكم نجد وبآل مُهَنَّا قُوِّضت

إمارة آل رشيد في حائل وغيرها ، ولقد نصح أصدقاءُ عبد العزيز بن رشيد له بأقوالهم : إنه لنْ يحكمَ بُرَيْدة إلا إذا رضي أهلها وأن، لن يَتِمَّ لَهُ حكم نَجْد إلا بمصالحة أهل بُرَيْدَة ورضاهم ، ولكن الرجل كان شجاعاً إلى حَدِّ التَّهَوُّر ، وظَالماً ، ولقد قال [1] أحد آل رشيد لأهل حائل بعد وقعة الصَّريف وهم في بُرَيْدة : خُذُوْا ترابًا من أرض بُرَيْدَة فلا أظن أنكم تدخلون مدينة بريدة مرة أخرى ! إن قتل الرجال ومصادرة الأموال ، وهدم البيوت لايبني عليها قاعدة حكم ! إن العرب لا تنقاد عن كراهية ، العرب لا تنقاد إلا عن رغبة ، ولقد ابْتُلي أهل بريدة بما لم يُصَبْ به أحد غيرهم بكوارث الحروب وأهل بريدة رجال تجارة واقتصاد ، لا يلتفتون إلى الحكم ، ولا يرغبون في الحكم لأنه يشغلهم عن تجارتهم وأعمالهم الاقتصادية وأهل بُرَيْدة تبعوا آل سعود في عهد الدِّرعية برغبتهم دون حرب وحينما قام عبد العزيز بن محمد آل عُلَيَّان أمير بريدة بحرب آل سعود تخلص أهل بُريدة منه ، وطلبوا تعيين مُهَنَّا الصالح أَبَا الْخَيْلَ أميرًا لبلادِهم وحين قام محمد العبد الله أبا الخيل بحرب ابن سعود تخلص منه أهل بريدة ، ولكنهم حفظوا له دَمَهُ وماله وكرامته هو وأتْبَاعه ، ودخل ابن سعود مدينة بريدة صُلْحًا برغبة أهلها وخرج منها محمد العبد الله الْمُهَنَّا ومع كل ذلك أقول من يكتب التاريخ ؟! ،،،

الرياض ناصر السليمان العمري

(١) حذفنا اسم القائل ، إذ لا داعي لذكره « العرب » .

بلدة الوجه

(صدر حديثاً القسم المتعلق بشمال المملكة من « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » وننشر فيما يلي نماذج منه ، لإطلاع بعض القراء ممن كثر استيضاحهم عن الطريقة التي اتبعت في تأليفه ، ومنهم الأخ أحمد شحاتة ، من بلدة الوجه) .

الوَجْهُ : – على الاسم المعروف – كان هذا الاسم يطلق على واد من أودية تهامة ، ينزله الحجاج القادمون بطريق الساحل من مصر أو الشام ، ولهذا كثر ذكره في رحلات الحج . كما كان يطلق على ميناء تقع في مصب ذلك الوادي في البحر .

ففي كتاب « منازل الحجاز »[1] : بعد ذكر الحوراء – ثم تسلك بين جزيرتين تسمى الحلق ، ثم إلى جزيرة أم اللك ، إلى جزيرة شيبرة ، وتضيق الشعاب والجزائر إلى مضيق رتقة الزريعا (؟) إلى جزيرة ريعا (؟) إلى مرسى الوجه ، وعليه في البحر جزيرة (....) بها حجر عظيم ، طريق القلزم ، يأخذون هناك ن الركاب البشارة ، ثم إلى مرسى الرُّسِّ (؟) في بلد جهينة ، ثم إلى مرسى زاعم . انتهى . على عدم وضوح كثير من الأسماء التي أوردها ، ولعل الجزيرة القريبة من مرسى الوجه كان اسمها ريقا ، وهي تعرف الآن باسم (رايجة) في الجنوب من ميناء الوجه ، تشاهد رأي العين .

وكلمة (الرس) ليس بعيدًا أن تكون تصحيف (زبيرة) وهي مرسى بين رأس الأبيض ورأس الأزْلَم ، ولكنها تقع بعد مرسى زاعم بمسافة بعيدة ، ومرمى زَاعم هو الذي يلي مرمى الوجه بجواره .

---

(١) ينقل من كتاب « نظام المرجان في مسالك البلدان » مؤلف في أول الخامس (سنة ٤١٤ وهو لأحمد بن أنس العذري كما أوضحت ذلك في بحث نشر في « العرب » ص ١٢ جزء القعدة والحجة سنة ١٣٩٧ .

وقال العبدري في رحلته – وقد حج سنة ٦٨٩ : ومن كفافة إلى الوجه ثلاثة أيام ، وهو ماء عذب طيب ، في أصل الجبل مثل الأول ، ولكنه ليس في الغزارة والإ كان مثله ، ووقعت فيه في بعض الأعوام في الحجاج مقتلة عظيمة ، قتلهم العرب ، وانتهبوهم – وأشار إلى رسالة ابن المنير – وكان الحجاج مغاربة ، والركب المصري قد تخلف ذلك العام فتجاسر المعاربة على النفوذ ، فاتفق لهم ما اتفق ، والوجه هو منتصف الطريق ، على التحقيق . انتهى .

ونص ما جاء في رسالة ابن المنير : وحيًا الله الوجه وإن كانت عليه تلك الواقعة ، فما أحسنه إذا لمحه الفكر وإن كانت عليه السيوف لامعة انتهى .

وقال ابنُ فضل الله العمريُّ في كتاب « مسالك الأبصار »[١] – في وصف الوجه –: هو جفارٌ في وادٍ يسيح ماؤه ليلا ويشحُّ نهارًا ، يَرِدُ[٢] ماءه كأنه ماء النيل والفرات ، وكثيرًا ما يحصل للحاج على منزله العذب زحام ، ويقع بينهم بسببه مشاجرات وخصام . انتهى .

وقال في « درر الفوائد المنظمة »[٣] : (وحصل في بعض السنين عطش شديد بالوجه ، وبينه وبين الأزلم ، سَبَبُهُ قلة الماء الذي كان صحبة أهل الركب ، وعلم وجوده في الوجه ، أدى ذلك إلى موت جماعات كثيرة بالطرقات[٤] . . . . وعادة هذا المورد المسمى بالوجه إذا كان مطر يحصل به عامة النفع والإنعاش والرِّيُّ التامُّ للوفد ، وماؤه أطيب مناهل الحجاز ، فإذا نزحت آباره لقلة المطر أو لعدمه – كما في زماننا هذا فإن له إلى آخر سنة ٩٦٠ نحو الثمان سنوات لم يقع في تلك الأرض

(١) « درر الفوائد المنظمة » : ٤٠٠ .

(٢) لعل الضمير في (يردماءه) يعود لركب الحج ، إن لم تكن الكلمة محرفة عن يبرد ماؤه أي بارد ماؤه .

(٣) ص ٢٨١ .

وماحولها مطرٌ مطلقاً ، وكان الأمير جانم الحمزاوي لما حصل في سنة ثلاثين تلك العطشة المشهورة في زمنه [1] جهز معماريةً صحبة أمين العمارة لاصلاح الآبار التي هناك ونَزْحِها ، وتَوْسيعها ، فإن المعهود بها قديماً هي البئر المالحة التي في الرحبة ، وهذه المستجدّات المنسوبة إلى إبراهيم باشا هي التي أُصلحت بمعرفة جانم الحمزاوي ، من مال إبراهيم باشا الوزير الأعظم ، ثم بعد العمارة رتّب لها مبلغاً قدره من الفضة الكبار أربعة آلاف لمشايخ الدرك بالوجه ، عن خدمة هذا الماء والآبار ، وتنظيفها خوفاً من مشاق العطش الواقعة في هذا المحل وماوالاه ، فأقام بعد ذلك سنوات والحجاج تروي منه وترده وترحل عنه ، وهم في دعة من الرواء وأمن من مقاساة ألم الشكوى ، إلى أن أخذت الآبار في النقص ، وقل المطر الوارد إلى ذلك الوادي ، فصار الحجاج تارة يستمون دون جمالهم، وتارة يبيتون ويراعون أحوال الماء ، قليلا قليلا طول الليل ، إلى أن يحصل لهم الريُّ أو دونه . فلما لم يحصل في ذلك الوادي مطرٌ مدّةَ هذه السنين العديدة إلى تاريخه ، وكذلك ما حوله وما قرب منه وادي الأزلم وإلى بعد الينبع بمراحل ، فصار لسلوك تلك المحجّة مشقّات : منها — وهو الأهمّ — عدم الماء بالوجه مطلقاً ، إلا البئر المالحة جدًّا التي بالرحبة ، ومنها شدة ملوحة الماء الذي في غير هذا المنزل ، لقلة المطر أو عدمه ، كأكره ، والأزلم ، والحوراء ، فإنه عندوجود السيول والأمطار ، ومخالطتها لتلك المياه يسوغ شربُها . ويطيب رحبها ، ومنها عدم نبت الحشيش لمرعى الجمال بتلك الأودية ، وإن وجد فهو كالمحرق من شدة الجفاف وعدم النفع . ومنها عدم وجود الأغنام ، أو وجودها في أشدّ حالة

(1) في سنة ٩٣٠ وكانت تسمى سنة العطشة بالوجه ، وكانت في عهد إمرة جانم بن قصروه دوادار ابن السلطان قانصوه الغوري وتولى إمرة الحج سنين آخرها سنة ٩٥٦ ه .

المزال ، لعدم ما تقتات به ، وعدم وجود السمن ، وقلة ما تجلبه العربان من تلك الأودية والمنازل ، أو عدمه مطلقاً لمشقة سلوكها هناك والحالة هذه . ولقد تعطّل نقل حبّ الدشيشة . ولي من أبيات في هذا المعنى ، مُضَمِّنًا :

مَرَرْنَا بوادِي (الْوَجْهِ) وَهْو مِنَ الْحَيَا عَلِيمٌ وقد خَابتْ ظُنُونٌ وآمَالُ
وَقَدْ كَانَ لِلعَافِين أطْيَب بُغْيَة يَسُوغُ بِهِ لِلْوَفْدِ وِرْدٌ وتَرْحالُ
إذَا أمَّهُ الصَّادِي أتى كُلّ صَالِحٍ وَقَدْ عَمَّهُ أُنسٌ وريٌّ وإقْبَالُ
فَما بالُهُ ـ لاغَيَّر اللهُ حالَهُ ـ وعَادَتُهُ بِالفَخْرِ يَزهُو ويَخْتَالُ
تَبَدَّلَ بَعْدَ الأُنْسِ خَيْبَةَ آمِلٍ وجَفَّ لَدَيْه ماصَفَا وَهْوَ سَيَّال
وأَوْحَشَ هَذَا (الوَجْهُ) بعد نَدائه ومَا ذَاكَ إلاَّ أنَّ أهْلَ النُّهى قالوا :
(إذَا قَلَّ ماءُ الْوجْه قلَّ حياؤُهُ) وعَنْ حيِّه أهْلُ الموارِدِ قَدْ حالوا

وقال النابلسي [1] : الوجه هو المنزل الثامن عشر من منازل الحاج ، وهي قلعة عامرة بين جبال ، بها أربعة أبراج . وفيها منارة ، وفيها أناس يسكنونها ، وعندها آبار من المياه التي تغلب عليها الملوحة ، ولها بركة كبيرة تمتلىء أيام الحاج ، وما أحسن قول الشيخ برهان الدين القيراطي (ابراهيم بن عبدالله المصري ٧٢٦ـ ٧٨١ هـ) :

أَتيْتُ إلَى الْحِجَازِ فَقُلْتُ لَمَّا تَبَدَّى وَجْهُهُ لِيَ ، وَارتَوَيْت
وَكَمْ في الْأَرض مِنْ وَجْه مَلِيْح وَلكِنْ مِثْلُ وَجْهِك مَا رَأَيْتَ

وله أيضاً :

أَقولُ وَقَدْ جِئْنَا إلَى الوَجْه جَمْعُنَا عِطَاشاً وَكُلٌّ خَابَ فِيْه رجَاؤه
إذا قَلَّ مَاءُ الْوجْهِ قَلَّ حَيَاؤُهُ وَلَا خَيْرَ فِي وَجْه إذَا قَلَّ مَاؤُه

(١) « الرحلة الكبرى » ، الورقة ١٧ مخطوطة فينا .

أخذ المصراع الثالث الشيخ محمد بن نور الدين الدرا فقال :

شَكَا أَهْلُ وجْه قلَّة الما بأَرْضِهِم ۞ وأن الْحَيا شَحَّت عَلَيْهِمْ سَمَاؤُ

فَقلتُ لَهُمْ قَوْلا لَهُمْ فيهِ سلْوَةٌ ۞ (إِذَا قلَّ ماءُ الْوَجه قَلَّ حَيَاؤُهُ)

وما ألطف قول القُطْب المكيِّ [1] في منزل الْوَجْه :

أَقُولُ وَوَادِي الْوجْهِ سَال مِنَ الْحيا ۞ وقَدْ طَاب فِيْهِ لِلْجَمِيعِ مُقَامُ

عَلى ذَالِكَ الْوَجْهِ الْمَلِيحِ تَحِيَّةٌ ۞ مُبارَكَةٌ مِنْ رَبِّنَا وسلامُ

وقلنا :

طَاب لَنَا الطَّرِيْقُ مِنْ مِصْر إلى ۞ أَرْض الْحِجَاز وَالْهَوَى يَنفِي الْوَسَنْ

وَالْوَجْهُ قَدْ قَابَلَنَا بِطَلْعَة ۞ بَهِيَّةٍ ، فَيالَه وَجْهٌ حسنْ !

وقلنا :

قَدْ سِرْتُ مِن مصر إلَى الْحِجَازِ في ۞ أَمْنٍ مِنَ الله يَزِيدُ شُكْرُهُ

وَالْوَجْهُ قَدْ قَابَلنِيْ بِلاَ حَيَا ۞ لٰكِنَّنِي لَمْ أَلْقَ شَيْئًا أَكْرَهْ

– والتورية في لفظة (أكره) فإنها اسم المنزل الذي بعده .

– ثم ذكر خبر مركب فيه اناس من الهنود ، أتوا من السويس إلى الحجاز ، فانكسر مركبهم بقرب قلعة الوجه وغرق بعضهم ، وخرج بعضهم إلى الساحل ، فجاؤا إلى قلعة الوجه ينتظرون من يَدُلُّهُمُ الطريق مما يفهم منه أن ميناء الوجه لم تكن عامرة في عهده – وكان مَرّ سنة ١١٠٥ هـ – أول القرن الثاني عشر .

وقد وجد الشعراءُ في كلمة (الْوَجْه)وقلة مائه في بعض السنين ، وغزارته في بعضها مجالا واسعًا لنظم الشعر فيه يحسن إيراد طرف منه [2] في إيراده دفع للملل ، وإن لم يتجاوز شعر العلماء .

---

(١) هو قطب الدين النهروالى مؤرخ مكة فى زمانه ، انظر ترجمته مفصلة فى مقدمة « البرق اليمانى فى الفتح العثمانى » من منشورات دار (اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

(٢) للتوسع فى ذلك انظر مجلة « العرب » س ٣ ص ٣٢١-٣٢٥ .

قال ابن أبي حَجَلَة [1] :

أبَا سَادَةً في (الوَجْه) فُزْتُ بقُرْبكُم ... وَلَمْ أدْرِ أنّ القُرْبَ يُؤْذِنُ بالْبُعْد
سَرَيْتُمْ إلى (أكرَا) فَشَرَّدْتُمُ الكَرى ... وَخَلَّفْتُمْ فِي الوَجْه دمْعِي عَلى الخَدّ

وقال الفيومي المكي [2] :

ولَمّا وَجدْنَا (الوَجْهَ) عِنْدَ وُرُودِهِ ... خَلِيًّا مِنَ الماءِ الفُراتِ فَنَاؤُهُ
زَمَمْتُ مطِيِّي ثُمّ قُلْتُ : تَرحّلُوا ... فَلاَ خَيْرَ في وَجْهٍ إذا قَلَّ مَاؤُهُ

وللحافظ ابن حجر العَسْقلاني ـ وقد مرَّ به فوجده مُسْنِتًا :

أتَيْنَا إلى الوَجْهِ المُرَجّى نَوَالُهُ ... فَشَحّ وَلَمْ يَسْمَحْ بِطِيبِ نَدَاهُ
واسْفَرّ عنْ وَجْهٍ ، وَما فِيهِ من حَيا ... فَقلْتُ : دَعُوهُ ، مَا أقَلَّ حياهُ !

ولما عاد إليه وجده ممطوراً قد صفتْ مشاربه ، واخضرت جوانبه ، فقال :

أرانَا الجميلَ (الوَجْهُ) مُعْتذرًا لَنَا ... فَأوْلَيْتُهُ شكْرًا ومَازِلْتُ مُثْنِيَا
وَأطْرَقْتُ نَحْوَ الأرْضِ رَأسِي خَجْلَةً ... ومااسْطَعْتُ رفْعَ الرّأسِ من كثْرَةِ الحيَا

وللمنصوريّ في الوجه وقد مَرَّ به سنة ٨٨٧ [3] :

أقُولُ وَقَدْ جِئْنَا إلَى الوَجْهِ نَرْتَوِي ... وَنَصْطَبِحُ الحُجّاجَ مِنْهُ بِمَاء
ألَا إنّ هٰذَا الوَجْهَ قَلَّ حيَاؤُهُ ... وَلَا خَيْرَ في وَجْهٍ بِغَيْرِ حَيَاء

وقال الخَيَارِيّ المدنيّ في الوجه :

وَرَدْنَا لِماءِ الوَجْهِ حَقًّا عَلَى ظَمَا ... فَلِلّهِ مَا أهْنَاهُ شرْبًا وَمَا أمْرَى
وقَدْ كَانَ حَلَّ السّمْعِ عَذْبُ صِفَاتِه ... وأنَّ بِهِ لِلنّيْلِ يُسْتَحْسَنُ الذِّكْرَى
فَقُلْتُ لِساقِينَا : اسْقِنِي مِنْهُ شَرْبَةً ... وَلَا تَذْكُرِ (الحوْرَا) لَديَّ وَلَا (أكْرَا)

---

(١) « درر الفوائد » ٥٢٤ . (٢) رحلة كبريت : ١٦ .
(٣) أوراق مخطوطة في خزانة الزركلي ، وانظر ترجمة المنصوري في « نظم قلا ئد العقيان » .

وقال الخياري[1] : ولم أدْرِ لتسميته الوجه وجهاً ، لأنه ـ كما عُلِمَ ـ مُعَجْرَفُ الاوضاع ، ليس به انبساط واتساع ، ومن غريب أمره أنه ضيّقُ المدخل والمَخْرج ، بحيث يقع من الزحمة عند دخوله والخروج منه الأمر العظيم ، فكاد يدرك الهلاك ـ لولا لطف الله ـ العميم ، ولقد قلت : إن تسميته بالبطن أنسب ، لما حواه من التلول وضيق المدخل والمخرج ، إلا أنهم كأنهم راعوا علوبة مائه ، ولا أعذب من المياه التي وقعت في كلام العرب[2] من ماء الوجه انتهى .

وقال الزبادي المتوفى سنة ١١٦٣ ، عن الوجه : وفيه حصن حصين ، في جوف واد كبير ، يخرج من بين جبلين ، والناس يهابون النزول في أصل الوادي ، إذا كان وقت السيول ، فيرتفعون إلى أعاليه ، وفي الوادي عدة آبار بعضها حسن ، وبعضها ذو أسَنٍ ، والتي فوق البندر أحسن من التي تحته ، وداخل البندر بئر تُسْنَى بالبقر ، وتصبُّ في ثلاث برك خارج البندر ، لصق حائطه ، والناس يحملون من هذا المحل ماء كثيراً لما استقبلهم ن المسافات العريضة ، ذات المياه البشعة والبعد عن العمارة ، وفي هذا البندر ـ كغيره ـ عسكر وأمير ، وهو آخر البنادر التي في طريق الدرب (؟) وليس بعده عمارة إلى الينبع الذي هو أول عمارة ببلاد الحجاز ، على طريق الحاج ، ويخزن في هذا البندر مايحتاجون في الإياب من طعام وعلف دواب ، وهو آكَدُ موضع للخزن ، لأن الركب في الرجوع قد يصل إلى هذا المحل قبل وصول المتارين للطعام من مصر إليه ، فيغلو الفول والطعام ، غاية تعجز عنه الأثمان في بعض الأوقات ، هذا ما كان عليه الحال قبل هذا الزمان بأعوام ،

---

(١) رحلته القسم المخطوط ـ (٢) كذا ولعله تحريف : (وقعت فى الدرب) .

أما اليوم فمنذ سنين صار عملة الحاج على بندر العقبة والمويلح وعلى ينبع ، وأمّا ما بين المويلح وينبع فلا عملة لهم عليه في طعام ولا علف ، سوى الماء عند الحاجة إليه ، وجُلّه قبيح ، فلا ينزلون في هذه المفازة كلها إلا النزول المعتاد ، الذي لا يحصل بدونه المراد ، ويسمونها اليوم العشارية لأنها عشر مراحل متوالية لا إقامة فيها . انتهى .

وقد مرّ المزراويّ التامراويّ المغربي سنة ١٢٤٢ حين حج فكتب ما هذا نصه : (فوصلنا الوشي (؟) وفيه دار للمخزن وآبار . وأصعب مراحل الدرب بين الحورا الوشي إذ لا ماء بينهما ، فيموت الناس والبهائم فيه من العطش ، ويتركون فيه الضعفاء والبهائم كثيرًا ، ولتحمل الماء من نظفه (؟) قبل الحورا بيوم ، إذ ماؤه طيب حلو ، وماء حورا خبيث رديء يضر بالناس ولتحمل في نظفة (؟) ما يكفيك من الماء خمسة أيام) انتهى . و يلاحظ أن هذا الرحالة حاكي العامّة بكتابة اسم (الوجه) كما تنطق العامة هناك فهم يدغمون الجيم في الهاء فيقلبون الحرفين شينا مشددة (الوشّ) لا (الوشي) كما وقع هنا .

أما (نظفه) فصوابها (نبط) ولعل التحريف خطأ مطبعي في كتاب «المعسول» الذي نقلنا عنه[1] .

تَنْبِيهٌ : كل ما تقدم يتعلق بالمكان الذي كان من منازل الحجاج ، وهو يقع شرق الميناء على مسافة غير بعيدة ، أما بلدة الوجه التي تقع على ساحل البحر فقد نشأت حديثاً . ولهذا فلم يرد لها ذكر في رحلات الحج فيما قبل القرن الثالث عشر . وقد ذكرها رحالة متأخرون .

وليس معنى هذا أن ميناء الوجه جديثة . وإنما المقصود البلدة ،

(١) أورد رحلته صاحب كتاب « المعسول » ج ٨ ص ١٩٧ .

إذ قد تقدم ن النصوص مايفهم منه قِدَمُ الْمَرْسَى ، ولعله درس ، ثم جدد في عصور متأخرة ، أو أ ه ن المراسي التي لم تُبْنَ فيها منازل ولم تَنْشَأْ قُرى . ويحسن إيراد بعض ما ذكر الرحالون عن بلدة الوجه .

قال محمد صادق باشا — يصف الوجه سنة ١٢٩٧[(١)] — : مينا متوسطة من مِيَنِ الْقُلْزُم ، مُعَدَّةٌ للسفن ، وبها برج مشيَّدٌ على جبل شاهق ، مشرف على البحر في ارتفاع ٥١ مترا ، به مدفعان وثلاثون عسكرياً و(صاغ قول أغاسي) محافظ ، وبيوت صغيرة ، وسوق وثلاثة جوامع وتجار ، وأهاليها نحو الخمس مئة تقريباً ما عدا العربان المقيمين هناك ، والخضار معدوم بها ، وبها بئر ماؤها عذب تحمل منها المياه إلى القلعة . انتهى .

وقال المخزومي في رحلته[(٢)] — وقد مر بالوجه في شهر شوال سنة ١٣٠٦ بعد أن مر بينبع البحر في سفينة شراعية : (وعلى سبعة أيام وصلنا الوجه ، بلدة حقيرة متوسطة البناء ، فقابلنا تجارها وأعيان أهلها ، وعزمونا ، وكان الوقت ضيقًا ، ومرادنا نتوجه فاعتذرنا ورجعنا إلى السفينة ، وإذا هم مرسلون لنا ثمانية رؤوس أكباش من الغنم وقائلون : هذه ضيافتكم فأعطيناها أهل السفينة التي نحن فيها وشكرنا فضلهم ... وفي وقت الفجر قامت بنا السفينة وقطعنا البحر ، وفي يوم وليلة وصلنا بندر القُصَيْر ، والوجه آخر الحجاز . انتهى .

وأقول : بلدة يُقَدِّمُ أهلها ثمانية كباش لضيفهم لا يليق أن توصف بالحقارة ، ولكن الكاتب يقصد ضعف تلك البلدة وقلة مبانيها . وقد أوردنا كلامه لأنه يدل على حالة البلدة في أول هذا القرن .

---

(١) « دليل الحج » ١٩ .   (٢) « الرحلة الحجازية » ص ٢٨ .

ووصف البتنوني بلدة الوجه – سنة ١٣٢٧ هـ بأنها قرية فيها نحو أربعين بيتًا صغيرا ، وعدد أهلها لا يزيد عن ٥٠٠ نفس ، كلهم تقريباً عائلة واحدة تدعى (عائلة بُدَيْوِي) وفيها ثلاثة مساجد ، يقصدها في أيام الجمعة كثير من العربان التي في ضواحيها ن قبيلة بَلِيٌّ . وكان لقرية الوجه أهمية عندما كان يمر بها ركب المحمل ، فقد كانت تنصب فيها الأسواق ، وتفرق فيها العوائد على العُرْبان ، أمّا الآن فحياة أهلها من صيد الأسماك ، وتجارة السمن والأصواف والفحم الخشبيّ الذي يُؤْتي به من داخل البلاد ، وأغلب تجارتها مع السُّويس ، ومنها تقوم في كل ١٥ يوماً إحدى مراكب (الشركة الخديوية) .

وزار فِلْبِي الوجه سنة ١٩٥١ – فقال عنها : يقدر العارفون سكان الوجه بـ١٥٠٠ نسمة ، وبلدة الوجه اليوم أقل ثراءً ورفاهية مما كانت عليه قبل الحرب العالمية الثانية ، عندما كانت ميناءً للفحم الذي تزود به البواخر الخديوية ، وغيرها من السفن التجارية ، وقد حُظِرَ تصدير البضائع وخاصة السمن التي كانت أسواق مصر تطلبه بكثرة ، والشيء الوحيد الذي تصدره الوجه هو فحم الخشب ، يشحن على (السنابيك) في أكياس وزن الواحد منها قنطار ، ويباع في السويس بـ١٢٥ قرشاً مصرياً ، وكانت ميناء الوجه نشيطة في تصدير الأغنام – قبل حظر التصدير – إلى السويس .

ومدينة الوجه قسمان : أعلى وأسفل ، وفي كل قسم عدد من البيوت والأعلى بيوته أحسن ، وإن كانت أقل ، ويشرف على القسم الأسفل قلعة كبيرة ، فوق هضبة عالية فتبدو رائعة وإن لم أرها من الداخل ، ويحلها

(١) «أرض الأنبياء» : ٣٢٩ .

رجال الشرطة . وفي القسم الأسفل السوق وهو نشيط وكذا دوائر الحكومة.

وكانت الوجه قديماً تعتمد في مياه الشرب على عدد من الصهاريج التي تجتمع فيها مياه الأمطار ، أما الآن فينقل الماء من وادي السُّبَيِّل ، الذي يبعد نحو ستة أميال من آبار هناك ، ويقرب هذه الآبار تقوم القلعة الصليبية [1] المشهورة باسم قلعة الزُّرَيْب ، وقد زرتها برفقة الدكتور د . ج هوغارث في يناير سنة ١٩١٨ في طريق عودتنا من جدة إلى العقبة فالسويس ، بعد أن بحثنا سياسة شبه الجزيرة العربية مع الملك حسين . انتهى ملخصًا .

وقال صاحب « مرآة الحرمين » [2] :– وقد مر بالوجه سنة ١٣١٩ هـ :
الوجه قرية صغيرة بها مايقرب من ١٥ بيتاً ، ويسكنها حوالى ٥٠٠ أصلهم من الصعيد والقُصير ، وبها قلعة وثلاثة مساجد وزاويتان ، وحوانيت على الشاطيء وثمانية صهاريج لحفظ ماء المطر . والسمك رخيص ، والحبوب غالية ، وعيشها شمسيّ كالذي يصنعه أهل الصعيد ، ويَتَّجِرُ أَهْلها في السَّمْلي والأرز والحبوب الأخرى ، ترد إليها من السويس والقُصير ، على مراكب شراعية ، وللبلدة محافظ ملكيّ وأمين جمرك وأمين حساب وقاضٍ شرعي وكاتب ، وقسم عسكريّ من المشاة والمدفعية ولا تمر بالبلدة بواخر البريد أو غيرها إلا مرة في السنة أو مرتين ، وليس بها طبيب . ويقولون : إن مركزه بالعقبة ومركز الصَّيْدَلِيّ بالوجه : (شتان بين مشرق ومغرب) وبالبلدة مكتب صغير لم أجد به شيئًا من كتب التعليم ، فأرسلت له أجزاء من القرآن الكريم يعلم بها أولاد الفقراء . انتهى .

---

(١) لماذا دعاها (صليبية) لعله توهم أنها من آثار الصليبيين وهذا خطأ ، فقد أنشئت لحماية الحجاج القادمين بطريق الساحل .

(٢) ١-٩٠٠ . وقد صورت بلدة الوجه سنة ١٣٢٦ في كتاب « مرآة الحرمين » ٢ ص ٢٣٠

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم

« تاج العروس من جواهر القاموس »

.. رأيت لدى أحد الإخوان جزءاً من مجلة « العربي » وفيه مقال لكم عن « تاج العروس » أعجبت به .

أرجو أن تتفضلوا ببعث نسخة من ذلك الجزء ، مع إخباري بثمنه وأجرة إرساله ...

سعيد مرضي
كلية الآداب جامعة الكويت

العربي : لقد تحدث رئيس التحرير عن كل الأجزاء التي اطلع عليها من مطبوعة الكويت ، وليس من اليسير إرسال جميع الأجزاء التي نُشر فيها ما يتعلق بذلك الكتاب ، ويستطيع الأخ الاطلاع عليها في مكتبة الجامعة .

وها هو بيان تلك الأجزاء :

الجزء الأول من الكتاب – في المجلة (ج ٥ س ٥)
» الثاني » » » » (ج ٧ س ٥)
» الثالث » » » » (ج ١ س ٦)
و (ج ٨ س ٥)(١)
» الرابع » » » » (ج ٢ س ٦)
» الخامس (٢) ....
» السادس (ج ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧/٨ س٦)
» السابع (ج ٦ س ٦)

(١) وفي ج ١١ س ٥ رد الأستاذ عبد الستار أحمد فراج على .
(٢) لم يطلع عليه رئيس التحرير ، ولهذا لم ينشر منه شيئاً .

الجزء الثامن	(ج ١٠ س ٦)
« التاسع	(ج ١ س ٧)
« العاشر	(ج ٦ س ٧)
« الحادى عشر	(ج ٢ س ٨)
« الثاني عشر	(ج ٧ - ٨ - ٩ - ١٠ س ٨)
« الثالث عشر [1]	....
« الرابع عشر	(ج ١ - ٢ - س ١٠)
« الخامس عشر	(ج ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - س ١١)
« السادس عشر	(ج ٩ - ١٠ - س ١١)

الفقع أم الكماة ؟

..في وسط نجد يقولون : الفقُع - بالفاء والقاف والعين المهملة - وفي شمالها يسمونه الكما - بالكاف بعدها ميم فألف فأيهما أصَحّ ؟ !

عرعر - سعيد بن عناد

العرب : هما اسمان لمسمى واحد ، غير أن « الكَما » حذفت منه الهمزة ، كعادة العامة فهم يحذفونها أو يسهلونها ألفاً أو واواً أو ياء .

وفي « النقائض » [2] في شرح قول جرير يهجو الفرزدق :

وَفي أيّ يَوْم لم تكونوا غنيْمَةً وجاركُمُ فَقْعٌ يُحالِفُ قَرْقرَا ؟ !

الفقع : أردأ الكَمْأة . والقَرقر : القاع المستوي من الأرض .

يقول : إذْ توطَّؤون فلا تَمْتَنِعُونَ ، كما لاتمتنع الكَمْأة ممن أخذها .

وفيه أيضاً في شرح قول جرير [3] :

أَهُلْبَ اسْتِهَا فَقْعًا بِشَرٍّ قرارَة بِمدْرَجة بين الحُزُونَة والسَّهْل

(١) لم يطلع رئيس التحرير على هذا الجزء ، ولهذا لم يتحدث عنه .

(٢) : ١٠٠٠ (٣) ص ١٦٢

الحلب : الشعر . والفقع : الكمأة البيضاء ، فَقعٌ وفَقعةٌ ، وجبءٌ وجَبْأةٌ . والجَبْءُ الأَحْمَرُ والأَسْوَد جميعًا .

ويقال للأحمر من الكمأة وللأسود جميعاً جبأة [1] . ومنها بنات أَوْبَر ، وهي كَمْأَتٌ صغار زُغُبٌ .

ومنها الذّعاليق والبرانيق ، وهي إلى الطول .

ومنها المغارِيد : وهي صغار مستديرة ، واحدها مغرود .

ومن جنس الكمأة : الذآنينُ ، واحدها ذؤنون وهي نَبْتٌ في أصول الأَرْطَى. سألت أبا جعفر عن الذآنين. فقال : نبت كأنه البصل ، ثم يَجِفُّ ، فيخرج منه شبيه بالخنافس ، وقد رأيته ، وأَطْعمتُهُ جملي .

ومن جنس الكمأة وليس بها الطراثيث ، واحدها طرثوث ، وهي تنبت في أصول الرمث .

والكمأة تنبت في أصول الأجرد والقصيص ، وهما ضربان من الشجر. والعساقِلُ والقعابِلُ : صغار شبيه ببنات أوبر ، إلا أنها أكبر منها .

وأنشدها محمد بن القاسم الباهلي :

ولقد جنيتُك أكْمُؤًا وَعَسَاقلاً ولقد نهيْتكَ عن بناتِ الأَوْبَرِ

وأنشدنا النَّمَرِيُّ : وعساقلاً ـ مكان قعابل انتهى .

والقول بأن الفقع أردأ الكماة ، يظهر أن سبب ذلك أن الفقع هو ماتنفقىء (تنفقع) عنه الأرض ، أي تنشقّ ، فيصير مُعَرَّضًا لما يأكل منه أو يطأه ، وهذا النوع هو المعروف باسم (الزُّبيدي) ـ بضم الزاي ـ وهو

---

(١) وفي كتب اللغة الجبء : الكمء الأحمر . والكمء الأسود والسود خيار الكمأة . جمعه أجبؤ وجباء وجبأة . قال الراجز :

إن أحيحامات من غير مرض ووجد في مرضه حيث ارتمض

عساقلا وجبأ فيها قضض العساقل : جمع عسقول وهو ضرب من الكمأة أبيض اللون . والقضض : بعض التراب والحصا .

أبيض اللون يفقّ ، وكثيرًا ما كان مُصَلَّعًا ـ أي واضحاً على ظهر الأرض.

ويقول أبناء البادية في اسجاعهم : الْخَلاسِيْ حقّ رَاسِي ، والزُّبَيْدِي للوُلَيْد، والجُبيَّه للبُنَيَّة . فهم يعتبرون الخلاسِي من أجود أنواع الكمأة .

وهم يستدلون لى الفقع بنوعين من النبات ، أحدهما الرِّقة (الأرقة) والثاني الرقروق ، ويقولون : الفَقْع حول الأرقة ، والارقة متفرقة . ويقولون : إذا شفت الرقروق ، ترى الفقع نازٍ فوق .

وبنات الأوبر يسمونها الآن (الهوبر) أبدلوا الهمزة هاء ، من قبيل التسهيل أمّا الذآنين فهو نبت لا صلة له بالكمأة ، إنه يخرج من أصول الشجر ، في الأرض الرملية قضبانًا حمراً ممتدة ، مغطّاة بوريقات قصيرة جدًا ، ورأس القضيب فيه زهرة صفراء كبيرة ، وتمتد جذور الغصن في الأرض ، وهو غصن واحد ، ويكون ريّان بالماء ، وطعمه سمج . وهو يسمى بأسماء مستهجنة ، مثل (...) الكلب أو (...) الرّاعِي ، لأنه مستطيل أحمر يشبه الذكر .

وهو لا يؤكل [(١)] .

أما الطراثيث فهي قريبة الشبه بالفَقْع ، ولكنّ الطرثوث يخرج من الأرض ، وله ساق مُرتفع ، قدر الشبر ، وله رأس مَدَوّر ، وهو يؤكل نيئًا ومَشْوِيًا ومنه نوع أبيض ، يدعى العراجين ، واحدها عرجون

وفي «النقائض» [(٢)] في شرح قول جرير :

ولقـدْ تركْت مُجَاشعًا وكأنَّهم فَقْعٌ بِمَدْرَجَةِ الخميس الجحفلِ

---

(١) ورد في الأثر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لراشد بن عبد رب السلمي ألا تسكن الأعراب قال : ضيعتي لابد لي منها .

قال : لكأني أنظر إليك تقوء أمثال الذاونين ، حتى تموت . فكان كذلك . والأعراب هنا الثغور . فكأن عمر رضي الله عنه أراد منه أن يذهب إلى ثغور المسلمين ليجاهد هناك لحمايتها .

(٢) ص ٢٢٤ .

فَقْعٌ : كمأة بيضاء كبار ، يضرب بها المثل في الذل ، يقال : أذلُّ من فقع بقاع ، لأنه يوطأ ويأكله الطير وغيره . انتهى .

وقد ورد المثل (فَقْعٌ بقاع) و (فَقْعة القاع) في كثير من كتب الأدب .

ويحسن التنبيه إلى تحريف وقع في هذا المثل من أديبين جليلين هما الأمير شكيب أرسلان والأستاذ خير الدين الزركلي – رحمهما الله – فقد أورد الأستاذ الزركلي في كتابه « ما رأيت وما سمعت » في الكلام على الطائف وتراجم بعض مشاهيرها أورد المثل : (امتنع زياد وهو قفعة القاع ثم أورده الأمير شكيب في كلامه على الطائف أيضًا محرَّفًا ومُفَسَّرًا تفسيرًا غريبًا ، وبعيدًا عن المقصود ، قال الأمير شكيب[1] (ونقل الخير الزركلي عن ابن حزم ما يلي : امتنع زياد وهو قَفْعَةُ القاع : القفعة بفتح أوله القُفَّةَ من خُوْصٍ وقد يكون أعلاها ضيِّقًا وأسفلها واسعًا ، وفي لبنان يصغرونها ويقولون قفوعة ، وأما القاع فالأرض المطمئنة والمقصود بذلك أنه ليس بشيء في نسبه وحسبه ، لاعشيرة له ولانسب ولاسابقة ولاقدم ، فما أطاقه معاوية إلا بالمداراة حتى أرضاه وولاه . انتهى .

وأي صِلة بين القفعة التي هي القفة ، وبين القاع ؟ ! ثم أي معنى في القُفَّة من الضَّعة حتى يمثل به زياد ؟ !

بنو تميم بمنطقة حايل

رئيس تحرير مجلة العرب .

وبعد فلدي بعض الملاحظات على التعليق المنشور في ص ٧٨٩ ج ٩ ، ١٠ س ١٠ من مجلة « العرب » على ما جاء في بحث الرحالة (موزل)

(١) « الارتسامات اللطاف » ص ٢١٧ الطبعة الثانية .

أرجو نشرها في مجلتنا العالية .

زعم صاحب التعليق (أبو عبد العزيز) أن قول موزل : « ينتمي أكثر سكان جميع القرى في جبال أجا وسلمى وما حولهما إلى بني تميم » لايستند إلى شيء من الحقيقة .

وأقول : إن كلام موزل لاغبار عليه فهو حينما قال ذلك لم يكن هناك سوى قرى بني تميم ، أمّا سكان منطقة جبل شمّر من غيرهم فكانوا بادية لم يتحضّر منهم الاّ القليل آنذاك ، وقد درج المؤرخون على تسمية بني تميم في منطقة الجبل بـ (حاضرة جبل شمّر)

وزعم (أبو عبد العزيز) هلاك بني تميم وأنه لم يبق منهم إلاّ بعض الأفراد في قفار وقصر العَشروّات بِسفح أجا من الشرق وبعض الأُسر المحدودة في قرى رمان – جنوب غرب حائل .

ويفنّد هذا الزعم أدلة منها :

أولاً : أن هناك الآن مايربو على خمس عشرة قرية لا يسكنها سوى بني تميم .

ثانيا : أن الحمّى (الملاريا) لم تُصب بني تميم في قفار إلاّ بعد خروج جماعات كبيرة منهم انتشرت في مواطن في منطقة جبل شمّر .

ثالثاً : – ورد ذكر بعض قرى بني تميم في القصيدة الّتي استشهد أو علق (أبو عبد العزيز) على شرحها . تقول القصيدة : –

سِقْنا تمِيمٍ عن دْيار الْخشَيْمـات   سَوْقَ الظّوَامِي عن زْلَالِي نَهَرَهـا
سقنـاهم للـروْضَه والمِسْتجِدّاتْ   وفْرَافْرَة لَهْ منْ يِقَلّـعْ شجرهـا
ويغربِي سَلْمَى للمفيدات مَشْهاتْ   كِلٍّ يْحَدّرْ مَرْزِقه منْ وَعَرْهـا

والقرى التي ورد ذكرها من أكبر قرى حائل الآن – وهي الرّوضة

والمستجدّة ـ والسليمى التى وردت فى القصيدة باسم (فرافرة) اسمها القديم ثم السَّبعان ـ أشار إليها الشاعر بقوله : وبغربيّ سلمى للمفيدات ـ حيث أنها تقع في سفح جبل سَلْمَى من الغرب وهي موطن آل مُفيد من ذلك التاريخ إلى اليوم ، وآل مفيد مشهور عنهم الخشونة والقسوة وشدة البأس ، وكان دوّاس بن عفنان هو أمير السُّبعان ، أثناء حروب الملك عبد العزيز رحمه الله ، وكان موضع ثقة آل رشيد ، وعندما سار جلالة الملك عبد العزيز لفتح حائل كانت قوة من الجيش تسير بقيادة ابنه الملك فيصل رحمه الله الذي ضرب الحصار على السبعان [1] فحاول ابن عفنان الاستنجاد بحكومة حائل في حين كان حكم آل رشيد يلفظ أنفاسه الأخيرة ، مما اضطر ابن عفنان للتسليم بعد أن أمّنَهُ الملك فيصل رحمه الله وأهل قريته على أرواحهم .

إضافة إلى ماذكر في القصيدة هناك ـ قرية الغزالة ـ جنوب غرب حائل ـ وقصر العُشروّات الآنفة الذكر ـ والمهاش ـ والوُسَيْطا ـ وشعيب الحِفَن وبدائع المستجدة ـ وبدائع السبعان ـ وسَميراء . . الخ كلها لبني تميم مع من بقي في قفار والأُسر المتفرقة في قرى شمّر وكذلك منها الأُسر المقيمة في مدينة حائل .

هذه بعض المعلومات أردت توضيحها وإلاّ فهناك المزيد ، فسبب خلاف أهل قفار مع ابن رشيد وكيف أشعل نار الفتنة بينهم ـ ثم كونهم دعامة لجيش ابن رشيد وحروبهم مع البوادي يحتاج إلى وقت طويل.

عبد اللطيف بن صالح التميمي

---

(١) « صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار » لابن بليهد .

الخماعلة وصلتهم بالفقراء

يسرني أن أبعث هذه الرسالة وأن أعرفكم بنفسي أولا : أنا شايح ابن محمد الفقير العنزى من قبيلة الفقراء ومن فخذ المغاصيب الساكنين في مدائن صالح (الحجر) والعذيب والذين ورد ذكرهم في مجلة العرب بعددها ج ٢و٤ س ـ ١٢ ـ رمضان وشوال ١٣٩٧ هـ الموافق أيلول وت ١ سبتمبر ـ اكتوبر ١٩٧٧م رحلة إلى العلا ، وإنني أشكركم جزيل الشكر وأقدر انقومون به من جهد للمحافظة على تاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري ، وأرجو الله أن يمدكم بعونه وتوفيقه

فضيلة الشيخ: أحب أن أوضح بهذه الرسالة الأخطاء التي وقعت في ذكر قبيلة الفقراء سواء كانت هذه الأخطاء بقصد أو بغير قصد من المصدر .

ورد في مجلتكم بالعدد المشار إليه أن قبيلة الفقراء ينقسمون إلى أقسام هي (١ ـ آل مبارك ـ ٢ ـ الشفقة ـ ٣ ـ الجمعات ٤ ـ الحجور ٥ ـ الصقرة ـ ٦ ـ الخماعله . بينما الصحيح أنهم ينقسمون إلى خمسة أقسام رئيسية هي : ـ ١ ـ الشفقة ٢ ـ الجمعات ٣ ـ المغاصيب ٤ ـ الزوارعة ٥ ـ الحجور فقط .

ويلتحق بقبيلة الفقراء فخذ الصقره .

أما بالنسبة لقبيلة الخماعلة فهي قبيلة مستقلة عن الفقراء ورئيسها الشيخ صياح بن نابت الخمعلي ولا ينطبق عليهم اسم الفقراء غير أنهم بالسابق كانوا ينضمون تحت لواء الفقير .

وإنني أقترح إذا رغبتم الحصول على معلومات أوسع عن قبيلة الفقراء الرجوع إلى الشخصيات الآتية ، الشيخ صياح بن رحيل الفقير من آل مبارك والشيخ هجر بن سلطان بن دوشان رئيس فخذ المغاصيب ، والشيخ كريم بن جبل رئيس فخذ الجمعات والشيخ دالش بن حمدان أبو قرينات من الحجور والشيخ حامد بن حمير من فخذ الشفقة وغيرهم من كبار الفقراء وعندهم الخبر اليقين .

أما بالنسبة للخماعلة فإن أخبارهم وأقسامهم ستجدونها عند رئيسهم الشيخ صباح بن نابت الخمعلي وليس الفقير .

أرجو التكرم بتلخيص هذه الرسالة بالطريقة التى ترونها مناسبة ونشرها بالعدد القادم لمجلة العرب ليطلع عليها القراء الكرام وأنا مستعد لأيٍّ استفسار عما ذكرته وعنواني (المراسم الملكية الرياض) مع قبول فائق احترامي وتقديري . شايع بن محمد الفقير العنزى

أبو دلف الينبعي

... نقلتم في مجلة « العرب »س ١٠ ص ٥٧ كلامًا يتعلق بأبي دُلَف ، الينبعيّ ، فيه نقص جعله غير واضح ، ألا يوجد ذلك الكلام تامًا في مصدر آخر فتتفضلون بذكره ؟ ! . المدينة — عيسى عوين

العرب : كان الاصل الذي نقلنا عنه ذلك الكلام هو نسخة من «الرحلة الكبرى» لابن عبد السلام الدرعي ، والكلمات الناقصة غير واضحة في المخطوطة ، ويظهر أن مصدره كتاب « الروض المعطار » فقد قال مؤلفه .

في كلامه على ينبع [1] ، ومنها أبو دلف الخزرجيُّ الينبعيُّ ، ذكره الثعالبي في « اليتيمة » وكان شاعرا مُتَشَيِّعاً وهو القائل :

دارَ السّلامِ هَنيئاً ... بدعْوة ابن الرَّسُولِ
جَاءَ النَّهارُ وَوَلّى ... ظلامُ تِلْكَ الذُّحول
ما إنْ رأيت حصانا ... حماله في النصول
نورٌ مِنَ اللهِ سامٍ ... هادٍ لكل خَذول

قال هذا لما ثار أرسلان التركي البساسيري سنة ٤٥٠ في بغداد على الخليفة القائم بأمر الله داعياً لصاحب مِصر ، مَعَدٌّ المستنصر بن الظاهر العُبَيْدي . والبساسيريُّ مملوك تركي سما بنفسه إلى أن صار قائدا . . ولما

---

(١) ص ٦٢٠ وص ٤٠٦ .

استولى على بغداد ركب يوم عيد النّحْر إلى المصلى ، وعلى رأسه الألوية المستنصرية فصلّى ، وأنشده الشعراء ، وكانْ فيهم أبو دلف الخزرجي الينبوعي المتشيع ، فوقف تحت البُنُود البيض وأنشد :

دار السلام هنيئا – الأبيات –

فأمر له بإحسان جزيل . انتهى .

وتجدر الإشارة إلى أن لصاحب هذه المجلة بحثا عن أبي دُلَف هذا نشر قبل سنين ، في مجلة « المنهل » وقد رجع إليه أحد الكتّاب فألف كتابا صغيراً عن أبي دُلَف ، زعم فيه أنه مجهول بينَ أدباء هذه البلاد !! أو ماهذا معناه – وقد انكشف أمر هذا الكاتب أخيرا وأقيمت عليه قضيّة تتعلق باختلاس بعض ماجاء في مؤلفات ، أصحابُها معروفون .

بنو صخر وصلة نسبهم بطيء

... ذكرتم أن بني صَخْر من طيّء .

– في « العرب » ج ٥ و ٦ ص ٤١٩ السنة الثانية عشرة ولكنكم لم توصلوا نسب صَخْرٍ إلى طيّء ، فمن أيّ فروع طيّء . .

الرياض – سائل

العرب : حُبًّا وكرامة – هو صخر بن جَرْم – وجَرْم لقب ثعلبة – ابن عمرو بن الغوث بن طيّء .

على ما في كتب النَّسَب مثل كتاب « الجمهرة » لابن الكلبي ولابن حزم .

وعلى مانصّ عليه نصر بن عبد الرحمن الفزاري الاسكندي ، في كتابه الذي لايزال مخطوطا [1] . فقد قال : متالع : جبل في بلاد بني جَرْم لبني صَخر بن جَرْم ، بينه وبين أجاليلة . انتهى .

ومتالع لايزال معروفا .

---

(١) في « المتحف البريطاني » نسخة منه .

• عن هذا وذاك :

مقالات لمعالي الدكتور غازي بن عبد الرحمن القصيبي ، نشرت في الصحف ، ثم جمعت في كتاب بلغت صفحاته ١٦٨ مطبوعا ، وهو من منشورات (دار الوطن) في الرياض وطباعة (مطابع البادية) فيها . وقد صدر هذا العام .

ومن عناوين بعض تلك المقالات يتضح موضوعها : – عن الوحدة العربية – عن الشعر والشعراء – رأي في التعلم – نحن والحضارة الغربية – عن (الرشوقراطية)[١] – الانسان الصغير والكرسي الكبير – هل للشعر مكان في القرن العشرين ؟ – حكاية (بيروقراطية) خيالية – استهواني من تلك العناوين اغربهما ، ولكن الاستغراب انتقل إلى إعجاب ، فليس كبيراً ولا كثيرا من أحد رجال الدولة الكبار إدراكه لأشد الأدواء استشراءً وفتكا بين من يتولون مقاليد أمور الأمة في جميع مرافقها وفي كل قطر من أقطارها ، لا في بلادنا وحدها . وتبقى إذن وسائل العلاج ، وهذا مايجعل الأمر بالنسبة للواعي المدرك القادر على معالجة ذلك الداء – كمعالي الوزير القصيبي – محتّماً ، والتبعة عظيمة .

• حطب الليل :

عنوان مؤلف جديد لمعالي الدكتور عبد العزيز بن عبد الله الخويطر

أي المرتشون .

ـ وزير المعارف ـ مقسم إلى ثلاثة أقسام ـ ١ ـ مقالات نشرت في جريدة «الجزيرة» عام ١٣٨٨ بعنوان (من حطب الليل) بتوقيع (حاطب ليل) من أول الكتاب إلى ص ١١٨ ـ ٢٩ مقالة

٢ ـ مقالات نشرت في جريدة «الرياض» عام ١٣٩٠ بعنوان (دلوماء) وبتوقيع (ماتح) من ص ١٢٢ إلى ١٧٢ ـ ١٦ ـ مقالة

٣ ـ مقالات كتبت للاذاعة عام ١٣٨٦ بعنوان (فكرة اليوم) من ص ١٧٥ إلى آخر الكتاب ص :٢٤٣ـ١٧ مقالة ـ فالفهرس في خمس صفحات من تلك المقالات مايبلغ سبع صفحات ، ومنها مالا يكمل صفحتين ، والموضوعات متنوعة ومن عناوينها : الخط وتحسينه ، الاستعداد الفطري ، الاطفال والمدارس ، الطفل بين اللين والشدة ـ رداءة خط الأطبّاء ، الطفل بين الدلال والحرمان ، مراحل الطفولة ، الشهادة والخبرة ـ النسيان نعمة. في الهمّ سواء ، مشالحنا في يوم عاصف ـ مجنون عاقل ، (عيدكم مبارك) أخطاء الاعلانات ، بساط الريح ، (المطرزنون) من أدوار الصحافة ، الأمثال عند الأمم ، لمحة في تاريخ الأدب ، الشعر النبطي ، العلوم والآداب ـ الوساطة قد تكون أثرة ، النفاق الإجتماعي ، زرع الوطنية ، الداءُ العضال ، شيء من الأمانة ، أمور تعكر صفو الحياة . .

والطريف في هذا الكتاب ـ مع طرافة كثير من موضوعاته ـ هو أن مشاغل العمل وإن عظمت لاتحول دون الإنتاج الفكريّ ومعالجة بعض القضايا الفكرية . كما فعل الدكتور الخويطر الذي كان يمد الإذاعة والصحف بآرائه وأفكاره مع كثرة أعماله .

والكتاب في طبعته الثانية من مطبوعات مطابع اليمامة سنة ١٣٩٨ و ١٩٧٨ .

• من أحاديث السمر :

مؤلف جديد للأستاذ الجليل الشيخ عبد الله بن محمد بن خميس ، يحوي (قصصاً واقعية من قلب جزيرة العرب) كان الأستاذ نشر بعضها في مجلة « الجزيرة » ثم اصطفى مما نشر وحفظ (مايمكن أن يكون فيه أسوة أو قدوة) فكان الجزء الأول من « أحاديث السمر » في أقسام هي :

(١) مثل وقصة وفيه اثنتا عشرة قصة من ص ١١ إلى ص ٤٣

(٢) وفاء ، في ثماني قصص – إلى ص ٦٣

(٣) نَخْوَةٌ ، وقصصها تسع إلى ص ٨٩

(٤) شَمَمٌ ، في سبع قصص إلى ص ١٠٨

(٥) كرم وكرماء ، في أربع قصص إلى ص ١٢٢ .

(٦) فخر وشجاعة ، سبع قصص – إلى ص ١٤٣ .

(٧) حبٌ ، في سبع قصص – إلى ص ١٦٥ .

(٨) شرف ومراقبة لله ، ست قصص – إلى ص ١٨١ .

(٩) الجوار وإكرام الضيف ، في سبع قصص إلى ص ١٩٩ .

(١٠) عادات كريمة . أربع قصص – إلى ص ٢١١ .

(١١) متفرقات ، وفيه سبع عشرة قصة بها ينتهي الكتاب الواقع في ٢٦٦ صفحة .

وقد صدر في هذا العام (١٣٩٨) مطبوعا بمطابع شركة حنيفة في الرياض .

• علماء نجد خلال ستة قرون :

هذا عنوان كتاب ألفه حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام – القاضي في محكمة التمييز بمكة المكرمة . يحوي ٣٣٨ ترجمة لعلماء من أهل نجد من القرن العاشر الهجري إلى عصرنا

(١) مقدمة الكتاب .

الحاضر باستثناء الأحياء من أهل هذا العصر ، وهذا الكتاب هو بحق (أشمل كتاب ظهر عن علماء نجد ، حيث لم يقتصر على طائفة خاصة ، بل ترجم علماء الدعوة السلفية وخصومهم ، ولكنه أنصف المحقّ وسجل خطأ المخطىء)

وهو كما يفهم من المقدمة أيضا ـ قسم من كتاب شامل لتاريخ نجد ، مقسم إلى ثلاثة أقسام : التراجم عامّة والأخبار العامة وأنساب القبائل ، وذكر الأستاذ المؤلف أنه قطع كثيراً من مراحل تأليفه ، فاختزل منه قسم تراجم العلماء خاصة وهي الواقعة في هذا الكتاب .

وقد رتب الكتاب على حروف المعجم باستثناء سبعة من أعلام العلماء (لهم فضل كبير ، وأثر جليل في الدعوة إلى الله تعالى ، ونشر الإسلام والزعامة العلمية) فصدّر بتراجمهم الكتاب .

وقد تحدث الأستاذ الجليل في المقدمة عن نجد وتاريخه وحالته العلميـة ، ولماذا خصّ علماءه بالتراجم ، ثم أوضح الطريقة التي سار عليها في كتابه ، وقسمه إلى ثلاثة أجزاء ، فبدأ بترجمة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب واتبعها بتراجم ستة من آله الأجلاء آخرهم الشيخ محمد بن ابراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن ابن حسن بن الشيخ محمد رحمهم الله .

ثم بدأ بترتيب التراجم على حروف الهجاء فانتهى الجزء الأول بترجمة الشيخ سيف بن عزاز (حرف السين) .

وبلغت صفحات الجزء ٣٣٦ .

وسار على هذا المنوال حتى بلغت الأجزاء الثلاثة ٩٨٤ صفحة ثم الفهارس والأعلام فالقبائل والعشائر فالمواضع .

والواقع أن هذا المؤلف القيّم يحوي اللُّباب في موضوعه ويعتبر أوفى مرجع للباحثين .

وقد قامت بنشره (مكتبة النهضة الحديثة ومطبعتها في مكة المكرمة) وقام بالاشراف على طبعه مؤسسة حبيب درغام في بيروت ، والطباعة من حيث الورق والحروف حسنة ، إلا أن التطبيع (الخطأ المطبعي) كثير ، لكون مؤلفه لم يشرف على التصحيح ، وهذا ما يمكن تداركه عند إعادة الطبع .

وقد نعود للحديث عن هذا الكتاب الجليل مرّة أخرى .

• المكتبة الصغيرة :

ويواصل صديقنا الأُستاذ الجليل عبد العزيز الرفاعي إصدار المؤلفات الحديثة المختصرة متتابعة الحلقات في السلسلة التي دعاها (المكتبة الصغيرة) ولكن تلك المؤلفات مع إيجازها واختصارها تعتبر ثروة أدبية لاغنى عنها لمن يدرس أدبنا الحديث .

وقد صدر منها منذ عام ١٣٩٧ (١٩٧٧) إلى مطلع هذا العام أربع حلقات هي :

• قاطع الطريق :

قصيدة للشاعر السعودي المشهور أحمد قنديل تقع في أكثر من مئة بيت وقاطع الطريق هذا :

مَن رَمَوْهُ بالإفْكِ حِينَ أشاعوا أنَّهُ يصنع الحُروف حِرَابا

والتي رثته إحدى الجنيات :

قَدْ عَرَفْنَاهُ عَابِرًا مستجيباً ودَفَنَّاهُ شاعِرًا مُسْتَجابَا

وتقع في نحو ٨٠ صفحة ، فيها ١٥ صورة رمزية بطباعة حسنة بمطابع اليمامة في الرياض وهي الحلقة العشرون من سلسلة (المكتبة الصغيرة)

• حمزه شحاته :

وتأتي الحلقة الحادية والعشرون « حمزة شحاته قمة عرفت ولم تكشف » للأستاذ عزيز ضياء . يحوي مقدمة عن الحياة الأدبية في مكة قبل أربعين سنة ، ثم التعارف بين الأستاذين حمزة وعزيز ، فمعركة حمزة مع العواد ، فمسيرته الثقافية ، فمولده وتعليمه ، فحمزة الكاتب والخطيب والفنان ، ثم فارس الحوار والرسائل ، فمحاضرته الشهيرة فشعره ، فشوارد من حكمه . فكلمة الختام فمقتطفات من المحاضرة .

والصفحات ١٠٤ والطباعة كالحلقة التي قبلها .

• غناء وشجن :

نماذج من شعر الشاعر محمد سراج خرّاز (تدل على ماوراءها كما تدل على شاعرية شاعرنا ، وقد روعي فيها التنوع لتكون الدلالة كافية من حيث كونها دلالة في ذاتها ، أي أنها لن تغني عن التطلع إلى شعر الشاعر كاملا) . كما جاء في المقدمة التي كتبها الأستاذ الرفاعي .

قصائد تقارب الثلاثين في المدح والرثاء وغيرهما من أغراض الشعر المتنوعة ، بلغة جزلة واضحة ، في ١٣٤ صفحة . طباعة مماثلة لما قبلها

• ذكريات لا تنسى :

مجموعة من القصص القصيرة للأستاذ القاصّ غالب حمزة أبو الفرج قدمها الأستاذ عبد العزيز الرفاعي بما ملخصه : (والمكتبة الصغيرة التي قدمت ألوانا من الأدب السعودي وعرفت العالم العربي ــ بقدر المستطاع ــ على عدد من الأدباء السعوديين حرصت على أن يكون للقصة فيها مكانتها .

حقًّا إن هذه المجموعة من حيث الكمية لا تعدُّ كبيرة ولا كثيرة ولكنها من حيث القيمة والمضمون كافية للدلالة على المستوى القصصي عندنا).

أربع قصص عناوينها :

١ ـ ذكريات لا تُنْسى ٢ ـ الأيدي التي تبني .

٣ ـ ياصديقي العزيز . ٤ ـ وتُطِلُّ الذكريات .

وتقع في ٨٨ صفحة مطبوعة بمطابع الروضة في جدة . وهي الحلقة الثالثة والعشرون من السلسلة .

• بلاد رجال الحجر :

وصدر كتاب « بلاد رجال الْحَجْر » للأستاذ عمر غرامة العمروى [1] ، وهو أحد أجزاء « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » وهو ـ عدا مقدماته الثلاث ـ ثلاثة أقسام : الأول عن طبيعة بلاد الْحَجْر ومناخها وأشهر أوديتها وجبالها وغاباتها .

والثاني : عن أقسامها الإدارية ، وعن العمران والزراعة والتعليم والصحة والمواصلات .

والثالث : أقسامها من حيث السكان وهي :

(١) بلاد بني الأحمر ـ (بَلَّحْمَر) كما تنطق .

(٢) بلاد بني الأسمر (بَلَّسْمَر) .

(٣) بلاد بني شهر .

(٤) بلاد بني عَمْرو .

وبلاد رجال الحَجْر [2] ، في السَّراة وفي تِهامة ، في منطقة بلاد عسير.

وللكتاب فهارس مفصَّلة ، ويقع في ٢١٨ صفحة بطباعة جيِّدة ، وفيه خرائط وصور ، وقد طبع سنة ١٣٩٨ (١٩٧٨م ،) بالمطابع الأهلية في الرياض .

---

(١) نسبة لبني عمرو ـ بفتح العين وإسكان الميم بضم الدين وفتح الميم والواو تضاف إلى هذا الإسم لتمييز بينه وبين عمر .

(٢) بفتح الحاء وإسكان الجيم ، من أزد السراة .

* السراج المنير في سيرة أمراء عسير :

هذا مؤلف جديد ، يحوي معلومات مفيدة عن هذا الجزء الحبيب من بلادنا ألفه الأستاذ عبد الله بن علي بن مُسْفِر ، تحدث فيه عن طبيعة بلاد عَسِير ، وعن تاريخها ، وعن أمَرائِها - آل المتحمي وآل عايض ، وعن الحكم العثماني وإمارة الادريسي ثم حكم آل سعود في تلك البلاد.

ويقع في ١٥٢ من الصفحات ، بطباعة حسنة ، من مطبوعات مؤسسة الرسالة في بيروت سنة ١٣٩٨ (١٩٧٨ م) .

* المعجم الجغرافي عن شمال المملكة :

وصدر القسم المتعلق بشمال المملكة من « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » عن إمارات حايل والجوف وتبوك وعَرْعَر والقريات - من تأليف صاحب هذه المجلة - ويقع في ثلاثة أقسام ، صفحاتها ١٤٨٠ ويحوي من أسماء المدن والقرى والمواضع والمناهل مايقارب ٢٨٠٠ اسم .

وقد طبع بمطبعة نهضة مصر ، والمطبعة العربية الحديثة في مصر في سنة ١٣٩٨ (١٩٧٨م) .

* المعجم الجغرافي المختصر :

وصدر كتاب « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » وهو معجم مختصر يحوى جميع من أسماء مدن المملكة وقراها وهجرها ، وأشهر موارد البادية فيها - نحو ١٠٤٥٥ إسما - مع مقدمة تتضمن بيان الأقسام الإدارية ومراكزها .

وهذا المعجم يقتصر على ذكر اسم البلدة أو المورد مع ضبطه ، وذكر القسم الإدارى (الإمارة) وتبلغ صفحاته ١٣٦٨ .

والأسماء فيه مشكّلة ، وهو من تأليف صاحب هذه المجلة .

وقد طبع في (مطبعة نهضة مصر) في عام ١٣٩٨ (١٩٧٨ م) .

العنوان
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل هاتف ٢٢٩١٥
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
٢٥ ريالاً للأفراد و ٧٠ ريالاً لغير الأفراد
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ٦ ريالات

ج ٣ و ٤ س ١٣ - رمضان وشوال ١٣٩٨ هـ - أيلول/تشرين (سبتمبر/أكتوبر ١٩٧٨م)

بِلادُ القَصِيم

- ١ -

(أكمل الأستاذ الشيخ محمد بن ناصر العبودي تأليف كتاب « بلاد القصيم » أحد أجزاء « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » وستقوم (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) بالإشراف على نشره .

وترى مجلة « العرب » إتحاف قرائها بأحد مباحث هذا الكتاب، وهو البحث المتعلق بتعريف (بلاد القصيم) من مختلف النواحي) .

القصيم من المقاطعات النجدية التي تتّصفُ بنقاء الهواء ، ووفرة الماء ، مع طيب المرعى ، وصفاء التربة ، وشهد كثير من المؤرخين لأهله بأنهم كانوا من أنشط النجديين في التجارة والصناعة والإتصال بالعالم الخارجي [١] بل كانت كلمة (نجديّين) أو (عُقَيل) إذا اطلقت في بعض البلاد المجاورة كالعراق والشام لم تنصرف في أذهان الناس إلا إليهم، ولم تنطبق في عرف المتكلمين من أهل تلك البلاد إلا عليهم ، وذلك لأسفارهم إلى تلك البلاد أكثر من غيرهم .

وفي القصيم المواضع التاريخية ، والمواطن الأثرية ، والأماكن التي استثارت خيال الشعراء ، وأوحت بروائع أدبية خالدة للادباء ، فَحبّروا

(١) ستأتي شواهد ذلك تحت عنوان : أقوال في القصيم :

فيها القصائد وتغنوا بتلك المعاهد ، حتى أصبحت بعد ذلك مثالاً يحتذيه المحتذون ولو لم يروا القصيم ،وشعاراً يُزَيِّنُ به الشعراءُ أشعارهم ممن هم على آثارهم مقتدون ، وناهيك بما ورد في « رامة » و« عاقل » ومنعج — « والحمى » في الجبال التي تطل على حدوده كالعَلَمِ وأبانين وقطَن . وبالرمال التي توشح حواشيه كاللِّوى وزَرُود .

وفيه وادي الرُّمة الذي هو أكبر وادٍ في نجد ، وهو المُسْتَحْقَبُ الأكبر لأودية كثيرة تَنْساب من مساحات شاسعة تمتد من الأعالي الغربية للجزيرة العربية قرب « خيبر » حتى أسافل القصيم بل أسافل الجزيرة العربية فيما يقال .

والقصيم مشهور بخصوبة أرضه ، وطيب فاكهته ، وثماره من الخوخ والرمان والتين ، وصفه بذلك الأقدمون من أهل البلاد الخصيبة المجاورة وقالوا ، إنها من أجود الفاكهة ، ومنهم الإمام الحربي ، ولُغْدَة الأصبَهانيّ وأبو عُبَيد الله السَّكوني .

وفي القصيم العيون الجارية ، والمياه السارحة ، مما ذكره القدماءُ كالنِّباج والقريتين وعيون الجواد .

فأطنبوا في ذكره ، وقالوا وأعادوا القول فيه . ثم نبع فيه ، وساح في أراضيه في الوقت الحاضر من العيون والينابيع ، مالم تذكره الكتب ، ولم يُنَوِّه به المؤلفون من نهيرات دائمة الجريان وعيون تسيل مياهها ليلا نهاراً إلى آبار فاض ماؤها حتى سال على الأرض وآبار أخرى تفجرت في باطنها المياه حتى طَمَتْ على الآبار . مما لو حدث في القديم لكان أعجوبة العجائب وغريبة الغرائب . وفيه من أشجار الظِّلِّ ، والحقول النَّضرة مايجعله أو يجعل بعض الأماكن فيه جديرةً بِلَقَب السواد .

وفي القصيم من الأعشاب والنباتات البرية ماطاب عَرفُهُ وفَاحَ مِسكهُ واشتهر اسمه في قديم الزمان وحديثه كالشيح والقيصوم والعَرَارِ والْجَعَد ، والنقلِ .

وفي القصيم من طبائع الأرض المختلفة ، مالا يكاد يجتمع في المناطق الأخرى من جزيرة العرب . ففيه الكثبان الذَّهَبِيَّة والرياض الوَرِدِيَّة ، والجبال المنيعة والسُّهول المُستَوية والجَرد المُطردة. والانقاءُ الشامخة والحُزُون الجيدة المَرعَى ، والسِّباخ التي تدل على وفرة الماء وقربه من وجه الأرض.

وفي القصيم الأشجار الصحراوية المشهورة بأن أوراقها حَمض ، وأفنَانها ظِلٌّ وأخشَابَها صِلاءٌ ، وبِنَاءٌ ، وفروعها حَظَائِرُ وَوِقَاءٌ كالغضا والارطا والطرفاء .

وفي القصيم المراعي المشهورة ذات الاعشاب المعروفة بجودتها عشد العرب القدماء والمذكورة عند المتأخرين كالسَّعدان والرِّبلَةِ والقفْعاء .

وفي القصيم من أشجار الحطب ماهو مشهور بطيب رائحته ، وذكاء دخانه كالرمث والعجرم والعراد .

وفي القصيم تكثر النَّباتَاتُ البَرِّيَّةُ الماكولة عند العرب كالحُوَّاءة والبِسْباسَةِ والذُّعلُوق والحَمصِيص .

وفي القصيم وعلى حواشيه وأطرافه وحول ما قرب منه أغنى المواقع بالصَّيد فالظِّباء والارانب البرية الجميلة فيه كثيرة ومتوفرة . فضلاً عن الطيور العابرة والمهاجرة كالحُبَارَى والقَطَا والحَجَل .

وكان مرتعاً للآرام والعين ، والنَّعام . مذكوراً بذلك الأشعار والأخبار

وفي القصيم من المعادن ملحُ ضاري والعوشزية . والذهب في قطن . ومعدن بني بُرَيمة القديم .

وفي القصيم من البلدان ذات الطابع النجدي الخالص والمدن الكبيرة المعروفة، والقُرى الكثيرة المتقاربة ومن ذا الذي من أهل الجزيرة لايعرف «بريدة» و «عنيزة» ومَنْ ذا الذي من أهل الجزيرة - لم يكن له صديق أو رفيقٌ أو قريب مِن أهل القصيم.

ومن أرض القصيم خرج الشعراء العظام، في قديم الزمان وحديثه كزهير بن أبي سُلْمَى وابنه كعب بن زهير، وبشر بن أبي خازم وشاعر الجزيرة الفحل محمد بن عبد الله العوني.. ومحمد بن عبد الله القاضي. ومحمد بن علي العرفج.

والقصيم - بعد - بالنسبة للجزيرة العربية بمثابة القلب فهو في وسطها وقريب مِنْ قِمَّتها فشمالها وجنوبها وشرقها وغربها منه غير بعيد.

والقصيم كان يخترقه طريق الحج العظيم من جنوب العراق وفارس الذي هو طريق البصرة مما جعله يكاد يكون البلاد الوحيدة من نجد التي استمر ذكرها منشوراً، وخَبَرُها شهوراً بعد أن نُسِيَتْ معالمها الأُخرى أو كادت في عصور الظلام واسْوِداد الأيَّام، كما يُلامِس حُدوده الشمالية. أو يكاد - طريق الحاج الكوفي الذي هو طريق بغداد.

والأحماء المشهورة في صدر الإسلام كانت في القصيم كحِمى ضَرِيَّة أو على حدُودِهِ كحِمِى الرَّبَذَة وحِمَى فَيْد.

وعلى أرض القصيم أو حواشيها دارت أيَّامُ العرب الكبرى الفاصلة كيوم خَزَاز ويوم جَبَلَةَ.

وشَهِدَتْ ساحته وما قربَ مِنْ ساحَتِهِ جُزءاً هاماً من حروب الرِّدَّةِ التي كان لها الأثر الحاسم في تاريخ الإسلام.

وفي أجزاء من القصيم أو على أطرافه دارت معارك العرب التاريخية التي كانت وماتزال تُغْنِي الأَدَب العربي بأشعار البطولة ، ومعاني الفخر والفروسية ، مثل حَرْب البَسوس وحَرب داحِس والغَبْرَاء .

وفي القصيم المُدُنُ التي كانت – قبل الإزدهار الاقتصادي الأخير – أرقى مدن نجد على الاطلاق ، وناهيك بمدينة عنيزة التي قال عنها أمين الريحاني أنها باريس نجد . .

ومدينة بريدة التي قال عنها الكاتبون الأجانب أنَّ فيها أعظم سوق لتجارة الإبل في العالم .

ومن البلدان الموغلة في القدم في القصيم : القريتان اللتان ذكر المتقدمون أنهما كانتا لطسم وجديس من العرب البائدة ، وضرية التي زعم زاعمون أن آدم أبا البشر – عليه السلام – خلق من ترابها .

ومن القصيم كان من فرسان العرب وشجعانها الذين تربوا في ربوعه ، وتَنَسَّمُوا أَجْوَاءَهُ ، واستلهموا أمجاد العرب فيه ، عَنْترة بن شداد العبسي وزيد الفوارس الضبي .

وفي أهل القصيم الأُسَرُ العَرَبِيَّةُ ، والفصائل الكبيرة والشخصيات المقيمة من جميع القبائل العربية المعروفة التي تنمى لقحطان وَعَدْنان ، إلى جانب الأُسر المشهورة والشخصيات البارزة ممن لا ينتمون إلى قبيلة يصلون نسبهم بعدنان أو قحطان ولكن بعصاميتهم وقوة شخصياتهم تسنَّمُوا ذرى المجد ، وحصلوا على المكان الرفيع في عالم الشهرة مثل الشيخ عبد الله السليمان وزير مالية المملكة العربية السعودية في زمانه .

ومن القصيم عرف عدد عديد من علماء الجزيرة وأبنائها ممن تولوا مناصب القضاء ، أو أصبحوا مراجع في الفتيا يطول سرد أسمائهم

وتفصيل أحوالهم ويكفي أن نذكر منهم أسرة آل سليم وأسرة آل مانع .

وفي القصيم كانت منازل عدد من القبائل العربية العريقة في الجاهلية مثل بني أسد وبني عبس ، وفصائل من قبائل أخرى مشهورة كبني تميم : حتى نساءُ أهل القصيم اشتهر منهن من اشتهر في أنحاء الجزيرة ، وما قرب من الجزيرة مثل العرفجيّة[1] التي أخذت الثأر من قتلة ابنها والمطرودية[2] التي حمت بلدتها في غياب أهلها .

لذلك كله ، ولغير ذلك ، مما لايقل عنه أهمية كانت منطقة ـ القصيم جديرة بأن يكتب عنها الكاتبون ، وأن يبحث في آثارها الباحثون ، وينقب في تاريخها المنقبون .

وهذا بالإضافة إلى كونها جزءاً غاليا من جزيرة العرب ومنطقة هامة من مناطق المملكة العربية السعودية .

أقــوال للمتقدمين عن القصــيم

اشتقاق كلمة القصيم :

قال صاحب اللسان : القصيمة ما سهل من الأرض ، وكثر شجره أقول وهذه هي صفة بلاد القصيم .

قال : والقصيمة منبت الغضا والأرطى والسلم وهي رملة . قال لبيد[3]

وكتيبة الأحلاف قـد لاقيتهم حيث استفاض دَكادِكٌ وقَصِيمُ

وقال الليث : القصيمة من الرمل ما أنبت الغضا ، وهي القصائم ، قال أبو عبيد : القصائم من الرمال ماأنبت الغضاه ، قال أبو منصور

---

(١) العرفجية ستأتى قصتها فى تاريخ بريدة .

(٢) المطرودية سنذكر أمرها فى رسم العوشزية .

(٣) سيأتى شرح هذين البيتين فيما بعد إن شاء الله .

الأزهرى : وقول الليث في القصيمة : ماينبت العضاة هو الصواب.
أقول : قول الأزهري هو الصواب لأن العضاه من الشجر هو كباره الذي له شوك وليس الغضا كذلك . :

وقال الشاعر يصف صياداً :

وأشْعَثَ أعلى ماله كِفَفٌ له بفرش فلاة بينهن قصيم

والفرش : منابت العرفط ،[1] . .

قال ابن الاعرابي : فرشٌ من عرفط ، وقصيمة من غضا ، وأيكة من أثل .

فأنت ترى مدى علاقة كلمة القصيم بشجر الغضا حتى قالوا لجماعة الشجر منه : قصيمة من غضا .

وقال أبو حنيفة الدينورى : القصيم بغير هاء : أجمة الغضا ، جمعها قصائم ، وقُصُمٌ ، والقصيمة : الغيضة .

ومعروف أن الغيضة هي الشجر الملتف وغالباً مايكون في مغيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر .

فاشتقاق كلمة القصيم إذا من الشجر الملتف الناشيء عن الخصب وكثرة المياه ، وذلك ـ ما امتاز به القصيم في القديم والحديث بالنسبة إلى الاصقاع الأخرى في الجزيرة العربية .

ولكثرة شجر القصيم وأجَماتِه وغياضه من الغضا والارطى وغيرها كانت بعض أجزائه في القديم موطنا للذئاب التي تختفي في تلك

---

(١) العرفط : ضرب من شجر العضاه قال أبو حنيفة الدينورى : هو مفترش على الأرض لا يذهب فى السماء وله ورقة عريضة وشوكة حديدة حجناء ، وهو مما يلتحى لحاؤه ، وتصنع منه الأرشية وانظر بقية الكلام عليه فى اللسان (عرفط) .

الأجمات والغياض والأشجار الملتفة . وهي تكمن للناس والدواب ثم تهاجمهم منها لذلك ضربت العرب القدماء أمثالهم بسرحان القصيم أي : ذئب القصيم بالشدة والقوة بل بالخبث والدهاء

قال بشر بن أبي خازم الأسدي [1] :

وباكره عند الشُّروق مُكَلِّبٌ . أزَلُّ ، كسرحان القصيمة أغبر [2]

وقال أُنيْف بن جَبَلَةَ الضبي من بني ضبة الذين كان لهم منازل في القصيم [3]

ولقد شهدت الخيل يحمل شِكتي عَتَدٌ ، كسرحَان القصيمة منهب [4]
ألوَى إذا استعرضته فكـأنه في العين جذع من أوال مُشَذَّبَ
وإذا اعترضتَ له استوت أفناؤه وكأنه مُستَدبِراً مُتَصَوِّبُ

وقال كعب بن زهير [5] :

مُمَرٌّ كَسِرْحَانِ القصيمة مُنْعَلٌ مَسَاحِيَ لأيْدِمِي دَوَابِرها الوجى [6]
شَديد الشَّظَى ، عَبْلُ الشَّوَى ، شَنِجُ النَّسَا
كأنَّ مكانَ الرِّدْفِ من ظهره وَعَى [7]

---

(١) ديوانه ص ٨٤ .

(٢) المكلب الذي يصيد بالكلاب والأزل السريع الخفيف .

(٣) كتاب الخيل ١٦٩ وامالى الزجاجي ص ٤ والأنواء ص ٢٠٤ .

(٤) قال في اللسان : فرس عتد وعتد بفتح التاء وكسرها : شديد تام الخلق ، سريع الوثبة ، معد للجرى ، ليس فيه اضطراب ولا رخاوة .

(٥) شرح ديوانه لابن السكيت ص ١٣٠ والشرح منه .

(٦) المساحى هاهنا : الحوافر . واحدها مسحاة . ودوابرها : مآخيرها ، والوجى : الحفا . يريد أن حوافره ابطنت مساحى من حديد فى صلابتها .

(٧) الشظى : عظم صغير ملصق بعصب الذراع ، وعبل الشوى : ضخم القوائم ، والنسا : عرق يستحب قصره ، فاذا طال ضعفت الرجل . وقوله : وعى : أى : جبر بعد كسر وذلك لمله له :

ومعلوم أن كعب بن زهير من أهل القصيم فقد نشأ في المنطقة ، التي تقع في الشمال الغربي منه ، مابين وادي مبهل (المحلاني في الوقت الحاضر) والحاجر أي في المنطقة الشمالية الغربية منه .

وقال سحيم عبد بني الحسحاس [1] :

وَوَلَّى دُرَيْد في الغبار ، وقد رأى   مَنِيَّتَه مما تُثير الحوافر [2]
يُفَرِّجُ عنا كُلُّ ثَغْر نَخافُه   مِسَحٌّ كَسِرْحان القصيمة ضامِرُ [3]

ومن المعروف أن سحيما من أهل القصيم ، إذ بنو الحسحاس هم من بني أسد ، وبنوا أسد كانوا يسكنون شمال القصيم وغربيه .

وقال المُعَقَّر بن أوس بن حِمَار البارقي من قصيدة قيلت في يوم جبلة الشهو [4] :

يُفَرِّجُ عنا كلَّ ثَغْر نخافه   مِسَحٌّ كَسِرْحان القصيمة ضامِرُ [5]
وكل طَمُوح في العِنان كأنّها   إذا اغْتَمَسَتْ في الماء فَتْخاءُ كاسِرُ [6]

وورد ذكر القصيمة في يوم من أيام العرب في الجاهلية هو يوم (الجفار) [7] وهو يوم لبني تغلب على بني تميم أي : فازت فيه تغلب .

وقال فيه النعمان بن عقفانَ أحد بني تغلب [8] :

سَائِلْ فُقيما (بالجفار) ونهشلا   ومجاشعا وبني أبان تُخَبَّر

(١) ديوانه ص ٣٩ .
(٢) دريد ، هو دريد بن الصمة .
(٣) المسح : السريع الجرى سحا ، والسرحان : الذئب .
(٤) الأغاني ج ١١ ص ١٦٤ . وقد نقلها من النقائض لأبي عبيدة
(٥) المسح : الفرس الجواد السريع كأنه يصب الجرى صبا .
(٦) الفتخاء : الكاسر : العقاب ، شبه بها الفرس .
(٧) هو غير يوم الجفار المشهور الذى كان بعد يوم النسار بعام ، وقال فيهما بشر بن أبي خازم :
ويوم النسار ويوم الجفار   كانا عذابا وكانا غراما
(٨) الأنوار ، ومحاسن الأشعار ص ١٨٣ - ١٨٦ .

عَنَّا ، غداة رأوا وارس تَغْلِبِ دون القصيمة في العجاج الأكدر
متسرعين إلى الهيـاج كـأنّهم أُسْدُ الغريفِ على سَوَاهِم ضُمَّر

وربما يصح الاستدلال على أنه يريد القصيمة هذه التي هي في القصيم كونه ذكر الجفار ، والجفار : جمع جفر والجفر في الفصحى البئر ونحوها إذا لم تكن مطوية تماماً كمعنى الجفرة في العامية [1] وغالباً ماتكون في أرض سهلة مما يقرب القول بأنّ الجفار قد تكون في القصيم كما أن بعض بني تميم المذكورين في الشعر كانت لهم منازل في القصيم مثل بني أبان . الذين هم بنو أبان بن دارم .

وذكر الميداني من الأمثال العربية الشائعة قولهم: (سرحان القصيم) وقال : هذا مثل قولك ذئب الغضا ، والقصيم : رملة تنبت الغضا [2] .

نظمه الأحدب بقوله :

حِمَاه (سرحان القصيم) فيه فيا عناء طالب يحـويه [3]

والقصيمة ليست مشهورة بالذئاب الفتاكة فحسب بل إن روضات القصيمة مشهورة بثيران الوحش ، أي ذكور البقر الوحشية – وتلك الثيران شرسة القياد شديدة العَدْو ، لا يلحق بها من الخيل إلا السابقات الجياد .

قال سُحَيم [4] :

ولم تَنْزَع الْخَيلُ المُغِيرة بالضُّحى على هَيْكَل نَهْدِ الجُزَارَة أَجْرَدَا [5]

---

(١) سيأتي رسم « الجفر » في حرف الجيم . (٢) مجمع الأمثال ج ١ ص ٣٤٦ .
(٣) فرائد اللآل ج ١ ص ٢٨١ . (٤) ديوان سحيم عبد بني الحسحاس ص ٤٢ .
(٥) تنزع : تدفع . والهيكل : الحصان الطويل ، ونهد الجزارة : النهد المشرف الضخم ، والجزارة : القوائم والأجرد : القصير الشعر .

طويلِ القَرَا ، غمْرِ البَدِيهةِ لاحه ... طِرَادُ هوادي الوحش حتى تَخدَّدا[1]

يَرُدُّ علينا العَيْرَ مِن دُونِ إِلْفِهِ ... وثِيرانَ روْضَاتِ (القصيمة) عُنَّدا

وقال الزبيدي : القصيمة : – كسفينة – : رملة تنبت الغضا كما في الصحاح ، زاد غيره : والارطى والسلم .

أقول : المعروف أن الرملة التي تنبت الغضا غير التي تنبت الارطى ، ولذلك يفرق أهل القصيم بين الرمال الواقعة إلى غرب مدينة عنيزة فما كان منها ينبت الغضا وهو الذي يليها اسموه (الْغَمِيْس) – وما كان ينبت الارطى فهو (الشقيقة) في اصطلاحهم كما سيأتي في هذين الرسمين إن شاء الله .

أما السلم فليس هومن نباتات رمال القصيم المعروفة .

ولذلك فان الصواب في – رأيي – مع الجوهري صاحب الصحاح .

ثم قال الزبيدي : والقصيمة : أجمة الغضا ، أو جماعة الغضا المتقارب ، يقال : قصيمة من غضا ، وأيكة من أثل ، وغال من سلم . وسليل من سَمُر ، وفرش من عَرْفَطٍ .

أقول : لا تنافي بين أن تكون القصيمة الرملة التي تنبت الغضا ، وتكون أجمة الغضا ، إذ الغضا لا ينبت إلا في الرمال ، والتسمية للرملة التي ينبت فيها ، وله إذا وجد فيها .

ثم قال : جمع القصيمة : قصيم ، وأنشد الجوهري :

حيث استفاض دَكَادِكٌ وقصيم .

---

(١) القرا : الظهر . وغمر البديهة : كثير الجرى . ولاحة : غيره . والهوادى : المتقدمات وتخددا : هزل ، ويروى : غمر البداهة .

أقول : هذا الشطر سيأتي فيما بعد مع بيتين وهما للبيد ربيعة رضي الله عنه .

ثم قال الزبيدي : وجمع الجمع قُصُم ، وقصائم ، وفي التهذيب : القصيمة من الرمل ما أنبت الغضا وهي القصائم ؛ وقيل : قصائم الرمال ما أنبتَ العضاه :

ثم قال الزبيدي : قال – يعني الأزهري – والصواب الأول .

أقول : لله در الأزهري فما رجح شيئاً إلا كان هو الصواب فيما رأيت من ترجيحاته .

قال الزبيدي : والقصيمة موضع بعينه سمي بذلك ، والقصيم ، كأمير : موضع بين اليمامة والبصرة لبني ضبة .

أقول : هذا خطأ واضح فليس القصيم بين اليمامة والبصرة لبني ضبة إضافة إلى أن هذا التحديد واسع لا يمكن ضبطه . وكون القصيم لبني ضبة ليس دقيقاً إلا أنه كانت توجد لبني ضبة أماكن في القصيم سيأتي الكلام عليها .

قال الزبيدي : وقيل القصيم بين رامة ومطلع الشمس وهما من بلاد تميم .

أقول : هذا وهم واضح ، وقد حمل الزبيدي على ذلك أن المتكلم الذي نقل عنه أن القصيم لبني ضبة وهو يريد أماكن فيه ؛ قال : إنها بين رامة ومطلع الشمس،وهو يريد موضعين من المواضع التي لضبة في القصيم ، وأغلب الظن أن المراد بذلك : عجلز ، ورحب ؛ اللذان يسميان الآن الزريب والمدوية على التوالى كما سيأتي .

وذلك صحيح بالنسبة لهذين الموضعين ولكن الزبيدي فهم أن

القصيم الذي هو على وزن أمير واقع بين رامة ومطلع الشمس وهذا غلط ظاهر .

ثم قال : وقيل : القصيم موضع يشقه طريق بطن فلج كما في التهذيب [(١)]

أقول : وهذا صحيح ، إذا أريد ببطن فلج مايسميه أهالى القصيم بالباطن ، وهو جزء من مجرى وادي الرمة بعد أن يتجاوز الوادي محاذاة مدينتي بريدة وعنيزة مشرقاً . وسيأتي في حرف الباء إن شاء الله .

وورد ذكر القصيم في رجز لبيد بن ربيعة رضي الله عنه بذكر فرسا له يدعي أبانا – ويوجه كلامه إلى ابنته بسرة ، ويخاطبها بصيغة الترخيم بسر [(٢)] .

إن أبانا كان حُلْواً بُسْرا
مَلَّيٌ عُمْرا وأربٌ عُمُرَا [(٣)]
وَرْدٌ إذا كان النواصي غُبرا [(٤)]
وَعَقَّت الخيل عَجاجاً كَدِرا [(٥)]
أقام مِنْ بعد الثلاث عَشْرا
وإنْ (بالقصيم) منه ذِكْرا

وذكر القصيم الذي هو الرمال التي تنبت الغضا في الأمثال العربيّة

---

(١) تاج العروس ج ٩ ص ٢٩ .
(٢) ديوانه ص ٨١ والشرح منه .
(٣) يروى : بني عمرا ، أي: جعل له ابن ، ملء عمرا : عاش طويلا وأرب : جعل له ترجيبا .
(٤) ورد : أحمر . وربما كان ورداً لأنه ملطخ بالدم .
(٥) عقت : شقت .

القديمة فذكر الميداني المثل : على ما خَيَّلتْ وَعثُ القصيم . وفسره بقوله ، أي : لأركبن الأمر على ما فيه من الهول . والقصيم : الرمل . والوعث : المكان السهل ، الكثير الرمل ، تغيب فيه الأقدام ، ويشق المشي فيه [1] نظمه الأحدب بقوله :

لاركبن الأمر إنْ هِنْد قَلَتْ على الذي وعْث القصيم خَيَّلَتْ [2]

فهذا يعيد إلى ذاكرتنا قصة مالك ابن الريب المازني وزميليه أبي حردبة وغويث .. الذين كانوا يترصدون للحاج في الطريق [3] ثم يفرون إلى القصيم يلجؤون إليه متخفين برماله ومختبئين في آجامه الكثيرة ، وغاباته الملتفة .

قال لَبِيد رضي الله عنه [4] :

وترى المُسَوَّمَ في القياد كأنه صَعْلٌ إذا فقد السياق يَصُومُ [5]
وكتيبةُ الأحلاف قد لاقيتهم حيث استفاض دكادك وقصيم [6]

والدكادك في اللغة : جمع دكداك وهو من الرمل ما التبد بعضه على بعض فى الأرض ولم يرتفع كثيراً [7] .

وورد ذكر الدكادك التي في القصيم وهي الواقعة في شماله في شعر

---

(١) مجمع الأمثال ج ١ ص ٤٧٦ .
(٢) فرائد اللآل ج ٢ ص ١٢ .
(٣) سيأتى فى رسم (القاع الابيض) فى حرف القاف أن ذلك الوضع هو قاع بولان .
(٤) ديوانه ص ١٥٧ .
(٥) المسوم : الفرس المعلم أى الذى عليه علامة ، والصعل : الظليم أى : ذكر النعام . والسياق : الاعياء ، ويصوم ، أى يقوم .
(٦) الاحلاف : أسد وغطفان وبعض طيء وبعض نبهان من طيء ومن تبعهم تحالفوا على حرب بني عامر قوم الشاعر واستفاض : اتسع .
(٧) اللسان : مادة . دك ك .

آخر وان لم يصرح بلفظ القصيم ولكنه قرن ذكره بذكر مواضع كانت معروفة بأنها هنا قال سلامة بن جندل [1] .

يا دار أسماء بالعلياء من إضم بين الدكادك من قوٍّ فمعصوب

وإضم جوف في النباج (الأسياح حالياً) كما قال لغدة : ولبني المجيم على طريق مكة السمنية ماءة ، وجوف يقال له ذي إضم ، وأما كن يقال لها الحناظل الخ [2] فالسمينة هي البيصيّة أول طريق الحاج من النباج إلى العراق وطريق الحاج هو طريق حاج البصرة إلى مكة الذي يمر بالنباج (الأسياح) والحناظل هي حنيظل وأبا الدود وماءٌ آخر معهما كما سيأتي ذلك في حرف الحاء . وأما قَوٌّ فهو (قصيبا) كما سنبسط القول فيه في حرف القاف إن شاء الله.

وكما ذكر لبيد رضي الله عنه القصيم اللغويّ كذلك ذكره النابغة الذبياني في قوله [3] :

ألا أبلغ لديك أبا حُرَيْث وعاقبة الملامة للمُليم
فكيف ترى مُعاقبتي وسعيي بأذواد القصيمة والقصيم [4]
غنمت الليل ، إذْ أوقعت فيكم قبائل عامر وبني تميم
وساغ لي الشراب وكنت قبلا أكاد أغُصُّ بالماء الحميم

وقال ياقوت : القصيم : بالفتح ثم الكسر وهو من الرمال ما أنبت الغضا وهي القصائم ، والوحدة قصيمة قال أبو منصور — يعني الأزهري

(١) ياقوت : رسم معصوب .
(٢) بلاد العرب ص ٣٥٥ — ٣٥٦ .
(٣) ديوانه ص ١٣٢ .
(٤) أذواد : جمع ذود وهو القطعة من الإبل .

التهذيب — : القصيم موضع معروف يشقه بطن فلج . وأنشد ابن السكيت :

باريُّها اليوم على مبين على مبين جرد القصيم

أقول : مبين سيأتي الكلام عليه فيما بعد وقوله : باريُّها من الرِّي والهاء فيه للناقة أو الماشية يعني ناقته أو ماشيته سيحصل له الارتواء الكافي من الماء في القصيم . وجرد القصيم جمع جردة وهي عند العامة الأرض الرملية المطردة المستوية التي تنبت العشب .

ولا تزال هذه الكلمة مستعملة في عامة أهل القصيم كما سيأتي شرح ذلك عند رسم « الجردة » في حرف الجيم .

ثم قال ياقوت : ويوم القصيم من أيام العرب ، قال زيد الخيل الطائي :

ونحن الجالبون سباء عبس إلى الجبلين من أهل القصيم
فكان رواحها للحيِّ كعبٍ وكان غُدُوُّها لبني تميم

ونقل عن أبي عبيد السكوني قوله : القصيم بلد قريب من النباج يسرة في أقوازه واجارعه فيه أودية ، وفيه شجر الفاكهة من التين والخوخ والعنب والرمان .

أقوله : قوله : يسرة صحيح لمن يكون قاصداً البصرة من مكة إذ يكون معظم القصيم على يده اليسرى . وليس كله .

والأقواز جمع قوز وهو كثيب الرمل الواقف شبه الجبل .

والأجارع : هي الرمال العذبة الطيبة المنبت التي لا وعوثة فيها

ثم قال : وهو بلد وَبِيءٌ ، وفيه يقول الشاعر :

إن القصيم بَلَدٌ مَحَمَّه   أنكَد أفنى أُمَةً فأُمَّهْ

أقول : الزعم بأن القصيم بلد وَبِيٌّ أي : مكانٌ للحمى هو من القاء القول على عواهنه إذ المعروف في القديم والحديث أن القصيم طيب الهواء ، نقي التربة . هذا على وجه العموم . ولكن كثرة المياه ، والعيون السارحة في بعض المواضع فيه جعلتها مأوى للبعوض وبالتالي كانت موطناً لحمى الملاريا مثل (قصيبا) و (العوشزية) ووادي الرمة وعيون الاسياح ، هذا كان في الزمن القديم الذي انتهى في حوالي عام ١٣٨٠ هـ ولعل ذلك هو الذي حمل هذا الراجز على أن يصدر حكماً عامًّا على القصيم بأنه بلد محمة وهو يريد أن يقول قولا خاصاً بتلك المواضع . على أن تلك المواضع التي كانت وبيئة بحمى الملاريا إنما هي أماكن محدودة العدد ضيقة الرقعة ، بالنسبة إلى بقية مناطق القصيم الواسعة ، وهي متفرقة في أنحاء القصيم .

ولعل للراجز عذراً في إطلاقه ذلك القول ، في كونه اضطر من أجل الوزن ، أو من باب اطلاق الحكم على الكل وإرادة جزئه ، أو لكونه يجهل القصيم فنمى إليه الخبر عن الأماكن التي تصاب بالحمى فيه. فأطلق القول على جمع القصيم .

ثم قال ياقوت : قال الأصمعي بعد ذكره الرمة : وادٍ ، وأسافل الرمة تنتهي إلى القصيم . وهو رمل لبني عبس .

أقول : سيأتي في رسم : وادي الرمة : في حرف الواو أين تقع نهاية الوادي من القصيم .

ونقل أيضاً عن أبي عبيد الله السكوني في موضع آخر قوله : ومن وراء النباج رمال أقواز صغار يمنةً ويسرةً على الطريق ، والمحجة فيها أحياناً لمن يصعد إلى مكة رمل وقيعان منها قاع بولان والقصيم [١] .

أقول : قوله من وراء النباج – وهو الأسياح – يريد بذلك لمن كان في العراق ، وقدأوضح ذلك بقوله فيما بعد : لمن يصعد إلى مكة أي لمن يذهب إلى مكة من البصرة .

وقاع بولان : سيأتي تحديده [٢] والقصيم معروف أنه وراء الأسياح لمن يكون في العراق ، ويريد بتلك الأقواز الصغار رمال (العايلة) الواقعة إلى الشمال والغرب من الربيعية والركية ، ولذلك ذكر معها بعض القيعان ومنها قاع (بولان) الذي يقع إلى الغرب من الربيعية وأحدثت في جزئه الغربي عين للأمير متعب بن عبد العزيز آل سعود .

وقال ابن منظور : القصيم : موضع معروف يشقه طريق بطن فلج ثم أنشد بيتين من الرجز .. وهما :

أفرِغْ لَشوْل وعشَار كُوْم [٣]
باتَت تُعَشّى اللّيلَ بالقَصِيم

وهذان البيتان من الرجز يدلان أيضاً على أن القصيم كان مذكوراً بالخصب ، ووفرة الرعي ، إذا الراجز يقول : إن العشارَ والنُوق المذكورة وهي تعشي في القصيم ينبغي أن تفرغ لها الماء من البئر بكثرة لكونها

---

(١) رسم « النباج » .
(٢) رسم « القاع الأبيض » .
(٣) الشول : الناقة التي قد شالت بذنبها أي : رفعته .

ترعى الحمض وغيره من الشجر الجيد في القصيم ، مما يجعلها تحتاج إلى الإكثار من شرب الماء .

ويحسن أن نورد هنا نص كلام أبي منصور الأزهري الذي هو مرجع لعدد ممن جاء قبله . وعلقت على عباراتهم فيما سبق قال في « تهذيب اللغة » :

قال الليث . . والقصيمة من الرمل ما انبت الغضا وهي القصائم ... وقال أبو عبيد : القصائم من الرمال ماينبت الغضاه .

قال أبو منصور : وقول الليث في القصيمة ماينبت الغضا هو الصواب . . كذلك حفظته عن العرب ، والقصيم موضع معروف ، يشقُّه طريق بطن فلج وأنشد ابن السكيت :

ياريُّها اليوم على مبين
على مبين جرد القصيم

وإياه عنى الراجز :

أفرِغْ لشول وعِشَار كُوْم
باتت تُعَشِّي الليلَ بالقصيم

وقال آخر يصف صيَّادًا :

وأشْعَثَ أعلى ماله كِفَفٌ له بِفَرْش فلاة بينهنَّ قصيم

والفرش : منابت العُرْفُط .

قال شمر عن ابن الإعرابي : فَرْشٌ من عُرْفُط وقصيمة من غضا ، وأيكة من أثل ، و غالٌ من سَلَمٍ ، وسَليل من سمر [1]

ولشهرة القصيم بأنقاء الرمل واحدها نقا وهو الكثيب المرتفع من الرمل يقول سُوَيْدٌ العبسي :

(١) تهذيب اللغة ج ٨ ص ٣٨٦ .

قد علمتْ خَوْدٌ[1] تحل الأبرقا و(النَّقْرَتَيْنِ)[2] و (القصيم) ذا النقا

أنا ندادى بالسيوف الاحمقا[3]

وجَرَدُ القصيم كان معروفاً مشهوراً في القديم ، حتى جعل له الإمام نصر الاسكندري رسماً خاصاً به ، وعرفه بما يدل على أنه في الجنوب الغربي منه قال : جَرَد ، بفتح الجيم والراء وآخره دال ـ جرد القصيم من القريتين على مرحلة ، وهما ـ يريد القريتين ـ دون رامة بمرحلة ، ثم إمَّرَة الحميّ ، ثم طخفة . ثم ضرية[4] .

ولا شك في أنه يريد أن جرد القصيم على مرحلتين من القريتين لمن يسير منهما مصعداً أي : ذاهبًا مع طريق حاج البصرة إلى مكة المكرمة .

ولذلك قال : وهما ـ أي القريتان ـ دون رامة بمرحلة ، فكان يحكي قوله ذلك وهو في العراق في البصرة أو جهاتها .

وقد تكفل أبو علي الهجري رحمه الله بإيضاح موقع جرد القصيم المذكور إيضاحاً لم أجده عند غيره فقال : سألته ـ يعني رجلا باهلياً ذكره ـ عن رحب بفتح الراء فقال : هو بجرد القصيم ، وعزلج ماءٌ آخره ، ومبين ، واليباه (؟) ثم قال الهجري : رحب بثآر في حساء قرب عزلج[5]

أقول : رحب رجحت بأنه هو الذي يسمى الآن (المدوية) وسيأتي

---

(١) الخود : : الفتاة الحسنة الخلق الشابة الناعمة .

(٢) القرنتين : تثنية « نقرة » وقد أوردها الحربي عند ذكر النقرة وربما كانت فى مكان قريب من القصيم فذكرها بجانبه لاسيما إذا عرفنا أن كلمة « نفرة » لاتزال كثيرة الاستعمال عند أهل القصيم ، كما فى رسم « النفرة » ولأن الشاعر من أهل القصيم أى بنى عبس .

(٣) كتاب المناسك للحربي ص ٣٢٢ . (٤) الامكنة ق ٤٠/ب

(٥) مجلة العرب م ٥ ص ١٠٩٢ .

ذكره في حرف الميم إن شاء الله، أما عزلج فهو الذي يسمى عجلزاً وهو في طريق حاج البصرة إلى مكة وهو فوق القريتين وهما معروفتان سيأتي تحديدهما في رسم (القرية) و (العيارية) ومن عجلز أو عزلج إلى رامة وهذه معروفة أيضاً فصحّ أن جرد القصيم يقع في جهة الغميس على الضفتين الشمالية والجنوبية لوادي الرمة . والله أعلم .

وقال أبو اسحق الحربي – رحمه الله – وهو يتكلم على طريق حاج البصرة إلى مكة المكرمة : ثم من وراء حبل الحاضر من الرمل[1] أقواز صغار ، يمنة ويسرة عن الطريق ، والمحجه فيها أحيانا رمل دعس ، وأحياناً قيعان منها قاع بولان الذي يقول فيه الراجز :

بقاع بولان دعوت ربي　　　دعوة عبد مُحْرِمٍ مُلبِّي

وإنما سمي بذلك لأنهم إذا صاروا إليه ، زلقت فيه الإبل ووحلت وتلك الاقواز والأجارع يمنة الطريق ويسرته يقال لها القصائم ، كان بها لص يقطع الطريق في الإسلام يقال له أبو حَرْدَبَةَ . قال الراجز :

الله نَجَّاكَ من (القصيم)　　　ومن أبي حَرْدَبَةَ اللئيم

وبهذه القصائم أودية فيها شجر الفاكهة من التين والخوخ والرمان وفاكهته أطيب فاكهة وأعذبها وأرقها[2] .

ونقل من أرجوزة في وصف الطريق المذكور لوهب بن جرير ابن حازم الجهضمي قوله :

حتى إذا أوفت على القصيم　　　وخَلَّفَتْ أرض بني تميم

قلت لها : جِدِّي ولا تقيمي

(1) حبل الحاضر : بالحاء هو الكثيب الممتد شمالا وجنوبا والذي يسمى الآن عرق الاسياح ، وهو آخر عروق الاسياح من جهة الغرب أي اقربها إليها . والاسياح هي النباج قديما كما سيأتي .
(2) كتاب المناسك ص ٥٨٥ – ٥٨٦ .

فاختلفت تَنْحَطُّ في رمـالـه مثل انحطاط الوعل في[٢] أجباله

تحذو إذا انحطت على مثاله

حتى إذا مـرت بقـاع بولان مزهُوَّة . تحدى أمام الرُّكبان

حَرْفٌ أَمُونٌ ذات لوث مذعـان

ثم مضت قِدمًا تؤمُ النَّخْلا[١] تُقْـدمُ أطلاحـاً عتاقًا بُـزْلا

تكاد تذري حملهـا والرَّحْلا

* * *

عَامِدَةً للقريتين[٢] . مـاتني لو عطفت لِمَرْتَعٍ لم تنثن

متى تحرّكها لسير تُمْعِن[٣]

وهذا يوضح لنا أن الطريق المذكور يمر بشرقي القصيم من النباج (الاسياح) حتى الصريف ثم يمضي من الصريف متجهاً إلى الجنوب الغربي فيمر بقاع بولان (القاع الأبيض) ومن ثم إلى القريتين قرب عُنيزة ومن القريتين إلى رامة وسيأتي ذكر هذه المواضع جميعها في أماكنها من هذا المعجم إن شاء الله

وقال نصر الاسكندري : القصيم من أرض ضبة ، وقيل : بين رامة ومطلع الشمس ، بين بلاد تميم . ورامة وراء القريتين في حق أبان بن دارم[٤] .

أقول سبق التعليق على مافي هذا القول من ملاحظة .

---

(١) يقصد نخل القريتين ، لأنها كانت في ذلك الوقت فيها عيون ونخل إلا أن ماءها فيه غلظ . أي هو ملح ، وأهلها يستعذبون الماء من عنيزة .

(٢) راجع رسم « القرية » .

(٣) المناسك ص ٦٣١ .

(٤) الأمكنة ق ١٢٧ رب .

وقال لغدة الاصبهاني : وأسافل الرمة تنتهي إلى القصيم ، رمل لبني عبس [1]

أقول : ليس هذا القول على اطلاقه فالقصيم أوسع من أن يكون لبني عبس وحدهم بل يشترك معهم غيرهم كما ذكر ذلك لغدة نفسه

وقال أيضاً : وبين أسفل الرمة وأعلاها سبع ليالٍ من الحرة حرة فدك إلى (القصيم) وحرة النار [2] .

أقول : جملة (وحرة النار) معطوفة على حرة فدك . وليس على القصيم وهذا هو الواقع بالنسبة لمبدإ سيول وادي الرمة ومنتهاه كما سيأتي تفصيل ذلك في رسم (وادي الرمة) في حرف الواو ان شاء الله تعالى .

وفدك هو الذي يسمى الآن الحايط ، ويقع إلى الشمال من خيبر .

وكان لبني السِّيد من ضبة ماء يقال له (مبين) قريب من القصيم مشهور مع ماحوله من الأماكن من القصيم بالري ، وطيب المرعى ، وأثره المحمود على الإبل التي تشرب ماءه وترعى في جرد القصيم .

قال لغدة : ثم مُبِين وهو من عظام مياه ضبة ، وهي لبني السِّيد . له يقول الراجز :

ياريِّها اليوم على مُبين   على مبين جَـرد (القصيم)
التـارك المخـاض كـالأرُوم   وفحلهـا أسـود كـالظليم

قال : ومبين قريب من القصيم . والجرد بينه وبين القصيم ، وهو مرعاه ، ومرعى القصيم [3] .

---

(١) بلاد العرب ص ٦٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ٧٦ وفدك : تسمى الآن : الحايط ، ويديع تسمى الحويط وحرة فدك تسمى حرة غمرطة كما يقول استاذنا حمد الجاسر .

(٣) بلاد العرب ص ٢٨٧ – ٢٨٨ .

هذا هو كلام لغدة ولكنني أعتقد أن جرد القصيم بل ومبين نفسه داخل في القصيم . وأن الموضوع هو موضوع اصطلاح .

يدل على ذلك قول الاسكندري في تعريف جرد القصيم :

جرد القصيم : من القريتين على مرحلة ، وهما دون رامة بمرحلة ، ثم إمرة الحمى ، ثم طخفَة . ثم ضرية .

ومعلوم أن القريتين تقعان قريباً من مدينة عنيزة ، وأنهما اللتان يسميان الآن (القرية) — بالتصغير— و(العيارية) كما نثبت ذلك بالأدلة في الرسمين المذكورين .

وإن رامة معروفة بل مشهورة وتقع إلى الجنوب من البدائع ويدل على كون الموضوع موضوع اصطلاح فقط قول لغدة نفسه بعدذلك :

(ومن ناحية (القصيم) خارجاً منه (النَّبَوَان) وهو ماء) .

والنبوان هو الذي يسمى الآن (الصّوال) في شرقي قصيبا كما سيأتي في حرف الصاد إن شاء الله .

وقُصَيبا : من القصيم الآن ، وإن كانت ليست من المواضع التي يصدق عليها وصف القصيم جغرافيا إذ ليست بالقصائم التي تنبت الغضا.

ويدل على ذلك أن أبا حنيفة الدينورى قال في تفسير قول متمم ابن نويرة :

قاظت أُثال إلى الملا وتربَّعَتْ   بالحزن: عازبةً تُسَنُّ وتودع

قال أُثال : بالقصيم من بلاد بني أسد . والملا : لبني أسد (١)

---

(١) البكرى : أثال ، وكرر البكرى هذا القول فى رسم : حزن بنى يربوع . غيرمنسوب .

وأثال معروف مشهور ولا يقع في قصائم تنبت الغضا ولكنه عرفه بأنه في القصيم - إلا أنه نسبه لبني أسد ، والصحيح أنه كان لعبس كما سيأتي في رسم أثال . في حرف الألف إن شاء الله .

أما الملا الذي قرن بأثال فهو الذي يسمى الآن السعيرة ، وهو مراتع للإبل يقع بين منطقة القصيم ، ومنطقة حائل .

وقريب من ذلك في الايهام ماذكره ياقوت قال : المشرق . بالفتح ثم السكون وكسر الراء ، وآخره قاف ، بلفظ ضد المغرب : جبل من جبال الأعراف بين الصريف والقصيم من أرض ضبة . وهذا فيه وهمان :

أولهما : قوله : جبل من جبال الذي كتب بجيم معجمة والصحيح ، حبل من حبال بالحاء المهملة إذ المراد به رمل وهو الرمل المستطيل فهو الذي يسمى حبلا بالحاء المهملة بدليل قوله الأعراف ولا يزال معروفاً باسمه المفرد فيقال فيه « العرف » بفتح العين والراء ثم فاء كما سيأتي ذكره في حرف العين من هذا المعجم وسنورد شاهداً من الشعر العامي على ذلك . وهو الذي يقع إلى جهة الغرب من الصريف فيا بينه وبين بقية القصيم وهذا صحيح .

ثانيهما : قوله : إن القصيم من أرض ضبة ، لأن القصيم لم يكن لضبة وإنما كان لضبة مياه في جنوب القصيم الغربي

أما شرقي القصيم أي جهة الصريف وما قرب منه فلم يذكر المتقدمون فيه مياها أو مواضع لضبة ، وإنما ذكروا أن تلك الجهة كانت لبني أسيِّد ولبني الهجيم ، ولطهية وكلهم من بني تميم ، هذا إلى جانب ماقي قوله المشرق بالقاف . والمعروف في الرمل : المشرف أو مشرف كما سيأتي في هذا الرسم في حرف الميم من هذا المعجم .

يضاف إلى ذلك أيضاً أنه ورد ذكر (مبين) الذي هو من مياه ضبة مقروناً بذكر رماذان الذي له علاقة بالرمادة التي تسمى الآن (رمادة) وسيأتي ذكرها في حرف الراء وهو واقعة إلى جهة القبلة من العيارية التي هي إحدى القريتين في القديم . مما يدل على أن مبينا كما قلنا في غربي الغميس . وأنه ليس في شرقي القصيم وذلك في شعر لعبدة بن الطيب في قوله :

تأوّبَ من هندٍ خيالٌ مُؤرِّقُ إذا استيأسَتْ من ذكرها النفس تطرق

إلى أن قال :

وَحَلَّتْ (مُبِيْناً) أو رماذان ، دونها

إكـامٌ وقيعـانٌ من السِّرِّ سَمْلَقُ [1]

أورده البكري وعقب على إيراده بقوله مبين : بئر معروفة وهي من مياههم المشهورة قال راجزهم ،

ياريّها اليوم على (مبين)

واعتبر بعض البلدانيين القصيم حَدًّا للأماكن المرتفعة التي أسموها (نجدا) بالنسبة لمن يأتي من العراق قاصداً الحجاز فقال بعضهم : حد نجد من النباج [2] وهو لبني عبدالله بن عامر بن كريز [3] .

وقال آخر : إذا جُزْتَ (القصيم) فأنت في نجد ، إلى أن تبلغ ذات عرق [4] . فَتَتْهَم [5] . وقال الإمام لغدة الاصبهانى : وللبصرة إلى

(١) ص ٤٠٢ : رسم « جواذة » .

(٢) النباج : الاسياح ، راجع رسم .. الاسياح ...

(٣) بلاد العرب ص ٣٣٩ .

(٤) ذات عرق : محل احرام الحجاج القادمين إلى الحجاز من شمال نجد وما يحاذانه شرقا من البلدان ، وتقع بقرب موضع يدعى الآن الضريبة .

(٥) تتهم : تدخل في تهامة .

مكة طريقان : أما أحدهما فالصحراءُ عن يسارك وأنت مصعد إلى مكة ليال ، فإذا ارتفعت فخرجت من فلج ، فأنت في الرمل ، فإذا جاوزت النباج والقريتين فقد أنجدت [1] .

أما حد القصيم نفسه من جهة الشرق فهو عند من نقل عنه لغدة : قاع بولان .

ولكن قاع بولان هو الذى يسمى الآن (القاع الأبيض) وهو ليس حد القصيم الشرقي ، وإنما هو قريب من حدهِ الشرقي إذا أريد بالقصيم جمع قصيمة وهي الرمال التي تنبت الغضا .

والقاع الأبيض . الذي كان يسمى قديماً - قاع بولان - واقع على ضفتي مجرى وادي الرمة الشمالية الشرقية ، إلى الغرب من بلدة الربيعة في شرق القصيم وسيأتي الكلام عليه بالتفصيل في حرف القاف إن شاء الله تعالى .

وقال لغدة : القصيم ، موضع ذوغضا ، فيه مياه كثيرة ، وقرى - منها قريتا ابن عامر [2] .

ثم قال : وأهل القصيم يسكنون في خيام الخوص ، وهي [3] منازل بني عبس وغيرهم ، وفيه نخيل كثيرة [4] .

أقول : لعله يشير بخيام الخوص إلى مايتخذ في القصيم من عسب النخل وخوصها ويسمونه الآن : الحظار . من كلمة حظر .. التي أخذت منها الحظيرة في الأصل ، وهي مايصنع من الشجر مأوى للماشية

---

(١) بلاد العرب ص ٣٣٨ .

(٢) راجع رسم « القرية » في حرف القاف . والعيارية في حرف العين .

(٣) كذا في كتاب لغدة ولعل الصواب . وهو .. أي القصيم ، وليس خيام الخوص .

(٤) بلاد العرب ص ٣٣٩ - ٣٤٠ .

وهذا الحظار : يتخذ من خوص النخل على شكل خيمة ، وغالباً يكون مربعاً أو مستطيلاً ، يترك ضلعه الشمالي فارغاً ليدخل منه هواءُ الشمال البارد .

ويستعملونه في فصل الصيف فقط فيكون أبرد من بيوت الطين أو الحجارة لأن الهواء يتخلله ، ولا تخترقه حرارة الشمس .

وكثير من أصحاب الثراء والنعمة الذين يملكون بيوتاً من الطين يفضلون البقاء فيه في الصيف على البقاء في البيوت الأُخرى ولعل صاحب هذا القول مُرّحاجا بهم في فصل الصيف

وإذاً ليس معنى ذلك أن سكناهم في خيام من الخوص على حـد التعبير المذكور مرده إلى عدم وجود بيوت من الطين أو الحجارة لديهم. إلى جانب وفرة النخيل ، وكثرة جريدها وخوصها في القصيم .

على أننا لوا افترضنا الأخير بأنه في الوقت الذى صدر فيه ذلك القول كان في القصيم بيوت من الخوص فلا شك ان ذلك يعتبر تطوراً أو بداية للتطور في استقرار البادية في البلدان للزراعة أو للتمدين بالنسبة إلى البيوت التي كانوا يسكنون فيها وهي بيوت الشعر ، طابع الحياة البدوية القائمة على الإنتقال والترحل .

ويدل على هذا المعنى ماذكره لغدة نفسه بعد ذلك ، إذا قال : وبالقصيم ماءٌ لبني أسد في الرمل - عليه خيام من الخوص كثيرة ، يقال له الحويريثة ، قال الشاعر :

على الربع الذي بحويرثات ... من الله التحيــة والسـلام [1]

وكان القصيم يعتبر منتصف الطريق بين البصره ومكة .

---

(١) بلاد العرب ص ٣٤٠ – ٣٤١ . والحويرثية أو الحويرثات غير معروفة لنا الآن .

قال لغدة : وبالقصيم عَجْلَز ، وهي ماءة لبني مازن ، وهي الْمَنصف ابن مكة والبصرة [1]

وأنشد لغدة قول الشاعر :

الله نجاك من العجالز ومن جبال طخفة النواشز

وقال العجالز : رَحْبٌ ، وعجلز وما حولهما من المياه ، ورَحْبٌ ماءٌ لبني مازن بالقصيم .

أقول : رحب هي التي تسمى الآن : المدوية . وعجلز هو الذي يسمى الآن الزريب - كما سيأتي في هذين الرسمين من المعجم وهما من القصيم ، وكانا لضبّة في قديم الدهر . كما قال لغدة .

وسبب الرجز أن قائله أحد الحجاج الذين يأتون مع حاج البصرة ، والعجالز في رمال صعبة المرتقى ، يشق السير فيها على الإبل وعلى المشاة بطبيعة الحال . كما أن طخفة جبال صعبة ولكن الشكوى ليست من صعوبتها ، وإنما لكونها منازل قوم من البدو الجفاة الذين قد يُسيْؤو ن إلى الحجاج كما أنها خالية من أسباب الرفاه ، وحاجات العيش التي يمكن أن يبتاعها الحاج .

وورد ذكر عجاز مقرونا بالقصيم في شعر جاهلي لزهير بن أبي سلمى [2]

لِمَنْ طلل برامة لايَريم عفا وخلا له عهد قديم

يلوح كأنه كفا فتاة تُرَجَّع في معاصمها الوشوم

عفا من آل ليلى بطن ساق فأكْثِبَةُ العجالز (فالقصيم)

تطالعنا خيالات لسلمى كما يتطلع الدين الغريمُ

(١) بلاد العرب ص ٣٤١ وعجلز استظهرنا أنه الزريب (راجع رسم الزريب) .

(٢) شرح ديوان زهير ص ٢٠٦ - ٢٠٩ .

فقرن ذكره بمواضع لاتزال معروفة في القصيم مثل رامة ، وبطن ساق . . الذي يحيط بساق الجواء .

والعجالز هي الأماكن التي فيها الزريب والمدوية وما حولهما من مياه وهي رمال صعبة .

قال الإمام ثعلب في شرحه لهذه الابيات : ساق : هضبة والعجالز : قيل : رمال عظام الواحد عجلز . والقصيم : منابت الغضا في الرمل مثل أجمة الشعر .

وثعلب يريد بذلك المعنى اللغوى للفظ، وإلا فإن زهيراً يريد تلك المواضع المعروفة الآن فى القصيم بعينها .

وكذلك ورد اسم القصيم مقروناً بذكر مواضع فيه كلها معروفة الآن إلا موضعاً منها واحداً وذلك في شعر جاهلي لشاعر أقدم عهداً ، وأبعد زمناً في الجاهلية من زهير بن أبي سلمى وهو أبو دواد الإيادي قال أبو داواد (١) :

أقفر الخبُّ من منـازل اسما ء فجنبـا مُقَلِّص فَظَلِيم
وترى بالجـواء منهـا حُلُولاً وبذات (القصيم)، منها رُسوم

والمنازل المعروفة الآن من هذا الشعر هي : الخب . أحد خبوب القصيم الكثيرة المتعددة والتي تحيط بمدينة بريدة من جهاتها الثلاث الغربية والشرقية والجنوبية .

وظليم هو الوادي الذي يسمى الآن ــ الظليم ــ بالتصغير ويقع إلى ناحية الشرق من مدينة عنيزة . وإلى الغرب من الشماسية ، والجواء الذي هو ناحية هامة مشهورة من نواحي القصيم . تشتمل على عدة قرى ومزارع وجبال مذكورة بل بعضها مشهورة في القديم والحديث .

(١) ياقوت : رسم « مقلص » .

وذكر الهمداني القصيم ووصفه بما يرى الآن في جنوب بريد شمال عنيزة من وجود النخيل والأشجار بين كثبان الرمل قال :

ثم أبانان : أبان الأسود ، وابان الأبيض : جبلان يمر بينهما بطن الرمة . . . ثم وراء ذلك القصيم . وهو بلد واسع ، كثير النخل والرمل. والنخل في حواء الرمل ، وهو كثير الماء ، كثير الحصون [1] .

فوصفه كما ترى بكثرة المياه والرمال . وهذا معروف في القصيم ، ولكنه وصفه أيضاً بأنه كثير النخل ، كثير الحصون ، مما يدل على أن العمارة والزراعة كانت منتشرة مزدهرة في القَصيم زمن الهمداني أو قبله بقليل أي منذ حوالي ألف سنة من الوقت الحاضر .

وإذا أضيف هذا القول إلى قول لغدة السابق ذكره ، من أن القصيم فيه مياه كثيرة وقرى منها قريتا ابن عامر . عرف أن القصيم كان قديم العمارة ، كثير السكان في القرون التي تلت ظهور الإسلام .

هذا بالإضافة إلى وجود أماكن فيه كانت معمورة قبل الإسلام ومنها القريتان اللتان ذكر العلماء أنهما كانتا لطسم وجديس من العرب البائدة كما سيأتي في رسم القرية ، وزبيدة .

وقال ياقوت : رمادان : تثنية رماد ، ثم عرب : جَفْرٌ في الطريق - أي طريق الحج - لبني المرقع من بني عبد الله بن غطفان عند القصيم . قال جرير :

أخو اللؤم مادام الغضا حول عَجْلز
ومـا دام يسقي في رمـادان أحْقَفُ

---

(١) صفة جزيرة العرب ص ١٤٤ .

وعجلز : من المواضع المعروفة قديماً في القصيم لأن حاج البصرة يمرون بكثيبها بعد القريتين وقبل رامة . ويترجح لنا أنه هو الزريب المعروف لنـا، وسنذكر أدلتنا على ذلك في رسم (الزريب) فراجعه إن شئت . والظاهر أن رمادان هذا لاسمه علاقة بالرمادة التي يمر طريق حاج البصرة إلى مكة بهـا وذكر الأقدمون مايفهم منه أن موقعها إلى الشمال الغربي من مدينة (عنيزة) كما قال أبو اسحاق الحربي :

ومن ورائها – يعني القريتين – بلد يقال له الرمادة وهو منصف طريق مكة من البصرة . قال : يقول الكريُّ : إذا صار بالرمادة : ما أبالي أصْعَدْتُ ، أم انحدرت ، أي : إني في المنصف [1]

ولا تزال الرمادة معروفة باسمها القديم ولكن دون تعريف(رمادة) كما سيأتي في حرف الراء .

والقصيم بما فيه من جو أفيح وهواء طلق ، ومناظر خلابة وطبيعة متنوعة المظاهر يلهب خيال الشعراء ، ويهيج شاعر ينهم كما قال عبد الله ابن قيس الرقيات وقد حَلَّ القصيم وأخذ يسائل الجلهتين ولعلهما جلهتا وادي الرمة[2] ويذكر محبوبته (سلمة) التي عهدها قد حلت ..سرف.. و : غدير الأشطاط . . حيث بلاده في الحجاز :

لَمْ تَكَلَّمْ بالجلهتين الـرُّسُومُ   حَـادِثٌ أهلُهـا أم قـديمُ

سَرِفٌ منزل لسلمة فالظَّهْران[3] منـا منـازل (فالقصيم)

فغـدير الأشطـاط منهـا محلٌ   فبعسفـان منزل معـلوم

---

(١) كتاب المناسك ص ٥٩٠ .

(٢) قال ياقوت : جلهتا الوادي : ناحيتاه وحرفاه .

(٣) المراد : جبل الظهران القريب من الفوارة راجع رسم « الفوارة » . (العرب : لعل المقصود الظهران القريب من سرف ، وأن القصيم هنا تصحيف الغميم بقرب الظهران) .

صدروا ليلة انقضى الحجُّ فيهم	حُـــرَّةٌ زانهـا أغَـرُّ وسـيم
يتّقي أهلهـا النفوس عليهـا	فعلى نحرهـا الرُّقى والتميم[1]

ويزيدنا دليلا على أنه يريد القصيم ، وأنه قد نزله أبيات ذكرناها في رسم أبان . يقول فيها :

أنا من أجلكم هجرت بني بد	ر، ومن أجلكم أحب أبانا

إضافة إلى أنه ذكر الظهران إلى جانب ذكره القصيم هو يريد جبل الظهران الواقع بجانب الفوارة . التي كانت في صدر الإسلام بلدة عامرة ذات عيون ونخيل كثيرة كما سيأتي في رسمها .

وممن أعجبهم القصيم فوصفه بالزهاء في شعره هذا الرجل من جند المسلمين في حروب الردة :

روي أن خالد بن الوليد رضي الله عنه خرج من أكناف جبل سلمى ، حتى نزل الغمر ، وهو ماءٌ من مياه بني أسد بعد أن حسن اسلام طيء ، وأدوا زكاتهم فقال رجل من المسلمين :

جزى الله عنا طيئاً في بلادها	ومُعترك الأبطال ، خير جزاء
هُمُ أهل رايات السماحة والندى	إذا ماالصَّبا ألْوَتْ بكل خِباء[2]
هُمُ ضَرَبوا بَغْثاً على الدين بعدما	أجابوا منادى فِتْنَةٍ وَعمـاء
وخال أبونا الغَمْـرَ لا يُسلِمُونه	ولَجَّتْ عليهـم بالرمـاح دماء
مراراً ، فمنها يوم أعلى بزاخة	ومنها (القصيم) ذو زهيٍّ ودعاء[3]

(١) التيم : التمائم : جمع تميمة ، والأبيات في ديوانه ص ١٩٥ . ذكرها ياقوت في رسم « أشطاط » والبيتان الأولان في رسم « سرف » .
(٢) الوت : أي : احتملت والقت .
(٣) ياقوت : رسم « الغمر » ج ٤ ص ٢١٢ . وهي أيضا في تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٩٩ .

والقصيم ، لكثرة أنقائه ، ووجود الغابات والأشجار الكثيفة في وديانه قد كان في وقت من الأوقات مأوى لبعض اللصوص من الأعراب الذين كانوا يترصدون الحجاج فيخطفون منهم ما استطاعوا ثم يلجئون إلى تلك المخابئ الطبيعية في القصيم يستترون بها من المطاردين ويحتمون بظلها من الطالبين .

وكان بعض الحجاج يلقون عَنَتًا من أولئك اللصوص وبخاصة منهم مالك بن الريب وأبا حردبة المازنيين ولصاً آخر يكنى غُوَيْثًا . فكان راجز الحجيج إذا نجا من أولئك اللصوص يرتجز ويقول :

اللهُ نَجَّاكَ من (القصيم)
وبطن فَلْجٍ وبني تَميم
ومن غُوَيْثٍ فاتح العكوم[1]
ومِنْ أبي حَرْدَبَةَ اللئيم
ومالك وسيفهِ المسموم[2]

وقال أوس بن حجر[3] :

ولو شهد الفَوَارِسُ من نُمَيْرٍ ... بِرَامَةَ[4] أو بنعف لوى القصيم

فذكر لوى القصيم وهو منقطع الرمل، أوما انحنى من الكثبان الرملية .

وقرنه بذكر رامة التي لا تزال معروفة ، باسمها القديم

وغويث ورد بالمهملة في « فرحة الأديب »[5] .

وهذا شاعر جاهلي من بني ضبة الذين تقع بلادهم في الجنوب

(١) العكوم :

(٢) البكرى ص ١٠٢٧ : رسم « فلج » والمحبر ص ٢٢٩ وفرحة الأديب ق ١٣٢ .

(٣) ديوانه ص ١٢٧ وله بيت مفرد فيه ، .

(٤) راجع رسم « رامة » .

(٥) فرحة الأديب المشوم .

الغربي من القصيم يقال له يزيد بن عبد الله بن سفيان ويلقب بالمنصف يذكر القصيم [١]

حلفت لتركبن وأنت عَجْلَى على ماخَيَّلتْ وَعَثَ (القصيم)

ويقول أيضاً [٢] :

كـأني والكميت أجُزُّ رمحي بـأكثبة (القصيم) على دوار
كأن جماجم الأبطال منـا ومنهم ، بيننا خلق المحـار

وهذا شاعر ضَبِّي أيضاً ، وهو ربيعة بن مقروم الضبي يقول [٣] :

وقومي فإن أنت كـذَّبتني بما قلت فاسأل بقومي عليما
فدى ببزاخة [٤] أهلي لَهـمْ وإذْ ملؤا بالجموع (القَصِيْما)
وإذْ لقيت عـامر بالنـار منهم وطخفة يوماً غشوما [٥]
به شاطروا الحيَّ أمـوالَهُـمْ هَوَازِنَ ذا وَفْرِهـا والعـديما

قال بشر بن أبي خازم الأسدي يصف فتاة لعوباً منازلها القصيمة ، وذلك في معرض حديثه عن رحلتها عن القصيم [٦] حيث كان حداة الإبل يؤمون بها مياه تخل [٧] ويزوَرون بها عن أبانين أي : يميلون بها عنهما [٨]

ألا بان الخليط ولـم يزاروا وقلبك في الظعـائن مستطار

---

(١) معجم الشعراء ص ١٩٥ . (٢) المصدر نفسه .
(٣) النقائض ص ١٠٦٧ .
(٤) بزاخة : حقق الأستاذ حمد الجاسر موقعها بما لايدعى مجالا للشك فيه وهو أنه فى المنطقة ، التابعة لحائل إلى الجنوب الغربى منه راجع « المعجم الجغرافى » شمال المملكة ص ١٩٠–٢٠٤ ولا تزال معروفة باسمها هذا وقد زرتها .
(٥) أنظر رسم طخفة .
(٦) راجع أول هذه القصيدة فى رسم « أبان » .
(٧) تخل : هى الحناكية : وهى قريبة من النخيل .. بصيغة التصغير المشهورة .
(٨) المفضليات ص ٣٣٨ – ٣٣٩ .

يَؤم بها الحداة مياه نخل		وفيها عن أبانين ازورار
وفي الأظعان آنسة لعوب		تيمم أهلها بلداً فساروا
من اللائي غُذين بغير بُؤس		منازلها (القصيمة) فالأوار
نبيلة موضع الحجلين ، خَوْد		وفي الكشحين والبطن اضطمار

والأوار الذي ذكره يسمى الآن . (الطوير) . وهو جال صغير يقع ، إلى الشرق من مطار القصيم المركزي فما بينه وبين قرية الشقة السفلى — والجال في لغتهم العامية هو ما أشرف من الجبل الذى يكون الجانب الآخر منه مستوياً مع السطح

وذكر لغدة ما يفيد بأن القصيم كان تابعاً إدارياً لعامل اليمامة حيث ذكر أن القبائل التي كانت تسكن القصيم جبايتهم إلى اليمامة (١) . كما ذكر في موضع آخر أن القصيم من عمل المدينة . وعلّق الأستاذ العلامة حمد الجاسر على قوله هذا بأنه قد يكون ذلك في العهد الأموي حينما كان القصيم — لكونه واقعاً في طريق الحج — يضاف إلى والي المدينة . ثم أفرد للطريق والٍ خاص في العهد العباسي ، كما يفهم من ترجمة محمد ابن حبيب الفقعسي (٢) وهذا طبيعي أن يكون القصيم تابعا لوالى المدينة حينما كانت المدينة مركزاً مهما من مراكز الحكم . ثم عندما انتقلت الخلافة إلى بغداد وقلّ شأن المدينة المنورة إداريا في نفوس حكامها أصبح القصيم تابعاً لليمامة . .

ويدل على ذلك نص أورده الهمداني وسيأتي في رسم الاسياح كما ستأتي تتمة للكلام على الجهة التي كان يتبعها القصيم في القديم فيما بعد إن شاء الله تعالى .

---

(١) بلاد العرب ص ٣٢٧ .
(٢) بلاد العرب ص ٣٤٠ وحاشيتها .

ونعتقد أن القصيمة هي الرمال المنبسطة ذات المراتع التي تبتدىء من جنوب الميلداء وتنتهي عند خبوب (جمع خب) بريدة الشمالية .

وهذا من أدلتنا على ذلك .

قال الأسود بن يعفر يصف مرعى خصباً [١] .

ولقـد غـدوت لعازب متنـاذر ... أحوى المذاتب ، مونق الرّوّاد [٢]

جـادت سواريه ، فـآزر نبتـه ... نُفَأً من الصفراء والزّبّاد [٣]

بالجو ، فالامراج حول مُرامِـر ... فبضارج ، فقصيمة الطّرّاد [٤]

فقرن ذكر القصيمة بذكر الجو الذي لا نشك أنه أحد الجواء الواقعة في ناحية الجواء التي تقع إلى الشمال من المليدا ، في المنطقة الواقعة شمال مدينة بريدة . وبذكر مرامر الذي يسمى الآن القرعاء كما سيأتي في حرف القاف إن شاء الله . وبضارج الذي يسمى الآن . . ضاري بالياء ، في منطقة الشقة . وسيأتي ايضاح لهذا الموضوع في رسمي الضلفعة و المليدا .

بل كان القصيم مقصداً لطلاب الإستفادة من علم اللغة ، والأدب ، والاستزادة من الفصاحة من أهله الفصحاء فكان أهله في صدر الإسلام رغم ما كان يعترى باديتهم من شظف العيش ، الذي تخلفه سنوات الحرب في بعض الأحيان ومثلاً عُليا للفصاحة والبلاغة يرحل إليهم العلماءُ من

---

(١) ياقوت رسم : « مرامر » .

(٢) العازب : البعيد : والمراد به العشب و المتناذر التى لا يقترب منه الرعاة لأن دونه من يمنعه لنفاسته والاحوى : الأخضر الضارب إلى السواد ثم ذكر أن ذلك العشب مونق المنظر للرواد .

(٣) سواريه : السحب الساريه بالمطر ونفأ : قطع متفرقة . والصفراء : عشبة تنبت بالقصيم تسميها العامة الآن الصفارى والزباد : نوع من العشب .

(٤) الامراج : جمع مرج وهو النبت الملتف .

البلاد البعيدة كالعراق ويأتون إلى بلادهم (القصيم) يستمعون إلى مايقولون ، ويسجلون مابه ينطقون . ويعتبر الواحد من أولئك العلماء نفسه صاحب حظ عظيم إذا ظفر بشيء من كلامهم ، أو استمتع بنظم من نظامهم .

ويكفي للتدليل على ذلك هذه القصة التي سجلها الإمام القالي في «الأمالي» وكان مسرحها منطقة تقع إلى الشمال من مدينة بريدة إذ كان بطلها المنصوص عليه رجلاً من بني الصيداء . وبنو الصيداء هم من بني أسد الذين كانوا يسكنون في ضارج (ضاري حالياً) أو الشُّقَّة في الوقت الحاضر كما كان من أبطالها شيخ من أهل الناحية الواقعة إلى مطلع الشمس من بلاد بني الصيداء وذلك يشير إلى جهة المتينات . أو الوطاة في المنطقة ، الشمالية الشرقية من مدينة بريدة . .

وهذا هو نص القصة كما رواها القالي محدثاً بها عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي الإمام الراوية المشهورة وهو أن الاصمعي قال : إن أباالعباس ابن عمه – وكان من أهل العلم – قال سهرت ليلة من ليالي بالبادية ، وكنت نازلاً عنـد رجل من بني الصيداء من أهل (القصيم) وكان – والله – واسع الرَّحْل ، كريم الْمحَلّ ، فأصبحت وقد عزمت على الرجوع إلى العراق ، فأتيت أبا مثواى[(١)] فقلت : إني قد هَلِعْتُ من الغربة ، واشتقت أهلي ، ولم أجِدْ في قدمتي هذه[(٢)] اليكم كبير علم ، وإنّما كنت أغتفر وحشة الغربة ، وجفاء البادية للفائدة ، فأظهر توجعاً ، ثم أبرز غداء له ، فتغديت معه ، وأمر بناقة له مَهْرِيّة كأنّها سبيكة لُجيْن

(١) أبا مثواى : يعني مضيفي .
(٢) يريد وقت إضافته إياه .

فارتحلها واكتفلها ، ثم ركب وأردفني ، وأقبلَهَا مطلع الشمس ، فما سرنا كبير مسير حتى لقينا شيخ على حمار له جُمَّة قد ثمغها [1] كالورس فكأنها قُنَّبيطةَ ، وهو يترنم ، فسلَّم عليه صاحبي ، وسأله عن نسبه ، فاعْتَزَى أسديًا من بني ثعلبة ، فقال : أتُنْشِدُ أم تقول ؟ فقال : كُلاًّ ، فقال : أين تَؤُمُّ ؟ فأشار إلى ماء قريب من الموضع الذي نحن فيه ، فأناخ الشيخ وقال لي : خُذْ بيدِ عمِّك فأنزله عن حماره :

ففعلت ، فألقى له كساءً كان قد اكتفل به ، ثم قال : أنشدنا — رحمك الله — وتَصَدَّقْ على هذا الغريب بأبيات يعيهنَّ عنك ، ويذكرك بهنَّ فقال : أي ها الله إذاً : ثم أنشدني :

لقد طال ياسوداءُ — منك المواعد ... ودون الجَدَا المأمول منك الفراقد

إذا أنت أعطيتَ الغنى ، ثم لم تَجُدْ ... بفضل الغني أُلفيتَ مالك حامد

تُمنِّيننا غداً وغيمكمُ غداً ... ضبابٌ فلا صحو ولاالغيم جائد [2]

وقلَّ غناءٌ عنك مالٌ جمعته ... إذا صار ميراثًا وَوَارَاك لا حدُ

إذا أنت لم تَعْركْ بجنبك بعض ما ... يريب من الأدنى رماك الاباعد

إذا الحِلْمُ لم يغلب لك الجهل لم تزل ... عليك بروق جَمَّة ورواعد

إذا العزم لَمْ يَفْرُجْ لك الشَّكَّ لم تَزَلْ ... جَنيبًا كما استتلى الجنيبة قائد

إذا أنت لم تترك طعاماً تُحبُّه ... ولا مَقْعَدًا تدعى إليه الولائد

تَجلَّلْت عارًا لا يزال يَشُبُّه ... سِبابُ الرجال نَثْرهم والقَصَائدُ

---

(١) ثمغها :

(٢) جائد : من الجود .

وأنشدني أيضاً :

تَعَزَّ فإن الصبر بالحر أجمل ... وليس على ريب الزمان مُعَوَّل
فلو كان يُغْنِي أنْ يُرى المرءُ جازعاً ... لنازلة ، أو كان يُغْني التَذَلُّلُ
لكان التَعَزِّي عند كل مصيبة ... ونازلة بالحر أولى وأجْمَلُ
فكيف وكُلٌّ ليس يعدو حِمَامَهُ ... ومالامرىء عما قضى الله مَزْحل
فإن تكن الأيام فينا تَبَدَّلَتْ ... ببُؤْس ونُعْمى والحوادث تفعل
فما لَيَّنَتْ منا قناةً صَليبةً ... ولا ذللَتْنا للذي ليس يَجْمُلُ
ولكنْ رَحَلْناها نُفُوساً كريمةً ... تُحَمَّلُ مالا يستطاع فتحمل
وقَيْنَا بعزم الصبر منا نفوسنا ... فَصَحَّتْ لنا الأعراضُ والناسُ هُزَّل

قال ابن أخي الاصمعي : قال عمّي : فقمتُ ـ والله ـ وقد أُنْسيت أهلي ، وهان عليَّ طول الغربة ، وشظف العيش سروراً بما سَمِعْتُ ، ثم قالَ لي : يابنيّ ، مَنْ لم تكن استفادة الأدب أحبُ إليه من الأهل والمال لم يَنْجُبْ (١) .

أقوال للمتأخرين في منطقة القصيم

قال السيد محمود شكري الألوسي :

من نواحي نجد ناحية القصيم وهي من أحسن نواحيه ، وأهلها من أشجع أهالي نجد .

وفي القصيم بلدتان مشهورتان وهما عنيزة وبريدة وهما بلدتان واسعتان، فيهما نحو خمسة آلاف دار ، وفيها مساجد كثيرة ومدارس متعددة لطلبة علوم الدين . وفيها نخيل وأشجار متنوعة ومياهما من

(١) الامالي ج ١ ص ١٦٧ – ١٦٩ .

الابار . وكان الأمير قبل ابن رشيد رجلا من آل سليم يولي من قبل ابن سعود وهو من أهل بيت قديم من عنيزة من عشيرة سبيع، وكان أمير بريدة من السديريين[1] مولى مِنْ قبل ابن سعود آمراً على كافة قرى القصيم . وقال :

قرى القصيم :

وقرى القصيم : الأسياح . وعين ابن فهيد وحنيظل ، وأبو الدود[2] وقصيبا وغير ذلك . وهذه القرى كلها خِصْبةٌ كثيرة النخل والبساتين والحدائق والثمار المتنوعة والمياه العذبة . ثم قال :

قرى بريدة :

وقرى بريدة : الشقة والعيون ، والبصة[3] والقرعاء ، ووادي عنيزة ، وغير ذلك : وهذه القرى أيضاً كثيرة النخيل والأشجار والثمار والعيون والآبار .

قرى الوادي :

وقرى الوادى[4] : الشيحيات ، والهلالية ، واليكبرية[5] والخبراء ، والرس وقراه : صبيح والنبهانية . والمذنب[6] وقراه ثلاث . هذا هو المشهور من محال القصيم[7] .

(١) السديريين : أسرة السديرى : وطبيعى أنه يتكلم عن زمنه قبل حكم الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله .

(٢) الصحيح : (أبا الدود) لأن الكلمة علم لا كنية والاعلام لا تغير بالاعراب .

(٣) فى حاشيته : الصواب البصر . وهو صحيح .

(٤) يريد بذلك القرى القريبة من وادى الرمة لاالتى فى وسطه أو تابعة له ، ولكن الشيحيات والهلالية والبكيرية ليست على ضفته بل هى بعيدة عنها .

(٥) صحح هذا اللفظ فى الحاشية فقال : الصواب : البكيرية .

(٦) المذنب : ليس قريبا من الوادى بل هو فى جنوبى القصيم .

(٧) تاريخ نجد ص ٢٢ — ٢٣ .

وقال الشيخ محمد بن بليهد : القصيم هو بلد عظيم مشهور بهذا الاسم إلى هذا العهد واقع في القطعة الشمالية من نجد ، عامر ، كثير القرى والنخيل والمزارع تبلغ قراه وحبوبه ، والمواضع العامرة منه من حدوده الجنوبية إلى حدوده الشمالية ومن حدوده الغربية إلى حدوده الشرقية مايبلغ قدره مائتي قرية ، ومدنه : بريدة ، وعنيزة ، وبلد الرس [1] .

وقال أيضاً : أما القصيم فهو مواضع جاهلية لها ذكر في أشعار العرب قبل الإسلام وبعده ، كالنباج الذي يسمى اليوم الاسياح ، وقرى الجواء والقريتين موضع روضة الزغيبة اليوم [2] ، والرس والرسيس والعاقلي ، وأكثر قرى القصيم مذكورة في أشعار العرب وتاريخهم [3] .

وقال الشريف شرف بن عبد الحسن البركاتي أحد أشراف مكة كتابه « الرحلة اليمانية » [4] : وفي الجهة الشرقية من جهة شمر بميل إلى الجنوب بلاد القصيم وأرضها و أوديتها خصبة ، تنزرع فيها الحبوب على اختلاف أنواعها . وكثير من أصناف الفواكه كالعنب والرمان والخوخ والمشمش والتين وخلافه ، والنخيل بكثرة ، ومن الخضر : البطيخ والشمام وغيرها وبوسطها غابات واسعة .

ويقدر عدد أهل القصيم بنحو أربعمائة ألف نفس ، ومن القبائل المشهورة بها . عقيل [5] بن كلب بن عامر بن صعصعة ، وينتمي نسبها إلى عدنان .

---

(١) صحيح الأخبار ج ١ ص ١٥١ .
(٢) سيأتي ذكر القريتين في رسمي القرية والعيارية من معجمنا هذا .
(٣) ص ١٥٤ .
(٤) الطبعة الثانية ص ١٥٦ .
(٥) اشتبه عليه اسم «عقيل» الذين يتجرون في المواشي والذين هم من قبائل شتى بقبيلة عقيل بن عامر الذين هم من أقل القبائل في منطقة القصيم .

وأغلب القبائل بهذه الجهة عدنانية : وأهل القصيم بعضهم بدو يسكنون بيوت الشعر ، والبعض يسكن القرى : وعددها يزيد عن خمسين قرية وأشهرها بلدتا بريدة ، وعنيزة . .

ثم قال : ومن رجال القصيم المشهورين بالتجارة الواسعة والغنى الهائل والجاه بين قبائلهم وهم من أعيانها وعليهم المدار : بيت الربادة (الصحيح : الربادي) وكبيرهم : ابراهيم بن محمد الربيدى (الصحيح : الريدي) وأخوه عبده (الصحيح : عبدالله) ثم بيت الرشودي ، وكبيره : فهدوابراهيم أولادعلي(١) ثم بيت ابن شريدة ، وكبيرهم : محمد وفهد(٢) وأخوانهم ، ثم بيت عبد العزيز بن حمود المشيطة(٣) (الصحيح : المشيقح) وهو وكيل ابن سعود في مدينة بريدة ، والشيخ راشد بن سليمان الرقيبه من أعيان أهل القصيم ، ثم بيت آل بسام من الاعيان أيضاً . وهؤلاء أهل تجارة واسعة في أغلب جزيرة العرب .انتهى كلامه وقد كتبه في حدود ١٣٣٠هـ.

وقال الشيخ حافظ وهبة :

القصيم : وتقع الوشم في جنوبها الشرقي ، ومنحدرات عتيبة في الجنوب الغربي (٤) ويحفها جبل شمر من الغرب والشمال والصحراء الشمالية ،

(١) فهد بن علي الرشودى زعيم بريدة فى وقته توفى عام ١٣٦٧ ترجمته فى تاريخ ابن عبيد ج ٤ ص ٢٧٦ – ٢٨١ .

وتوفى اخوه ابراهيم بن علي الرشودى – رحمه الله – فى جمادى الأولى عام ١٣٦٤ هـ .

(٢) هو محمد بن عبدالرحمن بن شريدة مقدم أهالى بريدة فى زمانه توفى قتيلا فى وقعة جراب عام ١٣٣٣ هـ .

(٣) عبد العزيز بن حمود بن مشيقح من زعماء بريدة والمقدمين فيها و كان أكثر اهل بريدة ثروة ومالا لمدة طويلة توفى عام ١٣٧٢ هـ انظر ترجمته فى تاريخ ابن عبيد ج ٤ ص ٣٢٥ ومابعدها .

(٣) يريد بذلك أسفل البلاد التى فيها هجر عتيبة وهذا غير دقيق ، لأن الذى يقع فى الجنوب الغربى من القصيم إنما هو بعض البلاد التى فيها هجرته – جمع هجرة – لعتيبة مثل نفى وغربى السر وما قرب من الشعراء والدوادمى .

وتبلغ أبعادها نحو تسعين ميلا من الشمال إلى الجنوب . وستين ميلا من الشرق إلى الغرب [1] ويطلق على القسم الواقع في الشمال الشرقي القصيم العليا ، وتتسرب المياه إلى آبارها من المرتفعات المحيطة بها ، وبخاصة من جبل شمر . والقصيم ملأى بالقرى الآهلة بالسكان .

ومزارعها كثيرة جدا حتى أنها تشبه حديقة تحيط بها صحراء وتجود في هذه الواحة المزروعات على اختلاف أصنافها . ويقدر عدد المقيمين فيها بصفة دائمة بمائة وخمسين الف نسمة .

وتقع القصيم في طريق القوافل من مكة إلى بلاد مابين النهرين ، وسوقها التجارية نافعة ، وتعتبر بلاد القصيم أكثر بلاد العرب الداخلية اتصالا بالعالم الخارجي ، وأهلها من أذكى أهل نجد. وأرقهم طباعا ، وأكرمهم خلقاً ، وأسخاهم يداً ، وأكثرهم أسفاراً للخارج . وأكثر التجار النجديين المعروفين في مصر وسوريا والهند والعراق من أهل القصيم ، وقد شملت النهضة العلمية والصحية القصيم فشيّدت الحكومة المدارس والمستشفيات . كما قامت بها نهضة زراعية واسعة نرجو أن تزدهر وأن تُشجع من الحكومة لتقوم بقسط وفير من حاجة البلاد .

ويبلغ عدد قرى القصيم نحو ٥٠ قرية ، والمدينتان الرئيسيتان للقصيم هما بريدة وعنيزة . وأغلب القرى تعتمد على بريدة ولذا تسمى بأُم القصيم [2] .

وقال في موضع آخر : القصيم واقعة إلى مابعد المنحدرات في جنوبي جبل شَمَّر ، فالقسم المنخفض ترجع خصوبته إلى المياه الموجودة في باطن

(١) هذا غير صحيح إذ القصيم أوسع من ذلك بكثير كما هو موضح فى هذا المعجم .
(٢) جزيرة العرب فى القرن العشرين ص ٦٠ — ٦١ .

الأرض باستمرار . وإلى المياه التي تفيض عليه أحياناً من وسط مجرى وادي الرمة . وتمتد منطقة القصيم في خط يبلغ طوله أكبر من مائة ميل تتخلله بعض السنة النفود فتفصله عن بعضه . وفي هذا الخط تقع أكبر مدينتين تجاريتين في قلب الجزيرة وهما عنيزة وبريدة ، وعدا هاتين المدينتين يوجد أكثر من خمسين بلدة كبيرة وصغيرة .

والقسم المرتفع غَنِيٌّ بمراعيه الواسعة ، ويعتمد على الآبار التي توجد في أكثر من أربعين بلدة . وقد حفرت آبار كثيرة ارتوازية في القصيم سيكون لها أكبر الأثر في مستقبل القصيم الزراعي [(١)] .

وقال الأستاذ : عمر رضا كحالة :

يحد القصيم من الجنوب الشرقي بالوشم ، ومن الجنوب الغربي منحدرات عتيبة . ويحفه جبل شمّر من الغرب والشمال ، والصحراء الشمالية .

ويبلغ أبعاده نحو تسعين ميلاً من الشمال إلى الجنوب ، وستين ميلاً من الشرق إلى الغرب [(٢)] .

ويطلق على القسم الواقع في الشمال الشرقي : القصيم العليا ، وتتسرب المياه إلى آباره من المرتفعات المحيطة به ، وخصوصاً من جبل شمر .

جـو بلاد القصـيم :

الجو في القصيم جاف بارد في الشتاء ، ومعتدل في الصيف ، وليالي القصيم في الصيف كليالي الصحراء : نسيم عليل ، وسماء صافية ، ونجوم

---

(١) جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٢ .
(٢) الظاهر أنه نقل عن الأستاذ حافظ وهبه هاتين النقطتين اللتين علقنا عليهما قبل قليل .

تسطع في السماء تلذ رؤيتها للشعراء ، والمولعين بالهدوء الصحراوي البديع .

ملحه :

في القسم الغربي من القصيم ، يوجد ملح بري ، يستعمل للخيل (؟) ويباع في كثير من البلدان . وأهم أسواقه : بريدة ، وعنيزة .

نباتاته :

مزارع القصيم كثيرة جداً ، حتى أنها تشبه حديقة ، تحيط بها صحراء . وتوجد في هذه الواحة الزروع على اختلاف أصنافها .

وتكثر الأعشاب في القصيم خلال فصل الربيع ، فيصبح مرعى جيداً للمواشي : كالإبل ، والبقر ، وخلافهما . وأما في الحقول فيزرع فيها القمح ، والذرة الصفراء والذرة البيضاء ، والكرسنة (؟)، وبعض الأشجار المثمرة ، والقطن الذي يفي بحاجات سكان البلاد .

تجارته :

يقع القصيم في طريق القوافل من مكة إلى بلاد مابين النهرين ، وسوقه التجارية نافقة ، وتعتبر بلاد القصيم أكثر بلاد العرب الداخلية اتصالاً بالعالم الخارجي ، فترحل القوافل إلى اليمن بطريق وادي الدواسر ووادي نجران . لجلب البنّ الجيد وإرساله إلى الكويت ، والبصرة ، وبغداد ، وجبل شمر ومكة ، والشام .

سكانه :

يقدر عدد المقيمين فيه بصفة دائمة بسبعين ألف نسمة ويُعَدُّ أهل القصيم من أذكى أهل نجد ، وأرقهم طباعاً وأكرمهم خُلُقًا ، وأسخاهم يَدًا ، وأكثرهم أسفاراً للخارج .

وأكثر التجار النجديين المعروفين فى مصر والشام والهند والعـراق من أهل القصيم ، ويعدون أغنى أهل نـجد جميعاً ، وأكثرهم تحضراً ، وأنشطهم حركة ، وأعرفهم بأساليب التجارة : فيجلبون إلى مصر مثلاً الخيل ، والإبل ، والماشية ، والجلود . والسمن . ويبتاعون الأقمشة ، وشتى أنواع المصنوعات والسلع .

وهذه مقالة عن القصيم كتبها أحد الانكليز قبل سبعين سنة مستوحاة من تقارير الأوروبيين الأوائل الذين زاروا القصيم ننقلها هنا من باب الإطلاع على أقوالهم ، والمقارنة بينها وبين الأقوال الأخرى ، وتسجيل نظرة الأجانب من الأوروبيين إليه في تلك الحقبة من الزمن :

قال المستر لوريمر :

القصيم ، أو وسط نجد . . منطقة صغيرة نسبياً ، ولكنها عامرة بالسكان بالنسبة للمناطق المجاورة له . (والقصيم) على درجة كبيرة من الأهمية ، وتقع فى قلب شبه الجزيرة العربية ، ويبلغ عرضها ثمانين ميلاً تقريباً .

الحدود :

ويحد (القصيم) من جهة الشمال والشمال الغربي حدود ولاية جبل شمر التي تسير بين قرية (كهفة) التابعة لشمر في جانب ، وقرى القوارة والقصيبة[1] التابعة للقصيم في الجانب الآخر ، وتلتقي حدود القصيم مع منطقة السعير[2] وهي جنوب نجـد أما من جهة الجنوب الشرقي فيفصلها عن منطقة الوشم صحراء تشمل وادي الصبير[3] ومن

---

(١) الصحيح : قصيباء . (٢) الصحيح : السر .
(٣) الظاهر أن المراد : السر أيضا مع أن السر ليس واديا .

جهة الجنوب والغرب فإن القصيم تنتهي بإقليم صخري أو بركاني بعد الراس بقليل .

الجغرافية الطبيعية :

القصيم منطقة منبسطة وليس بها ميزات ظاهرة ؛ ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر نحو ٢٥٠٠ قدم كما يبلغ انخفاضه عن وديان جبل شمر نحو ١٠٠٠ قدم . ويهبط من كلا حافتيه مكوناً في وسطه وادي الرماح[١] وابتداءً من هذا الانحدار تبدأ حدود القصيم الجنوبية الغربية والشمالية الشرقية . ومع أن منطقة القصيم بها كثير من القرى إلا أن العدد الأكبر منها صخري أو رملي أما سطحها من ناحية الثروة فلا قيمة له .

وحيثما توجد الصخور توجد الرمال الصخرية أو الحصى .

أما بالنسبة للمياه فإن سطح الماء الباطني مرتفع بصفة عامة فقد يبلغ عمق الآبار عشرة قامات أو أكثر ولكن الماء ضارب إلى الملوحة وفي كثير من الأماكن غير صالح للشرب .

ووادي الرماخ [١] من أهم مايميز اقليم القصيم من الناحية الطبيعية ، ولكن من الصعب تحديد اتساعه وذلك لعدم وجود معالم معينة لحوضه من كلا جانبيه . وجبل ساره[٢] ذو حافة صخرية منخفضة ، ويبدأ من المنطقة القريبة من (بريدة) ثم يسير في اتجاه الشمال الغربي بمسافة ثلاثين ميلا ، وتوجد قرى الشقة والقرعه [٣] والعيون والروض على خلجان تقع على جانبه الجنوبي . ويوجد سهل عظيم يعرف بالفويلك[٤] وهو مشهور حتى في وسط الجزيرة باستواء سطحه وعدم وجود تشققات

---

(١) الصحيح « وادي الرمة » .
(٢) الصحيح : « جبل صارة » .
(٣) الصحيح : « القرعاء » .
(٤) الصحيح : « الفويلق » .

به ويبدأ هذا السهل من الجانب الجنوبي لجبل ساره قريباً من الروض[١] ويسير ناحية الغرب لمسافة ٢٥ ميلاً ، وعلى أي حال فإن عرضه أقل من طوله .

وتقع عدد من قرى القصيم فى تجاويف كبيرة وشهيرة، حتى أن المياه إذا نزلت فيها تقترب من سطحها، ومثل هذه التجاويف تمتد لمسافة عدة أميال وتشتمل على قرى القوارة والقصيب[٢] والعيون ، كما أن الوادي الواقع غربي بريدة قليل الرمال مع أن الصحراء تحيط به، وعلى طول امتداده توجد زراعات الخب وحويلان والقصيعة لمسافة سبعة أميال ، ومثل هذا الوادي تجويف صريف[٣] أيضاً الواقع إلى الشمال الشرقي من بريدة ويبلغ طوله خمسة أميال وعرضه ميل واحد مثل وادي الخب[٤] ويتجه من الشمال إلى الجنوب .

وتوجد صحارى كبيرة تفصل بين الأحواض الزراعية التابعة للقرى وهذه الصحارى تعرف بأسماء معينة ومنها البطين ويمتد لمسافة ٢٥ ميلاً منا لوثل[٥] حتى القصيبة ، والصحراء الثانية هي طرمص[٦] وهي أوسع من الصحراء السابقة وتمتد بعرض القصيم بين القصيبة والكهافه[٧] بطول من الشرق إلى الغرب بقدر بعشرين ميلاً وعرض قدره عشرة أميال

---

(١) أى روض الجواء الآتى ذكره فى حرف الراء وساره : تحريف – صارة – كما تقدم .

(٢) هذا تحريف آخر فى رسم « قصيبا » .

(٣) الصحيح « الصريف » بالتعريف .

(٤) ليس هناك واد للخب وإنما يريد المنخفضات بين الكثبان الرملية فيما يظهر .

(٥) هذا تحريف لكلمة (اثال) .

(٦) الصحيح : الترمس وهو واد حوله صحراء .

(٧) الصحيح : الكهفة .

وتتميز (الترمس) بوجود تجويف عميق في وسطها تقريباً ويعرف بثغب الزراق الذي تظل به مياه الأمطار مابين ثلاثة وأربعة شهور في السنة ويجاوره من الجنوب تل يعرف بتل العنز [1] ويوجد تجويف مشابه لهذا قليلاً يوجد على بعد عشرة أميال غربي القوارة ويعرف باسم البقرية [2] ويحتوي على شجر العبل والكافور (؟) وتظل به المياه طوال العام.

والقصمان هم أهل القصيم مفردها قصمي أو قصيمي [3] والسكان المستقرون في القصيم يتصفون بالعقل وبتحمل الأعباء والأعمال الشاقة، وبأنهم من عنصر ذكي، ولكن الحركة الوهابية غَيرَّتْ من فطرتهم [4] فلم يصبحوا يتمتعون بالسمعة الذائعة من الكرم والخلق الرفيع. وقد كون القصمان فرقة من العمال للعمل في قناة السويس عند بدء حفرها كما أن منهم بعض الفلاحين الذين يعملون مع الأتراك في المقاطعات المجاورة [5] وهذه الحقائق تبين مدى نشاطهم وإقدامهم. ويقال: إن متعهد توريد الإبل للحجاج فى موسم الحج هو ابن روّاف [6] أحد مواطني القصيم.

وتاريخ أهل القصيم ونظامهم يظهرانِ ميلهم الشديد للحرية والمحافظة عليها بين سائر المواطنين والإنطلاق والتحرر من كل قيد، ولو أن

---

(١) هي عنز الترمس الآتي ذكرها في حرف العين.

(٢) الصحيح (بقرية) بدون «ال».

(٣) هو قصيمي فقط ولا يقال قصمي.

(٤) هذا افتراء على الدعوة السلفية التي اسماها الأعداء بالوهابية من باب التشنيع وهي التي نقلت سكان وسط الجزيرة العربية من حياة النهب والسلب إلى الانضباط وتحكيم الشريعة الإسلامية.

(٥) يريد بذلك البلدان المجاورة كالشام والعراق.

(٦) تكلمت على أسرة (الرواف) في معجم أسر أهل القصيم.

العدد الغالب منهم يعملون بالتجارة والزراعة ، وقد ضربوا مثلاً رائعاً في تخليد بطولتهم وثباتهم في حرب نجـد .

والشيء الملفت للنظر فى القصيم هو ملابس السيدات الفضفاضة ذات الأكمام الواسعة . وقليلاً مايخرجون [1] إلى الطريق العام . أما ملابس الرجال فانهم يلبسون بصفة عامة الملابس المصنوعة من الصوف والوبر القصير .

المناخ والمحاصيل والثروة الحيوانية :

هواءُ القصيم غالباً مايكون ساكناً حاراً مشبعاً بالرطوبة ، ويكون الجو دافئاً مابين ابريل ويونيو ، والسماءُ ملبدة بالغيوم والأمطار خفيفة في بعض الأيام .

والمحاصيل الرئيسية هي التمر والشعير والذرة والذرة الصغيرة والقمح وكل من محصولي التمر والحبوب وفيرة وكثيرة . ويأتى محصول الشعير في إبريل . وتزرع أيضاً الفاكهة وتشمل العنب والتين والرمان والنارنج والبطيخ والخوخ ، ويزرع كذلك البصل والفجل مع الخضروات كما يزرع البرسيم وحدائق النخيل ، وتعتمد الزراعة في كل الأماكن على الري من الآبار التي تعمل بواسطة الإبل .

والحيوانات الأليفة بها هي الخيول والإبل والحمير والماعز والأغنام وقطعان البقر .

السكان :

توجد نسبة كبيرة من السكان سواء فى المدينة أو الإقليم من بني تميم

---

(١) الصواب : يخرجن .

والقبائل التالية لها في العدد هي : العنزة[1] وعتيبة وحرب والمطير[2] ويوجد أيضاً بعض من قبيلة بني خالد[3] .

ومعظم القرى الموجودة في التجاويف مزودة بما يشبه أبراج المراقبة حتى يتبين السكان اقتراب المسافرين نحوهم .

ويوجد من القصمان عدد من الذين يعتنقون العقيدة الوهابية ، وربما يكون هذا العدد أقل من نصفهم بقليل ، وحتى سنة ١٨٧٨ لم تنتشر العقيدة الوهابية خارج منطقة شبه الجزيرة ؛ ومع أن الوهابيين كانوا على قدر كبير من الخلق والتسامح إلا أن كلمة (وهابي) كانت تشير إلى التعصب والتزمت[4] .

ومعظم بدو القصمان من المطير[2] ولكن قبيلتي حرب وقحطان أيضاً كانتا تزوران المنطقة ، وقليل من قبيلة شمر يضربون خيامهم في الصيف على حدود المنطقة الشمالية . وطبقاً للمعلومات والبيانات التي أمكن الحصول عليها فإن عدد أهل القصيم يقدر على وجه التقريب بحوالي ٤٥٠٠٠ نسمة ، وإذا أضفنا لهم ٢٠٠٠ من البدو فيكون المجموع الكلي ٤٧٠٠٠ نسمة . أما المساحة الكلية للقصيم فتبلغ على وجه التقريب

---

(١) الصواب : عنزة دون « ال » .

(٢) الصحيح : مطير دون « ال » . .

(٣) هذا الحصر غير صحيح فى القصيم سكان ينتمون إلى أكثر القبائل المعروفة مثل سبيع ومنهم امراء عنيزة والعجمان فى الرس وشمر ، إلى جانب نسبة كبيرة من لايصلون نسبهم بقبيلة معينة .

(٤) هذا يدل على تخبطه فى الحكم وتأثره فى الرأى بالدعاية السيئة ضد الدعوة السلفية فكأنه حائر بين ماعرفه عن السلفيين من خلق عظيم وتسامح وبين ماسمعه عنهم من عكس ذلك .

٥٠٠٠ ميل مربع وكثافة السكان هي بمعدل عشرة أشخاص في الميل المربع الواحد .

الحرف والتجارة : —

الزراعة والتجارة هي قوام المعيشة في الإقليم ، ويعمل ثلث السكان في التجارة ، وقد امتدت العمليات التجارة[1] في الإبل من القصيم إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة وحائل وبغداد والبصرة والكويت والرياض ويصدر تمر القصيم الجيد إلى جبل شمر ودهن الماشية إلى مكة المكرمة ، وفى بعض الأعوام صدر القمح والتمر إلى المدينة المنورة . وكذلك توجد تجارة هامة في الخيول التي يبيعها البدو إلى الهند عن طريق البصرة أما تجارة الإبل فلا تقل أهمية عن تجارة الخيول . وتزود قبيلة قحطان سوق عنيزة كما تزود قبيلة المطير سوق بريدة بالحيوانات أما سوق عنيزة فيمتاز بجودتها . وكل من عنيزة وبريدة أغنى من حائل .

والرِّبا منتشر في القصيم بين الزراع وحتى البدو بفائدة ١٥ ٪ سنوياً للنقد ٥٠ ٪ بالنسبة للبضاعة سنوياً[2] ويأتي إلى القصيم سكان المدن المجاوره للأقتراض[3] .

(للبحث صلة)   محمد بن ناصر العبودي

* * *

---

(١) كذا الأصل ولعلها ، التجارية ، أو عمليات التجارة .

(٢) يريد بالربا : البيع إلى أجل بزيادة فى الثمن مقابل ذلك وهى مسألة التورق المعروفة عند الفقهاء .

(٣) دليل الخليج ج ٥ ص ٢٦٤٦ – ٢٦٥٢ .

زيد الخير

أبناؤه : مكنف : يكنَى زيد الخير أبا مُكْنِف . . فهل لمكنف هذا ذكر في تاريخنا ؟ .

لأتحدث أولاً عن ضبط هذا الاسم . . فهو بضم الميم وكسر النون : مُكنِف ، كما تقول : مُحسِن . ومعناه : المُعين[1]

وهو أكبر أبناء زيد الخير[2] ولذلك كُني به . . وله من الأبناء عداه : عروة ، وحنظلة ، وحُريث[3] ومهلهل :

وله ابنة واحدة هي منفوسة[4] .

أسلم مكنف وحسن إسلامه . . وله صحبة[5] .

وقد شهد مع أخيه عروة قتال أهل الردة ، مع خالد بن الوليد . . واشترك في قتال بني أسد حينما ارتدوا مع طليحة الأسدي . وفي ذلك أنشد أبياتاً منها :

ضلوا . . وغرهمُ طليحةُ بالمنى   كذبًا . . وداعي ربنـا لايكذب

---

(١) تاج العروس ، مادة : كنف .

(٢) المعارف لابن قتيبة : ترجمته .

(٣) جمهرة انساب العرب ، لابن حزم ص ٤٠٢ ، وقد انفرد عن المراجع الأخرى بذكر (حنظلة) ، أماصاحب الأغالى فقال : إن أبناءه ثلاثة وكلهم يقول الشعر وهم : عروة وحريث ومهلهل ، ولم يذكر مكنفاً . . مع أن زيد الخير صرح باسمه في شعره كما سيأتي واضاف أبو الفرج قائلا : (ومن الناس من ينكر أن يكون له من الولد إلا عروة وحريث) .

(٤) ديوان زيد الخيل ، مقدمة جامعه الأستاذ الدكتور (نورى حمودى القيسى) .

(٥) الاصابة ، ترجمة مكنف ، ولكن صاحب الاستيعاب لم يترجم له .

لمـا رأونا بالفضـاء كتـائبـا ندعـو إلى رب الـرسول ونرغب
ولـّوا فـرارًا . . والرماح تؤزهم وبكل وجه وجهوا . . نترقب ..

فهو إذن صحابي ، محارب شجاع كأبيه . . وهو أيضا شاعر . . ولم يصل إلينا من أشعاره مايصح معه الحكم على مدى شاعريته ..

وقد كان يشترك مع أبيه في مواقف الحرب . في بعض الحروب التي اشترك فيها أبوه . .

وقد وقع أسيراً لبني أسد . . [1]

ومن اشتراكه في المواقع شهوده مع أخيه حريث يوم اليحاميم أو قارات حوق .

ولأدع الوصف لصحابي جليل من طيء ، هو عدي بن حاتم .. (حاتم طيء المشهور) قال :

« إنني لواقف يوم اليحاميم ، والناس يقتتلون ، إذ نظرت إلى زيد الخيل ، قد حصر ابنيه مكنفاً وحريثاً في شعب لامنفذ له ، وهو يقول : أي بَنِيَّ . . أبقيا على قومكما ، فإن اليوم يوم التفاني فإن يكن هؤلاء أعماماً ، فهؤلاء أخوال . .

فقلت : كأنك قد كرهت قتال أخوالك ؟ !

فاحمرت عيناه غضباً . . وتطاول إليّ . . حتى نظرت إلى ماتحته من سرجه فخفته . . فضربت فرسي وتنحيت عنه . . واشتغل إلي عن ابنيه فخرجا كالصقرين » . . [2]

---

(١) ص ٢٢ من الديوان

(٢) الكامل لابن الأثير ج ١ص ٣٨٩ فى سياق وصف لقاء قبيلة الغوث وجديلة ، وكلاهما من طيء فى يوم اليحاميم ، وقد انتصرت الغوث ، جماعة زيد الخير ولجأت جديلة إلى ديار كلب ، ودخلوا معهم فى حلف وأقاموا بينهم .

ويهمنا أن نعرف من هذا النص ، أن مكنفاً كان يوم اليحماميم ، فتى مقاتلاً وكذلك أخوه (حريث) ، وأن أباهما كان يحول بينهما وبين القتال ، لئلا يتفانى الطرفان المتقاتلان ، مع مابينهما من قرابة وصهر . . وأنه كان يود أن يجنبهما قطيعة الرحم ، ناظراً للمستقبل . . على أنهما حينما وجدا الفرصة متاحة باشتغال أبيهما بـأمر عديٍّ ، وما أثار من جدال ، انطلقا كالصقرين . . ليشتركا في الحرب ! .

وقد اشترك مكنف في الفتوحات الإسلامية وهو الذي فتح الريَّ ، وأبو حمّاد الراوية من سبيه[1] ، ولذلك اعتد حمّاد مولاه [2]

وقد ذكر زيد الخير ابنه مكنفا في أكثر من موضع من شعره ، من ذلك قوله يتمدح بفرس من أفراسه ، ويقول : إنه يسوّيه في المعاملة بمكنف ، خاصةً في ليالي الشتاء التي يشتد فيها البرد القارس ، وتشتد الحاجة إلى الغذاء الجيد ، والتدفئة الجيدة :

اسويه بمكنف إذ شتونا وأوثره على جـل العيال[3]

ويقول في موضع آخر معتزاً ببطولته . وبكنيته :

بني عامر هل تعرفون إذا غدا
أبو مكنف ، قد شَدّ عقد الدوابر؟[4]

حريث :

لعله ثاني أبناء زيد الخير . . على أن هذا ليس مؤكداً على أية حال .. ولكننا نجد اسمه كثيراً مايقترن مع اسم مكنف الابن الأكبر . . وذلك

---

(١) تاج العروس مادة كنف .
(٢) أسد الغابة : ترجمة مكنف بن زيد . وابن قتيبة في المعارف ص ٣٢٣ .
(٣) الديوان ص ٨٩ .
(٤) الديوان ص ٥٨ .

على النحو الذي مرّ بنا في ترجمة الأخير ، فقد ورد اسمه معه في أكثر من معركة . . مما يرجح تقاربهما في السن . . ويسعنا أن نستعيد وصف عدي بن حاتم ، رضي الله عنه . . الذي مرّ قريباً ، حيث نعتهما : [كالصقرين . .]

وحريث ، كما هو معلوم ، تصغير حارث وقد يرد اسمه هكذا أحياناً . . [١]

وكما كان (حريث) رجل حرب ، فقد كان أيضاً شاعراً . . وله أبيات متفرقة في المصادر . .

وحريث بن زيد صحابي ، أسلم وصحب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وشهد حروب الردة ، مع أخيه مكنف . . [٢] وله فيها اشعار ..

وقد وقعت منه حادثة على عهد خلافة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه . .

فقد أرسل الخليفة عمر رجلاً من قريش : هو أبو سفيان الفهري ، يقرىء أهل البادية القرآن ، فمن لم يقرأ شيئاً عاقبه ، وكان من أمره ، أنه حينما نزل في محلة بني نبهان قوم زيد الخير ، طلب إلى أوس بن خالد بن زيد الطائي ، وهو ابن عم حريث ، أن يقرأ شيئاً من القرآن فلم يقرأ ، فضربه أبو سفيان أسواطاً مات منها . . فأخذت أمه تندبه.. فأقبل حريث مستفسراً عن الخبر . . فلما أعلمته ، شدّ على أبي سفيان الفهري فقتله ! وقال في ذلك شعراً :

---

(١) الإصابة ترجمة مكنف .

(٢) الإصابة : وأسد الغابة . ترجمة مكنف بن زيد ولم يترجم له صاحب (الاستيعاب) .

ألا بكر الناعي بأوس بن خالد
أخي الشتوة الغبراء والزمن المحل[1]

فلا تجزعي ياأم أوس فانه
يلاقي المنايا كل حافٍ وذي نعل

فإن تقتلوا بالغدر أوساً فانني
قتلت أبا سفيان ، ملتزم الرحل

ولولا الأسى ماعشت في الناس بعده
ولكن إذا ماشئت جاوبني مثلي

أصبنا به من خيرة القوم سبعةً
كراماً ، ولم نأكل به حشف النخل[2]

وقد خشي حريث من عقوبة الخليفة الصارم عمر بن الخطاب ، فهرب ، والتحق بأرض الروم . . ومات هناك . . ويبدو أنه قد ارتد ، فإن ابن حزم ، حينما أورد قصته موجزة في « جمهرة الانساب » أردفها بقوله (لعنه الله) . .[3]

عروة :

ويتردد في تراجم زيد الخير. ذكر اسم ابنه (عروة) بن زيد الخيل، وهو أيضاً

---

(١) أى المعين الكريم فى ليالى الشتاء القاسية . وفى زمن المحل .. ومثل هذه الظروف محك الرجل الكريم .

(٢) الأبيات مجموعة من الإصابة – ترجمة أوس بن خالد ، ومن الأغانى ترجمة زيد الخيل .. ويدل النص فى البيت الأخير أن حريثاً قتل سبعة لا شخصاً واحداً .. كما أن الأبيات وردت فى (الشعر والشعراء) فى ترجمة زيد الخيل مع شيء من الاختلاف ، ومنها هذا البيت الأخير ، فروايته به هكذا :

قتلنا بقتلانا من القوم عصبة كراما ، ولم نأكل بهم حشف النخل

وهذا يدل على أن هناك معركة .. وقع فيها صرعى من الجانبين ..

(٣) ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

من الأبطال الشجعان ، شاعر أثر عنه بعض الشعر . . بل أن صاحب كتاب « الأغانى » يقول : إن له أشعاراً كثيرة[(١)] وربما كان صحابياً[(٢)]، وقد شهد بعض حروب أبيه فى الجاهلية . . وقد سألته ابنته ليلى ، بعد أن استنشدته قول أبيه :

بنى عامر هل تعرفون إذا غدا   أبا مكنف قد شد عقد الدوائر

إلى آخر الأبيات : هل شهدت هذه الغزاة مع أبيك ؟ قال : نعم ! قالت : ابن كم كنت ؟ قال . غلاما . .[(٣)]

وكان عروة من أبطال الفتوحات الإسلامية ، وقد شهد وقعة القادسية وحسن فيها بلاؤه ، وقال : يذكر موقفه في هذه الوقعة وماقبلها من فتوحات فارس :

برزت لأهل القادسية معلماً   وما كل من يغشى الكريهة يُعلم
ويوم بأكناف النخيلة قبلها   شهدت فلم ابرحْ أدمّى وأكلم
وأقعصت منهم فارساً بعد فارس   وما كل من يلقى الفوارس يَسْلَم
ونجاني الله الأجل وجسرتي   وسيف لأطراف المرازب مخذم
وأيقنت يوم الديلميين انني   متى ينصرف وجهي عن القوم يهزموا
فما رمت حتى مزقوا برماحهم   ثيابي ، وحتى بلّ أخمصيَ الدم
محافظةً . . إنى امرؤ ذو حفيظة   إذا لم أجد مُستأخراً أتقدم

---

(١) الأغانى : ترجمة زيد الخير .

(٢) يقول صاحب الإصابة فى ترجمته : (الظاهر أنه اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم) فهو لم يجزم .

(٣) الإصابة ترجمة عروة .

والنص من الأغانى ترجمة زيد الخيل .

وشهد مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه موقعة صِفين ، وعاش إلى عهد معاوية ، ويقول أبو الفرج في « الأغاني » : إنه أراده على البراءة من علي ، فامتنع عليه . وقال :

يحاولني معاوية بن حرب ... وليس إلى الذي يهوي سبيل
على جَحْدِي أبا حسن عليا ... وحظي من أبي حسن جليل [1]

ويتردد ذكر عروة بن زيد الخيل في أكثر من موطن في الفتوحات الإسلامية ، في بلاد فارس . .

من ذلك . . أنه قاتل يوم قس الناطف (موقعة الجسر) قتالاً شديداً عدل فيه بقتال جماعة . . [2] وكتب قائد الجيش (المثنى بن حارثة) بذلك إلى الخليفة عمر بن الخطاب ، وجعل رسوله إليه عروة بن زيد ، فكان أن حمل تفاصيل الموقعة إلى الخليفة .

وبعدها . . كتب عمر رضي الله ، إلى عامله بالكوفة وهو (عمار بن ياسر) ، بعد شهرين من موقعة (نهاوند) يأمره بأن يبعث عروة بن زيد الخيل الطائي ، إلى (الري) ودستبى في ثمانية آلاف ، ففعل . . فسار عروة إلى ماهناك ، فجَمعت له الديلم ، وأمدهم أهل (الري) فقاتلوه ،

---

(١) الأغاني : ترجمة زيد الخيل .

(٢) البلاذرى (فتوح البلدان) تحقيق د . صلاح الدين المنجد ص ٣٠٨ .

وجاء فى تاريخ خليفة بن خياط بتحقيق اكرم ضياء العمرى الطبعة الأولى سنة ١٣٨٦هـ — ١٩٦٧ م مطبعة الآداب فى النجف ، فى احداث سنة ثلاث عشرة ج ١ ص ٩٢ ، أن عروة من حمى الناس يوم قس الناطف (الجسر) .

أما عن اسم المخبر الذى أرسله المثنى بن حارثة بخبر الموقعة إلى عمر بن الخطاب بالمدينة فهو عند الطبرى عبد الله بن زيد بن الحصين الخطمى ، يراجع خبر الوقعة لديه .

فاظهره الله عليهم[1] ، فقتلهم واجتاحهم . . ثم خلف (حنظلة به زيد) أخاه وقدم على عمّار ، فسأله أن يوجهه إلى عمر ، وذلك أنه كان القادم عليه بخبر يوم الجسر . . فأحب أن يأتيه هذه المرة بما يسره . . فلما رآه عمر قال : (إنا لله وإنا إليه راجعون) ! فقال عروة : بل احمد الله . . فقد نصرنا واظهرنا ، وحدثه بحديث النصر . فقال هلاّ أقمت وأرسلت ؟ ! قال عروة : قد استخلفت أخي . . وأحببت أن آتيك بنفسي . . فسماه عمر : البشير[2] .

ومن سياق هذه القصة نعلم أنّ عمر بن الخطاب ، خشي حينما أبصر عروة ، أنّ يكون قد حمل إليه نبأً سيئاً ، كالذي فعل في خبر هزيمة يوم الجسر ، فسارع عروة فَطمأنه . . بل لقد تعمد عروة أن يحمل البشرى هو ، ليزيل بنفسه من نفس عمر أثر الخبر السيء الذي حمله من قبل .

ونجد أيضاً في فتوح العراق ، أنه حينما بعث عمر رضي الله عنه أبا عبيد بن مسعود الثقفي ، دخل أبو عبيد (باروسما) فصالحه ابن الأندر عن كل رأس أربعة دراهم ، وبعث أبو عبيد ، المثنى ابن حارثة إلى زند ورد ، فحاربوه فقتل وسبي ، وبعث عاصم بن عمر الاسيدى إلى نهرجوبر ، وعروةَ بن زيدالخيل إلى الزّوابي فصالحوه على ماصالح باروسما.[3] .

ونجد أيضاً من أخباره في موقعة (البُويب) في فارس أنَّ رجالاً من

---

(١) تختلف روايات المصادر فى موقعة الرى فبعضها تجعل بطلها عروة وبعضها تجعله مكتفاً اخاه، وبعضها تجعله مهلهلا كما سيأتى .

(٢) البلاذرى : ص ٣٨٩ وفى هذا مصداق لاشارته فى شعره إلى يوم الديلميين .

(٣) تاريخ خليفة بن الخياط . فى أحداث سنة ثلاث عشرة ج ١ ص ٩٢ .

شجعان المسلمين استبسلوا في هذه الموقعة ، إستبسالاً كبيراً ، حتى لقد أحصى مائة مقاتل من العرب ، قتل كلٌ واحد منهم عشرة في المعركة ، حتى لقد سمي يوم (البويب) يوم الأعشار ، وكان عروة بن الزبير من أصحاب التسعة ، أي أنه قتل يومها تسعة اشخاص[(١)]

حنظلة :

وكما مرّ بنا ، فإن اسم حنظلة بن زيد الخيل يرد في بعض أخبار أخيه عروة في فتح فارس . . وان عروة يثق به ويعتمد عليه فيستخلفه كلما غاب عن المراكز القيادية التي كان يتولاها . . فهو – إذن – قد اشترك في هذه الفتوحات . . ولكننا لانجد أخباراً مفصلة عنه . . بل ان كتب التراجم والانساب ، لاتكاد تذكر اسمه . . ولا يكاد يتفطن أحد من مؤلفيها إلى ورود اسمه في الفتوحات ، عدا ابن حزم في كتابه « جمهرة الانساب » الذي فطن إلى هذه الحقيقة فسجلها[(٢)]

ويبدو أن حنظلة كان أصغر أبناء زيد الخير . على أننا نجد ذكر حنظلة ينفرد عن أخبار عروة ، في فتح (ابهر) ببلاد فارس ، حينما ولي المغيرة بن شعبة ، عامل عمر بن الخطاب على الكوفة بعد عمار بن ياسر ، البراء بن عازب ، قزوين ، وأمره أن يسير إليها ، فان فتحها الله على يده غزا الديلم منها ، فسار البراء ومعه حنظلة بن زيد الخيل حتى أتى أبهر ، فقام على حصنها فقاتلوه ثم طلبوا الأمان فأمنهم .. [(٣)]

---

(١) الطبرى – موقعة البويب . احداث سنة ١٣ هـ ومثل ذلك فى « الكامل » لابن الأثير .

(٢) ص ٤٠٢ .

(٣) ص ٣٩٤ من فتوح البلدان البلاذرى .

مهلهل بن زيد الخيل :

يذكر صاحب كتاب « الاغاني » اسم مهلهل ضمن أبناء زيد الخير ، في أخباره . . ولكنه لايذكر شيئاً من التفاصيل عنه . . إلا أنه يورد اسمه أول الابناء حتى لتحسبه أكبرهم . . ولكنه لايذكر (مكنفا) الذي يكني به زيد . . وبالرغم من أن زيداً نفسه ينص في شعره على تكنيته به . . كما تدل نصوصه على اعتزازه بهذا الابن . . وقد جرت الإشارة إلى ذلك .

وإذا ذهبنا نستقرىء المصادر الأخرى التماساً لأخبار مهلهل لانجد شيئاً ينبئنا . . اللهم إلا مايرد في حروب الردة ، وانحياز بعض القبائل في نجد إلى طليحة بن خويلد ، الذى ادعى النبوة . . فانا نجد أن مهلهل بن زيد ، بعد أن أعلن طليحة نفسه نبياً على عَهْدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل إليه ، بعد استفحال أمره . . عقب موت رسول الله صلى الله عليه وسلم : بأن معي حد الغوث (بطن من طيء) فان دهمكم أمر فنحن بالأكناف بحيال فيد [1] . .

ومعنى ذلك أن مهلهل بن زيد كان على رأس قومه ، إليه أمرهم . . وأنه كان مع المرتدين . . ولكن مما يسترعي النظر في هذا النص ، أننا لا نجد مايدل صراحة على أن المعنيّ هو مهلهل بن زيد الخير . . اللهم إلا الظن بأنه هو بقرينين : أنه رأس الغوث ، وهم قوم زيد . وأبوه كان رأسهم : . وأنه كان يعسكر فى فيد ديار أبيه . .

---

(١) تاريخ الطبرى – أخبار سنة ١١ – ج ٢ ص ٤٨٦ طبعة مصطفى محمد ١٣٥٧ هـ – ١٩٣٩ م .

ثم نجد أيضاً ذكر مهلهل بن زيد الطائي ، في فتح همذان بفارس . . والاسم هنا لايخصص . . إلا أن يقول (الطائي) . . فلا نعرف أهو ابن زيد الخير أو غيره[1] . فإذا صح أنه ابن زيد الخير ، فاننا نستبشرُ هنا ، بأنه أسلم وقاتل في صفوف المسلمين . .

ثم لانجد مانضيفه بعد ذلك . . إلى هذين الخبرين . . على مافيها من ابهام . .

أما الابنة الوحيدة التي حفظ لنا التاريخ اسمها وهي منفوسة[2] فقد تزوجت من قيس بن عاصم ، ولها منه ابن اسمه حكيم ، وهي أيضاً شاعرة . . تقول في رجز ؛ تدالل به ابنها :

اشبه أخي أو اشبهن أباكا
أما أبي . . فلن تنال ذاكا
تقصر . . ان تناله . . يداكا

قالت ذلك ترد على رجز زوجها الذى قال :

اشبه أبا أمك . . أو اشبه عمل . .
ولا تكونن كعلوف . . وكل
يصبح في مضجعه قد انجدل
وارق إلى الخيرات زنا في الجبل[3]

الرياض : عبد العزيز الرفاعي

(١) تاريخ الطبرى : فتح همذان .
(٢) ديوان زيد الخيل ، مقدمة جامعه الأستاذ الباحث الدكتور (نورى حمودى القيسى) ، ولسان العرب مادة وكل .
(٣) لسان العرب مادة (وكل) .

الفتح الإسلامي

مفهومه وانطلاقه من الجزيرة العربية

أيام أبي بكر الصديق

تعتبر حركة الفتح للدعوة الإسلامية حركة نمو أصلية في حياة هذه الدعوة وتبدو هذه الاصالة من حيث اعتبارها مؤشراً يدل على وضع الدعوة إيجابياً أو سلبياً زيادة أو نقصاناً ولذلك لا يمكن الفصل والتفريق بين الدعوة والفتح واعتبارهما شيئين مختلفين لا رابط بينهما إلا إذا جعلنا نمو الجسم شيئاً لا صلة له بالجسم مطلقاً وإذا فقد الكائن القدرة على النمو فان ذلك يعني النهاية لهذا الكائن وهو الحال نفسه بالنسبة للدعوة الإسلامية وأية دعوة أخرى إذا فقدت خاصية النمو عندها أصبحت في حالة احتضار .

بدأت حركة الفتح في حياة الدعوة الإسلامية منذ أن قامت الدولة الإسلامية على أرض المدينة المنورة وقد كان اهتمام المؤرخين الأسلاف بتسجيل أحداث الفتح اهتمامهم بالدعوة نفسها وإن من يطالع كتاب «تاريخ الرسل والملوك» لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري على سبيل المثال ليلمس هذه الظاهرة بيسر ووضوح ، بل نجد مؤرخين آخرين أفردوا مؤلفات خاصة لحركة الفتح مثل كتاب «فتوح البلدان» للبلاذري وكتاب «فتوح مصر» لابن عبد الحكم وما ذلك إلا لأهمية حركة الفتح وصلة الفتح بالدعوة الإسلامية ذاتها وإذا جاوزنا ميدان التاريخ نجد كثيراً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تتحدث عن الفتح

والقتال كما صنف الفقهاءُ أبواباً له وخصوه بالتفصيل والبيان وأفردوا له الأحكام كما في كتاب «الأم» لمحمد ابن إدريس الشافعي وكتاب «الأحكام السلطانية» للماوردي وكتاب «الأموال» لأبي عبيد القاسم ابن سلام و «السير الكبير» لمحمد ابن الحسن الشيباني وغيرها كثير . وتعرض لحركة الفتح في العصر الحديث كتاب مختلفون في الأهواء والميول والمشارب والمذاهب ينتمون إلى ثقافات وجنسيات متعددة فغشي موضوع الفتح ما غشيه من الأقوال والآراء كانت في غالبها نبتا غريباً ويأتي هذا البحث ليتناول حركة الفتح أيام أبي بكر الصديق في انطلاقتها خارج الجزيرة العربية إلى البلدان المجاورة وقد اقتضى ذلك تناول الجوانب التالية .:

١ ـ مفهوم الفتح .

٢ ـ صاحب المبادأة في مد حركة الفتح خارج الجزيرة .

٣ ـ أسباب مد حركة الفتح .

والذي جعل الاهتمام بهذه الجوانب دون غيرها من جوانب الفتح ان هذه الجوانب تتعاضد بعضها مع بعض في إعطاء صورة قريبة لذاتية الفتح ورسم واقع انطلاقه من جزيرة العرب .

١ ـ مفهوم الفتح :

جاءت « فتح » في اللغة لعدة معان منها :

الفتح بمعنى نقيض الاغلاق ، والفتح بمعنى الماء الجاري على وجه الأرض ، والفتح بمعنى النصر ، والفتح بمعنى الحكم بين الخصمين ، وفاتحة الشيء بمعنى أوله ومجازاً جاء الفتح بمعنى أول مطر الوسمي وقيل أول المطر مطلقاً ومن المجاز أيضاً الفتح بمعنى فتح دار الحرب[١]

كما وردت «فتح» في القرآن الكريم في آيات من آيات العهد المكي والعهد المدني.

آيات العهد المكي :

نجد لفظ «فتحنا»

في قوله تعالى : «فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء»(٢)

وفي قوله تعالى : «ولو فتحنا عليهم باباً من السماء»(٣)

وفي قوله تعالى : «ولو أن أهل القرى آمنوا واتَّقَوْا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض»(٤)

وفي قوله تعالى : «حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون»(٥)

وفي قوله تعالى : «ففتحنا أبواب السماء بماءٍ منهمر»(٦)

ونجد لفظ «فتحوا»

في قوله تعالى : «ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم»(٧)

ونجد لفظ «يفتح»

في قوله تعالى : «ما يفتح الله للناس من رحمة»(٨)

ونجد لفظ «فتحت»

في قوله تعالى : «وفتحت السماءُ فكانت أبواباً»(٩)

وفي قوله تعالى : «.... حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها»(١٠)

وفي قوله تعالى : «حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج»(١١)

وورد لفظ «فتح»

في قوله تعالى : «إن الذين كذبوا .... لا تفتح لهم أبواب السماء»(١٢)

وورد لفظ «مفتحة»

في قوله تعالى : «جنات عدن مفتحة لهم الأبواب»(١٣)

وإذا لاحظنا اللفظ حيثما جاء في هذه الآيات السابقة نجده بالمعنى الدال على نقيض الإغلاق .

كما ورد لفظ « افتــح » و« الفاتحين »

في قوله تعالى : « .... ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين »(١٤)

وورد لفظ « افتــح» «وفتحا»

في قوله تعالى : « فافتح بيني وبينهم فتحا »(١٥)

وورد لفظ « يفتح» « والفتاح »

في قوله تعالى : « بل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم »(١٦)

وورد لفظ « الفتح »

في قوله تعالى : « ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين »(١٧)

أما المعنى الذي ورد به اللفظ في هذه الآيات فهو : لحكم بين الخصمين .

وورد اللفظ « استفتحوا »

في قوله تعالى : « واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ، من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد »(١٨)

وتعني « استفتحوا » استنصروا .

وورد لفظ « مفــاتح» .

في قوله تعالى : « وعنده مفاتح الغيبلا يعلمها إلا هو ويعلم ما في لبر والبحر »(١٩)

وفي قوله تعالى : « ... وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة »(٢٠)

وتأتى مفاتح في هاتين الآيتين بمعنى خزائن

ويمكن القول بأن لفظ « فتح» وحيثما ورد في آيات العهد المكي لا يتجاوز المعاني الآنفة الذكر وهي كما يظهر من مواقعها في الآيات الواردة فيها معانى تتصل بموضوع العقيدة . أما إذا تجاوزنا آيات العهد المكي إلى آيات العهد المدني نجد أمام لفظ «فتح » أفقاً جديداً لا نعهده في العهد المكي ينسجم مع واقع المرحلة التي بلغتها الدعوة الإسلامية والذي يتمثل بظهور الإسلام وانتشاره .

آيات العهد المدني :

ورد لفظ « فتح »

في قوله تعالى : « الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله »(٢١)

وفي قوله تعالى : « ... فعسى الله أن يأتِيَ بالفتح »(٢٢)

وتعني « فتح » في هذه الآيات « النصر »

كما ورد لفظ « فتح»

في قوله تعالى : « انا فتحنا لك فتحاً مبينا »(٢٣)

وتعني فتح في هذه الآية النصر الذي أوتيه الرسول صلى الله عليه وسلم على أعدائه في صلح الحديبية وأفضى إلى إظهار دين الإسلام .

كما ورد لفظ « فتح »

في قوله تعالى : « لقد رضي الله عن المؤمنين ... وأثابهم فتحاً قريباً »(٢٤)

وفي قوله تعالى : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا . . . فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً »[٢٥]

وفي قوله تعالى: « وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين »[٢٦]

وتعني « فتح» في هذه الآيات النصر الذي ارتبط بفتح مكة رأس دار الشرك والذي طالما انتظره المسلمون وبشروا به وجعل حدًّا فاصلا وشارة مميزة بين فترتين هما ما قبل الفتح وما بعد الفتح ويدل على ذلك .

قوله تعالى : « لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا » .[٢٧]

وورد لفظ « فتح » .

في قوله تعالى : « إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا » .[٢٨]

ونجد « فتح » في هذه الآية تعني فتح مكة ذلك الفتح الذي جاء نصرا ، وترتب عليه دخول الناس فى الإسلام أفواجا من أهل مكة ثم من أهل الجزيرة وانتقالهم من حال الشرك إلى حال الإيمان وما اقتضاه هذا الحال من تحول بلادهم من دار شرك إلى دار إسلام . نخلص من هذا أن « الفتح » أصبح يعني فتح دار الشرك والكفر ودخولها في دائرة الإسلام وهذا المعنى تؤكده الآيات في العهد المدني وهو عهد انتشار الدعوة الإسلامية وظهورها على ما سواها من العقائد والأنظمة في الجزيرة العربية ولم يعد الفتح يقتصر على النصر والغلب الذي يحققه المنتصر على خصمه في ساحة المعركة ، بل صار يعني شيئاً أكبر من ذلك بكثير لقد

صار للفتح مفهوم جديد اكتسبه من واقع الدعوة الإسلامية يقتضي تجاوز الفتح دائرة النصر في ساحة المعركة إلى دائرة التغيير في حياة الفرد والجماعة والبلد في العقيدة والنظام أحدهما أو كلاهما وأصبح فتح البلد من بلاد الكفر يعني تحول هذا البلد من دار كفر إلى دار إسلام تقام فيه أحكام الله وشريعته .

٢ ـ صاحب المبادأة :

بدأ الفتح بمفهومه الجديد في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم إذ لم تنته حياته عليه السلام حتى كانت الجزيرة العربية دار إسلام فلما انتقل إلى الرفيق الأعلى انتقضت الجزيرة في كثير من أجزائها وارتدت إلا أنها فتحت ثانية بعد وفاة الرسول مباشرة، وأعيدت إلى حظيرة الإسلام في خلافة أبي بكر رضى الله عنه فهل ظل الفتح بعد ذلك حبيس حدود الجزيرة العربية ؟

والجواب بالنفي إذ أن الفتح تحرك خارج حدود الجزيرة العربية وكان تحركه خارجها مدعاة لعدد من التساؤلات، نقتصر على اثنين منها الأول : يدور حول صاحب المبادأة في حركة الفتح والثاني : يدور حول أسباب حركة الفتح.

أما بالنسبة لصاحب المبادأة في حركة الفتح فإن الروايات التاريخية تختلف في ذلك بين رجلين هما أبو بكر الصديق والمثنى بن حارثة الشيباني وذلك عند الحديث عن حركة الفتح في الميدان الفارسي فيذكر أبو حنيفة الدينوري في كتاب «الأخبار الطوال»[(٢٨)]. أنه لما أفضى الملك إلى بوران بنت كسرى شاع في أطراف الأرضين أنه لا ملك لأرض فارس وإنما يلوذون بباب امرأة، لذلك تجرأ رجلان من

بكر بن وائل إحداهما المثنى بن حارثة الشيباني والآخر سويد بن قطبة العجلي فأقبلا حتى نزلا فيمن جمعا بتخوم أرض العجم يغيران على الدهاقين فيأخذان ما قدرا عليه، فإذا طلبا امعنا في البر، فلا يتبعهما أحد وذلك في خلافة أبي بكر فكتب المثنى بن حارثة إلى أبي بكر يعلمه ضراوته بفارس ويعرفه وهنهم ويسأله أن يمده بجيش فلما انتهى كتابهُ إلى أبي بكر كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد أن يسير إلى الحيرة فيحارب فارس.

كما يذكر الطبري[٢٩] في «تاريخ الرسل والملوك» عن رجل من بكر ابن وائل أن المثنى بن حارثة الشيباني سار حتى قدم على أبي بكر فقال: أمّرني على من قبلي من قومي أقاتل من يليني من أهل فارس وأكفيك ناحيتي. ففعل ذلك فأقبل المثنى فجمع قومه وأخذ يغير على أرض فارس.

يعتبر المثنى بن حارثة الشيباني حسب هاتين الروايتين صاحب المبادأة فهو الذي فاتح أبا بكر في موضوع حركة الفتح خارج الجزيرة وبث فيه الجرأة على حرب الفرس.

وبالإضافة إلى هذا فإن الروايتين تعطيان حركة الفتح بُعْدًا آخر يتمثل بصفتين: أولهما أن حركة الفتح جاءت امتدادًا لعمليات الغزو الذي اعتادتِ القبائل العربية أن تشنه على جيرانها للسلب والنهب وثانيهما أن حركة الفتح جاءت فلتة من غير تدبير اندفعت الدولة فيها وراء حماس رجل مغامر كالمثنى بن حارثة الشيباني.

فما نصيب هاتين الروايتين من الصحة؟

هناك روايات تاريخية أخرى تدور حول موضوع صاحب المبادأة وهي:

١ - رواية الشعبي وتذكر أن أبا بكر كتب إلى خالد بن الوليد يقول له : إن الله فتح عليك فعارق حتى تلقى عياضا . وكتب إلى عياض : أن سر حتى تدخل العراق من أعلاها وعارق حتى تلقى خالدا (٣٠) .

٢ - رواية المغيرة بن عتيبة وتذكر أن أبا بكر كتب إلى خالد ابن الوليد أن يدخل العراق من أسفلها . وكتب إلى عياض أن يدخل العراق من أعلاها (٣١) .

٣ - رواية صالح بن كيسان وتذكر أن أبا بكر كتب إلى خالد ابن الوليد حين فرغ من أهل اليمامة أن يسير إلى العراق (٣٢) .

٤ - رواية البراء بن عازب ورواية سعيد بن المسيب وهما يوردان متناً واحداً مؤداه : أن أبا بكر كتب إلى خالد بن الوليد حين فرغ من أهل اليمامة أن يسير إلى العراق (٣٣) .

وهذه الروايات الخمس تذكر أن أبا بكر صاحب المبادأة في إعلان الحرب على الإمبراطورية الفارسية فأي الروايات أجدر بالثقة الروايتان أم الروايات الخمس ؟ .

بالنسبة للروايتين الاثنتين فإن إحداهما مجهولة الراوي وأما الثانية فراويها رجل من بكر بن وائل واسمه غير معروف ، غير أنه من قبيلة المثنى بن حارثة وسياق الروايتين يرجح اعتبارهما من مصدر واحد ولكن ارتباط الراوي والمثنى بن حارثة بعصبية واحدة (٣٤) يجعل الشك يتطرق إلى هذه الرواية ، إذ أنه ليس أعظم فخرًا ولا أعلى شأناً ولا أرفع شرفاً من أن ينسب إعلان حرب مظفرة على الأسد الفارسي إلى بني بكر بن وائل آل المثنى بن حارثة أما بالنسبة للروايات الخمس فرواتها هم :

١ ـ الشعبي وهو عامر الشعبي قاضي الكوفة في خلافة عمر بن عبد العزيز كان تابعياً وفقيهاً عالماً فاضلاً ثقة يضرب المثل بحفظه (٣٥)

٢ ـ صالح بن كيسان وهو مولى أبي قتادة الأنصاري تابعي وأحد فقهاء المدينة الذين جمعوا بين الحديث والفقه ، وكان مؤدب أبناء عمر بن عبد العزيز (٣٦) .

٣ ـ المغيرة بن عتيبة كان فقيهاً وعمل قاضياً لأهل الكوفة (٣٧) .

٤ ـ سعيد بن المسيب القرشي كان أبوه وجده صحابيين وسعيد إمام التابعين وفقيه الفقهاء، وأعلم أهل عصره بحلال الله وحرامه ويقول ابن حنبل فيه : ثقة من أهل الخير .

«وكان أحد فقهاء المدينة المشهورين وكان لا يأخذ عطاء، يعيش من التجارة» (٣٨) .

٥ ـ البراءُ بن عازب الأنصاري صحابي كان يقف على أصابع رجليه ليختاره الرسول في الخروج يوم بدر ولكن الرسول رده لصغر سنه وغزا بعدها مع الرسول أربع عشرة غزوة ونزل الكوفة بعد ذلك ينطلق مع المجاهدين إلى الجبهة الشرقية في الكوفة (٣٩) .

فهذه حال الرواة الذين يقولون : إنَّ أبا بكر هو الذي أعلن الحرب على فارس ووجه خالد بن الوليد إلى العراق من أسفلها وعياض بن غنم من أعلاها .

وبالإضافة إلى معرفة حال هؤلاء الرواة فإن نزولهم في المدينة والكوفة يعتبر عاملا ساعدهم في الوقوف على أخبار حركة الفتح ما بين المدينة والكوفة .

أما من حيث النقد الداخلي لهذه الروايات فإن مضمون الروايتين

اللتين تنسبان المبادأة إلى المثنى بن حارثة الشيباني لا يستقيم والمحاكمة الدقيقة، إذ أن قضية إعلان الحرب على الإمبراطورية الفارسية ليست من الأمور التي تترك لقضاء رجل كالمثنى أو يقود إليها المثنى فهي أكبر من ذلك بكثير، وتتصل بقدر الوجود الإسلامي وسلامته وأن أمراً مثل إعلان الحرب على الانبراطوريات قضية كبرى تتصل بالسياسة العليا للدولة ومنها السياسة الخارجية فأين المثنى بن حارثة من هذا وهو رجل من عامة الناس ومنزله في أقصى الشرق من شبه الجزيرة، وعندما انشأ عمر الديوان ورتب الرواتب جعله في الروادف وفرض له خمسمائة درهم فقط كعطاء له [٤٠].

وبالإضافة إلى ذلك فان الطبري يذكر أن أبا بكر بعث العلاء ابن الحضرمي إلى قتال أهل الردة بالبحرين بعد فراغ خالد بن الوليد من اليمامة، وأن العلاء قاتل في هذا الوجه الحطم بن ضبيعة أحد بني ثعلبة ومن اتبع الحطم من الذين ارتدوا من بكر بن وائل وأن العلاء قد كتب إلى من ثبت على إسلامه من بكر بن وائل وإلى نفر منهم المثنى بن حارثة الشيباني ليقوموا للمرتدين ويأخذوا عليهم الطريق ولم يزل حال العلاء ومن معه على محاولة المرتدين حتى استقام له أمرهم ورجعوا إلى الإسلام وضرب الإسلام في البحرين بجرانه [٤١]

وبذلك نجد أن حرب المرتدين في البحرين جاء تالياً لحرب المرتدين في اليمامة، وأن الرواية تذكر المثنى في الذين شاركوا في حرب البحرين وعلى هذا يكون اشتراك المثنى في فتح العراق قد جاء تاليا لقرار أبي بكر في توجيه خالد من اليمامة إلى العراق، وليس باعثاً لاتخاذ القرار، إذ أن الزمن الذي مر بعد الفراغ من اليمامة وهو الزمن الذي

اتخذ فيه قرار مد الفتح إلى الدولة الفارسية كان المثنى فيه مشغولا إلى جانب العلاء في حرب المرتدين واتخذ القرار وانضم المثنى إلى جيش خالد في وجهه التي وجهه إليها أبو بكر وانضم المثنى بمن ثبت من قومه على الإسلام مع خالد مثلما فعل غيره من الذين ثبتوا على إسلامهم في تلك المنطقة غير أن بروز المثنى بن حارثة يعود إلى شجاعته وجرأته العسكرية وسرعة استجابته من جهة ومعرفة المثنى وقومه بالمنطقة تلك المعرفة التي اكتسبوها بحكم منازلهم المجاورة للعراق ، وهذا ما يفسر تقديم خالد بن الوليد للمثنى في مخرجه إلى العراق قبله بيومين على وعد اللقاء معه ومع الفرق الأخرى التي سرحها خالد في الحفير (٤٢).

إن إعلان الحرب على فارس جزء لا يتجزأ من السياسة الخارجية للدولة الإسلامية تلك السياسة التي قام بها تخطيطاً وتنفيذاً رجال الحكم فيها خلال معطيات كثيرة أهمها : ـ

١ ـ ان الدعوة الإسلامية دعوة إلى الناس كافة لا للعرب فحسب ومما يؤيد صحة ذلك الأدلة الواردة في الأصول الفكرية للدعوة تلك الأصول التي يمثلها القرآن والسنة كما يؤيدها الواقع التاريخي الذي تمثل بتوجيه عدد من الجيوش خارج الجزيرة العربية في حياة الرسول لدعوة الناس إلى الإسلام ، وحدث بسبب ذلك عدد من الغزوات منها مؤتة وتبوك وايلة وغيرها ولذلك كان مد حركة الفتح خارج الجزيرة العربية القاعدة الأساسية التي كانت تقوم عليها السياسة الخارجية للدولة الإسلامية في خلافة أبي بكر ، ويبدو مدى تنبه أبي بكر لهذه الحقيقة ووعيه لها واخلاصه لحركة الفتح الذي بدأ في حياة الرسول أنه أبى إلا إنفاذ جيش أسامة بن زيد الذي عقد لواءه رسول الله عليه

السلام فلما فقئت الردة عادت عجلة الفتح سيرتها الأولى وسدت الفجوة التي أحدثتها الردة في مسيرة الفتح الإسلامي ، ولولا هذه الردة لظلت حركة الفتح متواصلة دون انقطاع ، لذلك كان مد حركة الفتح في خلافة أبي بكر استمراراً لحركة الفتح التي بدأت في حياة الرسول وليست استمراراً لحركة الغزو الذي كان العرب يقومون به ضد جيرانهم بقصد السلب والنهب .

٢ ـ كشفت أحداث الردة عن أن الخطر الخارجي الذي يتهدد الدعوة الإسلامية لا يقتصر على الجبهة الرومية فحسب بل يتجاوز ذلك إلى الجبهة الفارسية ولقد كان التعاون بين المرتدين في البقاع الشرقية من الجزيرة العربية وبين رعايا الدولة الفارسية دليلا ملموساً على خطر الجبهة الفارسية ذلك الخطر الذى يتهدد الدعوة الإسلامية ومستقبلها ، ومن الممكن أن القائمين على أمور الدولة الإسلامية رأوا أن حركة سجاح بنت الحارث بن سويد ليست حركة عفوية إذ لا يعقل أن تقود سجاح جموعها من بني تغلب وافناء ربيعة من إياد وشيبان والنمر لغزو المسلمين (٤٣) دونما دوافع وغايات مبيتة ضد الإسلام ومباركة الدولة الفارسية لهذه الحركة وتغفل الدولة هذه الحركة أوتتغافل عنها وتدعها تمر هكذا كأن شيئاً لم يحدث .

لذلك فان الأرجح أن الأعمال المحمومة التى كانت تدبر وراء حدود الجزيرة العربية مع الفرس هي التي جعلت الدولة الإسلامية تعلن مَدَّ حركة الفتح إلى الجبهة الفارسية والرومية معاً وليس كما قيل بأن حركة الفتح جاءت فلتة من غير تدبير قاد إليها المثنى بن حارثة الشيباني . .

أما على الجبهة الرومية فيذكر الواقدى فى كتاب « فتوح الشام »[٤٤]. أنه لما عزم أبو بكر أن يبعث الجيش إلى الشام لقتال الروم جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وقام فيهم خطيباً ومما قاله : « ... واعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عول ان يصرف همته إلى الشام فقبضه الله إليه واختار له ما لديه ، الا وانى عازم أن أوجه أبطال المسلمين إلى الشام بأهليهم فما قولهم فى ذلك ؟ فقالوا : يا خليفة رسول الله مرنا بأمرك ووجهنا حيث شئت فان الله تعالى فرض علينا طاعتك ».

أما بالنسبة لإعلان مد حركة الفتح على الجبهة الفارسية فإنه بالإضافة إلى الروايات الآنفة الذكر التي تذكر أن أبا بكر صاحب المبادأة فى حركة الفتح فإن اليعقوبي يذكر في تاريخه[٤٥] ان أبا بكر أمر خالدا أن يسير إلى أرض العراق فسار ومعه المثنى بن حارثة . كما يذكر ابن الأثير في كتاب « الكامل في التاريخ[٤٦] ». « انه في هذه السنة (سنة اثنتي عشرة) في المحرم منها أرسل أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة يأمره بالمسير إلى العراق » .

نخلص من ذلك إلى القول بأن الدولة الإسلامية لم تفقد بعد وفاة الرسول في خلافة أبي بكر ، وإنما تعدت مرحلة التحدي بنجاح باهر محتفظة بحيويتها وتمام وعيها على طبيعة المهمة التي ورثتها عن الرسول ولم تكن أمورها فلتة ، وكانت تتمتع بسياسة واضحة تسير على هداها وتسترشد بها فتقبل على مايخدم هذه السياسة بحق ، ألم تر إلى أبي بكر لما جاءه جرير بن عبد الله البجلي يطلب منه أن يأذن له بجمع من كان من بجيلة ليحارب بهم وكانوا أوزاعا في العرب كيف أجاب جريراً

وقال له : أعلى حالنا ! ترى شغلنا وما نحن فيه بغوث المسلمين ممن بازائهم من الأسدين فارس والروم ، ثم أنت تكلفني التشاغل عما لا يغني عما هو رضى لله والرسول ؟ ! دعني وسر نحو خالد بن الوليد حتى انظر مايحكم الله في هذين الوجهين[(٤٧)] ثم انظر إلى أبي بكر عندما اتخذ قرار مد حركة الفتح إلى العراق كيف أمر خالد بن الوليد أن يأتي العراق من جنوبها وأمر عياض بن غنم أن يأتيها من شمالها وأن يلتقي الإثنان بالحيرة ، فيكون العراق بين فكي كماشة حتى إذا صار لهما ذلك أمرهما بتوجيه الضربة إلى « المدائن » قلب فارس باعتبارها دار الفرس ومستقر عزهم[(٤٨)] . فإذا سقطت العاصمة استسلمت الامبراطورية .

٣ ـ أسباب حركة الفتح :

وإذا كانت الدولة الإسلامية في خلافة أبي بكر تصدر في تصريف أمورها عن خطة مدروسة وسياسة مرسومة فماذا كانت تريد الدولة من وراء إعلان الحرب على فارس والروم ؟ أو ما هي أسباب الفتوحات الإسلامية ؟ خلص بعض الباحثين[(٤٩)] في تعليل أسباب الفتوحات الإسلامية إلى القول بأن شبه الجزيرة كانت فقيرة الموارد الإقتصادية وزاد فقرها أن نظم الري التي كانت قائمة في شبه الجزيرة قد انهارت قبيل ظهور النبي ، ثم جاء الإسلام فحرم القتال بين العرب وكون جيشاً كبيراً منهم كانت احتياجاته أكبر من طاقة الجزيرة الإقتصادية الأمر الذي دفع الدولة إلى الزحف بهم نحو أرضين جديدة مستغلة الروح الحربية عند العرب ، وبذلك كانت الفتوحات الشوط الأخير في عملية النزوح المتواصل من البادية القاحلة إلى ما يتاخمها من الهلال الخصيب وأن الفتوحات هي آخر الهجرات السامية العظيمة .

وذهب البعض [٥٠] إلى القول « بـأنه بدأ أن خير وسيلةٍ لرأب الصدع، على أثر حروب الردة ، هي التوسع نحو الخارج هذا التوسع الذي أعقب إخضاع التمرد الداخلي على الفور، وكان الجهاد وهو الحرب في سبيل الله وسيلةً إلى جعل القبائل المتمردة تحرص على مصلحة الإسلام وجعلها ترضى به ، ولم يكن الجهاد لنشر الدين أكثر من ذريعة وتَعِلَّةٌ للحرب كما لم تكن دعوة أعْدَاء الله إلى الدخول في الإسلام قبل محاربتهم إلا مسألة شَكلية ». اتخذ هؤلاء العامل الاقتصادي أساساً لحركة الفتح وتعليلا لإسلام أهل البلاد المفتوحة واعتبروا إسلامهم تهرباً من الجزية وطمعاً فى مشاركة الطبقة الحاكمة في ولاية الأُمور ، فهل يكفل هذا التفسير تعليل الفتوحات الإسلامية أم أن فى الأمر شبهة ؟ .

وهنا لا بد من أخذ الأُمور التالية بعين الإعتبار :

أولا : واجه المسلمون الذين قاموا بحركة الفتح مجابهات كلامية مع الذين كانوا يدعونهم إلى الإسلام نسبوهم فيها إلى الفقر والعوز الذي أخرجهم من بلادهم وراء لقمة العيش والمال، وذهبوا مذهب هؤلاء الباحثين في فهم حركة الفتح ودوافعه، وعلى ذلك فإن اعتبار العامل الإقتصادي فى فهم حركة الفتح لم يكن إلا كلاما مكروراً حول هذا الموضوع وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر أن من ذهب هذا المذهب من قبل في تعليل حركة الفتح ملك الفرس يزدجرد بن شهريار [٥١] الذي دعاه الوفد الإسلامي إلى الإسلام فأجابهم : إن كان الجهد قد دعاكم فرضنا لكم قوتا إلى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكاً يرفق بكم. إلا أن الوفد رد على الملك بأن ماذكر قد كان قبل اليوم وهم يدعونه الآن إلى الإسلام أو الجزية أو السيف ، في كلام أغاظ الملك

كثيراً فقال لهم: لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم، وأمر بوضع وقر من التراب على رئيس الوفد وأخرجهم خارج العاصمة وهو يهدد ويتوعد أن سيدفنهم جميعاً.

ثانيـاً: كان الناس فى الجزيرة العربية يكسبون عيشهم إما بزراعة أو تجارة أو صيد أو رعي، وظهرت الدعوة الإسلامية وقامت دولة الإسلام في المدينة، فكان على مَنْ يسلم أن يهاجر إلى دار الإسلام في المدينة، حتى إذا كان عام الفتح توقفت الهجرة لقول الرسول عليه السلام: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا». ثم تقاطرت الوفود بعد ذلك إلى المدينة من أطراف الجزيرة معلنة إسلامها وكانت تعود إلى مواطنها ومعها من يعلمها أمور الإسلام وظل التوزيع السكانى لأهل الجزيرة العربية محتفظاً بشكله كما كان قبل الإسلام بعيداً عن التخلخلات السكانية التي من شأنها أن تولد الأزمات التي نشاهدها في العصر الحاضر.

ثالثاً: لم يتكون جيش في عهد الرسول أو في عهد أبي بكر بمفهوم الجيش وما يتطلبه من رواتب وملابس ومأكل ووسائل نقل وأسلحة وإنما كان المسلمون جميعهم جيشاً، وكان كل فرد منهم جندياً مستعداً لتلبية النداء ويتكفل بما يلزمه من احتياجات وإن تكوين الجيش حدث بعد ذلك في خلافة عمر بن الخطاب في المحرم من عام ٢٠ للهجرة.

وعلى ذلك فإن ظهور الإسلام في الجزيرة لم يؤد إلى ظهور مشكلة اقتصادية، كما لم يؤد إلى تفاقم مشكلة اقتصادية سابقة على فرض وجودها من قبل، بل إن الأوضاع الاقتصادية إن لم نقل أنها تطورت نحو الأفضل فانها لم تنحدر نحو الأسوإ كما وصف أصحاب التفسير الاقتصادي، بل إن الشواهد لتدل على أن الإسلام قد ساهم في تحسين حال العرب

الاقتصادية ، ولا سيا في جانب توزيع الثروة بما جاء الإسلام به من تشريعات اقتصادية وبما وضعه من قواعد في التكافل الاجتماعي .

أما القول بأن الإسلام عندما حرم القتال بين المسلمين كان لابد من فتح ميدان جديد لتفريغ الطاقة الحربية عند العرب فيه حتى لايعود العرب إلى سابق خصوماتهم، فهو قول مخالف للواقع إذ ليس هناك طاقة حربية لازمة في الإنسان أوطاقة سلمية أو طاقة صناعية ، فالإنسان مخلوق جعلت فيه القدرة أو الطاقة ويمكن استغلال هذه المقدرة أو الطاقة في الحرب أو في الصناعة أو في الزراعة أو غيرها من المجالات ، وأنه يمكن توجيه الطاقة والقدرة في الإنسان وجهةً معينة، ثم يمكن أن يحول الإنسان من هذه الوجهة إلى أخرى وهذا ملموس ومحسوس ومن الخطإ الفاحش أن نصف شعباً مّا ، وصفاً لازماً مطلقاً بأنه شعب مسالم أو شعب محارب أو شعب صناعي أو زراعي أو تجاري إنما يتوقف الحال على نوع التوجيه ونوع المفاهيم التي تتحكم في الشعب .

فالإسلام عندما حرم القتال بين المسلمين كان قد أرسى الأساس الذي من شأنه أن يحجز أتباعه بعضهم عن قتال بعض ونعني به وحدة العقيدة ووحدة الفكر ، وهو الذي جعل أصحاب العقيدة والفكر من كندة يحاربون بعد وفاة الرسول المرتدين من كندة ، كما لم يجعل الإسلام إشغال العرب بالحروب الخارجية ضماناً لاستمرار وقف القتال بينهم فإن ذلك لايؤيده دليل شرعي ولا دليل عقلي فالقتال مظهر من مظاهر الخلاف ، وقد يقع الخلاف في ميدان القتال بين أفراد الجيش

الواحد كما يقع بين الناس في ميدان الزراعة أو التجارة أو غيرها أي قد يقع الحرب في السلم ، وقد يؤدى الخلاف إلى القتال وقد ينتهي إلى المصالحة . أما الواقع التاريخي الآخر الذى يجب لفت أصحاب التفسير الاقتصادى إليه فهو أن المسلمين لم يفتحوا بلداً معيناً لغناه ولم يتركوا آخر لفقره، بل بدأت عملية الفتح وتحويل البلاد من دار كفر إلى دار إسلام إبتداء بالمنطقة المحيطة بالمدينة ومروراً بالجزيرة إلى ما حولها أولا بأول ، يقاتلون الذين يلونهم وهم يدعون إلى الإسلام أهل البلاد الغنية الخصبة المعتدلة كما يدعون أهل البلاد الوعرة الصحراوية الفقيرة مثلما يدعون أهل البلاد الباردة المطيرة المثلجة البعيدة ، أضف إلى هذا أنّ أبا بكر حرم الجهاد على المرتدين ولم يأذن لأحد أن أن يستعين بمرتد ، فهل كان قرار أبي بكر بحرمان المرتدين من المشاركة في الفتح عقوبة اقتصادية أم عقوبة اقتضتها سلامة الدعوة ؟

كان قرار أبي بكر حكماً وعقوبة ولكن هل من خلال الوقوف على أبي بكر من خلال الوقوف على جماعة الردة ؟ .

والواقع أن فهم القرار يقتضي فهم الجانبين معـاً .

أما بالنسبة للمرتدين فهم أناس نقضوا ماعاهدوا الرسول عليه من القيام على أمر الإسلام وتخلوا عن الإسلام وحاربوا الإسلام وحاربوا المسلمين ، أما واقع الذين اتخذوا القرار فهم قوم أخلصوا للإسلام في كل ماحضر منه أو غاب وفي كل ماصغر منه أو كبر

فالأمر إذن يكمن في فئتين : فئة انقلبت على الإسلام وطعنته وخاصمته

وقتلت أهله، وفئة خلصت له وحاربت إلى جانبه وقاتلت أعداءه . ثم انطلقت حركة الفتح دون أن يمضي على الانفكاك بين الفئتين ورجوع الفئة المرتدة وقت كبير ، إذ أن حركة الفتح بدأت بعد الفراغ من حروب الردة على الفور ، فهل من الحكمة والرشاد أن يحسن النية بأهل الردة وتناط إليهم حراسة الدين بهذه السرعة؟! أم أن الأمر يحتاج إلى نظر وروية ؟ .

لقد نظر أبو بكر إلى قضية المرتدين بمنتهى الحذر والحيطة، ولم يسمح لهم بالمشاركة ،ومضت خلافة أبي بكر وجاءت خلافة عمر فلم يسمح إلا لمن حسنت حاله وظهرت توبته وندمه، ولم يول منهم أحداً وظل الذين أصابهم مس الردة في حركة الفتح حشوة إلى أن ضرب الإسلام بجرانه ، وإذا كان ذلك كذلك فما هو سبب الفتوحات الإسلامية ؟

ان سبب حركة الفتح الإسلامي ودوافعه لا يؤخذ من واقع جندي يشترك في القتال طلباً للثروة ، أو من واقع جندي يشترك في القتال إبتغاء الشهرة والسمعة ، وإنما يفهم من واقع السياسة العامة للدولة والروح المسيطرة على الناس ، وإذا تقصينا أخبار ذلك من خلال الكتب التي سجلت أخبار الفتوحات وتمعنا في توجيهات أولي الأمر ووصاياهم وخطبهم في الجيوش المتجهة إلى ساحات القتال وماكانوا يأخذون به القادة والجند ثم بيانات قادة الجيوش إلى الأعداء ثم سيرة جند المسلمين من استقبالهم الموت بنفس هادئة مطمئنة أثناء القتال وتحول معسكرهم إلى حلقات فقه وتلاوة ودرس وتعليم أثناء وقف القتال والاستنصار بصحابة رسول الله

كالملح للطعام ، وتقديمهم ليفتح الله على أيديهم إلى غير ذلك من صور حياة الجيش الإسلامي (٥٨) لوجدنا أن حركة الفتح كانت في سبيل الله لنشر الإسلام وتحويل دار الشرك إلى دار إسلام ، وهو السبب الوحيد الذي يفسر الاندفاع العربي من شبه الجزيرة بقوة وجرأة نادرة وفتح جبهة القتال مع فارس والروم معاً وهو السبب نفسه الذي يفسر لنا نجاح العرب في تحويل البلاد من دار كفر إلى دار إسلام بالسرعة المذهلة .

وبعد الاستئناس برأي التاريخ ننتقل إلى الاستئناس بطبيعة الفكر الذي انهض العرب ورأي هذا الفكر في أسباب حركة الفتح .

ولدى مطالعة القرآن للوقوف على آيات القتال تبين أن خمساً وثلاثين آية موزعة بين إحدى عشرة سورة (٥٩) تدور حول هذا الموضوع هى :

(أ) تسع عشرة آية تذكر لفظ القتال والجهاد مقروناً بلفظ : في سبيل الله .

(ب) اثنتى عشرة آية تذكر لفظ القتال والجهاد مقرونة بألفاظ تدل على أنها في سبيل الله .

(جـ) ثلاث آيات لم يذكر لفظ القتال والجهاد فيها ولكنها تدل على القتال في سبيل الله .

(د) آية واحدة تذكر القتال لدفع الظلم الذي يحول دون ممارسة حرية أداء العبادة والبقاء على العقيدة .

(هـ) هناك آية تذكر القتال بما يفيد أنه في سبيل الله مع إمكان قبول الجزية إذا كان هؤلاء من أهل الكتاب .

وقبول الجزية الذي تشير إليه الآية هو مظنة احتجاج أصحاب التفسير الإقتصادي في التدليل على الدافع الإقتصادي للفتوحات . على أن الجزية لم تكن بديلا عن الإسلام كما فهمها هؤلاء وإنما هي بدل حفظ دم دافعها وحمايته مع وجوب قبول أحكام الإسلام [٦٠] كما جاء في الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة خمسة وسبعين حديثا تدور [٦١] حول موضوع القتال تؤكد جميعها أن القتال في سبيل الله ومنها : حديث سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن عمرو عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : - جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله ؟ قال : «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ». ولكن هناك من يفزعه القتال أفلا يوجد طريقة غير القتال لنشر الإسلام ومد حركة الفتح ؟ لقد كان اقتران حركة الفتح الإسلامي بالقتال والحرب مدعاة إلى الاعتقاد بأن الحرب طريق الإسلام الوحيد في نشر دعوته غير أنه لم يكن من قبيل الصدفة أن تتحول يثرب من دار كفر إلى دار هجرة وإسلام دون أن ينتطح في ذلك عنزان أو تراق قطرة دم ، إلا أن الأمثلة كثيرة حول البلاد التي تحولت إلى دار إسلام بغير طريق السيف والقتال منذ عهد الرسول عليه السلام وابتداءً بالجزيرة العربية .

أما واقع الأمر فإن الإسلام دعوة الناس إلى فكرة كلية عن الكون والإنسان والحياة ودعوة الناس إلى طريق معينة للعيش ، ومن شأن هذه الدعوة بما تتضمنه من تصور معين كامل شامل عملي للحياة أن تدخل في صراع مع أنماط الحياة المغايرة وقد حدث هذا ومن طبيعة هذا الصراع

أنه صراع مستمر لا يتوقف أبداً مادام هناك دعوة إسلامية من جهة وأنماط من الحياة مغايرة من جهة أخرى وقد حدث هذا أيضاً وهو سر امتداد الفتوحات الإسلامية إلى أقصى الأرض، وهو التفسير لبقاء الجهاد واستمراره إلى يوم القيامة . على أن هذا الصراع قد يتخذ طابع العنف والقتال وقد ينتهي إلى فتح بلا قتال إلا أن القوة لا بد منها لحماية حرية سير الدعوة فثلاث عشرة سنة لم يرفع السيف فيها في مكة لم تزد أهل مكة إلا غيا وظلماً وتمادياً في تعذيب المسلمين وفتنة الناس عن الدعوة . وواقع الحياة من خلال تاريخ البشرية يؤكد أن القوة شيءٌ لابد منه لحماية الحق وصيانة الخير . يقول الله تعالى : –

(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان، ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) (٦٣)

نخلص من هذا إلى القول بأن لفظ « الفتح » اكتسب معنى جديداً في ظل الإسلام يتضمن تحول البلاد من دار شرك إلى دار إسلام في أبعاده السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، وبدأ الفتح بهذا المعنى في حياة الرسول عليه السلام وجرى عليه من بعد في خلافة أبي بكر الذي أقام سياسة الدولة في علاقاتها الخارجية على أساس مد حركة الفتح إلى أقصى حد ، وفق خطة مدروسة بعيدة عن العفوية والارتجال، منزهة عن أغراض القهر والاستبداد بمقدرات الشعوب واستنزاف ثرواتهم ، خالصة لله لتكون السيادة لله والقوامة لشرع الله في شؤون الناس .

جامعة اليرموك : دكتور محمد ضيف الله بطاينة

(١) انظر مادة « فتح » فى القاموس المحيط للفيروز أبادى ولسان العرب لابن منظور وتاج العروس للزبيدى .

(٢) سورة الأنعام آية ٤٤ مكية .

(٣) سورة الحجر آية ١٤ مكية .

(٤) سورة الاعراف آية ٩٥ مكية .

(٥) سورة المؤمنون آية ٧٨ مكية .

(٦) سورة القمر آية ١١ مكية .

(٧) سورة يوسف آية ٦٥ مكية .

(٨) سورة فاطر آية ٢ مكية .

(٩) سورة النبأ آية ١٩ مكية

(١٠) سورة الزمر آية ٧١ مكية .

(١١) سورة الأنبياء آية ٩٦ مكية .

(١٢) سورة الأعراف آية ٣٩ مكية .

(١٣) سورة ص آية ٥٠ مكية

(١٤) سورة الاعراف آية ٨٨ مكية .

(١٥) سورة الشعراء آية ٧٨ مكية .

(١٦) سورة سبأ آية ٢٧ مكية .

(١٧) سورة السجدة آية ٢٨ مكية

(١٨) سورة ابراهيم آية ١٥ ، ١٦ مكية .

(١٩) سورة الأنعام آية ٤٩ مكية .

(٢٠) سورة القصص آية ٧٦ مكية .

(٢١) سورة النساء آية ١٤٠ مدنية .

(٢٢) سورة المائدة آية ٥٥ مدنية .

(٢٣) سورة الفتح آية ١ مدنية .

(٢٤) سورة الفتح آية ١٨ مدنية .

(٢٥) سورة الفتح آية ٢٧ مدنية .

(٢٦) سورة الصف آية ١٣ مدنية .

(٢٧) سورة الحديد آية ١١ مدنية .

(٢٨) سورة النصر آية ١ ، ٢ مدنية .

(٢٩) الأخبار الطوال - أبو حنيفة الدينورى ص ١١١ - ١١٢ .

(٣٠) تاريخ الرسل والملوك - أبو جعفر الطبرى جـ٣ ص ٣٤٤

(٣١) المصدر نفسه جـ٣ ص ٣٤٦

(٣٢) المصدر نفسه جـ٣ ص ٣٤٧

(٣٣) المصدر نفسه جـ٣ ص ٣٤٣

(٣٤) الطبقات الكبرى - ابن سعد جـ٧ ص ٢٩٦

(٣٥) الأخبار الطوال - أبو حنيفة الدينورى ص ١١١

(٣٦) الأعلام - خير الدين الزركلى - الطبعة الثالثة جـ٤ ص ١٨

(٣٧) المصدر نفسه جـ٣ ص٢٨

(٣٨) تاريخ الرسل والملوك - الطبرى جـ٣ ص ٣٤٨

(٣٩) الطبقات الكبرى - ابن سعد جـ٢ ص ٣٧٩

(٤٠) أسد الغابة فى معرفة الصحابة - ابن الأثير جـ١ ص ٢٠٧

(٤١) تاريخ الرسل والملوك - الطبرى جـ٣ ص ٦١٤

(٤٢) المصدر نفسه جـ٣ ص ٣٠٢

(٤٣) المصدر نفسه ج٣ ص ٣٤٨
(٤٤) المصدر نفسه ج٣ الصفحات ٢٦٩ — ٢٧٥
(٤٥) فتوح الشام ـ محمد بن عمر الواقدى ج١ ص ٥
(٤٦) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ١٣١
(٤٧) الكامل فى التاريخ ـ ابن الأثير ج٢ ص ٢٦١
(٤٨) تاريخ الرسل والملوك ـ الطبرى ج٣ ص ٣٦٥
(٤٩) المصدر نفسه ج٣ ص ٣٤٧
(٥٠) تاريخ العرب مطول ـ فيليب حتى ج١ ص ١٩٥ — ١٩٦ ،
قصة الحضارة ـ عصر الايمان ـ ول ديورانت ج٢ المجلد الرابع ص ٧١ — ٧٢
(٥١) تاريخ الدولة العربية ـ يوميوس فلهوزن ص ٢٣
(٥٢) تاريخ الرسل والملوك ـ الطبرى ج٣ ص ٥٠٠
الكامل فى التاريخ ـ ابن الأثير ج ٢ ص ٣١٦
(٥٣) صحيح مسلم باب فضل الجهـاد .
(٥٤) مقدمة ابن خلدون — ديوان الأعمال والجبايات ص ١٨٢
(٥٥) انظر كتاب تاريخ الرسل والملوك ـ الطبرى ج٣ الصفحات :
١٢٩ ، ١٤٧ ، ٢٦٧ ، ٣١٧ ، ٣٣١ .
(٥٦) تاريخ الرسل والملوك ـ الطبرى ج٤ ص ٢٥
(٥٧) المصدر نفسه ج٣ ص ٤٨٩
(٥٨) المصدر نفسه ج٤ ص ٢٥
(٥٩) انظر تاريخ الرسل والملوك ـ الطبرى ج٣ الصفحات :
٣٧٠ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٥ ، ٣٩٩ ، ٤٩١ ، ٥٣٦
(٦٠) سورة البقرة الآيات : ١٥٤ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٤٤
سورة آل عمران الآيات : ١٥٧ ، ١٦٩ ، ٢٠٠
سورة الأنفال الآيات : ١٥ ، ٣٩ ، ٦٥ ، ٧٤ ، ٧٥
سورة النساء الآيات : ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٤ ، ٩٤
سورة التوبة الآيات : ١٣ ، ١٤ ، ٢٠ ، ٢٩ ، ٣٩ ، ٧٣ ، ١٢٣
سورة المائدة الآيات : ٣٥ ، ٥٤
سورة الحج الآية : ٣٩
سورة الممتحنة الآية : ٩
سورة المزمل الآية ٢٠
سورة محمد الآية : ٧
سورة الصف الآية : ٤ ، ١١
(٦١) كتاب الأم ـ محمد بن ادريس الشافعى الجزء الرابع — كتاب الجزية .
(٦٢) انظر كتاب « الجامع الصغير فى أخبار البشير النذير » للسيوطى .
(٦٣) سورة الحديد آية ٢٥ .

— ١٨ —

رحلة السنوسي التونسي : واطلعتُ في (دار الكتب الوطنية) في تونس على هذه الرحلة ، وهي من مخطوطات (الخلدونية) .

ومع أنَّ مؤلفها حديث العهد ، إلا أن فيها من المعلومات مايحتاج إليه الباحثون .

ومؤلفها من مشاهير العصر الماضي ، وكان قدم حاجًّا بطريق البحر من (بور سعيد) إلى جدة في ٢٤ ذى القعدة سنة ١٢٩٩ ودخل مكة يوم الثلاثاء ٢٨ ذي القعدة سنة ١٢٩٩ .

وخرج منها إلى المدينة في يوم السبت ٢٢ ذى الحجة سنة ١٢٩٩ فوصل المدينة يوم الخميس ٤ محرم سنة ١٣٠٠

وخرج من المدينة يوم الاثنين ١٦ المحرم سنة ١٣٠٠ عن طريق الشام ، فوصل ظهر العقبة يوم الثلاثاء ٨ صفر سنة ١٣٠٠ ومنها إلى معان

ونكتفي بتلخيص ترجمته من كتاب « تراجم الأعلام التونسيَّة[١] » للشيخ ابن عاشور — قال : محمد بن عثمان بن محمد السنوسي ولد بتونس سنة ١٢٦٦ وهو حفيد قاضي الجماعة العلامة الشيخ محمد السنوسي مؤلف كتاب « لقط الدرر في العمل المشتهر »

(١) ص ١١٧ وما بعدها وله ترجمة مطولة فى (مجلة الجامعة التونسية) .

دخل غمار الحياة مع أستاذه الشيخ محمد بيرم الذي عين رئيساً لجمعية الأوقاف فكان السنوسي كاتب مجلس الجمعية ، ولما عين الشيخ بيرم ناظراً للمطبعة الرسمية أصبح السنوسي محرراً لجريدة (الرائد الرسمي التونسي) فقويت علاقته بالوزير خير الدين ، وحركته الاصلاحية وبواسطة شيخه بيرم اتصل بالبيت المالك ، فعهد إليه بتربية الأمير محمد الناصر باشا فكان هو الذي أخرجه للتاريخ على ذلك المثال العجيب الذي كان به طراز البيت الحسيني وغرة التاريخ التونسي الحديث .

ولما بدأ التصدع يتناول الواجهة (الخيرية) بانشقاق أفراد من أعضاء الوزير خير الدين كانوا ينتقدون عليه تأخره عن تنفيذ ماكان مقرراً من نصب المجالس الشورية ، كان الشيخ محمد بيرم والسنوسي المترجم من المنشقين . ولما سقط الوزير خير الدين كان المترجم أحد من التف حوله خلفه الوزير مصطفى ابن اسماعيل .

وطفحت جريدة « الرائد » بما كان يصدر عن المترجم من مقالات في تمجيد مصطفى بن اسماعيل ، وتوجيه أعماله وتحسين مواقفه ، مع أن سياسته الأصلية لم تتغير ، فبقيت سياسة إسلامية جامعة مبنية على أصول جمعية « العروة الوثقى » التي اتصل بها ، وانخرط في أعضائها السريين ، وعرف مُنْشِئَيْها السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده .

ولما تخلى مصطفى بن اسماعيل عن الوزارة اثر انتصاب الحماية الفرنسوية اعتزل تحرير « الرائد » وخرج من البلاد التونسية في رجب سنة ١٢٩٩ إلى إيطاليا واتصل بواسطة صديقه الوزير حسين بالكاتب المعروف إبراهيم المويلحي .

وسافر من إيطاليا إلى دار الخلافة العثمانية ، فالتحق هناك بإخوانه

التونسيين كالوزير خير الدين . والشيخ محمد بيرم .

ثم سافر من الاستانة في ذي القعدة سنة ١٢٩٩ إلى جدة وحج تلك السنة وشهد تنصيب الشريف عون الرفيق في إمارة مكة ، ورحل إلى المدينة وتمكن أثناء إقامته بالحرمين الشريفين من معرفة أعلام من علماء الاسلام ، منهم علامة الهند الشيخ رحمة الله العثماني صاحب « اظهار الحق » والأديب الشيخ عبد الجليل بَرَّادة ، واللغوي الشيخ محمد محمود ابن التلاميذ التركزي الشنقيطي .

وخرج من المدينة إلى الشام مع الركب الشامي فدخل دمشق آخر آخر صفر سنة ١٣٠٠ واجتمع فيها بالأمير عبد القادر الجزائري ، وكان تقدمه إليه بمكتوب من الشيخ محمد بيرم وثلاثتهم من أعضاء جمعية العروة الوثقى ونزل في ضيافة الأمير . . وتعرف من علماء الشام بالشيخ سليم العطار وعمه الشيخ أبي بكر العطار .

وانتقل إلى بيروت فتعرف بالكاتب الشهير بطرس البستاني .

ومن بيروت استعجل السفر إلى تونس فوصل في أواخر ربيع الأول سنة ١٣٠٠ .

وكانت الحركة الاحتجاجية الكبرى ضد النظام البلدي في جمادي الأولى سنة ١٣٠٢ فاتصل بها حتى تزعمها ، ووصلها بحركات جمعية العروة الوثقى ، فكان ذلك جالباً للنقمة الإدارية إليه ، فَنُفِي إلى قابس ، وعزل من كتابة جمعية الأوقاف في شعبان سنة ١٣٠٢ ، ورجع من النَفي في ذي القعدة سنة ١٣٠٢ وأخلد إلى النظام القائم ، وعُيِّنَ كاتباً بالمجلس المختلط عند إنشاء المحكمة العقارية المختلطة ، وكتب شرحه على القانون العقاري

ثم تنقل إلى المحاكم الدولية التونسية فسمي حاكماً بالقسم المدني ثم بالقسم الجنائي .

ورحل إلى باريس سنة ١٣٠٨ فكتب رحلته التي كانت مظهراً جديداً للإلتئام بينه وبين رجال الحكم يومئذ ، كما كانت عنصراً جديداً في التوجيه الفكري لنهضة البلاد .

واستمر على هذا الوضع إلى وفاته في رجب سنة ١٣١٨ (١) .

ومن مؤلفاته :

١ ـ « مسامرات الظريف بحسن التعريف » في التراجم .

٢ ـ « مجمع الدواوين التونسية » استوعب فيه شعر نحو الخمسين فحلا من فحول الشعر .

٣ ـ « الرحلة الحجازية » ثلاثة أجزاء ـ لم تطبع .

٤ ـ « الاستطلاعات الباريسية » .

٥ ـ « مطلع الدراري ، بتوجيه النظر الشرعي على القانون العقاري » .

٦ ـ رحلته إلى باريس .

وله الشعر العجيب في الأغراض المبتكرة التي من أهمها غرض الإشادة بالحضارة الغربية ومبتكراتها العلمية ، وضع فيها قصيدته النونية في نحو ١٢٠ بيتاً مطلعها :

أريت كيف تقارب البلدانْ ||| بالمزجيات جَرَتْ على القضبان

وقد كتب عليها شرحا .

---

(١) تراجم الأعلام : تأليف محمد الفاضل بن عاشور « نقلا عن « المجلة الزيتونية » المجلد ١٠ ج ٣ سنة ١٩٥٥ .

وشارك في تحرير فصول عن التاريخ التونسي في دائرة المعارف التي قام بتأليفها بطرس البستاني .

وكان أثناء رحلته يحرص على الاجتماع بكبار العلماء ، فقد اجتمع بالشيخ صالح الاصم من علماء الجراكسة فى آبار نصيف في الطريق إلى الشام - وتحدث عنه .

واجتمع بالشيخ صالح الاربيلي مجتهد الشيعة ، وكان قد صاحبه في المركب من الاستانة إلى جدة في آبار نصيف وتحدث عنه .

- واجتمع بقاضِي تبريز في البئر الجديد ، وهو محمد مهدي ابن بنت ولي عهد شاه إيران .

وفي رحلته طائفة كبيرة من شعره . ومنه قصيدة عينية في المناسك واسماء المشاعر ، نظمها بمكة .

وقطعة في مدح سعيد باشا أمير الركب الشامي مطلعها :

للمحمــل الشاميِّ أيُّ محاسنٍ ما يمتري في فضلهن عَنِيدُ

وله قصيدة أنشدها في موقف شباك الحجرة مطلعها :

إلى خير خلق الله احْدُ النَّجائبـا
وألْقِ عصا التَّسيَار إذْ كنت هائبا(١)

في ٤٦ بيتاً :

ومن شعره في وصف الساعة :

هـذه السـاعاتُ عنـد المُعْتَبِرِ قَرَعَتْ بالوعظ قَلْبَ المُزْدَجِرِ
قَـرْعُ تَنْبِيهٍ عـلى مـا قد مَضَى من نفيس العُمْرِ ، هَلْ مِنْ مُدَّكِرِ؟

وهاهو ملخَّص ماجاء في رحلته مما يتعلق بموضوعنا :

(١) حدو النجائب لزيارة القبور لا يجوز بنص الحديث الشريف : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد .

وتبرز في كتابات السنوسي عنايته بالأدب والأدباء ولهذا فإنّ دارمي تاريخ الأدب في هذه البلاد في الحقبة الأخيرة لايعدمون فيا كتب السنوسي في رحلته جانباً مُفِيْدًا ، مع ملاحظة أنه توسّع فيا كتب ، ولم نأت على جميع ذلك .

ويلاحظ القارئ أنه ذكر كثيراً من المواضع بين مكة والمدينة ، وبين المدينة والشام ، ذكرها بأسماء محرفة ، مما يدل على عدم عنايته بهذه الناحية .

وهاهو نَصّ ماذكر ملخّصًا :

جــدة :

بلدة من الحجاز - في جزيرة العرب - على نحو النصف من البحر الأحمر ، تبعد ٦٥ ميلا من مكة المشرفة . وقد اختلف قول المؤرخين في مبدإ تاريخها ، وزعم ابن بطوطة أنها من عمارة الفرس ، والذي يؤخذ من مجموع كلام مؤرخيها أن أرضها كانت تعلوها مياه البحر ، والذي مَصّرَها هو سيدنا عثمان بن عفّان ، وقد صارت محطا للمراكب البحرية سنة ٢٥ من الهجرة ، ونشأت فيها التجارة

وكثر مرور السفن على مرساها التي هي الطريق الوحيد إلى آسيا من أوربا وأفريقيا .

وقد كان وصولنا إلى مرساها بعد زوال يوم الجمعة الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٢٩٩ وكان موقف بابورنا بعيداً عن الشاطىء بمسافة أكثر من ميل ، حيث لا يمكن للبوابير الدخول إلى تلك الميناء بسبب وجود الصخور المرجانية ، وجزر المـاء في تلك الساعة حتى كان في بعض الجهات منها لايزيد على ثلاثة أقدام ، وأكثره لايتجاوز الثمانية عشر

قدما ، وللمرسى هنالك مراكب شراعية يسمونها (السنابك تنقل الأمتعة والراكبين من البوابير إلى البلد بكراء زهيد ، لايتجاوز قدره العشر قروش عن الرجل وأمتعته ، مع أنها في المواضع القليلة الماء يحتاج ملاّحوها للنزول منها ليتولوا جَرّها بأيديهم .

والبلد مما يلي البحر جميل البناء ، بالحجارة ، مجصص كله . وعند نزولنا دخلنا إلى محل (القمرق) واطلعوا على تذاكر جوازنا ، وكتبوا لنا فيها بالقلم التركي كتابة أخذوا عنها عشرة قروش ، وعند دخولنا من البلد عرضنا التذاكر المذكورة فأعطونا هنالك تذاكر صغيرة مختومة أخذوا عن الواحدة ثلاثة قروش . فدخلنا البلد فإذا هي ذات سور حصين ، تحيط به فنادق ، وتتخللها أبراج قديمة فيها مدافع من النوع القديم ، ولها تسعة أبواب ، منها ستة مما يلي البحر ، وأَزِقَّةُ البلد أغلبها مُتَّسعٌ ، وكلها طبيعية ، وفيها عدة جوامع ، وسرايات جميلة المنظر من ظاهرها ، وربّما كان داخلها متسعاً ، ومن أحسن أبنيتها الجديدة ديار القناصل ، وبعض ديار أعيان تجارها ، وفيها مركز (تلغرافي) و (بوسطة) عمومية . إلا أنها غير منتظمة ، وكلاهما بيد الولاية العثمانية ، وأسواقها عامرة بالمتجر ، لاسيما في موسم الحج ، وأعمال أهلها صيد السمك ، والغوص عن المرجان الأسود ، يصطنعون منه سُبَحًا وغيرها ، وترد إليها كثير من أنواع المتاجر الأوروباوية والأسياوية ، ومنها تصدر جميع ضروريات أهل الحجاز ، وفيها كثير من التجار الهنود والمصريين وعدد سكانها نحو الثمانية عشر ألف في أيام الحج يكثرون بسبب التجارة حتى أنهم ربما بلغوا إلى الأربعين ألف . ويمرّ بها من الحجاج في كل سنة نحواً من المائة والعشرين ألف نفساً .

وقد خرجنا صبيحة يوم السبت لمزاراتها ، فزرنا داخل البلد مدفنا لبعض آل البيت ، وخرج بنا المزوورون إلى المقبرة خارج البلد ، وفي مبدإها قبة منسوبة لأُمنا حواء ، يقولون : إنها على مدفن رأسها ، وهنالك قبة أخرى تبعد عنها نحو خمسين خطوة يزعمون أنها على محل سرتها .

أما أعمال المزورين هنالك مع مارة الحجاج وعلى الخصوص مغفليهم فإنها فوق مايعقل من وجوه الزور ، فتراهم يتجاذبون الحاج المسكين من ثياب إحرامه إلى أحد قبور أمواتهم بعد أن يوقفوا عندها من شيعتهم من يشاركونه في محصول الزيارة . ويقولون للحاج : هل تزور قبر سيدنا فلان ؟ فإذا وصل ووجد هنالك الشركاء ، فيغريه بإعطائهم ، وربما تمالؤوا عليه واغتصبوا منه ما يسمونه له صدقةً ، وأعجب من ذلك انتصاب بعضهم على حافة الطريق فيبسطون منديلا مستطيلا على مكان مرتفع من الأرض ، وربما كان مزبلة ، ويقولون لمارة الحجاج : أعد(؟) الزيارة لصاحب هذا القبر . إلى غير ذلك من حيل الصناعة ، وعلى كل حال قد خلصنا الله من أيديهم مُخلصاً حسناً .

واكترينا هنالك الإبل ، واكترينا محاملنا المسماة بالشقدف ، وكان اكتراؤنا في معية رفقائي من الترك ، وزميلي في الشقدف محمد علي باي ابن عصمة أفندي قاضي المدينة المنورة .

وكان خروجنا من جدة بعد أن صلينا بها صلاة العشا .

وممن اجتمعت بهم في جدة من خاصة أعيان تجارها وأذكياء أخيارها السيد أحمد المشاط ، وهو شَيخ فاضل ، واسع التجارة حسن الإدارة ، مشارك في الآداب والسياسة ، صادفت معه أثر فالج أصابه فعطل بعض حركاته ، ودعاني للنزول في بيته فاعتذرت له بما عندي من الميل عند

النزول إلى الانفراد ، وعلى كل حال رغبت منه قبول مكاتيبي الواردة والصادرة حيث أني سبقت مني الوصاية بتوجيه مكاتيبي على اسمه ، وقد استصحبت له مكتوباً من الشيخ محمد بيرم كان هو سبب التعارف بيننا ، فأحسن في حفظ مكاتيبي وتبليغها على أحسن الحالات ـ جزاه الله خيراً ، ولحسن المكتوب البيرمي نثبته هنا ، وهذا نصه : المقام الذي نعظمه ونجلّه ، ونثني عليه من المحامد بما هو جدير به ومحلّه ، الممدوح بألسن الغادي والرايح، الكريم الشيم حتى تعطرت بثنائه سائر الأخبار العطرة الروائح، الماجد الفاضل ، النحرير الكامل ، سيدي أحمد المشاط ، لازال حميد الأخلاق ، مثنيًا عليه في سائر الآفاق . أما بعد سلام عاطر ، وثناء لمحامدكم البهية ناشر ، فإن العبد منذ تشرف بعلاقاتكم السعيدة ، وتعرف بشمائلكم الفريدة ، لم يزل وداده إليكم راسخ الأوتاد ، وقلبه متأسفًا من البعاد ، وثناؤه عن كريم أخلاقكم يخزق المعتاد ، وإنما أخّرته عن مكاتبتكم حوادث الأنكاد ، وهول المصائب بوطنه من شرار العباد ، وتراميه كل يوم في بلاد :

يوم بِحُزْوَى ويوم بالعقيق وبالـ ... ـعُذَيْبِ يومٌ ، ويوم بالخُلَيْصَاء

إلى أن منَّ الكريم الجواد بالاستراحة حصة بدار الخلافة لازالت ثابتة العماد ، وحانت هاته الفرصة للمكاتبة مع الفاضل النزيه ، النحرير الوجيه ، الشيخ سيدى محيمد السنوسي فأصبحنا معه مزيدا الاشتياق ، إلى تلك الأخلاق ، وهو ـ حرسه الله ـ ينهي إليكم ما للمخلص من الود الراسخ ، والثناء القائم على الصدق الشامخ ، وهو ـ أصحبه الله السلامة ـ جدير بأن تشمله من عنايتكم التفاتة . وسترضى ـ بحول الله ـ سماته ، و الأمل من فضائلكم الدعاءُ لمخلص ودّكم في مظان الإجابة ،

لازلتم مصيبين في كل غرض غاية الإصابة ، والسلام من الداعي محمد بيرم التونسي لطف الله به ، ١١ ذي القعدة سنة ١٢٩٩ .

مكة المكرمة :

هذه أم القرى ، ومهبط الوحي ، ومحل وجود خير الوجود ، ومظهر الشريعة الإسلامية ، وفيها كعبة العرب وموضع اجتماع قبائلهم ، وهي محل حكومتهم العظمى ، ومقر أشرافهم ، وتسمى مكة لقلة مائها وتسمى المعطشة ، وتسمى بكة وأم كوثي وهو محل من قعيقعان ، وفاران ، وتسمى قرية النمل ، والباسة .

وطولها من باب المعلى إلى باب الماجن أربعة آلاف ذراع ، واثنان وسبعون ذراعاً ، وطولها من طول المعلى إلى باب الشبيكة أربعة آلاف ذراع ومائة واثنان وسبعون ذراعاً ، وغير خاف على مطالع السيرة النبوية خبر خروج رسول الله (ص) من مكة ، بعد أن أرسله الله ، فخرج مهاجراً إلى المدينة إلى أن جاءه نصر الله والفتح .

وقد وقع الخلاف في فتح مكة هل كان عنوة فتكون مقسومة ، ولم يقسمها النبي (ص) و أقرها على ذلك لاتباع ولا تكرى ، ومن سبق إلى موضع فهو أولى به ، وبه قال مالك وأبو حنيفة والأوزاعي ، أو كانت صلحاً فبقيت ديارها بيد أهلها يتصرفون في أملاكهم بالسكنى والبيع والاجارة وبه قال الشافعي وغيره ، وعليه جرى عمل الناس قديماً وحديثاً ، وهذا الخلاف إنما هو في أرضها ، وأما أبنيتها الحديثة فلا خلاف في أنها تباع ، على قاعدة من بنى في أرض في الوقف ، حيث يجوز له بيع مابناه .

وقد اختلف العلماء أيضاً في حكم المجاورة بمكة فمذهب أبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي كراهة ذلك ، تخوف ضعف الاحترام للبيت

العتيق ، ولذلك كان عمر (ض) يدور على الحاج بعد قضاء النسك بالدرة ويقول : يا أهل اليمن يمنكم ، ويا أهل الشام شامكم ، ويا أهل العراق عراقكم ، فإنه أبقى لحرمة ربكم في قلوبكم . وسئل مالك : هل الحج والجوار أحبُّ إليك أو الحج والرجوع ؟ فقال : ما كان الناس إلا على الحج والرجوع . وذهب صاحبا أبي حنيفة والشافعي وأحمد إلى استحباب المجاورة ـ أي مع المحافظة على واجب الإحترام للبيت الحرام

امامنا[1] الكعبة المشرفة التي كانت إقامتها للطواف من عهد آدم (ع . م) على نحو طواف الملائكة بالبيت المعمور ، لطاعة ربهم فيما أمرهم به ، وقد رفع ابراهيم (ع . م) القواعد من البيت بنصٍّ القرآن ، وروى الأزرقي عن أبي[2] اسحاق أن إبراهيم رفع البيت تسعة أذرع ، وجعل طوله من الحجر الأسود إلى الركن الشامي اثنين وثلاثين ذراعاً ، وعرضه من قبل الميزاب من الركن الشمالي إلى الركن الغربي المسمى ركن العراق اثنين وعشرين ذراعاً ، ومن جانب ظهر البيت من الركن الغربي إلى الركن اليمانى[3] إلى الحجر الأسود عشرين ذراعاً ، وجعل الباب لاصقاً بالأرض غير مبوَّب ، إلى أن جعل لها تُبَّعٌ الحميريُّ باباً يغلق ، وحفر إبراهيم في بطن البيت عن يمين حفرة لتكون خزنة للبيت ، يوضع فيها مايهدى إلى البيت ، وكان إبراهيم يبني وابنه إسماعيل ينقل الحجارة على عاتقه حتى انتهى إلى موضع الحجر الأسود فقال : ائتني بحجر أضعه هنا ، يكون عَلَمًا للناس ، يبتدئون منه الطواف وكان الحجر

---

(١) كلمة غير واضحة ولعلها (أما بناء الكعبة) .

(٢) كذا والصواب (ابن اسحاق) وهو محمد صاحب السيرة . . والخبر ورد مطولا فى « أخبار مكة » للارزقى ج ١ ص ٢٦ — ٢٧ ط : مكة المكرمة — وما هنا فيه اختلاف .

(٣) هنا نقص صوابه : (اليمانى أحد وثلاثين ذراعا ، وجعل عرض شقها اليمانى) إلخ .

الأسود مستودعاً بجبل أبي قبيس ، فوضع مكانه ، ولم يكن للبيت سقف .

وهنالك كان حفر بئر زمزم ، وفي الحديث : « ماءُ زمزم لِمَا شرِب له » وروي أن الحجر الأسود كان نوراً يتلألأ ويضيء ، فسودته أرجاس الجاهلية . وفي الحديث : الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة ، طمس الله نورهما .

وبعد بناء البيت طلع إبراهيم على جبل ثبير ، وأذَّنَ في الناس فقال : ياعباد الله إنَّ ربكم قد بنى لكم بيتاً وأمركم أن تحجُّوه ، فحجوه ، وأجيبوا داعيَ الله .

وقد بناه بعد إبراهيم الحارث بنُ مُضَاض الأصفر من جرهم وزاد في رفعه ، ثم بناه العمالقة . وعند تفرق قبائل جُرْهم وخروجهم إلى البريَّة اعتادوا فى أسفارهم حَمْلَ أحجار من الحرم ، يطوفون بها إذا نزلوا ، تبرُّكاً بأثر البيت . قيل : وكان ذلك سبب عبادة الأحجار في الجاهلية .

وممن بنى الكعبة قبل الإسلام قصيٌّ بن كلاب بعد قدومه إلى مكة وكانت سِدانةُ البيت بيد كبير خزاعة حليل بن حبشية ، فتزوج بابنته قُصَيٌّ ، وبعده انتقل مفتاح البيت إلى أبي غبشان وكان سكِّيرًا ، فباع المفتاح بِزِقٍّ من خَمر ، وفي المثل : (أخسر صفقةً من أبي غَبشان) وصار المفتاح إلى قصيٍّ ، وقد كانت خزاعة خلفاً عن بني جرهم في سدانة الكعبة منذ سنة ٢٠٧ بعد المسيح ؛ غير أنهم أحدثوا بمكة أوهامًا باطلة منها عبادة هُبَل الذي هو أحد ثلاثمائة وستين صنمًا داخل الكعبة ، واستمروا إلى ظهور أمر قريش ، وقد تولَّى الحكم رئيسهم قصي سنة (٤٤٠)

بعد الميلاد ، وهو الذي جمع القبائل القرشية تحت يده وجعل الحكومة في أيدي جمهور من العرب ، وبنى دار الندوة يجتمعون فيها للمشورة وغيرها ، فلم يكن يتزوج رجل من قريش إلا فيها ، ولا يدخلها إلا ابن أربعين سنة ، وكان يدخلها ولد قصي كلهم ، وقسم جهات البيت بين طوائف قريش ، فبنوا دورهم حول البيت من جهاته الأربعة (؟) وتركوا حول البيت مقدار(؟) للطواف ، يقال : إنه المقدار المفروش الآن حول البيت ، المسمّى بالمطاف ، إلى أن زاد عمر في المسجد الحرام ، وتبعه من بعده . وقد اجتمع لقصي من المناصب مالم يجتمع لغيره ، فكانت بيده الحجابة والسقاية و الرفادة ، والندوة واللواء والقيادة ، أما الحجابة فهي سدانة البيت – أي تولي مفتاح البيت – وأما السقاية فهي سقاية الواردين للحج بالماء العذب وينبذ لهم التمر والزبيب فيسقيهم منه ، وأما الرفادة فهي اطعام سائر الواردين للحج ، فيمدُّ لهم الأسمطة أيام الحج ، واستمرت في الاسلام فكان الطعام يصنع بأمر السلطان بمنى للناس حتى ينقضي الحج

وأما اللواء فهو راية يلوونها على رمح وينصبونها علامة لتوجة العسكر للحرب ، وأما القيادة فهي قيادة الجيوش .

وقد أعطى قصيٌّ سدانة الكعبة لعبد الدار ، فبقيت في بني شيبة من بنيه إلى هذا اليوم ، وقد خص من أبنائه هاشما بالرفادة والسقاية واتسعت مكة في مدته .

ثم خلفه المطلبُ (؟) ثم عبد المطلب جد النبي (ص) ولما أضرَّ السيل بجدران الكعبة بناها قريش ، ورضوا بمحمد الأمين أن يتولى وضع الحجر الأسود مكانه ، بعد أن أشار عليهم بوضعه في ثوب تولىّ حمل أطرافه

كبراء جميع القبائل ، إرضاء لهم بعد اختلافهم ، وجعلوا ارتفاعها ثمانية عشر ذراعاً ، ونقصوا من عرضها ورفعوا بابها عن الأرض ، وجعلوا داخلها ستة (؟) دعائم ، في صفّين ، ثلاثة في كل صف من الحِجْر إلى الركن اليماني ، وجعلوا في ركنها الشامي من داخلها درجة يصعد منها إلى سطح الكعبة .

وقد كان ابرهة الأشرم أحد قواد النجاشي ، تغلب عليه وجعل سائر الحبشة تحت قيادته ، وظفر في كثير من الحروب ، وبنى كنيسة معجبة بصنعا ، وأغار على الحجاز لهدم الكعبة بأربعين ألفاً فخذلوا وازداد بذلك احترام العرب بمكة حتى قال أحد المؤرخين الافرنج : إنه مع اختلاف اهواء العرب ، اتفقوا جميعاً على إعلاء قدر الكعبة على سائر هياكل عباداتهم ، ورأوها هديّة من الله إليهم إعلاما بفضلهم ، ووضعوا فيها الثلاثمائة والستين صنما ، فصارت عندهم بمنزلة (البنتيون) عند قدماء اليونان ، وأظهرت الصابئة واليهود وسائر العرب تعظيمها ، وبذلوا جهدهم في زخرفتها ، بل رغبوا في فوقاتها على سائر مباني الدنيا ، ولذلك كانت روايات شرفها أحبّ الأحاديث عندهم ، وعلقوا عليها المعلقات السبع رغبة في أن يعلق عليها سائر أنواع الشهرة ، وكانت لقريش ـ سدنة الكعبة ـ ضرب من التحكم الديني اعترف به سائر العرب ولذا كان لهم الحق في تعيين الأشهر الحرم التي يمتنع فيها القتال بين جميع قبائل العرب ، ويلقي أمامهم السلاح من يحضر سوق عكاظ قبل الدخول للجلوس لئلا يقع بينهم سفك الدماء .

وكان عبد المطلب بن هاشم المولود سنة ٤٩٧ بعد الميلاد ممارساً للحكومة العظمى في مكة من سنة ٥٣٠ إلى سنة ٥٧٩ فخلص وطنه من

غارة الحبشة ، وأقرع بين أولاده حين بلغ عددهم عشرة ، وذلك سنة ٥٦٩ لذبح أحدهم قرباناً وفاءً بنذره ، فوقعت القرعة على عبدالله أحبهم إليه ، وعمره إذ ذاك خمسة وعشرون سنة ، فهم بذبحه ، وأنكر عليه قريش ذلك ، ورجعوا إلى كاهنتهم العرافة فأشارت بالاقتراع بينه وبين فديته من الإبل ، إلى أن خرج الاقتراع على مائة جمل ، وقع نحرها وصار ذلك مقدار الدية بين قريش .

ثم إن عبدالله بن الزبير هدم الكعبة ، وبناها على قواعد إبراهيم ، وغير بعد ذلك الحجاج بن يوسف الثقفي بعض جهاتها ، وكان عبد الملك بعث إلى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسري بستة وثلاثين ألف درهم ، ليضرب منها على باب الكعبة صفائح الذهب ، على ميزابها وأساطينها وأركانها من داخلها . وزاد الخلفاءُ بعد ذلك تحلية الكعبة بصفائح الذهب من داخلها ، وأهدى لها الملوك معاليق الذهب المرصعة بالجواهر ، والسيوف المحلاّة بالذهب ، إلى غير ذلك من النفائس التي تلاشتها اليد العادية .

وقد كسى النبي (ص) البيت بالثياب اليمانية ، واستمر كسوها في الإسلام إلى أن أوقف الملك الصالح بن الملك الناصر قلاوون قريتين بمصر على كسوة الكعبة الشريفة وهما بيسرس وسندبيس [1] فكانت الكسوة السوداءُ مكتوب : (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله) آلات في قلب آلات [1] ، وربما زيدت في الحواتي آيات من القرآن ، وأسماءُ بعض الصحابة ، واستمر سلاطين آل عثمان على ذلك كل سنة .

---

(١) في « مرآة الحرمين » تأليف ابراهيم رفعت باشا تحديد لهذين الموضعين .

(٢) كذا وفي الكلام نقص . وكلمة (وآلات) هذه صورتها (ءالات) وهي غير مفهومة .

تجرد كسوة الكعبة ، وتقسم الكسوة القديمة فيبيعها بنو شيبة أصحابه سدانة البيت وفي نظم الطرطا سوسي :

وما على الكعبة من لبـاس إنْ رَثَّ جـاز بيعه للنـاس
ولا يجـوز أخـذه بلا شرا للأغنيـاء ، لا ولا للفقـرا

أما أبنية الخلفاء والسلاطين في المسجد وتوسيعهم إياه في تلك الدول فجميعه مدوّن في تاريخ مكة المكرمة مما لاداعي لتفصيله .

أما فضل مكة وكعبتها فحسبك أنها كعبة جميع المسلمين لأداء فريضة الحج التي هي أحد أركان الإسلام الخمسة ، وقد جمعت بين فضل العبادة المالية والعبادة البدنية فكانت من أفضل العبادات المكفرة للسيئات ، فرضتْ بالكتاب والسنة والإجماع ، والأحاديث الصحيحة في فضل هاته الفريضة كثيرة ، وللحج فرائض ومسنونات ومندوبات وفضائل مدونة في جميع كتب الفقه ، وأفردتْ لها كتب المناسك ، لاغَرَضَ لنا في الكلام على شيء منها ، وإنما نقتصر على موضوعات السفر .

المطوفون :

وقد رأيت المطوفين : يحملون القادمين على المناسك بمقدار معرفتهم لهـا ، مع أنهم لاتبعد حالتهم عن الجهل ، حتي أني كنت مضطبِعًا في ثوب الاحرام فتجاسر المطوف عند شروعي في الطواف وأخذ ثَوبي وستر به كتفي كما رأيت غيره يفعل في غيري ، وبعد فراغه من عمله أرجعت الاضطباع ، وأمرته بالشروع في الطواف ، وبعد الفراغ أعلمته بِحكم المسألة فقهًا . ثم إنه دعا إليَّ أفرادًا في المسجد عند حجر

إبراهيم [1] ، وذكر أنّ موضوعهم تلقّي الصدقات في ذلك المسجد الحرام من الوافدين . فصرحت له ولهم بكراهة الصدقة داخل المسجد في مذهبنا

غسل الكعبة :

وقد تشرفت بالدعوة لحضور غسل داخل الكعبة المشرفة في صبيحة يوم الأربعاء الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة ١٢٩٩ فحضر هنالك الشريف عبد الله ، وعصمان باشا [2] وإلي الحجاز والسيد الشيبي وقاضي مكة السابق ، وقاضيها الجديد ، وبعض الأفراد من خاصة الوافدين ، فاتَّزَرَ أولئك المتوظفون بطيالسة الكشمير ، وابتدأ العمل جناب الشريف ، وكنت من الخادمين في ذلك الغسل إلى منتهاه .

التدريس في الحرم :

ووجدت الحرم المكيّ فيه كثير من العلماء يقرئ الدروس من الفقه والتوحيد والنحو ، ومن المبتدئين من يقرىء مناسك الحج ، ووجدت مفتي مكة يومئذ وشيخ شيوخها العلامة المحصل الشيخ أحمد دحلان يقرىء تفسير البيضاوي بعد صلاة الصبح ، ويحضر درسه كبار العلماء ، بحيث أنهم بعد انفصالهم من دروسه يتفرقون في جهات الحرم للتدريس ، فتخرج من بحر درسه تلك الجداول التي تستمرّ بقيةّ اليوم ، وطريقة تدريسه لاتبعد عن الطريقة التونسية في إلقاء المسألة أولاً ، ثم تطبيقها على الكتاب ، وهكذا بقية العلماء على اختلاف طبقاتهم في العلوّ والتوسط والابتداء ، وأكثرهم وافدون من مصر وغيرها .

---

(١) كذا والصورب (اسماعيل) .

(٢) يقصد (عثمان) .

وكان للشيخ رحمه الله الهندي هنالك الصيت المشهور ـ وسيأتي له ذكر في الخاتمة :

وكثير من علماء مكة وأدبائها يشتغل بتجارته ، ويتخذ للعلم وقتاً من بياض يومه .

التجارة في مكة :

قد رأيت أثناء إقامتي بمكة من رواج سوق التجارة فيها ماعلمت به حسن حالة التجار في تلك الديار ، ولكن رأيت من الواردين للحج تهافتًا على شراء مالا يحتاجون إليه ماتعللوا فيه بأنهم يريدون منه التجارة لما وجدوه عليه من تنازل الأسعار ، وربما هذا الشره حملهم على التفريط فيما بين أيديهم من المال ، وتعويضه بتلك العروض التي لا تغني في حالة السفر شيئاً ، وقد نصحت لبعضهم ، فكان سريان الداء بحيث لاتنجع معه الأدواء ، ولكن لما فشا المرض ، وضربت (الكرنتينة) ظهر على بعض أولئك المفرطين ما اقتضى لهم التطلب لما لم يجدوا ، وانقطع بعضهم ، وفيهم من ترددوا على بعض (قنصلات دولة الحماية) في بعض البلدان ، ورأت (الدولة التونسية) بعد ذلك أن صنيعهم يخل بشرفها ، فصدر أمر عليٌّ بالإياب ، باشتراط إعطاء ضمان في المال الكافي للذهاب والإياب ، أو ما يستدين (؟) به الحاج في الخارج ، وصار ذلك الشرط صفة مضروبة على كل حاج في البلاد التونسية ، خاصة لما رأت الدولة حصوله من بعض حجاجها .

إمارة مكة المشرفة :

وعند دخولي مكة المشرفة صادفت ورود خبر عزل عبد المطلب [ابن غالب بن مساعد] واعتقاله بالطائف ، وإسناد الإمارة إلى الشريف

عبد الله بن محمد بن عون بن محسن ، فأقام شارات الإمارة ، وأقيمت له علائم الملك ، ووفد الوفود لتهنئته ، وقد انتهزت هاته الفرصة لتحلية شعري بمدح شريف مكة ، فاستأذنت عليه ، وعين لي وقت التشرف وزرته في مجلسه الخاص، فوقف وأجلسني إلى جنبه ، وقبل مني الهناء والافصاح عما وجدت عليه أهل مكة من السرور بِعَوْد الإمارة إلى فرعهم الطَاهر ، ثم استأذنته في سرد ماصَحَّ به الخاطر في تهنئته ، فبهش - رضي الله عنه - لذلك ، وأظهر علائم السرور وأذن لي بذلك ، وقد استعاد مني عدة أبيات من هاته القصيدة . التي لا فضل لها إلا بكونها تجملت بمدح أمير الأشراف ، وأحسن قبولها وهي قولي :

ثغر التهاني عن سرور يَبْسُمُ والبِشر عن نفحاته يَتَنَسَّمُ

(في ٥٢ بيتاً أوردها وقال بعد إيرادها) .

وقد هنأه بهاته الإمارة جميع أُدباء الحجاز بالقصائد الفائقة ، وجمع هذا الأمير أدباء مجلسه للنظر في جميع قصائد تهانيه ، وجعلوا لها مراتب ، على عادة اعتناء عرب الحجاز بمقام الشعر ، وقد وقفت على كثير من تلك القصائد وبقي معي بعضها نثبت هنا أعلاه ؛ لذكره آل البيت ، فمن ذلك قصيدة الشيخ حسن وفا وهي قوله :

الدهرُ ياربَّ المكارم والعُلاَ قد تاب مما قد جناه أولا
فاسمح وجُدْ بالعفو عنه فإنه ألقى مقاليد الشقاق وأقبلا
وأجلُّ ما سرَّ الأحبّة أنه بجميع مايرضى علاك تكفّلا
ومن الدليل على الوفاء بعهده ما قاله بين الانام مفصلا
آليْتُ كلَّ أليَّة مبرورة عن أمر عبد الله لن أتحوّلا

(العبدلي) بن النبي من ارتضى ... أوج العلا ، وبه الزمان تجمّلا
ملك كساه الله ثوب مهابة ... وعليه بالملك الأثيل تفضّلا
وحباه من رتب الكمال برتبة ... أضحى بها بين الملوك مجملا
ناهيك من شرفت سجاياه ومن ... هامت بحسن علاه أفئدة الملا
وجبت مَوَدَّتُهُ بما قد جاء في ... (شورى)وبـ(الأحزاب)صار مبجلا
أو ماترى نور الشفيع بوجهه ... يبدو لمن في الحي فيه تأمّلا
فإذا بدا للناظرين ترى به ... نوراً من الهادى ، تلألأ مقبلا
بهرتْ مهابته العقول وأشرقت ... في أفق مجد بدره لن يأفلا
فإذا سرى تسري الأماجد خلفه ... وإذا دُعي يُدْعَى الإمام المفضلا
أو ماتراه لِآل أحمد سيّدا ... وبمدحه التنزيل جاء مفصلا
جلت مزاياه وعزّ نظيره ... فنظيره في الكون لن يتحصلا
أضحى به الملك الأثيل مؤيّداً ... يختال بما قد حواه من العلا
يختال من شرف ومن كرم ومن ... بأس بوادره تزلزل (يذبلا)
سمح البنان إذا أتاه قاصدٌ ... بلغ المرام ، ونال حظًّا أجزلا
فاضت يداه على الورى بمكارم ... طابت مواردها ، وراقت منهلا
لاخاب من لحجاه في الحيّ احتمى ... وأتاه من أقصى الديار مؤملا
ساس الانام بسنة الهادي الذي ... لولاه ماانكشف الضلال ولاانجلى
يقضي بما يرضي الإله وعينه ... عن حسن مصلحة الورى لن تغفلا
جبلت على الفعل الجميل طباعه ... فسوَى الصلاح بحَيِّه لن يفعلا
فكأنَّ بين مقاله وفعاله ... ملكاً بمصلحة الأنام موكلا
قرّتْ به عين الإمارة وازدهت ... ومقرُّها بِسَنَا عُلاه تجَمّلا
ورقتْ به أوج العلا وتوطنت ... بالعزّ في أفق السعادة منزلا

وغدتْ تميس من السرور كأنها تجلو عليها القوم كاسات الطلا
أو ماثراها من محاسن عدله هَزّت قضاياها المعاطف والطُّلا
ورقت مراقي النيرّين به وقد وطئت بأخمصها السماك الأعزلا
وغدت تَتِيهُ على البدور بحسنه وتميس في حلل الجمال تدلُّلا
من لم يكن كفواً لذات محاسن فلوصل ذات الحسن لن يتوصلا
ياأيها المولى الذي سُرّت به (أم القرى) وبه (الحجاز)تجملا
وافيتَ (مكة) فاستهلّ جمالها والوجه منها بالسرور تهللا
و (البيت) أصبح باسماً بقدومكم
وتلى « أَلَمْ نَشْرح » وجوّد ما تلا
ورآى علاك به يطوف فراقَهُ ماقد رآه من خشوعك والعُلَى
ونهضت تسعى بين (مروة) و (الصفا)
سعيا به حُسْنُ القبول تحصّلا
أحرزت من حسن الطواف وسعيك المشكور أمراً بالسرور مكمّلا
شاكلت بدْرَ التَّمِّ في أُفق السما في كل آونة تُشَرِّف منزلا
مولاي إني قد أتيت مهنئاً في ضمن من هنّى علاك وأجملا
ولو استطعت شرحت من أوصافكم
ما قد حويتَ من الكمال مفصلا
ومن الذي يسطيع يا مولاي أنْ يحصي ويحصر ماحويت من العلا
ما امتاز سيد معشر بفضيلة إلاَّ وكنت له الإمام الأولا
يهنيك في التاريخ عود إمارة بمقرها ركب الهناء مجملا
وزها بتاريخ وحسن إمارة بقدومها عاد الصلاح وأقبلا
وبدا على التاريخ مما حزته حسن به البلد الأمين تجمّلا

وحيث أن هاته القصيدة أهداها إليّ رَبُّها ، وطلب مني انتقادها فبعد اطلاعي عليها قرظتها بقولي :

إنَّ التي تاهَتْ عليَّ تدلُّلاَ سمحتْ لصبّ بالوصال توصلا
وجلت ذؤابات الدجنة عن سنا بدر التمام وقد تبدّى مقبلا
فسبت متيّمها بحسن شمائل وحَبَتْهُ من ذلك الجمال تأملا
وتبسمتْ عن لؤلؤ رطب صفا أضفت عليه من الجبين تهللا
وترنمتْ فرأيت درًّا ساقطا يختار من وسط الفؤاد المنزلا
هو جوهر عال ولكن من هنا وامير مكة قد حوى كل العلا (؟)
ذاك الشريف العبدلي ومثله ذو المكرمات فنال منه تجملا
ولذا رأينا من محاسن هاته مامن حلاه جلت جمالاً أكملا
وافتْ بيمن (وفا) غدا حسنا وقد عذبت مشاربه فطابت منهلا
هو منهل الآداب راق وفاق إذ حاز المفاخر والكمال مفصلا
(حسن وفا) أهل الوفا لمن اكتفى بكماله ورآه فذًّا أولا
خدن العفاف وكامل الاوصاف في الشُّم الظراف المعتلين على الملا
وأنا الذي إن رمت حصر صفاته
ما مارمت يوما للمرام توصلا
مع أنني في حالة أرجو بها من منة الرحمن أن يتقبلا
ولذا نؤمل منه دعوة مخلص مُغْضٍ ، لأَنَّهُ بالفخار تكملا

ومن ذلك قصيدة الشيخ على بن عبد الله الريّس إمام الشافعية ، والمدرس وهي قوله :

اليوم مكةُ والميزاب والحرم بنور وجه ابن خير الخلق مبتسم

شموس أبناء (عون) بالسرور لقد
عادت ، وعاد الهنا والجود والكرم

جاء البشير لأرض الشام يخبرنا ... بمن به الفخر ، لاعرب ولا عجم
بـ (العبدليّ) الذي فيه الفخار لنا
في أمة قد خلت من قبلها أمم

قالوا : تهنأ بعبد الله قلت لهم : ... الحمد لله هذا المفرد العلم
وافتْ إلى (الطائف) الميمون تسعي له ... مراتب قصرت من دونها الهمم
سجدت لله شكرا مذ سمعت به ... نادى المنادي ، فقلت الصوم ملتزم
قد كنت طلقت نظم الشعر من قدم ... واليوم عاد وعقد الشعر منتظم (١)
هم الملوك الألي في كل مكرمة ... لهم أيادٍ غدت من دونها الديم
عرّج على مكة الفيحا ونازلها ... أبناء عون إذا ما هالك العدم
آل النبي الألى يُسْقَى الغمامُ بهم ... ومنزل الكرما في ذاتهم خُتموا
وانزل بسدّة (عبد الله) سيدنا ... نزل الذي فيه يَسْمُو السيفُ والقلم
بالله دعني من (كسرى) و(قيصره) ... واذكر إمَاماً له أهل النهي خدموا
شمائل من رسول الله نعرفها ... على ابن عون الذي عزّتْ له قيَمُ
هذا هو (الآصفيُّ) الرأي من وقعت ... منه الأنام بظلٍّ دَوْحُهُ حَرَمُ
باهى بـأبيض وضاح الجبين به ... عقد المدائح مبدوءٌ ومختتَم
فالله يبقى لنا أيام دولته ... مافي بديع حلاه رُصّعَ الكلم

وبعد أن انقضت العشر الأوائل من ذي الحجة في نشر علائم إمارة الشريف عبد الله ، دار الخبر في أواخرها بأن الإمارة وليها اخوهُ الأكبر الشريف عون الرفيق ، وأن ولاية عبد الله كانت للمحافظة على الإمارة

---

(١) فى الأصل : (واليوم قد عادوا عقد الشعر) .

إلى قدوم أخيه ، وفي يوم عرفة أقبلت البرد ، ونشرت علائم اقبال (؟) الشريف في يوم عرفة ، وأدرك الشريف ذلك الموقف، وصبح العيد معيدا لتلك الولاية . تلقاها أخوه عبد الله أيضا بالبشر والسرور حيث أن الإمارة طالت مدة خروجها من بيتهم بولاية ابن عمهم الأبعد الشريف عبد المطلب ، وكان مجرد رجوعها إلى بيتهم كافٍ في جلب السرور ، سيّما وأخوه عون الرفيق أكبر منه ، وهو الذي كان يناضل عنها في أبواب الخلافة ، أما أهل مكة فكان سرورهم بولاية عبد الله أعظم من سرورهم بولاية عون لما في طبع عبد الله من اللطف واللين وحسن المعاملة ، معأن لأخيه عون شدّة وحدّة يتقيها أهل مكة ، وقد كشف الغيب عن صدق ماحدسوه ، فإنه في اليوم الثالث من قدومه وضع يد القبض على كبير بني شيبة ، الذي بيده سدانة البيت ، وحمله الضبطية مسجونا للقلعة ، وكان لذلك تأثير عظيم ، وكان ذلك لمجرد صحبته مع الشريف عبد المطلب . وقد بادر بعض الأشراف من آل عبد المطلب إلى الخروج ، وظهرت شدة الشريف عون على العلماء والخاصة بعد ذلك ، وانتصر على شدته بمن أعانوه من أخلاط البلاط السلطاني ، يسوق إليهم المنهوب ، ويكتفي لنفسه بما وصل إليه من المغلوب ، هذا ما أفضى إليه حال ولا يته ، وعلى كل حال فإني عند تهنئته بالعيد لاقيت منه ماسرّني ، وأعدت التهنئة له بالإمارة ، واذن لي بزيارته في بيته ، فدخلت عليه في قاعة جلوسه العام ، وبعد تقديم التحية أمرني بالجلوس برهة إلى أن قضى ما بين يديه ، فاستأذنته في تقديم قصيدة التهنئة له بالإمارة فأمرني بإنشادها ، فوقفت في موكبه ، وأنشدتها بين يديه ، وتلقاها مني بسرور ، وقد ضمنتها ما سبق للشعراء من تهنئة أخيه بالإمارة المذكورة

مع حسن التعليل الجاري مجرى الاعتذار وهي قولي :

عيد التهاني عاد في (أُم القرى) واعاد للاسلام عيد الكبرا
إذ قد أتى والمؤمنون بموقف كُلاًّ تراه ملبِّيـاً ومكبّـرا
لكن تضاعف بشرنا وهناؤنا بقدوم فخر السادة الشُّم الذُّرَا
هو ذالكم (عون الرفيق) وحَبَّذا عون ، ومافي ذكر عون قدجرى
إذ من بني عون إلى البلد الأمين مفاخرٌ عَمَّتْ بفضل أثَّرا
ولآل عون في الإمارة آية تتلى بمقول صادق دون افترا
وليوم عودتهم لها نَبَأٌ فكم بَرْقٌ يسير به ، وبَدْرٌ قد سَرَى
وتساجل الشعراءُ منه وإنما كلٌ لعودة (آل عون) استبشرا
وقد انجلى صبح اليقين عن الذي
تتكرّر البشرى به بين الورى
إذ (بيت عون) شخص فضل أينما
حلّ الحليُّ به يزين ، كما ترى
وتكرر البشرى يروق وربّما بالعود راق وفاق كأس السكرا(؟)
والعود أحمد ، سيّما إن كان قد زان الجميع غداة قدام الكبرا(؟)
ناهيك من عود به قد أصبحت صور الهنا تختال فى (أُم القرى)
إذ قد غدا (عون الرفيق) ملقبًا بشريف مكة ، فارتقى وتكررا
وأقام أعظم موكبا (؟) لإمارة أمسى به بين الكواكب مسفرا
وهو ابن خير الخلق ، ذو شيم سمت مـن سامها أثنى عليـه وكبرا
وكفاه أن الله أوجب حقهم وجميعهم من كل رجس طهرا
وفخارهم يتلى من القرآن إن زان الإمام محارِباً أو منبرا
أما عُلَا هذا الأمير وفخره فعن اجتياز مداه (قيصر)قصرا

وكذا مهابتـه وهمتـه التي فاقتْ فقد جاءتْ كما قد دَبّرا
وكذا تثبتـه وفصل خطابه عن خبرة فيه تسامى مخبرا
وكذا معارفه وحسن فعـاله وعطائه فالكلُّ بحر قد جرى
ومن الإشارة يكتفي هـذا المشير فإنّ فخـر كمالـه لن يحصـرا
فاهنأ بما لقيت ياعيد الورى ولك الهناء بما لديكم قد نرى
واقبل هناء الوافدين فإننـا لهناء مجدكم انتقينا جوهرا
وأرى الألى فرحوا بأمرك كلهم قد طاب نشرا عابقا متعطرا
وكذلك جاء العيد وهو مبشر بهنائكم كيما يطيب ويفخرا
وأنا الذي قد طاب عندي بشره قدقلت أرِّخ :(طاب عيدبَشّرا)

وهنأه بتلك الإمارة أيضا الشيخ حسن وفا بقوله :

أشربتَ من كأس الرحيق ؟ وطربت من راح العتيق ؟
حتى غـدوت بنشـوة وصبوت في الغي العتيق (؟)
أم حدثتك الغيد عـو د الوصل في روض العقيق
فأثرن وجـدك في الحشا ونثرن دمعـك كالعقيـق
وأذبن قلبـك في الهـوى بذوائب القَـدِّ الرشيـق
حتى نحلت وقـد رجو ت بوعدها شَمَّ العبيق
طبابِصَبٍّ (؟) قـد هوى وردًا على الخدّ الأنيـق
والقلب عاد من الجوى خالاً على شفق الشقيق
فـروى محاسن ثغـره بشواهد الدر النسيـق
وطوى الحديث بأسره عن وصف مكنوز الرحيق
سَلْ مابسَلمىَ في الوفا بالوعد والعهـد الوثيـق
والرشف من عذب اللما والعطف بالخـل الرقيـق

ننبئك عن وصل الوفو   د إلى حمى البيت العتيق
ومنال آمال وفيض من   ندى (عون الرفيق)
ذي الجود والمجد السعيد   الجدّ ، والجد الحقيق
والعزم والحزم الحميد   الرأى ، والرأي الطليق
والحكم والعلم المفيد   مناره هدي الطريق
ورث المكارم وانتمى   في الفضل بالأصل العريق
نور الوجود محمد   لولاه لم تضيء الشريق ؟
غيث جرى يروي الورى   في البر والبحر العميق
أصل المكارم كلها   يسمو بها الفرع الأنيق
من في المعالي سعده   يزهو على سعد الافيق (؟)
من لاح بدر كما له   بإمارة البيت العتيق
وبغاية للطيب قد   أرخت في نظمي الرقيق :
سعد الأنام بسعد مجسد   شاده عون الرفيق

وقد تأخر خروج القوافل من مكة بسبب عودة ولاية الشريف ، مع طروء المرض في الحج .

وعلى كل حال فقد ترافقت مع قاضي المدينة الجديد عصمت افندي في قافلة زعيمها اسمه مساعد ، وتعجلنا الخروج إلى ظاهر مكة وقابلت الشريف عبد الله لأداء تحية الوداع ، وسألني عمن اكتريت منه من زعماء القوافل ، فاحضره وأوصاه بي وصاية حَمدْتُ أثرها فكنت ـ بحمد الله ـ في ذلك السفر مستريحا آمنا .

وقد قدمت إلى شرفه أبياتا في التهنئة بالعيد ، وفيها من حسن

الاعتذار عن شأن الإمارة ، ماستجاده بلطف أدبه وهي قولي :

مولاي أنت (العبدلي) ذو المفخر ... ولك الهنا بقدوم عيد أكبر
فابشر به واعد كؤوس البشرمن ... (عون الرفيق)أخي الكمال الأبهر
إذ باعتضادكما لزينة بيتكم ... يزداد غيظ الحاسد المتنكر
وأنا أقول مقال مخلص وُدُّكم ... متقرب بك للنبي الأطهر
يُمن الإمارة لاح ، أرفع خاتم ... في حلية ليمين بيتكم السري
وإذا تنوقلت الحلى فهو الذي ... لم يَعدُ خنصركم لغير البنصر
وعلاك بالشرف الأثيل مرفّع ... وعليك منه وشاح فخر أعطر
فاهنأ هديت ودم بقيت مرفّعا ... تختال في حلل الفخار الأكبر

مشيخة سدانة الكعبة :

أورد طرفا مما ورد في كتب التاريخ عن السدانة وبقائها في بني شيبة بأمر رسول الله (ص) « خالدة تالدة » وقال : (حضرنا لمشاهدة صحتها هاته السنة المباركة ، حيث وجدنا مشيخة السدنة بيد من جمعنا الله به في ذلك المقام ، سيدي عمر بن جعفر بن محمد بن زين العابدين ابن بكر بن جمال الدين محمد بن عمر بن محمد بن علي بن غانم بن محمد بن مفرج بن يحيي بن شيبة الصحابي رضي الله عنهم [1] ، وقد ذكر كثير من علماء الحديث وجود بني شيبة في مشيخة سدانة الكعبة في عصور مختلفة . هى مقام المعجزة للنبي (ص) وقد تطلبت الإحاطة بجميع من ولي هاته المشيخة الشريفة من فروع هاته السلسلة الطاهرة إلى أن أتاحت لي الأقدار شجرة حررها أحد علماء مكة بسبب إرادة من السلطان عبد الحميد تحوي تواريخ أغلبهم ، وقد ساعدتني بها أيادي

(١) رقم الاسماء فبلغت عند (شيبة) ٢٨ فقط .

فرعهم الجليل سيدي زين العابدين بن عبد الله بن محمد بن زين العابدين حين شرف البلاد التونسية ، ونال بيتي من زيارته أكرم مزيّة ، وحيث أن فحول العلماء من أئمة الحديث قارنوا ذكر أفراد هذا البيت بالمعجزة النبوية ، فقد لاحظت من الفتح الإلاهي (؟) خلوص نسب هاؤلاء الشيوخ ماكانوا في سدانة الكعبة ، حيث أن الله جعلها في بني أبي طلحة (؟) وبذلك كان النسب محققا بالطريق الشرعي ، وهذه خصيصة لبني شيبة لأن مقام المعجزة النبوية شاهد لنسبهم الكريم باستمرارهم في رفعة مشيخة كعبة الإسلام .

الشهداء – قبر عبد الله بن عمر :

نزلنا خارج مكة بعهد (؟) المعروف بالشهداء ، جوار ضريح سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

عسفان :

هذ الموضع هو المذكور في قول الشاعر .

يا خليليّ اخبرنا عن منزل بعسفان

وبما أني في هاته المرحلة الطويلة كنت أعاني ألم الحمّى ، وخسبت المرحلة قريبة ندركها أول الليل ، لم ننزل عند الغروب واستمر المسير والحمّى تساورني ، ولما طال على انتظار النزول ، وسألت عن المنزلة ، وسمّوها لي باسمها اعتراني اشمئزاز ، وفهمت من اسمها تثنية العسف ، حتى نزلناها ، وبمجرّد النزول بادرت إلى قصد التوضيء لأداء الصلاة ، فتعمدت الخروج من دائرة الشقادف ، وكان حولها بعض أتباعنا على المشعل فابتعدت على سمته ، وجلست للوضوء مستقبلا لمشاعل منزلنا وبينما كنت جالسا حدثتني نفسي شبه إخبار ، أن هاؤلاء البدو إنْ ظفروا

بأحد الحجاج أمسكوا على فيه وأخذوه لصحرائهم لأخذ سلبه ، وكان وقتئذ معي مبلغ من المال يستحيل استيفاء الحياة على حامله ، فخشيت أن يأتي علي أحد من وراء ولما التفتُّ رأيت عصلوكاً[1] ليس عليه غير إزار يستر العورة المغلظة . وهو أسود ، وبيده قطعة رافع بها على رأسي لينزل بها عند قيامي فانقدح في خاطري : منْ فاز برأسه فقد أفلح . وأنزلت رأسي إلى أسفل ، وتقدمت به إلى أمام ، حتى تحققت خروجه من تحت ضربته ، كل ذلك وظلام الليل هو الستار ، ولا كن [ما] أعظم من عناية اللطيف الستار ، وعند قيامي وأخذي في الفرار نزل بضربته فأصابت عضدي الأيمن ، وأيست من سلامة يدي ، وحمدت الله على سلامة الرأس ، وناديت أتباعنا ، فما تلاقينا إلا والرجل لحق برؤوس الجبال ، ورأيت أن السلامة غنيمة تلك الليال ، غير أني وقعت مغشياً عليَّ عندما أحسست بوصولي للأمن ، فما أفقت إلا بعد حين ، وعدت ثانية من صداع ما أصابني .

ولما أفقت ثانية وجدت بيدى ثقلا لا أدري بها حالها ، ولما كشفت عليها وجدتها اخْضَرَّتْ من انحباس الدم ، مع شدة الانتفاخ فطلبت بدوية من نساء تلك الحيِّ (؟) لمداواتها ، وامتنعت من استعمال شيء مما أشار به الناس عليَّ فلم يكن منها إلا أن أوقدت ناراً عظيمة ، وأتت بخرقة زرقاء ، أحكمت لفَّها ، وقابلتها بالنار إلى أن اشتدَّ حَمْيُها ، وصارت في أقصى درجات الحرارة ، فباشرت زندي ولم تزل بها كذلك كلما بردت أعادتها للنار إلى أن لأنَ الانتفاخ بعد شدة اليبس فجرت عليه بزيت ولفّته ، ومضت .

---

(١) كذا ولعله (صعلوكا) .

وكانت العافية ، فحمدت الله على ذلك ، بحيث أني عند دخولي المدينة المنورة لم يبق من أثر ذلك إلا القليل ، ومع ذلك عوفيت من من الحمى بسبب الفجع الذي أصابني عند الضربة ؛ وعلى كل حال نشكر الله سبحانه على كمال لطفه الخفي . ولولاه لما كان من المعقول للبدوي أن يجدني بين يديه منفردًا ويبقى ينتظر قيامي ، إذ لا محل لهذا الانتظار إلا محض لطف العزيز الجبار ، ولذلك كنت بعد هاته الواقعة في سرور مع رفائي ، وربما أعددتها من مشاق الزيارة (ومن يخطب الحسناء لن يغلوه[1] المهر) وإلى ذلك أشرت في قصيدتي النبوية عند ذكر المدينة المنورة بقولي :

وقد ذقت من لأوائها في طريقها   مذاقاً لنفسي كان أحلى مشاربا
لعلمي بأني قد تيممت معقلا   منيعاً و نلقى دون هذا مصاعبا

وكان ارتحالنا من هاته البقعة المباركة في الساعة الرابعة من يوم الأربعاء (١٢-٢٦-١٢٩٩ هـ)

قطيفة (٢) :

وكان ارتحالنا ـ من عسفان ـ الساعة الرابعة من يوم الأربعاء فبلغناها في الساعة التاسعة من ليلة الجمعة ، فكان سير المرحلة سبع عشرة ساعة .

رابـع :

وارتحلنا ـ من قطيفة ؟ ـ الساعة الرابعة يوم الخميس (٢٧-١٢-٩٩) فبلغنا رابغ الساعة التاسعة من ليلة الجمعة ، وأصبحنا هنالك بين

(١) كذا .
(٢) لا أعرف موضعا بهذا الاسم فى هذه الناحية وكذا مواضع أخرى سيأتى ذكرها ، ويظهر أنه غير دقيق فى ضبط الأسماء .

نخيلها ، ودخلنا سوقها المملوء بصعاليك البدو المتوحشين ، يبيعون فيه الدقيق والشعير والسمن والدجاج والبيض والتمر وبعض مصنوعات الخسف والجلد .

وعادة الراحلين إذا وصلوا إلى هذا الموضع أخذوا فيه راحة ، لوجود شبه عمران ، واستقوا منه ، وشروا علف الإبل وسقوها ، وربما طبخ النازلون إن طال المقام ، وقد ارتحلنا في الساعة السابعة من يوم الجمعة (٢٨ - ١٢. ١٢٩٩)

بئر بلحسن؟ :

ارتحلنا — من مستورة — الساعة الرابعة يوم السبت — بئر بلحسن هو موضع ببير فوارة كثيرة الماء حسنة الموقع ، يقع النزول إليها للاستقاء وقد بلغناه الساعة الحادية عشر من يوم الأحد .

بئر خراص :

لما كانت هذه البئر عند قرب الصفراء والجديدة مواضع سكان أهل الابل فإن أصحاب القوافل يطلبون الراحة فيها ، وربما ذهب بعض الجمالين لعيادة أهله ، وانما كان قليل الأمن ، ذلك لأن البدو أصحاب الإبل إذا كانت للواحد منهم عداوة من بعض حيه (؟) يترصدون وصول قافلته ليأتوا عليها حتى يوقعوه بذلك في شغب ، ولذلك كان أحسن الجمالين من يعرف بمسألة أهل حيه ليأمن من يصاحبه في الركوب ، وقد يكون الجمال نفسه سبب هلاك القوم ، وهذا في الغالب ينشأ عن عن سوء معاملة بعض الناس للجمال في أثناء الطريق ، فيريد الجمال منه الانتقام بيد قومه ، فيدفع ذلك ، فالعاقل من سالمهم وأحسن إليهم سيّما في هاته المواقع الوعرة لأنهم فيها تعتري رءوسهم خنزوانة

البداوة والمنعة التي لاتنالهم معها الدولة ، وهذا أمر عظيم يلزم أن يلاحظه المسافر معهم

وقد وصلنا لهذه البئر في الساعة التاسعة[1] من يوم الاثنين غرة المحرم ، وتوجه زعيم القافلة ليأتي من أهله بما شاء ، وتبعه على ذلك أكثر الجمالين ، وأتوا لنا ببعض أهل قبيلهم ليحرسونا ؛ فأصبحنا في مكان خوف ، يحيط بنا حراس لانعرف حالهم معنا ، والنفوس ذاهبة فيهم إلى كل مذهب ممكن ، إلى أن رجع إلينا أولئك الصعاليك ، فارتحلنا في الساعة الرابعة من يوم الثلاثاء الثاني من المحرم سنة ١٣٠٠ .

بئر قريش :

بلغناه في الساعة الثامنة[2] من ليلة الأربعاء بعد أن مررنا بين جبال تلك الجهات المستطيلة ؛ وارتحلنا يوم الاربعاء فسرنا يحدونا حادي الاشتياق . . . إلى طيبة . . . قرت بها العين صباح الخميس الرابع من المحرم .

أهل المدينة :

ورأيت من حسن أخلاق أهل المدينة ولطف شمائلهم مااقتضاه الأدب في جوارهم لذلك المقـام .

حفل استقبال المحمل الشامى :

وأعظم المواكب في المدينة المنورة يوم قدوم المحمل صحبة الركب الشامي ، يخرج فيه جميع المتوظفين والرؤساء والأعيان والعامّة إلى ظاهر المدينة لتلقي المحمل ، وقد كان اجتماع الخاصة في بيت هنالك

(١) كان ارتحل من بئر بلحسن الساعة السابعة من ليلة الأثنين .

(٢) كان سار من بئر خراص الساعة الرابعة من يوم الثلا ثاء .

حضرته بالاستدعاء ، فكان به شيخ الحرم والقاضي والمفتي وكبار الأئمة ، وقد اتفق في هذا المجلس المجتمع لانتظار قدوم المحمل أن شيخ الحرم عرض علي استعمال التدخين ، وقد التزمت في جميع سفري بالبلاد الأوربّاوية والبلاد التركية والبلاد الحجازية أن لا أغير شيئًا من عادتي وأنا أكره التدخين والنشوق ، فلم استعمل شيئًا من ذلك لأجل[1] وكنت نعتذر[1] بمالا يحتاج إلى إقامة برهان ، فتعلل بأني[1] نكره ذلك ، وقد بلغني عن أحد الشيوخ التونسيين بالاستانة أنه قبل في مجلس مشيخة الاسلام استعمال التدخين، فحصل له منه سعال في ذلك المجلس ، اختلّ به أدب الاجتماع بسبب تحمل مالم يقع به الاعتياد ، ولكني لما اعتذرت لشيخ الحرم ألحّ علي المفتي في استعمال النشوق ، واحتجّ علي باستعمال التونسيين له ، وأفاض الجمع في تعليل حسن الاستعمال ، والتطلب لوجه ماأنا عليه من عدم استعمال شيء من ذلك ، وعند ذلك أظهرت لهم مايخالجني كثيراً في سائر بلاد الترك وبلاد الحجاز ، حيث رأيت التدخين يستعمله النساء والولدان كما يستعمله الرجال ، من غير أدنى تستّر ، فرأيت أن مصيبة البلاد الشرقية التركية من التدخين أعظم من بلاد أوربا ، ورأيت أن ماعليه التونسيون من كون الصغير لا يستعمل التدخين بمحضر الكبير ، والجاهل لايستعمله بمحضر العالم ، حتى ان محمد باشا باي الرشيد كان يسامر العلماء ، ويخرج لاستعمال التدخين ، وعندما طلبوا البقاء منه معهم على تدخينه قال : إنه يفعل ذلك لتعظيم جانب العلم فلا يخشى بذلك ضرراً ، وفي هاته الأحوال التونسية مايدل كل جاهل على أن التدخين ليس حكمه في الشرع كحكم

(١) في الكلام نقص واضطراب .

أكل الخبز وشرب الماء ، والخلاف الشرعي فيه مقرر ، ولكن حالة البلاد التركية والحجاز في عدم التستر منه لايفيد شيئًا ، إن لم نقل إنها قاضية بأنّه من أنواع المباح بإجماع ، وليس كذلك . وقد استحسن تقريري جميع الحاضرين ، وحيث أنهم يسمون الدخان بالتتن ، وهو لا محالة نتن .

قلت :

إنّ أهل الشرق طرّا أولعوا بدخان ذي البخار النتنِ
واكتفوا من نقطة زيدت على نَتِنٍ لِسَتْرِهِ بِالتُّتُنِ

بئر عثمان :

هذه أول مرحلة تنقل إليها ركاب المحمل ، خرجنا إليها على الأحمرة ، ووصلناها بعد العصر بعد أن سبقتنا أمتعتنا ، وذلك عشية الإثنين (١٣٠٠.١.١٦)

الصرة :

واسم الصرة عبارة عن المال الخارج من دار الخلافة لإقامة شعائر الحرمين الشريفين من شموع وزيت وقناديل ، ولازم الايقاد والفرش وجراية المستحقين من أهلها ، وعوائد جميع أهل الأراضي الحجازية في أثناء مرور الركب . أخبرني أمين الصرة أن مبلغ ذلك نحو خمسة ملايين ونصف قروش ، وذلك نحو إحدى عشرة مائة ألف فرنك ، من خصوص المال عدا القفاطين والقواعد ، وأدوات الايقادوغيره ، ومجموع مبلغ الصادر نحو المليونين ونصف من الفرنكات ، والقفاطين تخرج لجميع خطباء الاراضي الحجازية ، ولخصوص شريف مكة قفطان مجوهر تبلغ قيمته نحو الستين ألف قرش ، أي اثني عشر ألف فرنك ، أما

مرتب أمين الصرة فهو ستة آلاف ليرة ؛ يقوم منها بجميع لوازم أبهته . من اتباع ومراكب وخيام ومطابخ وغير ذلك ، أما وقف السلطان سليم فقد جعل فيه ستمائة قرش لأمين الصرة فقط ، ولذلك لم تزل عادة السلاطين عند حضور خروج المحمل يعطون بأيديهم أمين الصرة ستمائة قرش من ريع الوقف على أنها أجر الوقت ، ولذلك شأن عظيم وآخرها يتبرك بحفظها حيث أنها من ريع الوقف السلطاني ووقع تلقيها من خصوص اليد السلطانية ، أما مخروج مال الصرة كلها فهو من نظارة الاوقاف بالدولة العلية .

لطيفة : بلغني عن الشريف المشير السيد سلمان الجيلي أحد ذرية الشيخ عبد القادر نقيب الاشراف ، ونقيب زاوية جده ببغداد أنه لما حج منذ ثلاث سنوات ؛ وقد بلغت قيمة ماأهداه للسلطان من الخيل والمجوهرات إلى المليونين فرنكا ، وكان مع الركب فسأل أمين الصرة عن مبلغ مصاريف الدولة على الحرمين ، ولما علمه استصغره جداً وقال له : إن خطباء المسلمين في جميع الدنيا ينادون بأن السلطان خادم الحرمين الشريفين ، وهذا المبلغ إذا اعتبرنا منه مصاريف الركب ونظرنا مخصوص ماينال أهل الحرمين مع كون أوقاف المسلمين على الحرمين من الممالك العثمانية بعد نظارة الاوقاف لانجد فيه نسبة معتبرة . وإني أنا بموجب نظارتي على زاوية جدي ببغداد يصلني كل سنة من زيارات أهل الأقطار مبلغ أكثر مما يصل الحرمين من الدولة ، فضلا عن مداخيل وقف الزاوية في سائر الجهات ، وهي أيضا في نفسها أكثر من هذا المبلغ تصل إلى النقباء والعلماء والمجاورين ، وتصرف في الإيقاد والحصير والإطعام العام على مر الأيام .

الحالة العلمية في الحجاز والشام :

ملاحظة : لقد عجبت كل العجب من أمر العلم في الحجاز والشام مع وجود فحول العلماء هنالك ، كلهم يقرىء في العلوم الدينية والآلية احتسابًا لربه ، وليس لواحد منهم معاش عن ذلك من أموال بيت مال المسلمين ، ولا من إدارة الأوقاف ، بحيث أنه لا جراية على التدريس ، ولا للمدارس أصلا ، مع أن صنف العلماء لامحالة مستحق ، من بيت مال المسلمين ، وإن هذا الأمر عجيبٌ بالنظر إلى أمثال هذه الجهات التي هي منبت أصل الدين ، وذلك من أعظم ماينبغي للدولة أن تهتم بشأنه ، والأموال الصادرة إلى الحرمين هي مرتبات أئمة ومفتين وقيّمين وحفظة ، وصدقات جزئية ، وربما دخل فيها بعض العلماء .

المحمـــل :

ومن العوائد المستحسنة في الدولة العلية أن السلطان يحضر بنفسه لاحتفال خروج المحمل الشريف [(١)] ، ويأخذ قياده بيده ، يسلمه ليد أمين الصرة ، حتى إذا حصل العود يسلم أمين الصرة ذلك القياد ليد السلطان .

والمحمل اسم الشبه هودج من خشب ، تحيط به أساترة خضر مطروزة بالفضة والذهب أفخر طرزٍ ، تحمل على أفخر الجمال تحت قيادة لأمين الصرة .

وإذا نزل الحج ذهبت لها خيمة خضراء مطروز جميعها بالفضة ، ولها رمّانات من ذهب . وتجتمع عليها الموسيقى العسكرية في كل مرحلة ، تعظيما له ، لشرف الانتساب إلى الحج الأكبر ، فهو بمنزلة راية الدولة التي تعتبرها الجنود والأهالي ، ويعظمونها تعظيمهم للدولة نفسها ، ولذلك

---

(١) المحمل وما يتعلق به من احتفالات من الأمور المبتدعة في الدين .

جميع المسلمين يقبلون على تعظيم هذا المحمل تعظيمهم للموسم الأكبر ، وعند وصوله للحرم الشريف يتولى قيادة زمام ناقته أكبر الباشوات والعلماء إلى أن يدخلوا به إلى مقره من الحرم النبوي .

وصف الركب الشامي :

وبما أن أمر هذا الركب في غاية الانتظام نذكر هنا تفاصيل أحواله إذ عسكرية حراسته مؤلفــة من أربعمائة عسكر (بيادة) على الخيل ومائةجند (رامي) وخمسين (طوبجية) معهم مدفعان ، وباش بوسطجي أحمد أفندي من أبناء (اشهك) بيده إمرة المكاتيب الواردة الصادرة ، وكذلك (جوخدوار) ابراهيم أفندي ونائب القضاء محمود أفندي ، وهو رجل خيِّر ، يؤمُّ من يحضر معه في محلته عند الصلاة . والطبيب نائف أفندي . هذا من جهة انتظامه الدولي . وأما تقدمه فكان في هاته السنة يحتوي على أكثر من الفي جمل ، وعدد النفوس فيه بين رجال وركبان يناهز الخمسة آلاف شخص ، وهم منقسمون إلى أقسام حسب المقومين .

والمقوم رجل يملك عدداً وافراً من الإبل الصالحة بأدواتها وخيامها ، ويقوم بجميع لوازم مستخدميها ، ويستعد لاستئجار ذلك على حسب الحاجة والحال ، فمن الناس من يكتري محفَّة ، وهي عبارة عن اصطبتين ذاتي جنبين تحملان على الجمل ، وعلى مجتمعهما خيمة ملونة وَتِدُهــا يوضع على سنام الجمل ، ويركبها رجلان يلزم تعادلهما في الجسم ، ولا يحملها إلا عظيم الجمال ، يسير براكبيها نصف مرحلة ، والنصف الثاني تنتقل فيه إلى جمل ثانٍ مستريح ، وهاته المحفَّة إذا حسن وضعها وربطها تبقى على ظهر الجمل ثابتة لا حركة لها ، وراكبها في راحة تامة ،

ينام ماشاء ، ويجلس ماشاء ، وله بين الركاب اعتبار زائد وبالجملة فهو بمثابة من يكتري في (القمراه) بابور البحر ، وفي الرتبة الأولى من سكة الحديد . ومن يكن (؟) له أمتعة يكتري لها ظهرًا آخر على حسبه . ومن الناس من يكتري جملا واحدًا يضع عليه أمتعته ، ويركب عليها تارة ، بِشِبْرِيَّةٍ من خزم يستظل بها على شدّة حركتها ، والأكثرون يستظلون من الشمس بأثوابهم ، أو شمسيات ، وقليل من الناس من يركب فرساً أو حماراً .

وأما خيام السكنى فمعظمها على القومين ، وقَلَّ من يملك خيمة لنفسه .

وأما مؤنة السفر فمن النـاس من يكتري على أن يطعمه المقوم ويسقيه حتى يكون بمثابة النازل في (أوتيل) يسكن ويأكل ومن الناس من لايرضى ذلك العمل ، فيلتزم القيام بطبخه ، ويكتري من المقوم على أن يأتيه بالماء والحطب خاصة ، لقلتهما في كثير من الجهات ، ولهذا لزم السقاؤون بكثرة ، من خدمة الإبل ، ولهم في الركب زعيم ؛ وهو في هاته السنة يوسف باشا سقًا ، ويسمون خدمة الإبل عكّامين ، وأعلاهم قادة أصحاب المحفّات ، لأن الجمل إذا كان حاملا للمحفّة بِثِقْلها تحمل رجلين . مضطر لرفع رأسه رفعاً لايتحرّى معه موضع رجله ، فيأخذ بخطامه عكام يقوده في جميع المرحلة . وللعكامين في الركب زعيم يرجعون إليه ، وكان باش عكام ، هاته السنة أبو قاسم ، وأكرية جميع ذلك مختلفة ، وليس لها حدٌّ معيَّن ، بل هي على حسب حال الراغب وكثرة الراكبين وقلتهم ، فربما تجاوز كراء المحفة ومـا تستتبعه بغير أكل ست مئة فرنك ، وربما كان أقل ، وهكذا كراء الجمل

المنفرد ، ربما كان مائة فرنك أو أكثر أو أقل وهذا تفصيل مالمقومي هاته السنة من الإبل ، وهم الآتي بيانهم :

٨٠٠ باش مقوم محمد الزمريق .
٢٠٠ عمر بوصبع .
١٥٠ أبو فارس الذئب العجان .
١٠٠ حسن العجمى .
٠٨٠ اسماعيل الأناطا .
٣٠ يوسف زاده .
٥٠ الحمويات .
٥٠٠ البـدو .

١٩١٠

ومن عادة الركب إذا وصل إلى نصف المرحلة أذن لحاملي الخيام – ويسمون (المهاترية) وكان (باش مهاتري) ابراهيم أحمد في هاته السنة – فيتقدمون إلى محل النزول ، ويضربون فيه الخيام على معتاد وضعها ، بحيث أن الركب يقسم على الجهات الأربع من القبلة والجنوب والشرق والغرب . وكل جهة معينة لأربابها توضع فيها الخيام بوضع هندسي ، فتصير المنزلة ذات محجات عامة وحومات صغيرة ، وسوف يحيط بجميعهم المعسكر ، ويجري ذلك الترتيب في جميع المراحل وفي المسير ، بحيث أن الرجل في كل منزلة يجد نسبته من جميع جيرانه واحدة ، وعليها نسبة المسير . . ومن العوائد المستحسنة أنه بعد رحيل الركب تتأخر رسلة من الإبل تتألف من مائة ناقة نحو الساعة أو أكثر ليعلوا نظرهم على المنزلة هل تخلف فيها شيء أو أحد ، ويأتون على الطريق وراء

العقيلي ، وكبيرة هاته السنة حسن الشبل ، وفي الغالب يأتون باللقطات وينادون عليها فيأخذها أهلها .

ومن العادة أيضاً إطلاق المدفع عند النزول وعند أوقات الصلوات وأما عند الرحيل فيطلق مدفعان بينهما نصف ساعة أحدهما للتهيء ، فإذا زمّ الناس جمالهم وشدّوا رحالهم ، وأطلق المدفع الثاني تنهض الجمال من عند أنفسها بقيام واحد ، وسير الإبل يكون قطارات كالسموط المنتظمة ، بينها محجة للراجلين ، وفي بعض المسالك يكون الركب كله قطاراً واحداً . وكل ليلة تترنم الموسيقى العسكرية بالألحان التركية .

وفي ليلة مبيتنا (بئر عثمان) حضر عندنا بعض أحبابنا من أهل المدينة للمشايعة ، وحضر عندنا إبراهيم رأفت أفندي قاضي المدينة المنفصل ، وقائمقام نجف الأشرف علي ياور كنافة بن عبد القادر زاده الكركولي ــ نسبة إلى كركول من عمل الموصل ، وهو رجل حازم عارف باللسان العربي والفارسي والتركي ، وقد أحسن معاشرتنا ومؤانستنا مدة الرحيل ، وقد دار بيننا خبر الشيعة فذكر لنا من أحوالهم أخباراً ، ووصف لنا مقام سيدنا علي بن أبي طالب في (نجف) حتى ذكر أن قبة .... ثم وصف محتوياتها

مصاريف المحمل :

جرى الحديث بيننا ــ أنا وصالح أفندي كاتب الصرة ــ على مصاريف الدولة لايصال المحمل كل سنة ، ولجرايات الحرمين وعوائدهما فذكر أنها تبلغ جميعاً إلى خمسمائة ألف مجيدي ــ أي نحو المليونين فرنكا

بئر جابر :

كان ارتحالنا من بئر عثمان قبل طلوع الشمس ١٧ المحرم ، فنزلنا

بئر جابر قبل الغروب بساعتين ، وراق لنا النزول وأقمنا هنالك تلك الليلة :

آبار نصيف ·

كان ارتحالنا من بئر جابر قبل طلوع الشمس ١٨ المحرم . فوصلنا آبار نصيف الساعة التاسعة والنصف – قبل الغروب بساعتين ونصف – وبعد استقرار نزولنا أخذت أمشي بين الخيام فاجتمعت هنالك بالعالم الجركسي الشيخ صالح الأصم ، وهو من أفاضلهم يحسن اللسان العربي والتركي ، زيادة على لسان قومه ، وهو ممن هاجر من بلاده حين تملكها (الروسيا) في الحرب الأخيرة ، وأخبرت أن الروس لما تملكوا أرضهم استأصلوا أموالهم ، واستخدموا أبناءهم في العسكرية ، وكان ذلك سبب هجرة كل من قدر على الخروج . وأما من تثاقل وأراد بعد ذلك خروجاً فقد منع ، وعند ذلك سألته عن حالة إقامتهم الآن في بلاد الترك ، فشكا عموم الرشوة عند قضاتهم وسائر حكامهم ، حتى كان ذلك سبب محنة كثير من علماء الجراكسة بالنظر إلى العامة والحكام .

أصطبل عنتر :

ارتحلنا باكرة يوم الخميس ١٩ المحرم – من آبار نصيف – اصطبل عنتر عنترة بن شداد العبسي[1] من أشهر شجعان العرب وفرسانهم ، ومنزله بين جبال في هاته الجهة نزلنا حولها عند الغروب .

المحلتين – هدية :

ارتحلنا – من اصطبل عنتر – الساعة التاسعة من الليل – فوصلنا

---

(١) هذا خطأ فبلاد عنترة العبسي بلاد قومه عبس في نجد . في غرب القصيم وشماله ، وليس هذا الموضع الواقع في الحجاز واصطبل عنتر يطلق على موضع آخر غير هذا بين الأزلم والوجه .

الفحلتين عند صلاة الصبح وصلينا هناك وسرنا إلى الساعة التاسعة ، من نهار الجمعة ٢٠ المحرم .

هدية : هذا الموضع فيه قلعة عتيقة ، ويقال في وجه تسميته أن النبي (ص) لما رجع من غزوة تبوك وجد أصحابه منتظرين قدومه بهذا الموضع ومعهم هدية ، ولم نطلع على مايفيد صحة هذا الخبر .

براقة ـــ البئر الجديد :

ارتحلنا من هدية قبل طلوع الشمس ٢١ المحرم .

براقة : هي أرض محجرة ، لا ماء فيها نزلناها قبل الغروب ، وارتحلنا منها قبل طلوع الشمس من يوم الاحد ٢٢ المحرم .

البئر الجديد : هذا الموضع فيه بركة عظمى تسمى بركة البئر الجديد ، وماؤها ملح ، وهنالك ماءٌ عذب يجري عين في سفح بجبل هنالك ، يأتون منها بماء الشرب ، وفي حوالي هاته المنزلة سكان من البدو وأتوا لتلقي الحج بغنم ونبات يابس يسمى موصل (؟) لعلف الإبل ، وكان النزول هنالك في الساعة السادسة وجري سقي الإبل في العشي ، وشراءُ علفها من ذلك النبات

ثم لم يكن من البدو هنالك إلا أنهم ساقوا قطعة من الإبل بمرعاها ، فارسل سعيد باشا أمير الركب عساكر من سائر الجهات ولم تمض ساعة من زمان إلا وجيء بالإبل ونجا سائقوها .

الزمــــردة :

وكان ارتحالنا باكرة الاثنين ٢٣ المحرم – يقصد من البئر الجديد

الزمردة : موضع كثير الحجر قليل الماء ، فيه قلعة ضخمة ، متسعة في وسطها بئر ليس له آلة ، وخارجها بركة قليلة الماء لاعكن تعميم(؟)

السقي منه ، وسكان تلك الجهة لا يأكلون إلا التمر العجوة ، ويوجد عندهم قليل المعز ، ولذلك نصبوا سوقاً لبيع ذلك التمر ولحم المعز فخرج سعيد باشا وأقلب الطعام المطبوخ بلحم المعز ، ومنع بيع التمر خشية اعتراض الإسهال للآكلين مما يوجب (الكرنتينة) .

وإلى هاته المرحلة — بحمد الله لم يمت غير شخصين أصيبا في أوائل السفر .

المربـــع :

وقد ارتحلنا — من الزمردة — الساعة السابعة من ليلة الثلاثاء ٢٤ المحـــرم .

المربع : قبل الوصول إلى هاته المرحلة بثلاث ساعات تغيّر علينا الهواءُ عندما وجدنا الأرض مرملة . وذلك الرمل مبدأ المدائن ، وكان المنزل بين جبال محيطة بنا ، ويسمى أبيار غنم (؟) والمربع . ومن تلك الجبال جبل طبيعي عجيب الوضع على صورة الرحا الكبيرة ذو طبقات وفي أعلاه عمود صنوبري ، وجميع ذلك طبيعي يخاله الناظر مصنوعاً — وسبحان الصانع الحكيم — وعند نزول الركب اطلقت المدافع استبشاراً بالوصول إلى المدائن غير أن هاته البشارة أعقبها موت شخصين من الأعاجم بـ(الكوليرة) فكدر ذلك على العموم ، وقد وجدت من نفسي قلقاً قلت فيه :

يارب قد عودتني باللطف في ظعني على أخطار سيري كله
فأنا بلطفك عائذ من كـل مـا يَعْرُو ، ولي مُتمسَّكٌ من حَبْلِهِ

المـــدائن :

كان ارتحالنا في الساعة الثامنة من ليلة الأربعاء ، وقطعنا عقبة المدائن

في الساعة الثامنة من النهار ، ودخلنا بين ديار ثمود المنحوتة في الجبال ، ووصلنا إلى القلعة في الساعة السادسة ، فوجدنا موقد الشام المسمى بالجردة نازلاً هنالك ، وهو عبارة عن معسكر تحت إمرة قائمقام ، وهو شاكر أفندي ، ومعه بريد مكاتب الحجاج وهدايا أهلهم ، وكثير من باعة مأكول واللباس ، إعانة للوافدين ، وربما أقبل بعض أقرباء الحاج أو أحبته إلى ذلك المحمل ، بحيث أن عموم الشامية على كل حال يستفيدون أحوال من خلفهم في تلك المنزلة ، فيكون ذلك اليوم يوم سرور عام . ومن هنالك تتوجه المكاتب مع بريد الدولة على يد المكلف بها في خفر من الحراسة . وهنالك أقبل باعة من بلد يسمى العلا على بعد ساعتين مجاورًا بليمون حامض وحلو ، والحلو منه على شكل غير معروف لنا بحيث أنه كبير جداً أملس متساوي الجهات في التكوير ، ولا رأس له ، وقشره رقيق جداً .

جبل الطاقـــة :

وارتحلنا – من المدائن – الساعة الرابعة من يوم السادس والعشرين من المحرم جبل الطاقة : مرحلة كانت صعبة جدًا لأنّا سِرْنَا يسيرا ، ثم اخذنا في الصعود إلى عقبات مبرك الناقة التي عقرها أشقى ثمود . وكان الصعود إلى جبل من رمل بين جبال من الحجارة . يظهر للرائي انقلابها ، إذ تراها قائمة على رؤوسها وقواعدها أعلاها ، ومن هنالك خرجنا إلى فضاء فيه نخلة . وحولها ساحة يقال إنها مبرك الناقة ، والممرّ هنالك ضيّق مع عسر الصعود إلى دي(؟) الجبال ولذلك نزل أكثر الركاب تخفيفا على الإبل ، ومع ذلك كانت الإبل تطلب النزول لما أعياها الصعود في الرمال ، فأطلقت المدافع إزعاجاً للإبل حتى لا تبرك .

وفي تلك الجهات من آثار الغضب مايدهش النفوس ، وفي هاته الديار استحثّ رسول الله (ص) راحلته ، ونهى عن استعمال مائها وترابها — على ماسيأتي —

أما خبر قوم عاد وثمود في هاته الأرض فقد قصه الله في القرآن ، وكان قوم عاد وثمود جبارين طوال القامات ، فأرسل الله هودًا إلى قوم عاد ، وكانوا أهل أصنام ، فدعاهم فلم يؤمن منهم إلا قليل ، فأهلك الله الذين لم يؤمنوا بريح سخّرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسومًا دائمة فلم تدع من قوم عادٍ أحدًا إلا أهلكته غير هود والمؤمنين معه . فإنهم اعتزلوا في حظيرة ونجاهم الله من تلك الريح .

وأما ثمود فكانوا ينزلون بالحجر ووادى القرى فيما بين الحجاز والشام ، وطالت أعمارهم ، فنحتوا بيوتاً في الجبال . وأرسل الله إليهم صالحاً ؛ فدعاهم إلى التوحيد فلم يؤمن به إلا قليل مستضعفون ، ثم إن كفارهم عاهدوا صالحاً على أنه إن أتى بما يقترحون عليه آمنوا به ، واقترحوا عليه أن يخرج من صخرة معينة ناقةً ، فسأل الله في ذلك فخرجت من تلك الصخرة ناقة وولدت فصيلا فلم يؤمنوا ، وآل بهم الأمر أن عقروا الناقة فأهلكهم الله بعد ثلاثة أيام بصيحةٍ من السماء . قطعت قلوبهم فأصبحوا في ديارهم جاثمين . .

وقد رأينا على مدّ البصر انقلاب تلك البيوت المنحوتة في الجبال حتّى صار عاليها سافلها ، فصار معظمها أطلالاً .

واستحثينا السير بينها إلى الغروب ، وكان هذا الطريق كثير المزالق من الصخور ، حتّى اعتاد العكامون أن يقولوا : (من مبرك الناقة إلى جبل الطاقة أربع وعشرون زلّاقة) .أو في هذا اليوم رأيت من أخلاق رفيقي

مع أتباعنا ماضاقت معه النفس مع صعوبة الطريق فقلت :

لقد عسر الطريق مع المضيق وساء – كما نرى – خُلقُ الرفيق
ويسّرْ الله يأتي بعد عُسْرٍ وكم فَرَجٌ أتى بعد المضيق

ولما بلغنا جبل الطاقة رأينا جبلا فيه خرق عظيم منفتح فتحاً طبيعياً وكانت المنزلة ليس فيها ماء .

فروش رز – ظهر الحمراء :

وارتحلنا آخر ليلة الجمعة السابع والعشرين من المحرم – من جبل الطاقة –

ظهر الحمراء : هذه المرحلة كانت صعوبة الطريق فيها من الارتقاء ، غير أنا فى ضحوة النهار كنّا في بيداء لايعرف لها مبدأ تعرف فروش رز ، وفيها الركب حاد عن الطريق بسبب خطإ الدليل ، ووقع التراجع وأخذنا نرتقي إلى الجبال المرملة ، والصخور المرتفعة عزالق الأحجار ورأينا هنالك حجرًا لمّاعًا ، ومررنا بقلعة حولها بركة لا ماء فيها ، وعليها تاريخ بنائها ، وفيها (؟) أن بانيها عصمان باشا سنة سبع وستين ومائة وألف ، وكان السير مشتدًا ، ونزلنا عند الغروب

بركة المعظم[1] :

هذه البركة من أوسع البرك وأضخمها ، والحجاج ينسبونها إلى الباز الشيخ عبد القادر الجيلي – رضي الله عنه – وذلك أنها تحيط بها جبال وربًى ، ومصب الماء إليها يأتي مسيله من بين سفوح الجبال من ناحية

(١) وصفت هذه البركة فى تعليق على كتاب « التبر المسبوك فى ذكر من حج من الملوك المقريزى » الذى نشر فى مجلة « الحج » التى تصدر بمكة المكرمة .

بغداد ، وأما ضخامة هاته البركة واتساعها فهي بحيث أن جميع الحج استقى منها ولم ينقص من مائها إلا نحو نصف ذراع .

ولما دخلنا إلى القلعة التي حولها وجدت بعض بدو تلك الجهات ، سألني عن بلدي وعن أحوالها بعد حماية (فرانسا) لها فأعلمته بحسن حالها ففرح ، وعند ذلك سألته عن سبب معرفته لتونس ، مع أنه من سكان تلك الصحراء المنقطعة ، فأعلمني أنه وفد عليها في دولة أحمد باشا وأقام أشهراً بين ماطر(؟) وجبل نفزة .

جناين القاضي :

وكان ارتحالنا – من بركة المعظم – قبل طلوع الشمس من يوم الأحد ٢٩ المحرم هذه المرحلة كانت الأراضي فيها مختلفة حيث مررنا في أول النهار بأرض يابسة ينسبونها إلى أيوب – عليه السلام – ويذكرون أنها محل ابتلائه وفي أثنائها يوجد حجر مستطيل في غلظ الاصبع أو أقل ، يسمونه دود أيوب ويدّعون مَسْخَهُ ، ويذكرون للحجر المذكور خاصيّةً في القروح والجروح ، يحرق ويسحق وتكمد به ، فيحصل برؤها – بإذن الله – ولم ندر مسألة تحجر دود أيوب أو إبقاء أثره إلى هذا العصر ولا مانع من حصول فائدة الضمد بإحراق ذلك الطين المتخزّف . أما أيوب عليه السلام – فقد كان نبيًّا ، وكانت له زوجة اسمها رحمة . وكان ذا مال وضياع ، فابتلاه الله بذهاب ماله حتى صار فقيراً ، وأقام معتكفاً على عبادته وشكره ، ثم ابتلاه الله في جسده حتى تجذم ودوّد ، وبقي مرميًّا على مزبلة ، لايطيق أحد أن يشمّ رائحته ، وكانت زوجته رحمة تخدمه ، وهي صابرة على حاله ، فتراءى لها إبليس ، وأراهـا ماذهب لهم ، وقال لها : اسجدي لي لأردّ مالكم إليكم ، فاستأذنت أيوب

فغضب وحلف ليضربنّها مئةً ، ثم إن الله عافَى أيوب ، ورزقه وردّ إلى امرأته شبابها وحسنها ، وأمره الله أن يأخذ عرجونا من النخل فيه مئة شمراخ فيضرب به زوجته ليبرّ في يمينه . ففعل ذلك ، وولدت له ستة وعشرين ذكراً ، ومنهم ابنه ذو الكِفْل وبعد أن قطعنا بالسير أرض أيوب مررنا بأرض محجرة ، ودخلنا بين صخور كالجبال ، منهـا صخرة على صورة الذّبّ ، وفي مضيق بعد صخرة أخرى مكتوبة ، يزعم العكامون أنه مكتوب فيها شتم من يحمل معه للحج امرأة ، وليس كذلك بل إن الكتابات بسملات وصلاة وإيداع الشهادة من بعض المارّة الراجلين

ثم اجتزنا [أرضاً] مملوءة صخوراً وأحجاراً سودا تسمى جناين القاضي ، يقتطعون منها الأحطاب .

وفي هاته الليلة دعانا أمين الصرة واصف باشا – وقد سبق ذكره وكان المسامرون لنا يترجمون بيننا ، ومنهم رأفت أفندي قاضي المدينة ، وعبد الباقي باري من خلفاء كتاب الوزارة الخارجية في الباب العالي ، وقد أخبرنا أمين الصرة تلك الليلة أن سعيد باشا حرّر مضبطة في سلامة الحج ، لئلا ترتسم عليه (الكرنتينة) قبل دخول اشام .

الأخضر :

وارتحلنا باكرة يوم الاثنين منسلخ المحرم – من جناين القاضي – الأخضر : هو من المنازل النبوية ، وفيه مسجد بقلعة بناها السلطان سليمان وهي قلعة كبيرة ، فيها قبر حيدر (١) باباني أعلى يمين الداخل إليها وبها بئر عليه ناعورة تستجيز الماء بعلب من خشب ماؤها خامصر (٢)

---

(١) (حيدر باشا في أعلى يمين) كذا

(٢) (كذا .. عذب) ؟

عذب ، يروي أن أيوب عليه السلام – اغتسل في هذه البئر ، وسقط فيها من دوده . ويقال : إن هنالك مقام الخضر – عليه السلام – ولعل ذلك وجه تسمية المكان بالأخضر ، وأصله الخضر ، وفي خارج القلعة أربع بركات ، وجدنا اثنتين منها مملوءتين ماء في غاية الجودة واثنتين معطلتين مملوءتين بالرمل ، وبينهما تاريخ مكتوب في أحد أوجهه اسم السلطان ، وبالوجه الاخر مكتوب أن الذي باشر عمارتها هو الأمير موسى ابن محمد بن حسين التركماني الحاكم بعجلون .

دار المغير :

وكان ارتحالنا باكرة الثلاثاء غرة صفر الخير سنة ١٣٠٠ – من الاخضر – دار المغير : هذه المرحلة أكثرها صعود للجبال ، وولوج بين مضايقها ، كان ابتداؤها من موضع يقال له : بوغاز ظهر الأخضر ، وهو في مبدإ المرحلة السابقة ، ثم في ابتداء هذه المرحلة موضع يسمى غار ظهر الأخضر ، وكلاهما مسلك بين جبال ، وهذا الأخير متصعد على صخور حتى اضطررنا فيه للنزول إلى أن خرجنا منه بسير نحو نصف ساعة ، وكان استمرار السفر لهاته المرحلة إلى الغروب ، ويسمى هذا المكان دار المغير ، وظهر مغر

تبـــوك :

وكان الارتحال في الساعة الثانية من يوم ٢ صفر – من دار المغير – تبوك : يُقال باك العينَ يبوكها إذا ثور ماءها بعود ، وقد رأيت(؟) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن وجده يبوك عينا هناك قلّ ماؤها : تبوك . فاطرد ذلك اسم للمكان . وهو محل أصحاب الأيكة ، وخبر شعيب مع أصحاب الأيكة مذكور في القرآن العظيم ، ولغزوة تبوك خبر

مبسوط في كتب السير النبوية ويقال لها غزوة العسيرة [١] ويقال لها الفاضحة لأنها فضحت كثيراً من المنافقين وكان خروجه لغزوة تبوك في رجب سنة تسع بسبب ما بلغه صلى الله عليه وسلم من أن الروم تجمعت جموعهم بالشام وقدموا مقدماتهم إلى البلقاء فرآى غزوهم ، وكانت البلاد مجدبة ، والحر شديد – والسفر بعيد ، مع أنه حضور إبان اثمار الشجر الذي كانوا يستقبلونه ، فأعلم الناس بمقصده الشريف ، وكان قلّما يخرج في غزوة إلا كنّى عنها ، وورّى بغيرها إلا غزوة تبوك آخر غزواته .

وكان أول من جاء بالنفقة أبو بكر فأتى بجميع ماله أربعة الاف درهم ، وجاء عمر بنصف ماله . وأعان عثمان بتجهيز عشرة آلاف رجل بعشرة آلاف دينار وتسعمائة بعير ومائة فرس بجميع لوازمها وجاء بألف دينار ، وجاءه كثير من أعيان الصحابة بمال له بال ، وبعث النسوة بكل ما يقدرن عليه من حليّهنّ . وخرج لهذه الغزوة سبعين (؟) ألفاً من الرجال وعشرة آلاف فرس ، وعند ارتحاله صلى الله عليه وسلم عن ثنية الوداع عقد الألوية والرايات فدفع لواءه الأعظم لأبي بكر ، ورايته للزبير ، وراية الأوس لأسيد بن حضير ، وراية الخزرج إلى الحباب ابن المنذر ، ودفع لكل بطن من قبائل العرب لواء وراية . وعند مروره صلى الله عليه وسلم بديار ثمود – السالفة الذكر – سجّى ثوبه على رأسه واستحث راحلته وقال : « لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلاّ وأنتم باكون . خوفاً أن يصيبكم ما أصابهم » ونهى عن شرب مائها ومن استعماله للوضوء أو الطبخ والعجن . ولما نزلوا تبوك وجدوا عينها

---

(١) الصواب : (العسرة) .

قليلة الماء فاغترف رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده غرفة من مائها ومضمض فيها فاه ثم بصقه فيها ففارت عينها حتى امتلأت وقال لمعاذ: « يوشك إن طالت بك حياة أن ترى هنا مُلِىء جناناً » . قلت : وجدنا بها جناناً من نخيل ، غير أن نخلها ذكر ، لا ثمر فيه ، وفيها وجدنا عنباً ويقطينا ومياها لم يكن مثلها فيما مررنا عليه من المراحل السابقة ، وبذلك شاهدنا آثار أخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيّبات .

وأتاه صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك صاحب أيلة ، وصحبته أهل جرباء من الشام وصالحه على إعطاء الجزية ، وكتب لهما كتابين يتضمن كتاب أهل أذرح وجرباء أن عليهم مائة دينار في كل رجب ، وصالح أهل مينا[1] على ربع ثمارهم .

وأقام صلى الله عليه وسلم بتبوك عشرين ليلة ، واستشار أصحابه في مجاوزتها .

فقال عمر : إن للروم جموعاً كثيرة ، وليس بها أحد من أهل الإسلام ، وقد دنونا،وأفزعهم ذلك فلو رجعنا هذه السنة حتى نرى أو يحدث الله أمراً .

ثم انصرف صلى الله عليه وسلم قافلا إلى المدينة ، وأراد من كان من المنافقين أن يوقعوا به صلى الله عليه وسلم في العقبة التي بين تبوك والمدينة . وعلم بهم ، أخبر عنهم وتحرز منهم ، وترك عقابهم وقال : « إني لأكره أن يقول الناس : إن محمداً قاتل بقوم حتى إذا أظهره الله تعالى بهم أقبل عليهم يقتلهم .

ولما أشرف صلى الله عليه وسلم على المدينة قال : « هذه طيبة أسكننيها

---

(١) الصواب (مقنا) بالقاف ولا يزال معروفا على ساحل البحر الأحمر ، داخل المملكة العربية السعودية قرب المويلح .

ربي ، تنفي خبثَ أهلها كما ينفي الكير خبث الحديد » وعند دخوله ما تلقاه النساء والصبيان يقلن :

طلع البدر علينا من ثنية[1] الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أما بناء تبوك فهو من لبن غير مطبوخ ، وجدرانها قصيرة دون قامة الإنسان ، ومسجدها الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم أقامه عمر بن عبد العزيز ، ومنها إلى المدينة كان مزروعاً في عهد عمر بن الخطاب وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس في ثنية تبوك وأشار إلى جهة الشام وقال : « هذا شامي » وأشار إلى جهة المدينة وقال : « هذا يمني » . واستدل العلماء بذلك على أن الحجاز من اليمن .

وقلعة تبوك ذات بئر بناها السلطان سليمان ، ولبركتها عين جارية ولا أدري هي التي كان يبوكها البائك أو غيرها .

وفى طريق هاته المرحلة يوجد حجر يُسْتَدَرُّ به لبن المرضع تعليقا[2] . وفي الطريق جبل على صورة منبر من الصخر ، يزعم العكامون أنه خطب عليه رسول الله (ص) فكان مكانُ خطبته على الصورة المذكورة .

وعند نزول الركب في هاته المنزلة السعيدة قبل أمير الركب سعيد باشا مكاتب الدولة العلية التي وجدها في انتظاره تأمره بـ (الكرتينة) في الزورقاء عشرة أيام . وكان الباشا قبل ذلك حرر شهادة في سلامة الركب من الأمراض وأراد أن يوجه بها بريده (جو خدار) غير أنه (سبق السيف العذل) وتقدمت الأوامر على الاستئذان ، فعدل عن استئذانه ، وامتثل

---

(١) الصواب : (ثنيات) .
(٢) هذا من الخرافات .

ماورد إليه من الأمر ، غير أنني رأيت من أمين الصرّة وقاضي المدينة تلك الليلة كدرًا من تعجيل أمر الدولة للأوامر قبل استعلام حالة الركب وقد شاهدت من صعوبة الطريق ماصرت به في شفقة على رواحلنا ، وكان لمحفّتنا جملان مجلان (؟) أحدهما أسود اسمه دَيْحان[1] والآخر أبيض اسمه درويش يتناوبان كل مرحلة يحمل [جمل] محفتنا ، ورأيت من الجمال أنه أجهدهما ولم يشفق عليهما فارتجزت له في ذلك عند المسامرة قولي :

يا أيها الجمّال رفقاً بالجملْ ... وإنْ تكن قامته مثل الجبل
فليس في الركب سوى ريحان[1] ... شبيه درويش أخيه الثاني
هما جميلانِ إذا ماسارا ... رأيتَ طيرًا في فلاة طارا
ومن يكن عليهما قد ركبا ... لم يك يدري من مسير تعبا
فيحسب الأرض به تطوى إلى ... أن يبلغ الغاية من بين الملا
ولم يجد من بعد سيرٍ خَفْضا ... ولا رآى من المسير رضّا
سوى اهتزاز الجمل الجميل ... هزّة ذات الكَفَل الثقيل
كلاهما مشابه لصاحبه ... في حسن وصفٍ قد أتى بواجبه
أما هما في الشكل والألوانِ ... فاختلفا بحسب العرفان
وإنما نجابة الأعيان ... عَرْفٌ عزيز فاح من ريحان
وهو الذي قد خاض يَمّا أدهما ... وقَدَّ جِلْدًا منه داج أسحما
وطاول الجبال في البيداء ... وسابق العَجُول باهتداء
ومن رآه ظنه السحابا ... بذاته لأرضه أصابا
ومن يكن يسمعه يرغو فلا ... يخاله إلا رعودًا تجتلي

(١) كذا (ديحان – ريحان) ولعل الصواب الأخير كما سيأتي .

عن(؟) البعــاد يبصر الوهادا ويعــرف الأغــوار والأنجــادا
فيتقيهــا كلمــا تهــادى ويسلك السهــول مــاأرادا
ويقذف الحصــا بخفٍّ خفّــا ولا يبالي بالذي قــد حفّــا
وهكذا (درويش) في المسير يسير سير عــارف خبيــر
لكنّه ضــوءُ النهــار خــاضــا حــتى كســا عاتقــه بياضــا
وإن يكن من الرغــاء أرعــدا رأيتــه كمثــل بحــرٍ أزبدا
وهــو صَؤول كلمــا أتــاه يقوده شخــص ســوى مولاه
فــارْأَفْ بِهِ ياأَيُّهَــا الجمّــالُ فــإنّه فحــلٌ لــه الــكمال

قاع الصغير :

وكان ارتحالنا من هذه المنزلة المباركة ـ تبوك ـ باكرة يوم الخميس ٣ صفر سنة ١٣٠٠ قاع الصغير : هاته أول مرحلة في الاراضِ الشامية ، وكانت الارض صحراء منبسطة ، وليس فيها ماءٌ ولا قلعة ، وفيها وقعت غارة على الحجاج سنة ١١٧١ ه . وقد سرنا فيها ببياض يومنا ، وشاهدنا فيها أحسن المناظر الجويّة بسبب اتساع الأرض وانبساطها وظهور انجلاء قبة الأفق وتلوّن غيومه وأنواره ، وامتداد السراب على الأرض بوجه عجيب ، وقد وصفت ذلك كله في عشرة أبيات وهي قولي :

سير الصباح على ظهور الأينق في البيد أبْهَى منظر المتــأنق
فمن السمــاء نرى علينا قبة الــــبلّور قــد حيطت بخير مزوق
فكأنّما قُزَحٌ أراهــا قوســه فــأرته دائرة البهاء الأروق
فيها سحاب قد تلون واكتسى وَشْيَ البُرود من الصباح المشرق
والشمس تطلع كالمظلّة من كُوى بــأغَرِّ وجه فاتن المتعشّــقِ
حتى إذا بانت بها بسطت لنا بُسُطًا تَعمُّ الأفق بالإستبــرق

وكأنَّ سطح الأرض عند نهاية الـــــأبصار حيط بماء بحر معرق

بحر ، ولكن من سراب لا شرا ب به ولا رشح بمـاء مطلق

فنرى مـدار الأُفق دائرةً ولا كِنْ شأْوها طول المدى لـم يلحق

وكأنّ سمط قطارها في البيد فا صل قطرها فصلا بوجه أليق(؟)

هٰذي مناظر سائق الأظعان في الـــبيداء يطويها بقلب مشفق

وقد بتنا وبات القوم في انبساط وراحة بقاع الصفير .

ذات الحج :

وارتحلنا باكرة يوم الجمعة ٤ صفر – من قاع الصفير .

ذات الحج : نزلنا بهذا المكان في الساعة العاشرة ، ووجدنا قلعة فيها عين جارية يجري ماؤها إلى بركة هنالك ، بناها السلطان سليمان ، وحول تلك القلعة نخيل ذكر لا ثمر له ، وبتلك الأرض حجر المسنّ الأبيض، وكان المبيت هنالك في راحة .

حالات عمار ، قلعة المدورة :

الرحيل باكرة يوم السبت الخامس من صفر – من قاع الصغير – قلعة المدورة : هذه قلعة حولها بركة بناها عبد الله باشا – والماء يخرج من تلك القلعة قليلا في تلك الفلاة ، نزلناها في الساعة العاشرة نهارا ، بعد أن قطعنا رمال الطريق ، ومررنا برصيف من حجر يسمى حالات عمار ، وللعكامين في وجه تسميته حكايات لانعيرها شيئاً من الاعتبار، وتحيط بتلك البلدة جبال محجرة ، وهنالك صحراء واسعة يحيط بها السراب عن قرب كالبحر ، وتسمى هاته المنزلة طبيليات المدورة (١) .

---

(١) ذكر الاستاذ سليمان موسى فى كتاب « غربيون فى بلادنا » أن المدورة هى سرع .

بطن الغول :

وارتحلنا باكرة الأحد ٦ صفر – من طبيليات المدورة .

بطن الغـول : هذه المنزلة تسمى أم غيلان وأم عياش ، تحت العقبة الآتية ، وهي منبت أحطاب وبها شجرة تربط بها الخروق(؟) ويرعى لها الجهلة النذور ، وتلك من آثار الجاهلية في ذات الشراميط (؟) وقد سرى داء ذلك في الاسلام عند الجهلة فترى بأبواب زوايا بعض الأولياء وشبابيكها ربط الشراميط للنذور التي ماأنزل الله بها من سلطان . وفي أهل البادية من يتخذون شجرة عتيقة لربط الشراميط للنذور ، وقد عرف أهل جبل خمير من المملكة التونسية باتخاذ شجرة من الفرنان (؟) لذلك ، ولكني رأيت في بلد نابُلي من أشهر بلدان إيطاليا محلاً حوله شجرة ، وبمنافذه شراميط ، فذكروا أنها شراميط تذور لعامتهم .

وكان المبيت تلك الليلة في بطن الغول أسفل العقبة بعد قطع الرمال

ظهر العقبة :

ارتحلنا وضوح الفجر الإثنين ٧ صفر – من بطن الغول –

ظهر العقبة : هذه عقبة عظمى في جزيرة العرب ، حتى ان اسم العقبة إذا أطلق انصرف إليها لعظمتها وامتدادها وشدة ارتفاعها، وصعوبة رصيفها ، فكنا بياض يومنـا في الارتقاء للعقبة ، وحجارة الطريق سوداء من نوع الصّوان الأملس ، وفي بعضه لمعان معدني ، وكان المبيت على ظهر العقبة في أرض مُخصبة والعادة سابقا أن أمير الحج يضرب خيمته ويجلس فيها إلى نهاية مرور الحجاج ، ويقف هنالك باش سقاء يسقي المارّة شربات السكّر . والمنزلة عند عَبَدَان – بتحريك العين والباء – آخر القرى الشامية ، وفي المثل : (ليس وراء عَبَدَان قَرية)[1] . وهنالك قرية بناها عثمان باشا .

(١) المثل قيل في (عبادان) الواقعة قرب خليج البصرة وانظر « معجم البلدان » .

(١)

لقد كانت جزيرة العرب دائماً مستودعا بشريا ومبعثا لموجات بشرية هائلة تتدافع في تيارات متتالية مدى العصور والأجيال وقد تعاقبت موجات من الهجرات العربية من شبه الجزيرة مندفعة نحو الأقطار المجاورة حتى غمرت هذه الأقطار بالموجات البشرية المتلاصقة وكانت قارة افريقيا من الأماكن التي هاجرت إليها واستقرت بها هجرات عربية منذ أقدم العصور التاريخية بل إن تلك الهجرات ترجع إلى عصور ماقبل التاريخ حيث وصلت بعض الهجرات العربية إلى منطقة شرق افريقيا وإلى وادي النيل وشمال افريقيا ، ثم وصلت تلك الموجات إلى أواسط القارة حيث استقرت تلك القبائل بعد أن انصهرت في سكان تلك المنطقة أو بسطت نفوذها عليها وذلك حول بحيرة تشاد حيث كونت عدة ممالك عربية إسلامية .

طرق البحيرات :

لقد سلكت القبائل العربية المهاجرة من أوطانها عدة طرق مختلفة استطاعت عن طريقها أن تصل إلى قلب القارة حيث تهيأت لها الظروف بالاستقرار حول البحيرة وذلك بعد أن وصلت من أماكن مختلفة واستخدمت في هجرتها عدة طرق ولكن في النهاية مهما كان الطريق الذي سلكته فإنها استطاعت الوصول إلى ذلك الموضع الغني بالأعشاب والمياه حيث طاب لها المقام وسنعرض هنا لبعض الطرق التي سلكتها تلك القبائل العربية في الطريق إلى بحيرة تشاد .

(أ) طريق باب المندب :

لقد كان هذا الطريق ولا زال يمثل تيار هجرة بشرية منذ أقدم العصور ، حيث انتشر سكان الجنوب العربي على السواحل الشرقية للقارة ثم اتجهوا شمالاً وغرباً بحيث استقرت منهم جماعات عربية من بلاد الحبشة والسودان وتسربت أعداد كبيرة منهم بعد ذلك غربا وعليه فقد كان طريق باب المندب من أهم طرق الهجرة وكذلك من أهم طرق التبادل التجاري والحضاري قبل الإسلام حيث ترك عرب الجنوب في الجانب الأفريقي أثرهم الحضارى والثقافي والعمراني وبخاصّة اللغة العربية التي انتشرت في تلك الانحاء والتي تركت تأثيرها القوي والفعال في اللغة السواحلية لغة تلك الانحاء ، لذا فان هذا الطريق هو المدخل الذي دخلت منه أقدم الاجناس التي عمرت القارة منذ أقدم العصور ، ومكنت الجزر الواقعة في مدخل البحر الاحمر من اجتياز ذلك المكان بسهولة ، حيث اتخذت مراحل للهجرة، واكبر الظن أن المسافة بين قارتي آسيا وأفريقيا في تلك العصور كانت أكثر تقاربا مما هي عليه الآن ، وقد ساعد ذلك على سهولة الانتقال ومكن تلك القبائل من الانتشار حتى الوصول إلى غابات الكونغو غربا وبحيرة تشاد في وسط القارة .

(ب) طريق البحر الأحمر :

للبحر الأحمر دور هام في الربط بين قارتي آسيا وأفريقيا ذلك لأنه لم يكن في يوم من الأيام منطقة عازلة بين القارتين ، بل كان دائماً حلقة وصل وصلة عميقة منذ وجد الانسان على ظهر الأرض فقد خرجت الهجرات البشرية من الجزيرة العربية عابرة ذلك البحر إلى أفريقيا ، وكان إقليم الحجاز على صلة قوية بالشاطىء الافريقي الغربي

المقابل قبل الإسلام ، ولكن مع قيام الإسلام وانتشاره في النطاق الرعوى الأفريقي ، ظهرت أهمية الجزء الأوسط من البحر الأحمر كمعبر قريب بعد أن خضعت بلاد الشام للصليبيين وبذلك أصبح الجزء الأوسط من البحر الأحمر الطريق الرئيسي للحج والذى يخترق النطاق الرعوى من ساحل المحيط الأطلس غرباً ماراً بمنطقة تشاد والسودان في الطريق إلى مكة المكرمة ،ومن هنا فإن وجود الموانى الأفريقية على الشاطىء الغربي للبحر الاحمر ووجود الطريق الصحراوي الذي يبدأ من غانا على الساحل الافريقي حتى تنتهي عند سفح الأهرامات بالقرب من بولاق الدكرور (التكرور) نسبة إلى حجاج تلك الأقطار الأفريقية . لذا فان البحيرات العربية سلكت منطقة وسط البحر الاحمر في طريقها حتى وصلت إلى وسط القارة الأفريقية حول بحيرة تشاد حيث لا توجد عوائق طبيعية تحول دون تحرك تلك القبائل إلى تلك الأماكن .

(ج) برزخ السويس وشبه جزيرة سيناء :

لقد كان هذا الطريق معبراً يربط آسيا بافريقيا في جميع العصور وهو طريق هام لعبور الهجرات العربية إلى أفريقيا ، وذلك لأن سيناء لم تكن حائلا بين القبائل البدوية المنتشرة ، في شمال شبه الجزيرة العربية ولهذا المدخل أهمية بشرية لها خطورتها باعتباره الطريق البري الوحيد الذي يربط بين شطري الوطن العربي الإسلامي في أفريقيا وآسيا وعن هذا الطريق غمرت القبائل العربية مصر وسودان وادي النيل ووصلت في زحفها عند الطرق والمسالك الصحراوية إلى وسط القارة حيث بحيرة تشاد .

وعلى هذا فإنه يمكن القول أن باب المندب وسواحل البحر الاحمر

وبرزخ السويس تعتبر جميعها طرقاً هامة سلكتها الجماعات البشرية المتتالية في مسالك متعددة متقاربة أو متباعدة تبعاً للمصدر الذي ترجع إليه كل جماعة وافدة ولا شك أن هذه الهجرات والحركات البشرية من آسيا كان لها أعظم الأثر في تعمير افريقيا .

وليس ثمة شك في أن الهجرات العربية السابقة لظهور الاسلام قد مهدت الطريق لدخول الاسلام إلى ةفريقيا وكانت هذه الهجرات قد هيأت فتح العرب لمصر . والاتفاق السائد بين علماء الاجناس على أن هذه الهجرات قديمة جاءت عبر هذه الطرق الثلاثة ثم استقرت في مصر ، وفي السودان الشرقي وغرب إفريقيا ووسطها وقد حدثت هجرات الحميرين قبل المسيحية بحوالي قرنين من الزمان بعد انهيار سد مأرب .

الهجرات العربية العربية فى العصر الإسلامى :

لقد بدأ تحرك القبائل العربية نحو أفريقيا منذ النصف الثاني من القرن الأول الهجري ، بتدفق أعداد كبيرة من تلك القبائل بعد فتح مصر مباشرة واستمرت تلك الهجرات بعد الفتح العربي حتى القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي وان هذه الحركات استغرقت وقتاً طويلا وكانت الموجات من هذه القبائل المهاجرة تصل إلى مصر أولا ثم تتجه افواجا منها نحو الجنوب متفرقة في بلاد النوبة وبقية أنحاء السودان حتى وصلت إلى المناطق التي تحيط ببحيرة تشاد وقد أشار القلقشندي إلى تنقل العرب وانتشارهم بعد الفتح العربي الاسلامي ، فنجد أنهم وصلوا إلى بلاد المغرب والسودان (بحيرة تشاد) بل الأكثر من ذلك انهم استطاعوا أن يكونوا قوة سياسية لعبت دوراً في حياة تلك المنطقة حيث أقاموا عدة ممالك حول بحيرة تشـاد وبحيرة فترى والتي تقع

جنوب شرق بحيرة تشاد (ممالك الكانم والبرنو) البولالا ، باجير في وادي .

منطقة بحيرة تشاد :

لقد كانت منطقة حوض بحيرة تشاد بحكم موضعها الاقليمي نقطة جاءت إليها مجموعات مختلفة من السكان سواءً من الافريقيين أو العرب شمال القارة أو شمالها الشرقي من الاسيويين وغيرهم واختلط هؤلاء ببعض ، والبحيرة عبارة عن حوض ضحل جداً من الطين تنتهي إليه مياه نهر شاري وتتأثر مساحة البحيرة بكمية المياه التي يجلبها نهر شارى وبالنيجر لدرجة أنها تزيد أو تنقص مايعادل ١٠٠ ٪ من مساحتها السابقة رغم أنها بحيرة مقفلة إلا أن نسبة الملوحة فيها قليلة جداً وهي تقع في وسط منطقة السفانا التي تمتد من شمال السنغال حتى القرن الافريقي وان كانت السفانا القصيرة تظهر بالقرب من نطاق الإقليم الصحراوي (الصحراء الكبرى) وأبرز العوامل الطبيعية في تلك المنطقة هي بحيرة تشاد الضخمة الواسعة والتي تقدر مساحتها بعشرة آلاف ميل مربع في مواسم الامطار والتي تقع في أسفل سهل قليل الإنحدار وهذه البحيرة الواسعة الكبيرة غير صالحة للملاحة .

ومنطقة بحيرة تشاد تقع إلى الشرق من دول الهوسا ، وتتوسط هذه البحيرة قلب عدة ممالك اسلامية أقامها العرب المهاجرون إلى تلك الارجاء وموقعها مركز هام لالتقاء طرق القوافل المارة عبر أفريقيا مما جعلها مركز نشاط وحياة فضلا عن أن منطقة بحيرة تشاد منطقة خصبة اجتذبت إليها كثيراً من العناصر القوية ، يضاف إلى ذلك أن طبيعة المنطقة من حيث خلوّها من العوائق الطبيعية أدت إلى تيسير التنقل منها

وإليها وساعدت على الاستقرار كثير من المجموعات وإلى اشتغالها بالزراعة بجانب المجموعات التي استمرت على ممارسة الرعي ، وانتشرت عدة قبائل حول شواطىء بحيرة تشاد واستقرت فيها وامتزج بعضهابيعض منذ الأزمنة القديمة .

وهذه البحيرة في وادي متسع ذي تربة سوداء غنيه وتحصل على حاجتها من المياه من نهر واي Waahe ومن نهر يد يسرام Yedseram من الجنوب الشرقي ويعتمد السكان في حياتهم الزراعية وأمورهم المعيشية على هذين النهرين وإلى الجنوب توجد وديان نهر « لوجون » وهضبة بوتشي وتنحدر هذه الوديان إلى الغرب في اتجاه كانو Kano

طرق الهجرات الداخلية إلى المنطقة .

لقد تميزت هذه المنطقة بالدور الهام الذي لعبته من الناحيتين التاريخية و(الانتروبولوجية) لإقاليم غرب إفريقيا وامتدت إلى العديد من الاقاليم التي تقع في أواسط القارة ذلك لأن هذه المنطقة قدربطت بين حوض وادي النيل وليبيا وشمال أفريقيا وبين الأقاليم الإفريقية الغربيةوذلك لان سيل الهجرات وكذلك الغزوات لتلك المنطقة لم ينقطع من ناحية الشمال ومن ناحية وادي النيل في الشرق والشمال الغربي ولا سيما بعد الفتح العربي والاسلامي لمصر وشمال أفريقيا .

وقد ارتبطت هذه المنطقة المحيطة ببحيرة تشاد بعدة طرق منها

(أ) اتجاه شمالي يربطها بالمغرب .

(ب) اتجاه شمالي شرقي يربطها بمصر .

(ج) اتجاه شرقي يربطها بالسودان .

(د) اتجاه جنوبي شرقي يربطها بشرق أفريقيا .

(هـ) اتجاه غربي يربطها ببلاد غرب إفريقيا .

(و) اتجاه جنوبي يصل إلى المنطقة الإستوائية .

وهكذا تميزت تلك المنطقة بموقع فريد التقت فيه خطوط القوافل التي تربط بين داخل القارة الإفريقيــة وبين مناطق شمال أفريقيا وحوض النيل وغيرها من الأماكن الأخرى فى القارة عن طريق الطرق السابقة الاتجاه الشمالي من مراكش إلى السنغال ثم إلى ثنية نهر النيجر حيث قامت تمبكتو ثم شرقاً إلى تشاد ، ومن تونس إلى كانو وتشــاد ، ومن طرابلس إلى فزان إلى كوار وميلحا ثم إلى منطقة بحيرة تشاد حيث مدينة كوكو والاتجاه الشرقي من مصر وهو المعروف بطريق القوافل إلى الغرب والسودان وليبيا ودارفور وتشاد وطريق درب الاربعين الذي يخرج من الغنايم باسيوط طريق الواحات وإلى السودان ثم إلى كردفان ودارفور وتشاد ثم بعد ذلك إلى النيجر .

الاتجاه الشرقي الذي يربطها بالسودان من تشاد إلى دارفور وكردفان وسنار وشاطىء البحر الأحمر ثم من السودان عبر هذا الطريق غرباً .

الاتجاه الجنوبي الشرقي : من شرق أفريقيـا إلى الشمال الغربي إلى منطقة البحيرات ثم شمالا إلى كردفان ودارفور وتشاد ولقد كانت تخرج من تشاد ثم دارفور طرق قوافل تجارية نحو النيل الابيض وعبر منطقة بحر الغزال الغربية إلى شرق أفريقيا وهضبة البحيرات والكونغو والصومال .

الاتجاه الغربي : وقد ارتبطت منطقة بحرة تشاد بالولايات والامبراطوريات التي قامت بغرب أفريقيا مثل إمارات الهوسا وسنغاي وبالي والتكرور وذلك عبر الطرق الصحراوية .

كذلك فإن الإتجاه الجنوبي إلى المنطقة الإستوائية فهو طريق لم تسلكه الهجرات العربية وانما جاءت منه هجرات وثنية زنجية هاجمت منطقة بحيرة تشاد (كانم وبرنو) في عهد السلطان علي بن عمر (١٦٤٥ ـ ١٦٨٤ م) .

وتلك الطرق الداخلية في القارة الافريقية هي التي ربطت منطقة بحيرة تشاد بالمناطق المختلفة في أنحاء القارة وتبلغ مساحة إقليم تشاد في الوقت الحاضر مايقرب من المليون ومائتين وثمانية وأربعين كيلامربعا ، أما مساحة المنطقة في العصور الوسطى فلم تكن معروفة بصورة واضحة بل كانت معرضة للإمتداد والإنحسار بسبب الحروب والغزوات الكثيرة وتمتد تلك المنطقة بين خط عرض ٢٢ إلى ١٦ درجة شمال خطا لاستواء وكما سبق فإن تلك المنطقة تعتبر منطقة ربط ربطت بين مختلف الأقاليم من القارة الأفريقية

الهجرات العربية ـ وحوض البحيرة :

ان الحديث عن الهجرات العربية قبل الفتح الإسلامي لمصر وكذلك انتشار القبائل العربية المهاجرة إلى أنحاء مختلفة من القارة الافريقية وربما وصولها إلى منطقة البحث الذي نقدمه للقارىء هنا قد يوقعنا في امور (انتريولوجية) نظراً لاختلاط الاجناس وانصهارها في تلك المنطقة من قديم الزمن ، ولكن الذي يمكن أن نتحدث عنه أنه منذ الأزمنة القديمة تقابلت حول شواطىء البحيرة شعوب من مختلف الأماكن واختلطت فيما بينها وذلك لأن هذه المنطقة الخصبة التي تدل على أن حوض البحيرة كان يمثل رقعة أوسع مما هي عليه الآن كانت تمثل مكاناً لجذب سكان الصحراء البدو الرعاة ومن هنا فقد استقرت جماعات من الفلاحين وأيضاً

جماعات من الأعراب الرعاة الذين يسقون ماشيتهم ويرعونها في الأرض الخصبة ، ويذكر لابيف Lebef الذي عمل عدة أبحاث حول القبائل التي تقطن حول بحيرة تشاد وكثير منها عن شعب الصور ولكنه يقول ويشاركه القول Meek ميك لقد كان لمجيء قبيلتي بني هلال وبني سليم إلى الشمال الافريقي والذين كانت غزواتهم في القرن الحادي عشر الميلادي وانتشارهم جنوبا سبباً في انتشار الدماء العربية وانتشار التعريب والتعرب .

كذلك فانه توجد أيضاً قبائل عربية مختلفة هاجرت من الجزيرة العربية إلى النوبة وطردت بعض القبائل الحامية والزنجية ثم استقرت في وادي النيل ثم انحدرت بعض هذه القبائل إلى الغرب ووجدت طريقها إلى تشاد ونيجريا ومعظم هذه الهجرات جاءت إلى شمال نيجريا ولقد كانت تشاد هي البوابة الكبري لدخول الاسلام إلى تلك المناطق ومن هذه القبائل العربية جهينه ، وتدعي جهينة انهم جاءوا من اليمن إلى مصر وانتقلوا إلى حوض وادي النيل الاوسط في أوائل القرن الثامن الميلادي وشقوا طريقهم نحو كردفان ومن ثم إلى حوض نهر شاري حول بحيرة تشاد وأهم هذه القبيلة السلامات وخزام وأولاد راشد والمسيرية ، والمحاوبيد ، والدكاكير ، وقد ساعد السلامات بكثرة عددهم ملوك البرنو في حروبهم ضد العدو كما عاونوا على تكوين البولالا ، وهم كثيرون في الوادي .

وأيضاً قبائل التنجور ويقولون : إنهم من قبائل بني هلال الذين غزوا مراكش في القرن الحادي عشر الميلادي ثم عادوا بعد ذلك الغزو إلى تونس ، حيث اتخذوا منها مستقراً لهم وخرجت جماعات في القرن

الخامس عشر إلى الوادي ودارفور وهناك احتمال بأن دخول هذه الجماعات كان من الغرب واستطاع هؤلاء التنجور الذين دخلوا إلى الوادي ودارفور فرض سيادتهم على الداجو، وهم من السكان الافريقيين ، ثم تنازع التنجور مع الكيرا حوالي القرن السابع عشر الميلادي على السلطة واستطاع الكيرا الوصول إلى الحكم وطرد التنجور بعد ذلك من الوادي ورحلوا إلى كانم حيث طردوا البولالا ثم دخلوا في نزاع مع أولاد سليمان وأدّوا الاتاوة .

ومن القبائل العربية التي استقرت حول بحيرة تشاد الكاتمبو والكانورى ويسكن الكاتمبو في المنطقة الواقعة شمال شرق بحيرة تشاد وهم سكان المدن في كانم وقد اختلطوا بالتيرا والعرب الذين جاءوا في القرن الحادي عشر إلى تلك المنطقة وقد جاء هؤلاء العرب عبر الشستى والبرقو وجاءت في ركاب هذه الجماعات العربية بعض قبائل التبرا وهم البراداوة والتحفرة والكيام وسكنت المجموعات الثلاث أرض الكانم وأما الأُسرة الارستقراطية التي سيطرت على منطقة بحيرة تشاد فانهم يطلقون على أنفسهم بني سيف ويدعون نسبا حميريا يصلهم بسيف ابن ذي يزن .

(للبحث صلة)

عبد الفتاح مقلد الغنيمي
جامعة الملك عبد العزيز – مكة المكرمة

آخر حلقة كتبتها عن قبائل بيشة وقراها في مجلة « العرب » – في الجزء الثاني للسنة السابعة في شعبان ١٣٩٢هـ عن قبيلة بني مُنَبّه من قبائل شهران ، في أعالي وادي بيشة – ثم توقفت عن الكتابة كل هذه السنوات لأسباب عدة منها كثرة الأعمال ، ومنها مواصلتي للدراسة العليا بجامعة الأزهر كلية الشريعة والقانون – واليوم أعود للكتابة فيما أشرت إليه ونسأل الله التوفيق والسداد : وحديثي هذه المرة عن وادي هِرْجَاب وسكانه وقراه ، وهو الوادي الثالث من روافد وادي بيشة الأم الكبار : الأول تَرْج والثاني تَبالة ، وقد تحدثت عنهما فيما سبق – قال عنه الهمداني في كتابه النفيس « صفة جزيرة العرب » : وهِرْجَابُ ، موضع سوى هرجاب رداع .

قلت : ورداع مدينة في اليمن مشهورة قيل : إنها تقع شرقي مدينة ذمار الواقعة جنوبا عن صنعاء قال الهمداني : وقد يوجد فيه – يعني هرجابنا – شيء من الذهب وهو واد فيه نخيل وآبار .

وقال ياقوت الحموي في « معجم البلدان » : هرجاب بالكسر ثم السكون – والجيم وآخره باء موحدة وهو العظيم الضخم من كل شيء : موضع في قول عامر بن الطفيل يرثي أباه :

ألا إنَّ خير الناسِ رَسْلًا ونَجْدَةً ... بِهِرْجَابَ لَمْ تُحْبَسْ عليه الركائب

وسكان وادي هرجاب وضواحيه يقال لهم بنو واهب ، وهم من

شهران ومن أكبر القبائل الشهرانية وهم مشهورون بالكرم والشجاعة والإقدام .

ويبدأ هرجاب من وادي أنط ، مخترقا السهول والجبال ، حتى يلتقي بوادي بيشة عند قرية الحَيْفة الواقعة على الضفة الشرقية لوادي بيشة ، والتي سبق أن تحدثت عنها فهو يسقي نخيلها ، وما زاد منه يجري إلى وادي بيشة من طرف القاع من الجهة الجنوبية .

أما الموارد الواقعة فيه فأولها الحفائر . وهي عبارة عن فضايا في وسط الوادي ، وهي كثيرة المشاكل ، فكثيرا ما يتنازع عليها قبيلة بني مُنبِّه ، وقبيلة بني واهب ، ثم بئر دَنَن بفتح الدال وبعدها نونان ـ وهي تقع على حرف الوادي من الجهة الجنوبية ، وعلى طريق السائر من بيشة إلى خَميس مُشَيط مطويّةٌ بالحجر ، وماؤها غزير ، ويرد إليها جميع المحيطين بها من البادية ، ويقال : إنها لقبيلة آل بالقرب ، وتسكن قبيلة بني واهب المتحضرة على ضفتي الوادي كل فخذ منهما في جهة منه يسمى حرفا .

ونبدأ من أسفل الوادي مصعدين إلى آخر قرية فيه فأوله حرف آل بالقرب ، ويسمى الحرف الذي يسكنون فيه هجرة آل بالقرب ، لأن أصلهم من الدواسر ، وقد هاجروا إلى هذا المكان منذ زمن بعيد ، وأعتقد أن هجرتهم كانت في أواخر القرن الثالث عشر وازدادوا بعد بزوغ العهد السعودي الزاهر ولهم ستة عشر قرية على جانبي الوادي ، ومعظم هذه القرى لا تزيد عن البيتين أو الثلاثة ، ولكنهم يسمونها قريةً ، وكذلك قرى وادي هرجاب الباقية ، فالتي تقع على ضفة الوادي الشرقية من قرى آل بالقرب هي :

(١) قرية ابن هشال (٢) قرية حرقان بن عبد الله

(٣) قرية علي بن حويله (٤) قرية آل ردعَان

(٥) قرية آل سفران (٦) قرية آل شجعان (٧) قرية ابن سبعان

(٨) قرية آل حاصله (٩) قرية مجحم (١٠) قرية الحلسة .

وعلى الضفة الغربية : ـ ١ ـ قرية آل باني ـ ٢ ـ قرية آل غانم ـ ٣ ـ قرية آل هندي ـ وهذه القرى متقابلة يفصل بينها الوادي ، وفي الحقيقة أنها لا تُعَد كل واحدة منها قرية بالمعنى الصحيح

ويقدر عدد سكان هذه القرى وما يتبعها من بادية بحوالي ثمانمائة نسمة مابين ذكر وأنثى ، وتقع بساتين النخيل وأشجار الفاكهة على ضفتي الوادي ومعظم هذه البساتين حديثة . وقد توسع المواطنون في غرسها وتشجيرها بعد أن مَنّ الله عليهم بالالآت الرافعة للماء .

ويلي هذه القرى : حرف آل عموده ، وفيه عدد من البيوت ويقع هذا الحرف على عدوة وادي هرجاب من الجهة الغربية . وبجوار الوادي هضبة من الصخر من الجهة الشرقية ، ويصلح أن يكون في المكان سدًّا وفي أعلاه . قريب من جبل الضور ، الذي سوف نتحدث عنه فيما بعد ان شاء الله .

ويقدر سكان هذا الحرف بحوالى مائة نفر .

ثم يلي هذا الحرف قرية سابة [١] : وهي تقع على حرف الوادي من الجهة الشرقية . وقد سميت هذه القرية : باسم واد صغير من روافد وادي هِرجاب يأتي إليه من الجهة الغربية ويقدر سكانها من خمسين إلى مائة .

(١) حبذا لو ضبطت الأسماء بالحرف مع الشكل الكامل (العرب)

رئيس مجمع اللغة العربية

يشيد بالمعجم الجغرافي للبلاد العربية

تلقى رئيس تحرير هذه المجلة هذا الكتاب من معالي الأستاذ الجليل الدكتور ابراهيم بيومي مدكور، رئيس «مجمع اللغة العربية».

بسم الله الرحمن الرحيم

مجمع اللغة العربية
٢٦ ش الدكتور طه حسين بالزمالك

مكتب الرئيس

صادر ٨٩٧٢٦٤

السيد الزميل الأستاذ حمد الجاسر

تحية طيبة ... وبعد

فقد سعدت بتلقي نسختين من مؤلفكم القيم (المعجم الجغرافي للبلاد السعودية) (المقدمة: القسم الأول، وشمال المملكة: ١، ٢) وهو عمل جليل، جدير بالتنويه والإشادة، وحبذا أن يقتدي به علماؤنا في سائر البلاد العربية.

واني إذ أشكركم أخلص الشكر - باسم مجلس المجمع واسمي - يسعدني أن أخبركم بأن نسخة منه قد أودعت بمكتبة المجمع، لتكون بين أيدي الباحثين.

وتقبلوا عظيم التقدير والاحترام

رئيس المجمع
[توقيع]
د. ابراهيم مدكور

العنوان
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف ٢٢٩٦٥٥
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب

مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
٢٥ ريالاً للأفراد و٧٥ ريالاً لغير الأفراد
الرسميات، يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ٦ ريالات

ج٥و٦ س١٣ - ذو القعدة والحجة ١٣٩٨هـ (تشرين ٢ وك١ نوفمبر / ديسمبر ١٩٧٨م)

مِنْ ذِكرَيَاتِ الرّحلاتِ

— ١ —

التغيير في جميع الأشياء من نواميس هذه الحياة ، وكما قيل : لا يُصْلِح النفسَ إلا التغَيُّر من حالٍ إلى حال ، فالقارىء - أيُّ قارىء كان - يسأمُ ويدركه الملل إذا سار في قراءته على نمط واحد ، وأخذ نفسه بقراءة موضوعات معينة ، والكتابة الجادَّةُ تَمَلُّهَا النُّفوس ، والترويح عن النفس يكسبها ارتياحاً ويجدد نشاطها .

وإذَنْ فلنأخذ القارىء هذه المرة بهذا المنهج ، ولْنَسْتَوْحِ من الذاكرة بعض ما اختزنته مما قد يحس به القارىء شيئاً من التغيير ، وإن لم يجد فيه ما يتوقع من إمتاع وفائدة .

لقد قمت برحلات كثيرة داخل بلادنا وخارجها ، وتحدثت عن بعض تلك الرحلات المتعلقة بالبلاد الخارجية في صحيفة «اليمامة» عندما كنت أُصدرها جريدة ، أما الرحلات في داخل البلاد فلا أذكر أنني سجلت شيئاً منها . وإن كان كثير منها جديراً أن يسجل بعض ما شاهدته خلالها .

لعل أولى رحلة قمت بها من البلدة التي ولدت ونشأت وعشت فيها

كانت إلى مدينة الرياض ، وكانت عام ١٣٤١ وكان الدافع إليها أمراً غريباً في حدّ ذاته ، لا بالنسبة إليّ بل بالنسبة إلى أبي الذي أخذني معه في هذه الرحلة بدون أن يكون لي أيّ رَأْيٍ حِيَالَها ، ولم يكن يوماً من الأيام – فيما أعتقد – يُفكِّرُ فيها .

كان أبي رحمه الله فلاحاً ، والفلاحة في ذلك العهد من أشق وسائل المعيشة وأنكدها ، وخاصة في الإقليم الذي كنا نعيش فيه ،وهو إقليم (السِّرّ) فقد كانت المياه فيه ضعيفة ، وكان فلاحوه ضعفاء لا تجد من بينهم من كان يستطيع أن يهيء جميع وسائل الفلاحة بدون أن يستدين ، ولهذا كان جلُّ فلاّحي قريتنا بل كلهم مدينيين ، قد أثقل الدين كواهلهم بعد آبائهم وأجدادهم ، وكان الواحد منهم إذا حان وقت الزراعة يأتي إلى أحد تجار إقليم (الْوَشْم) فيطلب منه مبلغاً من النقود ، يكفي لشراء ما يلزم للفلاحة مع ما يحتاج إليه من نفقة أثناء الفصل الزراعي ، وطريقة الاستدانة تدعى عندهم ((الْكَتْب) بالكاف المفتوحة والمثناة الفوقية الساكنة والباء الموحدة ، وهو ما يعرف عند الفقهاء باسم (السَّلَم) يأخذ النقود وفي بعض الأحيان يأخذ عنها عرضاً يبيعه بنقود ، ويعوِّض التاجر عن تلك النقود غالباً بأكثر من غلة زراعته في ذلك الفصل ، والتاجر يدرك أنَّ هذا الفلاح لا مناص له من الإستدانة منه ، فقد رهن عقاره إذا كان له عقاراً منذ زمن ، وقد يكون من عهد أبيه ، وهو يعرف أن الحاجة تضطره إلى الاستدانة ، فهو يريد إبقاءه دائماً تحت قبضته ، فيدفع له مثلا مئة ريالٍ على أساس أن يستعيض عنها عند حلول الثمرة خمس مئة صاع ، أي خمسة آصُعٍ عن الريال ، وهو يدرك أن غَلَّتَهُ في الغالب لن تبلغ هذا القدر ،

ولكنه رابح في جميع الحالات ، والفلاّح يدرك هذا ، ولكنه مضطر لكي يعيش ويُعيِّش أسرته .

لا أطيل ، فلقد كان أبي ممن أثقل كاهلَهُ الدَّيْنُ ، وكذا أبوه قبله ، وكثيراً ما ينتاب الفلاحة من الآفات ما يقضي عليها كالجراد أو الدّبَا أو البَرَد ـ بفتح الراء ـ فتتراكم الديون ، وتشتد الحاجة ، ولا رحمة لدى التاجر الذي قد يقوم ببيع جميع ما يملك الفلاح من عقار وغيره ، فيما لو أصيب زرعه بجائحة ، أو أحسَّ منه رغبة في التعامل مع غيره .

انتابت أبي نوبة من تلك النوبات التي فقد فيها كل ما يملك من وسائل الفلاحة ، وفقد ثقة التاجر الذي يحتاج إلى الإستدانة منه فذهب أكبر إخوتي ويدعى جاسِرا إلى جهات الأحساء للعمل في البحر طلباً للمعيشة ، وعمل البحر إذ ذاك هو (الغَوْص) وكان أخي في ذهابه مراغما لأبي الذي كان متشبثاً بمهنة الفلاحة ، وكان أخي هو الساعد القويُّ لأبي ويعاونه أخي الأصغر في أعمال الفلاحة .

أما أنا فقد عشت في أول حياتي عليلا ، فلم أحسن المشي إلا في السنة الرابعة من عمري وقد أخبرتني أختي ـ أمتعها الله بالصحة والعافية ـ بأنه حفر لي أربعة قبور ، أي إن اليأس من حياتي اعترى أهلي أربع مرات بحيث كانوا يحفرون القبر لي ، ولكن يدفن فيه غيري .

ولما رأى أبي عدم جدواي في المشاركة في أعمالهم أرسلني للتعلم في (كُتَّاب) في قرية تدعى (حَزْمِيَّة) عند قريبة لي متزوجة في تلك القرية ، أبي خالها . وكُنَّا ندعو (الكتاب) مدرسةً ، والمدرس مُطَوِّعاً ، وهو رجل فاضلٌ ، من أهل قرية العيون ، يدعى عبدالله بن ابراهيم ، وقد حفظت عليه القرآن نظراً ـ بَعْدَ في الكلام عن الموضوع .

كانت القرية التي تقع فيها المدرسة ، ليست بعيدة عن هِجْرَة (ساجر) وسكان هذه الهجرة في ذلك العهد من أشد الإخوان تمسكا بأمور الدين ، وحرصاً على التقيد بجميع ما يتلقونه من العلماء من أوامره ، وكان ذلك في أول ابتداء اشتداد حركة الإخوان ، وكان من بين تلاميذ المدرسة رجلٌ من أهل تلك الهجرة ، يدعى مشعان ابن قشعان ، وأخوه من مشاهير الإخوان المعروفين ، وكنت أذكر أن مشعان هذا وكان لم يتجاوز بعد حفظ حروف الهجاء ، فكان يردد كلمات : (أَنْصَاب ، إِيْ خَفَاض ، أَرْفَاع ، أَجْزَمْ) أي ألف فوقها فتحة منصوبة ؛ وألف تحتها كسرة إلى آخره . وكان يكررها بنغمة رافعاً صوته ، وكذا كان معلمونا في ذلك الوقت يعلموننا ، وفي أثناء ذلك دخل مع باب القرية - وكان مقابلا لباب المدرسة - دخل رجل جَمَّال ، يسير خلف جمله ، وكان يدعى عبد العزيز القُوَيْز ، يتجول بين القرى ليبيع فيها ما يُحْضِره من إحدى المدن القريبة ، مما يحتاجه أهل القرى . من طعام وغيره ، فلما حاذى باب المدرسة أومأ بيده ، مشيراً بالسلام ، فرد عليه من رآه ، ومن بينهم مشعان ، ثم تجاوز المدرسة إلى سوق القرية غير بعيد ، ولكن مشعان نَهض بسرعة ولحق بالرجل ، وأتى به حتى أوقفه عند باب المدرسة ، وقال له - وقد لفت نظر التلاميذ بفعله - : (وَانْ انت جايٍ منه [1] ؟ فقال : من الدّوادمي ، فقال مشعان : (نعيذ بالله منكْ أنت سَفَرى ، ردَّ علينا سلامنا [2]) فقال : كيف أرده ؟ قال : قل سلامكم مردود عليكم ، فلما قالها تركه

---

(١) اى : (من أين أنت آت) .

(٢) أى نعوذ بالله منك فأنت ممن يسافر إلى بلاد الكفار ، ومن كان بهذه الصفة فيجب هجره وعدم السلام عليه .

عفي ، وكان من آثار حركة الإخوان في ذلك الوقت أنّ كبار الطلاب قد لبسوا فوق رؤوسهم عمائم بيضا ، وكانت عمامتي إذ ذاك ستة أذرع، ولكننا ما كنا نلبسها في الغالب إلا عند الذهاب إلى هنجرة ساجر لصلاة الجمعة ، ولك أن تتخيل صورة طفل قصير ، قد أدار فوق رأسه قطعة طويلة من القماش .

كان عندما ينتاب المرء أَحَدُ الأمراض التي لا يكون لجسمه فيها أثر بارز ، فأول ما يتبادر إلى أهله اعتقادهم أنه (منضول) والنضل عندهم الإصابة بالعين ، وفاعله(نَضُولٌ) .

وكنت أعيش في تلك القرية[1] بعيداً عن أهلي ، وكان الغذاء الذي أتناوله ليس جيداً ، وكذا الأغذية في جميع القرى في تلك الأزمان ، وما كانت بُنْيَةُ جسمي على درجة محمودة من النشاط والصحة ، ولهذا كنت أعيش بين التلاميذ خاملاً منفرداً ، لا أشاركهم في لهواتهم وأوقات لعبهم ، ولكنني عرفت من بينهم صبيًّا كان يُشَابِهُني في الضعف والخمول ، يدعى ابراهيم ، ووالده عبد الرحمن بن فُلَيِّح ، وأمه بدوية تدعى (شْرَيِّدة) فحصل بيني وبين هذا الصبي ألفة متلازمة .

وفي مساء يوم من الأيام ، ذهبت معه إلى بيته مع إخوانه ، وكانوا كثيرين ، ولكنهم ليسوا أشقاء ، وكُنَّا حديثي عَهْدٍ بعيد الأضحى ، والناس في هذا العيد تكثر عندهم لحوم الأضاحي ، فما زاد عن آكلهم

(١) قرية حزمية ، وقد درست الآن ، وكانت إحدى قرى ثلاث ؛ شمالية تدعى قرية (سناد) والوسطى حزمية والجنوبية سهلة ، ويطلق عليهن كلهن اسم (سنادات) في الشمال الشرقي من قرية البرود .

قدَّدوه أي جعلوه شرائح دقيقة ووضعوا فوقها الملح ، ونشروه فوق الحبال حتى يجف ، وهم يسمونه (القُفْر) والشريحة قُفْرَة ، فلما دخلنا البيت رأينا (القُفْر) في أحد حجره ، فسارعنا للأكل منه مما عُلِّقَ على الحبال ، ولكن ابراهيم وجد قطعة ساقطة على الأرض فأكلها ، وسرعانَ ما ذَرَعه القيْءُ واستمرَّ به بحيث انطرح على الأرض فأحاط به أهله حتى صار يَقِيءُ دَمًا ، وكان الوقت قبل الغروب . وبعد صلاة العشاء صُلِّيَ عليه ميّتاً ، فأُصبت بتأثر شديد بحيث أنني في صبيحة اليوم الثاني لم أستطع أن أقرأ درسي ، فأتى إليَّ أبي لما علم بما أصابني من التأثر وهو لا يعرف سببه ، ولكن أحدهم قال له : إن ابنك (منضول) وأن (عَدَيْه) وهو رجل معروف — قد نضله ، فقد رآه قبل أيام يقرأ فقال : (كأنه دِيك يلقط حبًّا) .

عاد بي أبي إلى القرية ، وتركت المدرسة بعد ذلك .

في صبيحة يوم من أيام الشتاء أتى إلى أبي قبل طلوع الشمس رجل همس في أذنه بكلام لا أدري ما هو ، وكل ما أذكر أن أبي أرسَلَ إلى الناقة التي هي كل ما أبقى له دين الفلاحة مما علك ، وكانت في المرعى ، فأُحضرت ، وكنت في ذلك اليوم عند أهلي في قريتنا (شَرْقَة) فقال لي أبي : سأذهب بك إلى الرياض لتطلب العلم . ولم أرتح للخبر لأنني لا أزال أحسُّ بالألفة القوية التي تربطني بالقرية التي عشت فيها .

وكانت الرحلة في اليوم الثاني في صَباحه ، وفي المساء كان الوصول إلى بلدة شَقْراء ، واستضافة رجل طيب الذكرى ، يدعى عبد العزيز ابن يوسف بن عمار كان تاجراً وكان ذا صلة بجدِّي لأمي علي بن عبدالله بن سالم إمام قرية البرود .

وفى الصباح كان السفر من بلدة شقراء ، ثم المرور بقرية غسلة إحدى قريتي (القراين) مع قصر المسافة بين هذه القرية وبين بلدة شقراء ، وهنا تتضح غرابة بواعث الرحلة بالنسبة لابي .

كان الرجل الذي همس في أذنه قد قال له : إن ابنك جاسرا مريض في مدينة الرياض ، وأن سبب مرضه إصابته بالعين . أما عَيْنُ مَنْ تلك التي أصابته فهنا تبدو الغرابة ؟ .. انه خاله شقيق أمه الذي كان يعمل معه حينا كانا يعملان في إحدى قرى الساحل الشرقي بعد فشلهما في العمل في (الغوص) ومن هنا كان التعريج على هذه القرية والنزول في ضيافة خالي جزءا من الوقت ، تمكن أبي في خلاله من أخذ شيء ذي صلة بالعائن على مازعموا لكي يداوى به من أصابته العين[1] . هذا هو سبب هذه الرحلة بالنسبة لأبي ، وكما قيل: (رُبَّ ضَارَّة نافعة) فقد كانت بالنسبة لى رحلَةً نافعةً .

لم تختزن الذاكرةُ من ذِكْرَيَاتِ هذه الرحلة سوى الوصول إلى بلدة ثَرْمَدَاء بين العشائين والنزول عند باب بيت أميرها ، عبد الرحمن بن ناصر العنقري ، فكان من أثر استقباله بوجهه الطلق البشوش ما جعلني أتذكر حين ذكره قول الشاعر :

بَشَاشَةُ وَجْهِ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنَ الْقِرَى

وقول آخـر :

وَمَا الْخِصْبُ لِلأَضْيَافِ أَنْ يُكْثَرَ الْقِرَى
وَلَـكِنَّما وَجْـهُ الـكريم خصيب

لا أزال أذكر كلمة أبي : (،، الأمير من إكرام الضيف إكرام

(١) وذلك مما يلامس جلده ، وقد يكون من أوساخه ، ويشترط أن لا يعرف العائن بما أخذ منه .

راحلته) فنادى بأعلى صوته : (ياناصر ياناصر : حطوا لناقة ضيفنا علف وكثروا) :

لقد كان كريماً طلق المحيا بشوشا .

ثم كان الوصول إلى مدينة الرياض ، وعودة أبي مع أخي منها وبقائي فيها .

أما مرض أخي فقدكان من أثر الحُمَّى (الملاريا) التي كثيراً ما تصيب أهل تلك السواحل ، ولهذا لم يُجْدِ في علاجه ما أخذه أبي معه .

أبقاني أبي عند قريب له في الرياض من الطلبة ، كفيف البصر يدعى عبد العزيز بن فايز ، من آل فايز أهل (الفرعة) وهم أخوال أبي ، وكان لمن يفد إلى الرياض لطلب العلم إعانة تقارب الكفاية من تمر وأرز ، وقد يساعد بكسوة في بعض المناسبات .

كانت هذه الرحلة من بواعث الرحلة التي سأذكرها فيما بعد ، فقد نلت طرفا من المعرفة ، فقرأت المختصرات المؤلفة في الدين (وغَيَّبْتُ) قدراً كبيراً من القرآن الكريم ، ثم توفى الرجل الذي أقمت عنده ، فعدت إلى أبي وكان طريح المرض ، مرضه الذى مات منه عند أختي في بلدة (الفرعة) ولكن لم أقم في هذه البلدة فقد رأى أبي أن أذهب إلى جدي لأُمِّي في قرية (البرود) ليتولَّى إعالتي ولكن سرعان ما أتى أخي الكبير وكان (يَحْترف) في بُرَيْدة ، وأخذني معه في رحلة إلى تلك البلدة .

أدخلني أخي في مدرسة لمعلم يدعى (الصقعبي) يعلم القراءة في الصباح ، وبعد العصر يعلم الكتابة ، ومدرسته في الصباح ليست

واسعة ، ولكن طلابه قليلون ، وكلهم ممن أجاد مبادىء القراءة والكتابة ، وأتى ليستزيد من حفظ القرآن ، وإجادة الخط .

كان له دكانان واسعان اتخذهما مدرسة في المساء — من صلاة العصر حتى أذان المغرب ، يقعان على الجانب الشمالي من السوق العامّ ، على مقربة من (الْجَرَدَة) وكان الطلاب الذين يقوم بتعليمهم في هذين الدكانين من كبار السن ، وكانت طريقته أن يكتب للطالب سطراً أو سطوراً قليلة ، في أعلى الورقة ، ويطلب منه محاكاة ما كتب حتى يملأ الورقة ، وقد يعطيه ورقة تحوى قطعة من الشعر في الحكم أو في الوعظ ، وقد يكلف بعض المتقدمين فى الكتابة بتوجيه من دونهم فيها بالكتابة ، فكنت أذكر من بين هؤلاء طالباً ذا خط حسن يدعى (العِظَامي) وكنت أذكر مما كان يكلف الطلاب بكتابته هذه الجمل[1] : (قدوة الأماجد ، وعمدة الأعيان ، ذوو العز والقدر والشأن ، أعني بذلك فلان ابن فلان) .

وقصيدة ليمني يدعى (الوعيظي) منها :

وللبنين حقوقا (؟) لا تضيّعها ... خال كريم ، واسم غير منكتم ؟
وخصّهم بأديب عاقل فهم ... فأفضل العلم علم اللوح والقلم
من لم يَخُطَّ ولم يقرأ رسالته ... قَدِمْ له بقرأ يرعاها أو غنم (؟)

ومنها :

ليت العجائز في حبل معلقة ... نحو الثُّريا وذاك الحبل ينصرم(؟)

ومن ذلك قصيدة لا تقل عن الأولى ركاكة وضعفا أولها :

ليس الغريبُ غريبَ الشام واليمن ... إن الغريب غريبُ اللحد والكفن

(١) نعتذر للقارئ الكريم فى ايراد هذه النماذج من النظم الساقط المعنى والمبنى إذ المقصود إيضاح مستوى التفكير فى ذلك العهد ، فى محيط مدرسى الكتاتيب .

لا تنهرن غريباً طال غربته ... والدهر ينهره بالذل والمحن

سفري بعيد وزادي لا يبلغني ... وقسمتي لم تزل والموت يطلبني

إلى أمثال هذه المقطوعات الركيكة ، ولكنها مع ذلك لم تكن تخلو من فائدة ، وكان هذا المدرس يكلف المتقدمين من الطلاب بكتابة «دعاء ختم القرآن الكريم» لابن تيمية ، أو دعاء الوتر ، ويقدم ما كتبوا لبعض أئمة المساجد ، ويأمر الكاتب بأن يذكر اسمه في آخر ما كتب ويضع التاريخ .

ومما لاحظت على هذا المدرس تَأَنُّقَه في حسن مظهره ، بحيث أنني لم أره يوماً إلا ولباسه نظيف ، وكله أبيض ، العباءة والثوب وغيرهما ، وحذاؤه نظيف ، ويحمل دائماً معه عصا دقيقة طويلة من الشوحط (مِنْبَر) وكان يعامل طلبته أحسن معاملة بحيث أنني لا أذكر أنه أهان طالباً أو رفع صوته عليه .

وكنت أصلي الفجر مع أخي في الجامع ونبقى بالقرب من حلقة الشيخ عبدالله بن سليم ، وكان طلابه قليلين ، يتماربون العشرة ، ومما لاحظت سقوط الكلفة بينهم وبينه بخلاف ما شاهدته في مدينة الرياض ، ومن أغرب ما لفت نظري من ذلك أن الشيخ بعد انتهاء الدرس يمد رجليه بين الطلبة ، وقد لا يستنكف بعضهم من (تكبيسهما) .

وكنت أذكر قارئاً كفيف البصر ، يجلس للطلبة فوق سطح المسجد الجامع ، فيقرأون عليه القرآن غَيْباً ، وكنت إذ ذاك قد حفظت سوراً كثيرة ، فأردت أن أقرأ على ذلك الرجل ويدعى (العبَادي) ولكنني عندما بدأت في القراءة تلعثمت فقال لي : (كفاية ، كفاية) خجلت وانصرفت .

عدت إلى قرية (البرود) مع أخي ، وبقيت فيها أعلم صبيانها . وما كنت على درجة من المعرفة تؤهلني لذلك ، وكنت أساعد جَدّي لأُمي ، فأقرأ عليه خطبة الجمعة ، وبعض ما يحتاج إلى حفظه ليعظ به الجماعة ، وأقرأ بعد صلاة العصر في أحد كتب الوعظ في المسجد ، ولم تطل بي الإقامة حتى أخذني أخي إلى مدينة الرياض ، وهي الرحلة الثانية ، وكان ذلك في سنة ١٣٤٥ ، وقد توسط بأحد الطلبة من إخواننا الصنعانيين ، ويدعى محمد جابر حتى تهيأ لي سكنٌ في (بيت الإخوان) وكان يقع بقرب مسجد دخنة ، وهو مسجد الشيخ محمد ابن ابراهيم فشرعت في طلب العلم ، وصرت أتردد على حلق المشايخ ، الشيخ محمد ، والشيخ سعد بن عَتِيق ، وكان يؤم الناس في المسجد الجامع ، ويجلس للطلبة فيه ، وكان قاضي الرياض للبادية ، والشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ وكان يجلس للطلبة أيضاً في المسجد الذي عرف به ، وكان قاضي الرياض للحاضرة ، وكان من المشايخ الذين كنت أقرأ عليهم ، وقد كنت دؤوباً في عملي ، حريصاً على المطالعة . ومن كنت أتلقى عليه العلم شيخ جليل هو الشيخ محمد ابن عيَّاف ، وكان كفيف البصر ، يؤم المصلين في مسجد خالد ، ويجلس فيه للتعليم ، وكان على درجة كبيرة من التواضع واللطف مع طلابه . وفي زمن غير طويل أصبحت أُعَدُّ من بين الطلبة المعروفين .

في سنة ١٣٤٦ كانت حركة (الإخوان) في عنفوان قوتها ، فطلبوا من الإمام عبد العزيز أن يبعث إلى البادية مرشدين يعلمونهم أُمور دينهم ، فكان أن بُعثت إلى فريق من أبناء البادية يدعون الْحَوَامَى ، وأحدهم حُويماني ، من النَّفَعَةِ من برقا من عُتَيبَة ، وأميرهم يدعى نافل ابن بادي الحُويماني . كان هؤلاء بدواً متنقلين في البلاد التي تصلح

لإبلهم ، وكانوا أصحاب إبل ، وكانوا حينما وصلت إليهم يَحُلُّونَ غرب (صفراء السِّرِّ) ولكنهم ما لبثوا متنقلين في جهات السِّر وما حوله ، في النُّفُوْدِ ، ثم في المَرُّوْتِ ، ثم في نُفَودي الملحاء ، والبتراء ، ثم في المُسْتَوِي ، ومكثت معهم بضعة شهور ، وكانوا يكرمونني ، ويعتنون بِي خير عناية ، ويفضلونني في مأكلهم ومشربهم ، وكان الفصل ربيعاً ، والأرض مخصبة ، والطعام يكاد يكون مقصوراً على اللبن والتمر ، وقد يوجد اللحم إذا حَلَّ ضَيْفٌ على أحدهم ، فيشترك القوم في الطعام .

ومن طريف ما جرى في هذه الرحلة أن من هؤلاء القوم شاب يدعى (مصلح بن خلف) مصاب بمرض يُعْتَقَد أنه مِنْ مَسِّ الجنِّ ، فلما وصلت إليهم طلبوا مني أن أقرأ على هذا المريض ، لكي أُخْرِج الْجنية التي لاطفته ، والملاطف هو من أصابه الجن ، وكان الشاب في عنفوان قوته ، ونشاطه ، ولكنه كان مُكَبَّلاً بالحديد في يديه ورجليه ، وعند القراءة يمسكه أحد الرجال ، وكان قلبي يَرْجُفُ وأنا أُرَدِّد بعض الآيات القرآنية ، وأَنْفُث عليه ، وكان يحاول أن يقَرِّبَ فمه مِني لِيَعَضَّ أنفي عندما انحنى للنفث على وجهه ، ويخاطبني بكلمات الوعيد والتهديد ، غير أن قراءتي لم تُجْدِ معه شيئاً ، فذهب به أهله إلى (مُطَوِّعٍ) ذُكر لهم في إحدى قرى سُدَيْر يدعى (ابن زكري) وفي هذه الأثناء وكان الفريق حالاً في نفود الملحاء ، ومن عادتي أن أنام في (ربعة البيت) وهي قسم منه مخصص للضيف ، وكانت العادة أن البنادق تعلق في (واسط البيت) ـ وهو العمود الأوسط منه ، وفي إحدي الليالي تأخر الوُرَّادُ الذين ذهبوا لإحضار ماء الشرب ، حتى

مضى هزيع من الليل ، وكنت خارج البيت ، فتمددت فوق الرمل ، غير بعيد عن البيوت ، وطاب لي النوم فنمت ، فلم أشعر إلا بلدغة شديدة في شحمة أذني اليمنى ، أيقظتني من النوم ، فنظرت حولي فاذا عقرب سوداء قد لسعتني ، أبصرتها تدخل في جوف شجرة من الأرطى ، فلم أقدر على قتلها ، فبقيت سهران ، وكان الليل مُقْمِراً ، فما شعرت وأنا على تلك الحالة إلا برجل يقبل على البيوت غير بعيد مني ، وهو عريان ، فذهب ودخل في البيت الذي كنت أنزل فيه ، وأخذ إحدى البنادق المعلقة في (الواسط) وصار ينادي اسم صاحبة البيت : يا أم غازى ، يا أم غازى ، وان الحضري اللي عندكم ؟[1]
فما كدت أسمع هذا حتى أسرعت إلى بيت المؤذن وكان قريباً مني ويدعى (بجَاداً) فصرخت به فاستيقظ مذعوراً فأخبرته بأن(مصلحا) يبحث عني ليقتلني ، فقام وأقام من حوله ، واحتالوا حتى أمسكوا الرجل وكتبت لي النجاة من القتل بسبب لسعة عقرب .

وقد رَجَعْتُ من البَدْوِ ، بعد بضعة شهور إلى الرياض ، فواصلت القراءة على مشايخي ، فأسْنَدَ إلى الشيخ محمد بن ابراهيم أنا وطالب علم من أهل بلدة (مراة) يدعى عبد الرحمن بن دُعَيْج ، القيام بتعليم أمور الدين في مسجد القصر - قصر الحكم في ذلك العهد - وقد هَيَّأَ لي هذا العمل معرفة بعض سيدات مَنْ كنا نُعلمهم من صغار الموالي (ويسمونهم العبيد) فكنت أنال تقديراً وإكراماً في المأكل والملبس ، وكنت أقوم في بعض الأحيان بكتابة رسائل تلك السيدة ، فأنا لا أزال صغير السن ، ولا حرج من دخولي على النساء .

---
(1) وان : بلهجة البادية : وين - بلهجة الحضر ، أي (أين الحضرى ؟)

وأذكر أنني في تلك الأيام قلت قصيدة أهنّئ الإمام عبد العزيز برقعة (السّبلَة) التي حدثت في ٢٠ شوال سنة ١٣٤٨ ، ، وقد كوفئت على تلك القصيدة التي أخجل عندما يخطر ببالي مطلعها ، ومع ذلك فقد نالت استحسانا ، بحيث أن زملائي من الطلاب صاروا يتناسخونها ويثنون عليها ، بل نُقِل إلي أن أحد مشايخي أثنى عليها بعد أن قُرِئَتْ عليه .

وفي صبيحة يوم من الأيام ، جاءني رسول من الشيخ محمد ، وكان هذا بعد وقعة السبلة بزمن قصير ، فقال : يسلم عليك الشيخ ويقول لك : تَهَيَّأْ للسفر مع الأمير إبراهيم بن عرفج ، الذي سيذهب رئيساً لسرية إلى إحدى الجهات .

كنت مرتاحاً في عملي ، لا أريد له بديلا ، فساءني هذا الأمر ، فأسرعت إلى السيدة التي كنت أتولى تعليم بعض مواليها ، وذلك بعد انتهاء وقت الدراسة في الصباح . فلما أخبرتها ، أرسلت إلى مؤذن مسجد القصر ، وكان رجلا فاضلا ، قصير البنية ، جهوري الصوت ، يدعى (مشعان) فلما حضر ، قالت له ما معناه : إذهب إلى الإمام ، وستجده في البيت الفلاني ، وأخبره أن الشيخ محمدا يريد أن يرسل (المطَوّع) الذي عندنا في القصر ، ونحن نريده أن يبقى عندنا ، فقال : سيأتي الإمام للصلاة ، فأُخبره ، فقالت : لا إذهب الآن ، وأخبرني بالجواب ، فذهب ولم يغب طويلا ، وعاد ليقول : إن الإمام أمره بأن يذهب إلى الشيخ محمد ليبعث (مُطَوَّعًا) آخر ، فكان ذلك وكان المبعوث يدعى سعيداً القحطاني .

سارت السرية بقيادة إبراهيم بن عرفج ، فهاجمها اللويش الإبن ، فوق منهل (القاعية) فكانت وقعة القاعية المعروفة المشؤومة ، وكان الشريدة ابن عرفج وقليلا ممن معه . ـ وكان ممن استشهد صاحبنا القحطاني رحمه الله .

وفي شهر صفر سنة ١٣٤٨ ، دعاني الشيخ محمد رحمه الله وقال لي : إنّ عَمّي الشيخ عبد الرحمن سيذهب إلى عَرْوَا قاضياً ، وهو بحاجة إلى طالب علم يقرأ عليه ، ويكتب له ، وقد اخترتك ، وهذا العمل أحسن لك مما أنت فيه . وفهمت من كلامه أنه حريص على ذهابي مع الشيخ عبد الرحمن ، فوافقت ، وذهبت مع أحد أبنائه إلى بيت الشيخ عبد الرحمن ، وهو غير بعيد عن بيت الشيخ محمد ، وبعد أن سلمت عليه ، أخبره رفيقي بي فأظهر الاستبشار ، ووعد خيراً ، وحدد لي وقت السفر ، وأنه سيكون بعد صلاة العشاء من الليلة المقبلة ، وأن عليّ أن أحضر في ذلك الوقت .

وجدت عند حضوري في الوقت المحدد الشيخ قد تهيأ للرحيل ، وأمام المنزل راحلتان ، إحداهما امتطاها الشيخ ، والثانية ناقة ملحاء ، عرفت أنها صعبة لم تذلل من الخطام الموضوع في رأسها ، فركبتها وأخذت بخطامها ، وبعد أن قامت من مبركها ناولني أحد أبناء الشيخ عدداً من (الزنابيل) قائلا : ستمرون بالنخل في الباطن ، فاتركوا هذه الزنابيل فيه ، سرنا وقد أمسكت باليمنى الزمام ، وباليسرى الزنابيل (المخارف) فلما نزلنا بطن الوادي ، قريباً من النخل إذا

بالناقة تجفل ، ثم تقفز من صوت غريب سمعته ، وإذا بي طريح الأرض ، ولكني لم أصَبْ بأذى ، فقد أنيخت لي الناقة فركبتها .

لا أذكر من تلك الرحلة إلا أننا مررنا بمنهل دَلْقَان ، ثم بقرية القُوَيْعِيَّة ثم بلغنا هجرة عروا ، وللشيخ فيها بيت نزلناه ، ولكنا بقينا ضيوفاً لدى الأمير جَهْجَاه بن بِجَاد بن حُمَيْد ، وكانت زوجته سيدة فاضلة هي شيخة بنت محمد بن هندي بن حميد ، وكان جهجاه - وإن كان بدوي الطبيعة - إلا أنه كان رجلا سمحا رضيًّا ، طيب القلب فكه المحْضَر .

ولم يعكر ارتياحنا واستقرارنا في هجرة عروا سوى أمرين ، أحدهما أن الشيخ عندما تقدم للصلاة بالجماعة صلاة المغرب في يوم الوصول انخزل أكثرهم إلى مؤخرة المسجد ، وقدموا واحداً منهم إماماً ، فصلوا وحدهم ، وكان هؤلاء من أهل هجرة (الغُطْغط) التي هدمت في ذلك الوقت بعد وقعة السبلة .

وكان الشيخ رحمه الله يحب هُدُوء الأمور ، ولهذا لم يتأثر مما رآى ، وتكلم مع الأمير جهجاه بكلام مطمئن ، وقال : لعل الله يهديهم .

الأمر الثاني : لم نَشعر بعد أيام ، بعد أن خرجنا من صلاة المغرب إلا برجل واقف عند باب المسجد يصيح بأعلى صوته : (أبشروا يا الأخوان أن الله يبا [1] يعز دينه ، ويعلي كلمته ، ويخلص لكم أميركم) إلى آخر كلامه ، وكان هذا نذيراً بحركة تمرد معروفة ، ندع الكلام عنها لوقت آخر ،

حمد الجاسر

---

(1) يبا : في البدوي : يبي - بلهجة الحضر - أي : يبغي

لهجة أهل القصيم

(في الجزء الذي سبق هذا أوردت « العرب » قسما من المقدمة الضافية التي كتبها الأستاذ الجليل الشيخ محمد العبودي لكتاب « بلاد القصيم » أحد أجزاء المعجم الجغرافي للبلا د العربية السعودية « وها هو قسم ثان من تلك المقدمة ، طريف في موضوعه) .

لقد أتينا هنا بكلمة (لهجة) بديلة من كلمة (لغة) مع إصرارنا على أن كلمة لغة هي الفصيحة المستعملة ، قديماً كما كان العلماء ، القدماء يقولون في بعض الكلمات : إنها تعني كذا أو كذا بلغة تميم ، وبلغة هذيل أو بلغة أسد أو نحو ذلك .

ولكن كلمة (لهجة) أصبحت الآن شائعة ذائعة فآثرنا إثباتها لهذا السبب ، ولغرض آخر – وهو تفورنا من أن يفهم بعض الناس ن كلمة (لغة) أن هناك في جزيزة العرب لغات متعددة متباينة كما يكون في البلاد الغريبة عن البلاد الأخرى . وذلك مالا نريده أن يفهم ، لأنه خلاف الواقع . ولابد لنا من ذكر مقدمة مختصرة في لهجة أهل نجد عمومًا قبل الكلام على لهجة أهل القصيم .

كثيرًا مايشعر العلماء الأدباء في الأقطار العربية خارج الجزيرة عما يشبه خيبة الأمل أو الصدمة غير المتوقعة ، عندما يذهبون إلى نجد وتقرع أسماعهم الكلمات النجدية الأصيلة .

ذلك لأنهم كانوا يتصورون أنهم سيسمعون لهجة هي أقرب اللهجات العامية في البلدان العربية إلى لغة القرآن الكريم لما تقرره أذهان الكثير منهم من كون اللغة الفصيحة في نجد التي هي قلب الجزيرة العربية وأبعد أجزائها عن التأثر بالعوامل الخارجية المفسدة للغة .

إنهم يعتقدون ذلك عندما تغيب عن أذهانهم حقيقة - كانت معروفة عند اللغويين القدماء - وهي أنه عندما نزل القرآن الكريم بلغة قريش التي هي أفصح لغات العرب كلها ، كانت هناك عدة لهجات في سائر أنحاء الجزيرة العربية مخالفة بعض المخالفة للغة قريش ومنها لهجة أهالى نجد بل لهجات أهالى نجد .

فقد كانت للقبائل النجدية لهجات بها ، وإن كان بعدها لا يصل إلى البعد الذي يفصل بين بعض اللهجات العربية في المغرب مثلاً واللهجات العربية الأخرى في المشرق في الوقت الحاضر.

وقد دون العلماء القدماء تلك اللهجات في نتف متفرقة بين ثنايا النصوص الأدبية .

إلاّ أن أوضحها تمييزًا ما نصوا على أنه دخل في قراءآت القرآن الكريم .

فقد صنف عدد من العلماء في موضوع اللغات في (القرآن) ونصوا على ذكر بعض الكلمات النجدية [1] ، وقال فيها بعضهم : إنها بلغة قبيلة

---

(١) راجع مقدمة كتاب « اللغات فى القرآن » رواية ابن حسنون المقرىء بإسناده إلى ابن عباس المقدمة والتحقيق للدكتور صلاح الدين المنجد طبع فى دار الكتاب الجديد فى لبنان عام ١٣٩٢ هـ .. (الطبعة الثانية) .

بني فلان أو القبيلة الفلانية ، مما يفهم منه أن هذه اللغات ، أو تلك الاستعمالات للكلمات لم تكن معروفة في اللغة الفصحى وبالتالي لم يكن القرشيون الفصحاء يستعملونها .

وعقد الإمام السيوطي فصلاً في كتاب «الإتقان» لمثل تلك الكلمات

ومن تلك الكلمات :

«رغداً» يعني الخصب بلغة طي .

«رجزا» يعني العذاب بلغة طيّ[1] .

«ثم أفيضوا» يعني انفروا بلغة خزاعة وعامر بن صعصعة .

«بغياً بينهم» يعني الحسد بلغة تميم[2] .

«حصرت صدورهم» يعني ضاقت بلغة أهل اليمامة[3] .

«أوفوا بالعقود» يعني بالعهود بلغة بني حنيفة[4] .

وهذه أمثلة لما في القرآن الكريم ، أما ما ورد من ذلك في الآثار والأخبار والأشعار فهو كثير جداً ومحله كتب اللهجات والشواهد النحوية

وعلى هذا فإن اللغة النجدية المحكية الآن بين النجديين – ومنهم أهل القصيم – ليست لغة متطورة – أو على حد تعريف بعض الذين يفضلون التعريفات السهلة – : محرفة عن اللغة الفصحى .

فقد لذّ لبعض أولئك الذين يفضلون القول السهل أن يقولوا في كُلّ كلمة عامية غير دخيلة أو في كل تعبير لا يدخل تحت قواعد

(١) اللغات في القرآن ص ١٧ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٩ .
(٣) المصدر نفسه ص ٢٢ .
(٤) المصدر نفسه ص ٢٣ .

اللفظ الفصيح الذي ورد فى اللغة الفصحى لغة قريش : إنه محرف عن الفصحى .

إن اللغة النجدية المحكية الآن هى سليلة لغة عربية فصيحة كانت شقيقة للغة الفصحى لغة قريش التى نزل بها القرآن الكريم وبخاصة مايتعلق بمفردات اللغة . مع تكرار القول بأننا نريد باللغة هنا مايسمى الآن باللهجة . وأن البعد الذي يلاحظه المرءُ فيما بين تلك اللهجة وبين اللغة الفصحى القرشية ناشئٌ عن عدة عوامل :

أولها : ما أوضحناه من اختلاف أصل اللغة المحكية ، عن اللغة القرشية .

ثانيها : التحريف والتغيير الذي حصل بفعل الزمن في تلك اللغة .

ثالثها : الرواسب اللغوية القديمة التي كانت موجودة في اللغة التى هي الجدَّة أو الأُم الكبرى للغات السامية ، والتي خلت منها لغة قريش لسبب لانعرفه وسنورد فيما بعد أمثلة لتلك الكلمات إن شاءَ الله .

على أن علماءَ العربية الأوائل قد دونوا معظم الكلمات التي كانت مستعملة في اللهجات النجدية القديمة وإن لم ينصوا على أصلها أو موطن استعمالها ، ولكنهم سجلوها على أنها جزءٌ من التراث اللغوي العام ، ونصوا في بعض الأحيان على كونها من غريب اللغة ، أو نادرها .

وباستعمال اللغة الفصحى في عصر التَّدْوِين لغة للكتابة والتأليف ، ماتت تلك الكلمات في الحواضر الإسلامية ودُفنت فى بطون المعاجم حتى لم يعد يعلم عنها إلا من عانى التنقيب في المطولات اللغوية .

علي أن جزءاً كبيرًا من تلك الكلمات ظل حيًا يرزق حظَّه من التطور والتغير بالفعل الزمني المحتوم ، ولكن في نطاق مواطنه الأصلية في مجاهل البلاد النجدية التي كانت قد ابتعدت عن مراكز التدوين والتأليف بعد القرن الرابع الهجري . حتى تجاهلها العلماء واللغويون .

ولا تزال طائفة من تلك الكلمات حيّة مستعملة ، في اللهجة النجدية إلا أنها تبدو لِمَنْ أَلِفَ سمعُهُ اللغة الفصحى لغة قريش ، غير مألوفة في السمع ، بعيدة عن الفهم . مما قد يحمله على الإسراع بالحكم عليها بأنها كلمات فاسدة محرفة عن اللغة الفصحى تحريفاً أبعدها عن أن ترد إليها .

والواقع أنّ الأمر كذلك بالنسبة لبعدها عن الفصحى إذا أريد باللغة الفصحى لغة قريش .

أما إذا أريد بالفصحى اللغة (الفصيحة) التي كان يستعملها أهالي نجد في زمن البعثة النبوية فإنها لا يمكن أن يقال فيها – بحق – إنها لغة غير فصيحة ..

إذ أن تلك الكلمات كلمات فصيحة الأصل ، ولكنها ليست بفصحى الأصل .

وهاك أمثلة على تلك الكلمات ، واردة في أمثال عامية شرحتها في كتابي « الأمثال العامة في نجد » .

وقد آثرت ذكرها دون غيرها مما يماثلها من الكلمات التي وردت في الأشعار العامية النجدية ، أو التي تستعمل الآن في الكلام العادي لأنني شرحتها شرحاً كافياً عند الكلام على الأمثال العامية .

(١) «أكود الناس يبزيه حقه» أكود : أصعب وأشق . ويبزيه : يكفيه .

(٢) «أحد يزَمْ زَمْ ، واحد يدودل دودله» يزم : يرفع ، ويدودل : يدلي : دودلة : تدلية .

«أذْرَق مِنْ صافره» أذرق : أجبن . وصافرة : طائر يقال له في الفصحى : صافر .

«أردا وادقّ علبا» : أردأ من الرداءة . وعلبا : علباءٌ في الفصحى

«إلى اطريتَ الحصان ، فوَلّم العْنَانْ» إلى : إذا . واطرِيت : ذكرته وولّمْ : جَهِّز واعِدَّ .

«الذِّبَاب يدل القطف» يدل الشئ : يهتدى إليه : والقطف : القرحة .

«أرْكَاه على الصُوحْ» : أركاه : اضطره وألزمه . والصّوح . جانب الجبل .

«إسِنْ والاَّ سَنَتْ بك المحاله» اسن : من السنْي ، وهو إخراج الماء من البئر . والمحالة : البكرة .

«إصدقْ تنجم ، إكذِبْ تَهْجِمْ» تنجم : ترتفع . وتهجم . تسقط وتتهدم .

«أكل الحمبصيص ، يدعِي البطن له وصيص» الحمبصيص : عشبة حامضة يأكلها الناس . ويدعي : يدع . وصيص : أصيص .

«إلى شَوَّكَ الذعلوق ، ترى الفقع نابى فَوْقْ» إلى : إذا .
شوّك : اصبح ذا شوك . والذعلوق : نبتة صحراوية يأكلها الناس والفقع نوع من الكمأة نابي : مرتفع .

« شخبْ طُفَح ، لا بيدي ولا بالقدَحْ » الشخب اللبن الذي يمتد نازلا من الضرع عند الحلب . وطفح : ارتفع .

« ضبٌّ ياكل من جعوره » الجعور : جمع جعر . وهو النجو أو مايسمى الآن بالبراز .

« التفَال مايبِل القِد » التُّفال : جمع تفلة وهو مايخرجه المرء من ريقه للخارج . والقد : سيور من جلد غير مدبوغ .

« ثَغَّاية ، رَغَّايه » ثغاية : من الثغاء وهو صوت الغنم . ورغاية من الرغاء وهو صوت الابل .

« العازه لَزَّازه» العازه : الحاجة الشديدة ، ولزازة : من لَزَّ على كذا أى ألجئَ إليه .

« جَربوع في خَبَارْ » الجربوع : اليربوع حيوان صحراوي صغير ، والخبار . الأرض الرخوة .

« حِقّه يغزي » الحق : ولد الناقة الذى أكمل ثلاث سنوات ودخل في السنة الرابعة ، ويغزي : يكون مطية في الغزو .

هذا بالنسبة لمفردات ، الكلمات .

أما بالنسبة للتعبيرات ، في صياغة الجمل الكلامية ، فإن الأمر فيها أصعب ، والبحث في أصولها يجب أن يكون أوسع وأشمل .

بل هو يحتاج إلى مؤلفات خاصة به ، وجهود متضافرة من علماء يملكون الفهم والوقت ، إذْ ميدانه أرحب من ان يتسع له هذا الكتاب .

هنالك أشياء يمكن ملاحظتها بسهولة وهي من الامور الواضحة المميزة للهجة أهل نجد ولا يمكن حصرها فى هذا المقام لأن المقصود هو ضرب المثل بالبعض ليغني ذلك عن الكل .

من ذلك أن الهمزة في وسط الكلمة ، وفي آخرها ، لا وجود لها . ولولا وجودها في أول الكلمة لأمكن القول بأنهم قد حذفوها من جميع كلامهم العامي .

فالهمزة في اللهجة النجدية تسهل ياء في أكثر الاحيان مثل كلمة اللييب ، القبايل – جمع قبيلة – أوواوا مثل مومن ومروّه . ويمكن إعطاء أمثلة لذلك من اسماء المواضع التي سترد في هذا المعجم وهي :

(الذيبية) (البدايع) (النايع) (ذويبة) .

كما أنهم حذفوا الهمزة من أواخر الكلمات المهموزة مع المد مثل السماء ، والماء وأمثالهما ، ومن اسماء الاماكن المذكورة في هذا المعجم :

بقيعا ، قصيبا ، البترا ، الثليا ، القرعا . الجوا . .

ومن ذلك أنهم ينطقون بالتقاء الساكنين ولا يتحاشون ذلك في لغتهم بتحريك أحدهما كما في الفصحى وهذا كثير جدا في كلامهم وبخاصة بعد « ال » التعريفية سواء اكانت لامًا شمسية أم قمرية ، ومن ذلك نطقهم كلمة « السْعود » الأسرة المالكة فانهم يشددون السين ولكن مع اسكانها إلى جانب إسكان (ال) المدغمة في السين .

ومن أمثلة ذلك من الأماكن الواردة في هذا المعجم : الجعلة والرسيس والبطاح ، والبكيرية ، والثْويرْات .

بعد هذه المقدمة الموجزة في اللهجة النجدية المحكية في نجد ننتقل إلى ذكر بعض خصائص اللهجة القصيمية خاصة .

الأول : حذف الألف بعد (ها) التي هي ضمير المؤنثة المفردة الغائبة ثم الوقوف على الهاء بالسكون في جميع الاحوال .

فيقولون في كتابها وثوبها أو مالها وولدها أو (أبوها) :

كتابَهْ وثوبَهْ ، وولدَهْ ، ومالَه ، وابُوَهْ ـ باسكان الهاء فيها جميعاً وفتح ماقبل الهاء ، كما يقولون : يضربَهْ في يضربه ، وضربَهْ فى ضربها وهكذا في جميع ماجاء على هذا المنوال ، بل هو قاعدة مطردة في كلامهم العامى كله ، إذ لايوجد في لغة أهالى القصيم ألف بعد هاء المفردة الغائبة فلايقولون اطلاقا : كتابها ، او مالها أو ولدها أو نحو ذلك .

ولا يشركهم في هذه اللهجة من أهالى نجد إلا أهالي منطقة (حائل) وما جاورها ، وقبيلة شمر الطائية الأصل من بين القبائل العربية : هذا في نجد .

أما في خارج الجزيرة فإن هناك أماكن ضيقة تستعمل هذه اللهجة في كلامها العامِيّ بعضها لتأثره بقبيلة شمر ، مثل أجزاء من منطقة الموصل وبعضها لا أدري من أين جاءت إليه ، مثل بعض المناطق المسيحية في (جبل لبنان) وحدثني بعض علماء المغاربة أن أهالى مدينة (تطوان) في المغرب ينطقون بهذه اللغة ، وأن المعروف أنهم جاءوا بها من الاندلس لذلك خالفوا بقية المغاربة فيها .

ورغم أن هذه اللهجة غريبة بالنسبة لمن ألف أن يسمع اللغة الفصحى لغة القرآن الكريم ، فان لها أصلا قديما بل عريقا في القدم إذْ وردت في نصوص يفهم منها ذلك أي يفهم منها أنها موغلة في القدم .

من ذلك نص أورده بعض العلماء القدماء منهم السكريّ وحمزة الأصفهاني ، وهذا نص كلام الأصفهاني : ذكروا أن ثلاثة نفر اصطحبوا : فزاريا وتغلبيًّا وكلابيًّا . فصادوا حماراً وحشياً ومضى الفزاري في حاجة له

فطبخا اللحم وأكلا ، وخبأ للفزاري جردان الحمار[1] ، فلما رجع قالا : قد خبأنا لك فكل . فأقبل يأكله ، ولا يكاد يسيغه ، وجعلا يضحكان ، ففطن لذلك وقال : أكل شواء العير جُوفان ؟ ! وجوفانُ الحمار : أيره .

ثم أخذ سيفه وقام إليهما . وقال لتأكلانه ، أولأقتلنكما ، فقال ؟ ! لأحدهما وكان اسمه مَرْقَمَهْ : كُلْ منه فأبى . فضربه فأبان رأسه ، فقال الآخر : الآن طاح مَرْقَمَهْ ، وروى : طاح لعمري مرقَمَهْ . فقال الفزاري : وانت إنْ لم تَلْقَمهْ . أراد : : تَلْقَمْهَا . فلما ترك الألف ألتي الفتحة على الميم . قبل الهاء . كما قالوا . . . وَيْلُمٌ الحيرة ، وأيٌ رجال بَهْ ، أي بها[2] .

وتلك الجملة المعروفة عند النحويين وهي : بالفضل ذو أكرمكم الله بِهْ ، وبالكرامة ذات أكرمكم الله بَهْ . وذو بمعنى الذي وذات بمعنى التي في لغة طَيء .

وإذا عرفنا أن تلك اللهجة ـ أي حذف الألف بعد هاء المفردة المؤنثة الغائبة ـ إنما أخذها أهل القصيم ـ فيما يبدو ـ من لغة طيٌ الذين حضروا من جنوب الجزيرة العربية كما يقول الاخباريون القدامى أو لنقل : إنها مما بقي في لغة طيٌ من لهجتهم اليمانية القديمة ، التي تركوها عندما احتكوا بأهالى نجد ووصلوا إلى القصيم أولا ، ثم إلى جبلى طيٌ في حائل بعد أن أزاحهم بنو أسد عن المنطقة التي كانوا فيها من القصيم وهي اعلاه وسكن بنو أسد فى مكانهم .

---

(١) جردان الحمار : قضيبه .

(٢) الدرة الفاخرة ص ٨٦ – ٨٧ . وانظر الأوائل للعسكرى ص ١٨٠ وجمهرة الأمثال . للعسكرى .

وإذا كان الأمر كذلك فانه ينبغي لنا أن نبحث عن هذه اللهجة في اللغات السامية شقيقات العربية والحميرية والسبئية وهي اللغات التي ترجع مع غيرها من اللغات إلى لغة قديمة ، يسميها اللغويين (أم اللغات السامية) إذ يفترض أنها كانت كذلك وإن كان لاتوجد نصوص قديمة منها تدل دلالة واضحة على شياتها وسماتها .

وقد بحثت بالفعل عن ذلك فوجدت أن لهذه اللهجة التي يصح أن نسميها لهجة يمانية مثيلا في لغة سامية أخرى هي اللغة العبرية ، إذ حدثني الدكتور تقي الدين الهلالي ـ وهو أستاذ للغة العبرية في جامعة محمد الخامس في المغرب ـ أن هذه اللهجة موجودة في اللغة العبرية وضرب لي أمثلة على ذلك بما يلي :

بَعْلَاه هي بعلها ، أي : زوجها . وسفراه سفرها بمعنى كتابها .
وابناه : ابنها . بنّاه : بنتها . بيثاه : (بالثاء) بمعنى بيتها .

فدل ذلك على أن لغة أهل القصيم التي تحذف الألف بعد هاء المفردة المؤنثة الغائبة ليست محرفة عن الفصحى ولا هي لغة عامية دخيلة وإنما هي عربية لها أصل عربي فصيح ، وليس ذلك فحسب وإنما هي ذات أصل عريق في العروبة إذ هي موجودة في بعض اللغات السامية مما يمكن معه أن يقال : إنها كانت مستعملة في اللغة التي هي أم للغات السامية ، والتي قال بعض اللغويين: إن موطنها الأصلي هو جزيرة العرب . وإذا صح هـذا القول فانه يصح أن يقال إن هذه اللهجة كانت موجودة في جزيرة العرب قبل فجر التاريخ المدون أي قبل البعثة النبوية بقرون لايعلمها إلا الله تعـالى .

الأمر الثاني: الذى يميز لهجة أهالي القصيم عن بقية أهالى نجد وهو - كذلك - لا يشركهم فيه من أهالى نجـد غير سكان منطقة (حـائل) وما جاورها وأفراد من قبيلة شمر الطائية الأصل .

هو ضم ماقبل ضمير المفرد الغائب على كل حال .

فيقولون في كتابه وماله ، وعلمه : كتابُهْ ومالُهْ وعلمُهْ ، بضم الباء واللام والميم الواقعات قبل الهاء فى جميع هذه الكلمات .

سواء أكانت في ضمير الغائب المفرد فى محل جر كما سبق أم في محل نصب مثل أخذه ، وعَلَّقَه ، وأكله . أم كانت في محل رفع مثـل يقوله ويأخذه ويضربه . فالحرف الذى سبق الهاء مضموم مطلقا ، والهاءُ ساكنة دائما .

وتلك لهجة واسعة الاستعمال في البلدان العربية وناهيك باستعمالها في مصر والشام بجميع أقاليمه ، وأكثر أقاليم المغرب العربي . وأهالي القصيم يخالفون بقية أهالي نجد الذين يكسرون ماقبل الهاء فى تلك الأمثلة ، وبعضهم قد يفتحها ويشاركهم فى ذلك معظم أهالى العراق والخليج العربى والجزائر .

وهذا الذي نذكره عن أهالى القصيم إنما يخص أهالي الحواضر أما أهالي الهجر ، ومواضع استقرار البدو ، فإن اللهجة السائدة فيها هي لهجة القبيلة البدوية التي استقرت فيها بطبيعة الحـال .

وما قلناه عن لهجة أهالي القصيم ينطبق على جميع الأهالي ماعدا فروقاً قليلة جدا لا تستحق الذكر ، ولا يمكن أن يلاحظها المستمع العـادي .

إلا ماكان من أمرناحيتين قديمتى العمران وهما : ناحية الاسياح :

النباج قديما ، وناحية الجواء . ففي لهجتهما اختلاف يسير سنذكره في الكلام على تلك الناحيتين في موضعها من المعجم ان شاء الله .

الأمر الثالث : فهو حذف ياء المتكلم والوقوف على نون الوقاية التي قبلها بالسكون ، فيقولون في منّي وعنّي : مِن وعَن باسكان النون فيهما مع تشديدها كما يقولون في ضربني واخذني : اضربن واخذن باسكان النون فيهما من دون تشديد .

وتلك واردة في قراءآت القرآن الكريم كقوله تعالى في سورة الفجر : (فيقول ربي أكرمن) وفي الآية الأخرى : (فيقول ربي اهانَنِ) وفي سورة الشعراء : (الذي خلقني فهو يهدين) وكذلك في سورة البقرة : (أجيب دعوة الداعي إذا دعان) وكل ذلك في حالة الوقف.

أما التركيبات الغريبة للكلمات في اللهجة النجدية بصفة عامة التي ليست مألوفة في الفصحى فهي كثيرة .

مثل إسكان الحرف الأول مما جاء على وزن فعال بكسر الفاء أو ضمها مثل كتاب وحمار وجدار وغبار وكبار جمع كبيرة – وصغار – جمع صغيرة . إذ ينطقونها كلها باسكان الحرف الأول، مع الإتيان بكسرة لينة متقدمة عليه بحيث لو أردنا أن نرسم هذه الكلمات كما كانوا ينطقون بها رسمناها كما يلي :

إكْتَاب ، إحْمَارْ ، إجْدار ، إغْبار ، إكْبَارْ ، إصْغَـارْ .

وهكذا توجد كلمات كثيرة يبدؤونها بحرف ساكن وهي في الفصيح المتعارف عليه محركة ولكن يصعب حصرها في قواعد ثابتة ، كقولهم في (ضَرَبَهُ) المكونة من فعل ماض ومفعول والفاعل مستتر . والتي من البديهي

اها في الفصحى مفتوحة الضاد فانهم يسكون الضاد فيقولون: (إضْرِبَهْ).

ومن أمثلة ذلك _ أي اسكان أول الكلمة من معجمنا هذا _ : بريدة ، عنيزة .

ولقد أخبرني بعض الأساتذة المعنيين بالدراسات اللغوية السامية أن إسكان أوائل الكلمات أمر مألوف فى الأرامية وانه لايزال موجوداً في السريانية ، وما عرف من الآرامية .

وإذن يمكن القول بأن ذلك أيضا هو من بقايا اللغة السامية القديمة في اللغة النجدية . وليس تحريفا حصل في العربية خلال الأزمان المتأخرة

على أن الأمر ليس من السهولة بأن يبت فيه بأمر جازم إلا بعد دراسات مستفيضة ومقارنات بين عدة لغات قديمة وحديثة .

وهناك عدد من الحروف التي لاتوجد في الفصحى المألوفة الآن ، مثل حرف « ك » الذى هو الجيم المصرية أو القاف غير المعقودة ونظراً إلى أنهم قد الغوا القاف المعقودة ، أو القاف المحققة المعروفة الآن في الفصحى واستبعدوا النطق بها من جميع كلامهم فإنهم أحلوا محلها هذه القاف غير المحققة في أكثر الأحيان . كما فى قال ، وقلت . وقمر . . .

وأحيانا يبدلون القاف بحرف غريب ، مخرجه بين مخرج السين والزاي ، ولايمكن ضبطه بالتمثيل _ لأنه حرف غريب حقا _ إلا بضبط أغرب منه كأن نقول : إنك إذا كررت النطق به دون غيره عدة مرات فإنك تبدو لمن يسمعك ، وكأنك تقلد زقزقة العصافير .

واستعملوه بدلا من القاف في عدة كلمات منها « قربة » _ وعاء الماء _ والقليل _ ضد كثير . وقدر _ إناء الطبخ _ .

إذن القاف في لهجة أهالي القصيم اصابتها ثلاث علل .

أولاها : انها كما ينطق بها في تلاوة القرآن الكريم عطلت من النطق تماما :

ثانيها : انها تنطق جيا مصرية . أو قافا غير معقودة في أحيان كثيرة
ثالثها : انها تنطق بإخراجها مابين مخرجي السين والزاي في أحيان أخرى
وهناك أيضا الكاف فهي تنطق كافا صحيحة فصيحة في أكثر الأحيان مثل : كلمتهم ، واكلت ، والكلام .

وأحياناً تنطق بما يقرب من نطق السين وليس به ، مثل كثير – ضد قليل – . وكنه (كأنه) وكَمْ ، الاستفهامية . فالكاف في هذه الكلمات وأمثالها لا تنطق كافاً مألوفة معروفة في الفصحى ، وإنما تنطق بما يقرب من السين ،

وهناك كسكسة تميم التي لا نشك في أن الذين أرادوا أن يدونوها من العلماء القدماء أصابهم من الحيرة ما أصابني إذ لا يوجد حرف معروف مستعمل يمكن أن يقال : إن نطقها يشبه صوته . ولذلك حكم بعضهم بأن تميماً كانوا ينطقونها شيناً .

ورأيي أن الأمر ليس كذلك ، وأن استعمال كسكسة تميم لا يزال باقياً دون تغيير في القصيم وفي سائر أنحاء نجد .

إذ يقولون للمذكر : هذا ولدك . بكاف صحيحة ساكن ماقبلها .
ويقولون للأنثى : هذا ولدك . بالحركات الموجودة في المذكر دون أي اختلاف فيهما ، إلا أنهم يميزون بينهما بأن ينطقون الكاف بما يقرب من السين .

الرياض : محمد العبودي

— ١٩ —

الرحلة الحامدية :

مؤلفها : اسماعيل الحامدي المالكي .

توجه للحج من مصر في ١٧ ذي القعدة سنة ١٢٩٧ إلى السويس ومنه ركب باخرة فرنساوية إلى جدة فوصلها يوم ٢٢ من الشهر المذكور .

ووصل مكة ٢٤ ذي القعدة وغادرها يوم ١٨ ذي الحجة سنة ١٢٩٧ إلى المدينة فوصلها ٧ محرم سنة ١٢٩٨ وغادها يوم ٢٣ منه إلى ينبع فوصلها ٢٧ من الشهر المذكور ، وسار في الباخرة إلى السويس يوم ٢ صفر سنة ١٢٩٨ فوصلها ٧ منه ، ووصل منزله في مصر بعد مغرب يوم الاثنين ٩ صفر سنة ١٢٩٨ .

ومخطوطة رحلة الحامدي في خزانة الرِّباط ، وهي مخطوطة في ١٦ القعدة سنة ١٣٠٤ وكاتبها يدعى عامر محمد أحمد الحواتكي بلداً . وهي ممزوجة بالمناسك .

وها هو ملخص ما جاء فيها مما يتعلق بموضوعنا . ومؤلفها متأثر بروح عصره ، من حيث عدم التحقيق فيما يتعلق بالآثار المنسوبة للصالحين ، ومن حيث الانصياع لبعض آراء العامة والجهلة في التبرك بتلك الآثار ، ولم نشا التطويل في التعليق على ما هو من هذا القبيل فقد وضح السبيل ولله الحمد وهاهو نَصّ كلامه :

جُدَّة : في يوم الثلاء ٢٢ — ذي القعدة سنة ١٢٩٧ — وصلنا جُدة قبل العصر ، وبتنا فيها ليلة الأَربعاء . وفي صبيحتها زرنا والدتنا حواء عليها السلام في مقبرة خارج البلد . وزرنا من جاورها من أموات المسلمين . وزرنا في داخل البلد ضريحاً صاحبه من نسل العباس رضي الله عنه وجُدة — بضم الجيم — بلدة عظيمة ، على ساحل البحر المالح ، وماؤها عذب ، وسوقها كبير .

بحـرة — حدة :

ثم توجهنا بعد العصر — من جدة — جهة مكة المشرفة راكبين إبل العرب بالأُجرة ونزلنا قبيل الفجر في بلدة للعرب يقال لها بَحْرَة — وهي قبل حَدّة — بالحاء المهملة — وهي منزلة حارّة ، وماؤها آبار يميل للملوحة مُضِرٌ بالجسم ، وضرره يزال بالسكر ونحوه ، وأما حَدَّة فماؤها عذب كثير ، وأغلب الحجاج ينزل بها ، لكن عربنا بلدتهم الأُولى . فنزلوا بها عند أهلهم ، وجمعوا منّا دَرَاهم لشراء مؤونتهم من اللحم والأُرز ، إذ طعامنا من الخبز اليابس والمصلم [١] الموجود معنا وذاك غير مألوف لهم في زعمهم .

ذو طوى :

ويستحب الغسل للدخول مكة — من غير حائض ونفساء ويستحب كونه بذي طُوًى وهو الذي تحت التثنية العليا ، ويسمى الزاهر .

كـداء :

ويستحب الدخول من كداء — بفتح الكاف — إلا لزَحْمَة . ويعرف الآن بباب المعْلى في الثنية . أي الطريق الصغرى بأعلى مكة ،

---

(١) وقد يكون (المصلح) .

تنزل منها إلى المسجد الحرم ، والمقابر التي بها أم المؤمنين خديجة عن يسارك .

جبـــل عمر :

واستأجرنا منزلاً ملاصقاً لجبل قُعَيْقِعان المقابل لجبل أبي قبيس واشتهر عند بعض أهل مكة بجبل عمر ، وفيه بيوت وفي أسفله بئر ، وفيه موضع عالٍ فيه مصلى فيه راية صغيرة ، وصخرة (؟) صغيرة محل ولادته رضي الله عنه ، وبجوار ذلك صخرتان إحداهما تسمى عندهم بالحجام والأُخرى بالحجامة ، وبعد ذلك صخرة تسمى بالناقة(؟) وبأسفلها محل صغير مفروش يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه . فصلينا فيه تبرّكاً [1] .

المسجد الحــرام :

والمسجد الشريف واسع جداً وأبوابه كثيرة منها باب الصفا وباب السلام والباب العتيق وباب ابراهيم . والكعبة في وسطه ويقرب منها مقام ابراهيم ، ويقرب منه بئر زمزم ، ويقرب من بئر زمزم قبة الساعات وقبة الكتب [2] ، وبجوار المطاف أمكنة المبلِّغين من المذاهب الأربعة لكل مكان يخصه ، والمنبر بالقرب من مقام ابراهيم ، وبجواره سلالم الكعبة وهناك مدارس مجاورة للمسجد ولها أبواب من داخله ، وللمدرسين والطلبة مرتب من نقود وقمح كلٌّ على حسبه .

الكعبـــة :

وفي ٢٧ – ذي القعدة – وهو يوم الأحد دخلنا الكعبة . . . ولهـا

---

(١) لا محل للتبرك إلا بالاعمال الصالحة ، والإقتداء بالسلف الصالح .

(٢) أزيلت القبتان .

سُلَّم على يمين الداخل ، وفيها عواميد من أغلى الخشب حسن الرايحة (؟) وفي حوائطها بعض ألواح من الرخام فيها بعض أسماء السلاطين الماضية كالسلطان الأشرف والسلطان قايتباي ، وأرضها مبلطة بالرخام الملَوّن ، وسميت كعبة لتكعبها أي تربعها ، وعرضها عشرون ذراعاً ، وطولها تسعة وعشرون ذراعاً في جهة السماء وقيل ٢٥ .

مقبرة المعـــلى :

وفي يوم الإثنين ٢٨ – ذي القعدة – توجهنا صباحًا إلى المعلى ، وهو المكان الذي دعا فيه ابراهيم ربه أن يجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم . فلما دخلنا المقبرة زرنا سيِّدنا عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق والسيدة أسماء وولدها سيدنا عبدالله بن الزُّبير والسيدة خديجة والسيدة آمنـة أم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وزرنا أيضاً عبدالمطلب وعبد مناف جدي النبي صلى الله عليه وسلم وبقربهما قبة فيها قبر أبي طالب والصحيح أنه مات كافراً[(١)] .

المـــولد :

زرنا محل ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ومحل ولادة سيدنا على ومحل ولادة السيدة فاطمة الزهراء ورأينا رحاها ومحلّ تَهَجُّدِهِ صلى الله عليه وسلم ، ومحل ولادة الصديق رضي الله عنه ومحل عبادته ، ومحل تجارته .

وزرنا الحجر الذي كلم النبي صلى الله عليه وسلم والحجر الذي وضع (ص) مرفقة فَلاَنَ ، وهذان قريبان من الصاغة[(٢)] .

---

(١) ليس هناك نص صحيح يثبت هذه القبور . وعبد المطلب صاحب القبر هو ابن أبي نمى مات أول القرن الحادى عشر الهجرى ، وكذا أبو طالب ، كما أوضحنا ذلك في مقالة بعنوان (خرافة القبة اليهودية) .

(٢) لا يثبت التاريخ شيئا من الأخبار المتعلقة بهذه الآثار .

جبـــل أبي قبيس :

وفي آخر الشهر طلعنا جبل أبي قبيس وصلينا في المسجد هناك وبالقرب من ذلك المسجد محلٌ اشتهر بموضع انشقاق القمر يزار ويُصَلَّى فيه ، فزرناه وصلينا فيه ، ورأينا بينهما موضعاً يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم أكل فيه فزرناه .

نمـــرة :

مسجد عرفة ويقال له مسجد نَمِرَة أيضاً ، كان [جدار] مقصورته الغربي التي بها المحراب في نمرة وباقية في عرفة ...

جامع نمرة خارج الحرمين وهو جامع متسع جداً ، وفي وسطه قبة فيها ماءٌ عذب من عين زبيدة .

عـــرفة :

وصعدنا جبل الرحمة وهو الجبل الذي بوسط عرفة ، وفي أسفله قناة ماءٍ عذب من عين زبيدة ، ثم ارتقينا على سلالم مبنية بالحجرين(؟) وصلنا العلم الموضوع أعلى ذلك الجبل ، علامة على محل تعارف آدم وحواء عليهما السلام[(1)] ، وبجواره مُصَلًّى ، وتحته من الجهة الغربية مصلى أيضاً ... ووقفنا في محل وقوف النبي صلى الله عليه وسلم عند الصخرات العظام التي بأسفله .

الإنصراف من عرفات :

وعندغروب الشمس أُطلقت المدافع وغيرها كالصواريخ من عسكر الشريف وعسكر المحملين المصري والشامي وضربت الطبول وغيرها كالمزّيكة ، واستمر الحال على ذلك إلى المزدلفة ، ثم بعد الإستراحة في المزدلفة أعيد ذلك .

---

(١) لا أصل لذلك في الأخبار الصحيحة .

غار المرسلات :

ثم توجهنا لمسجد الخيف وهو مسجد متسع جداً . . ثم دخلنا غار المرسلات بقربه ، وهو الغار الذي نزلت فيه سورة (المرسلات) على النبي صلى الله عليه وسلم وفي أعلى الغار موضع رأس النبي صلى الله عليه وسلم حين دخله فلان له الحجر فوضعنا فيه راحتنا تبركا .

وفي الجانب الغربي من ذلك الغار موضع ظهره الشريف فوضعنا فيه ظهرنا[1] .

موضع ذبح الكبش :

وفي الجبل على يمين الذاهب لمكة ، وهو متصل بمنى ، فوجدنا أسفله سلالم قليلة ، ثم وجدنا مصلى ، ثم دخلنا غارا فوجدنا فيه محلاً في جانبه الشرقي يقال إنه محل ابراهيم واسماعيل وهاجر عليهما السلام وذلك المحل يتصل به محل آخر يصلى فيه وخارج الغار محل ذبح الكبش الفدا

المحصب :

ثم سرنا في الْمُحَصَّب ـ لكثرة الحصباء به وهو ما بين الجبلين ، ومنتاه المقبرة التي أعلى مكة ، ويسمى : الأبطح أيضاً لانبطاحه .

التنعيم :

في ١٤ ذي الحجة توجهنا من مكة للتنعيم ، ويعرف بمساجد عائشة لإعتمارها منه ... وعنده بعض أبيات للعرب وحوض ماء كبير ، وقبله علمان على الجبل ، وفي رجوعنا منه لمكة رأينا موضعاً في الطريق وفيه حجر يُقال إن النبي صلى الله عليه وسلم أسند ظهره إليه فلأنَ

(١) لم يثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم بحديث صحيح ، وعلى هذا فالتبرك به بدعه .

وغاص فوضعنا فيه ظهرنا تبركاً[1] . وزرنا مقبرة الشهداء بعد ذلك وهي جهة يمين الذاهب لمكة وفيها قبر عبدالله بن عمر رضي الله عنهما .

قبر أبي لهب :

ورأينا [بعد العودة من التنعيم] كوماً من أحجار ، وكل من مرّ عليه من العوام يأخذ حجراً ويرمي عليه يقال : إنه على قبر أبي لهب ، والذي في « شرح الزرقاني على المواهب » أن القبر الذي يرجم خارج باب شُبَيْكة ليس بقبر أبي لهب وإنما هو قبر رجلين لطخا الكعبة بالعذرة في الدولة العباسية ، فلما أصبح الناس ورأوها كمنوا لهما فأُخذا ثم صليا في هذا الموضع ودفنا ، واستمرا يرجمان إلى الآن كما قاله المحب الطبري ، وقيل : إنه قبر أبي الطاهر (؟) القرمطي عدو الله ...

قبر الشيخ محمود :

والمحمل الشامي في جهة ، والشامي كذلك بالقرب من مسجد الشيخ محمود ، وقد مررنا على مسجد [بعد العودة من التنعيم] وزرناه .

مسجد الراية :

ثم سرنا – من منى – حتى وصلنا مكة فدخلناها من المعلى فوجدنا على اليسار مسجداً يقال إنه محل ركز الراية النبوية يوم فتح مكة ، فدخلناه وصلينا فيه .

مقـــابر :

وفي ١٥ ذي الحجة سنة ١٢٩٧ زرنا قبر سيدي عبد الله النسي وهو بالقرب من مسجد الزوية[2] المتقدم ذكره ، وفي ذلك اليوم

---

(١) لم يذكره علماء الحديث في كتبهم المعتمدة .

(٢) كذا والصواب (الراية) كما تقدم .

زرنا قبر سيدي علي البدري والد سيدي أحمد البدوي وقبر والدته السيدة فضة وقبر أخته السيدة فاطمة وهم في مسجد واحد ...

مولد حمزة :

وفي ١٦ ذي الحجة سنة ١٢٩٧ زرنا موضع ولادة سيدنا حمزة وقطع سِرِّه ، وهو قريب من موضع ميلاد أبي بكر رضي الله عنه وكان منزلنا قريباً منهما في جهة الجبل الغربي ، وتسمى تلك الجهة عند أهل مكة بالمسفلة .

كدى :

ثم خرجنا من باب الوداع أحد أبواب الحرم إلى الثنية السفلى وهي كدى بضم أوله – تَمُرُّ فيها ومسجد الشيخ محمود عن يسارك ، فمشينا فيها حتى وصلنا الإبل التي اكتريناها من عرب مصر الذين حجوا معنا فركبناها ومررنا بالتَّنْعِيم .

مر الظهران :

ثم بتنا ليلة ١٩ الحجة في الظهران ، ويعرف بوادي فاطمة وأقمنا فيه يوم تلك الليلة وذلك الوادى متسع وفيه أبيات للعرب قليلة وسوق صغير ، ونهر ماء عذب كثير ، يخرج أصله من الأرض ، وينتفع به الزرع وغيره ، وفيه سعة للحجاج شربا وغسلاً ، وللأبدان والأثواب .

الجالون :

وفي ٩ الحجة سنة ١٢٩٧ ، [في مَرّ الظهران] تسلط عربنا على الحجاج برمي أمتعتهم ومحاملهم ، وأمرهم ببيعها لثقلها على إبلهم وخالفوا الشروط المأخوذة عليهم في مكة ، ويقال لعربنا أولاد علي[1] ،

(١) هم من عرب مصر من الحجاج احضروا إبلهم معهم كما تقدم .

وقد توسطنا لبعض أصحابنا في الراحة معهم ، وأما نحن فلم يعترضوا علينا بشيء والكراء مع عرب الحجاز أعلى وأحسن .

عادة عمل الرجوم :

سرنا [من وادي فاطمة] فصادفنا في الطريق أحجاراً صغيرة متراكمة ، وكل من مرّ من الحجاج يضع فوقها حجرين ، وفوقهما ثالث ، وبعضهم يضع بجوارها حجرين وفوقهما ثالث ، وبعض الناس يزعم أن هذا محل استراحة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين أسفارهم ، وأن من فعل ذلك يرجع في المستقبل مرة أخرى .

العــــرب :

ثم سرنا [من وادي فاطمة] حتّى وصلنا موضعاً فيه مرعى للإبل بكثرة ، وإذا ببعض من عرب ذلك الموضع راكبين على إبل لهم ومعهم سلاح ، وقصدونا للنهب فنشطنا لهم ونزل الحجاج الراكبون بأسلحتهم ومعهم عربنا ، وضرب طبل عربنا فوقفت القافلة كلها ، ثم أطلقتْ عليهم البنادق ففروا منهزمين .

بئر محسن :

فسرنا [إلى عسفان من مر الظهران] حتّى جاوزنا بئر محسن ، وكانت جهة يسارنا ، وينبغي أخذ الماء منها لمن لا ماء معه فإنّا لم نجد ماء بعدها في ذلك اليوم وفي آخره بتنا في بطحاء متسعة يقال لهـا العكربه (؟) لا ماء بها أصلاً ، وفيها أعشاب .

عسفــــان :

ثم سرنا يوم ٢١ الحجة [من العكربة (؟)] فوصلنا بطحاء متسعة وبِسُفل الجبل على يمين المتوجه للمدينة بناء ، والعوام يسمونه بيت

جُحًا لكون بابه واسعاً عالياً ولا بيوت عنده ، وهو في الحقيقة محل معدٌ لشرب المارين .

ثم وصلنا بئر التّفْلة قبل الظهر وهي بئر يحتاط بها أبيات للعرب وبعض من الحوانيت ، يباع بها ويشترى فنزلنا مع القافلة بجوارها كما هو عادتهم وشربنا منها ، وملأْنا ما معنا من القرب وغيرها تبركاً . ويقال لهذا الوادي وادي عسفان .

خليص :

ثم سرنا [من عسفان] في طريق ضيقة بين جبلين تسع جملين متجاورين فقط ، فحصل ازدحام إذ ذاك وفي آخر ذلك اليوم بتنا في صحراء معشبة خالية من الماء ، ، أوائل وادي خُلَيْص . فسرنا صبحا حتى وصلنا خُليصاً قبل الظهر ، وحطت الرحال به لكثرة الهواء والمطر ، وبتنا فيه ، وهو واد فيه أبيات وأبيار ونخيل وزرع كثير .

القضيمة :

ثم سرنا يوم الجمعة ٢٣ الحجة سنة ١٢٩٧ من خليص [صباحاً في أودية متسعة جدًا وبها أشجار وأعشاب بكثرة ورأينا في الطريق بئراً يستقى منها ، ماؤها يميل للملوحة وصادفنا بعدها ماء مطر فشربنا منه ، وسقينا ما معنا من الإبل .. ثم وصلنا آبار أ يقال لها آبار الهنود ، وبالقرب منها أبيات للعرب ، وفيها سوق ويسمى ذلك الموضع بالقضيمة ويقرب من البحر المالح فحصل البيات فيه .

أصـــول (؟) :

ثم سرنا [من القضيمة] والجبل عن يميننا مع بعد ، وفي الطريق

نخيل وأعشاب وأبيات للعرب .. وتيسر لنا ماءٌ مطر حصل به الكفاية وكانت هذه الليلة كثيرة المطر والهواء فتأخر سيرنا يوم الأحد ٢٥ ذي الحجة ، للضحى ، ثم سرنا والجبال عن اليمين وماء المطر كثير جدًّا يجرى في الأماكن المنخفضة جرياً قوياً ، وهناك تلول من رمل جهة اليسار ، ثم بتنا ليلة الاثنين بمحلٍّ يسمى أصول (؟)[1] بالقرب من رابغ .

رابــغ :

ثم سرنا يوم الإثنين ٢٦ ذي الحجة ١٢٩٧ [من أصول ؟] ووصلنا رابغاً صبحا ، وهي بلدة عظيمة بها عساكر من الترك ، وفيها سوق قائمة فأقمنا بقية ذلك اليوم ، ويوم الثلاثاء لكثرة نزول المطر حتّى انسد خليجها منه ، وامتنع المرور فيه حتّى تناقص بنزوله في البحر المالح ، ويوجد في هذه البلدة اللصوص بكثرة ، ويمشون مشي الكلاب .

مستورة :

سرنا منها – رابغ – يوم الخميس [٢٩ ذى الحجة ١٢٩٧] حتّى دخلنا قرية يقال لها مستورة ، وبتنا فيها ، وماؤها يميل للملوحة ، وبها سوق صغير ولصوص .

البزواء :

ثم سرنا منها [مستورة] حتّى وصلنا وادي القاع ، والبظوة (؟)[2] فبتنا به ، وهو خال عن الماء ، فيه أعشاب يسيرة وأرانب وغزلان .

---

(١) لعله : (ثول) .

(٢) كذا والصواب (البزواء) .

بـــدر :

ثم في أول يوم من المحرم ١٢٩٨ سرنا [من القاع] في فيافي ورمال وأحجار من الزلط حتى قاربنا إلى بدر ، فرأينا أشجاراً كثيرة ذات شوك ، ثم دخلنا بدراً بعد صلاة العصر ، فبعد حط الرحال ، توضأنا وصلينا العصر ، ثم زرنا الشهداء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم مجموعون في جهة واحدة وعليهم حائط ذات [؟] باب ، ومن داخلها [؟] حائط صغيرة دائرة بالقبور ، وفيه حجر مكتوب فيه أسماؤهم رضي الله عنهم وهم : عمير بن أبي وقاص وسعد بن خيثمة وصفوان بن مضاء ، وحارثة بن سراقة ، ومبشر بن عبد المنذر ، وذو الشمالين بن عبد عمرو ، ومهجع مولي عمر ، وعمير ابن الحمام ، وعاقل بن البكير ، ورافع بن المعلى ، ويزيد بن الحارث وعوف بن عفراء ، وشقيقه معوذ ، وأما عبيدة بن الحارث المطلبي فقطعت رجله فمات بالصفراء فدفنه صلى الله عليه وسلم بها ، وقيل : مات بالروحاء ، وبجوارهم صخرة عظيمة لها منفذ في أعلاها يزعم الناس أنها فتحت كذالك لنبينا صلى الله عليه وسلم وفي وسطها موضع لوضع الرحل عليه حال النزول ، وبأعلى تلك الصخرة مصلى وفي وسطها صخرة أخرى صغيرة غائصة ويقال إن هذه المصلى كانت عريشاً للنبي صلى الله عليه وسلم .

ثم صلينا المغرب جماعة في مسجد تلك البلدة ، ويقال له مسجد الغمامة ، وفيه حجر فيه أثر كف النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي هذه البلدة نخيل ومياه ، وبها عين جارية نافعة ، وأقمنا فيها يوم السبت ثاني يوم من المحرم [١٢٩٨] لكثرة الحجاج حتى مشى بعضهم ، وذلك خوف الازدحام في الطرق وعلى المياه .

الصفراء ــ الحمراء ــ أبيار عباس :

ثم سرنا [من بدر] تارة إلى جهة المشرق وتارة إلى غيرها ، فوجدنا بلاداً كثيرة النخل والمياه منها الحسينية والعريشية والصفراء ، وهي بلدة يمرٌ الحجاج في وسطها وهو ضيق ، وعلى اليمين واليسار حوانيت فيها العرب بالأسلحة ، وشأنهم الأذيّةُ والنهب ، ولكن الله سلم .

ثم سرنا حتى وصلنا الحمراء قبل العصر ، وهي بلدة بها سوق وبساتين ومياه عذبة ، وبأحد جانبي الطريق الموصلة لهذه البلدة جبال شامخة ، وبالثاني تلول ، ولضيق الطريق يخشى على الحجاج من أهل تلك البلدة ، وبأسفل الجبل المقابل للسوق ضريح سيدي عبدالرحيم البرعي ، وبجواره قبور ، وبعد مجاوزة هذه البلدة صعبت الطريق لكثرة الحصا والزلط وعدم تساوي الأرض .

ثم نزلنا في أبيار عباس قبيل العصر ، وبتنا بها ، ولصوصها شرار ، وبجوارها بعض أبيات للعرب ، فيها بيع وشراء ، وهناك قلعة قديمة مثل رابغ والصفرا والجديّدَة .

الفريشية :

ثم سرنا [من أبيار عباس] والطريق سهلة غالباً بها رمل وشجر وعشب ، والجبال عالية وفي الطريق تارة صعود خفيف وتارة هبوط كذلك ، وفيها بئرٌ جهة اليمين وأخرى جهة اليسار ، ثم بتنا ليلة الأربعاء في بطحاء واسعة يقال لها الفُرَيْشِيَّة، بعد أن جاوزنا المحطة المشهورة بالشهداء ، وهي على يسار الذاهب للمدينة ، وكانت الليلة المذكورة باردة ذات هواء ، وكثر فيها سرقة الأمتعة والإبل ، ودوران

(١) يقصد الفريش ، وهو فرش ملل .

الفقراء على الناس يسألونهم خبزاً وماء ، ولا ينتقلون إلا بالإعطاء ، وهذا شأنهم من أول الثغر لآخره ، ليلا ونهاراً ، ولا حَيَاء عندهم .

ذو الحليفة :

ثم وصلنا ذا الحليفة وبها مسجد وبئر يقال لها بئر عليٍّ تزعم العوام أنه قاتل بها الجنّ ، أي رمَى عليهم آلة القتل فيها ، ولا يُرَى فيها حجر ، خلافاً للعوام . وبعد مجاوزتها بقليل صادفنا جهة اليسار مزارع ومياه .. ثم سرنا حتى وصلنا ثنية يقال لها المدرّج ، وعلى اليمين واليسار بعض أهل المدينة ينتظر الحجاج القادمين .

البقيع والمقابر فى المدينة :

والأولى أن يبدأ بسيدنا عثمان بن عفان لأنه أفضل من فيه ، هذا إن لم يمر بقبر غيره ، والا سلّم مع وقوف يسير ، ثم رجع إليه ، ثم يزور العباس ثم الحسن بجنبه ، ثم بأمه فاطمة الزهرا فإن الأرجح أنها هنا وإن كان لها مزار بالجحون ثم بسيدنا على زين العابدين ابن الحسن بن علي بن أبي طالب ، ثم بابنه محمد الباقر ثم بابنه جعفر الصادق وهاؤلاء كلهم بقبة واحدة .. ثم يزور سيدنا ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم ومعه في قبته جماعة من الصحابة .. ثم يزور عقيل بن أبي طالب وسفيان بن الحارث وعبد الله بن جعفر الطيار ، وهاؤلاء في قبة ، لكن ثبت أن عقيلا توفي في الشام ، ويزور أيضاً بنات النبي صلى الله عليه وسلم وهن في قبة . ثم يزور أمهات المؤمنين ، وكلهن هنا إلا خديجة فبمكة وإلا ميمونة فبسرف . ويزور أيضاً قبر الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه وكذا شيخه نافع . بجنبه في قبة لطيفة ، وأما الشيخ علي السمهودي مؤرخ المدينة والشيخ الصاوي فقبراهم اخلف حائط قبة إمامنا فيزورهما . ويزور السيدة حليمة السعدية في قبة هناك من القرب من قبة سيدنا عثمان .

وخارج السور قبة سيدنا أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه وبجواره قبة اشتهر أن بها فاطمة بنت أسد أم سيدنا علي كرم الله وجهه ولبعض أن بها سعد بن معاذ سيد الأنصار ، ويختم بقبر صفية عمة النبي صلى الله عليه وسلم[1] .

وبالبقيع مسجدان مسجد أُبَيٍّ ومسجد الحزن . وقد دفن فيه في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة نحو عشرة آلاف ، ودفن فيه من سادات أهل البيت والتابعين ما يزيد على السبعين ألفا إلا أنه لا تعرف قبور أغلب مشاهيرهم لاجتناب السلف البناء والكتابة على القبور ، مع طول الزمان .

ويزور أيضاً مشهد إسماعيل بن جعفر الصادق بركن السور من داخله قبالة قبة العباس ، ويزور أيضاً مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بلصق السور غربي المدينة ويزور سيدنا عبد الله والد نبينا صلى الله عليه وسلم بالقرب من سيدنا مالك بن سنان ، ويزور مشهد النفس الزكية محمد بن عبدالله بن الحسن بن علي وهو خارج السور شرقي جبل سلع .

حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم :

خرجنا من الحرم من باب الرحمة لزيارة سيدنا حمزة رضى الله عنه فوجدنا بساتين بكثرة وعيوناً عذبة ، حتى وصلنا مسجده رضي الله عنه فزرناه ومن معه في قبة قبر عبد الله بن جحش بن أخت حمزة رضي الله عنه ومصعب عمير دفنا تحت المسجد الذي على قبر حمزة . . ثم توجهنا لزيارة بقية الشهداء .

---

(١) طهرت هذه البقعة الطاهرة من البدع و الخرافات فأزيلت كل الأبنية .

جبـــل أحـــد :

توجهنا لزيارة جبل أُحُد فنزلنا مسجداً يسمى مسجد الثناء[١] فصلينا فيه ثم سرنا فوصلنا محلاً أسفل الجبل فرأينا حجراً قيل لنا إن النبي صلى الله عليه وسلم[٢] فلانَ وغاص كالحجر الذي كان فوق رأسه الشريفة فجلسنا محل جلوسه ، ووضعنا رأسنا موضع رأسه تبركاً ،وبجوار ذلك غار يرتقي إليه يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم دخله ، وبعد ذلك مصلى يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه يوم غزوة أُحد ودعا الله بالنصر على الأعداء .

المساجد في المدينة :

ثم توجهنا لقبا فدخلنا المسجد الذي أُسس على التقوى وفي صحنه محراب علامة على محل نزول قوله تعالى (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ على التَّقْوَى) الآية. وبالقرب منه مصلى موضع بروك ناقة النبي صلى الله عليه وسلم القصوى ، ثم خرجنا منه إلى مسجد علي رضي الله عنه ثم دخلنا مسجد فاطمة الزهراء عليها السلام ، وعلى يسار قبلته محل رحاها ، ثم بعد ذلك دخلنا مسجد بئر الخاتم لأنه وقع فيها خاتم النبي صلى الله عليه وسلم وبالقرب منه نخلة يقال لها نخلة النبي صلى الله عليه وسلم وهي محنية على جذع من خشب . ثم دخلنا مسجد العمرة .. ثم سرنا إلى المدينة ندخلنا مسجد بني النجار على يسار المتوجه للمدينة وهو أول مسجد أقيمت فيه الجمعة (؟) .

الفريش ــ بئر عباس :

وفي ليلة ٢٣ [المحرم ١٢٩٨] سافرنا ليلتنا كلها إلى الضحى فنزلنا في الفريشة (؟) إلى الظهر .. ثم دخلنا بئر عباس ليلة الأحد ، وكانت ليلة مظلمة فكثر فيها التعدي من العرب على الحجاج والسرقة منه .

---

(١) لعله (مسجد الثنايا) حيث سقطت ثنايا رسول الله (ص) في وقعة أحد .

(٢) كذا ولعله (جلس فوقه فلان)

قبر عبيدة بن الحارث :

وسرنا يوم ٢٥ [محرم ١٢٩٨] من الحمراء وبعد مجاوزة بساتينها أخذنا جهة اليمين فمشينا فيها فإذا في أولها على اليسار مقبرة عظيمة فيها قبر سيدنا عبيدة بن الحارث البدري .

ثم بعد ذلك صعدنا عقبة ضيقة يمر فيها جمل واحد مع الصعوبة ، ثم بتنا في العذيبة ولا ماء بها .

ينبع :

ثم سرنا قبيل الفجر [من العذيبة] حتى وصلنا قبيل الظهر ماء كثيراً من المطر فأخذنا منه الكفاية ، وكانت عنده قافلة نازلة ، فبعد أن جاوزناه نزل عليها عرب جهينة فنهبوها وشتتوا أمرها ، ووصلنا بعض رجالها وأخبرنا بذلك ، وأعطينا المحتاج منهم ماء وزاداً . ثم دخلنا الينبع (؟) ليلة الأربعاء الموافق ٢٧ [محرم ١٢٩٨] وهي بلدة كبيرة بها سوق كثيرة اللصوص ، سرقوا مال بعض أصحابنا سحراً ، فرفعنا الأمر لحاكمها نهاراً ، وكتبنا له ما ضاع في ورقة ، وأخذها منا وصار يبحث سراً عن السارق حتى وقف عليه بعد سفرنا وأخذها منه وأرسلها لنا بعد قدومنا مصر .

ثم بعد صلاة الجمعة دفعنا أجرة (الوابور) إلى السويس ، ثم زرنا عبد الحافظ بن علوان وسيدى الشيخ زارع ثم في يوم السبت نزلنا الوابور عصراً بعد دفع المكس المظلمة وتلف بعض أمتعة الحجاج فى القطاير ، وسرق البعض ثم في الثاني من [صفر ١٢٩٨ هـ] وكان يوم الإثنين سار بنا قبيل العصر إلى جهة السويس .

الرَّبَذة ليست الحِناكيَّة

كان أحد المتأخرين ذكر في تعليق له على كتاب « خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى » للسمهوديّ أن الرّبذة هي المعروفة الآن باسم (الحناكية). وهذا خطأ فاحش تأثر به بعض الباحثين المتأخرين.

وقد نشرت بَحْثاً عن الرّبذة في أجزاء من مجلة « العرب »[1] ثم زرت الموضع الذي رَجَّحت أنه موقع الرّبذة، مع الأخوين الكريمين الأستاذ الشيخ محمد العُبُوديّ والأستاذ الشيخ سعد بن جُنيدل، فثبت لدينا وتحقّقنا موقع الرَّبَذة وكتب الاستاذ العبودي مؤيّدا لما كتبت[2] وهاهو الأُستاذ سعد يُدْلي برأيه في الموضع مؤيّدًا أيضا - من كتابه عن (عالية نجد) الذي تقوم (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) بنشره هذه الأيام.

أما (الْحِنَاكِيَّةُ) بكسر الحاء المهملة وفتح النون بعدها ألف فكاف مكسورة، فمثناة تحتيَّة مفتوحة مشددة فهاء - فكانت تعرف قديماً باسم (نَخْـل) بنون مفتوحة فخاء معجمة ساكنة فلام - كما تدل على هذا النصوص الواردة عن المتقدمين في تحديد هذا الموضع. يَحُفُّ بها غَرْبًا (النُّخَيْـل) بالتصغير - لا يزال معروفاً مأهُولاً :

---

(١) انظر مجلة (العرب) س ١ ص ٤١٨-٤٦٥-٦٢٥ و ٧٢٤ ص وس ١٠ وس ١٠ ص ١ - ٤.

(٢) « العرب » س ١١ ص ١٦١ - ١٦٧.

(١) يظهر أن اسم الحناكية أطلق على هذا الموضع لاحاطة كثير من جوانبه بجبال وآكام تبدو للناظر كأنها حنك أحاط بهذا الموضع.

أما رأي الأُستاذ الشيخ محمد العبودي ، فقد نشرت العرب خلاصته في سنتها الحادية عشرة . وتضيف إليه إيضاحًا ورد في مقدمة كتاب « بلاد القصيم » الذي سيصدر قريبًا . قال الأُستاذ سعد بن جنيدل :

الرَّبذَة : براء مهملة مفتوحة وباء موحدة وذال معجمة مفتوحتين ثم هاء ، وتُسمّى في هذا العهد البركة ، قرية قديمة واقعة على طريق حاج بغداد القديم ، وقد خربت هذه القرية وأصبحت خالية من السكان غير أن أسس البناء والآبار لاتزال ماثلة ، وفيها بئر عامرة يردها البدو ، وفيها بركة من برك الطريق التي عمرتها زبيدة لا تزال عامرة تورد ، وإنما سميت في هذا العهد البركة لوجود هذه البركة العامرة فيها .

وقد زُرت هذا المكان أنا والشيخ العلاّمة حمد الجاسر والشيخ محمد العبودي لمشاهدته ومدى مطابقته في حدوده وفي وصفه الجغرافي لما ذكره المؤرخون في تحديد الربذة ووصفها .

وقد اتّضح لنا من مشاهدته دون شك أن هذا المكان هو الرّبذة .

وهذه القرية واقعة في واد ينحدر من الجنوب الشرقي صوب الشمال الغربي ، كثير الرمث والثمام ، وفيه سلم وطلح ، ترى وأنت تقبل عليه شجر الطَّلح ذِا الفروع الأثيثة الخضراء والسِّيقان المرتفعة على طول امتداد هذا الوادي ، ومعظم منازل القرية وآبارها ومسجدها ومقبرتها والبركة العامرة والبئر التي مازالت عامرة كلها واقعة على ضفة الوادي اليمنى ، وفي الغرب منها على بعد كيلين تقريباً هضبة حمراء صغيرة ذات شكل مخروطي تسمّى المُصَيعيكة ، تصغير مصعوكة ، وفى الشرق الشمالى منها أبو مغير ، ماءٌ قديم ، وجنوبا منها تقع أودية أبقار ،

وكانت قُدما تَدعا ذا بقر ، وفي الشرق منها على طريق الحاج الماوان وماء الماوية ، وفي الغرب منها على طريق الحاج ماءُ السّليلة ، وقد زرنا هذه المواضع ، وشاهدنا معالم الطّريق والبرك فيها ، وهي باقية بأسمائها إلى هذا العهد.

وسأذكر ماتيسر لي من أقوال المؤرخين في تحديد الربّذة وأعلق على مايحتاج منها إلى إيضاح .

قال الحربيُّ ، عن ابن قيس الكلابي : سمّيت الرّبذة بربذة ، جبل أحمر صخرة حمراء ، على ميل من الربذة مما يلي المغرب فارع أحمر ، وقال اسمه ربذ .

قلت : يبدو لي أن جبل ربذ الذي ذكره هو الهضيبة التي تُدعا في هذا العهد المُصَيْعِيكَة لمطابقة وصف ربذ وتحديد موضعه لوصفها وتحديدها .

وقال الحربي أيضاً : ومن مغيثة الماوان إلى الربذة عشرون ميلا ، ومن الربذة إلى السّليلة ثلاثة وعشرون ميلا ونصف وبها قصر ومسجد ، ومسجد لأبي ذرّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقال : إنَّ قبره فيه . وقد اختلف أهل الربذة في قبره فقيل لي : هو تحت المنبر ، وقيل : لا ، بل تحت المنارة ، وأخبرني شيخ قديم من أهلها أن قبره في رحبة المسجد ، وأراني موضعاً فيه حشيش أخضر لايجفّ ولا يتغير شتاءً ولا صيفًا .

وكان أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أسكنه الرّبذة ، وذلك لأن أبا ذرّ اختارها .

وقال : حدثني جعفر بن أبي عثمان قال حدثنا يحيىٰ بن معين قال : حدثنا عبد الرزاق عن أمية ابن شبل عن مسكان عن مهران الجمال قال : قد حملت أبا ذرّ من المدينة إلى الربذة .

حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني قال حدثنا يحيي بن سليم الطائفي

عن عبدالله بن عثمان بن خثيم ، عن مجاهد ، عن ابراهيم بن الأشتر عن أبيه عن أم ذر قالت : لما حضرت أبا ذر الوفاة قال لي : اذهبي فانظرى لعلّ ركبا يمرون فتخبريهم ، قالت : فكنت أخرج كلّ يوم من الربذة أعلو جبلا حتّى مرّ بي ركب ، فألحت لهم بثوبي ، فأقبلوا فقلت : يا هؤلاء ، رجل من المسلمين يموت ، تشهدونه ، قالوا : من هو ؟ قلت : أبو ذرّ ، قالوا : صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ؟ قلت نعم . ففدوه بآبائهم وأمهاتهم ، وذكر حديثا طويلا . قال : فتولّينا أمره ودفناه بها ، في نفر كلهم يمانٍ ، منهم حجر بن الأدبر ومالك بن الأشتر .

والربذة لقوم من ولد الزبير بن العوّام ، وكانت لفزارة .

وبها بركتان يسرة ، إحداهما مدوّرة ولها مصفاة والأخرى من المنزل على أقل من ميل مربعة .

وبها آبار كثيرة ، وخيارها بئر تعرف بأبي ذرّ ، وبئر تعرف ببني المنذر ، وبئران يعرفان بالمهدي بينهما حوض ، وبئر تعرف بمحمود . وبئر تعرف ببني معاذ ، وبئر تعرف بسلسبيل ، وبئر تعرف ببئر المسجد وهي بئر أبي ذرّ ، وبئر تعرف بأبي السّعب غليظة الماء ، وبئر تعرف بقوطة ، وبئر صغيرة تعرف ببئر عبد الرحمن ، وبئر في الشرق مطويّة ، بالحجارة تعرف بعيسى بن موسى ، وبئر تعرف بابن مهير على ميل ونصف من الربذة .

قلت : الواقع أن الآبار في الربذة منتشرة على امتداد الوادى غير أنه لم يبق منها شيء عامر الاّ بئر واحدة مطوية بالحجارة قريبة المنزع ، وهي التي بجوار المسجد ، في جانبه الشرقى .

ثم تحدث الحربي عن طريق الرّبذة إلى المدينة فقال : طريق

الربذة إلى المدينة : يعدل من الربذة إلى أبرق العزّاف عشرين ميلا ، وبأبرق العزّاف آبار كثيرة غليظة الماء .

قلت : أبرق العزاف يقع غرباً شماليا من الربذة على طريق المدينة ، والعزاف كثبان رمل متموجة يسمع لها صوت مع حركة الرياح ، تدعَا في هذا العهد القوز ، وفي طرفها الشرقي كثيب بارز يدعا الحنّان ، لانه يسمع له دوي ، ويقول البدو : إنَّ الأصوات التي تسمع فيه هي أصوات الجنّ ، أما الأبرق الذي يدعا أبرق العزاف ، فانه يدعا في هذا العهد أبرق القوز ، ويقع في طرف كثبان القوز من ناحية الغرب ، وهو أبرق كبير مرتفع عن كثيب القوز .

وتحدث أبو علي الهجري عن الربذة فقال : الرّبذة بفتح أوله وثانيه وبالذال المعجمة هي التي جعلها عمر رضي الله عنه حمى لابل الصّدقة ، وكان حماه الذي أحماه بريداً في بريد ، ثم تزودت الولاة في الحمى أضعافاً ، ثم أبيحت الأحماءُ في أيام المهدي فلم يحمها أحد بعد ذلك .

وروى الزهري أن عمر حمى الشرف والربذة ذكره البخاري .

قلت بعد هذه المقدمة تحدث الهجري عن حدود حمى الرّبذة في وقت اتّساعه ، وذكر المياه والجبال التي دخلت فيه ، وبعضها مازال باقياً باسمه وقد تحدثت عن كل منها في رسمه .

وتحدث لغدة الأصفهاني عن الربذة وعدّها في بلاد مُحارِبٍ فقال : بلاد محارب ما بين الخَيَالات إلى أريك إلى جانب الداهنة إلى جوف الربذة ، والخَيَالات أجبال النقرة التي بينها وبين مطلع الشمس ، إلى جنب طمية ، ثم لهم ما بين الربذة إلى فَرَان ، وهو حذاء السليلة ، ومن جبالهم ماوان وهو جبل أسود ضخم ، قال المحاربي :

إن يَبْدُ مَاوَان فَقَد طال شَوقُنَا إلى الرُّكن من مَاوَانَ إن كان باديا
ولو كلفتني قَوْدَ مَاوَانَ قَدتُهُ قِيادَ البَعيرِ أَوْ قطعت فؤاديا

وفى جنبه بير ، يقال لها بئر ماوان ، يقول الشاعر :

شَرِبْنَ مِن مَاوَانَ ماءً مُرًّا ومنْ سَنَام مِثْلَهُ أَوْ شَرًّا

وسَنَام هذا جبيل قريب من الرَّبذة .

والغَرد جبيل بين ضرية والرَّبذة من شاطيء الجريب الأقصى ، وهو لمحارب وفزارة .

ويقول أهل المدينة ـ لمن ذهب إلى مكة ـ : أخذت التهامية أم النجدية ؟ .

فالتهاميّة التي على عسفان والجحفة ، والنّجدية التي على طريق الرّبذة .

قلت : مما ذكره الأصفهاني يتّضح لنا أن الربذة واقعة في نجد ، وليست في الحجاز وسيأتي ما يؤيد هذا القول إن شاء الله .

وقال ياقوت : الرَّبَذَة بفتح أوله وثانيه ، وذال معجمة مفتوحة أيضاً : من قُرى المدينة على ثلاثة أيّام ، قريبة من ذات عرق ، على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة ، وبهذا الموضع قبر أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه ، واسمه جندب بن جنادة ، وكان قد خرج إليها مغاضباً لعثمان بن عفان رضي الله عنه فأقدم بها إلى أن مات سنة ٣٢ هـ .

وقرأت فى تاريخ أبي محمد عبيد الله بن عبد المجيد بن سيران الأهوازي قال : وفى سنة ٣١٩ هـ خربت الربذة باتصال الحروب بين أهلها وبين ضرية ، ثم استأمن أهل ضرية إلى القرامطة فاستنجدوهم عليهم فارتحل عن الربذة أهلها فخربت ، وكان من أحسن منزل فى طريق مكة ، وقال الأصمعي يذكر نجدا : والشرف كبدُ نجد ، وفي الشرف الربذة ، وهي الحمى الأيمن .

وفي كتاب نصر : الربذة من منازل الحاج بين السليلة والعُمَق .

قلت : ما نقله من كتاب نصر صحته بين السليلة وماوان ، وليست بين السليلة والعُمَق .

قال ياقوت أيضاً : وينسب إلى الرّبذة قوم منهم : أبو عبد العزيز موسى بن عبيدة بن نشيط الرّبذى ، وأخواه محمد وعبدالله ، روى عبد الله عن جابر عن عقبة بن عامر ، وروى عنه أخوه موسى وقتله الخوارج سنة ١٣٠ هـ ، وغيره . وفى تاريخ دمشق : عبدالله ابن عبيدة ابن نشيط الربذي مولى بني عامر بن لوي ، وفد على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وروى عنه وعن عبيد الله بن عتبة وعن جابر بن عبدالله مرسلا ، وروى عنه عمر بن عبدالله بن أبي الأبيض وصالح بن كيسان وأخوه موسى بن عبيدة ، قال محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة قال : وروى موسى بن عبيدة الربذي ، وهو ضعيف الحديث جداً ، وهو صدوق عن أخيه عبدالله بن عبيدة وهو ثقة ، وقد أدرك غير واحد من الصّحابة كذا فيه سواء : ضعيف الحديث ، ثم قال صدوق .

قلت : مما ذكره ياقوت يتّضح لنا أن الرّبذة واقعة في الشرق في نجد ـ وأنها بلدة مزدهرة وأنها أحسن منازل الحاج في طريق مكة ، وأنها خربت وأصبحت خالية من أهلها بسبب الحروب التى وقعت بين أهلها وبين أهل ضرية ، وأن القرامطة قد أعانوا أهل ضرية في محاربة أهلها وتخريبها .

وتحدّث البكري عن الرّبذة وعن حماها غير أنه لم يذكر شيئاً غير ما ذكره الهجري ، ثم تحدّث عن وفاة أبي ذرّ رضي الله عنه فيها فقال : وبالربذة مات أبو ذر وحده لمّا نفي من المدينة ، ليس معه إلا امرأته وغلام له ، كما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في غزوة تبوك ،

وأنَّ أبا ذرّ لما أبطأ عليه بعيره أخذ متاعه على ظهره ، ثم سار يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فنظر ناظر من المسلمين ، فقال : يارسول الله هذا رجل يمشي على الطريق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ! كُن أبا ذرّ ؛ فلما تأمله القوم قالوا : يارسول الله ؛ هو والله أبو ذر ، فقال : يَرحَمُ اللهُ أبا ذرّ . يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده .

وتحدّث الهمداني عن طريق حاج العراق ، وذكر مراحله من مكة إلى ملتقى الطريقين في معدن النقرة ؛ ورتبه ترتيباً دقيقاً ماراً بالعُمَق ثم السليلة ثم الرّبذة ثم الماوان ؛ فقال : عرض العُمَق أربعة وعشرون درجة ومنه إلى الربذة ثلاثة وعشرون ميلاوعرض الرَّبذة خمسة وعشرون جزءاً ومنها إلى الماوان ستة وعشرون ميلاً وعرض الماوان خمسة وعشرون جزءاً ونصف.

والمواضع التي رسم بها الهمداني طريق حاج العراق معروفة بأسمائها إلى هذا العهد ومعالم الطريق ماثلة فيها مرئية بالمشاهدة ؛ في الماوان وفي الربذة وفى السليلة وفي العمق وفي بقية الطَّريق .

وتحدث الفيروز آبادي في كتابه « المغانم المطابة » عن الرّبذة ، وعن بعض الأعلام التي تدل على تحديدها فقال : الربذة بالتحريك واعجام الذال قرية من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز ، إذا ارحلت من فيد تريد مكة . وبهذه القرية قبر أبي ذرّ الغفاري – رضي الله عنه – واسمه جندب بن جنادة بن السكن ، وكان خرج إليها مغاضباً لعثمان – رضي الله عنه – فأقام بها إلى أن مات سنة اثنتين وثلاثين .

وفى تاريخ عبيد الله بن عبد المجيد الأهوازي : وفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة خربت الرّبذة باتّصال الحروب بين أهلها وبين ضرية ، ثم

استأمن أهل ضرية إلى القرامطة واستنجدوهم عليهم فارتحل عن الربذة أهلها فخربت ، وكانت من أحسن منزل في طريق مكة .

وقال الأصمعي يذكر نجدا قال : والشرف كبد نجد ، وفي الشرف الربذة وهي الحمى الأيمن .

وقال نصر : الربذة من منازل الحاجّ بين السليلة والعمق .

ويُنسب إلى الربذة جماعة منهم عبد العزيز بن موسى بن عبيدة الربذي وأخواه محمد وعبد الله وغيرهم .

قلت : قوله قريبة من ذات عرق ، غير صحيح ، ويحتمل أن صحته على طريق ذات عرق .

وقوله عن نصر بين السّليلة والعمق غير صحيح ، فهي بين السليلة والماوان .

وقال أيضا : شابة بالباء الموحدة مخففة : جبل بين الربذة والسليلة من نواحي المدينة ، قال القتال الكلابي :

تركت ابن هبّار لدَى الباب مُسَنداً وأصبح دوني شابة فأرومُها

والواقع أن شابة وأروم واقعان بين الرّبذة والسليلة معروفان باسميها وقد تحدثت عن كلّ منهما في رسمه .

وقال أيضا : شُقَر كزُفَر وصُرَد : ماء بالرّبذة ، عند جبل سنسام .

وقال أيضاً : مرْوان تثنية مرو للحجارة البيض البراقة : اسم جبل بأكناف الرّبذة .

وقيل : حصن . وكان مالكه الشليل جدّ جرير بن عبد الله البجلي .

قلت : هذا الجبل عبل أبيض من المرو البراق ، يقع صوب مغيب الشمس من الربذة يرى منهابالبصر ، يدعى في هذا العهد العبل ، والعامة في هذا العهد يقولون لكل جبل مرو مثله عبـل .

ويحتمل أن لشليل البجلي حصن في بلاده بهذا الاسم .

وقد علّق عليه الشيخ حمد الجاسر وقال : يحتمل أن مروان محرف من ماوان ، وتعليقه هذا سابق لزيارتنا للربذة ولماوان ، وماوان جبل أسود كبير بعيد عن أكناف الربذة .

وقال السمهودي في « وفاء الوفاء » الرّبذة قرية بنجد من عمل المدينة على ثلاثة أيام منها . قاله المجد ، وفي كلام الأسدي مايقتضي أنها على أربعة أيام . قال المجد : كان أبو ذرّ الغفاري خرج إليها مغاضبا لعثمان رضي الله تعالى عنهما فأقام بها إلى أن مات .

ثم تحدث عن حمى الربذة ولم يزد عما ذكره الهجري شيئا .

أما كيف نجمع بين خبر وفاة أبي ذرّ رضي الله عنه الذي يفيد أنه توفي فيها وليس عنده فيها أحد إلّازوجته وغلام له ، فالخبر ذلك يفيد أيضا أنه توفي فيها عام ٣٢ هـ . وهي في ذلك لم تعد أن كانت مراعي لابل الصّدقة حماها عمر بن الخطاب رضي الله عنه لها وحماها بعده الخلفاءُ ، ويبدو أنها لم تنم بلدة ويتّسع عمرانها إلا بعد أن رسم عليها طريق حاج العراق واتخذت منزلا من منازل الحاج وحفرت فيها الآبار وعمرت البرك ، وشيّد إلى جانب البرك والآبار في منازل الحاج قصور يسكنها المحافظون على هذه الآبار والبرك ومن يتعهدون بصيانتها ، فقامت أعمال تجارية في هذه المنازل مع الحاج وعمرت فيها القرى ، فكان للربذة النّصيب الأوفر من العمران بين منازل الحاج ، وقد تقدم قول المؤرخين إنّها من أحسن منازل الحج ، وفي الأخبار التالية مايلقي ضوءا على واقعها في الوقت الذي سكنها أبو ذر وفي الوقت المتأخر بعده .

أبو ذرّ الغفاري رضي الله عنه في الربذة :

ذكر ابن سعد في طبقاته وغيره خبر سكنى أبي ذرّ رضي الله عنه في الرّبذة ، وقد تقدّم بعضها من ذلك ، ويقول ابن سعد : أخبرنا هشيم

قال أخبرنا حصين عن زيد بن وهب قال : مررت بالرّبذة فاذا أنا بأبي ذر قال : فقلت ما أنزلك منزلك هذا ؟ ، قال : كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية : «والذين يكنزون الذّهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله» . وقال معاوية : نزلت في أهل الكتاب ، قال فقلت : نزلت فينا وفيهم ، قال : فكان بيني وبينه في ذلك كلام فكتب يشكوني إلى عثمان ، قال فكتب إليّ عثمان أن اقدم المدينة ، فقدمت المدينة وكثر الناس عليّ كأنهم لم يروني قبل ذلك ، قال فذكر ذلك لعثمان فقال لي : إن شئت تنحّيت فكنت قريباً . فذاك أنزلني هذا المنزل ، ولو أمر على عبدا حبشيا لسمعت ولأطعت .

قال أخبرنا يزيد بن هارون قال أخبرنا هشام بن حسان عن محمد ابن سيرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذرّ : إذا بلغ البناء سلعا فاخرج منها ، ونحا بيده نحو الشام ، ولا أرى أمراءك يدعونك ، قال يارسول الله أفلا أقاتل من يحول بيني وبين أمرك ؟ ، قال لا ، قال فما تأمرني ، قال اسمَع وأطع ولو لعبد حبشي .

فلما كان ذلك خرج إلى الشام ، فلما [اختلف] مع معاوية بعث إليه عثمان وعاد من الشام ، وقدم المدينة ، قال له عثمان : كن عندي تغدو عليك وتروح اللقاح ، قال : لا حاجة لي في دنياكم ، ثم قال إئذن لي حتى أخرج إلى الربذة ، فأذن له فخرج إلى الربذة وقد أقيمت الصلاة وعليها عبد لعثمان حبشي فتأخر ، فقال أبو ذرّ : تقدم فصلّ فقد أمرت أن أسمع وأطيع ولو لعبد حبشي فأنت عبد حبشي .

وقال : تناجي أبو ذرّ وعثمان حتى ارتفعت أصواتهما ، ثم انصرف أبو ذرّ مبتسماً ، فقال له الناس : مالك ولأمير المؤمنين ؟ قال : سامع

ومطيع ولو أمرني أن آتي صنعاء أو عدن ثم استطعت أن أفعل لفعلت ، وأمره عثمان أن يخرج إلى الربذة .

وقال فيما روى عن عبد الله بن الصّامت قال : دخلت مع أبي ذرّ في رهط من غفار على عثمان ابن عفّان من الباب الذي لايدخل عليه منه ، قال : وتخوفنا عثمان عليه . قال : فانتهى إليه فسلّم عليه ، قال ، ثمّ مابدأه بشيء إلاّ أن قال : أحسبتني منهم ياأمير المؤمنين ؟ والله ماأنا منهم ولا أدركتهم ، لو أمرتني أن آخذ بعرقوتى قتب لأخذت بهما حيث أمرت . قال ثم استأذنه إلى الربذة ، قال فقال نعم ، نأذن لك ونأمر لك بنعم من نعم الصّدقة فتصيب من رِسْلها ، فقال : فنادى أبو ذرّ : دونكم معاشر قريش دنياكم ، فاعذموها ، لا حاجة لنا فيها ، قال : فما نراه بشيء ، قال فانطلق وانطلقت معه حتى قدمنا الرّبذة ، قال فصادفنا مولى لعثمان غلاماً حبشيًّا يؤمّهم فنودي بالصلاة فتقدم فلما رأى أبا ذرّ نكص ، فأومأ إليه أبو ذر : تقدّم فصلّ ، فصلّى خلفه أبو ذر.

وروى أن أبا ذرّ لما حضره الموت بكت امرأته فقال لها : مايبكيك ؟ قالت : أبكي لأنه لايدان لي بتغييبك وليس لي ثوب يسعك ، قال : فلا تبكي فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر أنا فيهم : ليموتَنّ منكم رجل بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين وليس من أولئك النفر رجل إلاّ قد مات في قرية وجماعة من المسلمين ، وأنا الذي أموت بفلاة ، والله ماكَذَبتُ ولا كُذِبْتُ فأبصري الطريق ، فقالت أنّى وقد انقطع الحاج وتقطّعت الطرق ، فكانت تشدّ إلى كثيب تقوم عليه تنظر ثم ترجع إليه فتمرضه ثم ترجع إلى الكثيب ، فبينا هي كذلك إذا هي بنفر تخدي بهم رواحلهم كأنهم الرخم على رحالهم فألاحت

بثوبها فأقبلوا حتى وقفوا عليها ، قالوا مالك ؟ : قالت امرؤ من المسلمين يموت تكفّنونه ، قالوا : ومن هو ؟ قالت : أبو ذرّ ، ففدّوه بآبائهم وأمّهاتهم ووضعوا السّياط في نحورها يستبقون إليه حتى جاؤوه ، فقال . أبشروا ، فحدّثهم الحديث الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذكر في سند إلى عبد الله بن مسعود أنه قال : لما نفى عثمان أبا ذرّ إلى الرّبذة وأصابه بهـا قدره ولم يكن معه أحد إلاّ امرأته وغلامه فأوصاهما أن اغسلاني وكفّناني وضعاني على قارعة الطريق فأول ركب يمر بكم فقولوا : هذا أبو ذرّ صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأعينونا على دفنه ، فلّما مات فعلا ذلك به ، ثم وضعاه على قارعة الطريق ، وأقبل عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق عمّارا ، فلم يرعهُم إلاّ بالجنازة على ظهر الطّريق قد كادت الإبل أن تطأها ، فقام إليه الغلام وقال : هذا أبو ذر ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعينونا على دفنه . فاستهلّ عبد الله يبكي ويقول : صَدق رسول الله ، تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك . ثم نزل هو وأصحابه فواروه ، ثم حدّثهم عبدالله ابن مسعود حديثه وما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مسيره إلى تبوك .

وذكر بسند إلى عبد الله بن خراش الكعبي أنه قال : وجـدت أبا ذرّ في مَظَلّة شعَر بالرّبذة تحته امرأة سحماء فقلت : ياأبا ذرّ تزوّج سحماء ، قال : أتزوّج من تضعني أحبّ إليّ ممن ترفعني ، مازال بي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى ماترك لي الحق صديقاً .

قلت : من أخبار أبي ذرّ المتقدمة يتأكد أمران : أحدهما خلو الربذة من السكن المستقر فى الربذة إلى جانب أبي ذرّ فى العهد الذى سكنها فيه إلا ما كان من رعاة إبل الصدقة .

الأمر الثاني : وقوعها على طريق حاج العراق .

وقد سبق أن قلت : إن نموّها كبلدة عامرة ذات سوق تجارية إنما كان بعد رسم طريق الحج عليها وجعلها منزلاً من منازل الحاج ، وقد أورد ابن سعد خبراً يؤيد ماذهبت إليه ، قال مترجماً لإبراهيم بن حمزة : الطبقة السابعة : إبراهيم بن حمزة بن مصعب بن الزبير ، وأمه من آل خالد بن الزبير بن العَوام وأم أبيه أم ولد ، وأم جده أم ولد يكني إبراهيم أبا إسحاق ، وقتل حمزة بن مصعب وابنه عمارة بقديد ، ولم يجالس إبراهيم مالك بن أنس ، وسمع من عبد العزيز بن محمد الدّراوردي وعبد العزيز بن أبي حازم وغيرهما من رجال المدينة ، وهو ثقة صدوق في الحديث ، ويأتي الربذة كثيراً فيقيم فيها ويتجر بها ويشهد العيدين بالمدينة . وقد ذكر أن عبد العزيز بن محمد الدراوردي الذي سمع منه في المدينة توفي في المدينة ١٨٧ هـ.

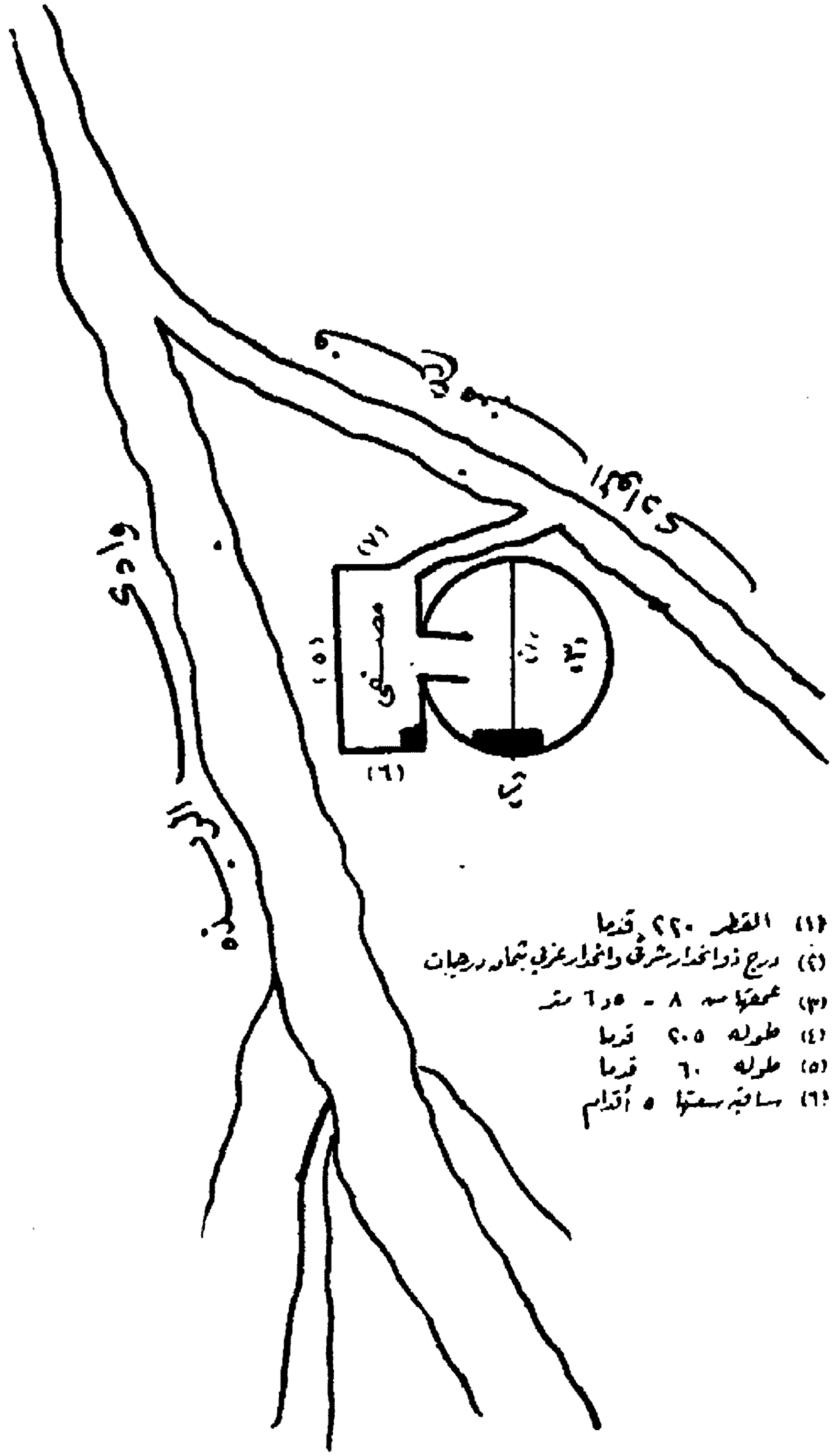
وصف قرية الرّبذة : تقع قرية الربذة على ضفة واد يأتي من صوب مطلع الشمس ، ويتجه صوب مغيب الشمس مزدحم بشجر الرمث وفيه طلح كثير وسلم ، وله رافد يأتي من الشرق ويلتقي به عند القرية ، ومن هذا الرافد تمتليء البركة .

والقرية واقعة على ضفة الوادي الشرقية ، واضحة المعالم على امتداد الوادي ، فيها آبار متهدمة ، وفيها بئر واحدة مرصوصة بالحجارة عامرة ، وفي ناحيتها الشمالية الغربية مقبرة كبيرة على ضفة الوادي الشرقية ، وفيها قبور أخرى في موضع آخر ، بين البئر العامرة وبين الشمالية الشرقية شمال البئر العامرة آثار قرية قديمة لم يبق منها إلّا تَل كبير من الأتربة والحجارة ، وحطام الأواني الفخارية الملونة والزجاجية التي أثرت في تلوينها وتشكيلها عوامل التعرية والقدم ، وبجانب البئر

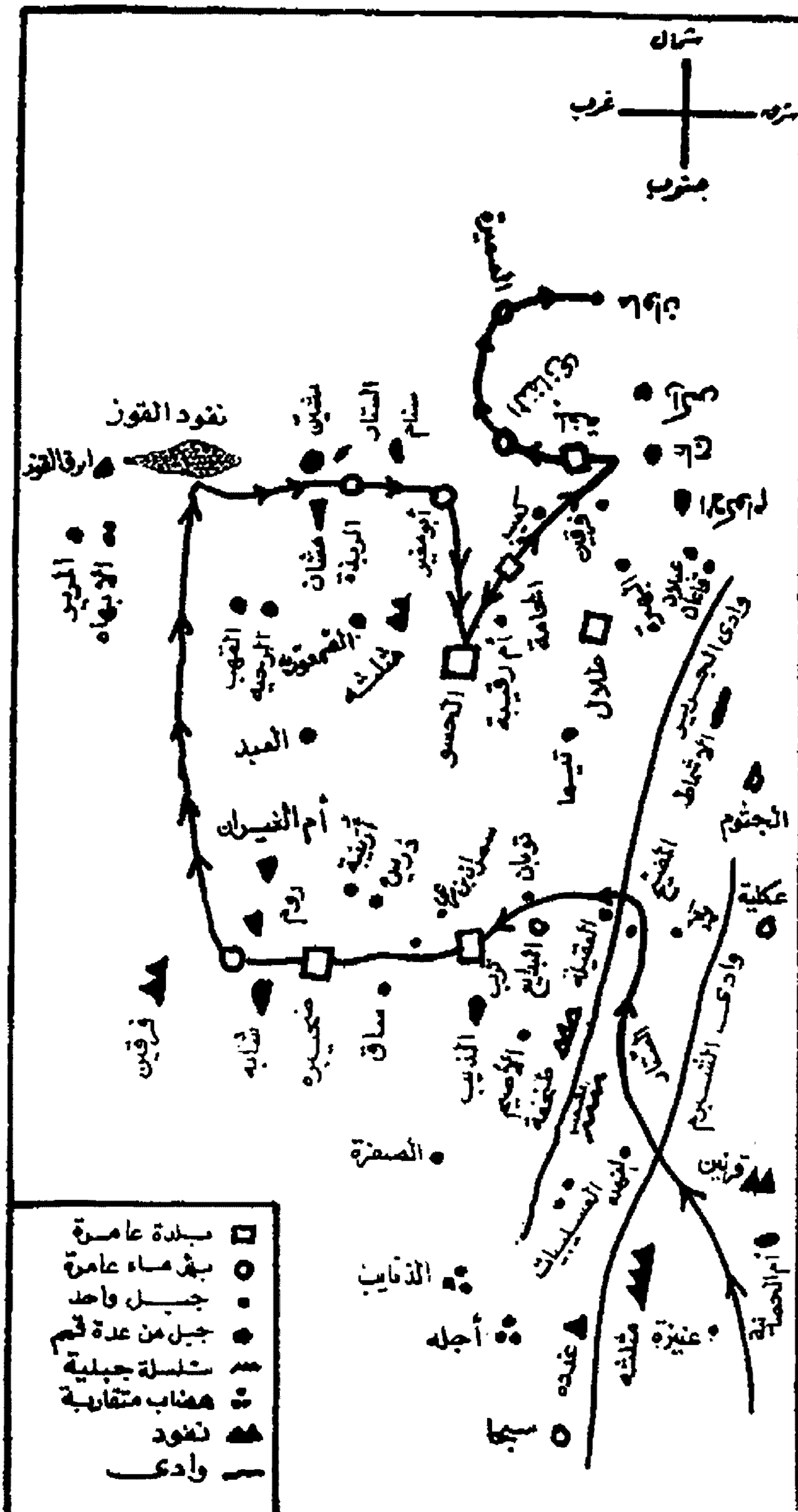
العامرة من الغرب مسجد كبير بادي المعالم يطلّ على الوادي من الشرق، وفيها بركة مدوّرة عامرة ولها مصفى مربع بجانبها الغربي ، والبركة مازالت في وضع جيد وطول قطرها ٢٢٠ قدمًا .

وقد بقي من عمقها بين جانب منها وآخر ما يتراوح بين ثمانية أمتار إلى ستة أمتار ونصف ومازالت السيول تدفع فيها مع طريقها المخصص عن طريق المصفى ، وقد بقي منها هذا العمق مع أنها لا تنظّف ولا تصان لأن الأتربة التي تدفعها السيول تترسب في المصفى وتبقى في حوضه ، ولأنها محاطة بتلٍّ من الأتربة الملبدة من كل نواحيها إلا ما يلي المصفى يمنع ما تدفعه الرياح من التراب من السقوط فيها ، ولها درج في جانبها الجنوبي ينزل معه إلى بطنها ، وهو ذو فرعين واتجاهين ، وقد بقي منه غير ما غطته الأتربة مما يلي قاعها ثماني درجات لكلّ فرع وينزل الماء إليها من المصفى مع مصب ينزل فيه متدرجاً في انحداره سعته خمسة أقدام ، وبجانبها من الغرب المصفى وليس بينه وبينها إلا الجدار المبني بينهما ، وهو ذو شكل مربع مستطيل ، طول جداره من الشمال إلى الجنوب ٢٠٥ أقدام وجداره من الشرق إلى الغرب ٦٠ قدماً وفي زاويته الجنوبية الشرقية درج سعته خمسة أقدام وفي زاويته الشمالية الشرقية مدرّج ينزل السّيل معه سعته خمسة أقدام وتتصل به ساقية من الوادي مازالت عامرة ، ولم يبق من عمقه في أخفض موضع فيه إلا متر لأن السيول تدفع فيه حاملة معها الأتربة وتترسب في حوضه ، ولأن للمصب عتبة مشرفة تمنع تسرب الأتربة مع الماء إلى البركة مما جعل البركة أبقى على عمقها ، والمصفى يرتفع فيه التراب .

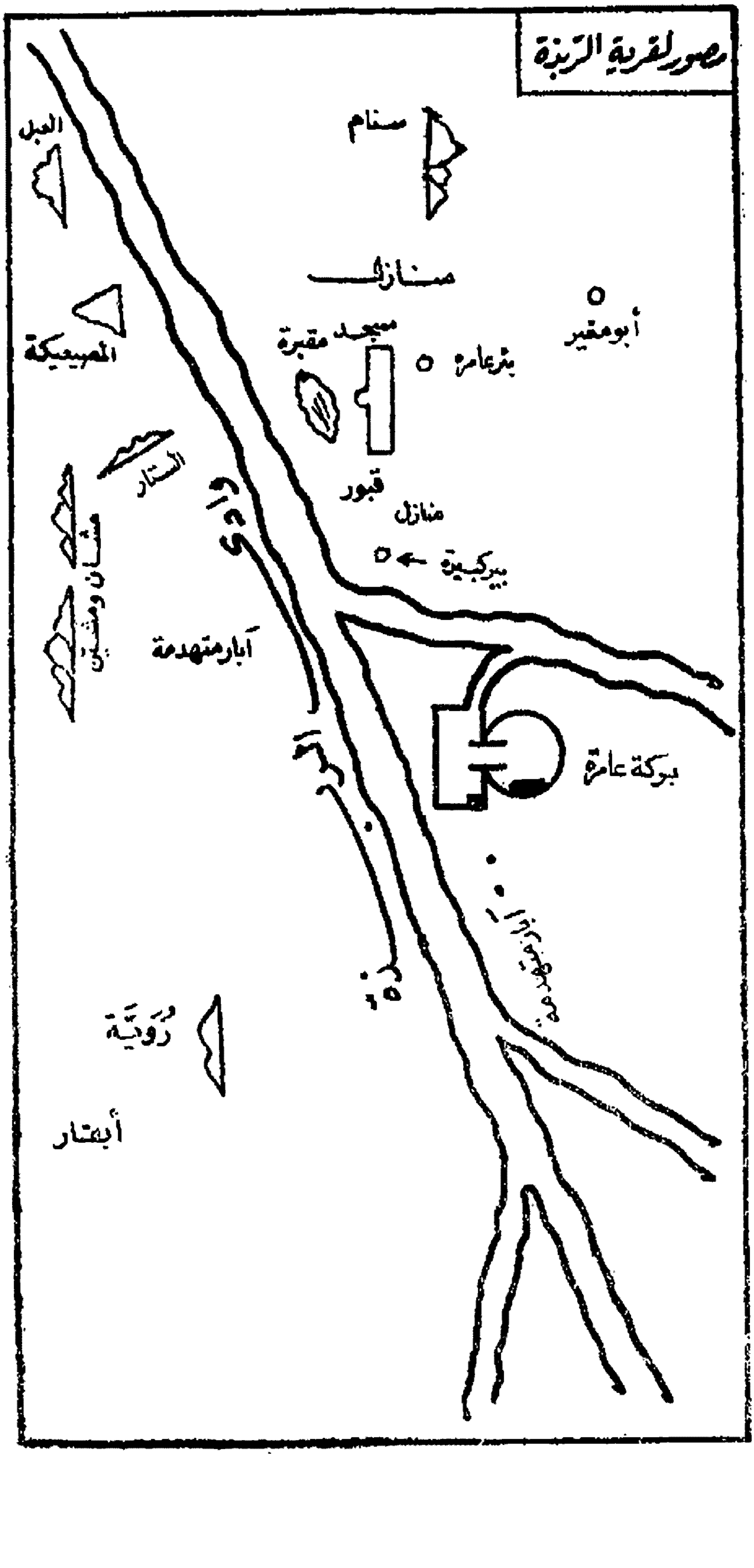
مصوّر للبركة العامرة في الرّبذة [في الصفحة المقابلة]



وادي
(٧)
مصفى
(٥)
(٦)
(١)
(٢)
(٣)
(١) القطر ٢٠٢ قدما
(٢) درج ذو انحدار شرقي وانحدار غربي بتمامه درجات
(٣) عمقها من ٨ - ٥ر٦ متر
(٤) طوله ٢٠٥ قدما
(٥) طوله ٦٠ قدما
(٦) ساقية سعتها ٥ أقدام



مصور يوضح موقع الربذة وما حولها من المواضع


مصور لقرية الربذة
سنام
العبل
منازل
أبو مغير
مسجد
مقبرة
بئر عامر
المصيبكة
الستار
قبور
منازل
بيركبيرة
آبار متهدمة
بركة عامرة
روثية
أبقار

الطريق من الربذة إلى مكة المكرّمة :

أورد الحربيُّ في كتابه المناسك رسماً لطريق حاج العراق مرتباً من بغداد إلى مكة مارًّا بالربذة وذكر المسافة بين منزل وآخر من منازل الحاج ، وأورد نظماً يتضمَّن رسم الطريق من العراق إلى مكة للمصعد ونظماً يتضمن رسمه من مكة المكرمة إلى العراق للعائد من الحج وهنا أورد منه جزءاً يرسم الطريق من مغيثة الماوان ماراً بالربذة ثم السليلة ثم العمق ثم بقية المنازل إلى مكة ؛ ومن الملاحظ أن معالم هذا الطريق لا تزال ماثلة ، وكثير من الآبار والبرك لاتزال عامرة ؛ ومن قصيدة لأحمد بن عمرو في رسم الطريق :

مغيثة الماوان :

ثم إلى مغيثـة المَـاوَانِ ... قدمًا قطرناهنَّ بالأَرْسَـانِ
وقـام بالأشعـارِ حـاديَانِ ... عن وَصف مَنْ تُعرفُ بالإحْسانِ
ومَنْ كساها المجدَ والـدانِ ... عاشا ومـا مثلهما إثنـانِ
كان أبو الفضل حَيا الجيْرانِ ... وأمّ إبراهيم في زمـانِ
لم يك فى الفضل لها من ثانِ ... جَزَاهُمـا الرّحْمن بالغُفـرانِ

الربذة :

ثم توجَّهنـا نُريدُ الـربَذَة ... ومنزلا في قـرية مُنْتَبَذَهْ
لدى طريق غانـم مَنْ أَخَذَهْ ... لا يَنْدمُ الدَّهر به مَنْ نفذَهْ
وبيننـا ينت الملوك البَذَذه ... لن مضى من الملوك ، الأَخذَهْ
للملك والنـافين عنه الشذَذَه ... ممن يقيم الملك فيمن نَبَذَهْ
ويعمـلِ السيف إذا ماشَحذَهْ ... خدمتهـا لسنة متخـذه

السُّليلة :

ثم ترّحلنـا إلى السُّليـلَهْ ... مرحـلة مياهُهـا قَلِيْـلَهْ

تعجز عن رفقتها النّزيله ... فأنجدت ذات اليد الجميلة
ببذل أموال لها جزيله ... فاستخرج الماء بكلّ حيله
فَضلاً على الحجاج والقبيله ... لقد حَبَا ذو القدرة الجليلَهْ
بنت أبي الفضل يدا الفضيله ... لها سماء أبدًا مخيله

العمق :

ثم توجّهنا نريدُ العُمَقا ... منزل صدق لم يَزلْ مرتفقا
ببئر ماء طاب منها المستقى ... والعيس تسري في الظلام حزقا
وراكبوها يصلون الأرقا ... والنور في القبة يجلو الأفقا
من حرة ترى العطايا خلقا ... أحيت لمن لبًّا وحج الطُّرقا
أجرت لهم ماء رواءً غدقا ... فالله يجزيها بذخر وبقا

وهكذا سار في قصيدته في رسم منازل الحاج إلى مكة المكرمة .

وقال الهمداني في رسم منازل الحاج من مكة المكرمة إلى النقرة ، والنقرة بعد الربذة بمنزلتين ويذكر المسافة بين كلّ منزلة وأخرى : من أخذ الجادة إلى معدن النقرة فمن مكة إلى البستان تسعة وعشرون ميلاً ، وعرض البستان أحد وعشرون جزءًا وربع . ومنه إلى ذات عرق أربعة وعشرون ميلاً ، وعرض ذات عرق أحد وعشرون جزءًا وثلثا جزء . ومنها إلى الغَمرة عشرون ميلاً ، وعرض الغمرة اثنان وعشرون جزءًا . ومنها إلى المسلح سبعة عشر ميلاً ، وعرض المسلح اثنان وعشرون جزءًا ونصف ، ومنه إلى الأُفيعية ثمانية وعشرون ميلاً ونصف ، عرض الأُفيعية ثلاثة وعشرون جزءًا ، ومنها إلى حرة بني سليم ستة وعشرون ميلاً وعرض حرة بني سليم ثلاثة وعشرون جزءًا ونصف ومنها إلى العمق إثنان وعشرون ميلا وعرض العمق أربعة وعشرون درجة ، ومنه إلى السليلة ثلاثة عشر ميلاً وعرض السلية أربعة وعشرون جزءًا ونصف ، ومنها إلى الرّبذة ثلاثة

وعشرون ميلا وعرض الرّبذة خمسة وعشرون جزءًا ، ومنها إلى الماوان ستة وعشرون ميلاً وعرض الماوان خمسة وعشرون جزءًا ونصف ، ومنها إلى معدن النقرة عشرون ميلاً ، وهي ملتقى الطريقين ، فهذا تقدير طريق العراق في العرض على ماعمله بعض علماء العراق .

الطريق من الرّبذة إلى المدينة :

قال الحربيّ : يَعْدل من الرّبذة إلى أبرق العزاف عشرين ميلاً . وبأبرق العزّاف آبار كثيرة ، ومن أبرق العزّاف إلى السّتار خمسة وعشرون ، وبذي القصّة مياه كثيرة

ومن ذي القصّة إلى المدينة ثلاثون ميلاً ، تخرج على بئر السائب وبينك وبين المدينة خمسة أميال ، وكان الرشيد يسلك هذا الطّريق ، وهو مائة ميل وميلان ، بين الرّبذة والمدينة . وقد حدده بعضهم بثلاثة أيام .

قلت : مما تقدم يتأكد تحديد موقع الربذة بجلاء ، وفيه ردّ على من يقول إن الربذة هي قرية الحناكية ، والذي لا شك فيه من مدلول الأقوال والشواهد المتقدمة أن الربذة هي القرية التي وصفتها وحدّدتها ، ويفهم من أقوال المؤرخين أن الحناكية هي بطن نخل ومن أنعم النظر في الأقوال القديمة والشواهد وزار البلاد بنفسه أدرك ذلك ولم يبق عنده شك في وجاهة هذا القول .

- الرياض

سعد بن عبد الله بن جنيدل

وقال الاستاذ الشيخ محمد العبودي في مقدمة «بلاد القصيم» :

حمى الربذة :

هذا الحمى واقع في أقصى حدود القصيم الغربية ورغم ضيق مساحته بالنسبة إلى حمى ضرية فإن بعض الأماكن فيه تابعة للقصيم وبعضها تابعة للمدينة المنورة .

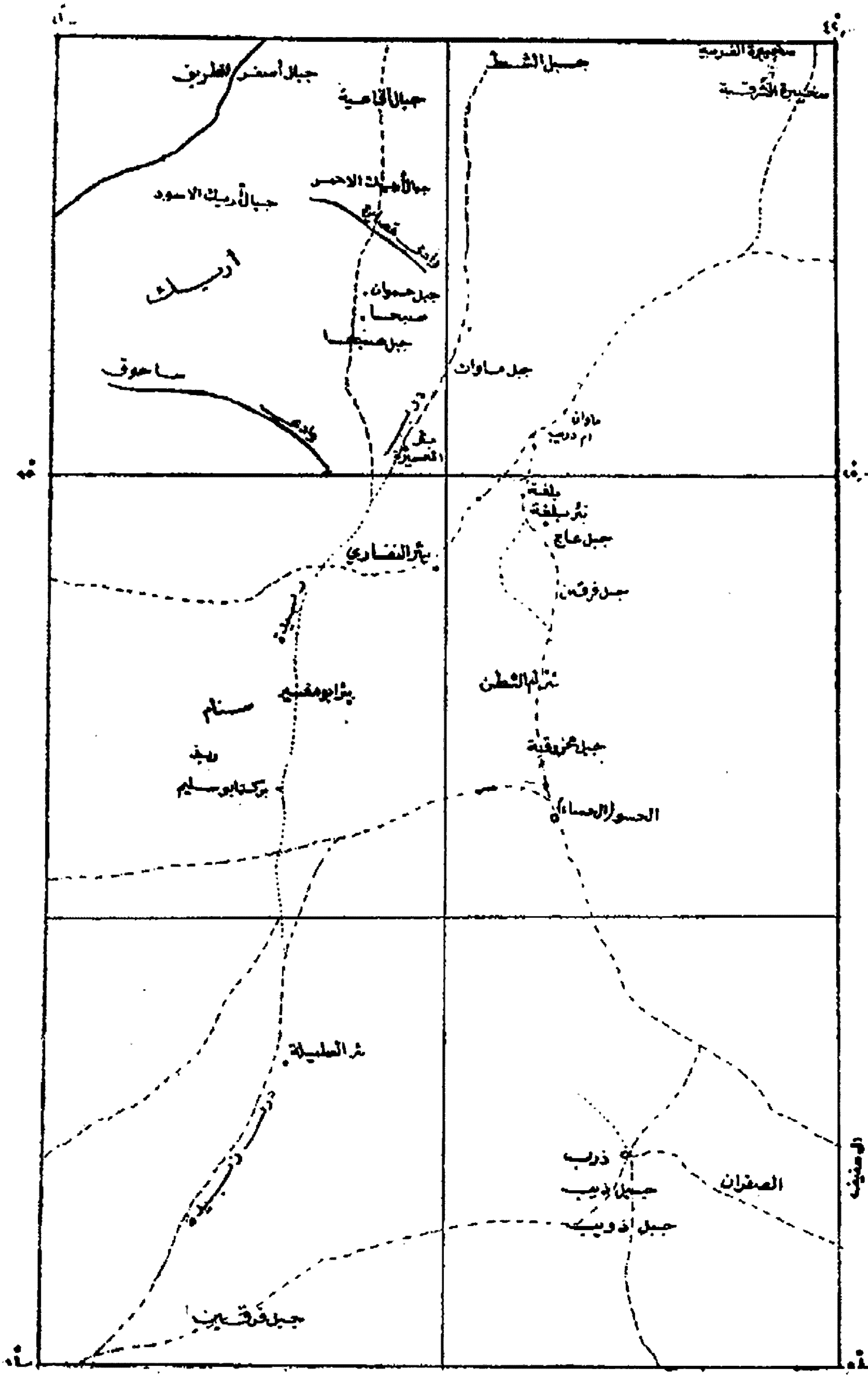
ويهمنا هنا أن نلم إلمامة سريعة به من باب التعريف والايضاح ، وليس من باب الدراسة الكاملة له وإن كان جديراً بالدراسة ، حقيقاً بالبحث العميق إلا أن هذا المعجم ليس موضعاً لتفصيل أحوال هذا الحمى لان جزءا منه خارج من منطقة القصيم .

ولنبدإ الكلام عليه بالتعريف بقاعدته (الربذة) التي كثر فيها الحدس والخرص ثم نثني بالكلام على حدوده مترسمين خطا الإمام ابي علي الهجرى رحمه الله .

الرَّبَذَة : هنالك موضع يقال له البركة (بركة أبوسليم) كما في الخارطة التي أصدرتها وزارة المالية والاقتصاد الوطني – المديرية العامة لشؤون الزيت والمعادن سنة ١٣٧٨ – بعنوان (ابحاث جيولوجية مختلفة) .

هذه بركة مربعة واسعة قطرها ٢٢٠ قدما لها مصفاة تقع إلى الغرب منها طولها ٢٠٥ أقدام وعرضها ٦٠ قدما وارتفاع البركة أربعة أمتار . والمصفاة بركة أعلى من البركة الكبيرة ، وضعت كما توضع غرف التفتيش في مجارى المياه في البيوت لكى يبقى فيها الرمل والحصا الذي يحمله السيل لئلا يذهب إلى البركة ولكى يمكن تنظيفه بعد وهو اسهل من تنظيف البركة نفسها .

وهذه البركة واقعة في الربذة بلا شك .


جبل الشط
مخيبرة الغربية
مخيبرة الشرقية
جبال أسفر الطريق
جبال القاعية
جبال أريك الاحمر
جبال أريك الاسود
أريك
جبل حموان
صبحا
جبل صبحا
ساحوق
جبل ماوان
ماوان
أم دريب
بلفة
بئر بلفة
جبل عاج
بئر النفاري
جبل فرقين
بئر أبو مغيم
سنام
بركة أبو سليم
بئر أم الشطن
جبل مخروقية
الحسو الحماء
بئر الطليلة
ذرب
جبل ذريب
جبل أذويك
الصفراء
جبل فرقين

وهي في ناحيتها الشرقية ، تكاد تكون ملاصقة لها ، وتملأ من ميـاه واد صغير يأتي إليها من جهة الشمال . وتحيطها من جميع الجهات اكمات من الأرض الغليظة التي تعلوها الحصباء مما جعلها تتماسك ولا تنهد في البركة.

وقدزرناها يوم الخميس ١٥ - ٩٥٣ هـ بصحبة الأستاذ الكبير الشيخ حمد الجاسر والشيخ سعد بن جنيدل . فألفيناها كأنما تركها الصانع أمس ، وهي مدورة كاملة التدوير مضبوطة ،بحيث يجزم المرءُ بأن الذي عملها مهندس قدير يشرف على عمال مهرة مجلوبين من خارج المنطقة لذلك نجزم أنها من برك زبيدة ، وليست من البرك الأخرى التي استحدثها أهل الخير من بعد زبيدة أو قبلها .

وبناؤها من الحجارة المطوية الملصقة بالملاط والتي طلي بعض جوانبها بملاط من الصاروج . وليس كلها مغطى بذلك.

والبركة هنا هي التي ذكرها الحربي بقوله : وبها - اي الربذة - بركتان يسرة ، إحداهما مدورة ، ولها مصفاة ، والأخرى من المنزل على أقل من ميل مربعة [1] .

أقول : هذه البركة هي المدورة فجميع الأوصاف تنطبق عليهـا - وهذه المنطقة هي منطقة الربذة وذلك للنصوص التالية :

ذكر الإمام الحربي الربذة فقال :

الربذة : حدثني عبد الله بن عمرو قال حدثني ركّاض بن عبد الله ابن قيس الكلابي .

قال : سميت الربذة بربذ ، جبل أحمر ، صخرة حمراءُ على ميل من الربذة ، مما يلي المغرب ، فارع أحمر ، وقال : اسمه ربذ [2] .

---

(١) المناسك ص ٣٢٨ .　　(٢) المناسك ص ٣٢٧ .

أقول : الجبل المذكور معروف الآن وهو هضبة حمراء هرمية الشكل يسميها الأعراب من أهل تلك الناحية « مصيعيكه» وهي تصغير مصعكة مؤنث (مصعك) التي أصلها في الفصحى مصملك بمعنى المجتمع بعضه إلى بعض مع ارتفاعه .

وهو قريب جداً من الربذة يقع إلى الغرب منها على بعد يقرب من كيلين وهو بالفعل يشبه الربذة وهي كلمة تستعملها العامة في نجد بلفظ (ربثة) بابدال الذال تاء ، وهذا ليس بغريب إذ التاء والذال تتعاقبان

وقد فسر الحربي لفظة الربذة بعد ذلك فروى عن أبي حاتم - ولعله السجستاني - أنه قال : الربذة صوفة من عِهْن تعلق في أعناق الإبل .

أقول : وقد أدركت العامة فى نجد يصنعونها من خيوط الصوف وخيوط القطن ويضعونها في أعالى طرابيش الأطفال ، وأغطية رؤسهم التي يسمونها (القبوع) جمع قبع بضم القاف وإسكان الباء ثم عين .

والجبل الذي يسمى الآن : « مصيعيكة » ويقع إلى الغرب من بركة أبو سليم يشبه الربثة عند العامة التي هي الربذة فى الفصحى بلا شك .

وذكر الإمام لغده الاصبهاني رحمه الله : جبل سنام بعد أن أنشد قول الشاعر :

شربن من ماوان ماءً مرًّا ومن سنام مثله أو شرا

وقال سنام : هذا : جبيل قريب من الربذة[1] .

أقول : سنام هذا هو أقرب الجبال إلى الربذة ويقع إلى الشمال منها يرى منها رؤية واضحة أي : إلى هذا المكان الذي يسمى الآن : (بركة أبو سليم)

---

(١) بلاد العرب ص ١٧٧ .

وآثار مدينة الربذة ولا أقول : قرية الربذة لأنها من واقع آثارها نستحق أن تسمى مدينة أقول : آثارها باقية ظاهرة للعيان من حجارة مهذبة ، وآثار حيطان مهدمة ، وقواعد بناء واضحة ، قدر صفتها وأحكمتها أيد مدربة ، من ذلك بقايا المسجد وهو المسجد الذي بقربه توفى أبو ذر الغفاري رضي الله عنه ، ومن ذلك مقبرة عظيمة باقية صوى القبور ، وعلامات المقبرة واضحة المعالم ، وهي مقبرة واسعة هذا غير ما فقد يكون درس منها .

والمسجد والمقبرة واقعان فى الجهة الغربية من المدينة على الشفير الشرقي لواد يقع في غربي البلدة ، وتنحدر مياهه إلى وادي بقار الذي كان يسمى قديماً « ذا بقر » والذي يذهب سيله إلى وادي مخيط . ومخيط ينحدر إلى وادي الشعبة الذي ينحدر إلى المدينة المنورة فيحجزه سد العاقول في الوقت الحاضر إلى الشرق منها .

وفى هذه المدينة رأينا مقادير كبيرة من الفخار الملون الفاخر الذي طلي بطنه وقفاه بطلاء ملون جميل إلى جانب كسر من الفخار غير الملون. إلى قطع من الزجاج القديم الغريب الشكل بالنسبة إلى الزجاج المعروف في الوقت الحاضر وبخاصة منه ماهو غير صافى اللون .

هذا إلى جانب كسر من الأرحاء السود .

وهذا كله مما هو ظاهر على وجه الأرض دون حفر ومما بقي بعد ألف عام ، أما باطن الأرض فهوغني بالآثار مما جعلنى أجزم جزمًا قاطعاً بأنها هي مدينة الربذة فمخلفاتها وآثارها تدل على ذلك .

أما الآبار فانه لايوجد فيها الآن إلا بئر واحدة يردها بعض الأعراب وماؤها غير عذب إلا أنه ليس شديد المرارة بالنسبة إلى غيره من الأمواه

الموجودة في تلك المنطقة والتي يغلب عليها الطعم المر . وهي بعيدة القعر نوعاً يبلغ عمق البئر فيها حوالى ٢٢ متراً .

ويبلغ مدى عمران المدينة من البركة في جنوبها الشرقي إلى المقبرة في شماليها الغربي حوالى ٩٠٠ متر .

وتكثر آثار المنازل التي نجزم بأنها هي منازل العامة من النـــاس . أما منازل الخاصة فهي الجهة الجنوبية الشرقية قريبة من البركة .

وطريق الحاج نفترض أنه يمر بين منازل العامة هذه وبين البركة لأن الحربي نص على أن البركة هذه التي هي مدورة يسرة أي على يسار الذاهب إلى مكة .

متى خربت الربذة ؟ :

لا يمكن الجزم بعمر مخلفات الربذة إلا للمختصين على أنه يوجد لدينا نص صريح ، يحدد تاريخ خرابها ، ولكن ذلك لا ينفي أن تكون قد عمرت بعد ذلك ثم عاودها الخراب ثانية وهذا هو النص :

قال ياقوت رحمه الله : قرأت في تاريخ أبي محمد عبيد الله ابن عبد المجيد بن سيران الأهوازي قال : وفى سنة ٣١٩ خربت الربذة باتصال الحروب بين أهلها وبين ضرية ، ثم استأمن أهل ضرية إلى القرامطة فاستنجدوهم عليهم فارتحل عن (الربذة) أهلها فخربت . وكانت من أحسن منزل في طريق مكة . وهذا نص صريح في خراب كان للربذة فهل عاودتها العمارة ثم اعتورها الخراب ؟ إننا لا نستطيع أن نجيب فنجزم الجواب ولكن الظاهر من استقراء مخلفات مدينة الربذة أن ذلك الخراب كان الخراب الأخير لأن مخلفاتها لا تدل على أنها حديثة عهد بعمران ، اللهم إلا مايتعلق بالبركة فربما كان بعض المحسنين من القادرين قد أصلحها وجاء بعده من تعهدها بالإصلاح .

وقال الهجري . وأول أجبل حمى الربذة في غربيها رحرحان ، وهو جبل كثير القنان ، وقنانه سود ، بينها فرج .

أقول : لا يزال جبل رحرحان محتفظاً باسمه القديم وهو واقع فى غربي هذا المكان الذى يسمى الآن «بركة أبو سليم» مما يضيف دليلاً على أنه هو الربذة . ويدل على ذلك أنه ذكر أن بين رحرحان والربذة بريدين . وهذه هي المسافة الفعلية بين الموضعين .

ودليل آخر وهو قوله : ثم يليه جبل يقال له الجواء ... ثم يلى الجواء أجبل يقال لها القهب ، وهي ببلد سهل حُرٌّ ، وهي من خيار مواضع أحماء الربذة ، وهي عن يسار المصعد إلى المدينة ، وعن يمين المصعد من العراق إلى مكة . وبين القهب والربذة نحو من بريد[1] .

أقول : لا تزال جبال القهب محتفظة باسمها القديم وتنطقه العامة هناك القِهب بكسر القاف وإسكان الهاء على لفظ جمع أقهب عندهم وتقع على يسار من يريد المدينة المنورة من هذا المكان الذى يسمى الآن البركة (بركة أبو سليم) كما تقع على يمين من يسير مع طريق الحاج إلى مكة المكرمة . مما يقطع بأن هذا المكان هو الربذة .

ثم قال الهجري : ثم الجبال التى تلى القهب عن يمين المصعد إلى مكة : جبل أسود يدعى أسود البرم بينه وبين الربذة عشرون ميلاً .

أقول : هذا الجبل يسمى الآن (العبد) ولاشك في أن تسميته العبد هي بعينها تعني كلمة «أسود» في العصر العباسي إلا أن إضافة هذا الجبل إلى البرم قد ماتت ربما كان ذلك بسبب ذهاب العمران من الربذة وماحولها وعدم عناية أهل البدو بالبرم التى تستخرج منه

---

(١) أبو على الهجرى وأبحاثه ص ٢٤١ — ٢٤٣ .

علماً بأن البرم جمع برمة وهي القدر التي تصنع من الفخار ونحوه .

ويدعه السائر مع طريق الحاج من (بركة أبو سليم) هذه إلى السليلة وهي المنهل الذي يقع بعدها على طريق الحاج إلى مكة على يمينه وقد سرنا معه مما يدل على أن بركة أبو سليم هذه هي الربذة .

ثم قال الهجري : وأقرب المياه من أسود البرم حفائر حفرها المهدي على ميلين منه تدعى (ذا بقر) ذكرها مؤرج السلمي فقال :

قدرٌ أحلك ذا النخيل وقد أرى وأبيك ، مالك ذو النخيل بدار
إلاَّ كداركُم بذي بقر الحمى هيهات ذو بقر من الزُّوَّار

أقول : ذو بقر أصبح الآن يسمى «بقار» وهو معروف في تلك المنطقة ، وقد ورد في شعر عامي، لشاعر يمدح قومه من حرب الذين كانوا يسكنون تحت المنطقة في القرن الماضي، ولا يزال جماعة منهم في «النفازى» و «ماوان» و «بلغة» و «الهميج» و «النقرة» التى تقع إلى الشرق من الربذة وغير بعيدة عنها قال يذكر مطراً :

يمطر على اللي وسمهم يقدح النار حَلاَّبة للجار خلْف متالى[1]
يمطر على الدَّيَّر ويمطر على (بقار) ويمطر على النقره وياخذ ليالي

ثم ذكر الهجري أماكن عدة بعضها باقٍ على اسمه القديم وبعضها نعرفه من وصفه وكلها تدل على موقع الربذة وأنه هو هذا الذى يسمى الآن «بركة أبو سليم» .

هذا إلى جانب كون النصوص التي ذكرها الإمام أبو إسحاق الحربي في كتاب «المناسك» عن الربذة تدل على ذلك وقد قست المسافات

---

(١) الوسم : يريد به الوسم الذى يكون على إبلهم . وخلف : جمع خلفة عندهم وهى الناقة اللبون .

التي ذكرها مابين الربذة وماقبلها ومابعدها فإذا بها كلها تؤيد أن بركة (أبو سليم) هي كانت موقع الربذة .

ومن قوله في ذلك أنه ذكر النقرة – التي لاتزال تحتفظ باسمها القديم وذكر أن الحاج يمرون بالقرب من جبل ماوان الذي يعرف الآن باسمه هذا أيضًا وذكر أنهم يمرون بجبال الشمط ولا تزال تسمى الشمط – وذكر مُغِيثَةَ الماوان وتسمى الآن (العميرة) . لوجود بقايا من العمارة فيها ، وقد تتبعنا أعلام طريق الحاج وأمياله التي لايزال أكثرها باقياً إلا أنه قد تهدم فقادتنا من «النقرة» إلى مُغِيثَةَ الماوان المذكورة دون أن نفقد من آثار تلك الأميال إلا القليل مما يقطع بصحة هذا الطريق .

ثم قال الحربي : ومن مغيثة الماوان إلى الربذة عشرون ميلاً .

أقول : المسافة بين العميرة التي هي المغيثة وبين بركة (أبو سليم) التي هي كانت تسمى الربذة هي تساوي ما ذكره الحربي .

ثم قال – بعد كلام له – : وقبال المتعشى : جبل يقال له سنام . وسنام يحتفظ باسمه القديم كما ذكرت ثم قال :

ووراء ذلك أحساءٌ بموضع يقال له (الأمغر) وقبل الربذة بميل بركة ناحية عن الطريق . ثم ذكر الربذة بعد ذلك[1] .

أقول : الأمغر معروف الآن بهذا الاسم وفيه منهل يسمى (أبو مغير) في الوقت الحاضر . وهو في طريق المتوجه من النقرة إلى هذه البركة إذا كان قاصدًا مكة المكرمة سائراً إلى جهة القبلة . وهو قبل البركة بحوالى خمسة أكيال وبينه وبين الربذة آثار بركة قديمة فهو والربذة هذه واقعان فى طريق الحاج الكوفى إلى مكة المكرمة .

---

(١) المناسك ص٣٢٣ – ٣٢٦ .

ومن ذلك أنه ذكر جبلا بين الربذة والسليلة يقال الرئة وهو لا يزال يسمى (رُيَيَّة) على لفظ تصغير رئة وهو جبل أحمر هضبة واحدة .

فدل ذلك كله على أن الربذة هي التي تسمى الآن (بركة أبو سليم) والله أعلم .

كما يتضح خطأ من قال : إن الحناكية هي الربذة ذلك لأن الحناكية كان معروفة في القديم باسم (نخل) أو «بطن نخل» وصفها من تكلموا على طرق الحج بما لا يدع مجالاً للشك في ذلك ، ولأن الحناكية ليست على طريق حاج الكوفة إلى مكة وإنما هي على طريق الحاج إلى المدينة المنورة ، والربذة ذكرت في طريق الحاج إلى مكة . كما ذكرت الطرق التي تنطلق منها إلى المدينة المنورة مارة بعدة أماكن بعضها بل كثير منها معروف باسمه القديم في الوقت الحاضر أما الحناكية فإن الطريق منها إلى المدينة يمر بالشقرة الباقية على الاسم القديم ثم الصويدرة التي كانت تسمى (الطرف) ثم بئر السائب التي تسمى الآن (بير الكعكي) .

بعد تعيين موقع الربذة يحسن بنا أن نصحب الإمام أبا علي الهجري في إلمامة سريعة تتضمن تحديده لحمى الربذة مبتدئين بقول مختصر عن أول من أحمَى حمى الربذة .

قال : الربذة هي التي جعلها عمر بن الخطاب رضي الله عنه لإبل الصدقة وكان حماه الذي أحماه بريداً في بريد ، ثم تزيدت الولاة في الحمى أضعافاً ، ثم أبيحت الأحماء في أيام المهدي ، فلم يحمها أحد بعد ذلك[1] .

---

(١) أبو علي الهجري وأبحاثه ص ٢٤٠ .

تكلم الإمام الهجري على حدود (حمى الربذة) متخذاً شكل دائرة حول مركز الحمى ـ الربذة ـ سائراً ذات اليسار وواضح أنه كان يتكلم عليه وهو في المدينة المنورة التي قضى فيها وقتاً طويلاً ، وألف كتابه وهو فيها ،كما يستدل على ذلك من تعبيراته في عدة مواضع.

قال : يسرةُ حمى الربذة (الْخَبِرَةُ) وهي من الربذة مهب الشمال وهي في بلاد غطفان[١] .

أقول : واضح من قوله : يسرة أن ذلك بالنسبة لمن يكون في المدينة المنورة لأن جهة الشمال من مدينة الربذة هي جهة اليسار بالنسبة إليه .

والخبرة : لاتزال معروفة ولكنها تسمى الآن (الخبراء) جرياً على عادة العامة من الأعراب في تغيير الأسماء التي تتلاءم مع مايستعلمونه من لغتهم إلى أخرى مستعملة لديهم إذ الخبراء معروفة مستعملة عندهم بخلاف الخبرة ، وذلك لأنهم لا يأخذون الأسماء من الكتب وإنما هو من أفواه الرجال . وذلك يعتريه التحريف والتبديل على مر القرون كما هو ظاهر .

وسيأتي شواهد لهذا التغيير كثيرة في معجمنا هذا إن شاء الله .

والخبراءُ هذه كما تُعرف الآن ماءة واقعة بين جبل رحرحان وبين هضب المنخر الذي أصبح يسمى منيخة في الوقت الحاضر .

ثم قال الهجري : وأول أجبل حمى الربذة في غربيها (رحرحان) وهو جبل كثير القنان وقنانه سود بينها فُرَج .

أقول : جبل رحرحان لايزال محتفظاً باسمه القديم دون تغيير

---

(١) ص ٢٤٠ .

وهو معروف الموقع الآن بل متهور ويقع إلى أيسر الغرب من (بركة أبو سليم) الذي هي الربذة فى القديم .

ثم قال : ويلى رحرحان من غربيه جبل يقال له (الجواء) .

أقول : لا أعرف هذا الجبل .

قال : ثم يلى الجواء : جبل يقال له (القَهْب) وهي ببلد سهل ينبت الطريفة وهي من خيار مواضع أحماء الربذة ، وهي عن يسار المصعد إلى المدينة . وعن يمين المصعد من العراق إلى مكة .

أقول : القهب لا تزال معروفة باسمها القديم كما تقدم قريباً في الكلام على الربذة .

ثم قال : ثم الجبال التي تلي القهب عن يمين المصعد إلى مكة – أي : عن يمين الذي يسير مع طريق حاج الكوفة متجهاً إلى مكة المكرمة – : جبل أسود يدعى (أسود البرم) وقد قدمت أنه يعرف الآن بالعبد أي بلفظ العبد ، ضد الحر . الذي أصبح يطلق عند العامة على الأسود .

وهناك ماءة ضعيفة قريبة من العبد هذا ، تسميها العامة من الأعراب «العبدة» على لفظ تأنيث العبد أخذاً من اسم العبد الذي هو متطور من اسم (الأسود) التي أصلها أسود البُرم .

ثم ذكر الهجري (ذا بقر) الذي أصبح يسمى (بقار) . وعقب عليه بذكر جبلي أروم وآرام وقال : إنهما في قبلي الربذة .

وقال : ثم يليها جبال يقال لها (اليعملة) .

أقول : واضح من كلام المتقدمين أن اليعملة هي الجبال التي تسمى الآن (الخلدورة) ولم نعرف أحداً من أهل تلك الناحية تعرف على اليعملة باسمها القديم . ويوضح ذلك ، قوله : وبين (اليعملة) والربذة

ثلاثة عشر ميلاً ، وتلك هي المسافة بين الخدورة وبين بركة أبو سليم..

ثم قال الهجري : ثم الجبال التي تلي اليعملة : هضاب حمر عن يسار المصعد تداعى (قواني) واحدتها قانية ، وهي في أرض حرة لبنى سليم بينها وبين الربذة اثنا عشر ميلاً"[1] .

أقول : قواني تغير اسمها تغيراً يسيراً من ناحية المعنى وإن كان تغيراً كبيراً من حيث اللفظ إذ أصبحت تسمى الآن (الحمر) جمع حمراء ذلك بأن معنى قوان هو حمر شديدة الإحمرار ومعنى قانية هو حمراء شديدة الإحمرار وهذه هي صفة الحمر هذه فهي عدة هضبات حمراء.

قال الهجري : ثم يلي قواني : عمود أحمر يدعى عمود المحدث في أرض محارب للخُضْرِ منهم"[2] .

أقول : الذي ظهر أن هذا العمود هو الذي يسمى الآن (الصمعورية) فاسمه القديم قد نُسي ، وهذا له ما يبرره من حيث المعنى ذلك بأن العامة من الأعراب يسمون الجبل المستدق (الصمعورية) وذلك له شاهد من تسمية الصمعورية الواقعة في منطقة حمى ضرية شمالاً من قرية مسكة وتقع الصمعوريّة التي نتكلم عليها في الربذة والتي كانت قديماً تسمى (عمود المحدث) إلى الغرب من (حسو عليا) الذي كان يسمى قديماً (ذا حساء) .

قال الهجري : وبين الجبال التي تلي المحدث عن يسار المصعد (عمود الأقعس) من أرض محارب أيضًا ، وبه مياه تدعى الأقعسية في أصل الأقعس وهي لمحارب ، وبين الأقعس والربذة بريدان .

أقول : الأقعس هذا تغير اسمه فأصبح يسمى (أم رقيبة) أي :

---

(١) ص ٢٤٤ . (٢) ص ٢٤٤ .

(ذات الرقيبة) وهو اسم لايخلو من علاقة بالاسم القديم إذ الأقعس في الفصحى هو الذي بطنه داخل وظهره بارز ، أي في بدنه انحناء ولذلك قالوا : «الأقعس الذي في صدره انكباب إلى ظهره»[1] .

والجبل إذا كان في أعلاه دخول من ناحية وبروز من ناحية أخرى ظهرت قمته كأنما هي ذات رقبة .

ثم قال الهجري : ثم يلي الأقعس (هضب البلس) في أرض محارب أيضًا ، وهو مجمع للسعاة . بينه وبين الربذة ميلان .

أقول هضب البلس يسمى الآن (كعيب) وهذا هو الذي تدل عليه صفته وموقعه عند المتقدمين فهو هضب أحمر عنده ماء لا يزال معروفاً وفي آخر كلام الهجري ذكر من الجبال التي تدور حول حمى الربذة هضباً يدعى (هضب المنحر) بلد سهل ، وهذا الهضب أصبح اسمه «منيخة» من إناخة الركوب وسيأتي ذكره في حرف الميم من هذا المعجم . وبعده ذكر رحرحان وذكر الخبرة بينهما — أي بين هضب المنحر ورحرحان وذلك من حيث ابتدأ كلامه كما سبق .

وبذلك أنهى كلامه على حمى الربذة ، وبذلك أنهينا هذه الإلمامة بحمى الربذة التي هي كافية لمعرفة موضع الحمى ولكنها غير وافية للبحث في الحمى بحثاً دقيقاً ، فهي تفتح الباب للبحث ، ولا تغلقه أو قل : هي كالقاعدة التي تجمع ولاتمنع ، ويكفي أنها تصلح أن تكون أساساً لبحث عميق مستفيض . والله الموفق .

الرياض : محمد العبودي

---

(١) كتب اللغة مادة نفس .

الجواهر المعدة في فضائل جدة

— ١ —

كنت تحدثت في فاتحة الجزء الثالث من السنة الثانية من مجلة «العرب»(١) في كلمة عنوانها : «مؤرخو مدينة جدة» عن تاريخ جدة للشيخ أحمد بن محمد الحضراوي وذكرت أن الصديق الباحث الأُستاذ سركيس عواد كتب إليَّ بأَن منه نسخة بخط المؤلف في خزانة «جستربتّي» بمدينة دبلن في إيرلندة .

وقد كرم أحد أبنائي فأَتحفني بصورة من تلك النسخة ، رأيت نشرها في مجلة «العرب» اعتباراً من هذا الجزء .

ويحسن أن أُضيف إلى تلك الكلمة أن من بين الكتب التي أُلِّفَتْ في تاريخ جدة مما لم أذكره في تلك الكلمة كتاب «تَنَسّمُ الزهر المأْنوس عن ثغر جدة المحروس» لمحمد بن يعقوب المالكي ذكره محمد ابن عبد العزيز بن عمر بن فهد المتوفى سنة ٩٥٤ في كتابه «حسن القِرَى في أودية أم القرى» .

ولكن لم أطَّلِع على شيء من مؤلفات جدة سوى رسالة محمد ابن عبد العزيز بن فهد ، ورسالة ابن فرج «السلاح والعدة في تاريخ بندر جدة» ، ورسالة الحضراوي هذه التي نتحدث عنها ، وقد اتخذ من رسالتي ابن فهد ، وابن فرج عن جدة مصدراً عَوَّلَ عليه ، ويظهر أنه اطلع على ما كتبه ابن ظهيرة محمد بن محب الدين المتوفي سنة ٩٤٠ فقد نقل عنه .

(١) جزء رمضان ١٣٨٧ ص ١٩٣ إلى ٢٠٢ .

الحضراوي مؤلف هذه الرسالة :

هو الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد الحضراوي المكي الهاشمي ، ولد في الإسكندرية[1] سنة ١٢٥٢ ، ثم انتقل مع والده إلى مكة ، وعمره سبع سنين ، فنشأ بها ، وتأدب ، وتفقه ، وألف مؤلفات في الدين ، وفى التاريخ ، وفى فضائل مكة ، والمدينة ، والطائف ، وجدة[2] منها : رسالة « الجواهر المعدة » وله رسالة أيضًا في المفاضلة بين جدة والطائف.

وقد توفي سنة ١٣٢٧ .

موضع الرسالة :

لعل هذه الرسالة تحوي جُل مايتعلق بتاريخ جدة ، فهي أوفى ما اطّلعت عليه مما أُلّفَ في الموضوع ، ولهذا فإن نشرها نشرًا محققًا يكون ذا فائدة ، ومع احتوائها على أخبار لاتثبت أمام النقد ، إلا أن لمؤلفها بعض الآراء الجيدة ، من ذلك ملاحظته على الحكاية الخرافية التي ذكرها ابن المجاور في تاريخه عن انتقال أهل مدينة جدة من الفرس ، وأن سبب ذلك غلط أحدهم بإرسال الضريبة المقررة لحاكم مكة وهي حمل من حديد في كل عام ، فأرسل بدل حمل الحديد حملاً من ذهب ، مما دفع ذلك الحاكم إلى أن يتعنت في طلب ضريبةالعام التالي مماثلة لضريبة العام الذي قبله ، فكان تعنته سببًا لإنتقالالتجار ، وهي خرافة مايزال يرددها كل من كتب عن تاريخ هذه المدينة حتى في عصرنا ، ومن بين هؤلاء من يحاول إثباتها ، وقد نشرت كلمة قبل سنين فى جريدة « البلاد » السعودية مزيفًا ذلك الخبر ، ومبينًا أنَّ ابن المجاور مع كونه مجهولاً ، فإن فى كتابه خرافات كثيرة تجعله غير جدير بأن يعتمد فيما ينفرد بذكره ، ولعله هو أول من ذكر تلك الخرافة .

(١) فى مدينة الاسكندرية محلة تدعى الحضرة ، فلعل الحضراوى منسوب إليها .

(٢) أنظر عن مؤلفات الحضراوى مجلة « العرب » س ٢ ص ١١٢ .

والحضراوي في رسالته هذه لم يخرج عن أهل عصره ، من حيث مستوى الثقافة العامة والفكر . فهو يعتقد بتأثير الأولياء الصالحين ، ويطلب المدد من أرواحهم وألف رسالته هذه متأثرًا بهذا الإعتقاد ، بل ألف رسالته هذه متأثرًا بتلك الأفكار ، وحشاها بالأخبار المتعلقة بفضل هذه المدينة ، ومعروفة منزلة أحاديث الفضائل ، عند العلماء ، ونحن نحاول طلب الأمر الصعب . حينما نريد أن نجد جميع ماخلفه لنا المتقدمون من تراث صافيًا مُبَرَّءًا من كل عيب . كما أننا نفقد الكثير من هذا التراث إذا لم ننبش عنه ماعلق به . فنستفيد من طيبه وصالحه ، ونطرح ماعداه .

ولهذا أقدمت على نشر هذه الرسالة مع مافيها من أشياء يدرك كل قارىء عدم صحتها .

والغاية من نشرها إيجاد مصدر جديد لتاريخ إحدى مدن بلادنا العظيمة. وأدع التعليق على مافي الرسالة من أوهام ، لمن يريد نشرها نشرًا كاملاً محققًا ، وحسبي أنني قدمت نسخة من هذه الرسالة للباحث ، بعد أن لَفَتُّ النظر إلى فائدتها ، في الكلمة التي نشرتها عن مؤرخي جدة .

مخطوط الرسالة :

أشرت في مقالي السابق عن مؤرخي جدة ، إلى وجود نسخة من هذه الرسالة بخط الشيخ عبد الستار الدهلوي ، توجد في مكتبته المضافة إلى مكتبة الحرم المكي رقمها ٢٧ تاريخ ، تقع في ٦٢ صفحة من القطع الصغير ، والخط مَقْرُوء ، وإن كان غير جيد ، ونشرت مقدمة تلك المخطوطة ، ونقولا منها [١] .

أما مخطوطة نسخة «جستربي» التي وصلت إليّ مصورة من أحد

(١) «العرب» س ٢ ص ٢٠٠ وما بعدها .

أسنائي ، فتقع في ٣١ ورقة ، الورقة الأولى تحوي العنوان ونصه :

«هذه الجواهر المعدة في تاريخ جلة للفقير أحمد بن محمد ابن أحمد بن عبده بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن حسن بن سعد ابن مسعود الحضراوي الهاشمي المكي كان الله له آمين» .

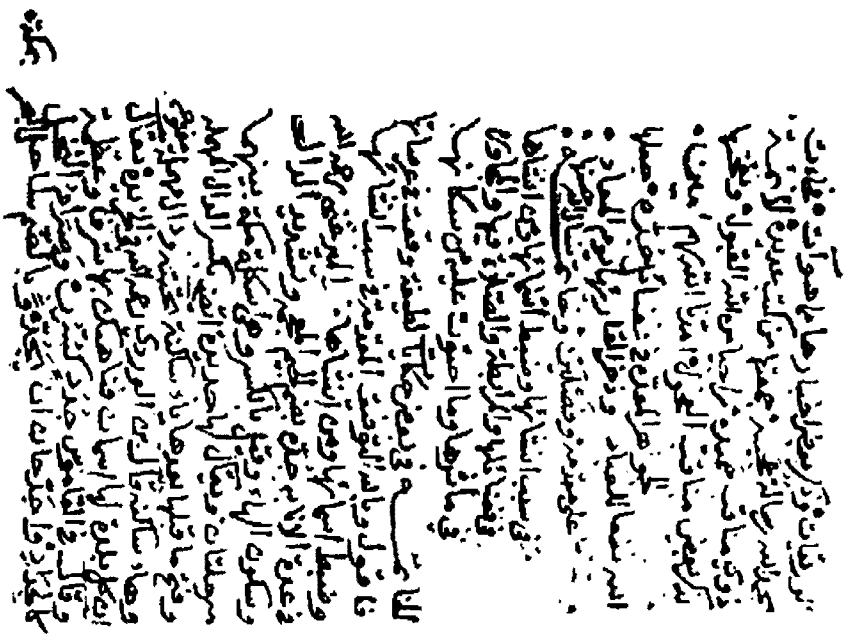
وَجُدة لذوي الأموال طيبة ... وللمفاليس دارُ الهَمِّ والضِّيْقِ
أقَمْتُ فِيها مُضَاعًا بين ساكنها ... كأنني مصحف في بيت زنديق

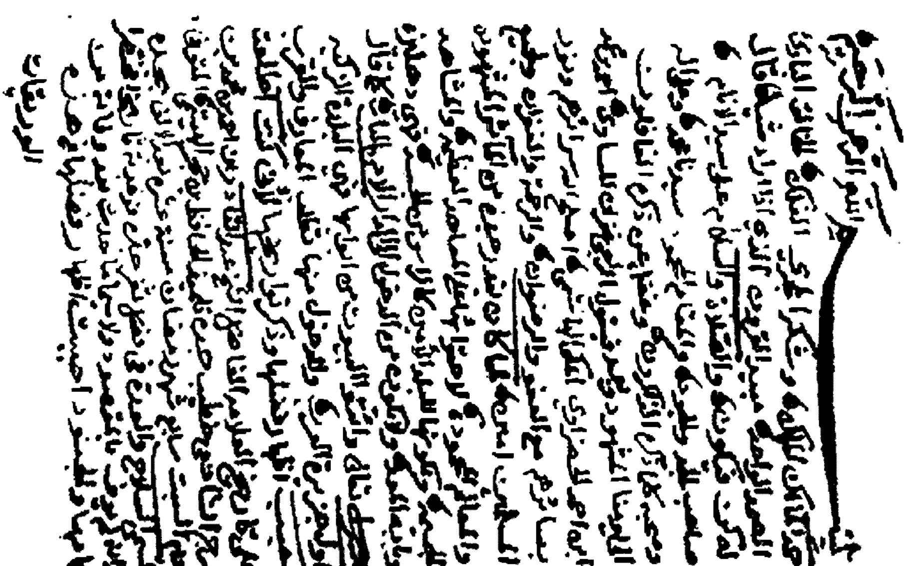
وفي الورقة الأخيرة «مزدوجة هزلية للمؤلف وقال : إنه يمدح بها «قائم مقام نوري أفندي» قبل رتبة الباشوية ، حين بذل همته في تمدن ثغر جدة . قال : (وعرضتها عليه فأجازني جازاه الله كل خير) أورد المزدوجة وختمها بتاريخ منظوم على طريقة حساب الجمل وتاريخه ١٢٨٤ ، وقال بعده : (وقد توجه المذكور إلى الأستانة ، سنة ثمانية وثمانين ومئتين وألف فوصل إلى الأستانة في أواخر رمضان ومكث بها مدة خمسة أيام . وتوفي إلى رحمة الله فوجد ما خلفه من صنف الحسنى . (ثم يستمر الكلام ، وقد ألحق بالرسالة ورقة تحمل رقم ٤٠ أي بعد ثماني ورقات لا أدري هل ما في هذه الورقات يتعلق بالرسالة أم بموضوع آخر ، ولكن الكتابة التي في هذه الورقة : هي كتابة ناسخ الرسالة ، وجاء فيها : (وكان الفراغ من تأليفه يوم الإثنين المبارك الحادي (؟) من شهر جمادى الأخرى سنة ١٢٨٨ تجاه البيت الحرام) .

وليس من المستبعد أن تكون النسخة بخط المؤلف ، ويدل على ذلك ما في هوامشها من إضافات مع ترميج كلمات من الأصل ، واستبدالها بغيرها .

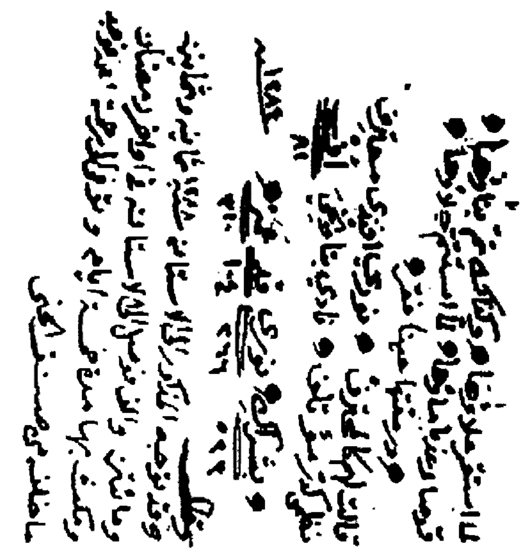
ونحسن الإشارة إلى وقوع كثير من الأخطاء النحوية في الرسالة ، وكذلك في قواعد الإملاء ، وقد أبحت لنفسي تصحيح ما هو من هذا القبيل ، إذ لا أثر في تصحيحه على نص المؤلف من حيث المعنى .

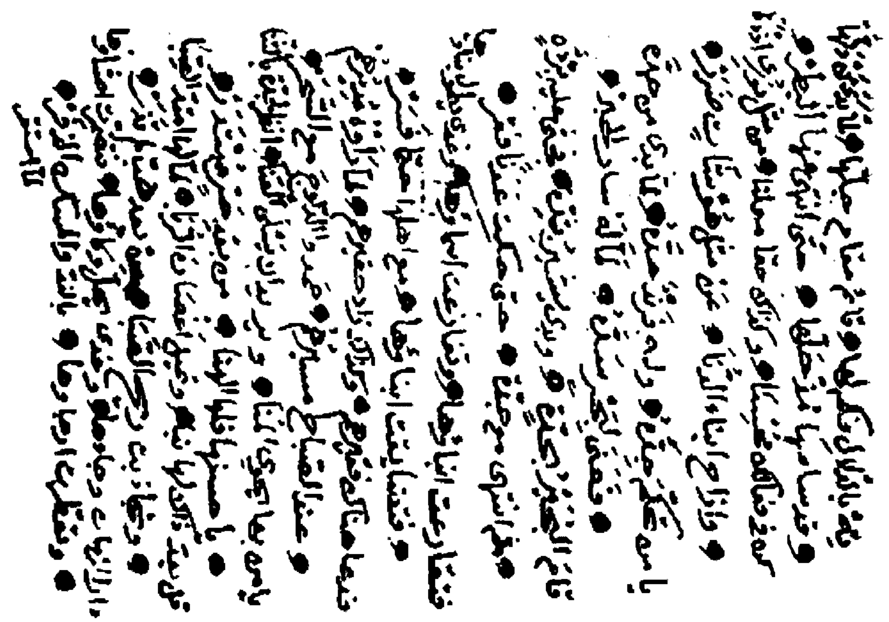
وها هو نَصّ الرسالة :





الصفحتان الأوليان من المخطوطة





الصفحتان الأخيرتان من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدًا لمالك الملك ، وشكرًا لِمُجْري الفلك ، الخالق البارىء الصمد الواحد ، مُبيد القرون الذي إذا أراد شيئًا قال له كُنْ فيكون ، والصّلاة والسلام على سيد الأنام ، صاحب الجد والجود ، والمقام المحمود ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وكُلٌّ ماذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون ، إلى يومنا المشهود .

وبعد فيقول الراجي غفران المساوي ، أحمد بن محمد بن أحمد الحضراوي المكي الهاشمي ، أصلح الله سرائرهم ونور بصائرهم مع العفو والرضوان ، والرحمة والغفران ولجميع المسلمين آمين ، لما كان بَنْدَرُ جدة من المآثر المشهودة ، والمعالم المحمودة ، لاحتوائها على المعاهد العظيمة ، والمشاهد الجسيمة ، ولكونها للبلد الأمين كالرأس من الجسد ، فهي دِهْلِيْزُه وبابه الْمُعَدُّ ، ولا يكون من الدخول إلى الدار إلا من الباب ، كما قال تعالى : (وائْتُوا الْبُيُوْتَ مِنْ أَبْوَابِها) فهي البلدة الزكية أول جزيرة العرب ، وللدخول منها تطلب المعارف والقرب .

أَحْبَبْتُ إظهار فضلها وذكر تواريخها ، لأني كنت اطلعت على تاريخ العلامة الفاضل الشيخ عبد القادر بن أحمد بن محمد بن فرج الشافعي خطيب جدة تلميذ الحافظ ابن حَجَرِ الْهَيْتَمِي ، المتوفي يوم السبت سابع شهر رمضان سنة عشرة بعد الألف بجدة المسمى «السلاح والعُدَّة في فضل ثغر جدة» فوجدته تاريخًا مختصرًا غير أنه لم يوفِ بالمقصود ، ولاسيا لم يُوْفِ ماحدث بعد وفاته من حكامها والجنود ،

أحببت إظهار فضلها فى هذه الوريقات ، وذكر بعض أخبارها مما هو آت . فجاءت بحمد الله رسالة عجيبة ، جمعتها من كتب عديدة لأئمة ذوي مناقب حميدة ، راجيًا من الله القبول ، ونقحتها بذكر بعض مناقب الفحول أمَدّنا الله بهم آمين .

وسَمَّيْتها «الجواهر الْمُعَدَّة في فضائل جدَّة» جعلها الله نفعًا للعباد ، وذُخرًا لقارئها يوم المعاد .

ورتبتها على مقدمة وفصلين وخاتمة نسأل الله حسنها .

المقدمة في سبب إنشائها وضبط أسمائها وَمَنْ أَنْشَأَها .

الفصل الأول : في فضائلها والمرابطة والصَّلاة فيها والمجاورة .

الفصل الثاني : في مآثرها وما احتوت عليه من سكانها .

الخاتمة : في بعض حكايات لطيفة وقعت في عرصاتها . فأقول وبالله التوفيق :

المقدمة في سبب إنشائها ، وضبط أسمائها ومن أنشأها : قال المِيْرغَني رحمه الله فى «عدة الإنابة» : جُدَّة بضم الجيم المعجمة وتشديد الدال وسكون الهاء[1] ، وقيل بالكسر ، وهي (اسكلة)[2] مكة بينهما مرحلتان ، ويقال لها جديدة أيضًا بكسر الدال المهملة وفتح ما قبلها بعدها ياء ساكنة تحتية ودال مهملة مفتوحة وهاء ساكنة قال ابن الوردي رحمه الله في «الخريدة» : يقال : إن كل بلدة لها اسمان فناهيك بها شرفًا وعظمة ، وقال في «القاموس» : جُدُدٌ كَسُرُر ، وصرام النخل كالجِدَاد والْجَدَاد وأَجَدَّ : حان أن يُجَدَّ ، وبالضَّم ساحل البحر بمكة ،

(١) الهاء تتبع فى الإعراب موقع الكلمة من الكلام فتكون مرفوعة أو منصوبة ، أو مبنية على الفتح ، ولا تسكن إلا السكون العارض عند الوقف عليها (العرب) .

(٢) اسكلة : مرفأ . والكلمة غير عربية (العرب)

كالْجُدَّة ، وجدّة لموضع بعينه منه بالضم وشاطيء النّهر ، كالجِدِّ والجِدَّة بكسرهما والجُدَّة بالضم .

والْجَدُّ وَجْهُ الأَرض كالجِدَّة بالكسر ، والجديد والجدد ، إنتهى .

ونقل العلامة المحدث جارالله بن فهد أن السيد الفاسي ذكر في مسودة له أن سبب تسمية جدّة بهذا الاسم كونها منزل أم البشر حَوَّا[1] وكونها دُفنت بجدة فهي جدَّة جميع العالم .

ونقل أيضا عن الحافظ عز الدين ابن الأثير في « النهاية » : الجد بالضم ساحل البحر . والجدة أيضًا إنتهى وفي « لسان العرب »[2] قال : والجدَّة ساحل البحر بمكة ، وجدَّة إسم موضع قريب من مكة مشتق منه ، وفي حديث ابن سيرين : كان يختار الصلاة على الْجُدِّ إنْ قَدِرَ عليه ، الجُدُّ -بالضم- شاطيء النهر ، والجُدَّةُ أيضًا ، وبه سميت المدينة التي عند مكة شرفها الله جُدَّة ، وجُدَّة كل شيء طريقته ، وجدَّة علامته ، والجدَّة الطريقة والجمع جُدَدٌ وقوله عز وجل : (جُدَدٌ بِيْضٌ وحُمْرٌ) أي طريق تخالف لون الجبل ومنهم قولهم ركب فلان جدّة من الأمر إذا رأى فيه رأيًا قال : والجدَّة قال الفرّاءِ الجدد الخطط والطرق تكون في الجبال خطط بيض وسود وحُمْر ، كالطُّرُق واحدها جُدَّة ، وأنشد قول امرىء القيس :

---

(١) فى الأصل (حوى) .

(٢) فى الأصل حاشية هذا نص ما اتضح منها : (قوله : « لسان العرب » : هو كتاب عظيم كبير ، فى اللغة لمؤلفه عبد الله بن محمد بن المكرم بن أبي الحسن بن أحمد الأنصارى الأفريقى المصرى ، المتوفى سنة ٧٢٦ وهوفى عشرة مجلدات ضخام ، كتاب فى اللغة ، ورتبه ترتيب الصحاح ، قيل فيه زيادة كثيرة على « القاموس » رأيته "ا كتب خزانة .. بمكة ، فى مجلدين ضخمين بخط دقيق ... انتهى مؤلف) .

«كَأَنَّ سَادته وجُدَّةُ مَتْنِه كنائن يجرى فوقهن دليص

قال الأَزهريُّ : وجادَّةُ الطريق سميت جادَّةً لأَنها خُطَّة مستقيمة ، وفي «السيرة الحلبية» أن حَوَّا أُهْبِطتْ بجدةً ، وحرم الله عليها دخول الحرم ، والنظر إلى خيمة آدم وإلى شيء من مكة لأَجل خطيئتها ، وأنها أرادت أن تدخل مع آدم إلى مكة فقال لها : إليك عني قد خرجت من الجنة بِسَبَبِكِ فتريدين أن أُحرم هذا ؟ ! فكان آدم عليه الصلاة والسلام إذا أراد يلقاها لِيُلِمَّ بها خرج من الحرم كُلِّهِ حتى يلقاها بِالْحِلِّ ، وهذا يخالف ما جاء أن جبريل عليه السلام بعثه الله تعالى إلى آدم وحَوَّا عليهما السلام فقال لهما : إن الله تعالى يقول لكما : ابنيا لي بيتًا . فخطَّ لهما جبريل عليه السلام ، فجعل آدم يحفر وحَوَّا تنقل التراب . حتى أجابه الماء ، ونودي من تحته : حَسْبُكَ يَا آدم ، وفي رواية : حتى إذا بلغ الأَرض السابعة فعذقه فيها الملائكة الصخر ما يطيق الصخرة ثلاثون رجلاً إنتهى وذكر محمد بن جرير أَنَّ الله أهبط آدم على جبل سَرَنْدِيب بالهند ، وحَوَّا بحدة بالحاء المهملة وقيل بالمعجمة – فجاء آدم في طلبها فتعارفا بالمحلِّ الذي قيل له بسبب ذلك عرفة ، فاجتمعا بالمحلِّ الذي قيل له بسبب ذلك جمع ، وزَلَفَتْ إليه بالمحلِّ الذي قيل له بسبب ذلك مُزْدلفة ، وهذا يدل على أن جمع غير مزدلفة ، وهو خلاف المشهور من أن جمع هو مزدلفة ، إلا أنْ يقال : كل من المحلين من جملة البقعة ، وأُطلِق كلٌّ من الإسمين على جميع تلك البقعة ، وفي «الخصائص الصغرى» : عن رزين أنَّ حواء عاشت بعد آدم سنة كاملة إنتهى .

قال في «الدرر المنظمة في أخبار مكة المعظمة» وأول من جعل جُدَّة ساحلاً سيدنا عثمانُ بن عفان رضي الله عنه في سنة ست وعشرين من الهجرة وكانت الشُّعَيْبَةُ ساحل مكة .

أقول : ولعله المحل المعروف الآن بـأُبحر[1] ونقل السيد الفاسي في «شفاء الغرام» أن أول من جعل جدة ساحلاً لمكة المشرفة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، بعد أن استشار الناس .

وذكر ابن جبير في رحلته أنه رآى بجدة أثَرسور مُحْدِق بها .

وقال الشيخ جارالله ابن فهد : إن بجدة أثر رسوم قديمة تدل على قدم اختطاطها وأنّها كانت مدينة كبيرة ، وأنها كانت في زمن الفرس ، وأنَّ سلمان الفارسيَّ رضي الله عنه وأهلة سكنوها ، لأنّهم كانوا قوماً تجارًا وهم الذين بَنَوْا سُوْرَها الاول ، وقيل إن الذي بناه جريزيان (؟) والمشهور أنه من بنيان الفرس إجمالاً ، وأنهم لما بنوه اتقنوا بناءه ، جعلوا عرض الحائط عشرة أشبار ، وجعلوا فيه أربعة أبواب : أحدها باب الدومة في جهة الشام ، وباب المدبغة في جهة اليمن ، وكان عليه حجر أخضر فيه طَلْسَمٌ إذا سُرِق فى البلد شيءٌ وُجِدَ بالغداة اسم السارق مكتوباً في الحجر ، وباب مكة في جهة القبلة وباب الفرضة مما يلي البحر ، وحفروا حول البلد خندقاً عظيماً في الوسع والعمق ، وكان يدور ماءُ البحر حول البلد ، وهي يومئذ شبه جزيرة في وسط لُجَّة البحر ؛ فلما حَصنوا[2] الفرس البلد غاية التحصين وخافوا من ضيقة

---

(١) الشعيبة تقع جنوب (جدة) وهذا يقع شمالها قريبا منها ، وكان (أبحر) مرفأ لجدة ، كما يفهم من « رحلة ابن جبير » وغيره . وانظر لتحديد موقع الشعيبة كتاب « في شمال غرب الجزيرة تأليف حمد الجاسر (العرب) .

(٢) كذا والقاعدة (حصن الفرس) وجاء هذا على لغة (أكلوني البراغيث) !

الماء ، عمروا ثمانية وستين صهريجاً داخل البلد ومثلها خارجها ، ثم إنْ الفرس خرجوا منها ، وبقيت خاوية على عروشها ، وكان سبب خروجهم[1] فيما ذكره القاضي صلاح الدين ابن ظهيرة الشافعي ، قاضي جدة حينئذ في تاريخه لجدة . ومنه نقل صاحب «السلاح والعُدَّة في تاريخ جدة» وهو أنَّ والي مكة الشريف داود بن هاشم الحسني ، وكان يُجْبَى إليه خراجُ جدة ، في كل عام حملٌ من قُضْبان الحديد أو النُّحاس ، فني بعض السنين غلط (الخازن دار)[2] وبعث الخراج حِمْلاً[3] من الذَّهب ، فسكت الشريف المذكور إلى العام القابل . فبعثوا إليه حِمْلاً[3] من الحديد على حكم العادة فلم يقبله وردَّهُ وقال : ماآخذ منكم إلاَّ حِمْل ذهب ، مثل العام الماضي ، فتفقدوا خزائنهم فوجدوا (خازن دارهم) غلط فاغتموا لذلك ، وجمع كبيرهم أعيان دولتهم وأكابرها وعرفهم ، وأشار عليهم بالخروج منها ، لكونهم يعجزون[4] عن ذلك في كل عام ، ويعجزون[4] أيضًا عن محاربته على الدوام ، وجعل لهم مَثَلاَ وهو أنه أحضر لهم ثلاثة طيور ، أحدها صحيحًا سليماً (؟) والثاني منتوف الجناح ، والثالث مذبوح وقال لهم : إن خرجتم الآن فأنتم مثل هذا الطائر الحيِّ السليم لايقدر عليكم ، وأرسله في الجوِّ وإن جلستم للعام القابل تكونوا مثل هذا المنتوف الجناح مَنْ طَرَدَهُ أمسكه وأرسله يجري برجله ، وإن جلستم إلى العام الثالث فأنتم مثل هذا المذبوح . وألقاه بين أيديهم ، فاستصوبوا رأيه ، وأخذوا

(١) أول من اطلعت على كلامه عن هذه الخرافة هو ابن المجاور الذى وصل إلى جدة ٦٢١ ـــ وكتابه مطبوع .

(٢) (الخازن دار) كلمة تركية معناها : صاحب الخزانة .

(٣) فى الأصل (حل) . (٤) فى الأصل : (يعجزوا) .

مايعزّ عليهم ويمكنهم حمله ، وسافروا في سفنهم بَحْرا ، وتفرقوا في البلدان يمناً وشامالاً وسواكن ودَهْلَك ، فلما خلت البلدة من سكانها واستوطنها [1] الأعراب من كل مكان من جميع الجهات .

قلت : وهذه العبارة من أولها لا أصل لها غالباً بحيث أن جدة لم يسكنها غير الأعراب قديماً ، ويؤيده ماسيأتي من استعمال الصديق وسيدنا عثمان والرشيد وغيرهم ، فلينبه .

وهي أول حدود الحجاز ، وأول جزيرة العرب ، وسميت جزيرة لأنه أحاط بها أربعة أبْحُر : دجلة والفرات وبحر الحبشة وبحر فارس ، والحجاز يقابل أرض الحبشة غربيها وبينهما عرض البحر فقط ، وأوله من مدينة أيلة المعروفة بالعقبة من منازل الحج المصري ومنتهاه من شامهِ مدينة سدم [2] . وهي من قرى قوم لوط ، ومن غربيه جبل السراة ومسيره نحو شهرٍ ، وهو قطعة من جزيرة العرب، التي هي طولاً من أقصى عدن إلى ريف العراق .

قال العلامة القليوبيُّ : وأول جزيرة العرب عرضًا من جدَّة إلى ساحل البحر ، إلى أطراف الشام ، وطولاً من أقصى عدن إلى ريف العراق ، ومن المدن التي بين الحجاز واليمن اليمامة وتهامة [3] وهجر ، وهو من مدنه الطائفة به والينبع وبـدر .

وجُدَّة بضم الجيم وأصلها اسم لما قرب من النهر أو الطريق الممهد انتهى كلامه .

وهذا مناقض لما مَرَّ من أنَّ الشُّعَيْبَة كانت ساحل مكة ، في « الحلبية » [4] وغيرها أن قريشًا حين بَنَوْا الكعبة المشرفة في زمن

(١) في الأصل : (استوطنوها) . (٢) المعروف : (سدوم) انظر « معجم البلدان » .
(٣) كذا وتهامة ليست مدينة بل منطقة واسعة . (٤) يقصد كتاب « السيرة الحلبية » .

النبي صلى الله عليه وسلم وكان البحر قد رمى بسفينة إلى ساحل جدة أي الذي به جدة الآن وكان ساحل مكة الذي قبل ذلك يرى به السفن يقال له الشُّعَيْبَةِ – بضم الشين المعجمة فلا يخالف قول غير واحد – فلما كانت السفينة بالشُّعَيْبَةِ ساحل مكة انكسرت ، وقيل : كانت تلك السفينة لقيصر ملك الروم ، يحمل له فيها الرخام والخشب والحديد فلما بلغت مرساها من جدة وقيل : من الشعيبة بعث الله عليها ريحاً فحطمها . فخرج الوليد بن المغيرة في نفر من قريش إلى السفينة فابتاعوا خشبها – القصة انتهى . وفي «معالم التنزيل» في (سورة الفتح) بعد أن ساق قصة الفتح يوم فتح مكة : قال عروة بن الزبير خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن ، فقال عمير بن وهب الجمحيُّ يا نبيَّ الله إن صفوان بن أمية سيد قومه ، وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر فأمَّنَهُ صلى الله عليه وسلم وقال : هو آمِنٌ قال يا رسول الله أعطني شيئًا يعرف به أمانك فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل فيها مكة ، فخرج بها عمير ، حتى أدركه بجدة ، وهو يريد أن يركب البحر ، فقال : يا صفوان فداك أبي وأمي أُذَكِّرُكَ اللهَ في نفسك أن تهلكها ، فهذا أمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئتك به فقال : ويلك اعزب عنى فلا تكلمني قال : أي صفوان فداك أبي وأمي . أفضل الناس ، وأبَرُّ الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس ابنُ عمك عِزُّهُ عِزُّكَ وشرفه شرفك ، وملكه ملكك . قال : إني أخافه على نفسي . قال : هو أحلم من ذلك وأكرم ، قال : فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان : إن هذا يزعم أنَّك أمنتني قال : صدق – الحديث انتهى .

فهذا الخبر والذي قبله من القصة المتقدم ذكرهما يُشْعران بأن جدة هي (أسكلة) مكة من أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه نظر إلاّ أن يُقال : كانت (أسكلة) لمكة في بعض الأحوال ، والشعيبة هي (أسكلتها) دائماً ثم إن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه استصوبها ونزل بها واغتسل في بحرها ، وقال : إنه مبارك كما في «الدرر المنظمة» بعد أن استشار الناس وجعلها خالصة لمكة والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول في فضائلها والمرابطة والصلاة فيها والمجاورة فعن شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني في كتابه «لسان الميزان» بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : إذا كان رأس السبعين والمائة فالرباط بجدة من أفضل مايكون من الرباط وروى أيضًا بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يأتي على الناس زمان يكون أفضل الرباط رباط جدة» ، وفيه أيضًا عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أربعة من أبواب الجنة في الدنيا الاسكندرية وعسقلان وقزوين وعبّادان ، وفضل جدة على هؤلاء كفضل بيت الله على سائر البيوت» وفي « شفاء الغرام» للسيد الفاسي رحمه الله بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مكة رباط وجدة جهاد» وفيه أيضًا بسند الفاكهي إلى ابن جريج عن أبيه عن جده : إني لأرجو أن يكون فضل مرابط جدة على سائر المرابطين كفضل مكة

(البقة تأتي)

قرى الطائف وسكانها

(اطلعت لدى الصديق الكريم الأستاذ محمد الهلالي الحربي – مدير الأمن العام في المنطقة الشرقية– على معلومات مدونة عن بعض قرى الطائف وعن سكانها من القبائل ، كان دونها سنة ١٣٨٩ ، ويظهر أنه كان يريد إعادة النظر فيها وإكمالها ، لأنه كتب عليها : تحت الدراسة ولأنها لا تحوي أسماء جميع قرى منطقة الطائف وسكانها ، فلم يذكر فيها قرى أودية وج و (العرج) و (الأخيضر) و (لية) ولم تذكر قرى قبيلة (عدوان) . ولكنها استوفت قرى قبائل أخرى استيفاء لا يوجد في مصدر آخر ، ولهذا رأيت نشرها ، بعد أن حذفت منها ما يتعلق بتعداد سكان القرى ، إذ هو عرضة للزيادة والنقص) .

(١) قرى قبيلة وَقْدَان

قبيلة وَقْدَان – بجوار مدينة الطائف شرقاً .

العدد	اسم القرية	القبيلة	اسم شيخ القبيلة
١ –	القنينة	وقدان	عبد الله بن سحيم
٢ –	الدار العليا	وقدان	عبد الله بن سحيم
٣ –	وادي ساعد	وقدان	عطا الله بن ساعد
٤ –	الشماسين	وقدان	محمد بن سليم
٥ –	السور	وقدان	عبد الله بن عائض
٦ –	البراين	وقدان	بكر بن صالح
٧ –	ذوى هجل	وقدان	عبد الله بن عائض
٨ –	ابن عايض	وقدان	عبد الله بن سحيم
٩ –	القصب	وقدان	خلف بن شاهر
١٠ –	الشواهر	وقدان	
١١ –	أم السباع	وقدان	

(٢) قرى قبيلة عَلْوان ـ ومنازلها جنوب الطائف[١]

(٣) قرى قبيلة قريش

الضحيا بلاد قريش تبعد عن الطائف بمسافة ١٨ كيلاً وقرى الميافين والوهط والوهيط .

العدد اسم القرية	القبيلة	اسم شيخ القبيلة
١ ـ الغراب	قريش	محمد بن سعيد
٢ ـ جناب رميته	قريش	محمد بن سعيد
٣ ـ المحرم	قريش	محمد بن سعيد
٤ ـ غرض زيد	قريش	محمد بن سعيد
٥ ـ الحزن	قريش	محمد بن سعيد
٦ ـ طرف المجره	قريش	عبد الرحمن جميل
٧ ـ الخاسرة	قريش	عبد الرحمن جميل
٨ ـ الحسي	قريش	عبد الرحمن جميل
٩ ـ المحوي	قريش	عبد الرحمن جميل
١٠ ـ الكلادا	قريش	خضر بن مبض
١١ ـ رويضان	قريش	خضر بن مبض
١٢ ـ سعر ـ تَهم	قريش	خضر بن مبض
١٣ ـ القرين	قريش	عبد الله بن فاخر
١٤ ـ أبو الجرف	قريش	عبد الله فاخر
١٥ ـ عفار	قريش	عبد الله فاخر
١٦ ـ الصومة	قريش	محسن بن معدا

(١) لم تسجل ، وانظر عنها ما كتبه الأستاذ محمد سعيد كمال فى مجلة « العرب » .

١٧ ـ الصقرة	قريش	محسن بن صعد
١٨ ـ هرالسقية (؟)	قريش	
١٩ ـ الحرمة	قريش	
٢٠ ـ الصحن (؟)		
٢١ ـ الصحن	قريش	حميد بن صعد
٢٢ ـ آل حميد	قريش	سراج بن
٢٣ ـ غيال	قريش	حميد بن صعد
٢٤ ـ الضبا	قريش	حميد بن سعيد
٢٥ ـ المحسن	قريش	حميد بن سعيد
٢٦ ـ المحمد	قريش	عبد الرحمن بن جميل
٢٧ ـ العزالقة	الكيرشة	مسلم
٢٨ ـ الشرايرة	قريش	سالم بن عابد
٢٩ ـ العجيز	قريش	عبد الرحمن جميل
٣٠ ـ يرد	قريش	عبد الرحمن جميل
٣١ ـ القصر	عرضة قريش	حميد بن سعد
٣٢ ـ قوثير	عرضة قريش	حميد بن سعد
٣٣ ـ العلية	عرضة قريش	حميد بن سعد
٣٤ ـ العارض أبو السلم	عرضة قريش	حميد بن سعد
٣٥ ـ العيروش	قريش الميافين	سعود فطيس
٣٦ ـ صعب	قريش المياقين	سعود فطيس
٣٧ ـ الكوى	قريش الميافين	سعود فطيس

٣٨ـ الوهط	قريش الهيافين	سعود فطيس
٣٩ـ الوهيط	قريش آل عمر	عوض مرزوق
٤٠ـ القطحة	قريش آل عمر	عوض بن مرزوق
٤١ـ شقرا	قريش آل عمر	عوض بن مرزوق
٤٢ـ المخاضة	قريش آل عمر	عوض بن مرزوق
٤٣ـ شعب عياد	قريش آل مكيدة	عفيف بن صالح
٤٤ـ الوقف	قريش آل مكيدة	عفيف بن صالح
٤٥ـ عيال	قريش آل مكيدة	عفيف بن صالح
٤٦ـ العسلة	قريش آل عمر	
٤٧ـ الخولة	النمور	
٤٨ـ اللنضة	النمور	معتوق
٤٩ـ القربة	النمور	عابد عبد رب النبي
٥٠ـ الحجران	النمور	هلال بن عمر
٥١ـ البني	النمور	بن مهدي
٥٢ـ الكحل	النمور	صالح بن مصلح
٥٣ـ القطران	قريش	على بن مهيوف
٥٤ـ بني صخر	قريش	عبدالرحيم بن صخرى
٥٥ـ الغشاوة	قريش	عابد بن عياد
٥٦ـ أبو شنب	قريش المطره	عبد الله بن شعيف
٥٧ـ عبد ربه ابن معلا	قريش المطرة	عابد الأصنج
٥٨ـ العذراوا	قريش المطره	عبد الرازق

٥٩ ـ آل موسى الفديرين	قريش	محمد الرغيب
٦٠ ـ آل أبو المرة	قريش	محمد الرغيب
٦١ ـ آل قاسم	قريش	محمد الرغيب
٦٢ ـ الذروا	قريش	محمد الرغيب
٦٣ ـ عابد الأصنج	قريش	عابد الأصنج
٦٤ ـ آل زيد	قريش	عبد الرحمن زيد
٦٥ ـ السراحين	قريش	رده السرحاني
٦٦ ـ الحرثة		سراح الحريثي

٤ ـ قرى بلاد بني سالم تبعد عن الطائف بمسافة ٣٣ كيلا

١ ـ أسفل الوادي	بني سالم	محمد بن ناصر
٢ ـ النصبة	بني سالم	محمد بن ناصر
٣ ـ الحديب	بني سالم	محمد بن ناصر
٤ ـ الفضية	بني سالم	محمد بن ناصر
٥ ـ أبو عيل	بني سالم	محمد بن ناصر
٦ ـ فريضة	بني سالم	محمد بن ناصر
٧ ـ آل عمرين	بني سالم	محمد بن ناصر
٨ ـ الشيخ	بني سالم	محمد بن ناصر
٩ ـ الخاصرة	بني سالم	محمد بن ناصر

٥ ـ قرى وادي الصُّخيرة تبعد عن الطائف بمسافة ٢٨ كيلاً

١ ـ الصخيرة	الصخيرة ثقيف	صالح بن مقبول
٢ ـ شيخاط	الصخيرة ثقيف	محمد أحمد الصقبيرى
٣ ـ وادي الشمس	الصخيرة ثقيف	مطهر علي
٤ ـ أبو حرب	الصخيرة ثقيف	عبد الله حمدان

٦ ـ قرى آل حجّة من بني سفيان ، في الشَّفَا (السراة) تبعد عن الطائف ٢٣ كيلاً

١ ـ مطر	آل حَجَّة	عماد بن أحمد
٢ ـ آل لحسة	آل حَجَّة	ضيف الله بن هويمل
٣ ـ الضمرين وغرين الشعب	آل حَجَّة	ضيف الله بن هويمل
٤ ـ الشليات	آل حَجَّة	عبد الرحمن بن نويجع
٥ ـ شقرا العليا	آل حَجَّة	حسن حسن الحجي
٦ ـ شقرا السفلا	آل حَجَّة	حماد بن حماد الحجي
٧ ـ الاقيلح	آل حَجَّة	مرزوق حجلا
٨ ـ المحوله	آل حَجَّة	مرزوق حجلا
٩ ـ مسيمير	آل حَجَّة	مرزوق حجلا
١٠ ـ سلامة	آل حجّة	مرزوق حجلا
١١ ـ جناب يزيد	آل حَجَّة	مرزوق حجلا
١٣ ـ أهل الشعب	آل حَجَّة	عماد بن أحمد
١٤ ـ آل حمود	آل حَجَّة	محيا الحمودي
١٥ ـ الأعوص	آل حَجَّة	حسن بن حسن
١٦ ـ الفرع	آل حَجَّة	مرزوق حجلا

٧ ـ قرى آل ساعد وآل منصور من بني سفيان (الشفا) تبعد بمسافة ٣٥ كيلا عن الطائف.

١ ـ آل سفرة الفرع	آل منصور	صالح بن فطيس
٢ ـ الريث	آل منصور	صالح بن فطيس
٣ ـ المضبة	آل عيده	عويمر بن صبحي
٤ ـ المترف	آل عيدة	عويمر بن صبحي
٥ ـ الحصاء	آل عيدة	عويمر بن صبحي
٦ ـ الفوقا	آل عيدة	عويمر بن صبحي
٧ ـ الحيط	آل عيدة	عويمر بن صبحي
٨ ـ شرافية	آل عيدة	عويمر بن صبحي
٩ ـ غزال	آل عيدة	عويمر بن صبحي
١٠ ـ الخرف ـ التهم	آل عيدة	عويمر بن صبحي
١١ ـ النفعة	آل حسن	محمد بن شداد
١٢ ـ العجمان	آل حسن	عائض بن عيض
١٣ ـ آل جمعة	آل حسن	حسين بن حسن
١٤ ـ الشعب	آل حسن	مقبول بن هويمل
١٥ ـ الشراء	آل محمد	محمد بن جابر
١٦ ـ الحرمين	آل محمد	محمد بن جابر
١٧ ـ الأجبل	آل محمد	محمد بن جابر
١٨ ـ وارك ـ تهم	آل محمد	محمد بن جابر
١٩ ـ وادي العتم	آل ساعد	مطر بن كريش

٢٠ـ راس حرجل	آل ساعد	مطر بن كريش
٢١ـ المقلب	آل ساعد	مطر بن كريش
٢٢ـ أسفل الحيط	آل ساعد	مطر بن كريش
٢٣ـ كبشان ـ تهم	آل ساعد	مطر بن كريش
٢٤ـ وادى حرجل	آل حرجل	مسلم بن سليم
٢٥ـ السلمة	آل حرجل	مسلم بن سليم
٢٦ـ الشعبة	آل عايشة	حماد بن حميد
٢٧ـ السَّيْل	آل عائشة	حماد بن حميد
٢٨ـ وحضة	آل عائشة	حماد بن حميد
٢٩ـ القفيف	آل عائشة	حماد بن حميد
٣٠ـ مطر	آل حَجَّة	عمار بن أحمد
٣١ـ الحسة	آل حَجَّة	ضيف الله
٣٢ـ غراء العين	آل حَجَّة	ضيف الله
٣٣ـ الشقيات	آل حَجَّة	عبدالرحمن نويجع
٣٤ـ شقراء العليا	آل حَجَّة	حسين حسن الحجى

٨ـ قرى الطلحات من قبيلة هذيل وفروعها في الشَّفَا ـ غرب الطائف بنحو ٢٥ كيلا .

١ ـ المخابة	الطلحات	على جابر الطلحى
٢ ـ القامة	الطلحات	مرزوق سعيد
٣ ـ الحيط الأسفل	الطلحات	مرزوق سعيد
٤ ـ الحيط الأعلى	الطلحات	مرزوق سعيد

٥ ـ الحصن	الطلحات	مرزوق سعيد
٦ ـ الهدبا	الطلحات	مرزوق سعيد
٧ ـ قاوه	الطلحات	علي بن مقبول
٨ ـ المحدث	الطلحات	علي بن رجاء
٩ ـ مرثاق	الطلحات	علي بن مقبول
١٠ ـ أخماس	الطلحات	مرزوق بن سعيد
١١ ـ خميس	الطلحات	علي بن جابر

٩ ـ قرى الخُلْد[١] من هذيل في الشفا ، تبعد عن الطائف نحو ٧٠ كيلا .

١ ـ المحطة	هذيل الخلد	تويس
٢ ـ النظرة	هذيل الخلد	تويس
٣ ـ الفريف	هذيل الخلد	تويس
٤ ـ الصار	هذيل الخلد	تويس
٥ ـ شرقية	هذيل الخلد	تويس
٦ ـ غميرة	هذيل الخلد	تويس
٧ ـ الخشمة	هذيل الخلد	تويس
٨ ـ المعمار	تَهم الخلد	تويس
٩ ـ الشعاب	تَهم الخلد	تويس
١٠ ـ المخطر	تَهم الخلد	تويس

(١) واسطهم خالدى : وتقع قرى الخلد ــ في الشفا (السراة) على مسافة ٦٠ كيلا من الطائف .

١١ - الشقرا	تهم الخلد
١٢ - البويرة	تهم الخلد
١٣ - العناة	تهم الخلد
١٤ - البيضا	هذيل الخلد
١٥ - السمون	هذيل الخلد
١٦ - الحوايا	هذيل الخلد
١٧ - الشعب	هذيل الخلد
١٨ - الغبيات	تهم الخلد

١٠ - قرى آل مناع والحميدي والبقلة من هذيل تبعد عن الطائف بمسافة ٥٠ كيلا .

١ - الصلحة وصياصم	هذيل آل مناع	حميلج الزيداني
٢ - آل حسين	هذيل	حامد بن حسين الزيداني
٣ - حميليج وإخوانه	هذيل	حميلج عبد الباقي
٤ - محمد بن نويل	هذيل	عالي بن علي
٥ - عالي بن علي	هذيل	عالي بن علي
٦ - خنفيس بن علي	هذيل	عالي بن علي
٧ - عبيد الله عبد الله	هذيل	عالي بن علي
٨ - الكهلان	هذيل	عالي بن علي
٩ - أحمد بن معيوف	هذيل	عالي بن علي
١٠ - عليان بن حمد وعالي	هذيل	عالي بن علي
١١ - الشعب الأسفل	هذيل	عالي بن علي

١٢ ـ الشعب الأعلى	هذيل	عالي بن علي
١٣ ـ وادي المضاحي	الحميدي	عطية بن عودة
١٤ ـ رداد بن قطيس	الحميدي	عطية بن عودة الحميدي
١٥ ـ محمد بن عودة	الحميدي	عطية بن عودة الحميدي
١٦ ـ وادي الشرف	الحميدي	عطية بن عودة الحميدي
١٧ ـ الحنجور	الحميدي	عطية بن عودة الحميدي
١٨ ـ طف ثور	الحميدي	عطية بن عودة الحميدي
١٩ ـ الحجاء	الحميدي	عطية بن عودة الحميدي
٢٠ ـ العدفة	الحميدي	عطية بن عودة الحميدي
٢١ ـ القرارة	الحميدي	عطية بن عودة الحميدي
٢٢ ـ العرش	الحميدي	عطية بن عودة الحميدي
٢٣ ـ الضباب	هذيل الحميدي طلحات	عطية بن عودة الحميدي
٢٤ ـ الحدب	هذيل الحميدي	عطية بن عودة
٢٤ ـ الحدب	هذيل الحميدي	عطية بن عودة
٢٥ ـ الدحلة	هذيل الحميدي	عطية بن عودة
٢٦ ـ الشفاء	هذيل الحميدي	عطية بن عودة
٢٧ ـ كبشان	هذيل الحميدي	عطية بن عودة
٢٨ ـ أم رباح	هذيل الحميدي	عطية بن هودة
٢٩ ـ ذيب	هذيل الحميدي	عطية بن عودة
٣٠ ـ وادي الرحية	هذيل الحميدي	عطية بن عودة
٣١ ـ دحلة حمدان	هذيل الحميدي	عطية بن عودة

١١ – قرى السوالم من هذيل فى (الشفا) بمسافة ٦٥ كيلا عن الطائف .

١ – الاسروعة	هذيل السوالمة	مطحس بن طاوى
٢ – الخصيبان	هذيل السوالمة	مطحس بن طاوى
٣ – ريع المحرم	هذيل السوالمة	مطحس بن طاوى
٤ – شعار	هذيل السوالمة	مطحس بن طاوى
٥ – وادى سحبان	هذيل السوالمة	مطحس بن طاوى
٦ – الكوثر	هذيل السوالمة	مطحس بن طاوى
٧ – الحدب	هذيل السوالمة	مطحس بن طاوى
٨ – أعلف	هذيل السوالمة	أحمد محمد
٩ – معين يحيى	هذيل السوالمة	أحمد محمد
١٠ – قسيمة	هذيل السوالمة	أحمد محمد
١١ – عيضة بن مسلم	هذيل السوالمة	أحمد محمد
١٢ – قاس		هلال بن مرود
١٣ – شمسية		هلال بن مرود

١٢ – قرى هذيل : آل زيد (الشفا) تبعد عن الطائف ٦٥ كيلاً .

١ – ريع المرزمة	هذيل من آل زيد	جمعان بن متعب
٢ – الشطى	هذيل من آل زيد	جمعان بن متعب
٣ – المجية الوسطى	هذيل من آل زيد	جمعان بن متعب
٤ – المجية العليا	هذيل من آل زيد	جمعان بن متعب
٥ – الطرطفة	هذيل من آل زيد	جمعان بن متعب

٦ ـ الفصلة	تهم ـ من آل زيـد	جمعان بن متعب
٧ ـ المقلولى	تهم من آل زيـد	جمعان بن متعب
٨ ـ المعتمة	تهم من آل زيـد	جمعان بن متعب
٩ ـ قنضح	تهم من آل زيـد	جمعان بن متعب
١٠ ـ تملك	تهم من آل زيـد	جمعان بن متعب
١١ ـ سعيا	تهم من آل زيـد	جمعان بن متعب

١٣ ـ قرى وادي السلامة ووادى المعدن تبعد عن الطائف بمسافة ٣٧ كيلاً .

١ ـ العُسيلة	الشبتة المراوحة	معيض ملحان
٢ ـ عباسة	الشبتة المراوحة	معيض ملحان
٣ ـ الخليف	الشبتة المراوحة	معيض ملحان
٤ ـ أم البكار	الشبتة المراوحة	معيض ملحان
٥ ـ الصور	الشبتة المراوحة	جويبر بن تركي
٦ ـ القملية	الشبتة المراوحة	جويبر بن تركي
٧ ـ الحُفيرة	المعدن المراوحة	جويبر بن تركي
٨ ـ المزاحمة	المعدن المراوحة	جويبر بن تركي
٩ ـ الحمراء	المعدن المراوحة	جويبر بن تركي
١٠ ـ الفراش	المعدن المراوحة	جويبر بن تركي
١١ ـ حاقن الماء	المعدن المراوحة	جويبر بن تركي
١٢ ـ نماطية	المعدن المراوحة	جويبر بن تركي
١٣ ـ القرين	المعدن المراوحة	جويبر بن تركي
١٤ ـ اللحام	المراوحة	معيض بن ملحان

١٥ – الموقعة	المقافشةمن الشبتة	معيض بن ملحان
١٦ – الشعب	المقافشة من الشبتة	معيض بن ملحان
١٧ – الحضاير	المقافشة من الشبتة	معيض بن ملحان
١٨ – العرقوب	المقافشة من الشبتة	معيض بن ملحان
١٩ – المقرح	المقافشة من الشبتة	معيض بن ملحان
٢٠ – القناة	المقافشة من الشبتة	معيض بن ملحان
٢١ – آل خليف	المقافشة من الشبتة	معيض بن ملحان
٢٢ – بقيرة	المقافشة من الشبتة	معيض بن ملحان
٢٣ – الربع	المقافشة من الشبتة	معيض بن ملحان
٢٤ – عينم	المقافشة من الشبتة	معيض بن ملحان
٢٥ – الحوطة	المقافشة من الشبتة	معيض بن ملحان
٢٦ – ذى شريف	المقافشة من الشبتة	معيض بن ملحان
٢٧ – المراشدة	المقافشة	معيض بن ملحان
٢٨ – المثاقيب	المقافشة	معيض بن ملحان
٢٩ – ذوى علي	المقافشة	معيض بن ملحان
٣٠ – الظهران	المقافشة	معيض بن ملحان
٣١ – وادى حماد	المقافشة	معيض بن ملحان
٣٢ – الرحيلان	المقافشة	معيض بن ملحان
٣٣ – أبو عراد	المقافشة	معيض بن ملحان
٣٤ – صخايط	المقافشة	معيض بن ملحان
٣٥ – الشويحطة	المقافشة	معيض بن ملحان
٣٦ – الرقمان	المقافشة	معيض بن ملحان

٣٧ ـ الجوازى	المقافشة	معيض بن ملحان
٣٨ ـ السلامين	المقافشة	معيض بن ملحان
٣٩ ـ السراحين	المقافشة	معيض بن ملحان
٤٠ ـ الجملة	ثبتة مقافشة	معيض بن ملحان
٤١ ـ الروسان	ثبتة مقافشة	معيض بن ملحان
٤٢ ـ النخلة	ثبتة مقافشة	معيض بن ملحان
٤٣ ـ آل مقافشة	ثبتة مقافشة	معيض بن ملحان
٤٤ ـ تنقيه	ثبتة مقافشة	معيض بن ملحان
٤٥ ـ غرايه	روقة	مستور مصلح
٤٦ ـ المراعين	ثبتة روقة	مستور مصلح
٤٧ ـ وقدان	ثبتة روقة	مستور مصلح
٤٨ ـ المفضول	ثبتة روقة	مستور مصلح
٤٩ ـ ابن صالح	ثبتة روقة	مستور مصلح
٥٠ ـ آل حليف	ثبتة روقة	مستور مصلح

١٤ ـ قرى وادى ثمالة تبعد عن الطائف بمسافة ٤٢ كيلا .

١ ـ قرية الشيخ وادى

من آل زايد	ثمالة	محمد بن عطا الله
٢ ـ الجملد	ثمالة	محمد بن عطا الله
٣ ـ الثبتة	ثمالة	محمد بن عطا الله
٤ ـ السبيل	ثمالة	محمد بن عطا الله
٥ ـ العراعر	ثمالة	محمد بن عطا الله
٦ ـ اللويش	ثمالة	محمد بن عطا الله

٧ – السيل	ثمالة	محمد بن عطا الله
٨ – غرو	ثمالة	محمد بن عطا الله
٩ – الشعبة	ثمالة	محمد بن عطا الله
١٠ – الضروة	ثمالة	محمد بن عطا الله
١١ – وادي النهارى	ثمالة	محمد بن عطا الله
١٢ – الهرسة	ثمالة	محمد بن عطا الله
١٣ – الحايط	ثمالة	محمد عطا الله الثمالي
١٤ – السواعده	ثمالة	محمد عطا الله الثمالي
١٥ – الفرعة	ثمالة	محمد عطا الله الثمالي
١٦ – ابن سويلم	ثمالة	محمد عطا الله الثمالي
١٧ – بومندا	ثمالة	محمد عطا الله الثمالي
١٨ – العويجار	ثمالة	محمد عطا الله الثمالي
١٩ – الفقيه	ثمالة	محمد عطا الله الثمالي
٢٠ – العواء	ثمالة	محمد عطا الله الثمالي
٢١ – الحجلاء	ثمالة	محمد عطا الله الثمالي
٢٢ – المضيق	ثمالة	محمد عطا الله الثمالي
٢٣ – الشرق	ثمالة	محمد عطا الله الثمالي
٢٤ – حريشة	ثمالة	محمد عطا الله الثمالي
٢٥ – الدناس وثما	ثمالة	محمد عطا الله الثمالي
٢٦ – الشرقي المكران	ثمالة	محمد بن عطا الله
٢٧ – المحدة	ثمالة – الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٢٨ – بن عبد الله	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبدالله

٢٩ـ عبد اللطيف أبو رقيب	ثمالة الأسفل (؟)	عبيد الله بن عبد الله
٣٠ـ عبد الله ابن الشيخ	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٣١ـ الرفعة	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٣٢ـ الطيسار	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٣٣ـ الحشر	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٣٤ـ الرياش	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٣٥ـ الضباعين	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٣٦ـ السديرة	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٣٧ـ الجحادل	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٣٨ـ جلال الغبرا	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٣٩ـ المراواه	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٤٠ـ الربع	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٤١ـ ابن سعيد	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٤٢ـ عيال ساعد	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٤٣ـ عيال محمد بن علي	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٤٤ـ الشطبة	ثمالة الأسفل	عبيد الله بن عبد الله
٤٥ـ عبد الله العراني	عراب	عبيد الله بن عبد الله
٤٦ـ عبد المعين أبو شرين	شريف	عبيد الله بن عبد الله

١٥ـقرى وادي شُقْصَان : وادي شقصان يقع جنوب الطائف ، وسكانه الجُعَدَة ـ واحدهم جُعَيْدي ـ من قبيلة عتيبة وأمير الجعدة ساتر بن عُنَيْبر الجُعيد ، وتقع قرية شقصان على الطريق المعبد ـ خط الأسفلت ـ المتّجه إلى الجنوب من الطائف ، وتبعد عن الطائف

بما يقارب سبعين كيلاً ، ويحد بلاد الجعدة من الشمال وادي البتر سكانه النفعة ، ومن الجنوب قرى قبيلة بني سعد ، ومن الشرق بادية بني الحارث ، ومن الغرب بلاد السُّوَمة :

١ - شقصان	ذي ظفر	صويلح معيش
٢ - شقصان	المناصير	عمار الجعيد
٣ - شقصان	المضاب	طلق بن عنيبر
٤ - شقصان	المصالحة	سعود بن مطلق
٥ - شقصان	الزواير	طنف الجعيد
٦ - شقصان	البرامين	ساتر بن عنيبر
٧ - شقصان	المعاقلة	
٨ - شقصان	المساعدة	مزهر الجعيد
٩ - وادى العوصة	المغانية	مستور بن شلهوب
١٠ - الردادين	الردادين	صالح بن خلف عنيبر

١٦ - قرى وادي كلاخ يبعد عن الطائف بمسافة ٦٠ كيلاً .

١ - وادى كلاخ	الحمية	مسعد بن رجاء
٢ - أم الجلدية	الحمية	مسعد بن رجاء
٣ - المحيجبة	الحمية	مسعد بن رجاء
٤ - أسفل الوادي	الحمية	مسعد بن رجاء
٥ - محسن بن فهد	الحمية	مسعد بن رجاء
٦ - فهد بن عيضة	الحمية	مسعد بن رجاء
٧ - عيضة بن مفلح	الحمية	مسعد بن رجاء
٨ - مضللة	الحمية	مسعد بن رجاء

٩ – القرديين	النفعة	خشيم بن عابد
١٠ – مسلم	النفعة	خشيم بن عابد
١١ – المريشة	النفعة	خشيم بن عابد
١٢ – الشعايبن	النفعة	خشيم بن عابد
١٣ – الغولة	النفعة	خشيم بن عابد
١٤ – التهول	نفعة	خشيم بن عابد
١٥ – الصفيان	نفعة	حويشان
١٦ – الفجالين	نفعة	خشيم بن عابد
١٧ – النخشة	نفعة	ابن حاسن
١٨ – ذي جبر	الحمية	مسعد بن رجاء
١٩ – عبسان	النفعة	ابن حاسن

١٧ – قبيلة بني سَعْد ، في جنوب الطائف بنحو ١٣٠ كيلاً .

١ – مركز الصحن	السلاقة	عواض بن حمدان
٢ – الدار الحمراء	خليد	خضر بن مطر
٣ – دار العرق	خليد	خضر بن مطر
٤ – الكسحة	خليد	خضر بن مطر
٥ – البصلان	خليد	خضر بن مطر
٦ – اليعاقيب	خليد	خضر بن مطر
٧ – الغلايا	خليد	خضر بن مطر
٨ – المغاورة	خليد	خضر بن مطر
٩ – عريم	خليد	خضر بن مطر
١٠ – الصفقة	خليد	خضر بن مطر

١١ - القاع	خديد	خضر بن مطر
١٢ - القصجة	خديد	خضر بن مطر
١٣ - الأوقر	خديد	خضر بن مطر
١٤ - قلبين المقرا	خديد	خضر بن مطر
١٥ - طماح	خديد	خضر بن مطر
١٦ - الني راع	خديد	خضر بن مطر
١٧ - الغريف	خديد	خضر بن مطر
١٨ - غنام	خديد	خضر بن مطر
١٩ - الحشاشة	السيايل	حمود اليامى
٢٠ - الملاقة	السيايل	حمود اليامي
٢١ - الغراب	السيايل	حمو د اليامي
٢٢ - الرصفة	السيايل	حمود اليامي
٢٣ - الصور	السيايل	حمود اليامي
٢٤ - الزرية	السيايل	حمود اليامي
٢٥ - الحماطات	السيايل	حمود اليامي
٢٦ - الصحن	السلاقا	عوض الله بن حمدان
٢٧ - الحضاير		عوض الله بن حمدان
٢٨ - المحلة		عوض الله بن حمدان
٢٩ - الخربة		عوض الله بن حمدان
٣٠ - المضيبة		عوض الله بن حمدان
٣١ - الشقة		عوض الله بن حمدان
٣٢ - التحيض		عوض الله بن حمدان

٣٣ـ البركة		عوض الله بن حمدان
٣٤ـ النبحة		عوض الله بن حمدان
٣٥ـ القرين		عوض الله بن حمدان
٣٦ـ الزمان		صالح بن رداد
٣٧ـ الترقش		صالح بن رداد
٣٨ـ الذبانية	الذيانية	عبد الله بن مقبول
٣٩ـ الرديفة	الذبانية	عبد الله بن مقبول
٤٠ـ دار العطا	الجرادحة	حسني أبو العون
٤١ـ الجمالين	الجرادحة	حسني أبو العون
٤٢ـ الشقيات	الجرادحة	حسني أبو العون
٤٣ـ المدق	الجرادحة	حسني أبو العون
٤٤ـ الطفلان	الجرادحة	حسني أبو العون
٤٥ـ الشعيراء	الجرادحة	حسني أبو العون
٤٦ـ الغنمة	خديد وربيع	
٤٧ـ المضم	الجرادحة	حسني أبو العون
٤٨ـ الجرادحة	الجرادحة	حسني أبو العون
٤٩ـ العضبة	الجرادحة	حسني أبو العون
٥٠ـ الخوقاه	الجرادحة	حسني أبو العون
٥١ـ الحميدى	الجرادحة	حسني أبو العون
٥٢ـ الخيف		
٥٣ـ الثعارين	جداره	عوض أبو ركبة
٥٤ـ الغدران	جداره	عوض أبو ركبة

٥٥ ـ منيفة	جداره	عوض أبو ركبة
٥٦ ـ سواس	جداره	عوض أبو ركبة
٥٧ ـ أم سغن	جداره	عوض أبو ركبة
٥٨ ـ الحوما		عواض بن مقبل
٥٩ ـ ذنيب الرحاء		عواض بن مقبل
٦٠ ـ الضباعين		عواض بن مقبل
٦١ ـ اطلع		عواض بن مقبل
٦٢ ـ مخلد		عواض بن مقبل
٦٣ ـ لغب ذي عطية		عواض بن مقبل
٦٤ ـ المضافرة		عواض بن مقبل
٦٥ ـ الحدب		عواض بن مقبل
٦٦ ـ البراريق		عواض بن مقبل
٦٧ ـ الشروط		عواض بن مقبل
٦٨ ـ الدهاميش		عواض بن مقبل
٦٩ ـ المحارث		عواض بن مقبل
٧٠ ـ البراق		عواض بن مقبل
٧١ ـ العيس		عيضة بن مستور
٧٢ ـ العكان		عيضة بن مستور
٧٣ ـ الشهبة		
٧٤ ـ العوصة	الشهبة	عواض بن سالم
٧٥ ـ العروشية	الشهبة	عواض بن سالم
٧٦ ـ المقراة	الشهبة	عواض بن سالم

٧٧ ـ شعبة	الشهبة	عواض بن سالم
٧٨ ـ الصبحة	الذويبات	عبد الله بن وخيل
٧٩ ـ المدير	الذويبات	عبد الله بن وخيل
٨٠ ـ القُريع	الذويبات	عبد الله بن وخيل
٨١ ـ اللحيان	الذويبات	عبد الله بن وخيل
٨٢ ـ العقبة	الذويبات	عبد الله بن وخيل
٨٣ ـ أخفاش	الذويبات	عبد الله بن وخيل
٨٤ ـ صعبة	الذويبات	عبد الله بن وخيل
٨٥ ـ الدهاسين	الذويبات	عبد الله بن وخيل
٨٦ ـ المياشا	الذويبات	عبد الله بن وخيل
٨٧ ـ المناصير	الذويبات	عبد الله بن وخيل
٨٨ ـ الزعيب	الذويبات	عبد الله بن وخيل
٨٩ ـ الدار الحمراء	المناجيم	عوض الله بن عويض
٩٠ ـ القصر	المناجيم	عوض الله بن عويض
٩١ ـ العيتة	المناجيم	عوض الله بن عويض
٩٢ ـ ثاتف	المناجيم	عوض الله بن عويض
٩٣ ـ الشذالة	المناجيم	عوض الله بن عويض
٩٤ ـ العلاوين	المناجيم	عوض الله بن عويض
٩٥ ـ الثنية	المناجيم	عوض الله بن عويض
٩٦ ـ الفقهاء	المناجيم	عوض الله بن عويض
٩٧ ـ ملح	المناجيم	عوض الله بن عويض
٩٨ ـ الحديب	الزود	عواض بن صويلح

٩٩ - ابن عاصم	الزود	عواض بن صويلح
١٠٠ - الحجية	الزود	عواض بن صويلح
١٠١ - الطماحين	الزود	عواض بن صويلح
١٠٢ - القحـوم	الزود	عواض بن صويلح
١٠٣ - المطيرية	الزود	عواض بن صويلح
١٠٤ - الدومة	الزود	عواض بن صويلح
١٠٥ - أهل حرث	الزود	عواض بن صويلح
١٠٦ - القحـوم	أهل صلاء	عواض بن صويلح
١٠٧ - الفقهـاء		عواض بن صويلح
١٠٨ - المخبطين		عواض بن صويلح
١٠٩ - شعب الشام		عواض بن صويلح
١١٠ - غليفـة		عواض بن صويلح
١١١ - الخـراجة		عواض بن صويلح
١١٢ - ابن قحضان		عواض بن صويلح
١١٢ - الشنقان		عواض بن صويلح
١١٤ - عبـادل		عواض بن صويلح
١١٥ - النجيات		عواض بن صويلح
١١٦ - الكلحيت		عواض بن صويلح
١١٧ - العبـادي		عواض بن صويلح
١١٨ - الضاع	الحصنة	نجم بن عمير الحصيني
١١٩ - جبرتش	الحصنة	نجم بن عمير الحصيني
١٢٠ - صلاء		

١٢١ ــ دفاف		
١٢٢ ــ ابن عقيل		حامد ابن العكش
١٢٣ ــ اللبين		حامد ابن العكش
١٢٤ ــ العقيب		حامد ابن العكش
١٢٥ ــ مرزوق		خضر بن مطر
١٢٦ ــ الشعبة		خضر بن مطر
١٢٧ ــ المحاسنة	جداره	عوض أبو ركبة
١٢٨ ــ القهب	جداره	عوض أبو ركبة

١٨ ــ قرى ثقيف ترعة ، في الجنوب الشرقي من الطائف تبعد عن الطائف بمسافة ١٧٠ كيلاً .

١ ــ المقلدة	بني جاهر	محمد بن ذياب
٢ ــ الأحلاف	ثقيف	محمد بن ذياب
٣ ــ الجهرة		
٤ ــ المقرش	بنى جاهل	محمد بن ذياب
٥ ــ مدغل	بنى جاهل	محمد بن ذياب
٦ ــ الخلص	بنى جاهل	محمد بن ذياب
٧ ــ الشطبات	بنى جاهل	محمد بن ذياب
٨ ــ الجيل	بنى جاهل	محمد بن ذياب
٩ ــ العشم الريل		
١٠ ــ السورة		
١١ ــ موال تهامة		عبد العزيز بن رابع
١٢ ــ الحويطة		

١٣ ـ رتا		
١٤ ـ الرهطة		
١٥ ـ بككة؟		
١٦ ـ طهدا		
١٧ ـ الظهرة		
١٨ ـ النبع		
١٩ ـ الجمام	آل محمد ثقيف	سلطان بن حامد
٢٠ ـ العمار		
٢١ ـ المحوط	آل محمد ثقيف	سلطان بن حامد
٢٢ ـ آل عامر		
٢٣ ـ عبدانة	آل محمد ثقيف	سلطان بن حامد
٢٤ ـ العريش		
٢٥ ـ المجاردة	بني يوسف	عبد المعين بن عطية
٢٦ ـ الأشراف		
٢٧ ـ العكرش		
٢٨ ـ الفرعين		
٢٩ ـ صراو	بني يوسف	عبد المعين البنح
٣٠ ـ الوحشة	بني يوسف	عبد المعين البنح
٣١ ـ المجردة	آل بردة	وخيل بن شلاع
٣٢ ـ الشرمان	البرذة	وخيل بن شلاع
٣٣ ـ الشياعين		
٣٤ ـ الحنادين		
٣٥ ـ سويل		
٣٦ ـ المدامة		

١٩ ـ قرى بني الحارث جنوب الطائف بنحو ١٧٠ كيلاً (وادي ميسان).

١ ـ ميسان	المركز لبني الحارث	
٢ ـ الهيضلة	اليزيد	عبد الله بن هلال
٣ ـ اليزيد		
٤ ـ العرق	آل يزيد آل موسى	سعد القريح
٥ ـ الصور	اليزيد	سعد القريح
٦ ـ أبو حزام		
٧ ـ الحددة		
٨ ـ النقين		
٩ ـ دجرة		
١٠ ـ البوايت		
١١ ـ أم السعود		شعف بن هديان
١٢ ـ البصيرة		على بن سراج
١٣ ـ المرثين النابخ		
١٤ ـ العرقوب		
١٥ ـ الجردة	المشايخ	على بن سراج
١٦ ـ الحيدا لصعدة		حمدان بن عيضة
١٧ ـ جوبة	الزبدة	على أبو علية
١٨ ـ مغث		
١٩ ـ النحيلات	الزبدة	على أبو علية
٢٠ ـ وادى رسب		

٢١ـ الغوفة		علي بن سراج
٢٢ـ حضة		
٢٣ـ شويحط	المشايخ	علي بن سراج
٢٤ـ الظهـرة		
٢٥ـ سكيه		
٢٦ـ البوامة	آل حسين	عبد العال العجلط
٢٧ـ الشرا		
٢٨ـ العجالطة	آل حسن آل موسى	عبد العال العجلط
٢٩ـ مرثـد	آل حسن آل موسى	عبد العال العجلط
٣٠ـ السوادين	آل حسن آل موسى	عبد العال العجلط
٣١ـ النبع		
٣٢ـ ريشان		
٣٣ـ الدعجـا	النواقلة	مسعود بن مصري
٣٤ـ الدبيـان		
٣٥ـ الوهاشة	النوافلة	مسعود بن مصري
٣٦ـ الفـرعة	النوافلة	مسعود بن مصري
٣٧ـ الوذحة	النوافلة	مسعود بن مصري
٣٨ـ العلي	النوافلة	مسعود بن مصري
٣٩ـ العطـاء	بني كريم	عيضة بن غزال
٤٠ـ الدار البيضا		
٤١ـ قريش	الهمـلة	أحمد بن جرادي

٤٢ ـ وادى الخواضين		
٤٣ ـ الشهباء	بني كريم	بني كريم حسيكة
٤٤ ـ الوصيفة		
٤٥ ـ الناضج	بني كريم	عيضة بن غزال
٤٦ ـ قريش الجناب		
٤٧ ـ الدحل		
٤٨ ـ الخليل		
٤٩ ـ النهرى		
٥٠ ـ الصخرة	بنى كريم حسيكة	عيضة بن غزال
٥١ ـ بيضان	بنى كريم حسيكة	عيضة بن غزال
٥٢ ـ رضوان		
٥٣ ـ الحراء	الهملة	أحمد بن جرادى
٥٤ ـ الكمة	الهملة	أحمد بن جرادى
٥٥ ـ الكوت	الهملة	أحمد بن جرادى
٥٦ ـ قرقفة		
٥٧ ـ ظفر		
٥٨ ـ السنيد		
٥٩ ـ العضيلة		
٦٠ ـ غياض	الحنشة	أحمد بن عيضة
٦١ ـ الصحن		
٦٢ ـ النارشنان		
٦٣ ـ القطمان	الحنشة	أحمد بن عيضة

٦٤ـ السفيه		
٦٥ـ أقرة		
٦٦ـ السدره		
٦٧ـ المكره	الحنشة	أحمد بن عيضة
٦٨ـ بدر حو تهامة ؟		
٦٩ـ زريق	الزبدة	على أبو علية
٧٠ـ المثناة	الزبدة	على أبو علية
٧١ـ القرعة		
٧٢ـ العضاء		
٧٣ـ راس الربع		
٧٤ـ البيضا		
٧٥ـ الطلوح	الزبدة	على أبو علية
٧٦ـ الرسمة		
٧٧ـ الشباشبة	الشباشبة	عواض بن عنيزان
٧٨ـ الفقهاء		
٧٩ـ ذهبة	الشباشبة	عواض بن عتيزان
٨٠ـ وادى العصب		
٨١ـ الحناة		حامد بن فالح
٨٢ـ وادي ضِراء		
٨٣ـ البقسان		
٨٤ـ كثنة		سعيد بن عيضة
٨٥ـ صعبة		

٨٦ـ مشرق	العميرات	عائض بن عبادى
٨٧ـ وادى فريج		
٨٨ـ المخالدة		
٨٩ـ الورضة		
٩٠ـ ثعاب قدار		
٩١ـ آل محمد	آل محمد	
٩٢ـ الخضراء	السواهرة	ضيف الله بن طوير
٩٣ـ الثغرة	السواهرة	ضيف الله بن طوير
٩٤ـ الأشرق		
٩٥ـ ذى حسام		
٩٦ـ البزة		عبد الرحمن بن زايد
٩٧ـ آل عبد الله	آل عبد الله	سعيد الحنيفى
٩٨ـ الكسفة		
٩٩ـ أنيسام		مبارك بن سليم
١٠٠ـ أم على	آل عبد الله	محيسن بن حسن
١٠١ـ سعنة	آل عبد الله	محيسن بن حسن
١٠٢ـ مروة	آل شداد	عزيز بن مقبل
١٠٣ـ ابن محسن	العبده	رزق الله بن مشيط
١٠٤ـ بادية		حميد بن حمدان
١٠٥ـ الصدعة	الصدعة	حمدان بن سمران
١٠٦ـ كتينة	البلاهدة	عيضة بن معيض
١٠٧ـ كتنة	البلاهدة	عيضة بن معيض

١٠٨ ـ الجعث	الشباشبة	عواض بن عتيزان
١٠٩ ـ السقاف	العميرات	عايض بن عبادي
١١٠ ـ أم دار	العميرات	عايض بن عبادي
١١١ ـ المورخة	العميرات	عايض بن عبادي
١١٢ ـ مشرق	العميرات	عايض بن عبادي
١١٣ ـ الغيسان	الحفاة	حامد بن فالح
١١٤ ـ خراف	السواهرة	ضيف الله بن طوير
١١٥ ـ الضبيعة	آل عبد الله	محمد بن عودة
١١٦ ـ القحم	آل محمد بنيوس	عواض بن مخضور
١١٧ ـ مقرض	آل محمد بنيوس	عواض بن مخضور
١١٨ ـ العميق	آل محمد بنيوس	عواض بن مخضور
١١٩ ـ مرمية	آل محمد بنيوس	عواض بن مخضور
١٢٠ ـ النمصة	الحلصة	سليان أبو قبصة
١٢١ ـ الكرش	الحلصة	سليان أبو قبصة
١٢٢ ـ المشافية	الحلصة	سليان أبو قبصة
١٢٣ ـ الحريزة	الحلصة	سليان أبو قبصة

٢٠ ـ قرى بني الحارث في وادي (أبو راكة) جنوب الطائف بنحو ١٥٠ كيلاً.

١ ـ أبو راكة الحارثية

٢ ـ قباء

٣ ـ المخمرة

٤ ـ بواء

٥ – غزايل

٦ – ضراء

٧ – أم الحميطاء

٢١ – قرى قبيلة بني مالك ، وبلادها في السراة (حداد) جنوب الطائف بنحو ١٨٠ كيلاً .

١ – بني مالك حداد	بنو مالك	محمد بن الحسن
٢ – صيادة	بنو مالك	زايد بن شميلان
٣ – السلامين	بنو مالك	عبد الملك بن عيضة
٤ – السراحين	بنو مالك	عبد الملك بن عيضة
٥ – الشرمة	بنو مالك	عبد الملك بن عيضة
٦ – عيال	بنو مالك	
٧ – عديلة	بنو مالك	
٨ – بويهب	بنو مالك	
٩ – الهمري	بنو مالك	
١٠ – العظيمة	بنو مالك	الحسين بن غليون
١١ – الخالة	بنو مالك	
١٢ – بني راضي	بنو مالك	
١٣ – نلناء	بنو مالك	
١٤ – بني رباح	بنو مالك	
١٥ – القضاة	بنو مالك	محمد ابن الحسن
١٦ – الرافع	بنو مالك	محمد ابن الحسن

١٧ـ الإمارة	بنو مالك	
١٨ـ الحشان	بنو مالك	
١٩ـ المحارزة	بنو مالك	
٢٠ـ القذارة	بنو مالك	يحي بن خلف
٢١ـ الصمان	بنو مالك	يحي بن خلف
٢٢ـ العمشان	بنو مالك	يحي بن خلف
٢٣ـ القرى	بنو مالك	
٢٤ـ قرية الفلطة	بنو مالك	يحي بن خلف
٢٥ـ بنى ناصر	بنو مالك	
٢٦ـ الثانيف	بنو مالك	
٢٧ـ الدبوس	بنو مالك	صالح أبو غرارة
٢٨ـ الوعير	بنو مالك	صالح أبو غرارة
٢٩ـ الحلاة	بنو مالك	صالح أبو غرارة
٣٠ـ المينة	بنو مالك	
٣١ـ الفضيل	بنو مالك	
٣٢ـ الحصبة	بنو مالك	محمد ابن الحسن
٣٣ـ الحجلة	بنو مالك	محمد ابن الحسن
٣٤ـ الحميان	بنو مالك	محمد ابن الحسن
٣٥ـ قعرة	بنو مالك	
٣٦ـ الصراغة	بنو مالك	
٣٧ـ الجهالين	بنو مالك	
٣٨ـ بني سعود	بنو مالك	

٣٩	العضدة	بنو مالك	
٤٠	راوان	بنو مالك	حامد بن فرج
٤١	ابن العسود	بنو مالك	
٤٢	الحمة	بنو مالك	
٤٣	الحسناء	بنو مالك	الحسين بن غليون
٤٤	العميرة	بنو مالك	
٤٥	الرزقة	بنو مالك	
٤٦	قرية الموارِه	بنو مالك	
٤٧	الرواجح	بنو مالك	معتوق بن ساعد
٤٨	الحضن	بنو مالك	معتوق بن ساعد
٤٩	عويرة	بنو مالك	معتوق بن ساعد
٥٠	الجباهين	بنو مالك	
٥١	آل خلف الله	بنو مالك	
٥٢	الخيم	بنو مالك	معتوق بن ساعد
٥٣	شريان	بنو مالك	معتوق بن ساعد
٥٤	المصانع	بنو مالك	
٥٥	البيضا	بنو مالك	صالح بن زقم
٥٦	الضبعة	بنو مالك	صالح بن زقم
٥٧	الحذمة	بنو مالك	
٥٨	الطرف	بنو مالك	صالح بن زقم
٥٩	حديد	بنو مالك	صالح بن زقم

٦٠ – أبو شايق	بنو مالك	محمد الحسن
٦١ – المهاوية	بنو مالك	محمد الحسن
٦٢ – الشعاتير	بنو مالك	محمد الحسن
٦٣ – اليعاسيب	بنو مالك	محمد الحسن
٦٤ – خبرين	بنو مالك	محمد الحسن
٦٥ – الهملة	بنو مالك	محمد الحسن
٦٦ – الملحة	بنو مالك	يحى بن خلف
٦٧ – المداره	بنو مالك	
٦٨ – الغزيبة	بنو مالك	
٦٩ – الشطفة	بنو مالك	يحى بن خلف
٧٠ – بني محارب	بنو مالك	
٧١ – الشولان	بنو مالك	الحسين بن غليون
٧٢ – شعب العبدان	بنو مالك	
٧٣ – الموارقة	بنو مالك	محمد ابن الحسن
٧٤ – الأخيباب	بنو مالك	محمد ابن الحسن
٧٥ – الشدمة	بنو مالك	
٧٦ – المساتير	بنو مالك	محمد ابن الحسن
٧٧ – أبو شايق	بنو مالك	
٧٨ – الشريه	بنو مالك	
٧٩ – الدنامة	بنو مالك	
٨٠ – الفضلة	بنو مالك	معتوق بن ساعد
٨١ – الحفار	بنو مالك	محمد ابن الحسن

٨٢ ـ سيان	بنو مالك	صالح بن زاحم
٨٣ ـ الغزيبة (؟)	بنو مالك	يحى بن خلف
٨٤ ـ الفرعة	بنو مالك	يحى بن خلف
٨٥ ـ القهب	بنو مالك	
٨٦ ـ الطواغة	بني عبد الله	محمد ابن الحسن
٨٧ ـ المقدة	بني عبد الله	محمد ابن الحسن
٨٨ ـ المتوارقة	بني عبد الله	محمد ابن الحسن
٨٩ ـ الزائع	بني عبد الله	محمد ابن الحسن
٩٠ ـ التومة	بني عبد الله	محمد ابن الحسن
٩١ ـ المشهق	بني عبد الله	محمد ابن الحسن
٩٢ ـ خيرين	بنو عبد الله	محمد ابن الحسن
٩٣ ـ الأخيار	بنو عبد الله	محمد ابن الحسن
٩٤ ـ الدشاما	بنو عبد الله	محمد ابن الحسن
٩٥ ـ المزاريع	المهالين	عائض بن زوير
٩٦ ـ السمحة	المهالين	عائض بن زوير
٩٧ ـ البناة	البناة	صالح أبو غرارة
٩٨ ـ النفلة	البناة	صالح أبو غرارة
٩٩ ـ الشطابية	البنات أبا القصيم	صالح أبو غرارة
١٠٠ ـ أبو سكن	البنات أبا القصيم	صالح أبو غرارة
١٠١ ـ القريع	بنو دهيس	يحي بن خلف
١٠٢ ـ المخفرة	بنو دهيس	يحي بن خلف
١٠٣ ـ اللحمة	بنو دهيس	يحي بن خلف

١٠٤ ـ القـراء	بنو دهيس	يحي بن خلف
١٠٥ ـ الهـولة	بنو دهيس	يحي بن خلف
١٠٦ ـ الأحامرة	بنو دهيس	يحي بن خلف
١٠٧ ـ السنوان	بنو دهيس	يحي بن خلف
١٠٨ ـ فاعي	أبا الحلس	الحسين بن عليون
١٠٩ ـ أبو هيـاء العليـا	الوهبـاء	عوض الزيس
١١٠ ـ أبو هياء السفلى	الوهباء	عوض الزيس

٢٢ ـ قرى بلاد بني مالك (القريع) تبعد عن الطائف بمسافة ٢٢٠ كيلاً.

١ ـ القريع	بني مالك	عطية بن هادي
٢ ـ الزيرة	بني مالك	عطية بن سعيد
٣ ـ الحنانة	بني مالك	
٤ ـ ابن شداد	بني مالك	
٥ ـ الغلمة	بني مالك	
٦ ـ الدارين	بني مالك	عطية بن سعيد
٧ ـ القصرة	بني مالك	
٨ ـ الحمـدة	بني مالك	عتيق بن صلاح
٩ ـ ابن هادى	بني مالك	عطية بن هادي
١٠ ـ الدعاجلة	بني مالك	
١١ ـ ابن هيف	بني مالك	عطية بن هادي
١٢ ـ قريش عروة	بني مالك	عطية بوطلايب
١٣ ـ الوهشة	بني مالك	مطلق بن حزام
١٤ ـ المغالبة	بني مالك	

١٥ ـ الحدب	بني مالك	يماني بن زاهي
١٦ ـ فريضة	بني مالك	مساعد بن سراج
١٧ ـ العبلة	بني مالك	صالح بن شداد
١٨ ـ غنـام	بني مالك	
١٩ ـ العثم		
٢٠ ـ المقلع	بني مالك	
٢١ ـ الحفـرة	بني مالك	
٢٢ ـ ناجى الهزاع	بني مالك	عطية بوطلايب
٢٣ ـ البلال	بني مالك	عطية بوطلايب
٢٤ ـ أبو طلايب	بني مالك	
٢٥ ـ الملد	بني مالك	عطية بوطلايب
٢٦ ـ القـاع	بني مالك	محمد بن ناصر
٢٧ ـ المصفاة	بني مالك	
٢٨ ـ اليمنة	بني مالك	
٢٩ ـ عوبا	بني مالك	
٣٠ ـ القـرى	بني مالك	
٣١ ـ الزريبة	بني مالك	مطلق ابن قحيص
٣٢ ـ عبـده	بني مالك	مطلق ابن قحيص
٣٣ ـ العدول	بني مالك	مطلق ابن قحيص
٣٤ ـ قملان	بني مالك	مساعد بن سراج
٣٥ ـ بني عامر	بني مالك	
٣٦ ـ صفا	بني مالك	

٣٧ـ القحصة	بني مالك	مطلق بن قحيص
٣٨ـ المحامدة	بني مالك	محمد بن ناصر
٣٩ـ البو	بني مالك	
٤٠ـ السعدة	بني مالك	مطلق ابن قحيص
٤١ـ عضداء	بني مالك	مطلق ابن قحيص
٤٢ـ الأحلاف	بني مالك	مطلق ابن قحيص
٤٣ـ السلاطين	بني مالك	
٤٤ـ القاضي	بني مالك	عتيق بن صلاح
٤٥ـ الغبيش	بني مالك	
٤٦ـ بنى عيدة	بني مالك	
٤٧ـ وقوفة	بني مالك	
٤٨ـ كيدة	بني مالك	
٤٩ـ ود	بني مالك	مطلق بن حزام
٥٠ـ رحشا	بني مالك	مطلق بن حزام
٥١ـ الصفا	بني مالك	
٥٢ـ ابن بلال	بني مالك	
٥٣ـ الحجرة	بني مالك	عتيق بن صلاح
٥٤ـ العازب	بني مالك	عبد الله جاد الله
٥٥ـ اليريث	بني عبد الله	عبد الله جاد الله
٥٦ـ آل عازب	بني عبد الله	عبد الله جاد الله
٥٧ـ المعاصير	بني عبد الله	عبد الله جاد الله

٥٨ ـ القطرة	بني عبد الله	عبد الله جاد الله
٥٩ ـ آل جامع	بني عبد الله	عبد الله جاد الله
٦٠ ـ الزهرة	بني عبد الله	عبد الله جاد الله
٦١ ـ الربعة	بني عبد الله	عبد الله جاد الله
٦٢ ـ الصخيرة	بني عبد الله	عبد الله جاد الله
٦٣ ـ القرن	بني عبد الله	عبد الله جاد الله
٦٤ ـ آل ظافر	العصيان	
٦٥ ـ العين	العصيان	خميس بن مفلح

٢٣ ـ قرى عشيرة ، شمال شرق الطائف بنحو ٦٠ كيلاً .

١ ـ عُشَيْرة	المقطة
٢ ـ هجرة بنى عديس	الشيابين
٣ ـ العُيَينة	الجمعة
٤ ـ الزينة	قريش
٥ ـ القرشية	قريش
٦ ـ رضوان	عدوان
٧ ـ هجرة المقطة	المقطة

٢٤ ـ قرى السيل الكبير تبعد بمسافة ٥٠ كيلاً عن الطائف .

١ ـ السيل الكبير	الثبتة
٢ ـ الشربية	
٣ ـ الضمير	
٤ ـ الشقرة والموج	
٥ ـ النخل	

٦ - الملاح

٧ - الودينة

٨ - الغروب

٩ - الجوازى

١٠ - محضة

٢٥ -قرية السيل الصغير تبعد بمسافة ٢٨ كيلاً عن الطائف.

١ - السَّيْل الصغير القشمة

٢٦ -قرى تُرَبَة :

بلدة تربة البقوم تقع في الجهة الشرقية عن مدينة الطائف وتبعد منها بمسافة ١٣٥ كيلاً والطرق الموصلة إليها صحراوية غير مسفلتة وبها الدوائر الحكومية ماعدا الشرطة والجوازات كما يوجد بها مدارس ابتدائية للبنين وللبنات ومدرسة متوسطة للبنين ، وبها مركز تنمية اجتماعية وتكثر بها المزارع كما يوجد بها قبائل البقوم من البادية الرحل.

١ - تربة البقوم

٢ - العلايا

٣ - كَرَا

٤ - الوطاة

٥ - الحشرج

٦ - حصان تركي

٧ - العرقين

٨ - العصلة

٩ ـ شعر

١٠ـ ذواعر

١١ـ القويعية

١٢ـ الثغير

١٣ـ المحيجر

١٤ـ الليد

١٥ـ مسيعيدة

١٦ـ عطف المعجر

١٧ـ اليابسة

١٨ـ العصية

٢٧ـ قرى بلدة الخرمة ، شرق الطائف بنحو ١٥٠ كيلاً .

١ ـ الخرمة	بني ثور	
٢ ـ الهجرة	القرشان	
٣ ـ حوقان	الصملة	سبيع
٤ ـ الجرف	بني عمر	سبيع
٥ ـ الدغمية	الأشراف	
٦ ـ الوطاة		
٧ ـ السلمية		
٨ ـ أبو جميزة		
٩ ـ الدبيلة	أهل القصيم	
١٠ـ الحرف وجبار		
١١ـ الغريف		

١٢ ـ الخرابة

١٣ ـ البريكة

١٤ ـ الزرب

١٥ ـ الدوارة

١٦ ـ الجراديات

١٧ ـ المجوة

١٨ ـ المهد

١٩ ـ الحزم

٢٠ ـ الوريقط (الأُرَيْقِط)

٢١ ـ الحريق

٢٢ ـ اللوبات

٢٣ ـ أم القصور

٢٤ ـ البرقة

٢٥ ـ المعيزيلة

٢٨ ـ قرى المُوَيه :

قرية المويه في الشمال الشرقي عن مدينة الطائف وعلى بعد مسافة ٢٥٠ كيلاً من الطائف بطريق الرياض منها مسافة ١٩٠ كيلا معبد أسفلت، و٦٥ كيلا طريق صحراوى حيث توجد القرية التى بها مقر الإمارة وبقية المصالح الحكومية أما التي على خط الأسفلت فهي قرية المحازة أو (المويه الجديدة) حيث يوجد في قرية المحازة مركز الشرطة لمراقبة حركة السيارات وإجراء التحقيق في الحوادث التي تقع بطريق الرياض ويتبع المُوَيه قرى وهجر للبادية .

١ ـ المويه	الدلابحة
٢ ـ المحازة	الصوازم
٣ ـ المميج	المراشدة
٤ ـ البادية	القبيلة
٥ ـ بادرية	الخراريص
٦ ـ هداء	الفراهدة
٧ ـ الدعكسة	الكراشمة
٨ ـ النويب	الغنانيم
٩ ـ الصغيرة	العوالي
١٠ ـ الحفر (كشب)	المورثة
١١ ـ الدعية	السمرة
١٢ ـ القرارة	المهادية
١٣ ـ مَرَّان	العضيان
١٦ ـ أُمّ الدَّوْم	
١٧ ـ دُغَيْبِجة	
١٨ ـ قطان	

٢٩ ـ ظلم : تقع قَرْيَةُ ظَلْم على طريق الرياض من الطائف ، وتبعد عن الطائف ٢٧٥ كيلاً ومَنْجم ظلم ـ معدن الذهب ـ أصبح مهجورًا ، وسكان منطقة ظلم خليط من قبائل النُّفَعَةِ والرُّوقَةِ والمُقَطَة والبُقُوم وسُبَيْع والشَّلاوَى .

حُسْنُ القِرَى في أَوْدِيَةِ أُمِّ القُرَى

في بحث الدكتور حسن أحمد محمود عن (التهديد البرتغالى لسواحل الجزيرة) المنشور فى مجلة « العرب » – س ١٢ ص ٦٠٤ – إشارة إلى كتاب لابن فهد هو « حُسْنُ القِرَى : في أَودية أُمّ القرى » فهل من معلومات وافية عن هذا الكتاب ؟ .

مكة المكرمة – جامعة الملك عبدالعزيز – حسين أحمد

العرب :

هذا الكتاب تحدث عنه المستشرق الانجليزى سرجنت (R, B. SERJENT) في بحث نشره باللغة الانجليزية [١] ، عنه وعن كتاب « النسبة إلى البلدان » للقاضي الطيب بن عبدالله بن عمر بامَخْرَمة ، وكل ما نعرف عن ذلك الكتاب هو ما نلخصه مما كتبه سرجنت عنه .

لقد ذكر أنَّ من هذا الكتاب مخطوطة في مكتبة (السهل) في بلدة تَرِيم في حضرموت ، صُوِّرتْ بواسطة السيد ين حسين بن عبدالقادر وحمزه آل يحيي ، والنسخة المصورة الآن في مكتبة (SOAS).

وتقع النسخة في ٢٥ ورقة – منها صفحة لعنوان الكتاب ، وأشار إلى أن النسخة مخرومة الآخر ، وقدر النقص بصفحة أو صفحتين ، وأن في الصفحة ٢٣ سطراً – وأنها كتبت سنة ٩٤٧ – قبل وفاة المؤلف

(١) Two Sixteenth Century Arabian Geo grrphical Works,

بسبع سنين [١] ، وقد تكون بخط المؤلف ، كما تشير إلى ذلك إضافات في الهوامش ، لعله كان ينوي إضافتها إلى الأصل عند إعادة كتابته .

ومصادر المؤلف هي – كما ذكر سرجنت – : ابن خرداذبة ، وابن جُبَير ، وياقوت الحموي في كتابه « المشترك » وأبواسحاق في « المهذّب » والنووي في « الروضة » و « النهاية » لابن الأثير و « الضوء اللامع » للسخاوي والأزرقي ، وابن الفقيه و « شفاء الغرام » للفاسي .

كما رجع إلى مؤلفات جدّه عمر بن فهد المكي مثل كتاب « الدر الكمين ، بذيل العقد الثمين » وكتابه عن جُدَّة الذي ذكر بروكلمان وجود نسختين منه في أوربة ، ولابن فهد الجدّ مؤلف عن عكاظ هو : « كتاب الاتعاظ لما ورد في سوق عكاظ » .

وأشار ابن فهد إلى مؤلف عن جُدّة – ولكنه لم يره – « هو تنسّم الزهر المأنوس ، عن ثغر جُدّة المحروس » لمحمد بن يعقوب المالكي.

وأشار إلى رسالة الميورقي : « بهجة المُهَج ، في بعض فضائل الطائف ووَجّ » [٢] وقد سَرَدَ سِرجنت محتويات الكتاب على هذا النحو :

١ ب مقدمة وتقديم

٢ ب وصف مكة

٤ ا وديان مكة (وادي الطائف – وادي مبرد (؟) – وادي نخلة).

٧ ب وصف جدة

١٠ ا وصف الطائف

١٣ ا قائمة بأسماء القرى بالترتيب الأبجدي .

---

(١) المؤلف هو جار الله ، محمد بن عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المكي ، المتوفى سنة ٩٥٤ هـ (١٠٤٧ م) وأسرة آل فهد من الأسر العلمية التي عنيت بتدوين تاريخ مكة المكرمة . (٢) وصفناها في مجلة « العرب » في بحث « مؤرخو الطائف » .

إن قائمة أسماء الأماكن في المذكرة التي في صفحة عنوان الكتاب لا تنطبق على أسماء الأماكن التي في نَصّ الكتاب .

وهذه الأسماء مستخرجة من نَصّ الكتاب :

أرض حسان	١٣	ا
أرض خالد	١٤	ا
أرض فراس	١٥	ا
أبو عروة	١٥	ا
أمّ العيال	١٥	ب
البحرين	١٥	ب
بُجَيْر	١٥	ب
البردان	١٥	ب
البرابر	١٦	ا
البُرقة	١٦	ب
تنضب	١٧	ا
تنضب الرقاعي	١٧	ا
الجديد	١٧	ا
الجمسوم	١٧	ب
الجميزة	٢٠	ا
الحادثة (الجديدة) والحميمة	٢٠	ا
حدّة	٢٠	ب
الحميمة	٢١	ا
الخضراء	٢١	ب
الخفيج	٢١	ب

خيف بني شديد	٢١	ب
الدكنـا	٢٢	ا
السركاني	٢٢	ب
الروضـة	٢٣	ا
السريان	٢٣	ا
الزيمـة	٢٣	ب
سـولة	٢٣	ب
سَروَعَة	٢٣	ب
القصير	٢٤	ا
الكـدايا	٢٤	ا
المبـارك	٢٤	ب
نخلة الشاميّة	٢٤	ب
المرمزية	٢٥	ب

والمؤلف يشير إلى أن السيد أحمد بن عجلان (كتاب حكام مكة – ج – جوري – لندن ١٩٥١ ، ١٠٢ – ١٣٦٠ – ١٣٦٨ ميلادية) اعتاد أن يحكم ستّ مناطق أُخرى ووصفها وهي :

الأصيفر	١٢	ا
البثنة	١٢	ا
بسسره	١٢	ا
البقـاع	١٢	ب
خيف بني عمير	١٢	ب
الفشـح	١٢	ب

ومن ملاحظات سرجنت على الرسالة :

أن رسالة جار الله كانت مهداه إلى أبي نُمي محمد ، شريف مكة

(١٥٢٤ - ١٥٨٤ ميلادية) والرسالة مصدر لمعلومات كثيرة عن تاريخ أشراف مكة ولها أهمية جغرافية كبيرة . فهناك إشارات عديدة إلى إدارة نظم الرّيّ في القرى والتي كان يعني السيد - ب . فوراند - بتفسيرها ومعرفتها بالاستعانة بكتاب . إيتوز . روسى عن الري في اليمن (كتاب الشرق الحديث ، XXX III ، ٨-٩ ، ١٩٥٣ ، ٦١- ٣٤٩ .

الحسابات التفصيلية عن كمية المياه المتيسرة في الوديان يمكن مقارنتها مع ما ذكر ابن حَجر في الفتاوي الكبرى الفقهية (القاهرة ١٩٣٨) . كتاب خاص . I I ، ١٤٧ ، ١٥٨ ، ١٨٩ حيث تستخدم كلمة (وَجْبة) بمعنى الحصة (النصيب) في توزيع المياه . وملاحظة لهـا أهمية : أن الفرس لَهم الشهرة في أنهم قاموا ببناء ما لا يقل عن ٦٨ خزاناً (صهريج) في جدة (٨ ب) وأنهم أقاموا مثل هذا العمل في عدن . كما يوجد أيضاً وصف للقلاع والحصون التي شيدها ملوك مصر ، في جـدة (٩ ا) وأشار المؤلف إلى ظهور الفرنجة عام ٩٢٢ هجرية (١٥١٦ ميلادية) (٩ ب) وكيف وقفت القلاع والحصون فى وجه هجومهم بالتفصيل وفي الرسالة مذكرات عن الضرائب والرسوم التي تسمّى (لوازم) و(مكوس) كانت تدفع في جدة للمصريين فى عهد جد المؤلف(٨ب).

وفي توقيت الموسم الهندي كانت تعمل إجراءات معينة في الميناء لجمع الرسوم الجمركية

وأشار إلى ان في أيامه كانت تقام صلاة الجمعة في مسجد ثالث قرب بوابة الميناء (٨ ا) .

هذا ملخص ما ذكر سرجنت .

وقد أشار إلى أن رجلا يدعى (ب . فوراند P. Forand) يعني بدراسة رسالة ابن فهد هذه لنشرها .

القبائل العربية حول بحيرة (تشاد)

(٢)

كذلك من القبائل التي انتشرت حول بحيرة تشاد قبيلة بني جذام وهم بطن من كهلان من القحطانية وقد ورد ذكرهم في رسالة بعثها سلطان كانم الماي عثمان إلى السلطان المملوكي في مصر الظاهر برقوق في عام ٧٩٤ هـ - ١٣٩١ م وقد ذكر ذلك القلقشندي في كتابه « صبح الأعشى » وكان هؤلاء العرب مع غيرهم من العرب المهاجرين من مصر جنوبا قد اجتاحوا مملكة الزغاوة حتى سيطروا على دارفور واتخذ أولئك الاعراب هذه المنطقة قاعدة لشن غاراتهم على ما جاورها من أقاليم حتى مملكة كانم - برنو في الغرب ، والذين تعاونوا مع البولالا على ملوك كانم وتسببوا في قتل السلطان عمر بن إدريس واستولوا على كميات كبيرة من الذخيرة والعتاد .

كذلك قدمت للمنطقة هجرات عربية واسعة من الشمال الأفريقي عبر الطريق الشرقي طرابلس - فزان - كوار ثم يلجا ثم إلى بحيرة تشاد ثم برنو واتصل العرب بالزنوج ، كما وجدت قبائل بني هلبه وغيرهم من القبائل العربية مثل المساليت - المسيرية - زرق ، والمسيرية جمر ، الحزام ، الزيود ، الزيادة ، العبيدية والحمييد والمحاميد وقد وجد هؤلاء جنوب شرق بحيرة تشاد في منطقة وادي .

وأيضا وجدت بعض قبائل البقارة في دارفور - وكردفان وكانم

وبرنو حول البحيرة وقد جاء هؤلاء من الشمال والشمال الغربي ، ثم نزلوا إلى كانم ووادي واستقروا فترة من الزمن ، ثم تحركوا شرقا إلى دارفور وكردفان وان بعض البقارة يؤكدون أن أجدادهم جاءوا من تونس ثم أخذوا يهاجرون إلى دارفور وكردفان وأنه ربما أن بعض البقارة الذين يعيشون في كانم وباجرمى وحول بحيرة تشاد قد هاجروا من الشرق وأن عرب بحيرة تشاد جاءوا ببعض العادات الشائعة عندهم في السودان مثل الدية والختان ، ، والبقارة رعاة الماشية وكقاعدة عامة فإن الإباله يعتبرونه بدواً ويملكون بالإضافة إلى الجمال أعدادًا كبيرة من الأغنام ، أما البقارة الذين يعيشون في الجنوب من الإباله ويملكون الماشية دون الجمال فهم في أغلب الأحيان يضطرون إلى اختيار الحياة الحضرية المستقرة .

وقد اثبتت الدراسات (الاركولوجية) التي قام بها فريق من العلماء في تلال دارفور ان السودان الشرقي لم يكن بمعزل عن المنطقة المحيطة ببحيرة تشاد خلال العصور التاريخية الماضية ، وأن طريق الساحل الغربي إلى دارفور وكردفان والبحر الأحمر كان يسلكه الحجاج وكان معروفاً منذ أزمنة طويلة وهو أسهل من طريق طرابلس– مصر ،وأن دارفور ترجع في الأصل إلى العرب الذين قدموا من المنطقة المحيطة ببحيرة تشاد والذين جاءوا من مراكش وتونس .

وكذلك توجد قبائل عرب الشوا ويعيش الشوا جنوب غرب البحيرة وكلمة (شوا) تعني عربي بدوي وهو لفظ مشتق من الشاة وهو العمل الذي اشتهروا به واشتغلوا به والشاوية جزء من البقارة ولهجتهم أقرب ماتكون إلى لهجة أهل الحجاز ولم تفقد شيئاً من نقائها وينقسم الشوا إلى مجموعات منهم الحساونه وهم العرب الذين جاءوا إلى حوض نهر شاري عن طريق

طرابلس ومن أشهر مجموعاتهم نعساله والدقنة (بفتح الدال والقاف والنون) ويحتمل أن يكون هؤلاء قد جاءوا من الشمال بعد وصول جهينة .

ومن القبائل العربية التي عاشت حول البحيرة قبائل أولاد سليمان وكذلك قبائل البديريه وهم قد وصلوا من كردفان إلى دارفور ثم إلى مكانهم بالقرب من وادي ، وكذلك قبائل العريات الذين هاجر بعض منهم إلى كردفان ثم اتجه غربا إلى وادي وكانم وكذلك قبائل الحسانية .

وقد ذكر البكري في كتابه «المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب» ص(١١) أن هناك هجرة مبكرة قام بها نفر من بني أمية بعدزوال دولتهم على أيدي العباسين عام ١٧٥ هـ - ٧٥٠ م إلى هذه المناطق حول البحيرة بعد مقتل آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد . وكذلك فان المصادر العربية تشير إلى أن عقبة بن نافع الفهري في غزواته لشمال إفريقيا عام ٥٠ - ٥٦هـ اتجه جنوباً حتى وصل إلى كوار جنوبا بالقرب من مكان يقال له (رامي الفرس) شمال حوض البحيرة وعاد من هناك لأنه لم يجد خبيراً يرشده إلى الطريق جنوباً .

ومن هنا فانه يمكن القول أن هذه القبائل العربية الكثيرة التي هاجرت إلى حوض بحيرة تشاد واستقرت في تلك المنطقة قد صبغتها بالصبغة العربية الاسلامية ، حيث لاتزال إلى اليوم كثير من القبائل العربية تتحدث اللغة العربية بالإضافة إلى أن اللغة العربية قد تركت بصماتها واضحة وقوية في كثير من اللهجات واللغات الأفريقية المنتشرة حول البحيرة .

الممالك العربية الإسلامية حول البحيرة :

من القبائل المهاجرة إلى تلك الأصقاع من القارة الأفريقية بعض

القبائل التي استطاعت ان تقيم لها ممالك عربية إسلامية منها مملكة البولالا وهم نسبة إلى أول زعيم لهم يدعى بولالا ، ويدل تاريخ البولالا على أنهم ينسبون إلى سيف بن ذى يزن من قبيلة حمير وموقف الفرع الذى تنسب إليه الأسرة التي أقامت دولة كانم ، وهم رعاة وقد أقاموا حول بحيرة فزى جنوب شرق بحيرة تشاد في المنطقة الواقعة من برقو إلى اهيرو من برقو إلى دركو في الشمال وأصبحوا ذوى نفوذ وقوة عظمى ، كما استخدموا الخيول في حروبهم ، وقد تكلم ليو الافريقي من كتابه «تاريخ ووصف أفريقيا» عن مملكة البولالا والتي كانت تحد غربا بمملكة كانم – برنو وتمتد شرقا حتى بلاد النوبة وتلتصق جنوباً مع جزء متعرج من نهر النيل كما تحد شمالا بمصر وكان طولها ٥٠٠ كيل وعرضها ٥٠٠ كيل وقد أورد بالمرفي كتابه « صحراء برنو والسودان » قائمة بأسماء ملوكهم تبدأ بالسلطان عبد الجليل الذي حكم من ٧٦٧ ــ ٨١٤ هـ – ١٣٦٥–١٤١١ م – وتنتهي هذه القائمة بالملك التاسع والعشرين في تمام ١٣٤١ هـ ــ ١٩٢٢ وكان اسمه كروما .

وقد دخل هؤلاء الملوك في صراع ونزاع سياسي مع أبناء عمومتهم من الكانوري والكالتميون من أجل السيطرة على مملكتهم القائمة حول بحيرة تشاد ، حتى استطاع أحد ملوكهم طردهم منها ، إلى جنوب غرب بحيرة تشاد حيث أقام الكانمبو مع الكانوري مملكة برنو ، وقد ذكر حامد عمار في رسالة الماجستير المقدمة منه لكلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٤٥ بعنوان « علاقات الدولة المملوكية بالدول الافريقية » أن سلاطين البولالا بعد طرهم للكانمبو من جنوب شرق البحيرة أرسلوا رسالة إلى مماليك مصر من أجل الاعتراف بسيادتهم على تلك المناطق مع

إرسال العديد من الهدايا ولكنْ هؤلاء لم يتلقوا ردًا من حكومة مصر (يلاحظ : الثقل السياسي الذي كانت تتمتع به مصر بعد انتقال الخلافة العباسية إليها ومن المغول والتتار والصليبيين) وهذه هي نبذة قصيرة عن إحدى الممالك التي أقامها العرب في جنوب شرق بحيرة تشاد التي دامت مايقرب من ستة قرون متواصلة .ساعد فيها هؤلاء العرب في تطور المنطقة عمرانيا حيث أقاموا المدن ونشروا ثقافتهم العربية الإسلامية في تلك الارجاء من القارة الافريقية قبل أن يصل إليها الرحالة الأجانب من أمثال ، بارث ، ليون ، كلابرتون دنهام ، والذين ادعوا لأنفسهم اكتشاف تلك الارجاء التي كانت في نظرهم مجهولة للعالم في حين كانت لهـا علاقات سياسية واقتصادية وثقافية مع كل البلدان الإسلامية المعاصرة لها.

مملكة الكامن والبرنو :

لقـد أقام هذه المملكة الواسعة الصيت ، والقوية السمعة ، وذات العلاقات الدولية والتي قامت من حوالى ٨٠٠ م حتى قرب ١٨٩٠ ، شعب الكانمبو والكانوري وهم سكان منطقة شمال شرق البحيرة في حزام طبقة حول غرب شواطئ البحيرة وشمالها وهم ينحدرون من أصول عربية من أسرة سيف ابن ذي يزن من حمير ، ثم حدثت هجرات بعد ذلك إلى جنوب غرب البحيرة وقد اختلط الكانمبو بالتبدا والعرب الذين جاءوا إلى كانم عبر الشيستى ، أما الكانمبو فهم يعملون بالزراعة وهم سكان المدن ، وفي بداية القرن الرابع عشر الميلادي اضطرت اسرة الكانمبو إلى الانتقال إلى برنو غرب بحيرة تشاد بعد أن سيطر البولالا على منطقتهم ووجدوا شعب الصور فصاهروهم وبذلك تكون شعب جديد عرف باسم شعب الكانوري ، والذين هم في الاصل من سلالة الكانمبو وتوجد منهم أعداد كبيرة في النيجر بجانب بحيرة تشاد ويطلق حاليا لفظ كانوري على الذين يتحدثون اللغة الكانورية ، والكانوري من أنشط العناصر السودانية قاطبة .

وتاريخ كانم وبرنو ارتبط بالكانورى والكانمبو الذين كانوا مصدر الكثير من المعلومات التي استقاها المؤرخون والرحالة والجغرافيون العرب من حجاجهم الذين مروا في طريقهم للحج على مراكش وتونس والقاهرة .

ولقد ظهرت دولة كانم وبرنو دولة عربية إسلامية قوية ذات حضارة عربية إسلامية في شمال القارة الافريقية بل في وسط القارة حيث أقامت هذه الدولة علاقات دولية سواء أكانت سياسية أواقتصادية وثقافية مع كل الدول الاسلامية المعاصرة وربطتهم صلات من المودة والاخاء مع جيرانهم في الشمال في مراكش وتونس وليبيا ومصر ومع دول الغرب الموسا وسنغاي ومالي مع الشرق السودان الشرقي .

ان العرب الذين استقروا حول بحيرة تشاد قد ساعدوا على تطوير تلك المنطقة والأخذ بيد شعوبها إلى التقدم والرقي والأخذ بمظاهر الحضارة الاسلامية العربية السائدة في بلدان العالم الإسلامي المعاصر حتى لقد قيل : إن هناك حضارة عربية إسلامية قامت في بيئة زنجية على أيدى القبائل العربية التي تحركت إلى تلك المناطق .

تلك هي لمحة بسيطة عن انتشار القبائل العربية حول بحيرة تشاد التي تتوسط إقليم السفانا الذي يقع بين الصحراء الكبرى شمالا والغابات الإستوائية جنوباً ، إن تلك المنطقة في حاجة ماسة إلى الدراسة (الاركولوجية) و(الانتربولوجية) والتاريخية واللغوية والسياسية لكي يكشف النقاب عن حقائق قام رجال الغرب من الباحثين الذين وصلوا إلى تلك المناطق بدراستها ونشروا حقائق ربما لاتكون هي الحقيقة وربما عالجوا في كتاباتهم من وجهة نظرهم الكارهة والحاقدة للعرب والعروبة والاسلام والمسلمين :

عبد الفتاح مقلد الغنيمي
جامعة الملك عبد العزيز – مكة المكرمة

بعض المصادر والمراجع

١ ـ الاصطخرى ، ابراهيم بن محمد : المسالك والممالك ، ليدن ـ ابريل ١٩٦٨ م .

٢ ـ ابن حوقل : صورة الارض ، ليدن ، ١٩٣٨ م .

٣ ـ الادريسي ، محمد بن عبدالله » نزهة المشتاق في اختراق الافاق نشره بيرس ، ليدن ، ١٨٦٦ م .

٤ ـ البكرى ، أبو عبد الله البكرى : المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ، نشره راندون ، الجزائر ، ١٨٥٧ م .

٥ ـ التونسي ، محمد بن عمر « تشحيذ الاذهان بسيرة بلاذ العرب والسودان » باريس ، ١٨٥٠ م

٦ ـ القلقشندي ، أحمد بن علي : صبح الأعشى في صناعة الانشا القاهرة ، ١٩١٥ م .

٧ ـ القلقشندي أحمد بن علي : نهاية الارب في معرفة انساب العرب القاهرة ، ١٩٥٩ م .

٨ ـ ابراهيم بن صالح يونس : تاريخ الإسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم وبرنو . الخرطوم ، ١٩٧٨ م .

٩ ـ حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

١٠ ـ الشاطر بصيلى عبد الجليل : تاريخ وحضارات السودان الشرقي والاوسط . القاهرة ، ١٩٧٢ م .

١١ - عبد الفتاح مقلد الغنيمي : البحر الأحمر والسيادة العربية مجلة البلاغ الكويتية ، عدد ٤١٨ ، ١٣٩٧ هـ.

١٢ - عبد المجيد عابدين : قبائل من السودان الاوسط والغربي والخرطوم ، ١٩٧٣ م.

١٣ - عنايات الطحاوي : إفريقيا الإسلامية القاهرة ، ١٩٧٠ م.

١٤ - محمدعوض محمد : الشعوب والسلالات الافريقية ، القاهرة ١٩٦٥ م

١٥ - دائرة المعارف الاسلامية ، مادة برنو - كانم - أيا جرمي ، سنفاى.

١٦ - سيان ، س . ج : السلالات البشرية في أفريقيا - ترجمة يوسف خليل القاهرة ١٩٥٩١ م.

١٧ - نعيم قداح :إفريقيا الغربية في ظل الاسلام ، دمشق ، ١٩٦٠.

١٨ - حامد عمار : علاقات مصر المملوكية بالبلاد الافريقية رساله ماجستير آداب القاهرة ١٩٤٥ .

Caraboa H. : Le Rey ion d ai Tehed et du oaad ai pavis, 1911 -١٩

Leo Africonus : History and dis crptcor of Africa. london,iboo. -٢٠

Meek, C.K. : The Northerr tribes of Nigeria. Svols. Landon, 1925 -٢١

Meek, C.K : Asudonese kingdoms. Landan, 1931. -٢٢

Polnen, R. The Bovua shava and sudar, londan, 1956. -٢٣

Sebgman, C G: Egypt and Negro Africa. london, 1934 -٢٤

Triminghow, J.S : Isla mln west Africa, oxford. 1959. -٢٥

* * *

ديوان حاتم الطائي

— ٢ —

الكلام[1] في هذا البحث مُنْصَبٌّ على محاولة تحديد المواضع الواردة في شعر حاتم الطائيّ ، لأنّ جُلّها واقع في داخل بلادنا ، وقُرّاء هذا البحث يتطلعون إلى معرفتها . ولهذا لم نقصد نَقْدَ تحقيق الديوان .

أما الكلام على قبر حاتم فنحن أمام أربعة أقوال :

١ ـ أنه في تنغة قريته على ما ذكر نصر وياقوت .

٢ ـ أنه في جبل عوارض على ما ذكر الزمخشري والبكري وياقوت والجوهري والفيروز آبادي .

٣ ـ أنه في جبل أظايِف على ما ذكر الهجريّ .

٤ ـ أنه في وادي تُوارِن ، على ما هو معروف عند أهل هذه الجهة .

وليس من مُرَجِّح لأحد هذه الأقوال سوى الرجوع إلى أقْدَمها أوْ أكثرها شُيُوْعًا ، وهما القولان الأول والرابع ، ومن الممكن الجمع بينهما بالقول بأنّ تنغة في وادي توارن .

٩ ـ تيمـاء :

رجع محقق الديوان الفاضل إلى النصوص القديمة في تحديد موقع تيماء ، وهي نُصوص فيها من السعة والإطلاق ما يجعلها لا تفيد الباحث في هذا العصر .

وتيماءُ أصبحت الآن بلدة من بلدان المملكة العربية السعودية

---

(١) تتمة المنشور في ص ٧٢ ـ ٩٦ س ١٣ .

مشهورة ومعروفة . وقد أوفيت الكلام عليها في كتابي «في شمال غرب الجزيرة» وقسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية»[1]

١٠ – ثرمد :

ص ٢٨٥ – وقال حاتم :

وَسَالَ الْأَعَالِيْ مِنْ نَقِيبٍ وثَرْمَدٍ ... وأَبْلِغْ أُنَاسًا أَنَّ وَقْرَانَ سَائِلُ

وأَنَّ بَنِي دَهْمَاءَ أَهْلِ عُوَالِصٍ ... إِذَا خَطَرَتْ فَوْقَ القِسِيِّ المعابِلُ

وقال محقق الديوان[2] : نقيب شعب من أجا ، وثَرْمَدُ : شعْبٌ بأجإٍ أيضًا – مضى الكلام عليه ، ووقران : شعاب في جبال طيِّئ – كما ذكر ياقوت .

عوالص : جبال لبني ثعلبة من طيِّئ (ياقوت) .

وثعلبة يعرف بجرم .

وأقول : يطلق اسم ثَرْمَد – الآن على .

(١) واد ينحدر من أجا ، صوب الشمال الشرقي ، حتى يَصُبُّ في وادي مشارو، في وادي ثرمد نخل وفروعه : ثرامد والعليا ورُميض وكلها فيها نخل ، ولاسكّان في ثرمد ولا ماء ، ونخله يشرب من المطر .

ويبعد عن مدينة حائل بنحو عشرين كيلاً .

(٢) ويطلق اسم ثرمد أيضًا على هضبة من هضاب أجا منها ينحدر أحد فروع الوادي المذكور .

---

(١) ص ٢٧١ .

(٢) في ص ٢٥١ على قول حاتم :

إلى الشعب من أعلى ستار فثرمد ... فبلدة مبنى ستبس لا بنق عمـ

حيث أورد قول ياقوت .

١١ ـ جديات ـ شاهده فى الصبر :

«قال محقق الديوان : أما جُدَيَّات ومصاخر فلم أجدهما »[١] .

وأقول : يظهر أن الشاعر جمع موضعًا يُسمى جُدَيَّة بما حوله ، وذلك من عادة الشعراء .

وجُدَيَّةُ ذكر المتقدمون أنه من جبال طيّئ فى نجد . وأورد ياقوت لرجل من طيّء :

وَهَلْ أَشْرَبَنَّ الدَّهْرَ من مَاء مُزْنَةٍ على عَطَشٍ مِمَّا أَقَرَّ الْمَوَاقِعُ

بِقِيعِ التَّنَاهِي ، أَوْ بِهَضبِ جُدَيَّة سَرَى الْغَيْثُ عَنْهُ وهوفىالأَرْضِ نَاقِعُ

وَجُدَيَّةُ الآن تطلق على ماء فى أجا فى شرقيه لا يزال معروفاً .

١٢ ـ جــو : ص ١٨٩ ـ وقال حاتم :

لَيَالِي نَمْشِي بَيْنَ جَوٍّ وَمِسْطَحٍ نَشَاوَى ، لَنَا مِنْ كُلِّ سائمة جَزَرْ

وأورد المحقق قول البكري : جَوٌّ موضع فى ديار طيّئ ، قال امرؤ القيس : تظلُّ لبونى بين جَوٍّ ومِسْطَحِ .

وما أكثر المواضع فى ديار طيّئ !!

وجَوٌّ هذا من أشهر الأودية الواقعة وسط هضاب أجا ، وأعظمها ، وقد ذكر المتقدمون أنه كان فيه قرية ، وآثار الآبار الموجودة الآن فيه والمزارع تدل على أنه كان معمورًا .

وفى أثناء هذا الوادي غَيْلٌ جارٍ عليه نخل .

وهو ينحدر من أعالى هضاب أجا الوسطى ، ويَتَّجِهُ نحو الشمال ، وترفده شعاب منها الحُمْرَةُ وصَحَا وضُحَى . ويفيض فى طرف النُّفُود (الرمال) من دون قريتى قَنَا وأُمُّ القُلْبَان . وانظر عن جوّ كتاب «شمال المملكة»[٢] .

---

(١) ص : ٢٧٥ .

(٢) ٣٠١ - ٣٠٢ .

١٣ ـ حــالة :

وَجَّهْت فيما سيأتى صحة كلمة حالة بدل كلمة (الحلبط) . وحالة موضع يقع على طريق المتجه إلى الشام (شرق الأُرْدُنّ) من الحجاز ، أو شمال نَجْد ، واقع فى حدود المملكة العربية السعودية ، المتاخمة للحدود الأُرْدُنِيّة ، وقد أصبح الآن بلدة ، وكان قديماً من منازل بنى القين على ماذكر المتقدمون ،وقد ورد فى كتبهم مُعَرّفاً ، وفى بعضها مصحّفاً (نخالة) بالخاء ، ويدعى حَالة عَمّار أيضًا عند المتأخرين . وانظر كتاب «شمال المملكة»[1] .

١٤ ـ حامــر :

ص ١٩٩ ـ قال حاتِمُ :

ألا لَيْتَ أنَّ الْمَوْتَ كانَ حِمَامُهُ لَيَالِيَ حَلَّ الْحَيُّ أكْنَافَ حَامِرِ

وقال المحشّى ـ فى الهامش : حامر موضع على الفرات مابين الكوفة وبلاد طيئ ـ البكري : ٢ ـ ٤٩١ .

وأقول : حامِرُ من أشهر أودية شمال الجزيرة ، لايزال معروفاً ، له روافد كثيرة ، تنحدر فروعه من غرب وادي بدنة ، شرقى بلاد الجوف ، ويتّجهُ مُشَرِّقاً حتى يقرب من نهر الفرات (يقع فيما بين خطى الطول ٠ ـ ٤٠° و ـ ٤٢° وخطى العرض ٠٠ ـ ٣١° و ٥٠َ ـ ٣١°).

(للبحث صلة) حمد الجاسر

* * *

(١) ٣٧٥ ـ ٣٧ .

العنوان
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف ٢٦٩١٥
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب

مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
٢٥ ريالا للأفراد و٧٥ ريالا لغير الأفراد
الهيئات، يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء ٦ ريالات

ج ٧ و ٨ س ١٣ محرم وصفر ١٣٩٩ هـ (كانون - شباط - يناير - فبراير ١٩٧٩ م)

من ذكريات الرّحلات

– ٢ –

ثم كانت حركة الدُّهَيْنَة وأنا في هِجرة عَرْوَا في عام ١٣٤٨ .

والدُّهَيْنَة هو مقعد من النُّفَعَة ، وكان من كبار الإخوان أهل الغُطْغُط ، وقد اجتمعت به حينما كنت (مُطَوِّعًا) عند الْحَوَامِى لأنه كان قد خطب ابنة نِجْرِ بِنْ حِجْنَةَ ، أحد كبار النفعة ، وعقد عليها ، وكانت صغيرة ، وكان الإخوان قد غزوا نحو الشمال ، بدون إذن من الإمام عبد العزيز ، فأخذوا أموال تُجّارٍ من أهل القصيم ، فأرسل الإمام عبد العزيز في أثرهم الأمير سعود بن عبد العزيز الكبير ، ليدعوهم إلى الرجوع ، فأنكفوا ، فَمَرَّ الدُّهَيْنَة بعد هذه الغزوة بفريق النفعة ليدخل بزوجته ، وكان أبوها نِجْرٌ قد تُوُفِّي ، ويتولى القيام على أبنائه الصغار مولى له (عبد) وكان يرعى إبلهم .

وأذكر أن مقعدًا مر بأولئك الفريق نهارًا ، وبقي إلى ما بعد غروب الشمس وحينما كان القوم مجتمعين للعشاء في المأدبة التي أقاموها لمقعد تلك الليلة ، إذا بالمولى يقول : (يامقعد وَيْن السُّوق : الزُّولية والقعود العفر ، والدراهم ؟! ، أنت تحسب بنت عمي نعجة . تَبا تقودها

بـأُذنها) [1] ؟ [فقال مقعد : (أبوك اسكت ، ويش يدخلك في هذه الأُمور) .

فقال : (اسمع هٰذي أُمّ خمس بيدي ، والله ما يمكن تقرب بنت عمي حتى تحضر جهازها) !! فكان أن ارتحل مقعد الدهينة بعد العشاء وحده .

وكان الأمير فيصل النائب العام للملك في الحجاز قد بعث عليّ ابن سرحان ، والد الأُستاذ حسين – ومعه أُناس لجباية الزكاة من قبيلة عُتَيْبَةَ في ذلك العام ، بعد وقعة (السَّبَلَةِ) بشهور ، فأرسل ابنُ سرحان إلى الأمير جهجاه بن حُمَيد يطلب منه بعث رجل من آل حُمَيد ليكون رفقاً للذين يجبون الزكاة ، لأن البادية إذ ذاك لايزالون في حالة من الفوضى والارتباك ، وفي تلك الأيام خرجت قافلة من السيارات تحمل أطعمة من مكة ، متجهة إلى الرياض ، فلما كانت في وادي (الثعل) على مقربة من مَنْهل سَجَا ، عَدَا عليها أُناس من البدو ، فأخذوا ما فيها وأحرقوها ، فصار الوادي من ذلك الوقت يعرف باسم (شعيب اللنسيات) واللنسيات يقصد بها نوع من السيارات التي أحرقت في ذلك الوادي .

أرسل جهجاهُ إلى ابن سرحان حَشْرَ بْنَ مُقْعِدِ بنِ حُمَيد ليكون رفقاً له ، وفي هذه الأثناء جاء الخبر بوصول الدهينة إلى عالية نجد ، حيث كان ابنُ سرحان يقوم بجمع الزكاة ، فاستدعى الشيخ عبدالرحمن ابن عبد اللطيف قاضي عروا ، رجلاً من الدَّغَالبة ، يقيم في هذه البلدة ، دعاه ليلاً ، وأعطاه مبلغاً من المال ، وكتب معه كتاباً إلى علي بن

---

(١) وين السوق : أين الجهاز . العفر : الأعفر . تبا : تبغى .

ابن سرحان ، يحذره من الدُّهَيْنَة ، ويظهر أن الدَّغَيْلِبيّ لم يغادر عروا .
فبعد أيام قليلة ، وكنا مجتمعين في ساحة دار الشيخ بعد صلاة العشاء على العادة وكان من بين الحضور الأمير جهجاه ، فما شعرنا إلا برجل يدخل علينا ، وعليه قميص قد قطعت أكمامه ، وقد لف رأسه بخرقة صغيرة ، ففزع الحاضرون من منظره ، وإذا هو حشر بن مقعد ، فقال له جهجاه : عسى ما شَر ؟ فقال بَلَى شَرّ وعَيْش مُرّ ، أغار علينا الدهينة وحنًا على (البويضاء) فأخذنا وقتل رجلاً منا ، ولكنني استطعت أن أنقذ ابن سرحان ، (واخوياه)[1] بوجهي ، وأن أُرحلهم إلى مصدة) .

لم يشكَّ أحد من الحاضرين في صدق الخبر ، ولكن بعد نحو أسبوع إذا بكتاب من علي بن سرحان إلى جهجاه ، يقول فيه : (أما حشر فالله لا يُبَيّض وجهه ، بغيناه يفتكنا[2] من القوم ، فكان عوناً لهم علينا ، أخذ منا مزودة فيها ثلاثين ألف ريال ، وأخذ مبلغاً من الجنيهات) .

استدعى جهجاه حَشْرا فقال له : (ويش أخبارك يا ولد مقعد) ؟!
قال : أخبرتك بها ، فقال له : (يا رجال جانا من هو أبخص منك ، جانا كتاب من علي بن سرحان !فبهت الرجل وقال : صحيح شاركنا القوم في حلالنا ، وافتكينا بعضه .

كتب جهجاه إلى الملك عبد العزيز يخبره بما فعل حشر ، ويعتذر إليه ، فكان الجواب : الدراهم فرقوها على براوى[3] الأخوان ،

(١) أخوياه : رفاقه . واحدهم خوى – بفتح الخاء المعجمة و كسر الواو بعدها مثناة تحتية .
(٢) يفتكنا : ينقذنا ويخلصنا . مزودة : وعاء من الصوف المنسوج يجعل فيها المسافر زاده .
(٣) البراوى : جمع بروة ، ويقصد بها مبلغ من النقود مقرر من الملك يدفع من جابي الزكاة أو مأمور بيت المال ، وكان من عادة الملك أن يكتب لأحد الأمراء أو الوجهاء لديه كتابا إلى جابي الزكاة أو إلى مأمور بيت المال بأن يدفع للمكتوب له مبلغا من النقود ، ويسمى ذلك الكتاب (بروة) بفتح الباء الموحدة وإسكان الراء وفتح الواو بعدها هاء .

والزايد على المحتاجين منهم ، وحشر ما ضر إلا نفسه .

وفي هذه الأثناء وكان الدُّهينة يقوم بحركته ، عمد جهجاه إلى عدد من كبار نساء آل حميد ، منهن شيخة بنت هِندي ، ووضحاء بنت سلطان بن بجاد ومعهن بعض الأطفال ، وبعثهن إلى الرياض ، وأرسل معهن هدايا من الخيل ، وكتب كتاباً للملك يقول فيه ما معناه : ان هؤلاء النسوة قد أقلقن راحتنا بكثرة بكائهن على سلطان ، وقد طلبن منا السماح لهن بمقابلتكم وأنتم لهن والد كريم ، ويقصد بسلطان (سلطان بن بجاد)الذي كان محبوساً هو والدويش ومن معه .

أما النسوة فبقين في الرياض مدة حتى انتهت حركة الدُّهينة ، وكان في جواب الملك عبد العزيز على كتاب جهجاه : (أما إرسالك حريم آل حميد فما له معنى ، ولكن يا جهجاه الظاهر أنك تظن أنني مثل البقرة ، إذا جُرّت بأُذنها بركت ، أنا طبعي طبع المؤمن ، في الشدة قاسي ، وفي الرخاء لين ، وليس طبعي طبع المنافق ، في الشدة لين ، وفي الرخاء قاسي ، والحريم عندنا معززات مكرمات) .

خاف الشيخ عبد الرحمن رحمه الله فاستأجر في إحدى الليالي من جمّال يدعى ابن جبرين من أهل رُويضة العِرْض راحلته ، وسار إلى الدوادمي ، وكان الأمير خالد بن محمد بن عبدالرحمن ، ومعه الغزاة الذين جاؤوا لإخماد الحركة مخيماً على الدوادمي ، فسار إليه الشيخ ، وقال لي : إن أرادوا منك أن تصلي بهم فافعل ، وابق في البيت حتى أرجع .

وبعد زمن يسير ، قدم الملك عبد العزيز إلى بلدة الشعراء ، فنزلها ، وانتهت حركة الدهَيْنة ، وجاء شُويْشٌ أحد رجال الملك عبد العزيز ،

فتولى خضر عُتَيْبة ، وأخذ خيار إبلهم ، ورجع الشذّاذ الذين كانوا مع الدهينة ، وكان من بينهم ماجد ابن خُثيلة ، وكان ساكناً في عروا ، فأتى إليّ وطلب مني أن أكتب له كتاباً إلى الملك عبد العزيز ، وكان إذ ذاك في الشعراء ، يطلب فيه الأمان ، فكتبت الكتاب حسب ما أملاه ، وكتبت كتاباً آخر للملك ، أوضحت فيه شيئاً من أمر ابن خُثيْلة ، وفي اليوم الثالث جاء رسول من الملك عبد العزيز يحمل جواب ابن خُثيلة بالأمان له وجواباً لكتابي لكي أحضر إلى الشعراء .

سافرت مع الرسول ، وفي مساء اليوم الثاني ، قدمت بلدة الشَّعْرَاء ، فعلمت بأنني سَأُبْعَثُ كاتبًا مع الشيخ عبد الله بن حسن بن ابراهيم ، الذي عُيِّن تلك الأيام قاضياً في بلدة الطائف ، ولكنني كنت مرتاحاً من بقائي في عروا ، ففضلت الرجوع إليها ، بدون أن أعتذر ، وبقيت فيها . حتى كانت غزوة (الدُّبْدِبَة) حين قام الملك عبد العزيز بالمسير إلى شرق الجزيرة ، ومعه غزاة أهل نجد ، لتأديب بعض البوادي ، وذلك في منتصف سنة ١٣٤٨ .

كان من الغزو أهل عروا ، وغيرهم من أهل الهجر ، ولعل هذه آخر غزوة حدثت في بلادنا ، وقد سار الغزاة بقيادة الملك عبد العزيز بعد أن اجتمعوا في وادي (الشوكي) وكانوا على الإبل ، سوى الملك وحاشيته فهم على السيارات ، وكنت مع أهل عروا ، والواقع أن أبناء البادية ليسوا – كما يتصورهم المرء – جفاة ، غلاظ الطباع ، بل كانوا على درجة من الرقة واللطف ، وسماحة الخلق ، وإكرام من يعيش بينهم ، وما كنت إذ ذاك أتولى أيَّ عمل سوى الكتابة لجهجاه ، وهو رجل هادىء الطبع ، فَكِهٌ ، رزين في أموره ، وكثيراً ما كان

يفاكهني في أحاديثه ، ويقول لي : إن شاعر الحضر يقول :

يَا حِبِّنِي للعَصِيْدَ والْمَيْرَقَ الْحَار   والبدوتَبغِي المضير[1] يابَدْوَ الأشرار

وكان إذا رآني خارجاً من الخيمة ليلا يرفع صوته مُغَنِّياً :

يَا هَيْه يَا للِّي فَي الشِعِيب   عَانُوا حَمَدْ وَسْطَ الزَّهَاب[2]

واذا مشى مَشْيِهِ دِبِيْـب   يِذِلٌ مِنْ رَدّ الرِّكَـاب

انتهت تلك الغزوة بما هو معروف ، فقد أحضرت الحكومة البريطانية الدويش ومن معه ، فسلموا في (خَبَارِي وَضْحَا) في الدِّبَدبة ، وأُخذت أموال فرقان من قبيلة مطير ، وحدث بين قبيلتي برقاء والروقة مشادَّةٌ حول قسمة نصيبهما من الغنائم ، بحيث ثار الرمي بالرصاص بين الفريقين بعد نزاع طويل ، سببه الخلاف حول الغنيمة ، إذ كل واحد من الفريقين يدعي بأن قومه بلغوا عدداً كثيراً ، لا يقنع به الفريق الآخر .

ومما أذكر قبل ذلك أن شيوخ برقاء كانوا مجتمعين في خيمة جهجاه ، وكنت أتولى كتابة أسماء أتباع كل شيخ منهم ، تهيئة لتقسيم الغنيمة ، وكان من بين أولئك المشايخ سلطان أبا العلاء شيخ الْعُصَمَة ، وسَجْدِي الهيظل شيخ الدَّعَاجِيْن ، وابن جامع شيخ الرُّوْسَان ، وابن فُهيد شيخ الشَّيابِيْن ، والْمَهْرِي شيخ الدَّغَالبة ، وكانوا يخوضون في أمر الروقة ، وأنهم ليسوا حسب ما يذكرون في العدد ، وهو ألف ومئتا رجل ، بينما البرقاويون يدعون أنهم ثمان مئة رجل ، والواقع أنهم أقل من هذا العدد ، وأذكر من أحاديث ذلك الاجتماع أن سلطان

---

(١) ياحبنى : ما أحبنى . الميرق : المرق . المضير : الأقط .

(٢) أى يا هاؤلاء ، الأعداء الذين في الوادى . عانوا : عاينوا وانظروا . الزهاب : المتاع مخفيا وسطه من الخوف .

أبا العلاء ، وكان أبرز المتحدثين يقول ما معناه : لا يمكن أن نقبل قولهم ، ولابد من أن يُعَدُّوا عَدًّا ، واحداً بعد واحد ، وحينئذ سينكشف خَبِيء أمرهم ، وكان يكرر كلمة : (سلمت يمين السُّوس ، يوم اظْهر المسوس) ثم يشرح هذا قائلا : سوف أكون أنا سُوسهم الذى يكشف أمرهم ، كان تاجر إحدى القرى يخزن الْحَبَّ وقت الرخص، مترقباً الغلاء ، وفى إحدى السنين اشتدت الحاجة بأهل القرية ، فطلبوا منه أن يبيعهم مما عنده من الطعام ، فأنكر أن يكون عنده شيء منه ، ولكن الله سلَّط عليه السوس الذي أصاب الحبَّ ، مما اضطره إلى أن يستعين بأهل القرية ليساعدوه على إخراج الطعام من مخزنه لنشره في الشمس ، فكانوا يقولون : (سلمت يمين السوس ، يوم اظهر المسوس) . وفى هذه الأثناء تبادل سرعان الفريقين إطلاق الرصاص ، فبلغ الخبر الملك عبد العزيز ، فأرسل كوكبةً من الخيل ، يقودها أخوه الأمير محمد رحمهما الله ، فأتى حتى وقف أمام خيمة جهجاه ، وشيوخ بَرْقَاء فيها ، فَذُهِلُوا ولم يقم منهم أَحَدٌ لاستقباله سوى جهجاه ، فقال الأمير محمد بانفعال : يا أبا العلاء قومك العُصَمة يُثَارون بالسبلة ؟ ! قالها بانفعال وتوعد ، فما كان من (أبا العلاء) إلا أن أجابه قائلا :(عِنْدَك إيَّاهم ، عندك إياهم) !! كررها ، وكانت آخر كلام نطق به ، ثم مال على ظَهْرِهِ ميلته الأخيرة ، وكان ذلك وقت الضَّحَاء قُرْبَ الزوال ، ولم يُقْبَرْ إلا بعد صلاة المغرب ، تَوَقُّعاً أن تكون حالته غَشْيَةً لا مَوْتاً .

ومما أثر في نفسي في هذه الرحلة ، ما شاهدته من القسوة في معاملة بعض أبناء البادية ، الذين أقبلوا منكفين من نواحي العراق ـ

والكويت ، من قبيلة مُطير ، فقابلوا الجيوش فنهبت أموالهم ، وقتل رجالهم ، ويمكن أن تعزى هذه القسوة إلى أن ٱلنفوس لا تزال متأثرة بالحوادث الأخيرة التي وقعت في البلاد كوقعة السبلة ، وما حدث بعدها .

رجعت مع الإخوان إلى هجرة عروا ، وبقيت ما يقرب من شهر ، وكان أخي الكبير جاسر قد عاد من مكة ، التي أمضى فيها نحو سنة ، يعمل جنديا في (الهجانة) فأتى إليّ في عروا ، ونصحني بعدم البقاء ، فعدت معه إلى قرية البرود ، غير أنني لم أمكث سوى شهر واحد ، سافرت بعده للحج ، مع ستة من أهل القرية على رواحل ، وكان ذلك آخر عام ١٣٤٨ .

وبعد أداء الحج ، كان (المعهد الاسلامي السعودي) قد فتح في مكة ، في عام ١٣٤٧ ، وكان الاقبال عليه ضعيفاً ، وكان أول من اقترح فتحه الشيخ محمد كامل القصاب من علماء الشام ، وممن وكل إليهم الامام عبد العزيز الاشراف على شؤون التعليم في ذلك العهد ، وقد أُسْنِدَتْ إدارةَ هذا المعهد إلى الشيخ محمد بهجة البيطار ، فاقترح اختيار عدد من الشباب النجديين ليدرسوا في هذا المعهد ، فكان أن تَمَّ اختيارهم ، وأكثرهم من مدينة الرياض ، وكنت أحدهم .

وأذكر أننا في اليوم السابع عشر من ذي الحجة ١٣٤٨ ، أُحْضِرنا إلى (قصر السقاف) مقر الإمام عبد العزيز لمقابلته ، فلما أُدْخلنا عليه في صباح ذلك اليوم كان عنده الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ ، جالسا بجواره ، والشيخ عبد الله السليمان جالسا على الأرض تحت مجلس الملك ، وبعد السلام والاستقرار في الجلوس وجه الكلام قائلا : (حنا أحضرناكم

ياعيالي لعل الله ينفع بكم الإسلام والمسلمين ، نريد منكم أن تتعلموا في المعهد ، وهذا الشيخ عبد الله بن حسن ، وكيل عليكم : مايحصل منكم قصور، وهذا عبد الله بن سليمان وكيل عني مايحصل عليكم قاصر، يرتب لكم كل ما تحتاجون) فلما قال هذه الكلمة ، قال أحد الشبان من آل الشيخ : (لكن ياطويل العمر (عوايلنا) في الرياض ، نبيكم تقررون لها مصرف) فما كان من الإمام عبد العزيز إلا أن تغير واحتدَّ قائلا : (قوموا ، قوموا ، تريدون تشترطون علي)!! فأُخرجنا من مجلسه، وبعد أن خرجنا من القصر حادثت بعض الإخوة من غير آل الشيخ . فاتفقنا على أن نكتب كتابا للإمام نوضح فيه رغبتنا في طلب العلم ، وأننا نعتبر ما يتفضل به علينا مساعدة وفضلا منه ، لتحقيق رغبتنا في التعلم .

كتبت الكتاب وذهبت به في اليوم الثاني إلى القصر ، وقدمته لابن جُمَيعة ، وكان مذيلا باسمي ومعي خمسة من الاخوة ، منهم عبد العزيز بن صالح المداوي ، وسعد بن حجرف البواردي ، وابراهيم ابن محمد بن جهيان ، وبعد نحو أسبوع ، وكان من عادتي أن أجلس في سوق الجودرية عند رجل يدعى الفريح ، صاحب دكان توضع عنده الكتب التي ترد من نجد ، ولا يعرف أصحابها ، وقد يتولى بعث بعض الكتب مع أحد المسافرين إلى تلك البـلاد .

كنت جالسا في دكان الشيخ الفريح ، في الصباح وإذا بشرطي يقف عليه ويسأله عن حمد الجاسر هل يعرفه ؟ فأشار إلي قائلا : هذا هو حمد ، فقال لي الشرطي : تعال معي ، فاتجهنا من الجودرية مع شارع المدعا ، ثم جُزْنَا الْمَسْعى ، ودخلنا في الحرم ، ولم أعرف لأي غاية

دعاني ، ثم خرجنا منه مع باب الداوودية ، وكان الشيخ عبد الله حسن آل الشيخ ساكنا في بيت الدواودية الموالي للحرم ، فدخلنا البيت ، فإذا الشيخ في مجلسه المطل على الحرم ، وبعد أن سلمت عليه ، قال لي : أنت كاتب كتاب للإمام ؟ ! ، فقلت : نعم معي خمسة غيري ، فقال : غـداً أحضرهم عندي هنا ، فخرجت ولم أعرف الغاية ، فقابلت بعض الإخوة فمنهم من وافق على الحضور ، ومنهم من تَمَلَّص ، وفي الصباح حضرت ومعي ثلاثة ، واعتذرت للشيخ عن الباقين بأنني لم أعرف مساكنهم ، فأخذنا في سيارته وذهب بنا إلى (قصر السقاف) فلما دخلنا في القصر ، أمرنا بأن نجلس عند صاحب القهوة ، وصعد إلى مجلس الملك ، ولم يمض طويل وقتٍ حتى رأينا خادما يأتي الينا مسرعا ، ويسأل عن الطلبة ، فذهبنا معه إلى مجلس الملك ، وبعد السلام عليه دعا لنا بالتوفيق ، وقال كلاما نحو كلامه الأول ، وكان أن تم ترتيب إدخالنا في المعهد، وتهيئة جميع مانحتاج إليه من مسكن وغيره .

ثم كانت أمور أخرى ، لا دخل لها في ذكريات الرحلات .

وأثناءَ إقامتي في مكة للدراسة قُمْتُ في فصل الصيف برحلة إلى بلاد عَسِير ، فقد كان لي صديق يشتغل بالتجارة من أهل الحوطة (حوطة بني تميم) يدعى محمد السُّنَيْدي ، وكان قد شدَا طرفا من الأدب ، فقويت الصلة بيني وبينه ، وكان الغزو المتجه إلى اليمن بقيادة الأمير فيصل ابن سعد مخيما في بلدة خَمِيس مُشَيْط ، فأشار عليَّ الأخُ السُّنيديُّ بأن نسافر معاً إلى تلك الجهة وأن أشتري شيئاً مما يحتاج إليه الغزو من ألبِسَة وأدوات ، فاشتريت من ذلك حِمْـلَ بعير ، وسافرنا بعد أن حملنا أربعا من الإبل .

ولا أذكر من تلك الرحلة إلا أننا لما حاذَيْنَا بلدة بِيْشَةَ بينها وبين تَبَالةَ ، وقد تركنا بِيْشَةَ يسارنا بِتْنَا ، وفي الصباح فقدنا الراحلة التي كنت أحمل فوقها متاعي وأركبها، ورأينا آثار رجال قد أتوا إلى مراح الإبل فأخذوا الناقة، وفي الصباح بينما نحن نفكر في الطريقة التي نبحث بها عن الناقة ، وكنا جالسين لتناول القهوة أنا وصاحبي ، ومعنا جمالان اثنان هما صاحبا النِّيَاق ، فإذا بِبَدَوِيٌّ يسلم علينا من بُعْد فأشرنا إليه بِالدُّنُوِّ ، فأتى وجلس معنا يتناول القهوة ، فقال السُّنَيْدِيُّ – رحمه الله – وكان على جانب من الذكاء : البارحة فقدنا واحدة من رواحلنا الأربع ، أحمَالَنا أشياءٌ أرسلها الأمير فيصل إلى الأمير ابن سعد رئيس الغزو الذين في الخَمِيس ، وما كنا نُحِبُّ أن ينال أهل هذه الجهة شَرٌّ ، ولكن لا شكٌّ أنه حين يعلم بأنهم أخذوا الراحلة التي تحمل متاعه سيحل عليهم بالغزو وسيطوقهم ، والويل لمن يجد الناقة عنده ، فقال البدويٌّ : (عندنا وِرْعان الْيَا ها الحين ماعقلوا ؛ أعطوني عرقة أَدَوِّرْهَا لكم)[1] فقال له : يعطيك ابن سعود ماعلينا منها ، فقام الرجل مسرعا وقال : سأبحث لكم عنها ، وسرعان ماعاد يسوقها ، وكان الرجل من قبيلة يكلب (أكلب) .

واعتذر عما حدث ، وأنه بفعل جهال .

ولما قربنا من بلدة الخميس تقدَّم صاحبي واستأجر لنا بيتا فيها من رجل يدعى حمدان بن عُوَيمر من شهران ،ثم استقبلني وأرشدني إلى البيت ، وكان واسعا ، وأسفله غير مسكون ، وإنما كان مملوءاً بالقصب الذي يتخذ علفا للدواب ، واسمه عندهم (عَجُور) .

(١) ورعان : أطفال . اليا : إلى . عرقة : أجرة . أدورها : أبحث عنها .

دهشت لأول مرة عندما حان وقت العَشاء ، فتقدم إليه معي ومع صاحبي صاحب البيت ومعه أربع نسوة ، أمه وثلاث فتيات هن أخواته وكُنَّ على جانب من الجمال ، فاستنكفت من الأكل معهن ، وانفردت فأعطوني أكلي ، ويسمون الخبز (دَوْحًا) وهم يعملونه مستطيلاً مَتِينًا من القمح في التنور ، وكان الحِجَابُ في هذه البلدة في ذلك العهد لم ينتشر بين النساء ، وكان صاحبي متزوجا من بلدة أبها ، فأحضر زوجته إلى بلدة الخميس ، وكانت سافرة ، كنساء تلك المنطقة .

كان صاحب البيت قد استأجر امرأة قَحْطَانية ترعى غنمه ، وكانت لها ابنة تدعى (شاطرة) تُعْجِب من رآها ، وكان يتردد على بيتنا لزيارة صاحبي السُّنيدي كثير من الناس من بينهم رجل ذو مقام كبير بين الغزو ، فوقعت الفتاة في نفسه ، فطلب من السُّنيدي أن يخطبها له ، فوافقت الفتاة وأمُّها على الزواج منه وكانت يتيمة ، وكان وليُّ أمرها متركَ بْنَ شُفْلُوْتٍ من مشايخ قبيلة قحطان ، فوكلا الأمر إليه ، فاتصل به الخاطب فوافق ، وتَمَّ عقدُ الزواج ، وأرسل الرجل ذبيحتينِ ليُهَيَّأَ طعام العرس في البيت الذي استأجرناه ، وتم كل شيء ، ودخل الرجل بأهله ، وبعد أيام قليلة كان ذات صباح يحدث السنيدي ويصف فتوره عن الوصول إلى أهله ، وكان يسمع الكلام فتًى شهرانيٌّ يدعى سعيد ، كنت أعطيه كل يوم بعض مامعي من البضاعة ليعرضه في مخيم الغزو ، وما باع منه أكافئه عليه ، وكان يعمل عندنا فى البيت فيصنع لنا القهوة ، ويقوم بخدمتنا ، فسمع شكوى الرجل ، وبعد أن انصرف قال لي على انفراد : أنا أعرف دواءً لفلان ، فإذا كان سيعطيني مكافأة وصفته له ، فلم أكترث بكلامه وهزئت ولكنه قال : إنه

لا يريد شيئا إلا إذا قنع الرجل بصحة كلامه ، وأنه يُخفِي سِراً ، وكانت خيمة الرجل ليست بعيدة عن البيت الذي نسكنه ، فذهبت إليه وأخبرته بما قال سعيد ، وقلت له : لِتَسْمَعَ كلامه ، فلما اجتمعا قال : إنَّ حمدان قد عَقَّد لك ، وقد رأيت ماعمل ، كان أثناء (الإملاك) قد سَلَّ جُزَءاً من خَنْجره ، من الجراب ، ثم أدخله فيه عند قول المملك : قل قبلت زواج فلانة ، وأنه بعد أن سُلِخَت الذبيحتان عمد إلى عراقيبهما فأخذهما ، وأخذ جزءاً طويلا من الأمعاء فوضع كل عرقوب ذبيحة على عرقوب الأُخرى ، وربطهما بالأمعاء ، وحفر حفرة عميقة بجوار صَابِرِ باب حوش البيت ، ودفن ذلك في تلك الحفرة ، وأنه متى أبطل عمله هذا زال مابك .

استدعى الرجل حمدان فلما حضر قال له : إنني قد عرفت بكل ما عملت من السِّحْر ، وعقوبة الساحر القتل ، وتوعده بأنه إذا لم يبطل عمله ليقتلنه ، وإن أبطله يستر عفا عنه . وكان الرجل يحمل سيفاً ، وكان من كبار خدم أمير الغزو ، وله كلمة مسموعة ، فما كان من حمدان إلا أن أخرج الخنجر ومسحه بخرقة ثم أعاده ، ثم ذهب إلى باب حوش البيت ، وحفر حفرة بطول الذراع ، واستخرج العراقيب التي قد طُوِيَتْ فوقها الأَمْعَاء فحلَّ الطَّيَّ منها .

أنا لست ممن يعتقد بأمثال هذه الخرافات ، ولا شك أن هذا العمل من الأُمور المحرمة ، ولو حدثني إنسان عما شاهدته وعلمته لما صدَّقت ، ولقد حدثت الدكتور أمين رويحة وهو من علماء الطب الحديث ، وله مؤلفات في العلاج النفسي ، فذكر لي تعليلا ، لكنني لم أستطع فهمه لأنني لا أتصور صحة ذلك .

أما الرجل المتزوج فقد أنجب من أهله أولادا ولا يزال حيا يرزق .

نزلت أياماً في مدينة (أبْها) بعد أن استأجر لي رجل يدعى (الحُبَيْني) بيتا صغيرا بجوار بيت القاضي ، وكان إذ ذاك الشيخ فيصل بن عبد العزيز آل مبارك ، ولم تكن صلتي به قوية ، وكان الحبيبي هذا يقوم بأعمال كثيرة ، فهو دلال ، وهو حفَّار للقبور ، وهو مؤذن ، وهو من رجال الحسبة ، وذو صلة بالقاضي. وأذكر إذ ذاك أن أحد الغزو من الجند توفي وكان فقيرا ، وكان يلقب (صنعاء) فأتى رفقاؤه إلى الحبيني ليتولى غسله ، وليحفر قبراً له ، على أن يأخذ سَلَبَهُ ، وهو كلّ ماخلف ، ولكنه سُرَّ عندما رأى أحد أسنانه تعلوه قشرة ذهبية . فاشترط أن يقلعها .

كان يُعْقَد في مدينة أبها سوق أسبوعي ، وكان مما يلفت النظر فيه أن النساء اللواتي يحضرنه من تهامة يلبسن نوعا من القبعات الكبيرة المعمولة من الخوص ، وكانت تسمى (الطَّهَفَة) وكان لباس كثير منهن الإزار والصدارة ، بحيث تبدو أجزاءٌ كثيرة من الجسم وكان الناس في ذلك الوقت على جانب كبير من الطِّيْبَة ، قل أن تجد من يتعرض للنساء ، وكان أهل أبها يجلبون الماء من بئر ليست بعيدة عن البلدة ماؤها عذب ، فكان المرءُ يرى أسراب الفتيات تتوالى إلى هذه البئر ، ولاعتدال جو هذه البلاد كانت نساؤها على جانب كبير من صباحة الوجوه والرقة .

تزودت بجزء من ثمن بضاعتي ببضاعة أخرى ، فاشتريت كمية من الرصاص ، وكان السلاح وعتاده في ذلك الوقت كثيراً ، لأنه يفرق على الغزو بسخاء ، وكان الجند الذين مع الغزو وكان يرأسهم

قائد يدعى صالح البلاّع ، من أهل بلدة الرّسّ ، قد مكثوا عدة شهور لم تصرف رواتبهم ، فكان بعضهم يتعاطى بيع الأسلحة بدافع الحاجة ، وما كان ذلك ممنوعا في ذلك العهد .

عدت إلى مكة المكرمة قرب وقت بَدْء الدراسة لاستئنافها ، ولم أسافر منها إلا بعد أن أكملت دراستي في (قسم التخصص) في المعهد وكان اسمه أولا (قسم التخصص الديني) ، ثم غير باسم :(قسم التخصص في القضاء الشرعي) ، غير أنني عينت في أول وظيفة بعد تخرجي مدرسا في مدرسة ينبع ، براتب قدره ٣٣٠ قرشا (اميريا) كذا كان يسمى ، وهذا المبلغ يعادل ٣٠ ريالا .

كان أول من تولى شؤون ادارة المعارف الشيخ محمد كامل القصاب من علماء الشام ، وتدعى في ذلك الوقت (مديرية المعارف العامة) ثم تولاها الشيخ محمد أمين فودة من علماء مكة من سنة ١٣٤٨ إلى سنة ١٣٥٣ ثم تولاها بعده بالوكالة الشيخ ابراهيم الشورى من مصر ، وقد أصبح سعوديا ، وكان إذ ذاك هو مدير المعهد .

وأذكر أن الشيخ الشورى بعد أن أبلغني التعيين في مدرسة « ينبع » كتب كتابا إلى (النيابة العامة) أي نائب الملك في الحجاز ، وهو فيصل رحمه الله ، وكان يتولى رئاسة ديوانه الشيخ ابراهيم السليمان بن عقيل ، فقال لي الشيخ الشورى : يحسن أن تذهب إلى ديوان النيابة للمراجعة لإركابك إلى (ينبع) فذهبت وقابلت الشيخ ابراهيم صباحا ، حول الساعة الرابعة ، فلما كلمته في الموضوع قال لي : اجلس ، فجلست طويلا ، ثم وقفت أمامه فكرر لي كلمته الأولى ، فجلست ثم عدت إليه ثانية بعد أن قاربت الساعة السابعة وقلت له : إذا لم يكن موضوعي

انتهى فسأعود غدا ، فكلمني بِحدَّة ووصفني بالحمق وانتهرني ، وأخذ الهاتف فاتصل بالشيخ ابراهيم الشورى فكلمه وأنا أسمع قائلاً مامعناه : هذا إنسان أحمق لا يصلح للتعليم كيف تعينونه ؟ ! ، ولم أسْمَع ماأجاب به الشورى ، ولكنني خرجت متأثرا ، وذهبت إلى (مديرية المعارف) وكان مقرها إذ ذاك في (الحميدية) بجوار الحرم وكذا كل دوائر الحكومة ، سوى (النيابة العامة) ، فوجدت الشيخ الشورى متأثرا ، وقال لي : سنذهب إلى الشيخ ابراهيم لتعتذر منه ، فقلت : كيف اعتذر وكيف ترضى مني هذا ، وهو الذى أخطأ علي ، وأهانك أنت ، وأهان المعارف حين تطاول على أحد موظفيها وأهانه ، لايمكن أبدا أن أعتذر عن ذنب لم أفعله . وكنت منفعلا ، وكان الشيخ الشورى لا يخلو من حِدَّة أيضاً ، فخرجت من عنده ، ولكنني بعد ثلاثة أيام علمت بأنَّ (النيابة) قد أمرت باركابي في الباخرة إلى « ينبع » فكان أن سافرت إلى تلك البلدة التي كتبت عن ذكرياتي فيها مؤلفا دعوته « فى بلاد ينبع » وهو مطبوع .

وفي سنة ١٣٥٧ وكنت فى « ينبع » تلقيت برقية من رئاسة القضاة بصدور (الإدارة الملكية) بالموافقة على تعييني قاضيا في بلدة (ظبا) في شمال الحجاز ، وكنت إذ ذاك أتولى إدارة مدرسة (ينبع) والإشراف على مدرسة أبناء البادية ، وكنت مرتاحا في عملي ، فاعتذرت عن وظيفة القضاء ، ولكن لم أمكث طويلا حتى ورد إلى أمير ينبع (برقية) من (النيابة) بفصلي من عملي ، وتكليفي بالسفر لمباشرة وظيفة القضاء ، فرفضت ، وسافرت من ينبع إلى مكة المكرمة ، فأمضيت مايقرب من شهر ، وبينما أنا نازل عند أحد أصدقائي في (رباط باب الداوودية)

إذا بشرطي يأتي إلى ويأخذني إلى مدير الأمن العام ، في (الحميدية) وكان إذ ذاك مهدي القلعلي ، الذي لُقِّب فيما بعد بمهدي المصلح ، فلما دخلت عليه قال له أحد الضباط : هذا فلان ، فانتهرني قائلا مامعناه : لماذا تعصي أمر جلالة الملك ؟ ، فقلت : أنا لم أعص أمره ، ولكنني لا أصلح للقضاء ، فقال : أنت مُخَيَّرٌ بين أحد أمرين : إما أن تسافر الآن ، وقد صدر الأمر للمالية بأن تهيء لك لوازم السفر ، وإما أن ندخلك السجن ، فاخترت الأولى ، وسافرت بالسيارة إلى جدة ، ثم بالباخرة إلى الوجه .

وفي الوجه كانت المالية قد أبلغت بترحيلي إلى مقر عملي ، وكان يديرها إذ ذاك الشيخ عبد الله القين ، وكان أمير البلدة الشيخ علي ابن حمد آل مبارك ، وهو من خيرة الرجال خُلُقًا وكرما ؛ فكان استقباله لي كريما .

كان السفر من الوجه إلى ظبا بالنسبة لى متعبا ، إذا كان على راحلة ، وكان لدى الأمير سيارة ، ولكن (البنزين) في تلك البلدة يوشك أن يكون معدوما ، وقد علمت بأن انسانا يتعاطى بيعه خفية ، فطلبت من الأمير السيارة ، وأرسلت إلى مدير المالية القين أطلب منه بأن يصرف لي الأجرة التي ستدفع لكراء الرواحل التي ستنقلني مع أمتعتي ومع مرافقي لكي اشتري بها (بنزينا) ، كان الشيخ القين رحمه الله شكسًا ، فما شعرت إلا به قد جاء إلى ، وأنا في بيت الأمير ، ولما استقر به المجلس ، قال لي : أحب أن تخبرنا بهذا الرجل الذي ستشتري منه (البنزين) لأن لدينا أوامر مشددة بمصادرته ، فقلت له : لن أخبرك ، فإذا أردت أن تدفع لي ماطلبت ، وإلا فَهَيِّءْ لى وسائل سفري ، ولكن

إلحاحه لم يحل بيني وبينه سوى تدخل الأمير ، وكان السفر على الرواحل ، والوصول إلى ظبا في اليوم الخامس من مسيرنا من الوجه

أُعْجِبْت بالبلدة وأهلها ، فهي تقع على شاطىء جميل ، وبقربها واد فيه آبار عليها بساتين قليلة ، وماؤها عذب ، مع قربها من البحر ، والبلدة ليست كبيرة ، ولكن كل بيوتها عامرة ، مما يدل على أنها حديثة وسكّانها أُسَرٌ نزحت من السُّوَيْس أو الصعيد ، وأشهرها أسرة آل بُدَيْوِي وكبيرها الشيخ محمود بديوي شحاته ، وابنه الشيخ اسماعيل ، والأسرة قسمان : قسم في الوجه ، وقسم في هذه البلدة ، ورجالها أهل ثراء ، ومن أسر بلدة ظبا آل خُضَيْر ، ومنهم الشيخ حسين خضير ، وكان من العلماء ، وتولى القضاء في عهد حكم أشراف مكة ، وعند حضوري كان في وظيفة (رئيس كتاب محكمة ظبا) وأخوه الشيخ علي خُضَير كان رئيس البلدية ، وجميع سكان البلدة كالأُسرة الواحدة من حيث الأُلفة والتآخي ، ومدير المدرسة الشيخ محمد رشيد فلسطيني الأَصل ، قدم جنديًّا في عهد الأَتراك ، فأَقام في هذه البلدة ، وتولى إدارة مدرستها ، وكان رجلا عاقلا طيب الخلق ، وله ابنان كبيران يقومان بالتدريس فيها ، وأذكر أن أحدهما عندما زرت بلدة حَقْلٍ قبل بضع سنوات قيل لي إنه هو القاضي في تلك البلدة .

أما الوظائف الأُخرى ، فيتولاها أُناس من غير أهل البلدة ، وكان الأَمير محمد بن عبد العزيز بن ماضي الذي تولى عدة إمارات بعد ذلك في جنوب المملكة وشرقها ولكنه كان غائباً ، وقد أناب أخاه الأمير عبد العزيز ، ثم أخاه الأَمير مشارى .

ومع أن أهل البلدة أضفوا عَلَيّ كثيرا من اللطف والكرم ، حتى قويت صلتي بكثير منهم ، إلا أنني أحسست أنني في غربة في هذه البلدة النائية الهادئة حقا ، ولعل هذا يرجع إلى أنني قدمتها غير راغب ، بل مُرْغَمًا ، وهذا مادفعني لأن استقبل أموري استقبال المرء الذي يتوقع الرحيل في كل لحظة ، فكنت كثير الاتصال بالجهات الحكومية العليا ، مع أنه ليس من حق سوى الاتصال برئاسة القضاء .

كان مرتب قاضي هذه البلدة بل قضاة شمال الحجاز ، الوجه ، والعلا وتبوك لا تزيد على خمسين ريالا في الشهر ، ومن القضاة في ذلك العهد الشيخ ناصر الوهيبي والشيخ محمد الحركان ، والشيخ ضياء الدين رجب ، والأخيران عُيِّنا في السنة التي عُيِّنْتُ فيها .

وكان رؤساء المالية والجمارك في تلك الجهات يتقاضون رواتب أكثر من رواتب القضاة ، لاتقل عن ستين ريالاً ، فأرسلت برقية إلى الملك عبد العزيز رحمه الله بهذا الشأن ، وأنه لايصح أن يفضل موظفو (المكوس) على رجال العلم والقضاء . وسرعان ماتلقيت جوابا برقيا ، بأنه صدر الأمر لابن سليمان بأن لايقل راتب القاضي عن ستين ريالا.

كان في جهات بلدة ظبا أودية فيها نخيل قليلة ، في وادي مقنا ، والبِدْع ، وحَقْل ، وغيرها ، وفي كل عام ترسل إدارة مالية ظبا جباة للزكاة ، وكانوا يسيرون في عملهم على مذهب الإمام أبي حنيفة ، فيأخذون من ثمرة كل نخل سواء بلغ نصابا ، أو لم يبلغ ، لأن أبا حنيفة لا يشترط النصاب ، وكان المذهب الحنفي هو مذهب الدولة الرسمي قبل الحكم السعودي ، فلما علمت بهذا أبرقت للملك ، بأن مذهب الدولة الرسمي هو مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وهو لايرى الزكاة فيما دون خمسة أَوْسُق والْوَسَقُ ستون صاعا ، أي لازكاة في ثمرة نخل تقل عن ثلاثمائة صاع ، فكان أن تلقيت جوابا بإبلاغ وزير

المالية بأن لايخرج عمال الزكاة لأية جهة إلا بتعليمات من قضاة الجهات التي يزكون فيها ، فطلب مني مدير المالية ، وكان إذ ذاك السيد ياسين طه طلب أن أقدم له تلك التعليمات ، وكنت أعلم أن بعض جباة الزكاة يستعملون شيئا من عدم الرفق في جبايتها ، وقد يحيفون على صاحب المال ، فكان أن وضعت قواعد للجباية تحول دون ذلك ،فأبرقت المالية إلى وزير المالية بأننا إذا سرنا على ماقدمه لنا القاضي من تعليمات فإننا سنضطر لدفع جميع تكاليف عمال الزكاة بدون مقابل ، لأنهم سوف لايجبون شيئا . وحصلت مكاتبات طويلة بهذا الشأن ، انتهت بعدم جباية الزكاة إلا على مذهب الإمام أحمد بن حنبل .

وفي صباح يوم من الأيام دخل عليَّ في المحكمة بدويٌّ علمت منه أنه كان يملك بعيرا يحتطب عليه ، ويبيع الحطب في سوق البلدة ، ومنذ أيام أتى إليه أحد خدم الأمير ويدعى ابن سَلَامة : فأخذ البعير منه بحجة احتياج الإمارة إليه ، ولكنه في الأمس عاد إليه الخادم ليخبره أن بعيره قد مات ، وشكى لي ضعف حاله ، فاتصلت بالأمير وكان مشاري بن ماضي ، ولكنه قال لي : إن هذا من الشؤون الإدارية التي لادخل للقاضي فيها ، والعادة أن الإمارة إذا حدث مايستدعي إرسال أحد رجالها خارج البلدة تعمد إلى أي راحلة تجدها في السوق ، وهذا ماحدث ، وأبدي الأمير رحمه الله شيئاً من عدم الارتياح لتدخُّلي في الموضوع ، فما كان مني إلا أن كتبت كتاباً إلى الشيخ (محمود أبو طقيقة) وكان إذ ذاك في وظيفة (قائم مقام) أي شيخ البادية ، وطلبت منه التحقيق في قضية البدوي ، مع تقدير قيمة جمله إذا كان صادقا ، فكتب إليَّ يثبت الأمر ، ويقدر القيمة ، فأرسلت كتابا إلى الأمير طالبا منه أن يدفع للبدوي ثمن جمله حسبما قدرها (القائم مقام)

وأرسلت الكتاب مع صاحب الجمل ، ولكنه عاد إليّ مطرودا ، فكتبت برقية للملك أصف فيها الأمر ، وبعثتها إلى (اللاسلكي) وكان مديره إذ ذاك (حاتم توفيق) أخو غالب توفيق الذي كان مديرا لشرطة الظهران عام ١٣٦٣ وما بعدها ، وبعد ساعات من بعث البرقية أتى إليّ في المحكمة بعض أعيان البلدة وأظهروا أنهم على استعداد لدفع ثمن البعير ، وأنه لاداعي للإبراق بهذا الشأن ، فتأثرت لتأخر إرسال البرقية وكتبت أخرى قلت فيها : إنني بعثت برقية لجلالتكم ، في هذا الصباح وقد علمت بأنها لم ترسل حتى ظهر هذا اليوم ، فلم أشعر إلا بعدد من كبار الموظفين كمدير الشرطة ، ومدير اللاسلكي ، ومدير البلدية ، يحضرون إلي ، ويخبرونني أن الأمير وافق على دفع ثمن البعير ، وأنهم يحبون تهدئة الأمور بعدم إرسال البرقيتين ، فكان ذلك .

كانت القضايا في هذه البلدة التي تصل إلى المحكمة قليلة . وخاصة بين أهلها وإذا حدث شيء من ذلك ، أوعزت للشيخ حسين خُضَير بأن يتولى حل القضية ، بطريقة مرضية ، فكان يفعل ذلك ، أما قضايا البادية فكانت كثيرة .

في يوم من الأيام ، أتت إليّ بدوية وادعت بأنها زوجة لرجل يدعى خِضَر بن شِهْبِي ، كبير العُمَيْرات ، وأنه يكلفها من العمل مالا تطيق ، وهو رعي إبله ، بينما له ثلاث زوجات غيرها لا يكلفهن بذلك ، وأنه كثيرا مايضربها ، فكتبت إلى الإمارة طالبا إحضار الرجل ، فكان الجواب إنه شيخ العميرات ، وليس رجلا عاديا ، وجماعته قسم كبير منهم في شرقي الاردن ، وكانت الأحوال إذ ذاك بين حكومتنا وبين حكام تلك البلاد ليست على مايُرام ، ولكنني الححت بطلب الرجل ، فكان أن أحْضر إليّ فلما بدأت بنصحه بأن يحسن معاملة زوجته وأن يعدل بينها وبين زوجاته ، أظهر الاستنكار قائلا مامعناه : هي زوجتي ولاحقّ

لك بأن تتدخل بيني وبينها ، وما دام الأمر بلغ هذا الحد فتدفع لي المهر الذي دفعته لها ، وأطلقها ، فاستعدت لدفع ذلك ، وتولى أحد الحاضرين معها ضمانَ مادفع من المهر ، فكان أن خلى سبيلها ، وكتب طلاقها في ورقة سُلِّمَتْ لها ، ولكنني لم أشعر بعد أسبوع إلا بالمرأة تدخل المحكمة وتدعي بأن خضر بن شِهْبي أتى إليها وهي في بيت أهلها ، وفعل بها مافعل ، فطلبت احضاره ، فلما حضر اعترف بأنه جاء إليها ليحاول إرجاعها إلى بيته ، وأنه لايعترف بذلك الطلاق لأن أمور العميرات راجعة إلى (حكومة الأردن). فكتبت إلى الإمارة بأن يُعَزَّر الرجل ويُحَبَس شهرا ، فسجن ، وبعد بضعة شهور تلقيت برقية استيضاح عن أسباب حبس ابن شِهْبي هذه المدة الطويلة ، فأجبت رئاسة القضاء بتفصيل ما حدث ، وبأنَّ المدة المقررة لحبسه هي شهر ، ولكنه نُسِي في سجنه ، وكان هذا سببا لعتاب الإمارة على ذلك بعد أن قام أحد أقربائه بالاتصال بالملك بشأنه .

وجاء الفرج من حيث لم أحْتَسِب ، فقد حدثت قضية قتل بين اثنين من أهل البادية ، استوجبت أن أحكم بدية ، لأن القتل خطأ ، فحكمت بمائة من الابل مفصلة الأسنان ، كما في كتب الفقه ، فرفعت الإمارة الأمر لنائب الملك ، الذي عرض الموضوع على الملك نفسه ، فصدر الأمر بلفت نظر القاضي إلى قرار (مجلس الوكلاء) بتحديد الدية بعشرة آلاف ريال ، ولكنني أصررت على أن تكون الدية مائة من الإبل ؛ وأرسلت برقية للملك ولنائبه ولرئيس القضاة ، معناها أنني حكمت استنادا إلى حديث نبوي شريف ، أورده صاحب « المغني » وهو الكتاب المطبوع على نفقة الملك ، والذي كان يوزع على القضاة ، وأن قرار مجلس الوكلاء لايصح أن يقدم على كلام الرسول (صلى الله عليه وسلم) إذْ لا رَأْيَ لأحد كائن مَنْ كانَ مع قوله عليه الصلاة والسلام ،

وأصررت على عدم نقض الحكم الذي صدر مني ، فكان أن أمر الملك عبد العزيز رحمه الله بفصلي من القضاء ، فتم ذلك .

ولما حاولت السفر من البلدة بعد أن بلغني الأمر بغير طريقة رسمية تلقيت برقية تهديد بلزوم بقائي حتى يحضر القاضي الذي سيخلفني ، وكان السيد صالح الدبّاغ والد السيد عبدالله الدباغ - الذي كان وزيرا للزراعة.

ومن طريف ماحدث لي وأنا في تلك البلدة ، أن الإمارة تلقت برقية من النيابة العامة بثبوت رؤية هلال شوال ، فكتبت إليّ بذلك ، ولكنني أجبتها بأن ثبوت الأهِلَّةِ من الأُمور الشرعية التي لاتثبت إلا بحكم قاض ، ولهذا لايمكن أن أعتمد على مجرد هذا الخبر ، حتى أتلقى من رئاسة القضاء مايُثْبِتُهُ ، فأبرقَتِ الإمارة للأمير فيصل - رحمه الله - بذلك ، فكان أن أرسل برقية يقول فيها : اخبروا القاضي بأن رؤية الهلال ثَبَتَتْ لدى جميع علماء المسلمين فإن قبل - وإلا فصلوا العيد واتركوه !

وبعد نحو عام من هذه الحادثة وكنت في القاهرة ، فمر بها فيصل رحمه الله ، فذهب طلابُ (البعثة السعودية) ، وكنت أحدهم ، للسلام عليه ، فلما قدمني ابراهيم السليمان له ، قال : أعرفه صاحب قصة الهلال ، مع أنه كان يعرفني قبل ذلك ، فقد مدحته بقصائد كثيرة ، حينما كنت طالبا في المعهد ، واجتمعت به مرارا .

ثم في سنة ١٣٨٣ ذهبت في صبيحة اليوم الأول من رمضان لتهنئة سموه بالشهر ، فجرى الحديث في رؤية الهلال فصار الشيخ يوسف ياسين يتحدث في الموضوع ، فالتفت إليه فيصل رحمه الله قائلا : لا تتدخل في هذه المسائل مادام فلان موجود ، فهو أعلم منك بها ! ! قال ذلك وهو يبتسم . وقد مضى على تلك الحادثة أكثر من ستة عشر عاما .

حمد الجاسر

— ٢٠ —

ونَسْتَمِرُّ في استعراض ما اطلعنا عليه من رحلات الحج ، فنتناول رحلة ابن كيران ، أحد علماء المغاربة المتأخرين ، وإن لم نَرَ فيها جديدًا .

المؤلف : محمد بن الطيب بن أبي بكر ابن الطيب بن كيران المتوفي سنة ١٣١٤ (١٨٩٦م)[(١)] واسم رحلته : «الرحلة الفاسية الممزوجة بالمناسك المالكية» ضمنها رحلته إلى الحج سنة ١٢٩٣ هـ (كما في ص ١١٤) .

وقد قدم بحرا إلى جدة ، وعاد منها إلى وطنه والرحلة مطبوعة في (فاس) على الحجر ، وقد رجعت إلى مخطوطة خزانة الرباط رقم ٢٣٥٦ وهي مخطوطة سنة ١٣٢٣ .

وقدم ابن كيران للحج في الباخرة إلى جدة

وقد ارتحل منها سادس عشر ذي القعدة ١٢٩٣ (١ ديسمبر) إلى مكة بعد المغرب ، ووصل قرب الفجر حَدَّة ، وأقام بها إلى قرب الغروب ، ثم ارتحل ليلة الجمعة حتى بلغ ذَا طوَى .

وبقي في مكة إلى ١٦ ذي الحجة (٢٦ ديسمبر) ثم سَافر إلى المدينة .

ودخل عليه عام ١٢٩٤ وهو في خُلَيْص .

---

(١) « فهرس المخطوطات » في خزانة الرباط ق ٢ ج ٢ ص ٢٣٩ .

ووصل المدينة في اليوم الخامس عشر من محرم ١٢٩٤ (١٠ يناير) وأقام فيها ثم سار منها في ٢٤ محرم إلى جدة فوصلها في سابع صفر، ومنها في ١٧ منه سافر بحرًا فوصل الطور ٢٢ منه ووصل الإسكندرية ٢٨ منه وسافر منها ٩ ربيع الأول (١٢ مارس إلى طنجة) فوصلها في ٢٨ ربيع الأول (أي مكث بين الإسكندرية وطنجة ١٣ يوماً).

ووصل فاس ١٥ ربيع الثاني سنة ١٢٩٤ هـ.

وسننقل من رحلته مايتعلق بتحديد المواضع، أو يتصل بوصف الحالة الاجتماعية في الحجاز؛ وماستنقله موجز جدًّا، لأن الرحالة أفرغ جهده في إيضاح الأمور الدينية، ولم يُعْنَ كثيرًا بالنواحي الجغرافية أو غيرها.

المحصب:

والمحصب بين مكة ومنى؛ وهو أقرب لمنى؛ وهو البطحاء، وهو خيف بني كنانة، وهو الموضع الذي تحالفت فيه قريش على أن لايبايعوا بني هاشم ولايناكحوهم؛ فنزله النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الله فيه شكرًا له حيث ظفره الله ونصره على أعدائه[1].

عند أمير مكة:

وفي يوم الاثنين (١٤ الحجة) عند الزوال أرسل وراءنا سلطان الحرم الشريف عبد الله فتلاقينا معه في داره، في موضع صعدناه بإحدى وثمانين درجة، فلما أقبلنا عليه قام إلينا، وصافح كل واحد، وأجلسنا بموضعه، وأتوا لنا بالقهوة على عادتهم، ولاطعام، ولما قمنا للخروج قام معنا حتى ودّع كل واحد.

(١) يظهر من كلام المتقدمين أن المحصب هو ما كان يعرف باسم (الأبطح) الواقع في على مكة فيما بين قصر السقاف وقصر الملك فيصل.

الحجـــر ، وأثر المرفق :

والحجر الذي كان يسلم على النبي (صلى الله عليه وسلم) ويكلمه ، وهو حجر أسود على الطول ، مركب في حائط بمحل يُسمى زقاق الحجر ، مشهور يزوره الناس ويبتركون به ، وعليه مكتوب في حجارة على لسان حاله :

أَنَا الْحَجَرَ الْمُسَلِّمُ كلَّ حين على خير الورى ،فَلِيَ البِشارَةْ
فَحُزْتُ فَضِيْلَةً من دون جِنْسِي خُصِصْتُ به (وإنَّ من الحجارة)

وعلى قرب منه على اليسار الحجر الذي فيه أثر مرفق النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك يُسمى المحل زقاق المرفق ، وهو قائم بجدار ، ولازالت فيه حفرة على قدر المرفق ، والناس يتمسحون به ويتبركون[1] .

مع المـــكارين :

ثم بقينا بذي طوى خمسة أيام ننتظر الجمال ، وكان غرضنا أن نبيت ليلة واحدة ونسافر ، فإذا بالجمّال لم يأْت لنا بالإبل ، وكل يوم يَتَلَوَّنُ لنا بلونٍ مع المطوف الذي طوفنا بعد أن كان يدّعي أن له إبلاً جيدة كثيرة ، ويظهر لنا النسك والعبادة والمساعدة ، والسبحةُ في يده ، وأنه من جملة خُدّامنا ، والمطوف يؤيِّد كلامه ،فإذا الأمر في الجميع بخلاف ذلك .

ومن أراد السلامة والنجاة والراحة فعليه بالكراء مع الركب الشامي والمصري ولايُكْري من الأعراب لقلة دينهم وعدم أمانتهم وشدة صعوبتهم وقساوة قلوبهم .

وما عرفنا السفر حتى خرجنا من مكة وشرعنا في الحجاز معهم وأما السفر من بلدنا فاس إلى مكة فلا يُعَدُّ سفرًا لسهولته وإن كان فيه

(١) لم يثبت بطريق صحيح شيء عن هذا الحجر أو الأثر ، وما يفعل عندهما من الأمور المحرمة . وقد زالت ولله الحمد .

البحر فركوبه أسهل من مخالطة هؤلاء الأعراب ، على أن الحامل لنا على الكراء مع الأعراب هو التعجيل والوصول إلى المدينة قبل الركب ، فإذا الأمر بخلاف ذلك ، فبقينا في طريق الحجاز سبعة عشر يوماً ، ودخلنا مع الركب الشامِي في يوم واحد ، عمل مع الطريق إثنى عشر يوماً

الــركب :

ومن قاعدة الركب أنه يُحَرَّسُ جميع من كان معهم بالعسكر والمدافع ويُعَمَّرُ السوق في كل موضع ، وكل مايحتاج الإنسان إلى شراب يجده فيه ، وأنَّ من اكترى معهم يأتون له بالحطب والماء في كل مرحلة ، ولايصل إلى موضع النزول حتى يجد خزانته مضروبة ، وحوائجه على الأمان ، وإذا ارتحل قام وتركها وهم يحملون ذلك ولايضيعون شيئًا ، وهكذا كل يوم ، ومعهم حكامهم .

وادى فاطمــة :

ارتحلنا من ذي طوى ١٦ ذي الحجة (٢٦ دجنبر) وكان عزمنا أن نبيت بوادي فاطمة ، وبينهما ست سوايع ، فشرعنا في المسير وإذا بسحابة قد طلعت وشرع المطر في النزول ، فنزل علينا مطر شديد كأفواه القِرَبِ ، وبرق كثير ورعدٌ كأنه الصواعق ، لم نَعْهَدْ مثل ذلك فى بلدنا ، حتى وقفنا قَسْرًا علينا ، وبَقِينْا بموضع مبيتنا إلى الزوال ، ثم ارتحلنا ونزلنا بوادي فاطمة بعد العصر يوم الجمعة وبتنا به قبل عبوره لأنا وجدناه حاملاً[1] لا يُجَاز .

بئر رضــوان :

ارتحلنا من رابغ يوم السبت ٥ محرم (١٢٩٤) وبتنا بموضع يقال له

---

(١) يقصد يجرى به السيل .

بئر بيرك[1] ، ويقال له بئر رضوان ، مسافة بعيدة ، مشينا من الشروق إلى نصف الليل ، فجملة ما سرنا ١٢ ساعة .

الـــريان :

ارتحلنا يوم الثلاثاء - من بئر رضوان عند الشروق ، ونزلنا عند الغروب بموضع يقال له الريان[2] ، كثير النخل والماء والزرع ، وقَدْ دَنا حصاده ، وأهله يتعرضون للحاج بالتمر واللبن والسمن للبيع .

الصمد الأبيض :

ثم ارتحلنا من الريان من الشروق إلى الغروب ونزلنا بموضع يقال له الصمد الأبيض ، ثم أقمنا يوم الخميس لكثرة الأمطار .

بئر المـــاشي :

ثم ارتحلنا - من الصمد الأبيض - من الشروق إلى نصف الليل ونزلنا ببئر الماشِي ، فجملة مَا سِرْنا ١٧ ساعة .

ثم ارتحلنا ١٠ محرم (١٥ يناير) عند العشرة من النهار ، ونزلنا عند العشاء بسور المدينة المنورة بالقباب فجملة ما سرنا عشر سوايع .

الأغـــوات[3] :

واعلم أن شيخ الحرم هو كبير العبيد الأغوات الموقوفين على خدمة المسجد والحجرة الشريفة والأغا بلغتهم كناية عن الخصيِّ من العبيد ، واختاروا وقف الخصي دون غيره لكونه أطهر وأنزه ، وأكثر فراغًا من الأشغال ، إذ لا أهل له ولا ولد يشتغل بهم ، وهم أبعد من دنس الجنابة ، ومباشرة النساء ، وهم عدد كثير قريب من الثمانين . يزيدون وينقصون

(١) كذا وهو (ميريك) .

(٢) الريان : من قرى الفرع - بضم الفاء .

(٣) يظهر أنه نقل كلامه عن (الأغوات) من رحلة العياشي ، وتقدم ملخصها .

بحسب كثرة الراغبين في الوقف وقلّتهم ، والأربعون منهم هم الكبار الذين يأتي رزقهم ومؤونتهم من بيت المال ، وما زاد على ذلك إنما يُرْزَقُوْن من الأوقاف التي لهم بالمدينة ، أو مما يأتيهم من الهدايا والصدقات من أقطار الأرض . ويُسمى ماسوى الأربعين (البَطّالون) لأنهم إنما يستعملون في الأشغال التي هي خارج الحجرة والمسجد النبوي من الأعمال المتهنة ، ولايجلسون مع الأكابر في الدكّة إنما يجلسون في خارجها ، ولهم ضبط وسياسة كسياسة الملوك ، فلكل واحد منهم رتبة معلومة وشغل معلوم ، فإذا (مرّ) بالأصاغر أحد الكبار قاموا له كلهم ، وكذلك الأكابر فيا بينهم ، فأكبرهم شيخ الحرم وهو يتجدد في الغالب إما في سنة أو سنتين أو أكثر ، ولا يأتي إلا من دار السلطان من عَبِيْدِه ، ويليه النَّقِيب ، ويليه المستسلم وهو الذي يتولى قبض الصدقات ، وما يهدى لهم أو للحُجْرَة ، وحواصل الزيت والشمع . والحاصل أن جميع ما يتصرف فيه الأغوات ومصالح المسجد وأوقافهم كل ذلك بيده فإذا مات أحد من الأربعين دخل أحد (البطالين) في موضعه ، وهو من كان شيخ البطالين ، والترتيب في ذلك بالتقدم ، فمن تقدم مجيئه يُقَدَّم على من تَأَخَّر مجيئه ، وليس فيهم شافعي ولا حنبلي بل كلهم حَنَفية ، ومالكية على مذهب ساداتهم الذين أوقفوهم . وذلك لأن الشافعية والحنبليّة لا يرون صحة وقف الحيوان . ومن أوقف عبدًا من الأغوات على الحجرة نُسب إليه ، سواء كان من التجار أو من الأمراء أو من العلماء ، فيقال : أغا فلان . وكل الأغوات أهل خير وبركة ، قد اختارهم الله لخدمة أشرف البقاع ، وشرفهم بالنسبة إلى أشرف الخلق (صلى الله عليه وسلم) ولقد رأيتهم يُبالغون في خفض أصواتهم بالليل حتى بالسُّعَال والعُطَاس ، وتنزل عليهم السكينة وتَلْحَقُهُمْ هيبة المكان

وليس ذلك منهم مجرد استعمال ، بل لما يخالِط قلوبهم من هيبة المكان .

ولقد أخبرونى أنه لايقدر أحد منهم بالليل أن يصل إلى الروضة وأطراف الحجرة والمواجهة إلا أفراد منهم ، وإنهم ليسمعون بالليل قعقعة السقوف ، وفرقعة الشبابيك ، حتى يظنوا أن أحد أبواب الحجرة فتح ، وأن بعض السقوف وقع ، فلا يجدون شيئًا من ذلك ، وذلك ـ والله أعلم ـ لِتَنَزُّلِ ملائكة الرحمة على قبره (صلى الله عليه وسلم) أو قدوم بعض رجال الغيب للزيارة [1] ، ويظهر أمر ذلك بالليل ، لهدوء الأصوات فيه وخلو المكان ، وإن كان تنزل الملائكة على قبره (صلى الله عليه وسلم) وغشيان الرحمة له لاينقطع ليلاً ولا نهارًا . فإذا كان بعد الثلث الأخير من الليل جاء رئيس المؤذنين ففتحوا له وصعد إلى المئذنة الرائيسة (؟) وأَذَّنَ ، وشرع في الدعاء والذكر والصلاة على (النبي صلى الله عليه وسلم) فيقام كل من في المسجد من الأغوات ، فيتوضؤون ثم يصبحون كل ما في المسجد من المصابيح ، فإذا فرغوا من الإصباح وقرب الصباح فتحوا أبواب الحرم ، ولا يأتي وقت فتحه حتى يجتمع بأبواب المسجد جماعات كثيرة من المجتهدين ، ينتظرون الفتح فإذا فُتحت الأبواب دخلوا مزدحمين ، وتسابقوا إلى الصف الأول من الروضة فيما بين القبر والمنبر ، فمن سبق إلى موضع كان أحق به ، فإذا أراد القيام لحاجة كزيارة أو تجديد وضوء بسط نمرةً في محله فلا يجلس فيه أحد ولو أبْطَأَ . وكثيرًا مايعتدى فى ذلك أَقْوامٌ ، فيدخلون مع أول داخل من غير طهارة لقصد السبق إلى الموضع وتَحْجِيره فإذا بسط فيه فردته أو منديله ذهب إذ ذاك إلى الطهارة وأسبابها ، وكثير منهم يُبْطِيء في الطهارة فيحجر على الناس المحل ، وربما عرض

(١) هذا من الخرافات إذا كان المقصود رجالا من بنى آدم .

لأحدهم حاجة في منزله أوْ في السوق فيترك النمرة في محله ، فلا يقربه أحَدٌ ، وإنْ أبْطَأ كثيرًا ، وفي ذلك من الضرر بالمصلين مالا يخفى ، على أنَّ في دخولهم مُزْدحمين واستباقهم إلى الروضة حتى ربما سُمع لأقدامهم دَوِيٌّ من شِدَّةِ العَدْوِ ، من سُوء الأدب مالايخفى ، وربما يحتج لذلك بقوله صلى الله عليه وسلم : « لو يعلم الناس ما في الصف الأول لاستبقوا إليه » فلابُدَّ من تقييد ذلك بما لايُخِلُّ في آداب البقعة المطهرة وساكنها لِقوله صلى الله عليه وسلم : « وائتوها – يعني الصلاة – وعليكم السكينة والوقار ، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا » والمراد بالمسابقة في الحديث المتقدم الاهتمام بشأنه والحرص على الصلاة فيه والتبكير إليه من غير عَدْوٍ بالأقدام ومزاحمة بالمناكب .

وساداتنا الأغوات لايغفلون طرفة عين عن حراسة الحرم الشريف وتأديب من أساء فيه الأدب بلفظ ورفع صوت أو نوم ، ولو في قائلة إلا في مؤخر المسجد ، ومن وجدوه مضطجعا من دون نوم للاستراحة فإن مدَّ رجليه إلى ناحية الحجرة زجروه ، وإن استقبل القبلة بوجهه أو الحجرة من غير أن يكون مُسْتَدْبِرًا لها تركوه ، ولايغفلون عن حضور المسجد في ساعة من ليل أو نهار ، فإن خرجت طائفة جلست طائفة ولهم دِيارٌ وخدم وأتباع وضياع ، وخيل وسعة دُنْيَا ، ولايشغلهم ذلك عما هم بصدده من خدمة المسجد النبويِّ ، بل لبعضهم أزواج وسراري ، اتخذوها للتلذُّذ بما سوى الجماع .

وأحكامهم فيما بينهم منضبطة غاية الإنضباط ، ولايحكم فيهم سلطان ولا غيره ، ولايُوَلَّى عليهم ولايُعْزَل منهم إلا بأمر شيخهم ، ولا يرث معهم بيت المال شيئًا إن مات أحدهم إنما يتوارثون بينهم

ومن وجب عليه عقوبة أو أدب منهم أدّبوه من غير أن تكون لأحد عليهم ولاية ، تعظيماً لجانب النبي صلى الله عليه وسلم .

عــرب الدرب :

وأكثر عرب الدرب والحجاز وتهامة ونجد أجهل العرب ، وأكثرهم جفاء ، قلما تجد أحدهم يحسن شيئًا من رسوم الشريعة الظاهرة من صيام وصلاة إلا القليل . تدخل جماعة منهم المسجد في الرجبية غاسلين أطرافهم يريدون الصلاة على زعمهم ، فيقف أحدهم مَلِيًّا ثم يسجد على قدر ما يرى ، إما ثمان سجدات أو عشر سجدات أو أكثر على حسب نشاطه ثم ينصرف ، وغالبهم على هذا الوصف ، ومنهم أفراد يدينون دين الحق ، وسلامهم على النبي صلى الله عليه وسلم : (الله ، امْحَمد) رافعين أصواتهم .

قال في « الرحلة العياشية » لطيفة : أخبرني شيخنا الملا إبراهيم عن الشيخ القشاشي أنه بينما هو ذات يوم عند المواجهة إذ جاء أعرابيٌّ في شملته وبيده عصاه ، حتى وقف أمام الوجه الشريف فضرب بعصاه الأرض مرتين وهو يقول : يا محَمَّد يا مُحَمَّد لا تقل أنا ما جيتك ها أنا ذا . فذهب ولم يزد على ذلك وكان الشيخ يقول : عسى أن يكون ذلك نافعاً له عند الله ، فإن ذلك مبلغ علمه ، ولو كان يرى أكثر من ذلك ينفعه ويقضي به حقّ تعظيمه لفعله . قال : وعوامُّ الأعراب والبربر بغربنا بالنسبة إلى هؤلاء فقهاء ، فلا تَجِدُ عاميًّا بالمغرب وإن بلغ الغاية في الجفاء إلا وهو يعلم أن الصلاة ذات ركوع وسجود ، وإن كان لا يحسن أن يقرأ فيها ، ويعلم وجوب صوم رمضان ، بل هو أشدُّ عندهم من الصلاة ، بخلاف هاؤلاء . فقد أخبرني مخبر عن عرب الدرب أنه سأل بعضهم هل صام أم لا ؟ وهو رجل كبير كهل فقال : إني إلى

الآن لم أصُمْ لاكن قد صام (؟) ثلاثة أيام فاستفهمته عن ذلك فقال إن الرجل عندنا إذا قارب الهرم والشيخوخة صام ثلاثة أيام ، فيقولون : فلان صام . وذلكْ علامة بلوغه حدّ الكبر ، وأما قبل ذلك فلا يعرف صيامًا ولاغيره قال : ولقد لقيت رجلاً بالينبوع (؟) وقد ظهر الشيب في مفرقه فسألته عن مكة فقال لى : ماحَجَجْتُ قط . وبينه وبين مكة ثمان مراحل ، وسألته عن المدينة فقال لِي : دخلتها مرتين أو ثلاثا ، وبينه وبينها ثلاث مراحل ، وأمثال هاؤلاء كثيرون .

ثم وصف الرحالة خروجه من المدينة ، عائدًا إلى جدة لِيُبْحِر منها إلى بلده . .

والطريف أنه ذكر أنه ارتحل من المدينة يوم الخميس ونزل بباب المدينة – المناخة .

مما يفهم منه أن (المناخة) كانت خارج باب المدينة في ذلك العهد (١٢٩٣) .

ثم قال في وصف الطريق :

الدرب الفـــرعي :

ثم ارتحلنا من المدينة يوم الجمعة (٢٥ محرم) قرب العصر ، ورجعنا على الحجاز ، من الطريق الذي سلكناها أولاً من الدرب الفرعي ، لأن أمير مكة الشريف عبد الله شرط علينا الرجوع منها إلى جدة ، واعتذر بأن طريق الينبوع (؟) بيد القُطّاع ولاتُسلك ، وأن (البوابر) كتب عليهم بالمجيء إلى جدة دون الينبوع (؟) .

ونزلنا ببئر الماشي في الواحدة بعد نصف الليل ومن بئر الماشي إلى الصمد الأبيض قسمناه (؟) يومين وأقمنا يوماً .

ومنه إلى الريان .

ومنه إلى (بوضبيع)[1] .

ومنه إلى بير رضوان .

ومنه إلى هَرْشَا .

ومنه إلى رابغ قسمناه يومين أيضًا ، فنزلنا به يوم السبت ثالث صفر وأقمنا به يوماً ، ومررنا بالطريق الأولى التي كانت فيها كثرة النخل والزرع فوجدنا الأرض بيضاء لا شجر فيها ولا زرع ، إنما النخيل ساقطة بالأرض فسألنا عن ذلك فقالوا : أخذها السيل وترك الأرض ، كما ترى ، والموضع المسمى بالريان ، قطع الأعراب علينا الطريق ، قطعهم الله من تلك الطريق ، وضربونا بالبارود والخفيف (؟) فنجى الله جميعنا ، وطردهم أصحاب الشريف بالأحجار ، وما أردنا ضربهم بالبارود لأنا خفنا من موت أحد منهم فيعظم الأمر ، وما جئنا بصدد هذا ، وعادتهم - قبّحِهم الله وأذَلَّهُمَ - أن من وقف معهم يخافون ويرجعون ومن فرّ تبعوه ونهبوه ، ولا رجلة فيهم إنما هم خطافة فقط كالوحوش ، ولا دين لهم ، والواجب في هذه السنين لعدم إقامة الأحكام فيها وعدم الأمن في السبل تقديم الزيارة على الحج بأن يأتي الإنسان أولاً للينبوع ، ثم يأخذ كبيرًا من أهلها ويأتي معه إلى المدينة ويبقى فإذا جاء الركب الشامي مرّ معه إلى مكة للحج ، وينزل بجدة في أمد قريب كالسابع من ذي الحجة أو الثامن مع سهولة الأمر ، فلا يكمل شهر المحرم إلا وهو ببلده ، لاسيما إن نزل من جدة إلى طنجة ، وهو الواجب أيضًا ، وأما مروره على طريق الاسكندرية فصعبٌ أيضًا من

(١) يقصد أبو الضباع من قرى الفرع .

كثرة اللوازم والكلف ، حتى إنهم يستحلّون مال الحج ، ويتحيلون على أخذه بأيٍّ وجه كان وهذا الأمر سلكناه بالبحرية .

من رابغ إلى جـدة :

ثم ارتحلنا من رابغ رابعَ صفر بعد العصر إلى البحر، وركبنا بعد العشاء في السُّنْبُك وبتنا في المرسى ، ثم شرعنا في السير بعد صلاة الصبح خامس صفر ومشينا إلى قرب العصر ، ونزلنا بجزيرة هناك ، فجملة ما سرنا عشر سوابع ، ومن الغد كذلك ووصلنا إلى جدة في اليوم الثالث عند الزوال سابع صفر ومن ركب قبلنا عمل يوماً واحدًا لمساعدة الريح وقلّة الآدمي ، لأنه إذا خفّ كَثُرَ جَرْيُهُ لاسيّما مع مساعدة الريح .

ونزلنا بجدة . ووقع ليلة ١٤ بعد العشاء خسوف في القمر حتى خسفت الدائرة بتمامها وطال ذلك نحو الساعة . وأقمنا بها عشرة أيام ، وارتحلنا يوم السبت سابع عشر صفر بعد صلاة الظهر وركبنا (البابور) والكرا بخمسة عشر ريالاً إلى طنجة ، وبتنا بالمرسى ، وأصبحنا بها إلى بعد الزوال من يوم الأحد ١٨ صفر وأطلق .

وسرنا إلى يوم الخميس في العشيّ وأرسينا بجبل الطور فجملة ما سرنا مائة ساعة وساعة لأنّ الريح لم تساعدنا ، ونزلنا إلى جبل الطور يوم الجمعة في القباب (كرنطل)[1] ثلاثة أيام ، ورجعنا إلى (البابور) عشية يوم الأحد ٢٥ صفر وأعطينا ريالاً لكل واحد وأطلق البابور في الضحى من يوم الاثنين ووصلنا لمرسى السويس بعد نصف ليلة الثلاثاء ٢٧ صفر .

---

(١) يقصد الحجر الصحي (الكرنتينة) .

النخيل في القصيم

(ومن المقدمة الضافية التي وضعها الأستاذ الشيخ محمد العبودي لكتاب « بلاد القصيم » أحد أجزاء المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية تنشر العرب هذا البحث الممتع) .

كان من عزمي أن أثبت فصلاً عن النباتات البرية التي تنبت في القصيم مع بيان أسمائها القديمة والتطور الذي حصل فيها عبر القرون غير أنني بعد أن سودت بعض ذلك الفصل،تقدمت (الجمعية العربية السعودية للفنون والثقافة) إلى عدد من الباحثين في المملكة منهم كاتب هذه السطور بوضع معجم شامل للنباتات البرية في نجد فعدلت عن الكتابة في النباتات وأثبت ما كتبته عن النخل في القصيم .

اشتهر أهل القصيم بإتقان غرس النخل الجيد حتى عرفوا بأنهم خبراء فيه يستقدمهم إليه من يريد أن يتعلم كيفية غرس النخل ، على الوجه الأفضل ، أو من يريد لنفسه غرساً أفضل من النخل . والدليل على ذلك أن أهل المدينة المنورة قد استقدموا إليها من أهل القصيم قوماً من ذوي الخبرة بذلك ، استفادوا من خبرتهم وذلك خلال القرن الثالث عشر الماضي ، ولعل أهل القصيم أخذوا معهم إلى المدينة بعض الأنواع المشهورة عندهم منه غرست في المدينة وإن لم تصبح في جودتها في مكانها الأصلي في القصيم مثل السكرية التي تسمى في المدينة في الوقت الحاضر (سكرة الشرق) ومثل الشقراء والمكتومية وكلها أقل جودةً من مثيلاتها في القصيم ، وربما كان ذلك بسبب عدم ملاءمة الهواء أو التربة ، أو عدم العناية الكاملة بها .

قال السيد أمين بن حسن الحلواني المدني : إن غرس النخيل كان في قديم الزمان مخصوصاً بأهل المدينة وكان هو أعز أموالهم ، وبه يتفاخرون ثم اعترتهم فترات من السنين إلى أن تنوسيت عندهم كيفية الغرس على أصوله وقوانينه ، فصاروا يغرسونه كيفما اتفق كغرس خيبر ومصر والمغرب وغيرها من البلاد التي لايعبا بجودة نخلها .

ثم إن أهل المدينة تنبهوا إلى هذه النكتة سنة ١٢٦٠ هـ ١٨٤٤ م وتعلموا كيفية الغرس من أهل القصيم كبريدة وعنيزة والرس . ولغرس النخل عندهم على وجه الإتقان أنهم يحفرون حفرة مقدار متر في متر وتسمى في اصطلاح أهل الحجاز (الفقرة) ثم يردمون ثلثيها بترابها ويكون هشا ، ويتركون الثلث الباقي فيغرسون الصنو (الفسيلة) ثم يسقونه كل يوم بماء قليل بشرط أن السقي لا يغرق قلبه مدة ستين يوماً إلى أن يتراءى لهم أن الصنو قد ثبت ، ونبتت له عروق جديدة في الطينة ، ورمى بسعيفات صغيرة جديدة ، فحينئذ يزيدون الردم عليه مقدار عشر سنتيات ، ولا زالوا هكذا كلما زاد سعفاً جديداً ونما يردمون حوله إلى أن يتحقق أنه قوي وثبت وكثر سعفه ، ولا يتسلط الريح العاصف أن يقلعه [1] .

والأنواع من النخل التي سنذكرها فيما بعد هي المشهورة من النخيل المُسَمّى مع ملاحظة أنه يوجد عدة نخلات لم تذكر هنا تسمى الواحدة منها (نَبْتَة) لأنها تنبت نهاتاً من نواة عادية من نوى التمر،وليست

(١) النخل في تاريخ العراق ص ١٥ ١٦ نقلا عن المذكور وكتاب الحلواني طبع في بومبي عام ١٣٠٤ .

كالنخيل المعروفة التي تنشأ فى النخلة ثم تفصل عن أمهاالنخلة بقطعها منها ثم بغرسها فسيلة فى الأرض .

ذلك بأنه لا يمكن حصر أنواع النبتة أو كما يسمونها (النبوت) لكثرتها وبعضها ليس معروفاً ، وبعضها ليس مكرراً أي لا يوجد منها إلا نخلة أو نخلتان.

أنواع النخل في القصيم :

نَبْتَةَ ابن راشد في عنيزة،هي سباكة في بريدة وهي صفراءُ وميزتها أنها تظل عدة أشهر وكأنها رطبة فلا تيبس وهي أكثر نخل القصيم شبها بالنخلة التي تسمى في الجزائر وتونس (دقلة نور) وهي من أفخر التمر هناك وأغلاه ثمناً، ويمكن أن تؤكل في الشتاء كأنها رطب في الصيف إذا أحسن خزنها .

وأخبرني سليمان العباس من آل سلام أهل الصباخ قرب بريدة أن سباله أول مانبتت في ملكهم فاسموها عباسة ولكن الناس اسموها بعد ذلك سباكه .

المنيعية : فى عنيزة وهي حمراء وتوكل بسرا في الاغلب .

بَيْدجانه : أي باذجانة هكذا يسمون الباذنجان الخضار المعروف وهي كبيرة التَمرِ سميت بذلك لهذا السبب ، يريدون من باب المبالغة في وصف تمرها بالكبرأنه كالباذنجان في الحجم .

سِلَّجهْ : صفراءُ البسرة بعد التلوين تميل إلى الخضرة يأكلونها في القصيم رطباً ولا يكنزونها ولا يدخرونها تمراً وربما كان السبب فى ذلك وجود غيرها للكنز أحسن منها . وكانت منتشرة في القصيم ثم أخذت الآن في الانقراض وذلك لسببين أولهما : أن رطبها ليس لذيذاً كما هو

عليه الحال بالنسبة لأنواع الرطب الأُخرى كالكويرية والشقراء ، وثانيهما انها إذا طالت نخلتها أخذ رطبها في التساقط مما زهدهم فيها إلى جانب وجود الأنواع الأُخرى الفاخرة الجديدة من النخل عندهم .

سلَّجَان :

تشبه السلج إلا أنها أطول كثيراً ولونها ورطبها أصفر يميل إلى الخضرة وهي أكبر حجماً من السلج،وتؤكل بسراً ورطبا ورطبها كثير الدبس ، حتى أنهم يأخذونه ويضيفونه إلى التمر الآخر .

كويرية : صفراء لذيذة الطعم كثيرة الدبس ، لينة القشر ، لرطبها نكهة خاصة إلا أن بسرها ليس لذيذاً يأكلونها رطباً فقط ولا يكنزونها إلا أنهم في السنوات الأخيرة أي في هذا العقد الأخير من هذا القرن بعد وجود وسائل خزن التمر الجديدة ومنها أكياس اللدائن (البلاستيك) أخذوا يكنزونها قبل يبسها ثم يعرضونها إلى الشمس داخل تلك الأكياس فوجدوها لذيذة ممتازة نسبتها إلى ابن كوير رجل من أهل قصيباء قالوا انها نبتت في بستانه أول مرة ومنه انتشرت إلى بقية أنحاء القصيم . وتسمى في جنوبي القصيم مثل المذنب وعنيزة (أم حمام)

المَقْفزِيَّهْ : كانت موجودة في القصيم وقد انقرضت الآن أو كادت حتى أن الجيل الجديد من الفلاحين لايعرفونها وسبب انقراضها أنهم استعاضوا عنها بأنواع أخرى لها ميزاتها وأكثر من ميزاتها وليس فيها عيوبها . وأهم الأنواع التي استعيض عنها بها هي اللاحمية فهي تطلع باكراً ثم يُلَوِّن بسرها قبل غيرها ثم ينضج رطبها أول النخل وهي إلى ذلك أكبر أعذاقا وأكثر إنتاجاً ، وأقل أمراضاً . كما كانوا

يأكلون المقفزية بسرا ولكنهم وجدوا أحسن منها للأكل بسرا مثـل : « الحلوة » و « الروثانه » وأخيراً : « البرحية » .

نَبْتَة شَمْا :

مضافة إلى شما بفتح الشين والميم مشددة اسم شائع من أسماء النساء عندهم ولكن التسمية به أخذت تقل في الأزمنة الحديثة . سميت بذلك لأنها نبتت في بستان لامرأة اسمها « شماء » . وهن صفراء اللون مدورة تميل إلى الاستطالة مع رأس لها رقيق ، تؤكل رطبا وهي قليلة في الوقت الحاضر .

ونّانه : حمراء مستطيلة شديدة الحلاوة . تذوب تمرتها اليابسة في الفم . وتؤكل تمراً ، ورطبا ، وكذلك يعملون منها (المغْمِي) أي يغمرونها بالدبس ويأكلونها طول السنة ، وكذلك يجعلونها أقراصاً ويجففونها في الشمس فتكون ناشفة زاداً للمسافر والمستعجل ، وتعلة للصبية والكبار .

قطّارة[1] : حمراء صغيرة الحجم ، قصيرة التمرة ولكنها غيرمستديرة تؤكل رطبا ، سميت قطارة لأنها كثيرة الدبس بحيث يقطر دبسها على كربها ، وإذا أكلت رطبة انفجرت في الفم وكأنها قـد حشيت دبسا ، وفي الوعاء الذي تخزن فيه لابد أن يبقى جزء من الدبس بعـد الرطب ، ولا يُحسن جَنْيَ رطبها إلا مجرب وإلا تلطخ بالدبس ، ولذلك يقولون : إن أحسن الأوقات لجنيها هو أول النهار وقبل اشتداد حرارة الشمس حتى لاينفجر رطبها بالدبس . وهي لذيذة الطعم إلا أنها حارة على المعدة لذا أخذ الفلاحون يعدلون عن غرسها بحثاً عن رطب أبرد

(١) مثل هذا التسمية قديمة كما في كتاب النخل في تاريخ العراق للعزاوي ص ١٢٧ .

منها على النعدة،ولنخلتها مزية عن غيرها هي أنهـا لاتسرع في الارتفاع فتكون بين النخل الطوال التي غرست منها كأنها أصغر منها بكثير إلا أنها تعرض أكثر منها .

حَلْوَة الشكال :

الحلوة مضافة إلى الشكال هنا وربها كانوا أسرة نسبت إليهم .

وهي تشبه الحلوة العادية إلا أنها صفراء صفرة غير صافية أو قل انها صفرة تميل إلى الحمرة ، وقد تكون بسرتها أصفر من بسرة الحلوة العادية .

تؤكل بسرا ورطباً .

وهي من النخل الذي أخذ في الإنقراض .

أم الخَشَب :

حمراءُ مستطيلة كبيرة الحجم ، يعظم عذقها حتى لاتستطيع أن تحمله فيجعلون لها خشبا مركوزاً على الأرض يستند العذق عليه ولهذا سموها أم الخشب ، بسرتها ليست حلوة ، وهي لاتكنز وانما تعلق في الخريف والشتاء فتبقى رطبتها مدة طويلة دون أن تيبس ، وهذه هي مزيتها إضافة إلى أن رطبتها لذيذة ذات نكهة خاصة . وتعتبر من كرائم النخل .

النُّحوُ : على لفظ النِّحي الذى هو وعاء السمن في الفصحى والعامية نبتة صفراء اللون مع ميل للإحمرار رُطبها كبير الحجم مستطيل تؤكل رطبا،ولاتكنز في الغالب وهي من الأنواع التي كادت تنقرض أو هي انقرضت فعلاً ميزتها أن حجم تمرها كبير ولكنه ليس شهيَّ الأكل . وسمعت من يقول : إن هناك أكثر من نخلة تسمى نحوا لأنها كبيرة الحجم .

أُمّ كِبَار : نبتة صفراء كبيرة الحجم سميت أم كِبَار لأن تَمْرَها كبير الحجم تؤكل تمراً أي : تكتنز كنزاً وتؤكل في الشتاء وتجعل مغميا ، أي : يجعل عليها الدبس وتكنز مثل السكري . وهي غليظة القشر غير شهية الأكل ربما تكون أغلظ من المكتومي . وفي تمرتها طول وتسمى في عنيزة السالمية .

جوزة : صفراء اللون : سميت الجوزة لأن شكل تمرها يشبه الجوز فهي قريبة من التكوير وفيها انحناءة حول القمع تؤكل تمراً . وتمرتها تشبه السكرية في اللّون إلا أنها تخالفها في الطعم . ولطعمها نكهة خاصة .

خُصيِّة : على لفظ خصية الذكر مصغرة . صفراء اللون تؤكل بسراً ورطبا ولا تكنز ، وتمرها غير كبير الحجم يكاد يشبه البرحِي في الشكل إلا أنه يخالفه في الطعم . وهي من الأنواع التي كادت تنقرض الآن . ولعل هذه التسمية – على غرابتها – قديمة إذ كان يوجد تمر في البصرة اسمه (خصاوي البغل)[1] .

الشقراءُ : كانت أكثر أنواع التمر شيوعاً عندهم بل هي القاعدة بحيث يكون أكثر حائط النخل منها ولذلك قرر قضاة القصيم في السابق أنه إذا أطلق التمر دون تعريف في الدين والوصية ونحوهما فانه ينصرف إلى الشقراء إلا إذا حُلِّي التمر بوصف أو حلية أو أُضيف إلى غيره كأن يقول : تمر من تمر بستاني أو نحو ذلك .

سميت الشقراء بهذا الإسم أخذاً من لونها لأنها شقراءُ اللون أي : حمراءُ حمرة تميل إلى البياض أي : ليست دهماء ذات حمرة تميل

(١) النخل في تاريخ العراق ص ٢٦ .

إلى السواد . وكانت تسمى قديماً (شقرا مبارك) إضافة إلى مبارك الرجل الذى وجدت فى بستانه لأول مرة . ولما كثرت وعم غرسها تركت إضافتها إلى مبارك وأصبحت تسمى (الشقرا) فقط ثقة بشهرتها . ومن بقايا تسميتها بشقراء مبارك ما ذكر أن الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله قال مخاطباً لجماعة من أهل القصيم في بريدة: (إن عندكم – يا أهل القصيم – شجرتين طيبتين هما شقرا مبارك ، والسليم) أي آل سليم يريد أسرة آل سليم العلمية التي أنجبت عدداً من كبار العلماء والقضاة في القصيم . وقد حدا بهم إلى تفضيل الشقراء على غيرها من أنواع النخل قوة شجرتها فهي قوية ضخمة إذا وجدت حظها كاملا من الماء . أما إذا كان الأمر خلاف ذلك فإنها أكثر صبراً من أنواع النخل الأخرى على العطش . إضافة إلى أنها تؤكل رطبا وهي لذيذة إذا أكلت كذلك ذات طعم متميز وهي باردة على المعدة ، كما أنها تكنز في كافة أنواع خزن التمر، وهي أقل تعرضاً للسوس والدود عند خزنها .

وهي تعمر طويلا . وقد تحققت من ذلك بنفسي إذ أوقف جد والدي عبد الكريم بن عبد الله العبود نخلات من الشقر بقي اثنتان منها حتى عام ١٣٩٥ هـ عندما قطع النخل في البستان الذي يضمها في خب الشماس، ليجعل في مكان النخل بيوتاً ومساكن . وكانت وفاته في حدود عام ١٢٤٧ هـ أي : أنها عاشت مايزيد على مائة وثلاثين سنة ومنذ عهد جدي ووالدي ثم عهدنا ونحن كنا نأخذ التمر منها .

أما عيوب الشقراء فإنها كونها لا تبكر بالبدء في الاثمار حتى زعم بعضهم أنها تحتاج إلى عشر سنوات من بدء غرسها حتى تثمر . وبعضهم

قال إنها تحتاج لسبع سنوات وقد جربت ذلك بنفسي فأثمرت عندي بعد ثماني سنوات على حين أن بعض الأنواع التي غرست معها مثل اللاحمي والمكتومي أثمرت بعد ثلاث سنوات ولكنها عندما أثمرت كان تمرها كثيراً . ومن عيوبها أن تمرها الذي يكنز ليس في طيب الطعم والحلاوة مثل السكريّ ، ولا في كثرة الشحم كالمكتومي لذلك أخذت عناية الناس بالشقراء تقل ، وأخذ الغارسون يغرسون الآن كرائم من النخل لم تكن كثيرة في قديم الزمان لأنها أبرد تمراً ، وألذ طعماً مثل السكري وأم الخشب ، أو من الأنواع الجيدة التي عرفت حديثاً كالبرحى والكويرى .

رُوثَانة :

صفراءُ الزهو : تقرب ثمرتها من التكوير تؤكل بسرا ، ولا تؤكل تمراً لأنها لاتُتْمِر كما يتمر غيرها وإنما تجمد إذا أدركها الإتمار، لذلك لا تكون رطبا ، أما بسرها الأصفر فانه غاية في سهولة الأكل ، ولذة الطعم .

مَسْكَانية :

زهوها أصفر وتَمرتها كروية ، وهي تكون كثيرة في القنو تؤكل بسراً ورطباً ولا تكنز تمراً ، ومن مزاياها أنها تبكر بالطلع وبالتلوين.

الرُّشُودية :

صفراءُ تؤكل تمراً مزيتها أنها لا تجف رطبتها سريعاً وإن كانت لا تكون رطبة خالصة أبدًا ، لذا لا تخزن وإنما تعلق في الخريف بعذوقها يأكل منها الناس حتى يحين أوان الأكل من التمر المخزون .

ونسبتها إلى ابن رشود .

المُكْتُومِيّة :

صفراء فيها تكوير وهي قسمان هدباء وصفراء فالهدباء أكبر تمراً ، وأصفى شحماً ، والمكتومية كبير التمرة ، تؤكل زهواً ورطباً وتمراً وهي من الأنواع التي كانت مفضلة في الخزن لا تكاد تخلو (جصة)[1] منها ، إلا أنهم كانوا يضعون المكتومي في أسفل الجصة لأنه يحتاج إلى رص كثير، حتى يصبح مفرغاً من الهواء فلا يصيبه السوس .

والمكتومية من التمر الذي كان يفضله الذين يعملون أعمالاً شديدة متعبة من الفلاحين والعمال لأنها قوية في البطن إلا أنها حارة بالنسبة إلى غيرها كالشقراء مثلا . وهذا أمر مفهوم لأن نواتها غير كبيرة ، وتمرتها كبيرة .

ويعمل منه الناس العبيط وهو التمر الذي ينزعون منه النوى ثم يعبكونه وينعمون خلط بعضه ببعض حتى يصبح كتلة واحدة ؛ فيصنعون منه طعام الحنيني[2] ويتزودون منه في السفر .

ولا عيب في المكتومية إلا أنها لا يكون حملها كثيراً في الغالب وإنما هو متوسط. ويمكن تمييز النخلة المكتومية عن غيرها من النخل بكونها ذات سعف واقف قليل نوعاً ما ، وذات عُسُب منتصبة .

وكان يفضلها أصحاب البساتين في السابق لمزاياها المذكورة وكونها لايستطيع العمال ونحوهم من الإكثار منها . أما الآن فقد خف ذلك أو انتهى إذ أخذ الناس يعدلون عنها إلى أنواع أخرى ألذ منها في الأكل ، وأقل حرارة في البطن .

---

(١) الجصة : هي مكان خزن التمر عندهم وسميت الجصة لأنها تبنى بالحجارة والجص .

(٢) الحنيني يصنع من خبز البر النقي مع السمن والسكر أو التمر

سِكَّرِيَّة حَمْراء :

حمراء اللون مع ميل إلى البياض مستطيلة التمرة تؤكل تمراً ، وقد تؤكل رطباً إلا أنها تمر أجود وهي حلوة شديدة الحلاوة لهذا أسموها سكرية ، وهي لشدة حلاوتها إذا أكلت وهي يابسة تفتت في الفم وذابت لذلك يغالي الناس في شرائها ، حتى تكون كالسكرية العادية أو أغلى منها في بعض الأحيان وقد يجعلونها أقراصاً تَعِلَّةً للمستعجل وزاداً للمسافر ، وحملها غير كثير في الغالب .

اللاّحمية :

صفراء مستطيلة يبدو طلعها باكراً قبل غيرها في آخر فصل الشتاء ، وتبكر بالزهو فيرتفق الناس بأكلها رغم أن بسرتها ليست حلوة ثم تكون أول المشهور إرطاباً فيأكلها الناس وتكون غالية لهذا السبب وتظل رطباً يؤكل وسائر النخل بسر حتى إذا طاب النخل ، وأينع رطباً ووجد الناس ماهو ألذ منها طعماً وأكثر دبسا مثل الكويرية والقطارة تكون اللاحمية قد انتهت .

ومن مزايا اللاحمية إلى ماذكر كونها تحمل حملاً كثيراً جداً وكونها إذا غرست تبكر بالطلع ، حتى ربما كانت أسرع النخل المعروف في القصيم بدءاً في الإنتاج .

الْكَسْبة :

نخلة رديئة التمر ، كبيرة النوى ، قليلة الشحم يحيط بالنواة غلاف غير لذيذ الطعم لذلك يضرب الناس في القصيم بها المثل بالرداءة .

والتسمية قديمة بلفظ (القسب) إلا أنني لا أدري أهي هذه أم غيرها أم هي عامة لأنواع غير جيدة .

الحلـوة :

حمراء : حمرة قانية مستطيلة سميت الحـلوة لحلاوة بسرتها قبل أن تزهي أي قبل أن تحمر ، وهي كذلك شديدة الحلاوة بعـد أن تصبح زهواً .

وهي نوعان : عربية وعرينية أما العربية فهي الطويلة الأكبر حجماً ولكنها أقل لذة في الطعم ، وأغلظ في الأكل أمـا العرينية فهو أقصر وأصغر من العربية ، ولكنها هشة أكثر منها .

والحلوة كلها يأكلها الناس في القصيم بسرا وزهواً ورطباً ولاتكنز ولا تكون تمراً لأنها إذا أتمرت ثم تركت لتوت ويبست إذا كـانت في الشمس وإن كانت في الظل حمضت اي أصبح طعمها حامضاً حتى لا تؤكل .

والحلوة كثيرة الحمل ، لا تكاد تخطيء فى الحمل كل سنة ، ومن النخل المرغوب فيه إلا أنها لاتكون كثيرة في الحيطان لأنها لا تكنز .

السمرانة :

صفراء وقمعها أحمر تؤكل بسراً وهي تبكر بالطلع وبالتلوين ولا تكنز .

نَبْتَة الْعَـلي :

نبتة حمراء مع ميل إلى الصفرة حمرتها ليست قانية تؤكـل تمراً وقد تؤكل رطبا فتكون ذات نكهة خاصة مميزة لذيذة الطعم فاخرة إلا أن نخلها ليس كثيراً وربما كان ذلك لكونها عرفت منذ وقت قريب فلم ينتشر غرسها انتشاراً كثيراً .

السكرية :

منسوبة إلى السكر لحلاوة طعمها،وقد اعتاد الناس منذ القديم على تسمية النخلة التي توجد عندهم من أصل غير معروف وتكون ثمرتها حلوة أكثر من غيرها بالسكرية ، ويضيفونها إلى المكان التي نبتت فيه، أو الرجل الذي وجدت في بستانه .

وهذا له أصل قديم إذ كثير من التمر كان يسمى فى العراق بالسكرية إذا كان فى تمره حلاوة زائدة[(١)]

وقد كان يوجد في القصيم عِدّة من النبوت أي : النخلات التي نبتت من النوى دون قصد كل واحدة تسمى السكرية مضافة إلى مكان أو أناس وكان أحدها يقال لها سكرية الجمعة نسبة إلى أسرة الجمعة الذين هم من الدواسر الذين انتقلوا من الشّمّاس القديم إلى (حويلان) أحد الخُبُوب القريبة في بريدة .

وعندما جربها الناس رغبوا فى غراسها ، وأسرعوا إلى ذلك ، وتركوا أكثر السكريات الأخرى ماعدا السكرية الحمراء وسكرية المذنب التى بقيت حتى الآن .

واشتهرت سكرية الجمعة حتى أصبح الناس إذا أطلقوا هذه الكلمة دون إضافة انصرفت إليها دون غيرها – حتى اصبحت السكرية أغلى النخل تمراً وأغلاه فسيلا إلى أن جرب الناس البرحية فأصبح رطبها وبسرها مرغوبا وأصبح فسيلها يباع بأغلى مما يباع به فسيل السكرية وذلك لندرة البرحية ، ووفرة السكرية .

واليوم تمر السكريّة أغلى أنواع التمر في القصيم . وهو يمتاز على

(١) راجع النخل فى تاريخ العراق للعزاوى ص ٢٦ .

غيره بالحلاوة وبأنه يماع في الفم ويصلح يابساً على شكله الأصلي وعلى شكل أقراص ، حين يضغط عليه وهو رطب ويجفف، فيكون نعلة للصبي وزادًا للراكب ، وعجالة للمسافر المجد الذي لايريد أن يضيع وقته في الطبخ والنفخ ، أو في العجن والخبز .

إلا إن للسكرية عيوباً وذلك أنها إذا خزنت وأقبل عليها الحر أخذ لونها يسود حتى يصبح أسود في فصل الصيف على حين أنه يكون في الشتاء أصفر اللون ، يميل إلى الحمرة كما أن السكرية تحتاج إلى مزيد من العناية في الخزن .

العيـــديّة :

صفراء مستطيلة نوعاً منسوبة إلى العيدي وهو محمد العيدي شاعر عامي توفي عام ١٣٣٧هـ لذلك هي قليلة لم تنتشر كثيراً . والعيدية تعلق تعليقاً لأنها بعد إثمارها لاتيبس بسرعة لذلك يأكلها الناس بعد صرام النخل تعليقاً غير مكنوزة .

الخِضْرِي :

من أشهر أنواع التمر فى نجد وهو يقل في القصيم بل يكاد كثير من أهل القصيم يكونون لم يروه ولم يأكلوه من قبل ، وإنما يوجد أكثر مايوجد في شرقي القصيم في الربيعية والشماسية وقد أخذ الناس ينصرفون عن أكله في الوقت الحاضر لحرارته ، فى البطن ، وعدم طلاوته في الطعم ويفضلون عليه الأنواع المستنبتة حديثاً من التمر التي هي لذيذة في الطعم خفيفة في الهضم وتسميته قديمة ومن أمثالهم فيه مما يدل على أنه كان من التمر النفيس في نجد : « ميت الخضري شهيد »[1] .

---

(١) شرحته و بينت أصل التعبير فيه فى كتابى : « الأمثال العامية فى نجد » .

خَوْشَانه :

صفراءُ الزهو ، شبه مكورة ، تؤكل بُسْرًا ، وتكتنز فتكون طيبة .

البَرْحِي :

من أفخر أنواع النخل في القصيم وأغلاها ثمناً وتمرا ، زهوها أصفر وتمرها أصفر يميل إلى الشقرة ، تؤكل بسراً ورطبا وهي من ألذ الأنواع إذا أكلت بسراً ورطباً لا يكاد يدانيه غيره من البسر والرطب، لاأماتمرها فإنه جيد ولكنه ليس مثل البسر والرطب إذ تمر السكري أفخر منه .

والبرحية منسوبة إلى محل بالبصرة يقال له البرحة أول مانبتت فيه فنسبت إليه .

وكانت في أول الأمر قليلة جدا في القصيم . بل لم تكن معروفة فيه. وأول من أحضرها إليه فيما بلغني هو عبد الله بن محمد البسام أحضر (فرخين) اثنين من البصرة جعلهما في زنبيلين وحملهما على بعير وجعل يسقيهما بالماء طول الطريق يحمل لهماالماء فلما غرسهما عاش أحدهما ومات الآخر . فكل مافي عنيزة في الأول كان منه وكان ذلك في حدود عام ١٣١٠ هـ إلا أنه بعد أن عرف الناس فائدة البرحيه رغبوا في المزيد من غراسها فلم يجدوا مايكفيهم أخذوا يجلبون مايحتاجون إليه من البصرة.

والآن وبعد مضي مايقرب من ٩٠ عاماً على أول غرسة للبرحية في القصيم نجدها قد انتشرت في انحائه إلا أنها لاتزال في عنيزة أكثر وأهل عنيزة يقدرون تمرها أكثر من غيرهم .

التعليم في مكة
في مطلع هذا القرن

(يعتبر كتاب « مكة » الذى ألفه المستشرق سنوك هورغرونيه) ١٨٥٧ - ١٩٣٦) من المصادر التاريخية لدى كل من يعنى بدراسة أحوال تلك المدينة الكريمة ، من المستشرقين .

أما الباحثون الذين لا يجيدون اللغة التى ألف بها ذلك الكتاب فقل أن يستفيدوا من هذا الكتاب ، لكونه لم يعرب ، وقد تحدث الدكتور عبد اللطيف بن دهيش عنه وعن مؤلفه فى (الندوة العالمية الأولى لدراسة تاريخ الجزيرة) وفيما يلى ملخص ما كتبه عن (التعليم فى مكة) .

ومما تجب ملاحظته أن كثيرا من كتابات المستشرقين عن الإسلام والمسلمين لا تخلو من مآخذ ، أصبح التنبيه عليها مما لا يحتاج إليه القارىء) .

يتطلب الأمر في هذا الكتاب أن نذكر فروع المعرفة الأُخرى وإن كانت لا تنتمي إلى العلوم الاسلامية ، ولكن تعهدها المسلمون بنشاط وخاصة في مكة ، كذا الدراسات الأُخرى كالفروع المختلفة في البحث التاريخي ، حيث قدم الاسلام طريقة مميزة خاصة ومع ذلك فقد قصرنا أنفسنا على المثال السابق لأن اضمحلال الثقافة الاسلامية سبب انهياراً تاماً للعلوم الدنيوية .

أما في مجال العلوم المقدسة فقد بذل رجال الدين في القرون الأخيرة كل الجهد للمحافظة على التراث القديم ، وبهذا أصبح منهج الغزالي من المُثُلِ العليا بعد أفول الثقافة الاسلامية .

قبل أن ندخل قاعة المحاضرات الضخمة في مكة (المتمثلة في الجامع الكبير – الْحَرَم) لنسمع أساتذة العلوم الدينية السابق ذكرها ولنعرض بعض الأمثلة للبحث خارج هذه الدائرة العلمية .

الطب كما سبق وصفه مجرد حرفة وليس علما ، وقد يعمد بعض الهواة لكتاب طبي قديم إذا تطلب الموقف ذلك .

الرَّيِّس (رئيس المؤذنين وأيضا فلكي المسجد) وبعض راغبي المعرفة هم الذين يعرفون التقويم ، وتفسير بعض الظواهر السماويَّة .

الكيمياء القديمة هي مادة الدراسة العقيمة لمختلف أهل مكة . ولقد عرفت أشرافًا كانوا يأتون من وقت لآخر إلى الطبيب السابق ذكره ومعهم مواد صفراء نتائج محاولاتهم (الكيميائية) ليكشف لهم بواسطة محل الذهب (وسيلة اختبار) أن ليس كل شيء له بريق يكون ذهباً . وقد عرفت رجلا من المهتمين بالأدب والاطلاع أنفق كل أمواله على كيمياء تحويل المعادن الرخيصة إلى معادن نفيسة ، وبعد مافقد كل موارده وفقد رغبته في الدنيا كرس نفسه لدراسة العلوم الدينية . وأعرف شيخ السادة كان من الباحثين عن الذهب . ولذلك فانه لاوجه للاستغراب في مطاردة هذا العمل العلمي الذي يتم في الخفاء . أليس النفع هو الهدف من كل نشاط مادي وروحي للمسلمين ؟ ! ؟ إن مسألة النفع من (الكيمياء) تجد استجابة ترضي الناس ، حتى الانقياء ، يعرفون أن الله قادر على أن يُغَيِّر من خلقه ،وأن يُحَوِّلَ عنصراً إلى عنصر آخر كما فعل في عصا موسى وحَوَّلها إلى ثُعْبان ، حيث جاء في القرآن في سورة طه (قال أَلْقِهَا يَامُوسَى ، فَأَلْقَاهَا فإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى) . ولكن الرجل من أهل مكة يرفض استخدام نتائج العلوم الحديثة يقول : هي ليست اكتشافات جديدة وقد أتت بالشر أكثر من الخير ، وبالنسبة للطِّب الحديث يقول الرجل من أهل مكة : إنه لم يحقق شَيْئًا ضِدَّ الموت .

(الجغرافيا) موضع اهتمام من جوانب عملية متعددة . حيث يبحث

أهل مكة في البلاد الأصلية للحجاج وتجارتها وحكومتها واحتمالات الربح المأمول مع أهلها ، وعلى العكس بالنسبة لموقع لندن وباريس . وقد سمعت مرة رَجُلاً ذا مكانة وكان قد قرأ عن أسبانيا (الأندلس) في كتب التاريخ وكانت الحرب الروسية التركية دائرة رحاها ، وسأل الرجل عن وجود إتصال بَرّيٍّ بين (روسيا) و(أسبانيا) وكم تستغرق القافلة بين البلدين ؟ الرجال الذين يسافرون كثيرا هم الذين يعرفون مثل هذه الأشياء .

منذ الأزمنة القديمة وقبل ارتباط التاريخ بالدعوة المقدسة كالسيرة النبوية وتراجم الصحابة - كان التاريخ مقبولا وجذابا لما فيه من (عظة لمن يتعظ) . مع أن كُتَّاب التاريخ تدفعهم عوامل أخرى مثل كتابة تاريخ موطنهم لتسلية الناس ، وكتابة تاريخ الأسر الحاكمة أمَلًا في مكافأة من الأمير الحاكم .

في مكة منذ القرن الثالث بعد الهجرة أصبحت الكعبة والبيئة المحيطة بها مركزاهتمام للباحثين في تاريخ البلدة ، ومنذ القرن السادس أصبح مقر حكم الأشراف المركز الثاني لاهتمام المؤرخين . وحتى يومنا هذا يوجد رجال مثقفون يشغلون وقت الفراغ في كتابة الحوادث الهامة في حياة البلدة المقدسة . ويمكن أن يقال بصفة عامة :

إن الرأي العام الاسلامي (الاجماع) له تأثير قويٌّ على المؤرخين ، مشابهٌ لما له من تأثير على القضاء .

وفي كل عصر من العصور تدرس حوادث الماضي دراسةً جيدة من خلال وجهة نظر العصر الحالي . وخلافات الماضي التي كانت تتشكل أساسا لوجود طراز من الفكر الموحد الجامع لم يَعُدْ لها وجود ، وهكذا

أصبح يطلق على معاوية وعلى وعبد الله بن الزبير نفس اللقب الواحد وهو (سيِّدنا) وأصبح يتم تبجيلهم إلى حد ما ، على اعتبار أنهم آباء المسلمين . أما أجداد سيدنا محمد من الوثنيين فهم يعتبرون في السيرة النبوية التي وضعها أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية في مكة (عام ١٨٨٦) من المسلمين المؤمنين ، وهم على مِلَّة ابراهيم . ومما هو جدير بالذكر والشكر أن مؤرخي أحداث مكة مع عدم الاقبال على مؤلفاتهم فإن تسجيلهم لأهم أحداث مكة لم يكن يعتوره نقص ، مع قلة الرجال المثقفين المهتمين بهذاه المؤلفات التي من الخطورة انتشارها لما تحويه من نقد شؤون الدولة وكبار الشخصيات .

ويقول المؤلف : عندما كنت في مكة فإن عدد نسخ كتاب أحمد دحلان عن تاريخ الأشراف كان ست نسخ فقط وجميعها ينقصها أربع ورقات من آخرها . وكتاب « تاريخ ابن الأثير » الشهير تجده في مكتبات بعض المثقفين وأيضا كتاب« وفيات الأعيان» لابن خلكان وبعض كتب التاريخ التي تحوي حياة مشاهير الرجال في قرون معينة إلى وقتنا هـذا تقر أكثيرا وتستخدم في إظهار المعرفة في الاوقات المناسبة

أما كتب التاريخ والسيرة المتعلقة بالعقيدة فإن الاقبال عليها أكثر ، مثل سيرة سيدنا محمد وتراجم الصحابة ، وكذالك مؤلفات مؤسسي الطرق الصوفية والمذاهب المتميزة وبصفة عامة كتب سير الأولياء ، ومثل هذه الكتب تقرأ في مجالس الأصدقاء بغرض التثقيف والاستنارة أكثر مما هو بغرض التعليم .

ومن الأمثلة المميزة « السيرة النبوية » تأليف أحمد دحلان الذي يقول في المقدمة : إنه يوجد مافيه أكثر من الكفاية من هذه المؤلفات

ولكنها مطولة أكثر مما يحتاجه الطلبة اليوم ، ولذلك فهو نقل حقائق طبقاً لأفضل معرفة وخاصة المسائل التي تهم هذا العصر . وقد كان الإقبال الفائق على هذا الكتاب الخالي من النقد تماما والذي هو عبارة عن سرد للأخبار على نطاق كبير يبين كيف أن المفتي المثقف قد فهم روح هذا العصر . وعلى نفس الوتيرة أيضًا ظهر كتاب «تاريخ الفتوحات الإسلامية»[1] وهو عبارة عن مجموعة نصوص ووثائق حكومية وقد تم طبعه أثناء إقامة المؤلف في مكة في مطبعة الحكومة التي كانت قد افتتحت حديثاً .

وقبل أن تبدأ المطبعة العمل في مكة كانت معظم المطبوعات العامة تأتي من القاهرة ، وفي القاهرة أيضًا كانت تُطبع مؤلفات كتّاب مكة وبخاصة الكتب ذات الطابع الديني وعلى سبيل المثال كتاب (الأحاديث الستة) للكاتب المكي الشيخ حقي والمطبوع في القاهرة في عام ١٨٨٢ ميلادية والذي يبحث في موضوعات عديدة ولكنه يركز على التحذير ضد العادات غير الشرعية والثقافة الملحدة الحديثة . وخاتمة الكتاب تظهر مضمون الكتاب كله حيث يقول :(من الأشياء التي تؤدي إلى عذاب النار والموجودة في عقول المسيحيين والملحدين أنهم يضعون على السلع والبضائع التي يستخدمها الناس صورًا للكائنات الحية حتى أنه أصبح لايوجد منزل أومتجر أو سوق أو حمام أو قلعة أو سفينة تخلو من هذه الصور) ربما يكون هذا إشارة إلى الصور غير المحتشمة الموجودة على غلاف علب الثقاب (الكبريت) المصنوعة في بلاد النمسا : (بينما لا يوجد

---

(١) تاريخ الفتوحات الإسلامية : هذا الكتاب يحتوى على تاريخ شامل من وجهة النظر الإسلامية من عهد محمد حتى عام ١٨٨٥ ميلادية .

مكان لملائكة الرحمة لينزلوا فيه عدا المساجد وبعض أماكن قليلة أخرى في رعاية الله. وحتى المساجد فإن الصور تدخلها مع المصلين الذين يأتون وفي جيوبهم علب السجائر والدخان التي يوجد عليها مثل هذه الصور. لذلك فأنا أحذركم أيها الكفرة»[1] ... إلى آخر الكتاب وفي نفس الكتاب يذكر طريقة معينة لقراءة السورة السادسة والخمسين من القرآن كوقاية مضمونة ضد الفقر أو عدم الإنجاب ويقول أيضًا: إنه إذا علقت امرأة محتشمة هذا الجزء حول رقبتها فسوف يسبب تحقيق رغبتها فى عدم الإجهاض.

وهنالك مجموعات صغيرة من الحكايات والنوادر وقصص من (الحكايات ألف ليلة وليلة) أو سيرة (عنتر) مألوفة وتجد استجابة لدى الناس، تقرأ في الأمسيات في المقاهي مقابل بعض المال. أما الرجال المثقفون فهم يحتقرون مثل هذه التسلية.

أما أبناء مصر المتمدينون فهم يندهشون للذوق الأوربي في الإعجاب بالليالي العربية، والرجل المثقف قد يسمح لزوجته عند الضرورة القصوى أن تقص عليه مثل هذه القصص إذا كان مؤرقا ولايستطيع النوم. والنساء هن فعلاً المحافظات على هذه القصص القديمة والتي يغيرونها باستمرار ولكن مع بقاء المضمون كما هو.

* * *

(١) إن التقاليد ضد صور الكائنات الحية واسعة الانتشار وصانعو هذه الصور سوف يعذبون عذابا شديدا يوم الحساب. وملائكة الرحمة لن تدخل بيتا توجد به هذه الصور. ويقول المؤلف: لقدرأيت أحد الاشراف حضر من السفر وأحضر معه صورا من شرق الهند وقد أجاب الشريف على لوم وتأنيب أخيه المؤمن الذى لم يسبق له السفر خارج مكة بأن قال له: إنه لم يقم بنفسه بصنع هذه الصور ويمكن للملائكة أن تؤدى واجبها خارج الباب. وهذا الشريف مثل باقى الاشراف قد قام بجمع كثير من المال من أمراء شرق الهند المسلمين ولو لم يكن غنياً لطرده أقاربه من المنزل لهذا الكلام الذى يقوله.

وبعض المهتمين باقتناء الكتب يحتفظون بمجموعات منها حريصين عليها حرصا شديداً ـ اشتروها لندرتها . ويقول المؤلف : إنه كان قد عرف أحد الأشخاص وأدى له خدمة خاصة وقد قام هذا الشخص بدعوته لمشاهدة جزء من مكتبته مقابل ما أداه له من خدمة وكان هذا الجزء من المكتبة يتكون من بعض كتب التراجم المطبوعة في مصر لبعض الكتيبات الأوربية ، وتعتبر من الغرائب نظراً لمحتوياتها الغريبة .

قال : وشاهدت مخطوطاً قديماً ذا حواشي قيمة عن القرآن كتاب «الفوائد والعوايد والزوايد» وهو فعلاً عمل أدبي يدل على القوة والبراعة ، حيث يمكن قراءته بمعانٍ مختلفة من اليسار إلى اليمين ومن اليمين لليسار ومن أعلى إلى أسفل . ويقول المؤلف : إنه لم يستطع أن يحكم هل الرجل يعرف قيمة هذا المخطوط أم لا . وعلى الصفحات القليلة لكتب هذا الرجل توجد بعض أبيات من الشعر في مدح محتويات الكتاب وتصفه بأنه يساوي وزنه ذهباً وأن صاحبه الذي يعيره لأحد من المؤكد أنه مجنون . ويقول المؤلف : إن هذا الرجل كان غنياً جداً ، وكان يتفاخر بأنه استطاع أن يحصل من صديق له على أحسن ما عنده من الكتب ، على الرغم من أنه كان أيضًا من هواة جمع الكتب . فبعد سنين من الاستعطاف أعاره هذا الصديق مخطوطاً نادراً جدًّا ليلة واحدة ، حتى يكون من الاستحالة عليه أن ينسخه في هذا الوقت القصير . ولكنه بعد أن أخذ المخطوط قام بفكه إلى أجزاء وأعطاها إلى عدد من الكتبة الذين قاموا بنسخها ، وتم إكمال نسخ المخطوط في اليوم التالي وأعاد المخطوط الأصلي إلى صديقه بعد إعادة تجميعه بعناية كما كان قبل فكه . ولو لم يكن المخطوط يخص صديقه لكان قد ذهب به بعيدًا

ولم يُعلّه قبل استنساخ نسخة منه . وهو الآن يبحث في الحصول على نسخة من «شرح الإحياء» للغزالي تقع في أربعين جزءاً حيث يوجد عدد قليل من نسخ هذا الكتاب في بلاد المغرب .

يقوم معظم المثقفين بدراسة مجموعات من الشعر العربي مع شرحها وتفسيرها ، وأيضًا دراسة كتب الأدب مثل كتاب «العقد الفريد» وبصفة خاصة «مقامات الحريري» ومعظم هذه الكتب أصبحت الآن محفوظة في الذاكرة .

وهذه الدراسات لها أهمية كبيرة لكونها لها فائدة بطريق غير مباشر في دراسة العقيدة كما أن من علامات الثقافة للرجل قيامه بتلاوة بعض الشعر في المجالس . وليس هناك سن معين لبدء هذه الدراسة حيث يتوقف ذلك بدرجة كبيرة على درجة المعرفة لربّ الأُسرة .

ويمكن أن يقال مثل هذا عن فَنّ (الخط العربي) . ودروس الكتابة التي يقوم بها معلمو القرآن تكفي الأغراض العادية ولكن الذي يرغب أن يعلم ابنه تعليماً راقياً عليه أن يعهد به إلى خطاط ماهر . وهناك من الأطفال من يتعلم الخط مباشرة بعد أن ينتهي من مدرسة الأطفال وهناك من يؤجل ذلك . وعندما ينتهي الطفل من الدراسة الكافية يقوم بكتابة لوحة اختبار جميلة ، طبقاً لأحد أشكال الخطوط ، وهذه اللوحة توضع في إطار مزيّن ومُحَلّى يتكون عادة من بعض الآيات والأحاديث القدسية ، وفي الإطار نفسه تتكرر كتابة أسماء الله والرسول والخلفاء الأربعة .

وبدرجة أقل بكثير من إجادة فن الخط بعد الإنتهاء من مدرسة تحفيظ القرآن يعتبر المسلم أنه قد أجاد فَنّ تلاوة القرآن . والعرب

أنفسهم يجدون صعوبة في تحقيق النطق السليم المتناغم الأصوات في الصلاة وكذلك الحروف الأنفية (الحروف التي تنطق من الأنف) وبعض التفاوت البسيط في الأنغام المنصوص عليها في كتب التجويد والشخص الأوربي الدارس والمدرب جيدًا على أداء الأصوات سوف يأخذ في أحسن الأحوال أسبوعاً لكي يتعلم بدرجة معقولة قراءة السورة الأولى من القرآن (الفاتحة) والتي تتكون من سبع آيات فقط .

ويقول المؤلف : إنه لن ينسى أول يوم جمعة له عندما حضر في المساء في منزل المفتي التلاوة الاسبوعية لأجزاء من القرآن لأشهر المقرئين ويقول : لقد سمعت قبل هذه الليلة عديدًا من المرات تلاوات على درجات متفاوتة من حسن الأداء ، حتى أن التلاوة كانت مألوفة بالنسبة لي ، وهناك عديد من الألحان لهذه التلاوة وعادة يقصر المقرئ نفسه على نوع واحد من هذه الألحان الذي اعتاده منذ الصغر ، ولكن ما سمعته هذه الليلة من مزج لمخارج الكلمات الصعبة النطق مع أكثر الأنغام صعوبة وتعقيداً وعلاوة على ذلك فإن نبرة الصوت تتغير مع مضمون النص القرآني . فتكون نبرة الصوت هادئة مع الأجزاء القصصية ، ولكن عندما يدعو الله الكفار يكون الصوت هادرًا ، أو باكيًا ، حيث يؤثر بسرعة في المستمعين ويكون الصوت هازئاً ضاحكاً في الجزء الذي يتوعد الله فيه الماكرين الأشرار يبشرهم بجهنم ، ولكي يمكن تمييز هذه التلاوات يحتاج هذا إلى خبرة طويلة . والمستمع الذي لاخبرة له يندهش لتمايل جسم المقرئ وللنبرات المرتفعة جدًا بحيث أنْ المقرئ نفسه أحياناً يضرب على أذنيه من صوته الصارخ ، وعندئذ تكون عروق رقبته قد انتفخت إلى حد الإنفجار ، ويندهش أحياناً للمقاطعة لهذه

النشوة أثناء التلاوة بصوت السعال للمقرئ .

وكما أن على الرجل الأوربي ـ لكي يكون قادراً على تكوين انطباع عن عادات الشرقيين ـ عليه أن يتعرف ملابسهم وألوانها ...... حتى لا يعتبر ذلك شيئًا غريباً ، وعليه أن ينسى خصائص هذا الشكل من الموسيقى الذي لم يألفه قبل أن يبدأ الاستماع باستمرار . ويقول المؤلف : أنا مقتنع تماماً أن أي شخص أوربي حضر تلاوة مثل التي سبق وصفها سوف يعود بانطباع أن هذه الضجة الرهيبة ضجة عصبية . ولكنّ المقرئين أبعد مايكونون عن العصبية وهم كالمغنين ومطربي (الأوبرا) يظهرون انفعالات لايشعرون بها أنفسهم وهؤلاء المقرئون يتميزون بالخيلاء والغرور والغيرة والنزوات ، مثلهم مثل الفنانين في أوربا . وعندما لا يرضيهم الأجر المدفوع لهم أو عند المساس بكبريائهم فإن أداءهم يكون مشوباً بالإهمال ، وقمة السعادة عندهم عندما يوصف أحد مشاهير القراء من زملائهم بالخطإ في التلاوة ، والناس عموماً لاتعزو التأثير الساحر للتلاوة على قلوب البشر إلى مهارة المقرئ ، ولكن إلى أن القرآن هو المعجزة الكبرى ، أو الذي اعترف البدوي عندما سمعه لأول مرة أنه صوت السماء الذي تلين له القلوب المتحجرة بالأنين والبكاء عند سماعه وتهتف الحناجر عند كل وقفة «يارب» ، «الله أكبر» ومثل هذه الهتافات تصاحب كل التلاوات ولو كان القارئ غير ماهر ، وهذه الهتافات تعتبر تشجيعاً للقارئ مثل التصفيق للمغني في أوربا .

والرجل الذي يتمتع بموهبة الصوت الجميل والذاكرة المناسبة قد يصبح من مشاهير القراء،وما عليه إلا أن يقوم بحفظ بعض أجزاء من القرآن وترتيلها بطريقة صحيحة. وليس شرطاً أن يكون يعرف القراءة

أما بالنسبة لطلبة الدراسات الدينية فإن دراسة تجويد القرآن مادة أساسية كما أن حفظ القرآن كله هدف أسمى للجميع .

وفن التلاوة (التجويد) يتم تعليمه بطريقة خاصة فردية في منازل المعلمين (الفقهاء) ويتم تطبيقه بواسطة الطلبة كل بمفرده ، وخاصة في الصباح في الأماكن الخالية من ساحة المسجد . وأحياناً تجد فى المسجد بعض هؤلاء الطلبة يمارسون التلاوة تحت إشراف المعلم ، ولكن هذا لا يتبع الدراسة الرسمية التي تتم في المسجد تحت إشراف شيخ العلماء ، لذلك تجد أحياناً كثيرة معلماً رسمياً يقوم بإلقاء محاضرة عن نظرية التجويد ، ثم يقوم بقراءة نَصٍّ قرآني بالطريقة الصحيحة ، ليبين مخارج الحروف والنطق والترنيم (التجويد) وطول الحروف الأنفية (التي تخرج من الأنف ، والفم مغلق) مع تفسير للنص القرآنى . وبصفة عامة فإن هذا النوع من التعليم يتم عادة فى المنازل .

* * *

وريشة الكتابة والحبر والورق لا زالت منذ القدم هي الوسائل المتبعة في التعلم للطالب الإسلامي ، والمكتبة تعتبر ميزة ولكنها ليست ضرورية ، وإملاء المدرس سواء كان من تأليفه أو من كتاب نصوص يعتبر كافياً جدًّا للتعليم بينما الكتاب يمكن أحياناً شراؤه أو استعارته ، والرجل الذي يختار طريق حياة الدراسة والعلم قد يضطر إلى إعانة نفسه على المعيشة ببعض أعمال التجارة أو الحرفة . وهذا ليس شيئًا صعباً لأن

احتياجات مثل هذا الطالب ليست كثيرة التكاليف . وغالباً مايعاونه على إشباع هذه الرغبة مايكون لديه من ميراث أو من هبات ومنح من الأقارب الذين يمارسون مهنًا أخرى أكثر ربحاً ، أو من الأصدقاء الذين يعتقدون أنه من الواجب المشاركة في شرف التعليم الديني . وكثير من هؤلاء الطلبة يظهرون نبوغاً في الجمع بين الدراسة مع ممارسة العمل أو التجارة .

والإسلام دائماً يقدر ويعظم هؤلاء الذين يحافظون على إحياء العلوم والتعليم ، وخاصة دراسة الشريعة ، لأن هذا يعتبر من وجهة نظر العقيدة دعامة الحياة والمجتمع .

والأشخاص الذين يكرسون أنفسهم لهذه الدراسة يعفون من الاشتراك في الحروب ، والذي يموت أثناء تأدية رسالته يصبح في منزلة الشهداء . وهو يعتبر أعلى منزلة وأسمى من أن يتعيش من هذه المهنة الشريفة .

ومما سبق يتضح أن خادم التعليم الإسلامي له ثواب كبير عند الله في الآخرة وله منزلة محترمة في الدنيا .

- ٢ -

وبسنده أيضًا عن ضوء بن فجع قال : كُنتُ جالِسًا مع عبَّاد بن كثير في المسجد الحرام فقلت : الحمد لله الذي جعلنا في أفضل المجالس وأشرفها .

فقال : وأيْنَ أنت من جدة ، الصلاة فيها بعشرة ألف ألف صلاة ، والدرهم الواحد بمائة ألف ، وأعمال البِرِّ بقدر ذلك يغفر للناظر فيها مَدَّ بصره مما يلي البحر .

وعن فرقد السبخي أنه قال : يكون في آخر الزمان بجدة شهداء ليس على وجه الأرض شهداء أفضل منهم .

وبسنده أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما إلى عبد الله بن سعيد أنَّ فرقدًا السبخيَّ قال : إني رجل اقرأُ هذه الكتب وإني لأجد فيها فيما أنزل الله من كتبه : جدة أو جديدة بالجيم يكون فيها شهداء لا شُهداء على وجه الأرض أفضل منهم .

وقال الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزاليُّ في «الأحياء» في (باب أسرار الحج) : أن بعض الأولياء كُوشِف فرآى جميع الثغور تسجد لِعَبَّادان ، وعبَّادان ساجدة لجدة .قال الفاضل العلامة السيد مسعود ابن حسن القناويُّ في «شرح لآمية ابن الورديِّ» مانصه : عبادان بتشديد الباء الموحدة وهي من العراق مدينة عامرة على شطِّ البحر ، في الجهة الغربية من الدّجلة وهي من مدائن بغداد انتهى .

وأخرج الترمذي عن عمرو بن عوف قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الإيمان ليأرزُ إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جُحْرها قال في « القاموس »: الحجاز مكة والمدينة والطايف ومخاليفها أي طرقها وقراها وبُغَازُها منها ، والبُغاز هو الثغر بتشديد المثلثة أي الباب .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الشيطان قد يئس من أن يعبده المصلُّون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم » رواه الهروي في شرحه على « المشكاة » .

وفي الخبر عنه صلى الله عليه وسلم : « لا يجتمع دينان في جزيرة العرب قال الفاضل مولانا السيد فضل باعَلَوِي مَوْلَى الدُّوَيْلة في كتابه « عدة الأُمراء والحكام » ما نصه : ووجه الاستلال أنه حكم بإخراجهم من أرضهم ، ونقلها إلى المسلمين ، لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين لله انتهى .

وثبت في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لئن عشت أو بقيتُ لأُخْرِجَنَّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لايبقى فيها إلا مسلم » قال أبو جعفر إبن جرير الطبري : في هذا الخبر من الفقه أنه عليه الصلاة والسلام سنَّ لِأُمَّتِه المؤمنين إخراج من دان ديناً غير دِينه ، الذي بعثه الله به ، من كل بلدة من بلاد الإسلام إذا لم يكن إليهم بالمسلمين ضرورة حاجة .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لايساكنكم اليهود ولا النصارى في أمصاركم .

وفي الخبر عنه صلى الله عليه وسلم « أَخْرِجُوا اليهود والنصارى من

جزيرة العرب» قال الفاضل السيد فضل باعلوى المذكور آنفا فى «عُدّة الأمراء» : إن الواجب على إمام المسلمين إخراجهم من كل مِصْر كان الغالب على أهله الإسلام ، إذا لم يكن بالمسلمين إليهم ضرورة حاجة ، ولا كانت من بلاد أهلِ الذِّمّةِ التي صُولحوا على إقرارهم فيها إلحاقاً لحكمه بحكم جزيرة العرب قال ابن جرير : وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذى قال ابن عباس في ذلك ، وذلك ما حدثنا الحسن بن يزيد الخطابى أنبانا محمد بن سليمان الحرانى حدثنا يعقوب بن جعدة عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد ابن الحَنَفِيَّةِ رضي الله عنه عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لايترك بأرض دينانِ دين مع دين الإسلام» وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم «لا يصلح ملتان في أرض» .

وفى الصحيح أنه ليس من بلد إلا سَيَطَؤُهَا الدجال إلا مكة والمدينة وبيت المقدس ليس بنقب من نقابها إلا وعليه الملائكة صَافِّيْنَ وفي كتاب «العقد الثمين» : النقب بفتح النون وضمها وسكون القاف الباب وقيل الطريق وجمعه نقاب ، ورأيت بخط العلامة شيخنا أبي المكارم الشيخ محمد سعيد بشّارة الخليدي المكي حفظه الله : ولا شك أن جدة من أعظم طرق مكة وأبوابها فتكون حينئذ ممنوعة أيضًا من تمكن الدجّال منها ، أي من المكث فيها ، هذا إن صدق عليها اسم البلد ، وهو الأصح ، وأما إن صدق عليها اسم الباب (........)[1] وقال في

---

(١) كلمات غير واضحة فى المصورة .

«إهداء اللطائف من أخبار الطائف» أن معاوية رضي الله عنه قال: سعيد مولايَ أنعم الناس عيشاً يقيظ بالطائف ويشتي بمكة ويُربع بجدة انتهى.

وأما فضل المرابطة بها وبغيرها أيضًا من الثغور قول الله تعالى (يأيُّها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا) فالرباط أحد شعب الإيمان، وموجبات الغفران، وقد ورد فى فضله أشياء لم تكن فى القربات، منها ما روي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من جلس على البحر احتساباً ونِيَّة احتياطٍ للمسلمين كتب الله تعالى له بكل نظرة حسنة» وفي بعض النسخ (بكل قطرة حسنة) وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الناظر في البحر في سبيل الله تعالى يكون له مد بصره نور يستضيُ به كما بين صنعاء والجابية (...)[1] أيضًا أن رباط يوم وليلة خير من الدنيا وما فيها. وعن سلمان الفارسي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ورباط شهر خير من صيام دهر» انتهى.

فكل خير ينقطع إلا عملَ المرابط فإنه يكون له ثواب رباطه إلى يوم القيامة، كما وردت به الآثار ولله دَرُّ الفاضل الورع المرابط الشيخ العجلى حيث قال:

فأنا الفتى العجلىُّ جُدَّةُ مسكني ... وخزانة الحرم التي لا تجهلُ[2]
وبِهَا الرباط مع الجهاد وإنما ... لَبِهَا الوقيعة لا محالة تنزل
من آل حام في أواخر دهرنا ... وشَهيدها بشهيد بَدْرٍ يُعْدَلُ
شهداؤنا قد فُضِّلُوا بسعادة ... وبها السرور لمن يموت ويقتل

وروى الفاكهي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول

(١) كلمة غير واضحة

(٢) من قصيدة نشرتها «العرب».

الله صلى الله عليه وسلم :«مكة رباطٌ وجدة جهاد» وعن ابن جريج قال سمعت عطاء رضي الله عنه يقول : إنما جدة خزانة مكة ، وإنما يؤتي به إلى مكة لا يخرج به منها : وقال ابنُ جُريج : فضل ربَاط جدة على سائر المرابط كفضل مكة على سائر البلدان انتهى .

والحاصل أن فضائلها كلها لا تُحصى منها : أن الله شرف طريقها إلى مكة أيضًا لكون بعضه موطئاً لأقدامه صلى الله عليه وسلم الشريفتين وأصحابه ، حيث كانت بيعة الرضوان تحت الشجرة في طريقها وإليه الإشارة في قوله تعالى : (لقد رضي الله عن المؤمنين إذْ يُبَايِعُونَكَ تحت الشجرة) الآية وهي بطريق جدة عام الحُدَيبية وحديبية هو المحل المعروف الآن بالشُّمَيْسيِّ كما ذكره بعض المفسرين .

قال في «القاموس»؟ الحديبية كَدُويهية وقد: تشدَّد ـ بئر قرب مكة حرسها الله تعالى ، أو شجرة هناك .

وعن (ابن)[1] سلمة بن الأكوع عن أبيه قال : بينا نحن قائلون زمن الحديبية نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيُّها الناس البيعة نزل روح القدس . قال : فثرنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة سَمُرَة فبايعناه .

وفي «مسلم» عن طارق بن عبد الرحمن قال انطلقت حاجاً فمررت بقوم يصلون فقلت : ما هذا المسجد؟ قالوا : هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان فأتيت ابنَ المسيَّب فأخبرته فقال سعيد : كان أبي ممن بايع تحت الشجرة قال : فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فعميت علينا فلم نقدر عليها الحديث .

وفي رواية عن ابن المسيب عن أبيه قال :لقد رأيت الشجرة ثم

(١) كلمة (ابن) ليست في الأصل

أتيتها بعد عام فلم أعرفها وقال نافع : كان الناس يأتون تلك الشجره فيصلون عندها، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأوعدهم فيها، وأمر بها فقطعت وروى أن عمر رضي الله عنه مَرَّ بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة ، فقال : اين كانت ؟ فجعل بعضهم يقول : ها هنا وبعضهم يقول : هاهنا . فلما كثر اختلافهم قال : سيروا فقد ذهبت الشجرة وللبخارى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها وكانت رحمة من الله انتهى .

ومنها أنَّ الله تعالى شرفها بِتَنَزُّلاَتٍ إلهيَّةٍ ، وخصوصيات سَنِيَّة دلَّ على ذلك ورود وفد الله تعالى من جهتها . فترى كل ولي لله تعالى وحبر وتقي وصالح وزكي إلا وهو يمرُّ عليها ، ويدخل من (اسكلتها) كما هو الغالب لأن الحجاج كلهم أضياف الله تعالى وفي كنفه وأمنه ،فهي مَمَرُّ الأبرار ، ومَقَرُّ التجار ، ضاعف الله فيها البركات ، وأظهر الخيرات .

وأما بحرها وهو المسمى ببحر القلزم قال ابن الوردي في « الخريدة » خليج القلزم ومبدأه من باب المندب حيث ينتهي البحر الهنديُّ فيمر في جهة الشمال مغرباً قليلاً فيتصل بغربي اليمن ويمر بتهامة واليمن إلى مدين وأيلة وفران ، وينتهي إلى مدينة القلزم فيمر بشرقي بلاد الصعيد إلى عيذاب إلى جزيرة سواكن إلى زالع من بلاد البُجَة ، إلى بلاد الحبشة ويتصل بالبحر الهندي ، وطول هذا البحر ألف وأربعمائة ميل .

وأما من ساحل جدَّة إلى ساحل السويس وهذا البحر يسمى البحر الأحمر وأما أرض القلزم المسمّى باسمها هذا وهي بين مصر والشام وهو بحر في ذاته ، وفيه جبال فوق الماء وفيه قروش ـ أي سمك كبير ـ

وحيوانات مُضرة ظاهرة ومختفية ، كانت القلزم مدينتين عظيمتين فتهدّمتا من تسلط العرب على أهلها ، وشربهما من عين سرير [1] وهي وسط الرمل وماؤه زعاق ، وبين القلزم – وهو منتهى بحر فارس الآخذ من المحيط الشرقي من الصين – وبين البحر الشامي مسافة أربع مراحل تسمى بحصن(؟) التيه وهو تيه بني إسرائيل ، وهي أرض واسعة ليس بها وهْدَةٌ ولا رابية ، ولا قلعة ، ووسعها خمسة أيام في خمسة ، ومن مدنه المشهورة عقبة أَيْلَةَ وهي قرية صغيرة على جبل عال ، صعب المرتَقَى يكون ارتفاعه والانحدار منه يوماً كاملاً وهي طرق لايمكن أن يجوز فيها إلا واحد واحد على جانبيها أودية بعيدة الْمَهْوَى انتهى .

وبحر القلزم هذا هو الذي أغرق الله فيه فرعون وقومه ونَجَّا الله موسى وبني إسرائيل ، وحدود هذا البحر إذا قطعت من لسان القلزم إلى حد الصين في حد مستقيم كان مقدار تلك المسافة نحو مائتي مرحلة ، وكذلك إذا شئت أن تقطع من القلزم إلى أقصى حجر بالمغرب على خط مستقيم كان نحو مائة وثمانين مرحلة ، وإذا قطعت من القلزم إلى حدّ العراق إلى نهر بلخ شهرين .

والحاصل أنّ هذا البحر أهون البحار وأكثرها بركة وخيرًا قال في « الدرر المنظمة في أخبار مكة المعظمة » وفي سنة ست وعشرين من الهجرة اعتمر من المدينة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فأتى مكة ليلاً فطاف وسعى – إلى أن قال – وحَوَّلَ ساحل مكة القديم وهو الشُّعَيْبَة إلى ساحلها الآن المعروف بجدة لقربها من مكة ، وخرج إليها

---

(١) كذا ولعله (سويس) فقد أورد ياقوت في « معجم البلدان » : ميرة أهل القلزم من بلبيس ، وشربهم من سويس .

واغتسل فى بحرها وقال : إنه مبارك ، ثم خرج من جدة على طريق عسفان إلى المدينة منصرفاً .

وقال بعضهم : إن جدة هى قديمة على حالها من قبل النبوة ساحل مكة ، واحتج بما مَرَّ سابقاً من أن لها مسجدان ينسبان إلى عمر ابن الخطاب وبما مَرَّ سابقاً أيضًا من كلام الشيخ جار الله ابن فهد ومن خروج صفوان بن أمية إلى جدة يريد ينزل منها إلى اليمن كما في السِّير ، وما ورد فيها من الأخبار إذْ لو لم تكن ساحلاً لم يَرِدْ فيها ما مَرَّ فليحرر ، ويمكن الجمع بين القولين بأنها كانت ساحلا إلى أول خلافة سيدنا عثمان ثم تركت ، واستعملت الشُّعَيْبَة ثم نزل سيدنا عثمان ليراها فردها ساحلا ، ويؤيده ذكر عمالها كما يأتي :

ثم اعلم أن البحر الذي اغتسل فيه سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه هو المعروف الآن فيها ببحر الأربعين ، وهو بناحية من ساحلها ولم يزل أهل جدة إلى الآن يغسلون مرضاهم فيه تبركاً بمائه كما هو المعهود وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفصل الثاني في مآثرها وما احتوت عليه من سكانها : فأقول وبالله التوفيق : قال التقي الفاسي في تاريخه : إن سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه استعمل على جدة الحارث بن نفيل بن الحارث ابن عبد المطلب وكان أسلم عند إسلام أبيه نفيل وكانت تحته درة بنت أبي لهب ابن عبد المطلب ، وهو أول أمير استعمل على جدة فلهذا لم يشهد حُنَيْنًا وخالف في ذلك الذهبي وقال : إنما استعمل أبو بكر وعمر وعثمان الحارث ابن نُفَيْل على مكة وتوفي آخر خلافة عثمان وهذا القول ضعيف والمعتمد الأول ، لأن سيدنا أبا بكر الصديق إنما استعمل عتّاب بن أسيد

رضي الله عنه على مكة بعد استعمال النبي صلى الله عليه وسلم له عليها وتوفي عتَّابُ في نَعْي أبي بكر بعد موته ، وهذا ما اعتمده التقي الفاسي وغيره من أن الحارث بن نُفَيْل استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على بعض صدقات مكة وبعض أعمالها ، ثم استعمله أبو بكر رضي الله عنه على جدة ، وتوفي في آخر خلافة عثمان .

وأما فقهاؤها فهم الظهيرة ، وأول من سكنها منهم الشيخ على ابن الصديق الجحنون المقبور بجدة وكان من أهل العلم والصلاح .

وبنو المذكور الأشراف من بني القديمي أول من سكنها منهم السيد سليمان بن المذكور وهو من بيت ولاية وكرامة .

وبيت المساوي أول من سكنها منهم الشيخ أحمد بن الصديق المقبور بجدة ، والفقيه من أهل اليمن .

وخلائق لايحصون كما هو مذكور في التاريخ المتقدم ذكره [1] .

وبها من المآثر القديمة قبر السيدة الكريمة حَوَّا أم البَشر ، وهو بالجانب الشرقي على يمين الداخل إلى جدة [2] من باب مكة ، كما اعتمده غير واحد من المحققين ، ويؤيده ما ذكره صاحب «السيرة الحلبية» وغيره من أنَّ نزول السيدة حوا كان بجدة فلا خلاف في ذلك بين أهل التواريخ ، وأما قبرها فقد اختلف فيه والصحيح أنه القبر الشهير بجدة كما أعْلِم بذلك بعض أهل الكشف [3] ، وعلى سُرتها قبة جليلة [4] وفى الحديث : من زار والديه وفى رواية أبويه فى كل جمعة

---

(١) لم يتقدم ذكر لهذا التاريخ .

(٢) أصبح الموضع المذكور وسط المدينة على يمين شارع المطار للمتجه إليه .

(٣) لا يصح الاعتماد على هذا الرأى القائم على خرافة .

(٤) أزيلت القبب من كل القبور ، عملا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه « لا تدع قبراً مشرفا إلا سويته » .

كتب بارزا وسيأتي الكلام عليه في رحلة العلامة العيّاشي رحمه الله تعالى .

قال العارف بالله سيدي محي الدين ابن عربي [1] : وقد كنت مرة اعتمرت عن والدي آدم عليه السلام . ورأيت ذلك من صلة الرحم الغافل عنه كثيرون من الناس ، فرأيت الملائكة يترحبون بي وهم أكثر فرحا بهذا الخير العظيم ، ورأيت آدم عليه السلام أكثر فرحا بهذا الخير أو كما قال من هذا المعنى فليراجع فزيارة قبرها يكون من جملة البرو كذا أعمال الخير قال بعض الافاضل :

وفي جدة يمسي السرور مجددا ... وللطير في أفنانها بالهنا صَدْحٌ

ويعذب من عَيْذَاب أرياق ثغره ... وشام بها من لذة الشرب ما يصح

وأعداؤنا أعداؤكم غير أنهم ... ظلام محاه من صداقته الصبح

وقال الفاضل العلامة الشيخ عبد الله العياشي ، في رحلته المشهورة [2] بعد أن ذكر مجيئة من المدينة إلى مكة المشرفة . وقضى مناسكه قال مانصه : ومنها مدينة جدة : ولما كان لي رغبة قوية في معرفة أرض الحجاز ورؤية مابها من البلاد غير الحرمين ، عزمت على الوصول إلى مدينتها لزيارتها ، وزيارة ما بها من المساجد والمشاهد ، كالمحل الذي يقال إن فيه قبر أمّنا حوا وممن جزم بأن قبر أم البشر حواء بجدة ابن خلكان في ترجمة ابن قلاقس الشاعر وذكره أيضاً في ترجمة أخرى ولأنها في نفسها من أعظم البقاع . فقد ورد في فضلها وفضل المقام بها ، والرباط فيها عدة آثار نقلها الاخباريون .

فخرجت إلى زيارتها بعد صلاة العصر من يوم الجمعة العاشر من

(١) رأى علماء السنة في ابن عربي أنه رجل ضال مضل .

(٢) نشرت العرب ماخص ما يتعلق بالحجاز من رحلة العياشي ، كما نشرت قبل ذلك كلامه هذا عن جدة .

شوال مع طائفة من أصحابنا المجاورين . واكترى لى شيخنا أبو مهدي حمارًا لركوبي ، ولم أرَ أسرع مشيا من حمير الحجاز ولاأوْطأ مركبا ولا أقل تعبا مع السرعة المفرطة في المشي .

فلقد كنت أنظر وأنا راكبها إلى أطرافى هل تحرك منها شئ مع الاسراع في المشي ، فلا تكاد تتبين لي حركة شيء منها ، مع أن مركوبى ليس من أجاودها ، فلقد أخبرت أنه كان حمار عند رجل من أهل مكة يصلي المغرب بجدة فيركب عليه ويصلى الصبح بمكة ، وهي مسافة القصر تحقيقا .

أقول : وهذا هو الغالب فى وقتنا هذا على أنه يركبون نحو العشرين راكبا بعد صلاة المغرب فيصلون الصبح بجدة ، وقد ركبت مرة في الساعة الثالثة من الليل سنة إحدى وثمانين [1] من مكة ودخلت جدة عند شروق الشمس صبيحة تلك الليلة انتهى .

ثم قال : وهم يتغالون في ثمن ما هذه صفته منها فيبلغ الحمار مائة دينار ذهبا ، ولقد رأيت حمارا عند فقيه الحنفية الشيخ الزنجبيلي رافقنا عليه من المدينة إلى مكة تحتقره العين ، فأُخبرت أنه اشتراه بقريب من ذلك الثمن

أقول : وفي وقتنا تباع هذه الحمير بمكة تجيء من الشرق من ناحية (الحسا) تسمى الشروق والحساوية وكلها بيض غالبها من مئة ريال فرانسة [2] وثمانين ريالا إلى ستين إلى خمسين إلى أربعين لكنها غشيمة فى المشى فتتخرج في مكة وتدرج وتسير أحسن سير ، حتى أن عند خروج أهـل الركوب من مكة المشرفة إلى المدينة المنورة لزيارة رسول

---

(١) أى (١٣٨٢ هـ) .

(٢) الريال الفرانسة هو الريال النمسوى الذى فوقه صورة (مارى تريزا) .

الله صلى الله عليه وسلم على الهجن يخرج أهل هذه الحمير بحميرهم نحو الستين والمئة حمار من مكة إلى المدينة المنورة يسبقون الهجن لايتأخر منهم أحد انتهى .

ثم قال : ولما خرجنا من مكة من الثنِّية السفلى إلى مناخ الحجاج أسفل ذي طوى ، عدلنا ذات اليسار قليلا ، وسلكنا في شعاب هناك ، وعقاب ، ليست بالوعرة وبين مكة وجدة ثماني قهاوي .

أقول : وهي الآن اثنى عشرة قهوة ينزل المارون بها في كل قهوة فيستريحون ويشربون القهوة أو الماء ويشترون علفا للدواب ، أو طعامالهم .

فأولها قهوة في مقابلة التنعيم فيما أظن في شعب مررنا عليها قرب المغرب.

أقول : وهي المعروفة الآن بقهوة البستان ثم قهوة أم الدود ثم قهوة المقتلة ثم قهوة سالم انتهى .

والثانية في منفسح الوادي الذي يُخَرج منه إلى رمال الحديبية والثالثة عند بئر الحديبية عند منتهى الحرم ومنها يُحْرِم الناس بالعمرة من شاء منهم ، وحول البئر مسجد معطل قد انهدم أكثره وقد طلبنَا من أهل القهوة حبلا ودلوا حتى استقينا منها ، وشربنا من مائها للبركة لما ورد في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم بارك عليها حتى غزر ماؤها أو تَفَل فيها والرابعة في قرية تسمى حَدَّة قريبة من شفير الوادي الكبير الذي يأتي أصله من مَرِّ الظهران ، وفيه أثل وعشب كثير ومزارع إذا جاء السيل .

ثم الخامسة حول مزرعة كبيرة هناك يجلب منها بطيخ كثير إلى مكة مشهور عندهم بالجودة تسمى بحرة .

والسادسة عندما يريد الذاهب الصعود إلى جبال يمر الطريق فى وسطها والسابعة عند منقطع الجبال حيث ينحدر الذاهب إلى مكة ، والثامنة التى عند جدة بالمحل المعروف بالرغامة .

وقد بلغنا إليها بعدما ارتفعت الشمس جدا واتسع النهار واشتد الحر وهي مدينة كبيرة ممتدة مع ساحل البحر نحو ميلين ، في كلا طرفيها حصار متقن البناء فيه مدافع كثيرة وعسكر لا تفارقه ، وقد رأيت في الحصار الغربي منها مايستغرب وصفه من المدافع طولا وكبرا ، ورأيت فيها مدفعاً له خمسة أفواه بصنعة غريبة .

وفي مرساها سفن كثيرة كبار وصغار وغالبها معمول بالشريط صنعة عجيبة ليس فيها مسمار وهي مع ذلك كبيرة المقدار متباينة الأقطار ، واسعة الأنحاء تحمل اضعاف ماتحمل غيرها من السفن .

وأسواق البلد ممتدة مع جانب البحر ، وغالبها أخصاص واسعة مفتحة إلى البحر وإلى ناحية البلد ، فيها قهاوى ومجالس حسنة يبالغ أصحابها فى كنسها وتنظيفها وَرَشِّها بالماء ، وفيها جلوس غالب أهل البلد ، وقد اتخذوا فيها أسِرّة كثيرة منسوجة بشريط الدَّوْم ، بصنعة محكمة .

وكان نزولنا بوكالة هناك قريبة من المسجد ، فإذا كان الليل خرجنا إلى جانب البحر ، واكترينا لكل واحد سريرًا يرقد عليه بدرهم إلى الصباح .

ومسجدها الكبير من أحفل المساجد وهو المعروف بالشافعي فيه أعمدة من الساج ، مخروطة على هيئة أعمدة الرخام المخروط طيب عودها ، يحسبها من لم يتأملها رخاما أحمر ، أخبرني شيخنا أبو مهدي

أنه يقال : إن أعمدة ذلك المسجد جلبت في صدر الإسلام من كنيسة في أرض الحبشة عندما افتتحها المسلمون .

وزرنا المحل الذي يقال : إن فيها قبر أمنا حوا . وقد ذرعه بعض أصحابنا فكان قريبا من ثلاث مئة ذراع والله أعلم بصحته .

وكان فيها مفتيان أحدهما شافعي المذهب ، وهو الشيخ عبد القادر وهو رجل حسن الأخلاق ولقيت أيضاً مفتي الحنفية الشيخ مصطفى وهو رجل له مشاركة في العلوم سالك على طريقة السادة النقشبندية أدرك الشيخ تاج الدين ابن عثمان النقشبندي وله خبرة بكلام القوم انتهى من الرحلة المذكورة .

ومنها قوله : وقد شاهدنا في هذه الخطرة يعني في السفر من جدة إلى مكة من العافية التي بسطها الله في الطرق والقرى والأمان التام ما قضينا منه العجب، فمن ذلك أنا لقينا عِيرًا في ليل مظلم ، تحمل أحمالا من البَزِّ الهنديّ والقماش الرفيع ، نحو من عشرين جملا وطلبنا من أصحابها من نسأله عن خبر البلد فلم نَجِدْ معها أحدًا ، وذهبنا نحوا من ميل ، فوجدنا أصحابها في قهوة مستريحين ، وأخبرونا أنها كذلك حتى لو ذهبت إلى مكة لم يتعرضها أحد ، وأخبرونا بعجائب من مثل ذلك وقعت في أيام الأمير زيد ووالده محسن ، فمن ذلك أنهم زعموا أن رجلا جاء إلى السلطان محسن فقال له : إني وجدت بالفلاة الفلانية حملا من البز . فقال له : ومن أخبرك أنه من البَزِّ ؟ ! فقال : مسسته برجلي ، فأمر بقطع رجله وقال له : لم مسسته برجالك ؟ إلى غير ذلك من أمثال هذه الحكايات ولا نعلم صحيحها من سقيمها .

ومن لطيف ماشاهدناه من أمان هذه الديار وعافيتها أن المسافرين من

مكة إلى جدة ومن جدة إلى مكة يكترون الحمير للركوب ، ولا يذهب صاحب الدابة معها ، فإذا بلغ المكتري إلى المحلّ الذي ذهب إليه أرسل الحمار ولاعليه فيه فلا يأخذه أحد إلّا ربه إن كان في ذلك البلد أونائبه ، ولكل واحد من أصحاب الدواب نائب في غير البلد الذي هو فيه .

وقد رافقنا من مكة إلى جدة ذهابا وإيابا صاحبنا الحاج علي العقاب التونسي وكان من التجار المجاورين بمكة المشرفة في هذه السنة فكان معه جملة من أصحابه فلم يتركنا ننفق في هذه السفرة ولا درهما واحدا ، فكان الإنفاق من عنده في كل ما ينوب من منازل الاستراحة وكراء المنازل وما ينوب في أيام الإقامة فجزاه الله خيرا انتهى .

الخاتمـــة : في بعض حكايات لطيفة وغيرها ، وقعت في عرصاتها ، وفي بناء سورها : قال العلامة الفاسي في تاريخه ، وفي « الدرر المنظمة » ان في سنة ثلاث وثمانين ومئة من الهجرة جاءت الحبشة إلى جدة جنوداً وجرودا في عَدد وعُدَد ، فوقعوا بأهل جدة فخرج الناس من مكة إلى جدة غزاة في البحر، وأميرهم عبد الله بن ابراهيم المخزومي عامل الرشيد العباسي ، فقاتلوهم وصرفهم الله ، وذلك لما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حجة لمن لم يحج وغزوة لمن قد حج خير من عشر حجج ، وغزوة في البحر خير من عشر في البر ، ومن جاز البحر فكأنما جاز الأودية كلها ، والمائد فيه كالمتشحط في دمه » أخرجه أبو ذر في منسكه .

قوله : والمائد هو الذي يدور رأسه من ريح البحر واضطراب السفينة بالأمواج من ماد يميد ، إذا مال وتحرك ويقال تشحّط المقتول بدمه أي اضطرب فيه انتهى .

وفى سنة إحدى وخمسين ومائتين نُهِبت جدة وأهلها وقتل بها قتلاً ذريعاً والفاعل ذلك كله إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن المثني بن الحسن السبط ، بعد أن فعل أفعالاً قبيحة بمكة ، فهرب عامل مكة وجدة ، وهو جعفر بن الفضل ابن عيسى العباسي فنهب الكعبة ، وأخذ الذهب الذي فيها وكسوة الكعبة ، وأخذ من الناس مئتي ألف دينار ، ثم رحل بعد مقامه في مكة سبعة وخمسين يوماً إلى جدة ، فحبس عن الناس الطعام وأخذ أموال التجار ، وأصحاب المراكب بعد أن وافت المراكب من القلزم ، ثم رجع إلى مكة وطلع إلى عرفة يوم الموقف ، وقتل من الحجاج وغيرهم نحو ألف ومائة ، وهرب الناس ولم يقفوا بالموقف لا ليلاً ولا نهارًا ، ثم رجع إلى جدة فأفنى أموالها .

وذكر العلامة بن خلدون أنه كان يتردد إلى الحجاز فى سنة ٢٢٢ وأنه خرج في أعراب الحجاز ويسمى بالسفاك حتى أهلكه الله بالجدري في آخر سنة ٢٥٢ لأنه ضَيّق على أهل مكة وأهل جدة تضييقاً زائداً ، ثم أخذه الله أخذ عزيز مقتدر .

وفي سنة ٨٠٦ تولى أمر جدة جابر بن عبد الله المعروف بالحراشي ، أصله من التجار فولاه الشريف حسن بن عجلان صاحب مكة أمر جدة ، فقام بمصالحه أحسن قيام ، وكان يحسن السياسة في استيفاء المكوس ،ولكنه زاد فيها كثيرًا عما كانت عليه قبل ولايته ، وبني الفرضة التي بجدة ليحاكي بها فُرْضَة عدن ، وكانت فرضة جدة على غير هذه الصفة ، ثم تغير عليه صاحب مكة لخبث لسانه فقبض عليه في أوائل رمضان سنة ٨٠٩ ثم رده إلى عمالته بجدة ، ثم تغير عليه صاحب مكة لما نسب

إليه للسيد رُميثة بن محمد بن عجلان على دوام عصيانه لعمه ، فإن رميثة هجم على مكة في رابع عشر جمادى الآخرة وفي سنة ٨١٦ هجم المذكور على جدة في رمضان من السنة المذكورة ونهب جدة فسعى جابر أمير جدة بينهما بالصُلح ، ووقع مع ذلك من جابر المذكور مخالفة لمخدومه أمير مكة في بعض أوامره ، فقبض عليه بمنى ، في النفر الأول ثم قرر على أمواله وأُشعر بقتله ، فصلى ركعتين وخرج من أجياد مع الموكلين بقتله إلى باب المعلا فشنق به ، ولم يظهر منه جزع في حال شنقه ، ولا في ذهابه إلى الشنق ، ولاتكلم بكلمة واحدة ، ودفن بالمعلا ، وكانت أدعية الحجاج عليه كثيرة في موسم هذه السنة بسبب زيادته عليهم في أمر المكس ، فأُصيب مع المقدور بسبب دعائهم ، فإن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب كما في الحديث الشريف انتهى من تاريخ الفاسي .

وأمّا سبب بناء سورها الموجود الآن لأنها كانت غير مسورة وكانت العربان في أيام الفتنة تهجم على جدة وتنهبها مرارا قال العلامة القطبي في تاريخه : كانت العربان كثيراً ما تنهب جدة حتى أن عربان زُبَيْد ـ بضم الزاي قبيلة مشهورة قرب جدة ـ أسرت في أيام الفتن الخواجا محمد بن يوسف القاري ، وكان من أعيان التجار من أهل الاعتبار فهجموا على بيته بجدة ، وأنزلوه من السطح ، وأركبوه معهم على ظهر فرس ارتدفه واحد من زُبَيْد ، وأخذوه إلى أماكنهم ، وهو قريب عقبة السويق من درب المدينة المنورة ، ومكث عندهم إلى أن اشترى نفسه بثلاثين ألف درهم ، فردوه إلى مكة بعد أن استوفوا هذا القدر منه .

ونهبت جدة مرارًا في الفتن التي وقعت في أرض الحجاز بعد وفاة

الشريف محمد بن بركات ، وجرت أحوال يطول شرحها مذكور بعضها في تاريخنا «نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر» في الجزء الثاني والثالث منه .

وفي سنة ٩١٩ وقيل سنة ٩١٧ أرسل السلطان الغوري الأمير حسين الكرديّ وجهز معه عسكرًا من الترك والمغاربة ، لدفع ضرر الفرنج في بحر الهند ، وكان مَبْدَأ ظهورهم ، وأمره بدفع الفتن الواقعة إذ ذاك بجدة ، وجعلها له إقطاعاً فلما وصل الأمير المذكور إلى جدة بناه في هذه السنة ، وهو الموجود الآن ، وكان ظلوماً غشوماً يسفك الدماء ، ولا يرحم من فى الأرض ليرحمه من في السماء ، وكان ينصب أعوادًا للصلب والشنق (والشنكلة) وأقام جلادين للقتل والتسويط والضرب والبهدلة ، فأيُّ مسكين وقع في يده قتله بأدنى سبب ، وكان أكولاً يستوفي الخروف وحده ، مع أرغفة عديدة ، ونفائس له معدة ، وكان أصله كردياً دخيلاً في وظائف الجراكسة ، فأراد الغوريُّ إبعاده ، وكان معتنياً به فأعطاه جدة ، فلما أتى جدة سورها وبنى أبراجها وأحكمها ، وهدم كثيرًا من بيوت الناس ، مما يقارب موضع السور ؛ لوضع الأساس ، واستخدم عامة الناس في حمل الحجر والطين ، حتى التجار المعتبرين وسائر المتسببين ، وضيق على البنائين بحيث يحكي أن أحدهم تأخر قليلاً عن المجيء فلما جاء أمر أن يُبْنَي عليه حيًّا فبني عليه واستمر قبره إلى يوم الجزاء ، إلى غير ذلك من الظلم الشديد والجور العنيد وبني السور جميعه في دون عام من شدته وغشمه وإقدامه وظلمه انتهى .

وكان طول أساس السور المذكور في الأرض إثنى عشر ذراعاً ، وطول المحيط بالبلد من جهة القبلة واليمن والشام ثلاثة آلاف ذراع غير الأبراج ، وهي ستة أبراج ، دور كل برج منها ستة عشر ذراعاً بجدرانه ، وعرض جدار السور أربعة أذرع ،وأما الأبراج فطول الشامي واليماني على وجه الأرض خمسة عشر ذراعاً ، والبرجان القبليان الملاصقان لباب البلد المسمى أحدهما باب الفتوح وهو الأيمن والآخر باب النصر وهو الأيسر وطولهما على وجه الأرض أيضًا كذلك ، وأمّا البحريان فقد نزل بهم الغواصون في البحر إثنى عشرذراعاً وجميع ماذكر من الأذرعة فبذراع العمل وهو ذراع ونصف بذراع البخارى (؟) ثم لازال الأمير حسين الكردي يقتل ويشنق في جدة بغير حق حتّى توجه إلى الهند ، ثم سفك الدماء بأرض اليمن وافتتح في طريقه مملكة بني طاهر ظلماً وعدواناً ، بعد حروب يطول شرحها ، وأقام بها نوّابًا له ، وكانوا ملوكاً من أهل السنة والجماعة ، ثم رجع إلى مكة المشرفة وكانت إذ ذاك دولة الجراكسة قد انقرضت بمصر ، وتوجه الشريف أبو نُمَيّ بن بركات وعمره اثنى عشر سنة إلى مصر ورجع مسرورًا بما طلب من السلطان سليم ، وأمره بقتل حسين الكردي فنصره الله عليه وأُخِذَ الأمير حسين الكردي مُقَيَّدًا من مكة إلى جدة ورُبِط في رجله حجر كبير وغُرِّقَ في بحر جدة في موضع يقال له (أم السمك) فأكلته الأسماك بعد أن كان من الأملاك ، وتفرق في البلاد جنوده وأعوانه بَدَدًا ، (ووجدوا ماعَمِلُوا حاضرًا ولايظلم رَبُّك أحَدًا) كذا في تاريخ القطبي[1] .

(١) يقصد تاريخ مكة « الاعلام بتاريخ البلد الحرام » لقطب الدين النهروالي المكي . وهو مطبوع .

مواضع تاريخية في عالية نجد

— ١ —

(قامت) (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) بنشر كتاب « عالية نجد » أحد أجزاء «المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية » تأليف الأستاذ سعد بن عبد الله بن جنيدل .

وسيصدر قريبا القسم الأول منه . وهو يقع فى ثلاثة أقسام .و يتحدث عن ١٦٣٧ موضعا . نورد هنا الأسماء الواردة فى (باب الكاف) ليطلع القراء على النهج الذى سار عليه المؤلف الكريم فى هذا الكتاب) : —

الكَاهِلَةُ : بكاف بعدها ألف ثم هاء مكسورة ثم لام مفتوحة وآخره هاء : ماءٌ حلو ، قديم ، واقع في الجهة الشرقية من جبل دمخ . معروف بهذا الاسم قديماً ، وهو من مياه عمرو بن كلاب قديماً . أما في هذا العهد فإنه من مياه قبيلة الشيابين التابعة لإمارة الخاصرة .

قال ياقوت : قال أبو زياد : من مياه عمرو بن كلاب الكاهلة .

وقال الهمداني : مياه دمخ الكاهلة والغدرة ، والبيضاء ماءٌ رواءٌ .

كَبِدٌ : بفتح الكاف وكسر الباء الموحدة ، وآخره دال مهملة . هضبة لونها بني ، تحف بها برقة ، واقعة في بلاد المجضع (المضجع) شمالاً من الأروسة ، وفيها دارة معروفة ، وفي الجنوب منها ماء يدعى الكبدي وهي في بلاد قبيلة المقطة والنفعة من عتيبة ، معروفة بهذا الاسم قديماً ، وهي في بلاد بني كلاب .

قال ياقوت : كبد بالفتح ثم الكسر ، وكبد كل شيء وسطه ، وكبد الوهاد : موضع في سماوة كلب ذكره المتنبي في قوله :

روامي الكفاف وكبد الوهاد   وجار البويرة وادي الغضا

وكبد أيضًا : هضبة حمراء بالمضجع في ديار كلاب .

وكبد أيضًا : قنة لغنيّ ، قال الراعي :

عدا ، ومن عالج ركن يعارضه عن اليمين وعن شَرقيه كَبد

ودارة كبد : موضع لبني أبي بكر بن كلاب .

وبالقرب من كبد ماءة لغنيٍّ يقال لها مِذْعا وفيها يقول الغنويّ :

تربّعت ما بين مِذْعا وكبدْ

قلت : كبد الواقعة في سماوة كلب لا تزال معروفة ، يقال لها كبد ، واقعة شرق بلاد الجوف .

أمّا كبد الواقعة في المضجع ، في بلاد بني كلاب فإنها لا تزال معروفة باسمها ، وهي التي نتحدث عنها .

وأمّا كبد الواقعة في بلاد غنى فإنها غير معروفة في هذا العهد ، وكذلك ماء مذعا المذكور معها .

ودارة كبد لا تزال معروفة ، واقعة في هضبة كبد التي سبق ذكرها .

وكبد واقعة جنوباً من بلد عفيف على بعد مائة وخمسة وستين كيلاً تابعة لإمارتها .

وكبد أيضًا : جبل أسود ، ويدعى كبد البياض ، ذكره الهمداني بهذا الاسم ، ويعرف في هذا العهد باسم كباد ، واقع شرق شمال بلاد الأفلاج ، في بلاد الدواسر .

الكَبْدِي : بفتح الكاف وسكون الباء الموحدة ثم دال مهملة مكسورة بعدها ياء مثناة : ماء قديم مر ، عدة آبار متح ، يقع في شمال المجضع (المضجع) فيما بين ماء البديّعة . وماء الحفيّرة ، شمال هضبة كبد ، في بلاد أبي بكر بن كلاب قديماً .

واقع في بلاد قبيلة المقطة وقبيلة النفعة من برقا من عتيبة ، وهو خاصّ لقبيلة الفاتنة من النفعة ، تابع لإمارة عفيف ، يبعد عن عفيف جنوباً مائة وستين كيلاً .

كَبشَاتُ : بكاف مفتوحة وباء موحدة مفتوحة وشين معجمة بعدها ألف ثم تاء مثناة ، جمع كَبْشة : وهي أجبل سود آخذ بعضها بأعقاب بعض ، معترضة من الجنوب الشرقي صوب الشمال الغربي ، وتتكون من ثمانية أجبل ، وفيها ماء عدّ يقال له كبشان ، وقد عمرت فيه هجرة لقبيلة المراشدة من الروقة من عتيبة .

وتقع كبشات في بلاد الوضح داخلة في حمى ضرية قديماً ، شمال هضبة شرثة (ثهمد) . وفي ناحيتها الشمالية الغربية دارة معروفة قديماً وحديثاً ، ويليها من الشمال هضاب البكري ـ البكرة قديماً ـ وفيها ماء ، وتراها ببصرك وأنت تسير على طريق السيارات المسفلت حذاء جبل النير ، بين بلدة القاعية وبلدة عفيف ، تراها شمالاً من الطريق ومن بلدة القاعية ، وهي في بلاد الروقة التابعة لإمارة الدوادمي ، وتقع بالنسبة لمدينة الدوادمي غرباً شماليًّا . وإيَّاها يعني الشاعر الشعبي سعد بن إبراهيم ابن جريس وقد ذكرها بلفظ مفردها :

يـاعينْ يـاللِّي تَسْبِر الرِّيعْ وتوِيقْ　　　أبي عَسَى سَلْم المَنَاهِيجْ يَنْقَادْ
اللهْ علَى اللِّي يمرِق الخدّ تمرِيقْ　　　لِهْ بينْ كبْشَهْ وايْسَرْ النيرْ مَجْلَادْ

وقال الشاعر باني آل باني :

تَقَاضَبوْا مِنْ خَشِم كَبْشَهْ إلى النِّيْر　　　وبيُوتهمْ يمّ الحَنَابحْ تبنَّا

أما قديماً فإن كبشات واقعة في بلاد الضِّباب .

قال الأصفهاني : مياه الضباب ، معروف ، وهو بجبل يقالُ له كبشات .

وقال في ذكر جبال بلادهم : وكبشات وهن أجبلٌ ، كبشة لبنى جعفر ، وكبشة لبني لقيطة ، وكبشة للضباب .

وقال في ذكر أعلام الوضح بعد ذكر قطيّات ووصفهن : وهؤلاء

الهضاب يناوحهن هضب بالوضح يسمّى العرايس، وعمود من الهضب يقال له الأقعس .

إلى جنب أجبل سود عظام للضباب يقال لهن كَبَشَات ، وهذا كله بالوضح ، وضح الحمى .

وقال ياقوت : كَبَشَات بالتحريك وشين معجمة ، وآخره تاء، جمع كبشة : أجبل في ديار بني ذؤيبة ، بِهِنَّ هراميت ، وهي آبار متقاربة ، وبها البكرة وهي ماءة لهم وأنشد أبو زياد :

أحمى لها الملك جنوب الرّيان وكبشات فجنوبيْ إنسان

قال الأصمعي : ومن أسماء الجبال التي بالحمى كبشات ، وهن أجبل ، كبشة لبني جعفر ، وكبشة لقيطة وهي لغنيّ ، وكبشة الضباب.

قلت : ذكر ياقوت أن هراميت واقع في كبشات ، وكذلك البكرة ، والواقع أن هراميت يقع في وادي هرمول (الريان قديماً) شمال كبشات . أما البكرة فهي خارجة منها شمالاً في هضاب حمر ، قريبة منها .

كَبْشَانُ : بفتح الكاف وسكون الباء الموحدة وشين معجمة بعدها ألف ثم نون ، نسبة إلى أجبل كبشات : ماءٌ عذب عدّ قديم ، يقع بين سنفان حمر في وسط كبشات ، وسيله يفيض شمالاً ويدفع في وادي نومان . وقد أكثر شعراء الشعر الشعبي من ذكره بهذا الاسم ، قال بعضهم يذكر حلاوة مائه :

قَالوْا وَرَدْنا الحُلوْ والحُلوْ كَبْشَانْ والحُلوالآخَرْ مَا الزُّحَيْف وضريةْ

ويقول محمد بن بليهد من قصيدة له :

قفّوْا ومَرّوْا كشبْ والخالْ وابْقَارْ ومثلّثهْ واجْلَهْ وكَبْشَانِ والنّيرْ
لَعَلْ يِسْقِي دَرْبِهِمْ عَذْب الامطَار تِنْثِرْ عَزَالِيهْ المُزُوْن المزابِيْر

ويقول عبد الله بن سبيل :

مِضْيافهِنْ كَبْشَانْ لِلبَدْو مَشْهاةْ ... الى كَنْ مِزنْ الصّيفْ بِقـرانْ حَادي

وفي هذا الماء تأسّست هجرة قديمة ، سكنها قوم من قبيلة المراشدة — واحدهم مرشدي — من الروقة من عتيبة ، وهاجر معهم فيه قوم من العضيان — واحدهم عضياني — جماعة ابن بديد من الروقة من عتيبة ، غير أن هؤلآء الأخيرين لم تطل إقامتهم فيه ، فقد ارتحلوا منه ، أما المراشدة فقد استقروا فيه ، ولا يزالون إلى هذا العهد ، وهجرتهم عامرة وفيها مدرسة ابتدائية للبنين ، وأميرهم سلطان أبو خُشَيم ، وقد ذكرها عبد الله الزامل في كتابه «أصدق البنود» في عداد هجر عتيبة .

وهذه الهجرة تابعة لإمارة الدوادمي ، وكبشات التي يقع فيها ماء كبشان محددة وموصوفة في رسمها . ويبدو لي أن ماء كبشان هو الماء الذي ذكره صاحب كتاب «بلاد العرب» باسم معروف ، وقال إنه في كبشات ، لأن كبشان ماءٌ قديم وشهير ، ولم يرد له ذكر في المعاجم القديمة بهذا الاسم ، وهو من مياه الضِّباب قديماً وداخل في حمى ضرية .

كُتْنَةُ : بضم الكاف وسكون التاء المثناة ، ونون موحدة مفتوحة ، وآخره هاء : عد قديم ، ماؤه مر ، يقع صوب مطلع الشمس من حصاة قحطان العليا ، حصاة آل عليان ، وفيه قصيرات ومساكن لآل عاطف من قحطان ، تابع لإمارة القويعية .

وقد ذكر الهمداني موضعًا بهذا الاسم ، غير أنه واقع في بلاد اليمن بعيدًا من هذا الموضع .

كُتَيْفَةُ : بضم الكاف وفتح التاء المثناة بعدها ياءٌ مثناة ساكنة ثم فاءٌ موحدة مفتوحة ، وآخره هاءٌ ، صيغة تصغير : جبل غير كبير ،

أسود يقع بين جبل أثلث وبين جبل الخوّار ، شمالاً شرقيًّا من دمخ ، في بلاد عمرو بن كلاب ، معروف بهذا الإسم قديماً . قال ياقوت :

قال أبو زياد : من مياه عمرو بن كلاب كتيفة ، وقال أبو جابر الكلابي :

أيا نخلتي وادي كتيفة حبّذا ... ظلالكما لو كنت يوماً أنالها
وماؤكما العذب الذي لو شربته ... شفى غلّ نفس كان طال اغتلالُها
معنىً على طول الهيام غليلةُ ... بذكر مياه ماينالُ زلَالُها

وكتيفة هذه واقعة في بلاد قبيلة العصمة من عتيبة ، التابعة لإمارة الدوادمي ، وعندها ماءٌ مر لم .

كتيفة أيضًا : هضيبة واقعة في أعلا وادي مبهل ، شمالاً شرقيًّا من بلدة مسكة ، واقعة في البلاد التابعة لإمارة القصيم ، وقد كتب عنها الشيخ محمد العبودي في معجمه .

كتيفة أيضًا : هضيبة صغيرة ، تقع بالقرب من جبل رخام ورخيم شرق المهد ، في البلاد التابعة لإمارة المدينة المنورة .

كُتَيْفَان : بضم الكاف وفتح التاء المثناة وسكون الياء المثناة ، وآخره ألف بعدها نون : ماءٌ مر ، واقع في غربي نفود عرق سبيع ، غرباً شماليًّا من حوضى ، وهو لقبيلة سبيع ، تابع لإمارة مكة المكرمة ، عن طريق مركز الخرمة .

كَرْشٌ : بفتح الكاف وسكون الراء المهملة ، وآخره شين معجمة : جبل أسود كبير ، يقع غرباً جنوبيًّا من جبل الزيدي ، وجنوباً من الصّخة ، وفيه ماء ، وهو في ملتقى بلاد قبيلة المقطة ببلاد قبيلة الشيابين من عتيبة ، تابع لإمارة الخاصرة .

وكرش معروف بهذا الاسم قديماً وفي هذا العهد .

قال الأصفهاني : الكرشة ماءة لبني قريط حذاء كرش ، وكرش جبل عظيم أحمر ، ليس له شبيه وهو لبني قريط ، قالت امرأة :

أرى كرشا أرْمى بأعظم صَخرة لَهُنِّيَ إنْ صابَرتُها لَصَبُورُ
فَهلْ تُنجينِّيٌّ من قُرَيش عصابة كأنَّهمُ فوقَ الرِّحال صُقورُ

وقال ياقوت : قال أبو زياد الكلابي : ومن جبال أبي بكر بن كلاب الكرش ، وكرش يؤنث في الاسم ويذكر ، فمن شاء قال هذا كرش ؛ ومن شاء قال هذه كرش ، فأما كرشوان (؟) فلا تذكر ، قال : ولا يُعرف في بلاد بني كلاب جبل أعظم من كرش .

الكَشَّاشِيَّةُ : بفتح الكاف وتشديد الشين المعجمة ثم ألف بعدها شين معجمة ثانية مكسورة ، ثم ياء مثناة مشدّدة مفتوحة ، وآخره هاء : هضبة حمراءُ صغيرة وعندها ماء ، واقعة في ناحية الأسودة الشرقية الشمالية ، شمالاً من ماء ملية ، في بلاد قبيلة العصمة التابعة لإمارة الدوادمي واقعة غرباً من مدينة الدوادمي .

الكَشَّاشِيَّةُ : هضيبة حمراء صغيرة ، واقعة في ناحية شَعْبَا الشرقية الشمالية ، شرق مطيوي العساكر ، في أودية يقال لها السِّمقان ، ولهذا يقول لها البعض : كشَّاشية السِّمقان ، وهي في البلاد التابعة لإمارة القصيم .

الكُشَيْمِيَّةُ : بضم الكاف وفتح الشين المعجمة وسكون الياء المثناة وكسر الميم ، ثم ياءٌ مثناة ثانية مشددة مفتوحة ، وآخره هاء : ماءٌ عذب واقع في هضاب العريف لقبيلة العصمة من عتيبة ، تابع لإمارة القويعية .

كُعَيْبٌ : بضم الكاف وفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة ، وآخره باء موحدة ، تصغير كعب : جبل أحمر كبير ، يقع غرب جبل فرقين قريباً منه ، وجنوباً من هجرة بلغة ، وشمال هجرة الحسو على بعد

خمسة وأربعين كيلاً تقريباً ، في ملتقى بلاد حرب ببلاد مطير ، التابعة لإمارة المدينة المنورة .

وفيه يقول شاعر من مطير :

الدّربْ خَشْم كُعَيْبْ وادْنى ضَرَابِينْ ومن عندْ عَاجْ لْيَا ركَزْعَظِمْ سَاقهْ

كُفٌّ : بكاف مضمومة وفاء موحدة مشدّدة : جبل يقع جنوباً غربياً من جبل عسعس ،يحف به رمل العريق من الغرب ، وعنده بئر ماؤها مر ، وهو لقبيلة الغبيّات – واحدهم غبيوي – من قبيلة الروقة من عتيبة ، وهو في البلاد التابعة لإمارة عفيف ، ويبعد عن بلدة عفيف شمالاً شرقياً خمسة وسبعين كيلاً .

وقد ورد في كتب المعاجم القديمة بزيادة همزة في أوله : أكف .

قال الأصفهاني ، يذكر مواضع بلاد بني الأضبط : العكلية وهي من الجديلة مهبّ اليمانية ، إلى قُرانين إلى شعر إلى أكف إلى البزي .

والواقع أن جبل كف قريب من شعر واقع عنه شمالاً ، وقريب من قرانين والعكلية . وهذه الأعلام معروفة بأسمائها لم تتغير .

الْكِفْلُ : بكاف مكسورة وفاء موحدة مكسورة وآخره لام : حشاش سود ، واقعة جنوباً من وادي الأرمض ، في أيمن وادي الركا ، يمر مجرى الركا بينها وبين جبل البدر ، في بلاد قبيلة قحطان ، التابعة لإمارة القويعية .

كُفَيْفَةُ : بضم الكاف وفتح الفاء الموحدة وتكريرها ، وآخره هاء ، تصغير كفّة : خبراء واسعة تجمّع فيها مياه السّيول وتلبث وقتاً يردها البدو بمواشيهم ، واقعة في ناحية جبل كفٌّ الشرقية ، في بلاد قبيلة الروقة التابعة لإمارة عفيف ، وتبعد عن بلد عفيف شمالاً شرقيّاً خمسة وسبعين كيلاً ، وسمّيت بهذا الاسم نسبة إلى جبل كُفّ وقديماً

كانت هذه البلاد لقبيلة الضباب ، وكُفّ يذكر بزيادة همزة في أوله .

وقد ورد ذكر هذه الخبراء باسم نِهى الأكفّ ، نسبة إلى جبل أكفٌ الذي تقع في جانبه ، قال ياقوت : النِهيُ الغدير حيث يتحيّر السيل ، ونَهيُ الأكفُّ ، بكسر النون وتفتح والهاء ساكنة ، والياء معربة ، بوزن ظبي ، والأكف جمع كفٌ ، وهو موضع في قوله :

وقلتُ تبيّن هل ترى بين ضارج ونهْي الأكفّ صارخا غير أعجما

الكُفِيّةُ : بضم الكاف وفاء موحدة مكسورة وياء مثناة مشدّدة مفتوحة ، وآخره هاء ، نسبة إلى كفٌ مؤنثة ، وهي ماء مر ، يقع في دارة في ناحية جبل كف الشمالية الشرقية ، وهو من مياه الضباب قديماً ، أما في هذا العهد فإنه لقبيلة الغبيّات – واحدهم غبيوي من قبيلة الروقة من عتيبة ، تابع لإمارة عفيف ، يبعد عن بلدة عفيف شمالاً شرقيًا اثنين وسبعين كيلاً . انظر رسم كفٌ .

كُلَاوَاتُ : أوله كاف مضمومة ثم لام بعدها ألف ثم واو بعدها ألف ثم تاء مثناة ، جمع كليوة ، تصغير كلية ، والبدو يقلبون الياء ألفاً في التصغير ، وينطقون المثنى بصيغة الجمع غالباً : وهما هضبتان حمراوان ، صغيرتان متناوحتان ، قريبتان من جبل ساق ، واقعتان غرباً من هجرة ثرب على بعد عشرين كيلاً تقريباً ، يمر بهما طريق المدينة المنورة من عفيف ، وعندهما ماءٌ لقبيلة مطير بني عبد الله ، تابع لإمارة المدينة المنورة ، وهذا الماءُ مر ، ويسمّى كلية ، تصغير كلية .

كُلَيَّةُ : بكاف مضمومة ولام مفتوحة ثم ياء مثناة مشدّدة مفتوحة وآخره هاء ، تصغير كلية : ماءٌ قديم مر ، يقع شمالاً من هضاب كلاوات ، غرب هجرة ثرب على بعد اثنين وعشرين كيلاً تقريباً ، في بلاد مطير بني عبد الله لذوي ميزان منهم ، تابع لإمارة المدينة المنورة

كُلَاوَان : بكاف مضمومة ثم لام بعدها ألف ، وبعد الألف واو ثم ألف بعدها نون ، تصغير كلوان ، والبدو يقلبون الياء ألفًا في التصغير ، فيقولون لكليوان كلاوان ، وهو جبل يقع شمالاً شرقيًا من الجثوم ، وشمالاً غربيًا من ماء المكلاة يرى منها بالبصر ، منسوب إليها في ضفة وادي المياه ، في بلاد المغايرة – واحدهم مغيّري – من الروقة من عتيبة التابعة لإمارة عفيف ، ويبعد عن بلدة عفيف شمالاً ثمانية وثمانين كيلاً .

كُمَدَةُ : بكاف مضمومة وميم مفتوحة وآخره هاء ، وتنطق بسكون الكاف ، مسبوقة بالهمزة مكسورة – : وهي قرية زراعية قديمة من قرى وادي الدواسر ، واقعة في بطن الوادي بين قرية الشرافا وقرية تمرة ، وسكانها الحقبان من التغالبة .

ويبدو لي أنها هي القرية التي كانت قديماً تسمّى الحليفة ، ذكرها الهمداني وقال : إنّها في وسط الغضا وذكرها بقرب تمرة ، وهذا الوصف ينطبق على قرية كمدة ، واسم كمدة غير معروف في هذه البلاد قديماً .

وهي قرية عامرة فيها مدرسة ابتدائية للبنين ، تابعة لإمارة وادي الدواسر .

الكَوْدَةُ : بفتح الكاف وسكون الواو ، وفتح الدال المهملة ، وآخره هاء : هضبة حمراء ، ملتفة حول بعضها ، لها قمة عالية ، منيعة الجوانب ، تقع في براح من الأرض ، تراها ببصرك وأنت تسير على طريق السيارات المسفلت بين بلدة القاعية وبلدة عفيف ، شمال الطريق ، شرقاً من هضب أم المشاعيب ، وغرباً من هضب العرايس ،

وهي من أعلام بلاد الوضح ، وفيها يقول الشاعر الشّعبي :

شدّوْا من الكودَهْ على ام المشَاعِيبْ تَلْقى لهمْ يَمّ العَرَايِشْ مْراح

قال أبو علي الهجري : بين قطيات وبين العرائس جبل يقال له عمود الكود ، وهو جبل فارد طويل .

وقال الأصفهاني : ومن مياه بني جعفر الصّفية والنامية والأبرقان ، وعمود الكود ، وهو جرور أنكد ، والجرور البعيد القعر ، والأنكد العسر المتعب للسقاة .

قلت : قوله وهو جرور أي ماء الكود الواقع إلى جانب عمود الكود .

وقال ياقوت : كَوْد : بالفتح مصدر كاد يكود كودا ، ماءٌ لبني جعفر وقيل : جبل ، وأنشد : مثل عمود الكودلابل أعظما .

والعمود : هضبة عظيمة حذاء الكود .

أما في هذا العهد فإنها واقعة في بلاد العضيان من الروقة من عتيبة تابعة لإمارة عفيف وتبعد عن بلدة عفيف شرقاً خمسة وستين كيلاً .

كُوَيْكِبُ : أوله كاف مضمومة ثم واو مفتوحة ، بعدها ياء مثناة ساكنة ثم كاف ثانية مكسورة ، وآخره باء موحدة ، كأنه تصغير كوكب : هضيبتان حمراوان صغيرتان متناوحتان ، إحداهما قريبة من الأخرى ، تفصل بينهما أرض سهلة ، وفي ناحيتهما الشمالية الغربية هضبة حمراءُ صغيرة منطرحة في الأرض نائية قليلاً منهما تسمّى صفاة كوكب ، ويذكره البعض بصيغة الجمع فيقولون له كويكبات وعنده خبار معروفة تسمّى خباري كويكب ، واقع في عبلة مرتفعة ، غرباً من بطن الرشا محاذياً لخشوم الأسودة الشرقية الشمالية ، وهو معروف بهذا الاسم قديماً وفي هذا العهد ، ويرى محمد بن بليهد أنه هو الموضع الذي قتل فيه زيادة بن زيد بن مالك الحارثي .

قال في كتابه : كويكب جبل أحمر صغير على ضفة وادي الرشا الغربية بين ثهلان والخوار ، وهذا اسمه القديم ، وبه يوم من أيام العرب ، وقتل عند هذا الجبل زيادة بن زيد بن مالك الحارثي ، قتله هُدْبة ابن خَشْرم العذري فقال ابنه مِسْور بن زيادة :

أبعد الَّذي بالنَّعف نعف كويكب رهينة رَمس ذي تراب وجندل
أذكرٌ بالبُقيا على مَن أصابَني وبُقياي أنيّ جاهد غيرُ مؤتل

وهو في ملتقى بلاد غني ببلا دباهلة وبني نمير قديماً .

أما في هذا العهد فإنه في بلاد قبيلة العصمة من عتيبة ، التابعة لإمارة الدوادمي ، ويبعد عن مدينة الدوادمي غرباً ستين كيلاً تقريباً .

كُوَيْكِبُ أيضًا كالذي قبله : هضبتان صغيرتان حمراوان ، واقعتان في جمش فيه خباري وجباوة – الواحد جبو – وهي حفر وصلوع تكون في الصَّفا ، تكون عميقة تملؤها مياه الأمطار ، ويردها الناس ، وهو واقع جنوباً من جبل كرش ، وجنوباً من هضبة أذن قريباً منها ، في أعلا وادي دهو ، وفيه رس ماء . في بلاد أبي بكر بن كلاب قديماً ، أما في هذا العهد فإنه لقبيلة المقطة من عتيبة ، التابعة لإمارة عفيف .

كويكب أيضاً كالذي قبله : قرية تقع عن مدينة رنية جنوبًا غَربيًّا على بعد سبعة أكيال تابعة لإمارتها ، وسكانها من قبيلة المجامعة من سبيع .

الكَهْفَةُ : بكاف مفتوحة وهاء ساكنة ثم فاء موحدة مفتوحة وآخر هاء : خبراء ، كبيرة معروفة ، واقعة في المجضع (المضجع) جنوباً من ماء البُديّعة ، في جانب رملة الحريّرية من الشمال ، وفي ناحيتها أبرق يسمّى أبرق الكهفة ، وفيما بينها وبين رمل الحريّريّة

ماءٌ مر ، عدّ قديم ، عثر عليه رجل اسمه خويتّم تصغير خاتم فاحتفره وعمره فسمّى خويتمة نسبة إليه ، وخويتّم من قبيلة النفعة من عتيبة .

وفي ناحيتها الشمالية ماءٌ مرّ ، يسمّى ملحة ، لقبيلة النفعة ، وهي واقعة في البلاد التابعة لإمارة عفيف ، وتبعد عن بلدة عفيف جنوبًا مائة وخمسة وثمانين كيلاً . في بلاد قبيلة النفعة وقبيلة المقطة من برقا من عتيبة .

وكان اسم الكهفة قديماً يطلق على ماء من مياه بني أبي بكر ابن كلاب ، واقع في هذه الناحية حدده أصحاب الكتب القديمة قريباً من خبراء الكهفة ، وقد تغير اسمه، وانتقل منه إلى هذه الخبراء ، وربما كان هو أحد المياه القديمة الواقعة في ناحيتها ملحة أو خويتمة .

قال الأصفهاني : البجادة والكهْفَة والحصّا ، لكعب بن عبد الله وهي مياه متح في فلاة من الأرض ، ثم الأرأسَة ماءة لبني أبي بكر ، لكعب بن عبد الله .

وقال أبو علي الهجري: العضاة بالمضجع بكسر الجيم ، وإلى جانبها الأروسة ، وزن العروسة ، والكهفة قربها ، وأنشد :

رعَتْ خصافا ، فرعَتْ مَنيَّا فالرّمل ، لا ترى به إنسيّا
حتّى إذا جرّمت الشّتيّا وعاد نبت أرضها لَـويًّا
تذكرت من كَهْفَة الطَويّا وعطنا أفيحَ مَضْجعيّا

– بكسر الجيم ، وهو المضجع للبلد ، منسوب إلى المضجع .

قلت : يتضح مما تقدم أن ماء الكهفة القديم قريب من الأرأسة وأنه في بلاد المضجع وهذا التحديد ينطبق على خبراء الكهفة والمياه الواقعة في ناحيتها ، فهي كذلك مياه متح في فلاة من الأرض ،

«تاريخ الإسلام» للذهبي
وموقف مركز إحياء التراث منه

— ٢ —

تَحَدَّثْتُ — فيما سبق [1] — عن التحريف الواقع في كتاب « تاريخ الاسلام » للحافظ الذهبي ، الذي قام (مركز تحقيق التراث) في القاهرة بالإشراف على تحقيقه .

وأواصل الحديث بإيراد (نماذج) لأخطاء ذلك (التَّحْقيق) وقع نظري عليها ، غير مراع الترتيب عند ذكر الصفحات .

— ص ١٥٥ : (أنَّ لي ديرا من ذهب . . . والدير بلسان الحبشة الجبل) وفي الهامش : (كان الأَصل دبر ذهب قد صححنا العبارة عن ابن هشام) .

وأقول كلمة (دير) هنا صوابها (دَبْر) بالدال المهملة والباء الموحدة بعدها راءٌ ، وهو الجبل .

وقد ذكرت في كتاب « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » مانصه [2] :

دَبْر — بفتح أوله وسكون ثانيه وبالراء المهملة — قال البكريُّ جبل في ديار غطفان قِبَلَ الجِناب ، قال أرطاة بن سُهَيَّة :

تعسَّفن الجِنابَ مُنَكَّبَات ذُرا دَبْر ، يُعَاوِلْنَ النَّذيرا

(١) مجلة « العرب » س ١٢ ص ٨٥٣ - ٨٧٧

(٢) « معجم ما استعجم »

وقال ياقوت[1] : دبر جبل جاء ذكره في الحديث قال السكوني :
هو بين تيماء وجبل طيء .

أما قول ياقوت : دبر جاءَ ذكره في الحديث ، فهو يقصد ماأورده ابن الأثير في « النهاية » :

وفي حديث النجاشي : ماأُحِبُّ أن يكون دَبْرَى لي ذهباً وأنّي آذَيْتُ رجلا من المسلمين . وقال في شرحه :

هو بالقصر اسم جبل ، وفي رواية ماأُحِبُّ أن لي دَبْرًا من ذهب . الدَّبْرُ بلسانهم الجبل ، هكذا فُسِّرَ ، وهو في الأُولى معرفة ، وفي الثانية نكرة . انتهى وزاد في « اللسان » : وقال الأزهري : ولا أدري أعربيٌّ هو أم لا ؟ انتهى .

وأستبعد أن يقصد النجاشي الجبل الواقع في بلاد طيّءٍ أو أيّ موضع في بلاد العرب لجهله بها .

وعَدَّ ياقوت[2] دُبْرًا من الجبال الواقعة بين الجبلين وتيماء : (دَبْر وغريان[3] وغسل) .

١٠٦ ــ ص ١٥٤ ــ في ذكر من شهد بدرا : (كعب بن عمرو أبو اليسر السلمي) .

وهما اثنان : (كعب بن عمرو ، وابو اليسر السلمي)

١٠٧ ــ ص ١٣٤ : (من بطون قريش منهم عوف بن نوفل وعمرو ابن العاص) وفي الهامش : (في الأصل عوف ولم نجد له تعريفا .

والصواب : (منهم عكرمة بن نوفل ، وعمرو بن العاص)

١٠٨ ــ ص ١٣٧ : (ظنَّ سعد أنه يستنطق الأنصار شفقاً أن

---

(١) « معجم البلدان » .
(٢) « معجم البلدان » .
(٣) غريان : صوابه عرنان .

لا يَسْتَجْوِدوا معه ، وقال : أن لا يستخلبوا معه على مايريد) وفي الهامش (في الأصل : أن لا يستجلبوا . والتصحيح لكي يتلاثم الكلام مع يستجودوا) !

كلما (يستجودوا) و (يستخلبوا) التي غيّر بها المصححون كلمتي (يستحوذوا) و (يستجلبوا) غير صحيحتين والصواب : ان لايستَحْلِبوا معه – بالحاء المهملة – كما في « الفائق » للزمخشري و « لسان العرب » « عن النهاية » لابن الأثير .

١٠٩ – ص ٢٦١ – : (وقال أبو اسحاق الفواري عن حميد عن أنس) في خبر الخندق

وهو ابو اسحاق الفزارى – بالزاي والراء .

١١٠ – ص ٢٦٢ : (حدثنا عوف الأعرابي عن ميمون بن استاد الزهراني قال حدثني البراء بن عازب) في خبر الخندق . .

أُستاذ – بالذال – كما في « تهذيب التهذيب » و « الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم .

١١١ – ص ٦٦ : (أبو عبد [الله] بن أحمد) وهي : (أبو عبدالله محمد بن أحمد) ومحمد هو اسم المصنف الذهبي .

١١٢ – ص ٦٦ : (الحمد [لله] [أ] توكل عليه) والصواب : (الحمد لله الباق بعد فناء خلقه ، الكافي من توكل عليه) كما في إحدى المخطوطات .

١١٣ – ص ٦٦ : (وحرزا للآمنين)

والصواب : (وحرزًا للأُمِّيّين) وفي القرآن الكريم : (هُوَ الَّذي بَعَثَ في الأُمِّيِّين رَسُولاً مِنهُم)

١١٤ ـ ص ٦٦ : (وآنس تبيان وآية برهان)

والصواب : (وأيسر تِبيَان ، وأبدع برهان) كما فى إحدى المخطوطات

١١٥ ـ ص ٦٧ : (من الخلفاء والقراء) .

والصواب : (من الخلفاء والأُمراء والقراء) كما فى الخطيّة .

١١٦ ـ ص ٦٧ : (ومعرفته طبقاتهم) . وهي : (ومعرفة طبقاتهم) .

١١٧ ـ ص ٦٧ : (والعجائب المشهورة) وفي المخطوطة : (والعجائب المسطورة) .

١١٨ ـ ص ٦٧ ـ (وبعض تاريخ أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة) .

والصواب : (وبعض تاريخ أبي بكر أحمد بن أبي خيثمة) .

١١٩ ـ ص ٦٨ : (وتاريخ الفضل بن غسان الغلابي) .

والصواب : (وتاريخ المفضل بن غسان الغلابي) كمـا تاريخ بغداد (١٣-١٢٤)

وفى « التاريخ الصغير » للبخاري ـ ٢ ـ ٣٤٠ ـ :غسان بن الْمُفَضَّل ابن عمرو بن خالد بن غَلّاب ، من بني نصر بن معاوية توفي سنة ٢١٧ ـ ويظهر أن هذا أبو صاحب التاريخ .

١٢٠ ـ ص ٧٠ : (وتاريخ القاضى شمس بن خِلكان) .

وهو : (وتاريخ القاضى شمس الدين ابن خلكان)

١٢١ ـ ص ٧٠ : (مرآة الزمان للواعظ شمس الدين يوسف ابن الجوزي) .

والمعروف (يوسف سبط ابن الجوزي) إذ هو مؤلف كتاب « مرآة الزمان » وهو ابن بنت ابن الجوزي العالم المعروف.

١٢٢ ـ ص ٧١ : (فأوفى يهودى على الحرة) .

ـ والصواب : (فأوفى يهودي على أُطُم على الحرة) .

١٢٣ ـ ص ٧١ : (هذا جدكم الذي تنظرون) .

والصواب : (تنتظرون) كما في « صحيح البخاري » وكما في إحدى النسخ المخطوطة .

١٢٤ ـ ص ٧١ : (فسار المسلمون إلى السلاح) .

والوجه : (فثار المسلمون إلى السلاح)

١٢٥ ـ ص ٧٢ : (لاثنتي عشرة خلت) في موضعين .

الوجه : (لاثنتي عشرة ليلة خلت) في الموضعين .

١٢٦ ـ ص ٧٣ : (وكان المسجد فيما قال عمرو [و] موسى ابن عقبة .

والصواب : (وكان [مكان] المسجد فيما قال بوسى بن عقبة)

١٢٧ ـ ص ٧٣ : (وغلط ابن سندة فقال : كان لسهل وسهيل ابني بيضاء) .

والصواب : (وغلط ابن منده) كما هو معروف .

١٢٨ ـ ٧٣ : (رافع بن النَّجار) .

وهو : (رافع بن عمرو ، من بني النَّجَّار)

١٢٩ ـ ص ٧٤ : (فتلقاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو فدعوه إلى النزول فيهم) .

والقاعدة : (فدعواه) و (فيهما) لأن المتلقِّيَيْن هنا اثنان ، وصواب الجملة ـ كما في كتاب « السيرة النبوية » لابن هشام[1] : (وفروة ابن عمرو ، في رجال من بني بياضة) وبهذا يَصِحُّ النَّصُّ .

---

(١) ٢ ـ ١٤٠ ط : الحلبي .

١٣٠ ـ ص ٧٧ ـ (فقالوا : أشرنا وابن شرّنا) وفي الهامش : (كذا بالأصل) .

والصواب : (شرّنا وابن شرّنا) ويظهر أن الألف واحدة لكلمة (قالوا)

١٣١ ـ ص ٧٨ : (قال أبو التياح عن أنس) .

وهو : (قال أبو التّيَاح : عن أنس) .

وهو يزيد بن حميد الضبَعِي ، كما في « تهذيب التهذيب » : ١ - ٣٢٠ و١٢ - ٤٩ .

١٣٢ ـ ص ٧٨ : (تأمنوني بحائطكم . . . . قالوا : لا نطلب عنه إلا إلى الله) .

والصواب : (ثامنوني بحائطكم) من المثامنة .

١٣٣ ـ ص ٧٩ : (عن طلق بن علي قال : بنيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد المدينة ، فكان يقول : « قربوا اليمامي من الطّين ، فإنه من أحسنكم له بناء » وفي الهامش : (كذا في الأصل ولعل المراد المنسوب إلى بني يَمّ كما في « المحيط » ، لقول المتن بعده : فإنه من أحسنكم له بناء . وكان هذا الراوي البنّاء من اليمامة ، كما ورد مع اسمه عند الخزرجي « خلاصة أسماء الرجال ، وهذا هو التفسير الشافي) .

والصواب : (اليمامي نسبة إلى اليمامة وهو طلق بن علي السحيمي من الوفد الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمامة فأسلموا ـ و ترجمته في « الاصابة (٢ - ٢٣٢) وتهذيب التهذيب (٥ ـ ٣٣) طبقات ابن سعد (٥ ـ ٥٥٢) » وأسد الغابة » (٣ ـ ٩٣) ..

أما التفسير الأول الذي أتى به المحققون فإنه مع غرابته لامحل له ، مادام الرجل من أهل اليمامة

١٣٤ ـ ص ١٩٣ : (وانطلق أبو سفيان مسرعا ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين حتى بلغ قرقرة الكدر ففاته أبو سفيان ، فرجع) وفي

الهامش : ـ

عن قررة الكدر ـ : (هو واد بالمدينة ـ ياقوت في معجمه) .

لم يَقُلْ ياقوت إن قَرْقرة الكُدْر وادٍ بالمدينة ، إذْ هو ليس من أَوْدِيتها ، بل قال عنه أنه موضع قريب من المعدن بناحية الأَرْحضيّة بينها وبين المدينة ثمانية برد [نحو ٧٠ ميلا أو ١٤٠ كيلا] .

١٣٥ ـ ص ٨٢ : (إلا أوس وهم حي من الأوس) .

والصواب : (إلا أوس الله وهم حي من الأوس)

كما جاء في ص ٧٤ : (إلا ما كان من أوس الله ، فإنها وقفت مع ابن الأسلت) .

١٣٦ ـ ص ٨٢ : (أُرِيَ الأذانَ عبدُالله بن زيد وعمر بن الخطاب ، فشرع الأذان على ما رأينا)

والصواب : (. . . على ما رأيا) فهما اثنان.

١٣٧ ـ ص ٨٣ : (وقد روي أبو الدرداء ، الطيالسي عن سليمان ابن معاذ عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال : آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار) . وفي الهامش : (ورد عند ابن حجر : أبو الدرداء غير منسوب . قال بعضهم : عن أبي الدرداء الرهاوي وقال الذهبي : لا ندرى من أبو الدرداء، والخبر منكر لا أصل له ـ ابن حجر ، الإصابة) .

---

(١) « معجم البلدان » ـ قرقرة ـ كدر .

والصواب : (وقد روي أبو داود الطيالسي) ولا حاجة للتعليق ، فأبو داود الطيالسي من مشاهر المحدثين وخبر المؤاخاة ليس منكرا بل صحيح ، وكلام ابن حجر يفد به خبراً غيره .

١٣٨ ـ ص ٨٤ : (وكان في هذا القرب أبو قيس بن الأسلت) .

وكلمة (القرب) صوابها (القَرْنُ) أي العصر والزمن .

١٣٩ ـ ص ٨٦ : (وعقد ذلك معهم سيدهم) .

والوجه : (وعقد ذلك معه سيدهم) لأن الضمير يرجع إلى مفرد .

١٤٠ ـ ص ٨٧ : (المقداد بن عمرو النهراني)

وهو : (البهراني) من قبيلة بَهْرَاء ـ كما هو معروف ، والنسبة إليها على غير القياس .

١٤١ ـ ص ٨٧ : (عبيدة بن الحارث . . توفي بالصفر . وهو الذي بارز عتبة بن ربيعة) .

والصواب بالصفراء كما جاء ـ في ص ١٠٤ ـ : (وعبيدة بن الحارث الذى قطع رجل عتبة مات بعد يومين فى الصفراء) . والصفراءُ من أشهر الأودية القريبة من المدينة ، وبَدْرٌ يقع في هذا الوادي ـ في وسطه .

١٤٣ ـ ص ٨٨ : (وقال يونس عن ابن اسحاق : حدثني يزيد بن محمد بن خيثم عن محمد بن كعب القرظي قال حدثني أبوك محمد ابن خيثم المحازبي) .

والصواب : (وقال يونس بن أبي اسحاق : حدثني يزيد بن محمد ابن خُثيم عن محمد بن كعب القرظى ، قال حدثنى أبوك محمد بن خُثيم المحاربي) .

وهو يونس بن أبي اسحاق عمرو بن عبدالله الهمداني . . . توفي سنة ١٥٩ « تهذيب التهذيب » ١١ـ٤٣٣)

١٤٤ ـ ص ٩١ : (فتجمر ، وخرج معهم) .

والصواب : (فتجهز وخرج معهم) . إذلا معنى للتجمُّر هنا .

١٤٥ ـ ص ٩١ : (ردَّ أبا لبابة من الدوحاء) .

والصواب : (الروحاء) والروحاء موضع لا يزال معروفا ، يمُرُّ به المتجه إلى بَدْر وإلى مكة من المدينة ، بعد اجتياز قرية (الفُرَيش) ـ فَرْش ملل ـ وقبل الوُصُول إلى قرية (المُسَيْجيد) ـ الْمُنْصَرَفُ قديما ـ

١٤٦ ـ ص ٩١ : (فلما قرب النبي صلى الله عليه وسلم من الصفراء بعث اثنين يتجسسان أمـر أبي سفيان) وفي ص ٩٢ و ٩٣ : (اللذان بعثهما النبي (ص) يتجسسان ، وكذا في هامش ص ١٣٧

والصواب : في الموضعين (يتحسسان) بالحاء المهملة ، وفَرْقٌ بين التَّجسس ـ بالجيم ـ والتحسس ـ بالحاء ـ فالأول منهيٌّ عنه بنصّ القرآن الكريم .

١٤٧ ـ ص ٩٤ : (فعند صاحب الأحمر) .

والصواب : (فعند صاحب الجمل الأحمر) كما في كتب السيرة ، وبهذا يتضح المعنى .

١٤٨ ـ ص ٩٤ : (اللهم أحتفهم) وفي الهامش : احتفهم بمعنى أمتهم ـ ثم كلام يتعلق بكلمة حتف وبعده : وربما كانت العبارة : اللهم حتفهم الغداة . وقد ورد الفعل في الأصل : بالنون الموحدة . وذكر الخشني في غريب السيرة : أَحِنْهم أي أهلكهم) .

والصواب : (اللهم أحنهم) والحَيْنُ هو الموت ولهذا لا داعي لتغيير ما في لاصل أي أمتهم .

١٤٩ ـ ص ٩٤ (ابن رحصة) .

وهو : (ابن رحضة) بالحاء المهملة والضاد المعجمة وهو خُفاف ابن إيماء بن رَحْضَةَ ، صحابي جليل .

١٥٠ – ص ٩٥ : (هل لك إلى أن تزال) .

والوجه : (هل لك إلى أن لاتنزال) .

١٥١ – ص ٢٥٢ : (والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع) وفي الحاشية : (سلع بفتح أوله وسكون ثانيه ، وهي شقوق في الجبال ، وقال الأزهري : سلع موضع بقرب المدينة . والأسلاع طرق في الجبال يسمّى الواحد منها سلعًا (عند خط تقسيم المياه بين جبلين) ياقوت في معجمه) .

وأقول : سَلْع من اشهر جبال المدينة لايزال معروفا ، وقد بلغه البنيان وهو من دون جبل أُحُد .

ولا داعي لكل مافي الحاشية من كلام .

١٥٢ – ص ٩٦ : (وان كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا منه ماتريدون) .

الصواب : (وإن كان غير ذلك أكفاكم) بالكاف .

١٥٣ – ص ٩٦ : (فقم فانشد خفرتاك ومقتل أخيك)

وفي الهامش : (كذا في الأصل وفي ابن كثير ج ٣ ص ٢٧٠) .

والصواب : (فقم فانشد خفرتك ومقتل أخيك) .

١٥٤ – ص ٩٦ : (واستوثقوا على ماهم عليه من الشر)

وهي : (واستوسقوا) الخ .

والصواب : (فما وجدني الجيش بيضة تسعة من عِظَمِ هامته)وضمير تسعة عائد للرأس المذكور قبل هذا .

١٥٦ – ص ٩٧ : (ثم خفق صلى الله عليه وسلم فأتيته وقال : أبشر يا أبا بكر) .

وكلمة (فأتيته) صوابها : (فانتبه) .

١٥٧ – ص ٩٨ : (وكان أبو البَخنّري أكَفَّ القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام في نقض الصحيفة) والمقصود : أبا البَخْتَرِي ابن هشام بن الحارث ، المذكور في أول الكلام .

١٥٨ – ص ٩٩ : (فأخذت بيده وبدابته) والوجه :(فأخذت بيده وبيد ابنه) إذهما رجل وابنه ، ولا ذكر للدّابة فى الكلام .

١٥٩ – ص ١٠٠ : (عمن حدث عن ابن عباس) والوجه : (عمن حدثه عن ابن عباس) .

١٦٠ – ص ١٠٣ : (الإعجائز ضلعا) .

الصواب : (إلا عجائز صُلْعا) . من الصَّلع ، بالصاد المهملة – لاالضلع بالضاد المعجمة ، فمن صفات العجائز الصلع .

١٦١ – ص ١٠٣ : (كالبدن المعلقة ، فنحرناها) .

والصواب : (كالبدن المُعَقَّلَة) ولا وجه للتعليق هنا .

١٦٢ – ص ١٠٤ : (قسحم) .

والصواب : (فُسْحُم) بالفاء وهي أم زيد بن الحارث الصحابي البدري .

١٦٣ – ص١٠٤ : (أنعيني سيندران) وفي الحاشية :(كذا في الأصل).

والصواب : (أن عيني ستندران) أي تسقطان .

١٦٤ – ص ١٠٤ (وقيل عتبة وشيبة) والوجه: (وقتل عتبة وشيبة).

١٦٦ – ص ٢١٥ : (وقال البكائي: قال ابن ... عن محمود بن لبيد: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم – إلى أحد رفع حسيل بن جابر والد حذيفة بن اليمان وثابت بن وقش في الآطام مع النساء والصبيان)

والصواب: (وقال البكائي قال ابن «إسحاق» عن محمود) ألخ.

كما في نسخة مخطوطة، والبكائي هو الذي يروي عن ابن إسحاق كتاب السيرة.

١٦٦ – ص ١٠٦ : (رماه الله بالعدسة فقتلته، وكانت قريش تتقي هذه العداسية كما تتقي الطاعون) وفي الهامش: (العداسية وفي الأصل العدايسة وترجح العدسية مشتقة من العدسة بمعنى مرض العدسة).

والصواب (العدسة) في الموضعين وهي بثرة صغيرة شبيهة بالعدسة تخرج بالبدن فتقتل غالباً): كما في كتب اللغة.

١٦٧ – ص ١٠٦ : (ثم رضموا عليه الحجارة) وفي الهامش: (صخور وعظام يرضم بعضها فوق بعض في الأبنية – المحيط).

ولاأدري ما معنى هذه الحاشية، إذ رَضَمُوا معناها وَضَعُوا.

١٦٨ – ص ١٠٦ (وبكته أم سلمة وهي بنت عمته) والمقصود: الوليد ابن الوليد بن المغيرة.

والصواب: (وبكته أم سلمة وهي بنت عمه).

فالمُغيرة هو ابن عبد الله بن مخزوم. وأم سلمة هي هند بنت أمية ابن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم فهي بنت عم الوليد، لا بنت عمته.

١٦٩ – ص ١٠٧ (حتى تمر يكما زينب فتصحباها).

والوجه: (حتى تمرَّ بكما زينب فتصحبانها).

١٧٠ – ص ١١٠ : (ثم شَحذَ سيفه وسمَّه ، ومضى إلى المدينة) .
ولاأدري لم شُكِّلَتْ كلمة (شُحِذَ) بضم الشين وكسر الحاء .
والصواب فتحهما ، فهو الذي شحذه – أي سنَّه ليكون قاطعًا .
١٧١ – ص ١١١ : (وقد أويتكم محمدًا وأصحابه)
والصواب : (وقد آوَيْتمْ محمدًا وأصحابه) .
١٧٢ – ص ١١٦ : (رواه شيخه عنه) .
وفي إحدى المخطوطات : (رواه شعبة عنه) . وهو الصواب .
١٧٣ – ص ١١٧ : (وقال : حدثنا أبو نعيم) .
وفي مخطوطه : (وقال خ : حدثنا أبو نعيم) . والمقصود البخاري – والذهبي يرمز لكلمة البخاري بحرف (خ) .
١٧٤ – ص ١١٧ : (لأن أكون صاحبه أحب إلى مما عذر به) .
وفي مخطوطة : (لأن أكون صاحبه كان أحب إلى مما عدل به) .
١٧٥ – ص ١٢٠ : (أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في فننه يوم بدر)
وفى الهامش : (كذا التعبير في الأصل) .
والصواب : (قُبَّته) . إذ لا معنى لفننه هنا .
١٧٦ – ص١٢١ : (وحضر ذلك أجمع) وفي الهامش : (في الأصل الجملة منفية : فما حضر ذلك أجمع ، ورواية ابن كثير مثبة لا نفي فيها) .
وفي مخطوطه : (فاخضر ذلك أجمع) .
١٧٧ – ص٢١٣ : (عن عروة فقال : جميع من قتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش والأنصار سبعة وأربعون رجلاً ، وجميع من قتل يعني يوم أحد أربعة أو قال سبعة وأربعون رجلاً ، من المشركين تسعة عشر رجلا) .

وفي مخطوطة : (عن عروة فقال : جميع من قتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش والأنصار أربعة وأربعون أو قال : سبعة وأربعون رجلاً ، وجميع من قتل يوم أحد يعني من المشركين تسعة عشر رجلاً) .

١٧٨ – ص ١٢٢ : (حتى اختضبت هذا) .

والوجه : (حتى اختضب هذا) .

١٧٩ – ص ١٢٢ – ١٢٣ (كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض . . . ويوم حنين عمائم حمر) .

والوجه : (كان سيما الملائكة يوم بَدْرٍ عمائم بيضًا ، ويوم حنين عمائم حُمْرًا) .

١٨٠ – ص ١٢٣ : (فيقولون : إني قد دنوت منهم فسمعتهم يقولون : لو حملوا علينا ما ثبتنا) .

والوجه : (فيقول : إني قد) الخ .

١٨١ – ص ١٢٣ : (لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها فاحتويناها وأصابنا بها وعك) .

ص ٢٧٧ : (قدم رهط من عكل فأسلموا ، فاحتووا المدينة) .

والصواب : (فاجتويناها) و (فاجتووا) بالجيم – في الموضعين . أي لم توافق هواؤها أجسامهم فتغيرت صحتهم .

١٨٢ – ص ١٢٤ : (فلما دنا القوم منا وما فقناهم) .

وهي : (فلما دنا القوم منا وصاففناهم) أي صفوا وصففنا للقتال إذ لا معنى لكلمة (وما فقناهم) هنا .

١٨٣ – ص ١٢٥ : (وقد يعلمون أني لست بأجبنكم) .

والوجه : (وقد تعلمون) ألخ ضمير المخاطب .

١٨٤ ـ ص١٢٥ : (والله لو غيرك يقول هذا لأغضضته قد ملئت جوفك رعبا) .

والصوب : (والله لو غيرك يقول هذا لأعضضته قد ملأت جوفك رعبا)

ومعنى : (اعضضته) قلت له : أعضض (...)[1] أبيك .وهي كلمة شتم .

١٨٥ ـ ص ١٢٥ : (فجاء رجل من الأنصار قصير ، برجل من بني هاشم أسير) .

والوجه : (فجاء رجل من الأنصار قصير ، برجل من بني هاشم أسيرًا) . منصوب على الحال .

١٨٦ ـ ص ١٢٥ : (فخرج من الأنصار شيبة) .

فقال عتبة (لا نريد هؤلاء) .

والوجه : (فخرج من الأنصار شَبَبَةٌ) أي شبّان .

١٨٧ ـ ص ١٢٥ : (وقال إسحاق بن منصور السلوى : حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله) هو : (وقال إسحاق بن منصور السلولي) الخ ..

١٨٨ ـ ص ١٢٧ : (عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير : إن المستفتح يوم بدر أبا جهل) .

والصواب : (أبو جهل) و (أن) مفتوحة الهمزة .

١٨٩ ـ ص١٢٨ : (وأيسر شوكة ، وأخصر مَغْنَمًا) .

والصواب : (وأحضر) .

١٩٠ ـ ص١٢٨ : (وألقى الشيطان في قلوبهم المقفط يوسوسهم) .

وفي الهامش : (المقفط هو الشيطان الصغير) .

---

(١) أوسوأة أمك .

والصواب : (وألقى الشيطان في قلوبهم القَنَط يوسوسهم) والقنط اليأس من الخير .

١٩١ – ص ١٢٨ : (وجاء إبليس في جند من الشياطين ، رأيته في صورة رجال من بني مدلج) .

والصواب : (وجاء إبليس في جند من الشياطين معه رايته ، في صورة رجال من بني مدلج) .

١٩٢ – ص ١٢٩ : (حتى يموت الأعجلي منا) .

والصواب : (الأعجل) .

١٩٣ – ص ١٣٠ : (وقال غنام بن علي حدثنا الأعمش) .

والصواب : (وقال عثّام بن علي) الخ –« تهذيب » التهذيب و(٧ـ ١٠٥) .

١٩٤ – ص ١٣١ : (فيضربه رجل بمقمعة حتى تغيب في الأرض ، ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مرارًا) .

والصواب : (يغيب) أي المضروب .

١٩٥ – ص ١٣١ : (وقال ح م من حديث أبي عروبة) .

والصواب : (خ م) أي البخاري ومسلم .

١٩٦– ص ١٣٤ :(عن موسى بن عقبة قال :قال ابن شهاب خ وقال إسماعيل بن أبي أويس حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة وهذا لفظه عن عمه موسى بن عقبة قال) .

وأرى الصواب (ح) ويقصد بها في إصطلاح المحدثين تحويل السَّنَد من رواية إلى أخرى ، فالمؤلف أورد رواية موسى بن عقبة عن ابن شهاب ، ثم تحوَّل إلى رواية أخرى تتصل بابن عقبة من وجه آخر .

١٩٧ ـ ص ١٣٢ : (عن ابن إسحاق : حدثني حبيب بن عبد الرحمن ، قال ضرب حبيب بن عدي يوم بدر فمال شقُّه) .

وهو : (خبيب) في الموضعين ـ بضم الخاء المعجمة وفتح الموحدة الأولى ـ الصحابي الجليل الذي قُتل .

أما الراوي فهو خبيب أيضًا ـ بالخاء المعجمة بن عبد الرحمن ابن خُبيب ـ وهذا صحابي أيضًا ـ بن يساف ويقال إساف الخزرجي الأنصاري .

١٩٨ ـ ص ١٧١ : (ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم شيء ، وهي الخلاخيل) وفي الهامش : (كذا في الأصل وهو غير مفهوم ، ولم نجد رواية مماثلة عند ابن هشام ولا الطبري ولا ابن الأثير ولا ابن كثير) .

لو رجع المحققون إلى أيِّ كتاب من كتب اللغة لعرفوا أن الخدم هي الخلاخل وهي جمع خَدَمَة .

ـ وانظر لمعنى الخبـ «تاج العروس» .

١٩٩ ـ ص١٣٦ : (فسلك على نقب بني دينار) وفي الهامش : (ورد في ياقوت ما يمكن أن يحدِّد الموضع وهو : قال ابن إسحاق : وخرج النبي صلى الله عليه وسلم فى سنة اثنتين من الهجرة فسلك على نقب بني دينار من بني النجار على فيفاء الخيار) !

والخيار هنا : الخبار ـ بالباء الموحدة ، ونقب بني ديناز كان مضيقاً في مدخل المدينة للقادم من مكة والمتَّجه إليها ، بينها وبين العقيق ، وقد مُهِّدَ ، وتجاوزه العمران الآن .

٢٠٠ ـ ص ١٣٦ : (فساروا حتى إذا كانوا بعرق الطيب ، لقيهم راكب من قبل تهامة) وفي الهامش : (عند ياقوت في معجم البلدان : عرق

بكسر أوله وهو الأصل ، والعراق فى كلام العرب هو الأرض السبخة تنبت الطرفاء) .

والصواب : (فساروا حتى إذا كانوا بعرق الظبية) وعرق الظبية موضع لا يزال معروفًا ، على مقربة من الروحاء ، والعرق الجبل الصغير

٢٠١ – ص ١٤٠ : (وهو أخ المقتول) وفي الهامش : (في الأصل : أخو بالواو وهو خطأ إملاء) .

وأقول : بل الخطأ حذف الواو ، فأخو من الأسماء الخمسة التي ترفع بالواو .

٢٠٢ – ص ١٤٦ : (فلا ينقلبن أحد منكم إلا بفداء أو بضربة عنق)

والوجه : (فلا ينقلبن أحد منهم إلا بفداء أو بضربة عنق) والضمير يرجع إلى المشركين .

٢٠٣ – ص ١٧٥ : (القردة أرض ملساء والكدر طير في ألوانها كدرة . ومنهم من يقول : قرارة الكدر يعني إنها مستقر هذا الطير) !

والصواب : (القرقرة) كما في كتب السيرة ، وهي الأرض الملساء .

٢٠٤ – ص ١١٥ – ١١٦ : (وقال ابن إسحاق سمعت البراء) .

والصواب : (وقال أبو إسحاق : سمعت البراء) .

وأبو إسحاق هذا هو عَمرو بن عبد الله السَّبِيعي الهمداني (انظر كتاب «التاريخ الصغير» للبخاري ج ٢ ص ٨ الطبعة المصرية) .

٢٠٥ – ص ١٤٧ : (لقد أعلق عليه رجل ما رأيته قبل ولا بعد) وبعده (لقد أعانك عليه ملك كريم) وفي الهامش : (جاء في «لسان العرب» أنه يقال للصائد : أعلقت فأدرك) ثم كلام طويل حول معنى علق !!

وصواب العبارة : (لقد أعانك عليه) الخ والحاشية الطويلة في غير محلها .

٢٠٦ - ص ١٤٩ : (فلنترك لابن اختنا فداه.. لاتذرُنّ درهما) .

وهي : (فداءه) و (لاتذرون) .

٢٠٧ - ص ١٥٤ : (سواد بن غنم وهم بنو عفراء) .

والصواب : (سواد بن مالك بن غنم بن عوف) الخ كما في نسخة مخطوطة .

٢٠٨ - ص ١٦٠ : (فقالت «الرجال» لو أنا قتلنا أبا النجاشي وملكنا أخاه لتوارث بنوه ملكه بعده ، ولبقيت الحبشة دهرًا) .

وكلمة (الحبشة) أقرب إلى الصواب من كلمة (الرجال) .

٢٠٩ - ص ١٦٧ : (فأقام هناك ربيع الآخر ، وجمادى الأُول) .

ص ٢٢٨ : (وقال ابن إسحاق : أنها في جمادى الأُول سنة أربع) أي غزوة ذات الرقاع .

والصواب فيهما : (جُمادى الأُولى) .

٢١٠ - ص ١٧٨ - من شعر كعب بن الأشرف :

لم أر شمساً قبلها طلعت   حتى تبدّت لنا في ليلة الظلم

ولعل الصواب :

لم أر شمساً (بليلٍ) قبلها طلعت   الخ

ليستقيم الوزن .

٢١١ - ص ١٨٤ : في خروج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أحد قال :حتى إذا كان بالشوط بين الجبانة اتخذل (عبدالله بن أبي بقريب من ثلث الجيش) .

والصواب : (حتّى إذا كان بالشوط بين المدينة وأُحد) كما في «السيرة النبوية» لابن هشام وانخزل .

٢١٢ – ص ١٨٦– ١٧٧ : (حتّى نزلوا بعينين جبل ببطن ، بالسبخة من مناة على شفير الوادي مقابل المدينة) مكررًا وفي الحاشية : (ذكر ياقوت عينين قال : هي جبل أُحد بالمدينة) .

وفي ص ١٩٨ : (فلما خرج الناس عن عينين ، وعينون (؟) جبل تحت أُحد ، بينه وبين أُحد وادي) .

والسبخة : صوابها : (السِّبِخَة) .

ومناة : (قناة) .

وعينون : (عينين) .

وعينين ليس جبل أُحِد ، بل جُبَيل صغير بقربه ، وهو أقرب إلى المدينة .

٢١٣ – ص ١٨٧ : (وانخذال ابن أبي بثلث الناس) وفي الهامش : (في الأصل : انخزال بالزاي) .

وما في الأصل هو الصواب .

٢١٤ – ص ١٨٧ : (أذكركم الله أن لا تخذلوا قومكم) .

والوجه : (أذكركم الله أن تخذلوا قومكم) .

٢١٥ – ص : ١٨٧ : (أو علينا «بل» ثبت مكانك) .

وفي الهامش : (في الأصل باثبت) .

والصواب : (أو علينا فاثبت مكانك) .

٢١٦ ـ ص ١٩١ : (رجل ثم رجل ، ليقتلون دونه) .

والصواب : (رجل ثم رجل ، يقتلون دونه) .

٢١٧ ـ ص ١٩٢ : (أحد عشرة رجلاً) ، وهي أحد عشر رجلا .

٢١٨ ـ ص ١٩١ : (أخرجه) ولم يذكر المخرج وهي : (أخرجه البخاري) فالحديث في : «صحيح البخاري» كتاب المغازي ، باب غزوة أحد .

٢١٩ ـ ص ١٩٣ : (وأبو طلحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يحور عنه بجحيفة معه) وفي الحاشية : (يقال : حوره تحويرا بمعنى رجعه ـ القاموس المحيط) وعلى كلمة جحيفة : (تجاحفوا أي تناول بعضهم بعضًا بالسيوف وجاحف كجاحش ، وأبو جحيفة آخر من مات بالكوفة من الصحابة ، والجحاف مزاحمة الحرب . ولعله المحجيف وهو الترس) .

والصواب : (وأبو طلحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يجوب عنه بحجفة) الخ و(يجوب عنه) يترس عليه . والجوبة الترس كما في كتب اللغة و(بجحيفة) صوابها : (بِحَجَفَة) بالحاء المهملة ، بعدها جيم ففاء ، وهي التُّرْس ، والحاشية لا محلَّ لها .

٢٢٠ ـ ص ١٩٣ : (ولقد رأيت عائشة وأم سليم وإنهما مشمرتان ، أرى خدم سوقهما ، ينقلان القرب على متونهما ، ثم يفرغانه في أفواه القوم) وفي الحاشية (خدم سوقهما) : كذا في الأصل .

والوجه : (تنقلان . . . ثم تُفْرغانه) .

والخدم الخلاخيل كما تقدم ، ولاإشكال لتوضع كلمة (كذا في الأصل) .

٢٢١ – ص ١٩٥ : (وجعلوا يسترونه ، قتلوا إلا ستة أو سبعة) .
والصواب : (وجعلوا يسترونه حتّى قتلوا إلا ستة أو سبعة) .
٢٢٢ – ص ٢٠١ : (إني لأرجو أن تبر الله آخر قسمه كما أبر أوله) .
والصواب : (أن يبرّ الله) الخ .
٢٢٣ – ص ٢٠١ : (وروى الزبير بن بكار في الموفقيات) وفي الهامش : (كذا في الأصل) .

و«الموفقيات» كتاب للزبير معروف مطبوع .
٢٢٤ – ٢٠٧ : (أن والد أبي سعيد الخدري لما جرح النبي صلى الله عليه وسلم يوم أُحُد مصّ جرحه حتّى أنقاه ، ولاابيض ، فقيل له مُجَّه ، فقال : لا والله لاأمجّه أبدًا) .

والصواب : (ولاح أبيض) كما في نسخة مخطوطة .
٢٢٥ – ص ٢١٨ : (عن أبي الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة) .
والصواب : (عن عبد الأعلى) الخ كما سيرد .
ه في الأصل وترجمته في « تهذيب التهذيب » .
٢٢٦ – ص ٢٧٦ : (وقال ابن عروبة عن قتادة) وهو : (ابن أبي عروبة) .

٢٢٧ ص ٢٧٦ :(حتّى إذا كانوا في ناحية قتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم) .

والصواب : (في ناحية الحرّة قتلوا) .

٢٢٨ – ص ٢٧٧ : (وفي بعض طرقه : من عكل أو عرينة ورواه شعبة وهمام وغيرهما عن قتادة فقال : من عكل أو عرينة من غير شك) .

والصواب : (عن قتادة فقال : من عرينة من غير شك) .

٢٢٩ ــ ص ٢٧٧ : (على ابنته زينب ــ ابن سعد : اسمه مقسم) .

وهنا سقط كلام ورد فى إحدى المخطوطات ونصُّه : (على ابنته زينب أُم امامة ، في وسط سنة ست ، واسمه لقيط ، قاله ابن معين والفلاس ، وقال ابن سعد : اسمه مقسم) .

٢٣٠ ــ ص ٢٦٩ : (وقال أبو نمير) .

وفي مخطوطه : (وقال ابن نمير) وترجمة ابن نمير في « تهذيب التهذيب » (٩ ــ ٢٨٢) .

٢٣١ ــ ص ٢٨٢ : (عن عمرو بن مرة بن أبي أوفى) .

والصواب : (عن عمرو بن مرة « عن عبد الله» بن أبي أوفى) .

فعمرو بن مرة يروي عن ابن أبي أوفى .

٢٣٢ ــ ص : ٣١٠ :(فانطلق أبو بصير معه خمسة كانوا قدموا مكة).

والوجه : (.. قدموا « من » مكة) .

٢٣٣ ــ ٢٢٩ : (الراكب المعتق) .

والصواب : (المُعْنِق) بالنون أي المُسْرِع ، والعَنَقُ ضَرْبٌ من السير .

٢٣٤ ــ وفى المطبوعة كلمات كثيرة أُخرى محرفة ، وقد يكون تحريفها تَطبيعا ــ أي من أخطاء الطِّباعة ــ أكتفي بالإشارة إلى بعضها .

ص ٢١١ : (ثابت بن أبي الأفلح) تكررت بالفاء .

والصواب : (الأقلح) بالقاف .

ــ ص ٢١٢ : (مصعب بن عمر) وهو (عمير) .

ــ ص ٢١٤ : (واستشهد من الخزرج عمرو بن قيس البخاري) وهو النجاري من بني النجّار .

- ص ٢١٥ : (المجذر بن زياد البلوي - بالزاي وصوابه : (ذياد) بالذال .

- ص ٢٢٥ : (بالمعنّق ليموت) .

والصواب : عدم تشديد النون : (المُعْنِق) .

- ص ٢٢٦ : (فلما دنوا آذاهم بنسور تحوم) وهي (إذا هم) .

- ص ١٣٩ : (فاقتحم القوم فى القليب مما حوها) وفى الهامش : (المماحون الماء هم الذين ينزلون في القليب ويستدرون منه الماء...).

والصواب : (فماحوها) و(الميّاحون) .

- ص ١٤٠ : (ألا يستحيون من ذلك أن يقبوا الدية ؟) . وهي (أن يقبلوا الدية) .

- ص ١٤٥ : (أن تأخذ منهم فدية ، فيكون لنا قوة على الكفار) : أنْ نَأْخذ - بالنون .

ص ١٤٧ : (وقال عبد العزيز بن عمر إن الزهري وهو ضعيف حدثنى عن محمد بن موسى) .

والصواب : (عبد العزيز بن عمران الزهري) - وهو ضعيف - حدثني إذ ابن عمران هو الضعيف ، والزهريُّ - عند إطلاق المحدثين : محمد بن مسلم بن شهاب وهذا ليس ضعيفاً عندهم بل من أئمة العلماء .

- ص ١٤٩ : (أنقتل أبانا وإخواننا) : أنقتل آباءنا وإخواننا .

- ص ١٦٨ : (أن امرأة من العرب قدمت بحلب) : بجلب - بالجيم .

- ص ٢٧١ : (أن تقاتلوا أبنائكم) وهي أبناءكم .

- ص ٢٧١ : (فقص وخبرهم) : فقصّ خبرهم - بحذف الواو .

- ص ٢٢٧ : (زينب بنت جحش بن رباب) .

والصواب : (رئاب) .

- ص ٢٤٧ : (وهي قصر بني جديلة) حاشية .

والصواب : (حُديلة) بالحاء المهملة .

- ص ٢٤٨ : (بل قَيْلُ امرىء متحامل) .

والصواب : (قِيْل) بكسر القاف .

- ص ٢٥٣ : (إذ جاءوكم من فوقلكم) وهي (فوقكم) .

- ص ٢٦٩ : (إن القوم قد نُذِروا بي) .

والصواب : فتح النون (نَذِروا) .

ص ٢٣٣ - والمصححون لايفرقون بين همزة الوصل وهمزة الفصل . ولهذا أحَلّوا الأخيرة محل الأُولى في كلمات يصعب حصرها مثل

- ص ٦٩ : (فمن على إسمه (ع) فحديثه في الكتب الستة) -

- ص ٧٢ : (فأرحم الأنصار والمهاجرة) و (لإثنيّ عشرة) مكررة .

- ص ٧٣ : (لسهل وسهيل إبني بيضاء) ص ٩٢ : (ولكن إذهب أنت وربك فقاتلا) وكذا ص ١٣٧ .

- ص ١٤٢ : (أستغناء بما تقدم) .

- ص ١٥٠ : (فقال لها أركبي بين يدي ، على بعيره فقالت : ولكن أركب أنت بين يدي (فركبت وراءه) حتى أتت المدينة) .

- ص ١٦١ : (أبتعت غلاماً) .

- ص ١٦٨ : (إني والله أمرؤ أخشى الدوائر) .

- ص ١٧٢ : (يا أيها الذين آمنوا أذكروا نعمة الله عليكم) .

- ص ٢٠٣ : (وأقبلت إمرأة) .

- ص ٢٤٧ :(أدعوا لي حسان) .

- ص ٢٩٦ : (لسقينا وأستقينا) .

- ص ٢٩٩ : (فقال : أبسط يدك أبايعك).

٢٣٤ - بل قد يضعون على الهمزة مَدَّةً ، بحيث يتغير المعنى .

ومن الأمثلة على ذلك :

ص ١٥٢ و ١٥٤ و ٢٢٤ : (ضرب له بسهمه وآجره) .

والصواب : (وأجْرِه) .

- ص ٢٢٦ : (آذاهم بنسور تحوم) وهي : إذاهم .

ص ٢٩٧ - وآمن بعضهم بعضا .

والصواب : (وأمَّن).

وبعد : فلقد مللت وأمللت ، وتركت كثيراً من نوع ما ذكرت ، ولولا الغيرة على صيانة تراثنا من عبث الجُهَّال لما أطَلْتُ الكلام في مقام يجمل فيه الإيجاز ، ..

حمد الجاسر

— ٣ —

١٥ — حقل :

ص ١٩٦ — قال حاتمٌ :

أيُّهَا المُوعِدِيْ فإنَّ لَبُوْنِي بَيْنَ حَقْلٍ وبَيْنَ هَضْبِ ذُبابِ

قال أبُو صالح قال ابنُ الكلبيِّ : قال أبو خيران الطائيُّ : حَقْلٌ وذباب وادِيَانِ .

وفي التعليق : حقل قرية لبني درماء من طيء في أجَإٍ — ياقوت — وفي البكريّ : بين حفل : وقال هو موضع في ديار طيء ، واستشهد ببيت حاتم هذا .

ذباب : لم أجد موضعاً بهذا الاسم ، ولعلَّ الصواب دَبَاب — بفتح أوله كما في « الأغاني » وهو ماءٌ بأَجا وأيضًا جبل في ديار طيء لبني شيعة ابن عوف بن سلامان بن ثُعَل .

وأُضيف : قال الهجريُّ [١] : فيما نقل عن الرّزْنى الطائي — : أجأٌ أكبر الجبلين ، لبني عُقْدة بن سِنْبس ، ومن شعاب أجا : تُوَارِن — غير معجمة الراء — وحَقْل ، والأرخ — معجمة الخاء — وشوط — بضم

(١) « أبو على الهجرى وأبحاثه فى تحديد المواضع » ص ١٨٣ .

الشين ، وبلْطة – بفتح الباء وضمِّها – وحضن – معجمة الضاد – وثرمداء مثل الذي في اليمامة . انتهى .

فحقْل إذَنْ : من شعاب أجا – أوديته – وكثيرًا ما يكون في الأودية قُرَى ، لوجود المياه فيها .

أما دباب فسيأتي الكلام على هذه الكلمة .

١٦ – الحلبط :

ص ١٩٤ – من قول حاتم يخاطب الحارث بن عَمْرو :

إنَّمَا بيننَا وبَيْنَكَ فاعْلَمْ سَيْرُ تِسْعٍ لِلْعَاجِلِ المُنْتابِ
فَثَلاثٌ من الشَّراة إلى الْحَلْـ بَطِ ، لِلْخَيْلِ جاهدًا والرِّكَاب
وثلاثٌ يَرِدْنَ تَيْمَاء رَهْواً وثَلاثٌ يَغْرِزْنَ بالأَغْجاب

وفي التعليق على (الحلبط) : لم أجد في معاجم البلدان مكاناً بهذا الاسم ، ولعلها الخَلْبت – مع إبدال الطاء خاء ، وهو اسم للأبلق الفرد الذي بتيماء ، بلد بأطراف الشام .

وفي «الموفقيات» : الحالة . وفي «الأغانى» : الحلة وما في «الأغاني» موافق لما قاله البكريٌّ في معجمه ، قال يخاطب بهذا الحارث بن أبي شَمَر ، فذكر أن بين جبلي طيء والشراة تسعا ، وأن من الشراة إلى الحلة بأرض الشام ثلاثاً . انتهى .

وأضِيْفُ : لا شك أن كلمة (الحلبط) كلمة محرفة وأن صوابها ما جاء في كتاب «الموفقيات» : الحالة . وليست الحلة – كما جاء في «معجم ما استعجم» والحالة – وتعرف الآن باسم (حالة) و(حالة عمّار) وتبعد عن الشراة – جبال الشام – نحو ثلاثة أيام ، ومثلها من تيماء – للخيل والإبل بالسير المُجدِّ .

١٧ ـ حيـة :

سبق ذكرها في الكلام على (يلطة) .

وأضيف : ورد في شعر امرئ القس ـ على ما نقل ياقوت :

فَهَلْ أنَا ماشٍ بَيْن شُوْطَ وحَيَّةٍ ؟ وَهَلْ أنا لاقٍ حَيَّ قَيْسِ بنْ شَمَّرا ؟

وفي شعر عوف بن مالك القسري [(١)] :

وإني لَحَامٍ بَيْنَ شُوْطَ وحَيَّةٍ كَمَا قد حَمَيْتُ الْخَيْمَتَيْنِ وخَيْمرًا

كذا أورد ياقوت مع أنه ذكر أنه من جبال طيء فما دخل القسري ـ أو النَّصري ـ به ؟

وَحَيَّةُ ـ هذا ـ من أودية أجا الكبيرة ، فيه نخل ، ينحدر من وسط الجبل ، مُتَّجِهًا إلى الشمال الغربي حتى يقف في أرْض تُدْعَى الْفَتْخَاء ، وهي قاعُ العَبْدِ ، عَبْدِ مَوْقق ، والعَبْدُ جُبَيْل أسود صغير ، بقرب قَرْية مَوْقق .

ووادي حَيَّة لقبيلة السُّوَيْد من شَمَّرَ ، وفي أعلاه نخل ، ويبعد عن مدينة حائل غرباً بنحو ٥٠ [(٢)] كيلاً .

وقد يصحف اسم حيَّة باسم (جُبَّة) بالجيم بعدها باء موحدة فهاء وكلا الموضعين في بلاد طيء ، وللتفريق بين الموضعين : ما كان مقروناً بِشُوْط فهو حية ـ بالحاء المهملة والمثناة التحتية ، لتقارب الموضعين ، وما أضيف إلى الرَّمْل أو ما يتصل به كجودة المَرْعَى والبُعْد عن الأنيس فهو جُبَّة ، بالجيم بعدها موحدة ـ وهذه تقع في النفود ـ رَمْل عالج ـ وكان مَرَبًّا للوحش ، ولهذا يكثر ذكر وحش جُبَّة .

---

(١) « شمال المملكة » ص ٣٠٠٩ و ٤٧٩ .

(٢) ورد في « شمال غرب الجزيرة » (٢٥٠) تطبيع خطأ .

١٨ ـ خــلاد :

ص ٢٧٨ ـ قال حاتم :

وَلَقَدْ بَغَى بِخُلادَ أَوْسٌ قَوْمَهُ ذُلاًّ ، وقد علمتْ بذلك سِنْبِسُ

وقال المحقق : هو أوس بن سعد ، وكان قد قال للنعمان بن المنذر : أنا أُدْخلك بين جبلي طيء حتى يدين لك أهلهما . فبلغ ذلك حاتمًا فقال هذا الشعر «الأغاني»[1].

خُلادُ : موضع في بلاد طيء . وفي طبعة ليبزج : بجلاد . انتهى .

وأُضِيف : قال ياقوت في «معجم البلدان»: خُلاد بالضم وتخفيف اللام ودال مهملة : أَرْضٌ في بلاد طيء ، عند الجبلين ، لبني سِنْبِس ، كانتْ بئْرًا ثم غُرِسَتْ نَخْل ، وحُفِرَتْ آبارٌ ، فسميت الأُقَيْلِبة . انتهى .

وهذا الكلام هو نَصُّ كلام نصر ، نقله ياقوت ـ رحمه الله ـ نَقْلاً ولم يُشِرْ إلى ذلك .

وجاء في كتاب نصر أيضًا : الأُقيلبة مياه في طرف سَلْمَى ، أحد جبلي طيء ، وهو من الجبلين على شوط فَرَس ، وهو لبني سِنْبِس ، وقيل : هي معدودة في مياه أجا .

ونقل ياقوت هذا الكلام ، ولم يوضِّحْ مصدره .

وقال نَصْرٌ أيضًا : مِشَارُ : شِعْبٌ لبني عبد عامر ، بطن من بني ثعلبة ابن سلامان تَسِيْلُ إلى الأُقَيْلِبَةُ من شرقيها انتهى .

ويلاحظ أن قول نصر عن الأُقيلبة أنها في طرف سَلْمَى لايتفق مع

---

(١) ١٧ - ٣٩٢ .

قوله : إن شعب مشار يسيل إلى الأُقيلبة . إذْ شعب مشار في جبل أَجا ولا يزال معروفاً .

وجبل سَلْمَى بعيد عنه وعن مشار ، وسيول أودیتها لا تتصل بأودية أجا .

وإذن فكلمة (سَلْمَى) لاشك أنها خطأٌ ، ولعل الكاتب أراد أن يكتب أجا فكتبها .

ولكي نَتَصَوَّر موقع الأُقيلبة بالنِّسبة لأَجا ينبغي أن نعرف موقع وادي مشار الذي يسيل إليها ،يَصُبُّ وادي مشار من فروع أجاءِ الشرقية الشمالية ، من شعاب أشهرها ثَرْمَدُ والرفاعي وخضع،وأعلى مشار يدعى (أَبا عديٍّ) فيه نخيلات قليلة متوغل موقعها في الجبل ، على غير ماء .

ويتجه الوادي صوب الشرق حين يخرج من الجبل ، ويدع مدينة حايل جنوبه حتى يلتقي بوادي الأُديْرِع عند قرية السُّوَيْفلَة ، الواقعة أسفل مدينة حائل[١] .

وعلى هذا يمكن القول بأَنَّ خُلاَدَ - التي عرفت باسم الأُقيلبة أيضًا كانت تقع أسفل وادي مشار ، في شرق أجا ، شمال موقع مدينة حائل ، على مقربة من السُّويفلة - إن لم تكن في موقعها - .

والسُّوَيْفلةُ كانت البلدة الأُولى قبل حائل ، وكانت مقر إمارة آل عَلِيٍّ حكام جبلي شَمَّر ، قبل آل رشيد .

ومفهوم القصة والشعر الواردين في «ديوان حاتم» أن المقصود بخُلاد وادي مشار الذي هو من المداخل الموصلة إلى وسط أجا ، فحاتمٌ يصفُ أوْسًا بأنه أراد إذلال قومه بني سِنْبِس ، حيث أراد أن يدل

(١) انظر عن مشار « شمال المملكة » ٣٢٨ - ٣٢٩ .

النعمان بن المنذر الملك على المكان الذي يدخله إلى جوف الجبل ، وكانتْ سنبسُ تقيم في شعابه التي في جوفه ، كما تقدم النقل عن الهجري ، ولا تزال إحدى تلك الشعاب تحمل اسم أحد أفخاذ سنبس وهو (عُقْدة) التي أصبحت قرية مشهورة .

١٩ ـ دبـاب :

تقدم شاهدُه في حقل ، ويفهم منه أنه غير بعيد من حقل ، فَلَبُوْنُ حاتم (بين حقْل وبين هضب دباب) .

وقد أشار المحقق الفاضل إلى أن الدّال معجمة مضمومة ، في مخطوطة الديوان وقال : لعل الصواب دباب أي بفتحها مع إهمالها ـ وأورد نَصًّا على ذلك من كتاب «الأغاني» وقد ورد فى كتاب نصر ، وفي «معجم البلدان» أيضًا . ويلاحظ :

١ ـ أن كلمة (شيعة) الواردة في ذلك النّص صوابها (سبعة) بالسين المهملة والباء الموحدة كما في كتاب «مختصر الجمهرة» وكتاب «النسب» لأبي عُبيْد القاسم بن سلاّم .

وفي (سبْعة) هذا ورد المثل : (عَملَ عَمَلَ سَبْعة) على أحد الأقوال ، كما في «القاموس» وشرحه «تاج العروس» .

٢ ـ أما دَباب الذي ذكر ابن الكلبي أنه هو وحقل واديان ، فقد ذكر الأُستاذ سليمان الدّخيْل ـ وهو من الأُدباء المعاصرين ـ في كتابه «القول السديد ، في إمارة آل رَشيد» أنه من القرى الداخلة في أجا ، وقَدَّرَ نخل تلك القرية بثلاثة آلاف نخلة ، وهو يبالغ في تقديره ، ولم أجد في تلك الجهة مَنْ يعرفه ، ولكن (مَنْ حَفظَ حُجّةٌ على من لم

يحفظ) ومن اتصلت بهم من أهل تلك الجهة معرفتهم بالمواضع التي داخل الجبل محدودة .

وشعر حاتم صريحٌ في أنه من شعاب أجا .

٢٠ ـ رَخة :

ص ٢٧٦ : قال حاتم .

بِزَخَّةَ مِنْ جَرْمٍ يُمَنُّونَ جِيفَةً وَلَمْ يُنْجِهِمْ مِنْ آلِ بَوْلاَنَ وَاتِرُ

وعلّق المحقق : زَخّة موضع في بلاد طيّء لم يحدده ياقوت .

كذا ورد الاسم (زَخّة) بالزاي في البيت وفي «معجم البلدان» لياقوت .

وجاء في «معجم ما استعجم» : رَخَّةُ ـ بفتح أوله وتشديد ثانيه : موضع بين قَنَا ويَنْقُب . قال نُهيكة الغطفاني :

عُصَبٌ دَفَعْنَ مِنَ الأَبارِقِ مِنْ قَنَا بِجُنُوبِ رَخَّةَ فالرِّفاقِ فَيَنْقُبِ

وهذا الذي ذكر البكريُّ هو الصواب ، فرَخَّةُ ـ بالراء والخاء المعجمة بعدها هاء ـ جبل لا يزال معروفاً ، وهو بين جبلي قَنَا ويثقب ، غَرْبَ جبل أَدَبيٌّ ، في الشمال الشرقي من يثقب ومن قرية الحُلَيفة ، ويجاوره من الشمال جبل الرُّخيخ ـ بالتصغير ـ (يقع جبل رَخَّة بقرب خط الطول ٥٨َ ـ ٤٠ْ وخط العرض ١٠َ ـ ٢٦ْ) .

وهو جنوب غرب حايل بنحو مئتي كيل .

٢١ ـ السرداة :

كذا ورد الاسم في الديوان المطبوع[1] وسيأتي شاهده في الكلام على الصَّهو .

---

(١) كتاب «شمال المملكة» : ٥٧٣ ـ ٥٧٤ . (١) ص ٢٧٥ .

وقال المحقق الفاضلُ: والرداةُ لم أعرف ماهي انتهى لا أستبعد أن يكون صواب الكلمة (الرداهُ) جَمْع رَدْهَة ، ومن معانيها أنها أرض خَشنَةٌ شبْهُ أَكَمَةِ ، فحاتم يذكر أنَّ قبيلة مُحَارب تَدَيَّرَت الصَّهْوَ والمواضع التي ذكرها ، وأرسلت أشوالها حول بواعة ، وصارت عشائرها ترعى بالرِّداة ، فالصَّهو في جبل أجا ، وكذا جُديات ونبتل بقربه .

أما مضاخر وبُواعة ، فغرب الجبل خارجان عنه .

والرِّداه – لعلها – الآكام الكثيرة المنتشرة بقرب بواعة ومضاخر.

٢٢ – الـــريان :

ص ٢٦٧ – وقال حاتمُ :

لَشِعْبٌ من الرَّيَّانِ أَمْلِكُ بابهُ ... أُنَادي بِهِ آل الكَبِيْر وجَعْفَرَا
أَحَبُّ إليَّ من خَطِيْب رأيتُهُ ... إذا قُلْتُ مَعْروفاً تَبَدَّل مُنْكَرَا

وقال محقق الديوان : الشِّعب هو ما انفرج بين جبلين . والرَّيَّان : جبل بين بلاد طيِّءٍ وأسد .

آل الكبير : أهل الكبير في «الموفقيَّات» .

آل الوحيد في «ديوان زهير» . آل الوليد : في اللسان وسيأتي ذكر الريان عند ذكر مواسل انتهى .

القول بأنَّ الريان جبل بين بلاد طيِّءٍ وأسد – وإن ورد عن بعض المتقدمين[(١)] – لا يتفق مع كون حاتم ذكر أنه يملك بابه ، وينادي به بعض قومه ، فهو لا يفعل ذلك إلاَّ في منَعة داخل بلاد قومه ، واسم (الرَّيان) يطلق على مواضع كثيرة ، بعضها لا يزال معروفاً ، في غرب

---

(١) البكرى فى « معجم ما استعجم » .

الجزيرة وجنوبها ووسطها وشمالها ، أما الذي فى بلاد طيِّء – الوارد فى شعر حاتمٍ – فقد قال عنه نَصْرٌ في كتابه : الرَّيَّانُ جبلٌ أسود عظيم ، فى بلاد طيِّء ، يوقدون فيه النَّار ، فتُرى من مسيرة ثلاث . وقيل : من أطول جبال أجا .

وقال ابن سيده في «المخصص» : الرَّيَّانُ : أحد جبلي طيِّء . وعلَّق محققه الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي بما نَصُّه : لقد ضلَّ عليٌّ بن سيدة في (وادي تخييب) .

ومن المعلوم أنَّ جبلي طيِّء إذَا أُطلقا عُني بهما أجأ وسلمى ، باتفاق أهل العلم ، ولطَيِّء جبال كثيرة منها الرَّيَّان – كالدَّيَّان – فهو من باب فعلان ، لا فعلى وإياه أراد عليٌّ فقصر ·

أَرَادَ طَرِيْقَ العُنْصُلَيْن فياسَرَتْ ... به الْعِيْسُ في نَائي الصُّوَى مُتَشَائِمِ

وقال زيد الخيل في جبلهم الرَّيَّان

أَتَتْنِي لِسَانٌ لا أُسَرُّ بِذِكْرِه ... تَصَدَّعَ مِنْهَا يَذْبُلٌ ومُوَاسِلُ

وَقَدْ سَبَقَ الرَّيَّانُ مِنْهَا بِذِلَّةٍ ... فَأَضْحَى وأَعْلَى هَضْبِهِ مُتَضَائِلُ

ومن الملاحظ في أسماء الأماكن التَّوسُّعُ في إطلاقها ، بحيث يطلق الاسم على جبل وعلى ما يتصل به من شِعْب أوْ وادٍ ، وهكذا الحال فى اسم الرَّيَّان ، فالوصف الذي أورده نَصْرٌ لهذا الجبل ينطبق على أبْرَز قِمَّة من قِمَمِ أجَا ، تعرف الآن باسم (الرَّعيلة) . وأمَّا اسم الرَّيَّان فإنه يطلق الآن على وادٍ ينحدر من ذلك الجبل ، فيه عينٌ ذات نَخْل ، فقد تُوُسِّعَ فى الاسم فبقى يُطْلَقُ على الوادي المنحدر من الجبل المذكور ، وغُيِّر اسم الجبل . .

زَخَّة : (انظر رَخَّة) فيما تقدم .

---

(١) ٦ – ١٨٤ .

٢٣ ــ ستار :

سيأتي شاهدُهُ عند ذكر سقف ، وقد ذكر نصر أنَّ السّتار جبل بأجإ . وعنه نقل ياقوت ، ولكنهما ذكراه مُعَرَّفاً .

ويطلق اسم ستار ــ بدون تعريف ــ الآن على واد من أودية أجإ ، في الشمال الغربي منه ، فيه نخل .

والعامة ينطقون سينه ساكنة فيتوهم من سمعهم أن الاسم (أستار) بالألف ، كما فعل الأستاذ سليمان الدّخيل ، حيث كتبه (الأستار) وقال : إنه من القرى الخارجة عن أجا .

والواقع أنه من أودية أجا التي تنحدر منه .

على أن البيت الذي ورد فيه اسم (ستار) من شعر حاتم روي أيضا باسم (مشار) كما نقل محقق الديوان عن «اللسان» ولعل هذه الرواية أقرب إلى الصواب حيث عطف عليه ثرمد ، الذي هو أحد روافد وادي مشار ، كما تقدم .

٢٤ ــ ستيرة :

ورد هذا الاسم في شعر حاتم الآتي في سَقْف ، مما يفهم منه قُرْب الموضع من سَقْف وعمودان والغَمْر ، ولم أرَ له ذكْرًا في غير ذلك مما اطَّلَعْتُ عليه من المصادر ، وأخشى أن يكون تصحيف سَفيرة ــ بالفاء بدل التَّاء ــ إذْ سَفيرة بفتح السين وكسر الفاء وبالياء فراء مهملة فهاء : على ما ذكر نَصْرٌ : ناحية من بلاد طيّءٍ وقيل : صَهْوَةٌ لبني جَذيْمَةَ من طَيّءٍ يحيط بها الجبل ، ليس لمائها منفذ ، بحصن بني جذيمة . ومثل هذا الكلام في «معجم البلدان» وكلمة (بحصن) ليست معجمة الصاد في الكتابين ، والصواب إعجامها إذْ (حضن) هذا جبل

لا يزال معروفاً[1] ، والصهْوَة قرية لا تزال معروفة ، تقع شماله على مقربة منه

وسُقْفُ تنحدر بعض فروعه من جبل حضن ، مما يؤيد صحة القول بتصحيف كلمة (ستيرة) .

٢٥ – سقف :

٢٥١ – وقال حَاتم :

بَكَيْتَ وَمَا يُبْكِيكَ مِن دِمَنٍ قَفْرِ ... بِسُقْفٍ إِلَى وَادِي عَمُودَانَ فَالْغَمْرِ
بِمُنْعَرَجِ الغُلاَّنِ جَنْبَيْ سُتَيْرَةٍ ... إِلَى دَارِ ذَاتِ الْهَضْبِ فَالْبُرَقِ الْحُمْرِ

قال أبو صالح : واحدها غَالٌّ ، وهي أودية غائضة ، تنبت الشجر والطلح . والهضب : واحدها هضبة .

إِلَى الشُّعْبِ مِنْ أَعْلَى سِتَارٍ فَثَرْمَدٍ ... فَبَلْدَةَ مَبْنَى سِنْبِسٍ لابْنَتَيْ عَمْرِو

قال أبو صالح : وزعم بعض الطائيين أنه جبل عندنا معروف . وأظن اليمانيَّ قال : سِتَار وثرمد موضعانِ وهو أيضًا شجر ، وقيل : هو جبل .

وفي الحاشية : (خ م) : بسقف بفتح السين خطأ ، وفيها أيضًا : عموران : خطأ . وعمودان جبل . . .

ستار : جبل بأجا ، وفي « اللسان » : مشار وثرمد اسم شعب بأجأ ، لبني ثعلبة من بني سلامان من طيء ياقوت .

وعلق المحشي على قول اليماني : ستار وثرمد : في الأصل : مسار . سُقْفُ : جزم المحقق الفاضل بأنَّ ضَمَّ السين فيه – كما في إحدى النسخ خطأً – ولعله عَوَّل على ما جاء في « معجم ما استعجم » على أنَّ

---

(١) انظر تحديده في « شمال المملكة » .

ياقوتًا في «معجم البلدان» قَدَّمَ الفتح ، وفي «تاج العروس» نص على أنه يُضَمُّ ويفتح وهو الآن لا ينطق إلاَّ بالفتح ، وهو واد ينحدر من جبل حَضَن – كما ذكر الهجريُّ :

سَأَلْتُ أبا هُريرة الْمُرِّي الغطفاني عن سَقْف فقال : سَقْفُ ذي القَصَّة عن رَمَّانَ[1] ، من أرض طيِّءٍ ، يسيل هو ورَمَّان من حَضَن . انتهى[2] .

ويطلق الآن اسم سَقْف على واد وعلى قرية تقع في ذلك الوادي ، وعلى جبل متصل بهضاب حَضَن ، ويبعد عن مدينة حائل بنحو مئة كيل في الجنوب الغربي ، وانظر لوصفه كتاب «شمال المملكة»[3] .

٢٦ – سلامان :

ص ٢٦٩ – قال حاتم :

إذَا حال دُوْني منْ سلاَمَانَ رمْلَةٌ وجدْتُ تَوالي الْوَصْل عِنْدِي أَبْتَرا

ونقل محقق الديوان كلام البكري : سلامان ماءٌ لبني شيبان على طريق مكة إلى العراق – واستشهد ببيت حاتم .

وأضيف : الماء الذي بقرب طريق مكة إلى العراق هو سلمان – بإسكان اللام – وهو الذي كان في بلاد بني شيبان ، ولا يزال معروفاً الآن ، داخل الحدود العراقية المتاخمة لحدود المملكة العربية الشرقية ولكن ما دخل هذا الموضع البعيد عن بلاد طيِّءٍ ، وأيَّةُ صلة له بشعر حاتم وهو لم يذكره وإنما ذكره سلامان بفتح اللام بعدها ألف ؟ !

ذكر الأُستاذ سليمان الدخيل أنَّ سلامان اسم قرية من قرى أجا ، قَدَّر عدد نخلها بألف وست مئة . وأنا لم أعْرفها ، وما كل ما في أجا عرفته ، ونقل ياقوت عن السَّكُوْنيِّ قوله : السلامية ماءٌ لجديلة بأجا .

(١) أمل (عن) : (يمين) . (٢) ٣٢٤ . (٣) ٦٧١ – ٦٧٣ .

ومهما يكن فما أرى حاتِمًا أراد سلمان ـ المعروف الآن باسم (السلمان) .

٢٧ ـ سميراء :

ص ٤٢ : (وكانت طيءٌ حين نزحت من الجنوب نزلت سيْرًا وفَيْدًا في جوار بني أسد) .

وكلمة (سيْر) هنا صوابَها (سَمِيراء) وهو اسم واد وأصبح يطلق على بلدة مشهورة تقع جنوب غرب بلدة فَيْد ، لها ذكر كثير في وصف طريق الحاج العراقي الكوفي . وانظر كتاب «شمال المملكة»[(١)] .

٢٨ ـ الشقيق :

شاهده سيأتي عند ذكر الصَّهْرِ ـ ويظهر أنَّ المُرَاد بالشَّقِيق في قول حاتِمٍ الرمل العظيم الواقع شمال جبل أجا .

وانظر كتاب «شمال المملكة»[(٢)] .

٢٩ ـ شوط :

ص ٢٦٦ ـ قال حاتم :

حَنَنْتُ إِلَى الأَجْبَالِ أَجْبَالِ طيِّءٍ وَحَنَّتْ قَلُوصِيٌ أَنْ رَأَتْ سَوْطَ أَحْمَرَا

وفي الحاشية : تحنُّ إلى : البكريُّ : وحنَّت قلوصي . كذا أيضًا في «سرح العيون» والأَصَحُّ أن تكون بالجيم ، لذكره السوط . وكذلك هي في «الموفقيات» : وجنت جنوناً . وفيه (ص ٤١٧) : أحمر . قال عمّي : رجل من العرب كان يسوق لحاتم ، إذا وفد على الملوك . وقال أبو عبيدة مَعْمر بن المُثَنَّى : أحمر اسم رجل كان يعمل السياط

---

(١) ٦٩٣ ـ ٦٩٥ .
(٢) ٧٤١ ـ ٧٤٧ .

في الجاهلية . وجنّت جنوناً . شوط أحمر : البكري . وقال : شوط أحمر موضع تلقاء بلاد طيّء ، واستشهد بالبيت . انتهى .

وتقدم شاهد كلمة (شوط) عند ذكر بُلْطَةَ وحَيَّة .

وشوْط – وينطق الآن بضم الشين –: وَادٍ من أودية أجا ، يقع شمال وادي حَيَّة ، وغَرْبَ وادي تُوَارِن ، وينحدر من الجبل مُتَّجِهًا إلى الغرب ، حتى يصبُّ في قَاع يدعى قاع الصِّبْر ، في لُغْف النفود ، شرق قرية الحُفَيْر ، ويبعد عن مدينة حايل بما يقارب خمسين كيلاً .

٣٠ – الصـــهو :

ص ٢١٨ – جاء في ديوان حاتم : وسارت مُحارِبُ حتى نزلوا أعجاز أجا – وكانت منازل بني بولان وجَرْمٍ – بأموالهم ، فخافت طيّءٌ أن يغلبوهم عليها ، فقال حاتمٌ يَحُضُّهُمْ :

أَرَى أجـاً من وَرَاء الشَّقِيْـقِ ، والصَّهْو ، زَوجُهَا عامرُ
وَقَدْ زَوَّجُوْهَا وقد عَنَّسَتْ وقَدْ أيقَنُوا أَنَّهَا عَاقِـرُ

أي لا ينزلها أحد . قال خالد : كان عامرُ بن جُوَين جاء بمحارب فأنْزَلَهم أجأ ، فكأنه زوَّجها . ضربه مَثَلاً .

ونقل محقق الديوان عن «معجم البلدان» : الصهو موضع بحلق رأس أجا ، وهو من أواسط أجا مما يلي المغرب ، وهي شعاب من نخل ينجاب عنها الجبل ، الواحدة صهوة وهي لجذيمة من جَرْم طيّءٍ .

وقال حاتم أيضًا – ٢٧٥ :

أَلاَ هَلْ أَتَى قَومِي بِأَنَّ مُحَارِبًا تَدَبَّرَ منها الصهْوُ (؟) بَادٍ وحاضرُ

---

(١) انظر عن شوط كتاب «شمال المملكة» : ٧٥٢ – ٧٥٣ .

وَحُلَّتْ بِلاَ جَار مَبَاءَةُ نَبْتَلِ وَحُلَّتْ جُدَّيَّاتٌ ، وحُلَّتْ مَصَاخِرَ
وأُرْسِلَتِ الأَشْوَالُ حَوْلَ بُوَاعَةٍ عِزِيْنَ ، وتَرْعَى بالرداة (؟) العشائِرُ

كلمة (بحلق أجا) غير واضحة ، وهي في مطبوعة «معجم البلدان» (بحاقٌ أجا) وهذه أغرب .

وأوضح منهما ما جاء في كتاب نصر ، ومثله في «معجم البلدان» : الصَّهْوُ رأس أجا ، وهو من أوسط أجا مما مغرب الشمس ، وهي شعاب بَيْنَ نُجُل ينجاب عنها الجبل ، الواحدة صَهوة ، وهي لجذيمة منجَرْم طيِّء . انتهى .

وذكر الْمَجرِيُّ الصهو ، ووصف جودة تَمْرِهِ .

والصَّهْوُ لايزال معروفاً ، وهي أودية تقع غرب أجا منفصلة عنه ، من شعاب حَضَن الغربية الشمالية .

أما التي في وسط أجا فهي قِمَّةٌ من قِمَمِهِ ، ينحدر منها واد ذو نخل ، يسمى الصَّهوة .

ويظهر أنَّ مُراد حاتِمٍ الصَّهْوَ الواقع غرب أجا، كما يفهم من خبر نزول محارب أعجازَ أجا .

وتقدم الكلام في (تدبر) و(الرداة) وأنهما (تَدَبَّرَ) و(الرداه) .

٣١ ـ عوالص :

شاهده في ثرمد :

وعلى ما ذكر ياقوت : جبال لبني ثعلبة من طيء ، وثعلبة هو جَرْم .

ومنازل جَرْم على مايفهم من كلام المتقدمين تقع غرب أجا خارجة عنه.

---

(١) «أبو علي الهجري» : ٣١٢ .

٣٢ – الغمـــر :

تقدم شاهده عند ذكر سقف .

والْغَمْر يطلق على مواضع ، أشرت إلى بعضها في كتاب «شمال المملكة»[١] ولكن الوارد في شعر حاتِم هو القريب من سَقْف ، وهذا على ما حدَّده المستشرق موزل في كتابه «شمال نجد» يقع في طرف رمَّاذ الغربي الشمالي ، غرب قرية المهاش في أعلى وادي المُدَيْنِيس ، أحد روافد وادي الشعبة (الشلَبُوْت قديماً) على بعد عشرة أكيـال من سقف جنوبه .

٣٣ – قـراقر :

مَرَّ ذكره في الكلام على أبَايِر .

وقال حاتِم[٢] :

وَهُمْ سَلَبُوْا زَيْدًا غَدَاةَ قُرَاقِرٍ رَوَاحِلَهُ ، والْموْتُ بالنَّاسِ حَاضِرُ

قُرَاقِرُ يطلق على مواضع[٣] : أحدها الأرض الواقعة شرق مدينة حائل التي تقع فيها قرية بقعاء ، حيث تنتهى سيول أجا هناك .

وقُراقيرُ أيضًا : الوادي المعروف الآن باسم وادي السِّرْحان .

وقُراقِر أيضًا : من أسْماء ذي قار ، الذي حدثت فيه الوقعة بين العرب والفرس بقرب الكوفة .

ولايتضح ما يعنيه حاتِم إلا بمعرفة الحادثة التي أشار إليها مفصَّلة .

٢٤ – القـــرية :

ص ٢٧٨ – قال حاتِم :

حَاشَا بَنِي عَمْرِو بنِ سِنْبِسَ إنَّهُمْ مَنَعُوا ذِمَارَ أبِيهِمُ أنْ يُدْنَسُوا

وَتَوَاعَدُوا وِرْدَ الْقُرَيَّةِ غُدْوَةً وَحَلَفْتُ بِاللهِ الْعَظِيمِ لَنَحْبِسُ

---

(١) من ص ٩٩٧ إلى ١٠٠٤ . (٢) ديوانه : ٢٧٥ .

(٣) انظر عن تفصيلها كتاب «شمال المملكة» ص ١٠٧٥ - ١٠٧٧ .

وقال المحقِّق : بقول البكريّ : القرية لبني سدوس من بني ذهْل باليمامة .

ولكن قُرَيَّة بني سدوس هذه لبني ذهل من بكر بن وائل ، لا لِطَيِّء الذين منهم بنو عمرو بن سِنْبِس ، ثم هي في اليمامة بعيدة عن بلاد طيِّء ، ولا تزال معروفة ولكن باسم سَدُوْس .

أما القُرَيّة المقصودة بقول حاتم فهي التي نقل المحقق عن « الأغاني »(١) أتى حاتم مُحَرِّقًا فقال له مُحرِّق : بايِعْنِي . فقال له : إنَّ لي أخوين ورائي فإن يأذنا لي أبايعك وإلاَّ فلاَ . — قال : فاذهب إليهما فإن أطاعاك فَأْتِني بهما ، وإن أبيا فأْذنْ بحرب . فلما خرج حاتم قال :

أتاني من الريَّان — الشعرَ — .

فقال مُحَرِّقٌ : ما أخواه ؟ قال : قيل : طرفا الجبل . فقال : ومحلوفه لأُجَلِّلَنَّ مُوَاسِلاً الرَّيْطَ مصبوغات بالزيت ، ثم لأُشْعِلَنَّهُ بالنار : فقال رجل من الناس : جَهِلَ مُرْتَقَىً بين مَدَاخِلِ سُبُلاَّت . فلما بلغ ذلك مُحَرِّقًا قال : لأَقدمنَّ عليك قُريتك ! ! ثم أتاه رجل فقال له : إنك إن تقدم القُرَيّة تَهلك . فانصرف ولم يقدم . انتهى .

وهذه القُرَيَّة — على مايُفْهم من القِصَّة في داخلِ أجا ، بقرب مُوَاسِل إحْدَى قِمَمِه ، بل نَصَّ ابن الكلبي على أنها في جبلي طيء — كما في « معجم البلدان » وأورد فيها شعرًا لامرئ القيس جاء فيه :

بنو ثُعَل جيرانها وحماتها .

والقُرَيَّة الآن مجهول موقعها ، وقد رَجَّح موزل أن مدينة حايل

---

(١) ١٧ — ٣٩٥ .

قامت على أنقاضها ، وأن موقعها هو موقع السُّوَيْفلة الواقعة شرق مدينة حايل ، وذلك الموقع كان مكان بلدة حايل قديمًا.

٣٥ – متالع :

ص ٢٨٧ – وقال حاتم :

تَدَارَكَني مَجْدِي بِسَفْحِ مُتَالِعٍ فلا يَيْأَسَنْ ذُوْ نَوْمَةٍ أَنْ يُغَنَّمَا

وفي الحاشية : متالع اسم لجبال عدّة ، فهو جبل بنجد ، وجبل لغنى ، وجبل لبني مالك بن سعد (ياقوت) .

وأقول : مُتَالِعٌ الوارد في شعر حاتم جبل عظيم لايزال معروفاً وهو في بلاد طيّئ ، وليس جبل غني المعروف الآن باسم (أم سنون[١]) . ولا جبل بني سعد بن مالك من بني سعد بن زيد مناة ابن تميم ، الواقع بقرب وادي المياه ، والذي لايزال معروفاً أيضًا[٢] .

وقد أوردت ما اطلعت عليه من نصوص المتقدمين في تحديده ، وحَدَّدته تحديدًا وافياً في كتاب «شمال المملكة»[٣] .

٣٦ – مُحجر :

ص ٤١ و ٤٢ – تكررت كلمة (مَحجِر) والجيم مكسورة ، والمعروف فتحها على اسم الفاعل ، لأنَّ الرَّمْل قد أحاط بذلك الجبل .

وقال الهجري[٤] : هُوَ مُخَمَّرٌ بالفتح ومُحَجَّرٌ ، لاغير . وإن كان ياقوت ذكر في «معجم البلدان» (كسر الجيم وقد تفتح وهو اسم الفاعل

---

(١) انظر لتحديده كتاب «بلاد القصيم» ومجلة العرب .

(٢) انظر لتحديده كتاب «المنطقة الشرقية» .

(٣) ١١٨٣ – ١١٨٥ .

(٤) «أبو علي الهجري» ص ٣٦٣ .

وقد روي بفتح الجيم فيكون مبنيا للمفعول) انتهى ولكن الهجري من ائمة اللغة ، ولايقاس به ياقوت ، ثم إن البكريَّ ضبطه بالفتح . وقال : كل جبل أَزّرهُ رَمْلٌ فهو محجَّر . . ومحجَّر المذكور قال عنه أَبو زياد : جبل حوله رَمْلٌ حُجِّرَ به[1] .

ومُحَجَّرٌ الآن يعرف باسم (المسْمَى) .

وانظر كتاب «شمال المملكة»[2] لتحديد موقعه .

٣٧ – المـــزاج :

ص ٢٠٤ – قال حاتمٌ :

وَلَوْ شَهِدَتْنَا بِالْمزَاجِ لأَيْقَنَتْ   عَلَى ضُرِّنَا أَنَّا كِرَامُ القبائل
عَشِيَّةَ قَال ابنُ اللَّئيمة عارق[3]   إِخَالُ رَئِيسَ الْقَوْمِ لَيْسَ بآيِبِ

وعَلَّق محقق الديوان : المزاج موضع شرقي المغيثة ، – ياقوت – وجاء في رسم المغيثة : منزل في طريق مكة بعد العُذَيْب ، وكانت أَوَّلاً مدينةً خربت ، وهي لبني نبهان . انتهى .

ومن كلام ياقوت – مما لم يذكره المحقق : قال عُمَارة :

المزاجُ موضع على مَتْن القعقاع من طريق الكوفة .

وأورد لجرير :

وَلاَ تَقَعْقَعُ أَلْحَى العِيْس قَارِبَةٌ   بين المزَاج وَرَعْنَيْ رِجْلَتَيْ بَقَر

وفي «القاموس» وشرحه[4] : والمزَاجُ شرقَّ المُغِيْثَة ، بين

---

(١) « شرح المعلقات » للتبريزى : ٢٠٨ ولا بن الأنبارى : ٢٣٥ .
(٢) ١١٩١ – ١١٩٦ .
(٣) وفى « الموفقيات » : عارض بدل عارق .
(٤) رسم (مزج) .

القادسية والقرعاء أو يمين القعقاع - وفي نسخة : أو يمنن القعقاع انتهى .

وأنا أستبعد أن يكون حاتمٌ قَصَدَ هذا الموضع الواقع في حدود العراق لبعده عن بلاد قومه ، ولا أستبعد عدم صحة كلمة (المزاج) .

٣٨ - مسطح :

تقدم شاهده في جَوّ ولكن أبا صالح صانع ديوان حاتم قال في شرح مسطح : المسطح في لغة طيّء مَدَاسُ الزرع .

ونقل محقق الديوان قول صاحب «معجم البلدان» أنه موضع بعينه في جبلي طيء . وذكر أنه لم يجد في المعاجم مسطحًا بمعنى مداس الزرع [١]

وأضيْفُ : لا يزال مسطحُ الموضع معروفاً ، وهو واد من أودية أجا ، يقع في أعلى وادي ضُرَافَةَ في جوف الجبل ، ويجتمع سيله - بعد أن يفضي إلى ضرافة ويخرج من الجبل - بسيل وادي حايل [٢] .

٣٩ - مشار :

تقدم شاهده من قول حاتم عند ذكر سَقْف :

إلى الشُّعْب من أَعْلَى مَشَارٍ فَثَرْمَد فَبَلْدَة مَبْنَى سِنْبِس لاِبْنَتَيْ عَمْرو

وليس (ستار) ولا (مسار) كما في بعض نسخ الديوان .

وقد ورد الاسم مصحفاً في كثير من الكتب (مشان) [٣] .

ومشار من أشهر أودية أجا ، يصبُّ من أعاليه الشرقية ، وتجتمع فيه شعاب منها ثَرمَد ، ويفيض عند قرية السويفلة ، أسفل مدينة حائل ، حيث يلتقي بوادي الأُديرع .

---

(١) ص ١٨٩ . (٢) «شمال المملكة» : ١٢٢٦ .

(٣) انظر كتاب «شمال المملكة» : ١٢٢٨ .

٤٠ – مصاخـــر :

شاهده في الصهو .

وقال المحقق الفاضل : أما جُدَيات ومصاخر فلم أجدهما[١] .

وأقول : صواب الاسم مضاخر – بالضاد المعجمة بعد الميم وبالخاء المعجمة أيضًا .

قال نَصْر بن عبد الرحمن الاسكندريُّ في كتابه[٢] ، في (مفردات حرف الميم) : مضَاخرُ هُضَيْباتٌ غَرْبِي أساهيب ، وهي هضابٌ فيها مصانع ، لبني جُويْن وبني صخر ، من طيِّء .

ومضاجِرُ لفـزارة .

واستدرك بهذا الكلام صاحبُ «تاج العروس» على صاحب «القاموس» ولم يزد على ما هنا[٣] .

وأساهيب المذكورة تعرف الآن باسم أساهيم – بالميم – وكثيرًا ما تعاقب العامة بين الحرفين ، فيقولون : الرقب في الرقم .

ويفهم من تحديد نصر أن الموضع يقع غرب بلاد طَيِّء ، بحيث تلتقي ببلاد فزارة . إذ أساهيمُ من جبال سَلْمَى .

٤١ – مواســـل :

ص ٢٨٤ – قال حاتِمٌ

أَتَانِي من الريَّان أمْسِ رسالَةٌ　　　وعَدْوى (؟)وغَيٌّ (؟)ما يقولُ مُوَاسِلُ

هُمَا سَألانِي : ما فَعَلْتَ ، وإنني　　　كَذلكَ عَمَّا أَحْدَثَا أَنَا سَائِلُ

فَقُلْتُ : ألا كيفَ الزمانُ عليكُمَا　　　فقالا : بخير ، كُلُّ أرضكَ سَائِلُ

(١) ص : ٢٧٥ .　　(٢) الورقة : ١٤١ مخطوطة المتحف البريطاني .

(٣) رسْم (ض خ ر) .

وقال محقق الديوان : الريّانُ جبل مضى ذكره في القصيدة رقم ٦٨ هامش . (١)

وقوله : عدوى وغيء : مضطرب المعنى .

ومواسل : اسم قُنَّة في جبل طيّءٍ انتهى .

ولكن المحقق الفاضل لم يبين أي جبل لطيّءٍ هذا الذي مواسل من قننه .

وقال الهجري : هذا شرح أسماء مواضع في بلاد طيّءٍ : في قوله : بالصَّهْو صَهْو مُوَاسل :

هو مُويسلُ في أجإٍ ، وهو شعبة فيها النخل والنشرف – وهو التين – لبني زُرَيْق ، فإذا أضفت إليه قلت زُرَيقي ، وكان لجذيمة ؛ والنِّسبَةُ إلى جذيمة هذه جذمي انتهى .

وفي « الأغاني » (٢) أتى حاتم مُحَرِّقًا ، فقال له مُحَرِّق : بايِعْني . فقال : إنَّ لي أخَوَيْنِ ورائي ، فإن يأْذنا يا أبايِعْك وإلا فلا . قال : فاذهب إليهما ، فإن أطاعاك فاتني بهما ، وان أبَيَا فأْذَنْ بِحَرْب . فلما خرج حاتم قال :

أتاني من الديَّان أمسِ رسالةٌ وعدر اسحى(؟) مايقول مواسلُ
هما سألاني مافعلتُ وإنني كذالكَ عمّاً أحدثا أنا سائلُ
فقلت : الا كيف الزَّمانُ عليكما فقالا : بخير ، كُلُّ أرْضيك سائِلُ

فقال مُحَرِّق : ماأخواه ؟ ! قال :

طَرَفَا الجبل ! . فقال : ومَحْلُوفِهِ الأُجَلِّلَنَّ مُوَاسلاً الرَّيْطَ ؛

(١) لكنى لم أجد ما ذكر عن الريان وان كان تقدم ص ٢٦٧ .
(٢) « أبو على الهجرى وابحاثه فى تحديد المواضع » : ١٨٢ .
(٣) ١٦ – ١٠٥ ط : الساسى .

مَصْبوغات بالزيت ثم لأشْعِلَنّهُ بالنَّارِ . !

فقال رجل من الناس : جَهِلَ مُرْتَقّى بين مداخل سَبَلَات .

فلما بلغ محرّقًا قال : لَأَقدمَنَّ عليك قَرْيتك !. ثم إنه أتاه رجل فقال : إنك ان تقدم القرية تهلك .

فانصرف ولم يقدم . اهـ

وقال البكري : مُواسِلُ بضم أوله وكسر السين ، جبل تقدم ذكره في رسم الرَّيّان قال زيد الخيل :

كأنَّ شُرَيْحًا خَرَّ مِنْ مُشْمَخِرَّةٍ وجَارَيْ شُرَيح من مُوَاسِلَ فالوَعْرِ

وقال واقد بن الغطريف الطائي فصغَّره :

لئِنْ لَبَنُ المِعْزَى بِماءِ مُوَيْسِل بغاني داءٌ إنَّني لسَقِيْمُ

هكذا قال ، والصحيح أنهما موضعان مختلفان[٢] . انتهى .

وقال في « معجم البلدان » :

مُوَاسِل : كأنه من مسيل الماء إذا سال – بضم أوله وسين مهملة مكسورة : اسم قُنَّةِ جبـل أجا ، قال زيد الخيل :

أتتْني لسـانٌ لا أُسرُّ بِذِكْـرِها تصدَّع عنها يذبُلٌ ومُـوَاسِلُ

وقـد سَبَقَ الرَّيانُ منـه بِذِلَّة فأضحى وأعلى هضبة متضائِلُ

فإنَّ امْرَأً منكـم معاشِرَ طيِّءٍ رجا فرجًا بعد ابنِ حيَّة جـاهِلُ

وقال ياقوت[٣] أيضاً : مواسل قُنَّة بـأجأ ، وأورد قول لَبِيْد –

(١) « معجم ما استعجم » .

(٢) هذا صحيح وانظر (مويسل) فى كتاب « شمال المملكة » ص ١٢٨٤ و ١٢٩١ .

(٣) رسم أجا من « معجم البلدان » .

يصف كتيبة النعمان بن المنذر — .

كَأَرْكَانِ سَلْمَى إذْ بَدَتْ ، أوكَأنَّها
ذُرَى أجَإٍ إذْ لَاحَ فِيهِ مُوَاسِلُ

وهذا الْبَيْتُ يفهم منه أنَّ مواسل من أَبْرَز قِمَمِ أجأ وأقرب ماتنطبق عليه الأوصاف المتقدمة من قممه مايُعْرَف باسم الرَّعيْلَة .

وقد سبق توجيه القول بأنَّ الرَّيَّان هو الرعيلة ، ولكن يلاحظ أنَّ القمة التي يطلق عليها هذا الاسم تُشَاهَد مَن بُعْد مجتمعةً وكأنها رأس واحد ، وعند القرب منها تبدو ذات رؤوس ، وهذا فيمكن القول بأن اسم الرعيلة يجمع ما كان يعرف قديماً بجبل الريَّان وبجبل مواسل . على أنه سبقت الاشارة إلى أن الريان يطلق على وَاد تنحدر أعلى فروعه من الرعيلة .

٤٢ — نبتــل :

شاهده فى الصُّهْو —

وأورد المحقق هناك قول ياقوت : جبل في ديار طيِّء قريب من أجأ.

والواقع أنَّ نَبْتَلَ يطلق الآن على مَنْهَل يقع في الجنوب من أجا — شمال قرية الغزالة بقرب الْغَمْر ، يفصل بينه وبين أجا جبل المحضن ، وبقرب ذلك الماء جبال ، ليست معروفة الأسماء .

فيظهر أنَّ اسم الجبل كان يُطلق على ماء بقربه ، ثم نسي الجبل وبقي اسم الماء للحاجة المتكررة إليه ، و مثل هذا يحدث في اسماء المواضع كثيراً

٤٣ — نقيب :

تقدم شاهده في الكلام على تَرْمَد وقول ياقوت : إنه شعب من أجا .

وتقدم القول بأن تَرْمَدَ من الشعاب التي يصب سيلها في مشار .

ومن تلك الشّعاب شِعْب يدعى الرفاعي أعلاه يسمى النقيب — بالتعريف مع فتح النون مصغراً — فلعله الوارد في الشعر .

٤٤ ــ وادى القــرى :

ص١٧٩ ــ جــاء في شرح قول حاتـم ــ في الهامش . رمّانَ من وَادي القُرَى لأَرْبَع .

نقلها عن ياقوت : وادي القِري وادٍ بين الشام والمدينة ، وهو بين تَيْماء وخَيْبر .

وادي القُرَى : اسم كان يطلق على واحة ذات قُرَى وأودية أشهرها الآن وادي العُلَا ، ووادي الحِجْر ووادي الجِزْل ، وتلك الواحة تقع بين المدينة وبين الحجاز ، ولكنها لاتقع بين تيماء وخيبر ، إذ تيماء تقع بالنسبة لخيبر شمالا ، ووادي القرى يقع بالنسبة لخيبر غربا بميل نحو الشمال ، والمتجه من تيماء إلى وادي القُرى لايَمُرُّ ببلاد خيبر بل يدعها ويدع حرَّة خيبر كلها جنوبه ، وعلى هذا فإنَّ القول بأَن وادي القري واقع بين تيماء وخَيْبَر قول غير مستقيم ، ويمكن تخريجه بأَن الطرق ــ في القديم ــ تخضع لوجود الأَمْنِ ، ولا يُرَاعى فيها الاتجاه للقصد دائما ، وبلاد خيبر بلاد مسكونة وهي أقرب إلى وادي القري من تيماء ، وأَقرب إلى تيماء من وادى القرى .

ولهذا كان المسافرون من تيماء يتحاشون قطع المفازة الواقعة بينها وبين وادي القرى ، فيتَّجِهُون إلى خيبر المأْهولة بطريق كثير المياه ومن خيبر يتجهون مع طريق معمور بالقرى إلى وادي القرى .

٤٥ ــ وقــران :

تقدم ذكره في نقيب عند ذكر ثَرْمد :

وقال ياقوت : وقران شعاب في جبال طيِّء .

واراه شعْبًا من شعاب أجا ، مثل ثَرْمد ونَقيب ، وإن كنت على غير ثقة من صحة الكلمة .

هذا عَرْضٌ قُصِدَ به تحديد المواضع الواردة في شعر حاتم ، وهي تقارب ٤٤ ــ موضعا ، منها ٢٨ موضعا لانزال معروفة وهي :

١ ــ أُبَاير
٢ ــ أُبْضَةُ
٣ ــ أجا
٤ ــ أُظَايِف
٥ ــ بُسَيْطَة
٦ ــ بُلْطَة
٧ ــ بُوَاعة
٨ ــ تيماء
٩ ــ ثَرْمَد
١٠ ــ جُدَيَّة
١١ ــ جَــوّ
١٢ ــ حالة
١٤ ــ حامِر
١٥ ــ حيّة
١٦ ــ رَخَّة
١٧ ــ الرَّيَّان
١٨ ــ سقف
١٩ ــ الشقيق
٢٠ ــ شُوْط
٢١ ــ الصَّهْو
٢٢ ــ الغَمْر
٢٣ ــ قُرَاقر
٢٤ ــ مُتَالِـع
٢٥ ــ مِسْطح
٢٦ ــ مشار
٢٧ ــ نبتل
٢٨ ــ نقيب

واحدى عشر موضعاً لا أعرفها وهي :

١ ــ تنعة
٢ ــ حقل
٣ ــ دَباب
٤ ــ الرداه
٥ ــ سفيرة
٦ ــ سلامان
٧ ــ عوالص
٨ ــ القريَّة
٩ ــ المزاج
١٠ ــ مضاخر
١١ ــ مواسل

مع أن أكثر الجهات التي تقع فيها هذه المواضع معروفة .

أُضاخ: ما هو تاريخها؟

... صاحب مجلة « العرب » .

عنايتكم بتاريخ الجزيرة كلها تدفعني إلى سؤالكم عن بلدة (أضاخ) التي لا شك أنكم تعرفونها لقربها من بلدتكم ، ففيها آثار تدل على أن لها تاريخها قديماً ، فهل تتفضلون بأن توضحوا لقراء مجلتنا الكريمة ما تعرفون منه ؟

أُضاخ : محمد بن عبدالله بن سبيِّل

العـــرب : تاريخ بلدة أُضاخ كتاريخ غيرها من كثير من بلدان قلب الجزيرة لا يجد الباحث عنه سوى معلومات موجزة ، لا تنير الطريق إلى معرفته معرفة تامة . ولا شك أن بلدة أُضاخ من أقدم ما هو معروف من قرى عالية نجد ، فقد كانت معمورة قبل الإسلام ، واشتهرت بوجود مصنع للأواني (معدن البُرَم) إلى زمن غير بعيد .

وكانت معمورة مشهورة في صدر الإسلام ، ففي سنة ٢٣١ وَلَّى الخليفة المأمون العباسي رجلا من أهلها هو اسحاق بن ابراهيم بن أبي حُمَيْضَةَ الأُضاخي اليمامة والبحرين وطريق الحج[١] . ويذكر البلاذري في « فتوح البلدان » أنَّ إسحاق هذا بنى مسجدا جامعاً في الحديقة التي قُتِلَ فيها مُسيلمة في عَقْرَباء ، بقرب الجبيلة .

وقد تحدث عن ماضي أُضاخ الأُستاذان الشيخ محمد بن ناصر العبودي في كتاب « بلاد القصيم » والشيخ سعد بن عبدالله بن جُنَيْدل في كتاب « عالية نجد » وهما من أجزاء « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » وسيصدران قريباً عن (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) ونجدها مناسبة طيبة لإتحاف القراء بما كتبه الأُستاذ العبودي[٢] . قال

(١) : « تاريخ ابن جرير » .   (٢) بلاد القصيم ١ – ٣٥١ .

أضاخ : بضم الهمزة أوله ، فضاد معجمة مفتوحة ، فألف ، ثم خاء معجمة آخره : قرية قديمة العمران ، إلاّ أن عمرانها القديم كان قد اندثر ، وقد بدأ عمارتها بعض أهل البادية .

وتقع جنوباً من الأثلة شرقاً من نفي مطلع الشمس من دخنة .

وقد يصح أن يكتب وضاح بالواو وهكذا ذكره ياقوت باللفظين أضاخ في حرف الألف و(وضاخ) في حرف الواو كما أن العامة تلفظ به بما يكون صالحاً للفظين .

قال نصر الإسكندري : أضاخ سوق بها بناء وجماعة ناس وهي معدن البرم [1] .

أقول : من شواهد ما ذكره نصر من أن (أضاخ) هي معدن البرم : جمع برمة بمعنى القدر .. وانها سوق يشترى الأعراب وغيرهم منها الطرف والحاجات التي يحتاجونها ما ذكره أبو عبيدة من أن بنى فقيم مروا (بأضاخ) فاشتروا براما ـ جمع برمة ـ وطُرَفا [2] فَعَدَّلوها ، فقدموا بها على أهلهم فقال الفرزدق :

آب الوفـد وفد بني فقيم بـأخيب ما يؤوب به الوفود
فـأبوا بالبـرام معدّليهـا وفاز الجَدُّ بالجـد السعيد
وزاحمت الخصوم بني فُقَيْم بلا جَدٍّ إذا زحم الجلودُ [3]

وكان في (أضاخ) حرث وعبيد يعملون فيه ممن يتكلمون بغير العربية مما يدل على ازدهار له قديم ، كما فى النص التالى الذى ذكره صاحب كتاب «المناسك» عنقُرّة بن جابر من أهل (أضاخ» قال : كنا ننضح [4] على حرث بناحية (اضاخ) ولنا غلام ، ونحن نعمل في حرثنا ، وكان يلحّ على رطانة بالزّنجية ، حتى روينا ما قال ، ووقفعلينا

---

(١) الأمكنة ق ١٨ – ١ . (٢) طرفا : جمع طرفة . (٣) النقائض ج ١ ص ٢١٥ .
(٤) ننضح : أى نسق الماء بمعنى نخرجه من البئر على النواضح وهى السواقى .

زنجي قد استعرب وفهم ، فقلنا له : ما يقول هذا ؟ قال : تفسير الذى يقول :

فقلت لها أنّي اهتديت لفتيـة   أَنَاخُوْا بجعجاع قلائص سُهَّمَا

فقالت : كذاك العاشقون ومن يَخَفْ

عيون الأعـادي يجعـل الليل سُلَّما[1]

بل كانت (أضاخ) مركزاً للحكم بين المتخاصمين وكان فيها مشايخ يتولون الحكومة فى المنازعات ، كما فى هذا الشاهد الذى نقله السمهودى حيث قال :

أدنى مياه بني تميم إلى (أضاخ) ماءٌ يقال له أُضَيِّخ لبني الهُجَيْم . وقد دفن منذ دهر ، فقال ناس من بني عبدالله بن عامر لأصهار لهم من بني الهجيم : نحن نستسقي لكم آل عثمان بنفي ، فرغبوا في ذلك فأجابهم آل عثمان ، فاستظعن الهجيميون قومهم إليه فلقيهم رعاء غني ، فسألوهم فقالوا : إن بني عثمان ولونا أمره ، وبلغ الخبر من يليهم من غني ، فتواعدوا أن ينزلوا أدنى منازلهم من نفي ، فاجتمع منهم جمع كثيف ، وعلم بنو الهجيم أنهم إن ثبتوا يعظم البلاء فظعنوا لَيْلًا إلى بلادهم ، وخاف بعضهم أن يدركوا فتركوا به أرحاءً[2] وما ثقل ، وبهما في أرباقه[3] يعني العرى التي يشد بها البهم ، فغضب أصهار الهجيميين ، واستغضبوا آل عثمان ، فلما قدم الحسن بن زيد المدينة ومعه بعض أصهار الهجيميين فقالوا لآل عثمان : نجيء لكم بخيار ومشايخ (أضاخ) يشهدون لكم فاستعدى آل عثمان الحسن بن زيد على غنيّ ، وسألوه المحاكمة (بأضاخ) لقربها من بني تميم ، ووكل آل عثمان عبدالله بن عمرو بن عنبسة العثماني ،

---

(١) المناسك ص ٣٢١ .   (٢) جمع رحا .

(٣) جمع ربق وهو رباط البهم ، صغار الغنم .

فاجتمعوا عند أبي المُطَرِّف عامل الحسن (بأُضاخ) وولي الخصومة من غَنِيٍّ الحسينُ بن ثعلبة أحد بني عمرو ... فصار كلما جاء العثماني بشاهد من بني تميم جاءه الغنوي بشاهدين يجرحانه من قيس .. فلحق العثماني بأهله . وهذه الخصومة في سنة إحدى وخمسين ومائة [٢] .

وقال البكري : أُضاخ : بضم أوله وبالخاء المعجمة ، على وزن فُعَال قال ابن دريد : هو جبل بالخاءِ المعجمة ... قال غيره : ويقال في الجبل وضاخ بالواو بدلاً من الهمزة :

أقول : لا يوجد جبال عالية تسمى أُضاخ وإنما يوجد صفاة وضاخ وتسميها العامة صفاةوضاخ العليا وهي الجنوبية الغربية وصفاة أُضاخ وهي الشرقية الشمالية وهما مرتفعتان كأنهما الجبلان المتطامنان .

قال البكري : قال ابن قتيبة : وجد بدمشق حجر مكتوب فيه :هذا من ضلع (أُضاخ) والضلع : الجبيل الصغير . ثم أنشد قول الجعدي :

تواعدنا (أُضاخَهُمُ) صباحا ومنعجهم بأحياءٍ غضاب

فقرن ذكره بذكر منعج الذي هو دخنة ، ولا يبعد عن أُضاخ إلا بمسافة ٣٥ كيلا إلى جهة الشمال من أُضاخ .

أقول : البيت لطفيل الغنويِّ من قصيدة سيأْتي ذكرها .

أقول : ضلع : أُضاخ هو الذي يسمى الآن صفاة وضاخ العليا . أو قد يكون هو المسمى (العَرَف) [١] وهو سنافٌ صخري أحمر مُتَطامن قصير أي مرتفع صخريٌّ منقاد الا أن ارتفاعه قليل جداً ، وأعتقد أنه جزءٌ من حزيز أُضاخ الذي ذكره المتقدمون وسننقل النصَّ في ذلك فيما بعد .

وقال ياقوت : أُضاخ : بالضم وآخره خاء معجمة – : من قرى اليمامة

---

(١) وفاء الوفاء في الكلام على حمى ضرية ، وهو مما نقل عن الهجري كما صرح بذلك في أول الكلام .

(٢) بفتح العين والراء ثم فاء ولعل الأصل فيه إسكان الراء تشبيها بعرف الديك .

لبني نَمير . أقول : هذا وهم دفعهُ إليه كونه قد صار لبني نمير في زمن من الأزمان وظن أنه من بلاد بني نمير التي في اليمامة ودليل كون ما ذكرهوهما قوله بعد ذلك : وذكره ابن الفقيه في أعمال المدينة فأعمال المدينة المنورة لم تصل إلى قرى اليامة كما هو معروف .

أما كونه من أعمال المدينة في وقت من الأوقات فذلك صحيح وواضح لأنه قريب من الحمى حمى ضرية والحمى كان في القرون التالية لظهور الإسلام تابعاً للمدينة : لأنه لم يكن في القصيم مراكز إدارية في ذلك الوقت.

ثم قال ياقوت : وأضاخ : سوق ، وبها بناء ، وجماعة ناس وهي معدن البُرَم إلى أن قال : وقد نسب الحافظ أبو القاسم إليها محمد بن زكريا أبا غانم النجدي ويقال اليمامي الأضاخي من قرية من قرى اليامة .

أقول : ظاهر أن السبب في أنه قد يقال له اليامى إلى جانب نسبته إلى نجد راجع إلى من ظنّ أن اليامة ونجد موضع واحد .

وقال الأستاذ حمد الجاسر : أضاخ قرية لا تزال معروفة ، تقع في عالية نجد يدعها المتجه إلى ضرية من بلدة نفىء (نفي) على يساره قال نصر في كتابه وعنه نقل ياقوت : برم : معدن البرم بين ضرية والمدينة ، وهناك (أضاخ) موضع مشهور . كذا قال نصر ، وأضاخ لا يَقع بين ضرية والمدينة ، بل يقع شرق ضرية ، ولا يزال معروفاً ، ويظهر أن شهرة هذا المعدن بلغت حداً عظيماً ، بحيث أصبح المنتسب إلى هذه البلدة يكون قد بلغ غاية الذم من الضعة ، كما يفهم من قصة بشار الشاعر مع شخص ينتسب إلى أضاخ[1] وقال أيضاً : أضاخ كان مضافاً إلى أعمال المدينة عندما كان حمى ضرية تابعاً لها ، أما الآن فهو تابع لإمارة القصيم[2] .

---

(١) مجلة العرب م ٢ ص ٩٩٩ . (٢) مجلة العرب م ٦ ص ٤٦١ .

أما البرم فقال الأستاذ حمد : البرم – كما يفهم من كلام المتقدمين نوع من الصخور الهشة اللينة ، تصنع منه البرم – جمع برمة ، وهي أواني للطبخ كالقدور ، وقد تتخذ من نوع الطين من وهذه الأواني كانت إلى عهد قريب يستغنى بها عن الأواني المصنوعة من الحديد ، ولا يزال بعضها مستعملاً في بعض جهات الجزيرة [(١)] .

وقد شهد أضاخ حادثة تاريخية كانت مؤلمة تتجلى فيها القسوة التي كانت طابع الأحداث في زمن الجاهلية وتتلخص في كون نعل لشراحيل بن الأسود الكندي بعد قتله – وجدت في الشربة عنه قوم من بني محارب بن خصفة فكان جزاؤهم أن أحْمَى لهم صفا (أضاخ) بمعنى أنه أوقد فوقه حطباً جزلا حتى أصبح حامِياً وأجبرهم على أن يسيروا فوقه حتى تساقط لحم أقدامهم .

وهذا قول أبي عبيدة في ذلك : ووجد نعل شرحبيل عند أضاخ ، وهو من الشربّة في محارب بن خصفة بن قيس عيلان ، وقال : فأحمى لهم الأسود الصّفَا التي بصحراء أضاخ ، وقال لهم : إني أحذيكم نعالاً ، فأمشاهم على الصّفا المحمى ، فتساقط لحم أقدامهم ، فلما كان الإسلام قتل جَوْشَن الكندي رجلاً من بني محارب ، فأُقيد به جوشن بالمدينة وكان الكندى من رهط عباس بن يزيد الكندي ، فهجا بني محارب فعيّرهم بتحريق الأسود أقدامهم ، فقال :

على عهد كسرى نعّلتكم ملوكُنا صَفَا مِنْ (أضاخ) حامِياً يَتَلَهَّبُ [(٢)]

إلا أن في النص أن أضاخا من الشّربّة وهذا مشكل إذ الشربة معروف أنها ما بين خط وادي الرّمة ووادي الجرير (الجريب قديماً) حتى يلتقيا

---

(١) المصدر نفسه م ٢ ص ٩٩٨ . (٢) الأغاني ج ١١ ص ١١٠ (دار الكتب) .

كما سيأتي تحديدها في رسم وادي الجرير في حرف الواو إن شاء الله ونعلّ مَرَدّ ذلك إلى أن القصة في بني محارب بن خصفة ، وبنو محارب منازلهم في تلك المنطقة ، أي في الشربة ، والشربة أقصاها إلى الشرق طمية ، وأقصاها إلى الغرب ماوان وسنام والربذة أي المنطقة التي فيها الآن «النفازى» والهميج ، الآتي ذكرهما في مكانهما . وذو عاج الذى يسمى الآن «عاج» كما سيأتي في حرف العين ، ونص على ذلك أحد الشعراء في قوله :

تحنُّ بذِي عاج شيوخُ محارب ... لتصلب حتى قد أتاني حنينها

ومن المعلوم أن تلك المنطقة بعيدة عن منطقة «أضاخ» المعروف الآن باسمه ، وتوجيه القصة كما ذكرنا أن نعل شراحيل وجدت عند بني محارب في الشربة فأحضرهم الأسود إلى (أضاخ) وعاقبهم هناك مما يدل على أن (أضاخاً) في الجاهلية كانت مركزاً من مراكز الحكم .

وقوله بصحراء أضاخ يدل على أن المراد به أضاخاً هذا لأنه يحيط به صحراء ليس فيها مرتفعات ولا منخفضات .

أما الصفا الذي أحماه شرحبيل لبني محارب بن خصفة فإنه ربما كان الصفاة السفلى ، إذ في (أضاخ) صفاتان إحداهما عليا إلى القبلة منه أي أيمن الجنوب الغربي والأخرى سفلى إلى جهة الشمال الشرقي .

وذكر (صفا أضاخ) في الشعر قال عمر بن لَجَأ التيمي[1] :

أآب الهمُّ إذ نام الرُّقود ... وطال الليل وامتنع الهجود

هوى للعين بين (صفا أضاخ) ... وحيث سما لواردة العمود

فقرن ذكر صفا أضاخ بذكر واردة إحدى واردات التي هي هضبات قريبة من أضاخ .

(١) شعر عمر بن لجأ التيمي ص ٦٠ .

وأورد الهجرى لرجل من نمير وباع ناقة له (بأُضاخ) فلما أدخلت الدرب حنت فشاقهُ حنينها فقال :

حلفت يميناً (للوضاخيِّ) بتـلة وإني على أمثال تلك لحـالف
لقد راعني ترجيع عجلى[1] ودونها من الدرب باب موثق وسقايف
فَحِنِّي فقد أصبحت في دار غربة يغنيك بالأسحار ديك قراقف
فلن تردى ماء الطَّويِّ ولن ترى أبانين ما غَنَّ الحمام الهواتف
وكم من حبيب قد أَزَرْت حبيبه وذي كربة جنَّبْته وهو خائف
فكل المطايا بعد عجلى[1] ذميمة قلائدها والمقربات الطرائف[2]

ولا نعرف تاريخ هذا الشعر لأننا لو عرفنا تاريخه لأفادنا في معرفة تاريخ (أُضاخ) إذ هو يدل على أن أُضاخاً في عهد هذا الشاعر كان قرية للحاضرة يدل على ذلك قوله : من الدرب باب موثق ،

وقوله : يغنيك بالإسحار ديك الخ والمفهوم لي أنه من شعر القرن الثالث الهجرى إذ سمات ذلك القرن تلوح لي عليه والله أعلم .

ولئن لم نعرف زمن هذا الشاعر الذي ذكر الهجري شعره فإننا نعرف شعراً أقدم منه عهداً ، وأسير منه ذكراً يدل على أن (أُضاخ) كان في قديم العهد مجتمعاً للناس يشتهر ما يحدث فيه وتنتشر أخباره في بلاد العرب وبين قبائلها ، وهو شعر أشار إليه الفرزدق من شعراء القرن الأول وذلك الشعر الذي نشير إليه له قصة نلخصها فيما يلي[3] :

كان عمرو بن عمران الصيداوي[4] جاراً لِحَرِّيٍّ بن ضمرة فأخذ رجل يقال له قيس بن حسان بَكْراً من إبل عمرو ، فضرب حَرِّيٌّ قيس

---

(١) عجلى اسم ناقته المباعة . (٢) مجلة العرب م ٥ ص ١٠٧٩ — ١٠٨٠ .
(٣) نخصناها من النقائض وهي بكاملها فيه ج ٢ ص ٩٤٣ — ٩٤٦ .
(٤) الطهوى : نسبة إلى طهية من بنى تميم وبنو مجاشع وبنو نهشل أيضاً من تميم .

ابن حسان ضربة بالسيف فقطعت أحد زنديه وأخذ من إبله ثلاثين بعيراً . فغضب بنو مجاشع أخوال قيس بن حسان ، وقالوا لبني نهشل : أصحاب حَرِّيّ بن ضمرة : إما أن تردوا على قيس إبله ، وإما أن تجعلوا حَرّي بن ضمرة خليعاً ، فجعلوه خليعاً فأخذوه فضربوه (بأُضاخ)وأخذوا من إبله ثلاثين بعيراً . ففي ذلك وقال شمّاس الطهوى[(١)] :

يا ويح حَرّي علينا ورهطه ببطن (أُضاخ) إذ يُجرّ ويُسْحَبُ
قضاءٌ لنَوّاس بما الحقُّ غَيْرُهُ كذلك يخزوك العزيز المدرّبُ
فأدِّ إلى قيس بن حسان ذَوْدَهُ وما نيل منك التمر أوهوأطيب[(٢)]

والدليل على شهرة (أضاخ) أن جبلة الهضبة العالية المشهورة التي وقع فيها يوم جبلة قد عرفها بعضهم بأُضاخ قال البكري : جبلة : مفتوح الثلاث : جبل ضخم على مقربة من أُضاخ .

أقول : تقع جبلة في جهة الجنوب الغربي من (أُضاخ) بينهما مسافة ٥٥ كيلا وهي ترى من أُضاخ إذا كان الجو صافياً رغم بعد المسافة بينهما ، لأن جبلة عالية وهي في أرض مرتفعة .

ولشهرة (أُضاخ) أيضاً حددتْ بعض الأماكن والطرق بقربها منه ، أو بعدها عنه أو انطلاقها من جهته كما قال البكري في مياه ثلاثةشرق جبلة : وماءٌ آخر عال لبني تميم يقال له سقام على طريق ((أُضاخ) إلى مكة وإلى ضرية ، بينه وبين (أُضاخ) ثمانية أميال ، (وأُضاخ) كانت الحد بين قيس وتميم وأُضاخ قيسية[(٣)] .

وقال في الكلام على حمى ضرية : وبين نَفْء وبين (أُضاخ) نحو من

(١) بهان أضاخ هو شعيب أضاخ والقرية الآن إلى الجنوب منه .
(٢) يريد أنه حاو على النفس كما أن التمر حلو طيب للآكل .
(٣) رسم : « جبلة » .

خمسة عشر ميلا وابتنى عمال عثمان عند العين قصراً يسكنونه وهو بين (أضاخ) وجبلة قريباً من واردات .

أقول : قست المسافة بين نَفْء الذي يسمى الآن (نفي) ويأتي ذكره في حرف النون إن شاء الله ـ وأضاخ فإذا هي ٢٧ كيلا .

وفي الكلام على (قاع الخرما وخِرْمان) الذي كان يسمى في القديم (قاع القِمْرا) قال البكري : فيفضي – يعني وادي الرشا الذي كان يسمى قديماً بالتسرير – إلى قاع القِمْرَا ... وبين هذا القاع وبين (أضاخ) خمسة عشر ميلا . وإنما يرد التسرير – يعني وادي الرشا ـ العقار ـ وهو حبل رمل عظيم – يعني بذلك رمل الشقيقة – عرضه ثمانية أميال وهو على طريق أهل (أضاخ) إلى النباج [1] والنباج هو الأسياح كما تقدم قريباً ، والمسافة بين أضاخ وبين قاع الخرما حوالي ٢٧ كيلا أي كما ذكره البكري .

وكذلك عُرِّف موضع (منعج) [2] الذي هو دخنة في الوقت الحاضر بأنه واد خارج عن الحمى ، في ناحية دار غني ، بين (أضاخ) وإمرة [3] .

أقول : هذا هو الواقع لأن وادي دُخْنَة هو بين أضاخ وامرة .

والرجام – الجبل القريب جداً من جبل طخفة المشهور وهو الذي تغير اسمه فأصبح يسمى (الشعب) قد وصف بأنه جبل مستطيل في الأرض بناحية طخفة ليس بينه وبينها إلا طريق يدعى العرج [4] وهو طريق أهل (أضاخ) إلى ضرية .

---

(١) البكري رسم « ضرية » ص ٨٧٣ .
(٢) سيأتي الكلام عليه في رسم « ملعج » في حرف الميم .
(٣) البكري ص ٨٧٦ . (٤) البكري ص ٨٧٧ .
(٥) كذا فيه واعتقد أنه صحته الفرج ، من الانفراج .

وذكر الأصمعي الرسيس ثم الإراطة وقال : بينها وبين (أضاخ) ليلة . نقله عنه ياقوت في رسم (أضاخ) .

بل إن شهرة (أضاخ) تعدت كتب معاجم البلدان إلى كتب اللغة الأخرى كما في قول أبي حاتم – السجستاني – : حَجْرُ اليمامة[1] يُذَكَّر ويؤنَّثُ وَفَلْج مُذَكَّرٌ على كل حال . وعمان : الغالب عليها التأنيث ، وقباء[2] و (أضاخ) يذكران ويؤنثان[3] .

متى خرب (أضاخ) ؟ :

هذه النصوص الكثيرة المتعددة تدل كلها على عمارة قديمة بل ازدهار اقتصادي وعمراني في (أضاخ) إلا أننا نعرف أنه دثر وبار بعد ذلك ، ومع أسفنا الشديد أننا لا نعرف متى كان ذلك لأن الغموض بل الظلام قد أحاط بتاريخ هذه المنطقة من الجزيرة العربية في خلال العصور الوسيطة .

ولكن النصين اللذين سنوردهما فيما بعد عن ابن فضل الله وعن ابن بسام – ولا أدري مصدر ابن بسام في نقله ذلك – يدلان على أن أضاخ كان قد دثر وبار قبل القرن الثامن الهجري لأن العبارات التي وردت فيهما تدل على ذلك ولا تقال عادة إلا في المواضع التي هي موارد للبادية أو ليس فيها عمران حضاري مزدهر . وإن لم يكن ذلك نصاً صريحاً فيها.

قال ابن بسام في حوادث سنة ٨٦٠ (ستين وثمانمائة) :

في هذه السنة تناوخوا[4] عنزة والظفير على (وضاخ) ورؤساء

---

(١) هي مدينة الرياض القديمة ، راجع كتاب « مدينة الرياض عبر التاريخ » للشيخ حمد الجاسر

(٢) البكري ص ١٤٠٦ . (٣) قبا : هي التي بقرب المدينة المنورة .

(٤) هكذا كان ابن بسام رحمه الله يستعمل كثيراً لغة (أكلوني البراغيث (وهي لغة ضعيفة ـ لكنها فصيحة .

عنزة إذ ذاك مصلط بن وضيحان ، وملحى بن ضيغم بن شعلان ، وصنيتان ابن بكر ، ورئيس الظفير حينئذ صقر بن راشد بن صويط ومع الظفير بنو حسين .

وأقاموا في مناخهم ذلك تسعة أيام كل يوم يغادون القتال ويراوحونه طراداً على الخيل ، وكان ابن صويط قدأرسل إلى بوادي حرب يستنجدهم فأتى إليه عبدالله بن سالم بن مضيان ومناحي آل غرم (؟) ومن تبعهما من بوادى حرب ، فلما علم بذلك عنزة خافوا من الهزيمة فقدموا إبلهم وأغنامهم مع الرعاة من أول الليل ، فلما أصبحوا مشى بعضهم على بعض واقتتلوا فصارت الهزيمة على عنزة ، وتركوا ما ثقل من بيوتهم وأمتعتهم : فغنمها الظفير وأتباعهم[1] .

وذكر ابن فضل الله (أضاخا) في منازل بني خالد في زمنه القرن الثامن الهجري فقال : خالد ودارها التنومة ، وضيدة ، وأبو اليدان (أباالدود) والقريع (القرعا) وضارج والكوارة (القوارة) والنبوان (الصوال) إلى ساق العرفة (ساق الجوا) إلى الرسوس (الرس والرسيس وموضع أو مواضع حولهما) إلى عنيزة ، إلى وضاخ إلى جبلة[2] .

ولكننا إذا كنا نجهل تفصيل ذلك فإن الآثار التي في (أضاخ) تدلنا على أن الذين وصفوا الحضارة التي كانت مزدهرة وذكروا صناعته الواسعة إنما كانوا مقتصدين في ذلك .

فقد زرته في أول عام ١٣٩٨ هـ لمشاهدة آثاره وكان معي الأستاذ صالح بن سليمان العمري والأخ عبدالله بن ابراهيم بن حماد الباهلي من الباهليين سكان قرية الأثلة المجاورة له .

---

(١) نزهة المشتاق ١٠ – ١ .

(٢) مسالك الابصار ج ٤ ورقة ٩١ ونقل العبارة عنه محرفة فى قلائد العقيان ص ٨٩ .

فتفقدنا آثار البلدة القديمة التي تسميها العامة الآن بالمنزلة أي الحلة ويريدون بذلك أنها التي كانت مسكونة في القديم وهي تبعد عن هجرة (أضاخ) حوالي ٤ أكيال جهة الشمال الغربي .

فوجدنا فيها آثاراً قديمة كثيرة ، منها قطع متناثرة بشكل غزير من الزجاج الأسود والأبيض والأزرق والأخضر ، ومنه عنق زجاجة كاملة وذلك من نوع الزجاج القديم الذي يوجد بعضه في المتاحف ، ومعروف أنه من مخلفات القرون الإسلامية الوسيطة كالقرنين الثالث والرابع .

كما وجدنا لبنا كثيراً من الفخار الأحمر وكسراً من الفخار الملون المتعدد الألوان مما يجزم أنه كان من بقايا آنية للشرب أو للأكل قديمة ، وهناك جص كثير قويٌ من مخلفات البناء القديم بعضه ربطت به حجارة البناء .

كما وجدنا نصف رحا صغيرة ويدل شكلها على أنها كانت لم تستعمل كثيراً إلا أن ذلك هو النصف الأسفل من الرحا الذي لا يسرع إليه التآكل من الاستعمال كما يسرع إلى النصف الأعلى .

أما معادن البرم ومصانعه فان بقاياها ظاهرة بل هي مدهشة .

إذ الحفائر لا يزال بعضها باقياً تتجمع فيه مياه الأمطار ، ولم تتم السنون طمرهُ حتى الآن ، وهناك خنادق محفورة تحت الأرض مطوي بعضها بالحجارة طيا مما لايدع مجالاً للشك بأنها كانت مناجم قديمة وقد أخبرني الأخ عبدالله الحماد أنهم وجدوا فيها برماً كاملة وأن أهل الأثلة لا يزالون يجدون فيها مثل ذلك عند البحث .

وهناك آثار رماد كثيرة ربما كان من آثار مطابخ البرم أي الطين الذي يستعمل في صناعة البرم وهي الأواني الفخارية . ويوجد بقربها

بقايا أكوام من الرماد الذي في بعضه عظام قد اسودت ولم تحترق تماماً مما يدل على أنهم كانوا يستعملون بعض عظام الماشية في حرق الفخار توفيراً للحطب أو مع الحطب لغرض غير ذلك .

أما ما يتعلق بآثار القصور والمساكن والحوانيت التي ذكرها الأقدمون فإنها لا تزال واضحة وإن لم تكن قائمة ، ولا يمكن التمييز بينها بالطبع إلا لأناس مختصين ومزودين بالأجهزة اللازمة للحفر وللفحص ، ولكن هنالك قصور واسعة أساساتها بالحجارة ، ومنها آثار مسجد كبير في غربي الجنوب من المنزلة مبني بحجارة قد وضعت على جهتي الجدار وملىء ما بينها بالحجارة الصغيرة والطين .

هذا إلى جانب آثار بعض البيوت الطينية والفخارية التي بقيت على وجه الأرض .

وهناك بقايا مقبرة كبيرة قديمة ظهرت بعض بقايا العظام فيها لأن أهل الأثلة كانوا يأخذون في بعض الأحيان سماداً من مخلفات هذه المنزلة التي هي مدينة (أضاخ) القديمة للزرع ، فلا يفرقون بين بقايا نفايات المناجم وبقايا المقابر لأنها كلها قد درست في رأي العين التي تنظر إليها من وجه الأرض .

وأكثر عظام القبور قد اسودت ولم أر فيها جثثاً متميزة وهذا طبيعي بسبب سوء جرفها بالحفر وبسبب القدم .

والواقع أن مشاهدة آثار (أضاخ) تقنع المرء بأنه قد شهد مدنية أوسع وأرقى مما كان يظنه من يقرأ النصوص القديمة فيه لأول وهلة .

العنوان
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل ـ هاتف ٢٢٩١٥
الرياض ـ المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
٢٥ ريالاً للأفراد و٧٥ ريالاً لغير الأفراد
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ٦ ريالات

ج٩ و١٠ س١٣ – الربيعان ١٣٩٩هـ – آذار / نيسان (مارس / ابريل ١٩٧٩) م

من ذكريات الرحلات

– ٣ –

وحدثت الحرب العالمية الثانية ، وكنت في القاهرة ، في البعثة العلمية السعودية ، في كلية الآداب ، وكان من جرَّاء حدوث تلك الحرب عودة البعثة إلى المملكة ، وحين وصولي إلى مكة أشار عليَّ الصديق الأستاذ الشيخ عبدالله الخيال أن ننزل في ضيافة الأمير فيصل رحمه الله ، وكان الأستاذ الخيال قد عمل في إحدى شعب ديوان سموه ، فكان أن أُنزِلنا في الضيافة العامة ، بينما أُنزل زملاؤنا من أعضاء البعثة في (فندق بنك مصر) حتى عاد كل واحد منهم إلى بلدته ، وكانت عودتي مع زميلي في إحدى سيارات البريد إلى الرياض ، والوصول قبل فجر اليوم العاشر من رمضان سنة ١٣٥٨ ، ومبيتي تلك الليلة في حوش في محلة القِرى يدعى (حوش البرقية) حتى الصباح ، حيث ذهبت إلى القصر فسجلت ضمن ضيوف الملك ، وكان النزول في الضيافة الممتازة ، أما صاحبي فنزل في بيته عند أهله ، وقد أمضيت في مدينة الرياض احد عشر يوماً حدث لي في أثنائها ما لم يكن في الحسبان ، فقد نقلت إلى ضيافة أخرى لأسباب لا داعي لذكرها ، ولكنني بشفاعة الشيخ محمد بن ابراهيم رحمه الله نَجَوْتُ ، فغادرت الرياض متوجهاً إلى الأحساء .

كان بيني وبين الشيخ محمد علي النحاس - رحمه الله - مدير مدرسة الأحساء صداقة ، فقد شاركته العمل حينًا كان مديراً للمدرسة ينبع ، ثم حللت محلّهُ ، وتنقّلت به الأحوال حتى صار مديراً للمدرسة الأحساء ، وكان قد اقترض مني مبلغاً من المال لما كان في ينبع ، أصبحت بحاجة إليه ، فكان هذا من دواعي السفر إلى تلك البلاد ، ولقيت في الرحلة إليها كثيراً من المشقة ، إذ لا عهد لي بركوب الإبل منذ زمن ، وكانت الراحلة قَعُوداً صَعْباً ، مع رجل من أهل بلدة الزُّلْفِي يدعى ابن بَرْجِس ، وكان إصلاح حالة قعوده أحبَّ إليه من ارتياح صاحبه الذي كان طيلة الرحلة لا يسميه إلا باسم (محمد الحجازي) أو (المُلاَّ) وكان على الحجازيِّ هذا - وهو أنا - بعد أن يتعب من مشقة السير على القدم . ويحين وقت النزول أن يتولّى إعداد الطعام لأن صاحبه ابن برجس لا يهمه إلا أن يجد شيئاً يُؤْكَل مهما كانت درجته من النظافة : (ما أَنْبَتَ الْوَادِي ، وما حَشَّ الْمَحَشّ) بخلاف صاحبه الذي كان حديث عهد بحياة فيها شيءٌ من اللِّين والرفاهية .

كان الوصول إلى بلدة الأحساء ، ثم الاشتغال في التعليم في مدرستها بضعة شهور ،اضطررت بعدها لترك العمل،ومع قِصَرِ الزمن الذي أمضيته في هذه البلاد ، فقد كان ذا أثر عميق في نفسي ، فقد عرفت كثيراً من أهلها ، وامتدت الصلة بيني وبين كثير من تلاميذي في المدرسة إلى هذا العهد ، وحاول كثير من وجهاء أهل البلاد بقائي في المدرسة ولكنني لم أستجب لذلك .

وكنت اتفقت مع رجل يدعى ابن ماجد ، يجيد اللغة الانجليزية

على فتح مدرسة خاصة ، وضعنا لها منهجاً ، وتقدمنا بطلب إلى أمير البلاد ليسمح لنا بفتحها ، فلم تتحقق رغبتنا بعد طوال الانتظار .

وكانت العودة إلى مكة المكرمة ، حيث عملت في التعليم مدرساً في المعهد وتحضير البعثات .

وذات يوم دعاني وزير المالية الشيخ عبد الله السليمان ، وعرض عليَّ فكرة الإشراف على تعليم أبنائه وإنشاء مدرسة خاصة بهم وبأتباعهم ، إذ كانوا في ذلك الوقت يدرسون مع أبناء عمهم حمد السليمان وكيل وزارة المالية ، في مدرسة يديرها الشيخ محمود مرزا رحمه الله ، فقبلت العمل وأنشأت المدرسة ، وكانت متنقلة بين مكة ، والخرج ، والطائف وجدة نحو ثلاث سنوات .

ثم كانت الرحلة الثانية إلى المنطقة الشرقية ، كنت مساء يوم من أيام ذي القعدة سنة ١٣٦٣ في زيارة صهري الكريم الشيخ عبد العزيز ابن عبدالله العنقري رحمه الله ، في بلدة الطائف ، وكان إذ ذاك يشرف على الشؤون الخاصة بالأمير فيصل ، فما شعرنا إلا بالشيخ صالح العباد رئيس ديوان سمو الأمير يدخل ، وبعد أن استقر به المجلس سأل الشيخ عبد العزيز عَنّي وكان لا يعرفني فعرفه بي ، فقال لي : إن سمو الأمير يريد أن يراك غداً الساعة الخامسة ، فأفهمته أنني موظف أتولى إدارة (المدرسة الوزيرية) مدرسة أبناء عبدالله السليمان ، ولا أستطيع في ذلك الوقت ترك عملي قبل الساعة السابعة ، فكان أن وافق على هذا الوقت ، وأن آتيه فيه في الديوان .

وكانت مقابلة الأمير فأخبرني أنَّ الملك أمر بأن أتوجه إلى الرياض ولما استوضحت من سموه عن الغاية ، قال : قد تقرر فتح مكتب

في الظهران لمراقبة مدارس أنشأتها الشركة والإشراف على المطبوعات التي ترد لها ، وملاحظة بعض أمور أخرى ، ولما أفهمت سموه أن الأمر يتطلب إجادة اللغة الانجليزية ، وأنا لا أعرف شيئاً منها ، قال : أنت ستكون رئيساً لهذا المكتب ، وتختار الموظفين الذين فيهم كفاءة ، فوعدت سموه بأنني غداً سأحضر وأوضح لسموه ما يستقر عليه رأيي ، لأن الأمر بالنسبة لي يتطلب التفكير.

كنت لم أستحسن البتّ في الأمر قبل إخبار الشيخ عبدالله السليمان الذي أشرف على تعليم أبنائه ، وكان قد أظهر لي رغبته في بعث بعضهم إلى مصر ، وأنه يود أن أسافر معهم ، وكنت متردداً ، فلما أخبرته عقابلتي لسمو الأمير قال : أنا سأبرق الآن للملك ، وأطلب بقاءك ، غير أنني قلت له : أنا أفضّل الاستجابة للأمر ، ومن الممكن أن تجدوا من يحلّ محلي ، فكان ذلك .

وكان السفر إلى الرياض في سيارة البريد ، والرفيق هو الأستاذ عبدالله بن عبد الرحمن الملحوق ، الذي طلبت من سمو الأمير أن يذهب معي ، فوافق ، وأمرني بإبلاغه ذلك ، فوافق هو أيضاً . والوصول إلى الرياض في اليوم الرابع ، وكان أول ذي الحجة سنة ١٣٦٣ .

وفي صبيحة يوم وصولنا إلى الرياض كان السلام على جلالة الملك ، وكان استقبالاً حَسَناً ، وبدأ رحمه الله ــ الحديث بقوله : الشيخ ابراهيم ابن جاسر ــ الله يغفر له ــ عالم زاهد ، كافٌّ عن الناس ، ولكن أهل الشرّ ما يخلّون أحد . واسترسل في الثناء على الشيخ حتى قلت : ما بيني وبينه صلة إلا بالاسم ، ونجتمع في (آدم) أنا من الكتمة من بني عليّ من حرب وهو لا أعرف نَسَبَهُ . فقال : الله يرحمه ! الله يرحمه !! وسكت.

وبعد خروجي قال لي ابن جميعة : ليتك ما استعجلت بالكلام . وفي صبيحة اليوم الثاني دُعِيتُ إلى الديوان ، وأُخبرت بأن الملك أمر بتوجهي إلى الخرج ، فكان ذلك أنا وصاحبي ، وأُنزلنا في بيت واسع ، وفي المساء أُنْزل معنا فيه قاضي الرياض الشيخ سعود بن رشود رحمه الله ، وكان من خيرة من عرفت من العلماء ، خُلُقاً ، وَعقْلاً ، ورحابة صدر ، ورَغْبةً في المباحث الأدبية .

وفي صباح اليوم الثاني دُعينا لمقابلة الملك في الشعبة السياسية ، وكان الحضور ثلاثة من رجال الخاصة منهم رشدي ملحس ، وبشير السعداوي ، ونسيت الثالث . وكانت مقابلة كريمة . وقد روى الأُستاذ خير الدين الزركلي رحمه الله أن أحد الإخوة لما استقرّ بنا الجلوس نهض واقفاً وقال : أستأذن جلالتكم بالقاء قصيدة ، فأجاب جلالته (ما يخالف) فابتدأ صاحبنا قصيدته بصوت جهوري :

أَنْتَ آمالُنا وفيك الرّجاءُ .

فقاطعه الملك بحدة قائلا : الله وحده هو الذي يُرْجَى ، وأمره بالجلوس ، ووجه إليّ الكلام قائلا ما معناه : لماذا لم تعلم صاحبك التوحيد ؟ ! فأردت أن أعتذر عنه قائلا : إن بعد هذا البيت ما يوضح المقصود منه ، ولكن جلالته كان متأثراً فلم يقبل هذا . والواقع أنني ما كنت أعرف شيئاً عن هذه القصيدة ، قبل سماعي مطلعها ، ومحاولة الاعتذار عن صاحبي .

وتَمّ ترتيب السفر إلى الظهران من الخرج عن طريق الأحساء ،

حيث كان النزول على الأمير سعود بن جلوي ، وتقديم كتاب له من الملك عن العمل الذي سنقوم به في الظهران ؛ ولم تزد الإقامة في مدينة الأحساء على يوم واحد ، كان السفر فيه بعد العصر بعد تناول العشاء مع الأمير ابن جلوي ، وكان الوصول إلى الظهران في الساعة الخامسة ليلاً ، وفيه كان المبيت .

وفي الصباح كان المرور بمدينة الْخُبَر ، حيث كانت إذ ذاك مَقَرّ الإمارة ، والأمير هو محمد بن عبد العزيز بن ماضي . وكان ممثل الحكومة لدى الشركة السيد سامي كتبي وكان يقيم في الدمام ، وبه كان اتصالنا لتنظيم شؤون العمل ، وكان رجلاً فاضلاً ، ذا أَدَب جَمٍّ .

امتدت الإقامة في الظهران ما يقرب من خمس سنوات . وما كان العمل فيها منتظماً ، فقد كان في أول الأمر مرتبطاً بالشعبة السياسية بديوان جلالة الملك ، ثم أصبح تتنازعه جهات أخرى منها (مديرية المعارف) وإمارة المنطقة .

وأذكر أنني كتبت تقريراً مطولا عن حالة التعليم في مدارس الشركة ، وعن بعض الأمور الأخرى ، وأشرت إلى ضرورة ربط جميع شؤون التعليم بإدارة المعارف ، وربط الإشراف على أمور المطبوعات برئاسة القضاة التي تشرف على هذا العمل في جميع أنحاء المملكة ، ولما قُرِىءَ التقرير ملخّصا على الملك عبد العزيز رحمه الله استحسنه ، فاستدعيت إلى الرياض ؛ وكان الأمير خالد السُّدَيري قد عُيِّن في تلك الأيام أميرًا للدمام ، فصدر الأمر بأن أسافر معه ، وأبلغ الشيخ يوسف ياسين ، وكان من المقرر سفره مع الأمير خالد السديري ، أبْلغ بشأن ذلك التقرير ؛ ولكن بعد الوصول إلى الدمام

جرت الأمور خلاف ذلك ، مما اضطرني بعد نقاش طويل بيني وبين الشيخ يوسف ياسين إلى أن أرسل برقية للملك ، أطلب إقالتي متعللا بضعف صحتي ، وعدم قدرتي على القيام بالعمل ، فلم أشعر في اليوم السابع إلا بالشيخ إبراهيم الشُّوَرَى ، وكان إذ ذاك يعمل مستشارًا للأمير خالد السديري يأتي إليّ من الدمام ، وكنت أقيم في الخبر ، فيطلعني على برقية من الملك إلى الأمير خالد السديري مضمونها : (خيروا فلان بين أحد أمرين الاستمرار في عمله أو أدخلوه الحبس وأخبرونا) .

فاخترت الأمر الأول لاسيا والعمل لا يتطلب مني المواظبة ، وإنما هو إشراف عامٌ لاضابط له ، ولست مسؤولا أمام أحد ، فأمضيت سنوات في تلك البلاد ، ولم تطل مدة إقامة الأمير خالد السديري[1] فقد أسندت إمارة الجهة كلها إلى الأمير سعود بن عبد الله بن جلوى ، فعين أخاه الأمير عبد المحسن أول الأمر ، ثم أصبحت الدمام قاعدة لإمارة المنطقة ، فانتقل إليها الأمير سعود .

سار الأمير سعود في إدارة كثير من أمور المنطقة بحل جميع ماينشأ من المشكلات بطريقة تكليف هيئة تدرس المشكلة وتقرر ماتراه ، ثم تقدم التقرير لسموه . وعلى ضوئه يتخذ مايراه .

وكنت كثيرًا ما أُنْدَبُ من بين أعضاء تلك الهيئة التي كانت كثيرة التنقل بين مدن المنطقة وقراها ؛ كل ماحدث مايستدعي ذلك .

(للحديث صلة) . حمد الجاسر

---

(١) كان خالد — رحمه الله — من خيرة الرجال ، خلقاً وأدباً ومروءة ، وقد تنقل في ظائف الدولة حتى توفي في محرم ١٣٩٩ وهو أمير على بلاد نجران .

منازل القبائل العربية القديمة
في منطقة القصيم

(وهذا أحد مباحث كتاب « بلاد القصيم » من مقدمته الضافية التي قدمت مجلة « العرب » لقرائها فصولا منها)

نقصد بالقصيم هنا منطقة القصيم الإدارية أي : كل ما هو داخل إداريا تحت منطقة القصيم كما سبق وسوف نذكر منازل العرب القدماء التي ذكرها العلماء أو البلدانيون الإسلاميون .

ومما هو جدير بالملاحظة بل التذكر دائماً أنهم يقولون : إن الماء الفلاني لبني فلان أو أن جبل كذا واقع في ديار بني فلان وإنما يريدون بذلك في الأغلب الأعم وعلى القاعدة المتبعة ديار أولئك القوم عندما ظهر الإسلام وسطعت شمسه على جزيرة العرب .

وإلا فإنَّ القبائل العربية في تحرك دائم شأن غيرها من القبائل بل إن ظهور الإسلام وانتشار الفتوحات ساعد على تحول العرب عن بلادهم إلى بلاد أخرى إما في عواصم الإسلام ، أو في البلاد التي فتحت زمن الخلفاء الراشدين ، أو في البعوث التي استمرت بذلك في حمل رسالة الإسلام فاتحة متقدمة ، فاستوطن العرب في تلك البلاد يعلمون الناس الخير ، ويواصلون الجهاد في سبيل الله .

ولذلك نجد كثيرًا من القبائل لايوجد منهم في جزيرة العرب حسب مايعرفه الناس اليوم أحد مثل بني أسد وبني كلاب بل لا يوجد أحد ممن يدعي أن نسبه يتصل بنسبهم .

كما أن بعض القبائل العربية لا يوجد منها في البدو أحد بل تحضر جميع أفرادها المعروفين في الجزيرة العربية مثل بني تميم .

وهذا شيء طبيعي لأن المدة التي تفصل بيننا وبين بدء تدوين التاريخ العربي الإسلامي هي ١٣ قرنا .

لذلك لاعجب أن نعرف أن بعض الجهات تداولت سكناها على مر العصور قبائل شتى .

إلا أننا بحاجة ماسة إلى ضابط يضبط لنا مواقع البلدان التي تتشابه أسماؤها أو التي لم يميزها الاخباريون والبلدانيون الأولون بتمييز واضح .

وبخاصة إذا عرفنا أن أوائل الذين وصلت إلينا كتبهم منذ بدء عصر الطباعة إلى وقت قريب من أولئك البلدانيين ، إنما ألفوا كتبهم على طريقة المعاجم وعلى رأسهم العلامة الموهوب ياقوت الحموي رحمه الله .

ومعلومٌ أن تلك الطريقة تجعل المرء ينتقل من ذكر مكان في غرب الجزيرة إلى مكان آخر في شرقها . وتلك طريقة مفيدة للباحثين والمراجعين ولكنها تحتاج إلى تحلية الرسم المذكور بحلي واضحة محددة كوصفه بالنسبة إلى ناحية معينة معروفة أو ذكر قربه أوبعده من مدينة مشهورة أو واد مذكور ، أو جبل لايلتبس اسمه بغيره .

ولكنهم هم أنفسهم أناس غرباء عن الجزيرة وجُلُّهم إن لم يكونوا كلهم لم يزوروا الجزيرة العربية أصلاً ، وإنما نقلوا ما وجدوه عنها من معلومات نقلاً وجمعوه من بطون الكتب جمعاً ، وقد تكون تلك المعلومات غير كافية ولا وافية ، ولكنهم لايستطيعون استيفاءها من معلوماتهم

الخاصة ، لذلك جاءت النعوت التي خلعوها على بعض الأماكن ناقصة عن المطلوب .

وما من منصف يلومهم على ذلك ، بل إنهم يستحقون على عملهم الشكر الجزيل . إذ لولا جهودهم تلك وبالأخص جهود ياقوت الحموي رحمه الله ـ لضاعت ثروة عظيمة من المعلومات عن أنحاء جزيرتنا العربية . وعن المنطقة التي نتحدث عنها بوجه خاص فَنَضّر الله وجهه ، وجزاه عنا خير الجزاء .

إلى أن قيض الله أستاذنا البحاثة الضليع الشيخ حمد الجاسر فَنَصَب نفسه ، وحَبّس وقته لنشر كتب ألقت أضواء قوية على كثير من غوامض الأمكنة . وزاد أضواءها سطوعا ما علقه عليها من فوائد جمّة ، وفرائد قلائد لا تقدر بثمن ، وناهيك بكتاب «بلاد العرب» للغدة الاصفهاني «وكتاب المناسك» المنسوب لأبي إسحق الحربي ، و«المغانم المطابة» للفيروزآبادي و «أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع» .

تلك الكتب ألقت أضواء على مواقع مسميات لم تكن نعرف عنها أشياء كثيرة لولاها .

من تلك الكتب من ذكر بلاد القبيلة بما تشتمل عليه من مياه وجبال ووديان وقيعان وقور ونحوها مثل «بلاد العرب» .

ومنها من ذكر طرق الحج إلى مكة المكرمة وعرّفَ الأماكن التي تمر عليها ككتاب المناسك لأبي إسحاق الحربي .

فجز الله أستاذنا حمد الجاسر على جهوده تلك خير الجزاء . فلقد أصبح بذلك ياقوت الجزيرة العربية في هذا العصر .

وفي كل هذه الكتب وغيرها من الكتب والمراجع القديمة لا تستطيع أن نعرف المكان معرفة صحيحة إلا إذا عرفنا القبيلة الذي يقع في بلادها .

لذلك لامفر من اتخاذ قولنا : إنه واقع في بلاد بني فلان قاعدة مع تذكرنا أن المراد بذلك أنه عند ظهور الإسلام – وبمعنى أدق عند بدء التدوين – كانت تلك القبيلة تسكنه أو تسكن الناحية التي تشتمل عليه. إن البحث العلمي يوجب علينا أن نذكر منازل القبائل العربية في المنطقة التي هي مدار بحثنا وهي الداخلة في الحدود الإدارية لمنطقة القصيم . وأن نتتبع التسلسل التاريخي لذلك مبتدئين من ظهور الإسلام حتى يومنا هذا .

ولكن الذي يقف عقبة في طريقنا إلى هذه الغاية وهي عقبة لا يمكن تجاوزها هو انعدام المعلومات عن منطقتنا خلال عدة قرون يصح بحق أن نسميها عصور الظلام ولانتعدى الحقيقة قيد شعرة . إذا أطلقنا عليها ذلك .

ففي تلك العصور ظلام فكري ران على تلك المنطقة . وأهلها القليلون ممن يبقون فيها فترة حتى يتهيأ لهم أسباب الهجرة والانتشار منها إلى البلاد المجاورة وبخاصة في الهلال الخصب – عادوا إلى حالة الجاهلية الأولى إلا أنَّ الفرق بين حالتهم تلك وحالة الجاهلية الأولى كان شيئًا مفجعاً مؤلما لنا حقًّا ذلك بأن المؤرخين الإسلاميين كانوا يتلقفون أي خبر عند الجاهلية الأولى فيبادرون إلى روايته ثم تدوينه .

أما في جاهلية العصور الوسطى المظلمة في جزيرة العرب فإن المؤرخين

المسلمين قد تجاهلوها إلى درجة تشعر الباحث المنقب أنه قد استقر في أذهانهم أن الجزيرة العربية قد انتهى دورها في حياة الأمة الإسلامية ، وأن أهلها لن يعود لهم من الأهمية بعض ما كان لأسلافهم .

إن عملهم ذلك قد يكون له ما يبرره من جهة أن لغة أهل الجزيرة وهي التي كانت اللغة الفصحى المثلى قد فسدت، وأن أذهان أهلها وهم الذين كانوا في الصدر الأول حملة الإسلام قد جمدت . لأن الجهل قد عم فيها وطم ، وما في الجزيرة العربية ــ بَعْدُ ــ من ثَرْوَة يتنافس فيها المتنافسون ، ولا من خراج يطمع به الطامعون .

ولكننا من جهة أخرى لانعذرهم بل إننا نلومهم على إهمال الأم الكبرى من العناية ، وترك المنبع الأصلي تتأصل فيه الرواسب وتملؤه الشوائب . وإذا كانوا لا يجدون فيها اللغة الفصحى ، فليدلونا لنا إذن أية لغة كانت لغة الجزيرة في تلك العصور ، وما هي درجة الفساد المذكور وما هي تصاريف لغتهم ، وحالة بلادهم .

ولكن الواقع أنهم هم في الحواضر الإسلامية في تلك العصور بدأت حماستهم لتدوين الجديد تفتر ، وطموحهم للابتكار يتلاشى .

بقي أن نحدد تلك العصور الوسطى المظلمة ، في جزيرة العرب التي عنيناها في إشارتنا هذه وإن كانت لاتخفى على كل مشتغل بالبحث ، أو معنيٌّ بالتاريخ .

فنقول: إنها من إنقضاء القرن الرابع الهجري حتى انقضاء القرن الحادى عشر ، إنها سبعة قرون مظلمة حقاً .

والغريب في الأمر أن الذين دونوا أحوال بعض البلدان في الجزيرة في تلك القرون كانت ينقلون عن أناس كتبوا معلوماتهم قبل تلك الفترة ، أي : قبل انقضاء القرن الرابع الهجري .

فياقوت – على سبيل المثال – ينقل معلوماته جلها عن كتب قديمة ولانجد في كتابه من المعلومات الحية أي التي حصل عليها بنفسه أو عن شخص معاصر أخبر بها إلا أقل القليل مع أنه لن يعدم في الحواضر الإسلامية القريبة من الجزيرة كالعراق والشام من يحصل منه على معلومات تكون مفيدة بل نفيسة ثمينة لنا نحن الذين جئنا نقرأ كتابه بعد تأليفه بثمانية قرون .

وكل مانجده من أخبار هذه المنطقة في العصور المظلمة إنما هي لمحات خافتة لاتغني شيئاً إلا كما يغني ضوء يراعة في ليل بهيم في صحراء واسعة .

ومع ذلك فسوف نحرص على تدوينها بحذافيرها إن شاء الله .

إن تلك المنطقة والحدود الإدارية لمقاطعة القصيم كانت تشتمل في القديم على منازل أربع عشرة قبيلة عربية .

وهذا بيان بها تاركين بيان مراجعنا فيها إلى ماسيراه القارىء إن شاء الله موضحاً في رسوم تلك الأماكن في تضاعيف الكتاب موضحين هنا فروع القبيلة إذا كانت لها منازل خاصة دون سائر القبيلة .

بنو أســد[1] :

أبان الأسود لبني والبة منهم .

الحبس : جبل يسمى الان شمير بقيما .

القنان (الوشم حالياً) لبني فقعس منهم .

أبان الأبيض (واقع في ديارهم) .

أبرق العزّاف (أبرق الضّيّان) .

أكبرة (أكبرا حالياً) .

البطِاح لبني والبة منهم .

الترمس .

التين .

ثادق (ثادج حالياً) أعلاه لهم .

الجريّر (بتشديد الياء) صيغة التصغير : أعلاه لهم .

جرثم (الجرثمي حالياً) لبني فقعس منهم .

حبشى .

الربائع (الخدار حالياً) .

---

(١) لم نذكر هنا من المواضع إلا ما عرفنا اسمه الحديث أو ما ترجح لدينا اننا عرفنا اسمه سواء أكان باقيا على اسمه القديم أم تغيرت تسميته . أما الموضع الذى نعرف من كلام المتقدمين يقيناً أنه فى تلك المنطقة ، ولكننا لم نهتد إليه أو إلى تسميته فى الوقت الحاضر فاننا لا نذكره هنا .

وإذا أردت الرجوع إلى موضع من هذه الأمكنة فإنك تجده فى مكانه من المعجم وفقا لما يلفظ به اسمه حالياً إذا كان يختلف اسمه القديم عن اسمه الحديث بعض الإختلاف .

خصلة لبني أعيا من بني الحجاج بن منقذ منهم .
رقد (الرحا حالياً) . لبني وهب بن أعيا منهم .
الرس لبني منقذ بن أعيا منهم .
الرسيس لبني كاهل منهم .
الرمث (الرمثية حالياً) .
ساق لبني وهب منهم .
السليل : واد .
السليلة : لبني برثن منهم .
الشبكة (الشباكية حالياً) ماءٌ .
شطب : جبل .
شيفان (شوفان حالياً) جبل وبه ماءٌ .
صارة : جبل .
صبيغ (صبيح حالياً) لبني أبي الحجاج بن منقذ منهم .
النبوان (الصوال حالياً) ماءٌ .
ضارج (ضاري حالياً) لبني الصيداء منهم .
العبد : جبل صغير .
مُحيَّاة (محيوة في الوقت الحاضر) : هضبة وماءة .
الحبس (سمار بقيعا في الوقت الحاضر) .
القنة (القحصا في الوقت الحاضر) .
النائعان (النايع والنويع حالياً) : جبلان ، لبني كاهل منهم .
النبهانية : قرية ضخمة لبني والبة منهم .
ذو نجب (النجبة في الوقت الحاضر) .
ناصفة الغراء (منيصفة في الوقت الحاضر) : قويرة .

باهلة :

الأراطة (الأرطاوية حديثاً) لغَنِيٍّ بن أعصر منهم .

الردهة (أم ردهة حالياً) لغني بن أعصر منهم .

إمَّرة لبني عميلة بن عتريف منهم وقيل لغني بن أعصر منهم .

خزاز جبل لغني بن أعصر منهم .

خزازة ماءٌ بقرب خزاز لغني بن أعصر منهم .

سواج جبل لغني بن أعصر منهم .

منعج (ملعج حالياً أو وادي دخنة) لغني بن أعصر منهم .

بنو تميم :

أجارد (الأجردي) .

السمينة (البيصية حالياً) لبني الهجيم منهم .

القوارة : ماءٌ لبني يربوع منهم .

الجعلة : لبني أُسيِّد منهم .

حفير : لبني الهجيم منهم .

الحناظل (حنيظل واحدها حالياً) لبني الهجيم منهم .

خف (الخفيات حالياً) لبني يربوع منهم .

الروضتان (الروضة والرويضة حالياً) لبني أُسيِّد منهم .

روضة الخيل (رياض الخيل حالياً) لبني يربوع منهم .

رحب (الملوية حالياً) لبني مازن منهم .

عجلز (الزريب حالياً) لبني مازن منهم .

زنقب (الساية حالياً) لبني يربوع منهم .

الصريف : بلد لبني أُسيِّد منهم .

صلاصل : ماءٌ لبني أسمر من بني عمرو بن حنظلة منهم.
الخبراء (خبراءُ الينسوعة) (أُم عشر في الوقت الحاضر) لبني العنبر
ضارج (ضاري حالياً) لبني السبيع من بني حنظلة منهم .
النبقة (النبقية في الوقت الحاضر) لبني طُهَيَّة منهم .
الهدية : لبني أسمر بطن من حنظلة منهم .
الينسوعة (بريكة الأجردي في الوقت الحاضر) لبني العنبر .
بنو خالد (في القرن السابع الهجري) :
أبا الدود (أبو الديدان) في الأسياح .
القريع (القرعا) .
التنومة .
ضيدة .
ضارج (ضاري حالياً) .
الكوارة (القوارة) .
البنوان (الصوال حالياً) .
ساق العرفة (ساق الجوا) .
الرسوس (الرس والرسيس وموضع آخر حولهما) .
عنيزة (مدينة عنيزة) .
أضاخ .
جبلة .
الجناح .
بنو ضبـــة :
عجلز (الزريب حالياً) .

رحب (الملوية حالياً) .

عبـــس :

أبان الأبيض لهم : جبل مشهور .

أبلق الشمالي وأبلق الجنوبي (الأبلقان) .

أثال : ماءٌ ويقال حصن .

مرامر : (القرعا) وكان يقال لها «جو مرامر» .

قطن : «جبل مشهور» .

تياس (التيس حالياً) .

ثادق (ثادج حالياً) وادٍ : أسفله لهم .

الجرير (بصيغة التصغير) واد أسفله لهم .

الخيمة (خيمة قطن) .

الديلم (الدليمية حالياً) ماءٌ .

سنبح (الدوسري حالياً) : جبل .

شرج (شري حالياً) : ماءٌ .

ضلفع (الضلفعة حالياً) : ماءٌ .

عمود العمود (عمودان حالياً) : جبل .

جو مرامر (القرعاءُ حالياً) .

كير : جبل .

ناظرة : حَبل من الرمل وماء :

وبال : (الوبالية في الوقت الحاضر) : ماء .

غطفـــان :

ذات الأصبع (الأصبعة حالياً) .

أريك (ريك حالياً) لبني الصارد منهم .

الأكوام .

الحاجر .

الركبات (الركبة حالياً) لبني المرقع منهم .

مبهل أحد مبهلين (الطرفاوي حالياً) لبني عبد الله منهم .

كتيفة (كتيفان حالياً) لبني عبد الله .

ذو العشيرة (المباري حالياً) : واد لبني عبد الله منهم .

مبهل (المحلاني في الوقت الحاضر) واد لبني عبد الله .

النشاش : واد وجبل في الوقت الحاضر وادٍ لبني عبد الله منهم .

الوتدات : هضبات .

فزارة :

أبان الأبيض لبني جريد منهم .

أظفار (أظيفير حالياً) .

الأكوام .

بدن : جبل .

الصلعاء (البياضة حالياً)

طمية : جبل مشهور .

المجيمر (المجيمير في الوقت الحاضر) : جبيل .

النقرة : ماءة .

قريش :

التنومة : لبني عبد الله بن عامر بن كريز منهم .

الفوّارة : قرية لعيسى بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس .

قرية ابن عامر (القرية حالياً) لبني عبد اللهبن عامر بن كريز .
معدن القرشي (المُصَينِع في الوقت الحاضر) : معدن وحصن .
مطرق (مطارق في الوقت الحاضر) : روضة لبني عبد الله بن عامر ابن كريز .
العسكرة (العيارية في الوقت الحاضر) قرية لبني العباس منهم .
بنو كلاب :
إصبع (الإصبعة) لبني أبي بكر منهم على أحد الأقوال .
الجثوم : لبني ربيعة بن الأضبط منهم .
حسلات :للضباب منهم .
حليت : للضباب منهم .
الحمة : (الحميمة حالياً) لبني أبي بكر منهم .
الزحيف : للضباب منهم .
سويقة : جبل . للضباب منهم .
الشبيرمة (شبيرمة حالياً) : ماءٌ للضباب منهم .
شعبا : جبال وماءٌ للضباب منهم .
السخيبرة (صخيبرة حالياً) لبني الأضبط منهم .
الصفوة (الصفوية حالياً) ماءة لبني الأضبط منهم .
ضرية : قرية .
طخفة للضباب ، ويقال لبني جعفر .
عسعس : جبل لبني جعفر منهم .
العمود (العميد حالياً) : جبل صغير للضباب .
غول : جبل وواد ، للضباب منهم .

كبشات : هضبات لبني جعفر وللضباب .

المضيح : جبل لبني ربيعة بن الأضبط منهم .

الجريب (الجرير في الوقت الحاضر) وادٍ كبير .

وسط (وصط حالياً) : جبل لبني جعفر منهم .

كنـدة :

الثريا (بقرب ضرية) .

بنو محارب :

أفيعية .

التوباد (توبان حاليـاً) .

الثريا .

أدمة (ديم) .

أريك (ريك حاليـاً) .

سنام .

شعبا (جبال) جزء منها .

الصفرة : هضبة جبلية .

ذوعاج (عاج حاليـاً) . جبل .

ماوان : جبل .

وادي المياه : أسفله لهم .

مزينـة :

الحاجر (لآل أبي سلمى رهط الشاعر زهير خاصة) .

ومما سبق يتبين أن أكبر القبائل في صدر الإسلام في القصيم هي بنو أسد إذ كان لها حوالي ثلث الأماكن المعروفة في ذلك الوقت

ومواضعها هذه الكثيرة هي أقرب من غيرها من حيث عدد المساكن القريبة من مراكز الإدارة والأماكن المعمورة في القصيم في الوقت الحاضر مثل بريدة والرس والبكيرية والخُبُوب والنبهاينة ؛ وطبيعي أنه ليس كل الأماكن في هذه المناطق لبني أسد ولكن بني أسد كانوا أكثر المالكين لها ، أو لِنَقل بتعبير أدق – : المختصين بها ؛ وإلا فإن بني عبس لهم أماكن أقرب إلى مدينة بريدة من أماكن بني أسد مثل الضلفعة وأبلق وأثال ، وعبس مع بني أسد تعتبران أكثر القبائل وجوداً في القديم بالقرب من بريدة .

ولبني أسد معظم الأماكن في غرب القصيم الشمالي مثل ما حول (الفوّارة) بالفاء ومنطقة الرس ومنطقة ساق الجواء وماكان من ذلك شمالاً حتى تصل في أماكنها إلى ما هو الآن تابع لمنطقة حائل كالكهفة وبزاخة .

أما بنو عبس فإن أكثر بلادهم كان بالإضافة إلى ناحية الجواء التي ذكرنا بعض أماكنها في أبان الأبيض (الحمر في الوقت الحاضر) وأماكن قريبة منه من جهة الجنوب الغربي ولهم قطن وثادق . وهم بذلك وغيره يشتركون في الحدود مع بني أسد .

أما بنو كلاب فلهم أماكن كثيرة ولكنها لإفنائهم وهم أفخاذ عديدة وأكثر بلادهم واقع في الجنوب الغربي من القصيم في منطقة حمى ضرية وما كان منها غرباً وجنوباً . وليس لهم أماكن بقرب مراكز الإدارة في القصيم في الوقت الحاضر إذْ لم يكن لهم بلاد حول مدينتي بريدة أو عنيزة أو البكيرية .

وبنو تميم الذين – كان يضرب المثل بكثرتهم[1] – وكانت بلادهم في صدر الإسلام في الدهناء والصمان إلى سيف كاظمة قرب الكويت فإنه كان لهم أماكن – أو نقل بلاد على حد تعبير الأقدمين – لا يستهان بها في منطقة القصيم وهي في أماكن متفرقة منه وتكاد تقف عند حد معين في ارتفاعها مع القصيم غرباً إذْ لا تتعدى (أُضاخ) وبعضهم قال : إنها لا ترتفع بعد رامة .

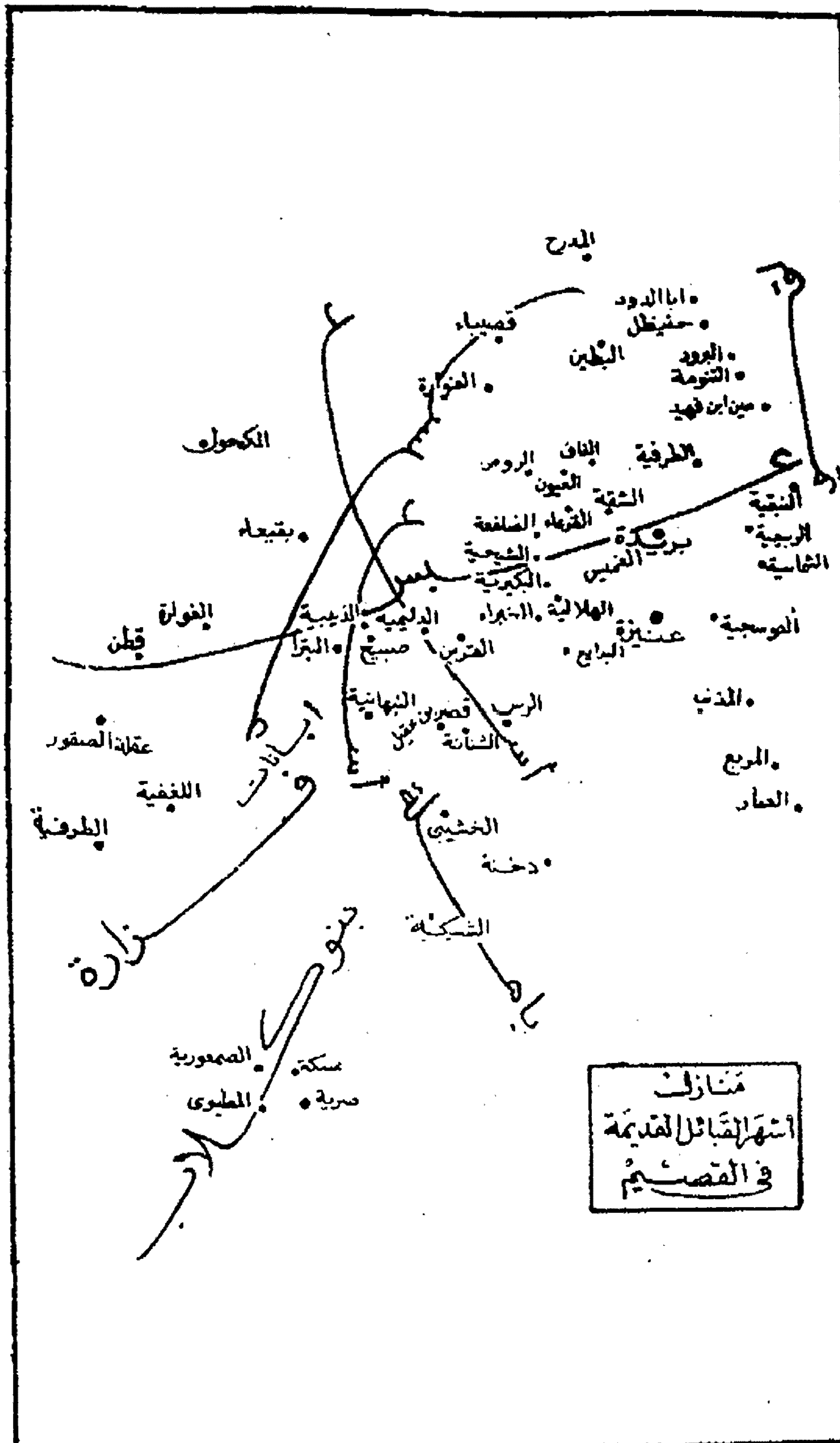
وهي متفرقة في أقصى شمال القصيم مثل – الفوارة وخف . . وفي وسطه مثل ضارج الذي كان بعضه لبني السبيع من عمرو بن حنظلة ، منهم وفي وسط القصيم الجنوبي مثل رحب . وعجلز في غربي الخُبُوب وهما لا يبعدان عن مدينتي بريدة وعنيزة كثيراً .

أما شرق القصيم فيكاد يكون خالصاً لبني تميم والدليل على ذلك ف النبقية والجعلة والصريف : والروضة .

وهناك قبيلة باهلة ولها أماكن في القصيم في منطقة محدودة ، فلها منعج (دخنة في الوقت الحاضر) وأماكن شرقي حمى ضرية كسواج وإمرة .

ويلاحظ أن قريشاً كانت من سكنة القصيم في تلك الأماكن ولقريش أماكن هامة أكثرها أماكن زراعية أصبحت بلاداً حضارية مثل (النباج) و (الفوّارة) والقريتين (القريَّة والعيَّارية في الوقت الحاضر) قرب عنيزة بل إنَّ عنيزة ذاتها كانت لقريش ولكنها لم تكن بلداً معموراً في ذلك الوقت ، وكان ابتداءُ سكنى قريش في القصيم في القرنين الأوَّل والثاني من الهجرة .

(١) ذكرنا شيئاً من الأقوال القديمة عن كثرة تميم فى كتاب « الأمثال العامية فى نجـد » . عند المثل : من ضيع نسبه قال : أنا تميمى . .


منازل
أشهر القبائل القديمة
في القصيم
المدرج
اباالدود
حنيظل
البطين
البرود
التنومة
عين ابن فهيد
قصيباء
الطرفية
الشقة
بريدة
الصباخ
البكيرية
الهلالية
عنيزة
البدائع
الربيعية
الشماسية
المذنب
المربع
العمار
الخشيبي
دخنة
الشبيكية
الرس
الشنانة
قصيباء
بقيعاء
عقلة الصقور
اللغفية
الطرفية
قطن
صبيخ
الدليمية
مسكة
ضرية

ونستمرُّ في استعراض ما اطلعنا عليه من رحلات علماء المغرب ، لتلخيص ما يتعلق بطرق الحج ووصف المشاعر المقدسة منها ؛ لعرضه على القراء .

وقد عرضنا – فيما تقدم – خلاصة أهم تلك الرحلات وهي رحلة ابن رشيد الأندلسي ، ورحلة التجيبي ورحلة العبدري ورحلة العياشي ورحلة أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي ؛ ورحلتا ابن عبد السلام الدرعي ، وهذه الرحلات الست أوفى ما اطلعنا عليه من كتب الرحلات – باستثناء رحلتي ابن بطوطة وابن جُبَيْر وهما مطبوعتان متداولتان .

وعرضنا أيضاً ملخص رحلات أخرى لا تبلغ مستوى الرحلات المتقدمة من حيث الامتاع والفائدة . ولكنها لا تخلو من إشارات موجزة تعتبر مكملة لوصف بعض المواضع أو الآثار الوارد ذكرها في كلام الرحالة المتقدمين . ونواصل عرض ما اطلعنا عليه في رحلات أخرى .

رحـــلة التامراوي :

هو محمد بن محمد المزواري التامراوي قال عنه صاحب كتاب « المعسول » ج ٨ ص ١٩٧ : حج سنة ١٢٤٢ واستورد كتباً كثيرة بخط المشارقة ، وله باع طويل في الفقه ، توفي حوالي سنة ١٢٨٥ ويظهر أنه عمر طويلا. قدم حاجاً بطريق البحر من السويس إلى جدة ،وعاد بطريق

البَر ، ماراً بينبع ، فالحوراء إلى العقبة فمصر ، ودخل مصر ١٣ صفر سنة ١٢٤٣ وأقام في القاهرة عشرة أيام ، وعاد بطريق طرابلس إلى المغرب فبلغ مراكش يوم ٢١ ذي القعدة سنة ١٢٤٣ .

ووصلت بلده ٩ شعبان سنة ١٢٤٣ .

ورحلته أوردها كاملة صاحب كتاب « المعسول »[١] وهو كتاب يقع في أجزاء كثيرة . مطبوع في المغرب ، ولكنه نادر في المشرق .

وها هو ما يتعلق بموضوعنا منها : —

جـــدة :

دخلنا جادة يوم الإثنين ٣٠ القعدة سنة ١٢٤٢ ، و جدة حاضرة بساحل البحر بينها وبين مكة مرحلتان ، ومنها تكون أغطية الحرير التي تجعل على قبور الصالحين ،[٢] رخيصة ، وكذا الكتان . ومنها اشتريناه ، وذهبنا به لمكة ، وطفنا به تبركاً ، وزمزمناه ، رجاء البركة والرحمة لمن كُفِّن فيه . وتكون في مرساها مراكب أهل اليمن والهند ومصر والمغرب . وتخرج منها بسلع نفيسة ، لا توجد في غيرها ، وجواهر لاتوجد في المغرب ، ومنها يخرج المسلك ويشتري منها ، ويؤتي به للمغرب ، ويشتريه الحجاج لخفّته ، ويفسده الماء ، وعليك بحفظه إن اشتريته ، و تضر رائحته البهائم في زمان الحر ، وكذا الناس يضرهم في وقت الحرّ ، وقد رأيت باعته بمكة يسدُّون أنوفهم[٣] بالقطن ، في سوق العطارين وقد تغيرت

---

(١) ج ٨ ص ١٩٧ .

(٢) لا يجوز تغطية القبر بالحرير ولا غيره . ولم يرد عن أحد من السلف الصالح الطواف بالكفن أو غسله من ماء زمزم .

(٣) انظر « رحلة البتانوني » و « ما رأيت وما سمعت » للزركلي .

ألوانهم ، ومالت إلى الصفرة والضَعف البيِّن ؛ وغيرهم من أهل مكة أشد قلقاً . وفي خارج جدة قبر أُمِّنا حوَّاء رضي الله عنها زرتها ؛ بساحل البحر ، عليها ثلاث قبب ؛ واحدة على رأسها ؛ والثانية في وسطها ، والثالثة عند رجليها إلا أن التي عند رجليها هدمها الوهابي . ولم يبق أثرها [1].

ذو طــوى :

فعزمنا على السفر للمدينة فبرزنا خارجها – يعني مكة – بذي طوي بعد طواف الوداع . فنزلنا فيه حتى اجتمع ركب أهل المغرب والتَّواتي[2] فقفلنا مع الركب المغربي .

بــدر :

وصلنا بَدْراً مفتتح محرم ١٢٤٣ وبتنا وزرنا فيه شهداء بَدْرٍ وهم في خارج بدر ، دارت بهم المقابر ، معلمون بحائط دار بهم . وفي قربهم غار صغير فيه أثر رِجْل وقدم النبي صلى الله عليه وسلم يزور فيه الناس ، وفيه صخر استند إليه النبي صلى الله عليه وسلم أخبرني بذلك ملازم قبورهم .

وبدر قرية كبيرة جامعة ، ذات عيون ونخيل وفيها مسجد يقَال له مسجد الغمامة ، يزور فيه الناس ، وزرناه ، سمي بذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم أظلته الغمامة في موضعه .

---

(١) كل ذلك حديث خرافة ، وذلك من ظن الجهال أن جدة هي بفتح الجيم ، ولم يعلموا أنها بضم الجيم – أي فرضة البحر – ولا أثر اليوم لتلك القباب « المحصول » ج ٨–١٩٨ .

(٢) يقصد ركب أهل تواتة – من بلاد المغرب .

الجـــديدة :

فبتنا في الجديدة[1] ، قصر كبير ذو عيون ، وعيون بين جبال عظام سود

عالم مغربي مقيم في المدينة :

ولم يذكر التامراوي من علماء الحرمين سوى شيخه الحبيب الفلالي، قال عنه في كلامه على المدينة : ــ

ووجدت فيها شيخي . . . أبا عبد الله محمد الحبيب بن عبد القادر الفلالي أصلا ، وجدته متوطناً بالمدينة بأهله وأولاده ، وذهب بي لداره وهي مجاورة للمسجد النبوي لم يفصلها إلا السكة وكان ملازماً للحرمين مدرساً بهما مفتياً لأهل المغرب . وناولني نظمه العجيب القريب الذي يعرف به قدره ، بخطه في اصطلاح القاموس المسمي به الأنفس المأنوس » .

ينبع النخـــل ــ الحـــوراء :

نزلنا في (ينبوع النخل) فيه عيون ونخيل ، وعساكر المخزن وقلنا فيه يوم الخميس .. ثم قفلنا يوم الجمعة (١٦ محرم سنة ١٢٤٣) ونزلنا يوم الأحد نضفه[2] ، وهي عظيمة كثيرة الماء الطيب ، ثم يوم الاثنين في الحوراء ، فيها آبار ونخيل ، وماؤه رديءٌ يضر الحجاج ضَرَّنَا كثيراً لما شربناه ، فَقِلْنَا فيه ، فحملنا الماء لأربعة أيام لاماء فيها .

---

(١) الجديدة من عيون وادى الصفراء لا تزال معروفة .

(٢) كذا نقله والصواب (نبط) ولعل ما هنا (تطبيع) أى غلط مطبعى، مع أن التامراوى لا يدقق ضبط الأسماء .

الوجـــه :

فوصلنا (الوشي)[1] ضحى يوم السبت ، وفيه دار للمخزن وآبارٌ ، وأصعب مراحل الدرب بين الحوراء و (الوشي) إذ لا ماء بينهما فيموت الناس والبهائم فيه من العطش، ويتركون فيه الضعفاء والبهائم كثيراً ولتحمل الماء من (نضفه)[2] قبل الحورا بيوم إذ ماؤه طيب حلو ، وماءُ حورا خبيث رديءٌ يضر بالناس ، ولتحمل في (النضفة) مايكفيك من الماء خمسة أيام .

بير السلطان :

ثم قفلنا من (الوشي) يوم الأحد (٢٥ محرم سنة ١٢٤٣) فوصلنا بئر السلطان ليلة الثلاثاء ٢٧ فيه ماءٌ طيب في ساحل البحر ، ولا دار للمخزن فيه .

المـــويلح :

فرحلنا منه ـــ بئر السلطان ـ يوم الثلاثاء فنزلنا في (املح)[3] يوم الاربعاء الثامن والعشرين من الشهر (المحرم١٢٤٣) وفيها دار للمخزن مع حراسها من العسكر ، وماؤه طيب ، وهي في ساحل البحر ، تكون فيها السفن لمن أراد السفر في البحر وأعياه سفر البرّ بينها وبين مصر ١٤ مرحلة .

---

(١) يقصد الوجه والعامة يخرجون الجيم مثقلة من مخرج الشين ، ويحذفون الهاء (الوش) .
(٢) ذكرنا أن الصواب (نبط) وماؤه أطيب مياه درب الحج الساحل .
(٣) يقصد المويلح ، والرحالة كما ذكرنا لا يعنى بضبط الأسماء فينبع (ينبوع) ونبط : (نضفه) والوجه : (الوشي) والمويلح (أملح)

عين القصب – غار شعيب :

فرحلنا زوال الخميس – من أملح – وقِلْنَا يوم الجمعة في عين القصب فيه ماءٌ طيب بارد ، ثم قفلنا بعد صلاة الظهر وقِلْنَا يوم السبت مفتتح صفر في غارسَيِّدنا شُعَيب عليه السلام . فيه عيون وماءٌ طيب حلو . ويتنافيه :

ظهر الحميرة :

ثم قفلنا بعد زوال يوم الأحد – من غار شُعيب – فَقِلْنا يوم الثلاثاء في ظهر الحميرة[1] ، ماؤه رديء وعلى ساحل البحر فسافرنا بعد الزوال .

العقبـــة :

فسافرنا بعد الزوال – من ظهر الحميرة – فدخلنا ليلا بندر العقبة فيه دارُ المخزن قرب العقبة وأطيب مياه بندر العقبة ماءُ البئر التي في وسط قصبة المخزن ، فَسِرنا بعد زوال يوم الاربعاء إلى تحت العقبة فبتنا وهي أصعب طريق الحجاز وَعْرًا وخوفًا ، فعليك بالسبق فلا تكن آخر الركب ، فإن العقبة لا تخلو من المحاربين غالبًا ، ليس مثلها في الدرب .

* * *

(١) في المطبوع (الحميدة) والصواب : ظهر الحمار ، ولا يزال معروفاً ، يشرف على وادي حقل .

- ٣ -

وفي أوائل سنة ١٢١٨ سادس شهر محرم الحرام سافر أمير مكة الشريف غالب بن مساعد من مكة إلى جدة خوفاً من طائفة الوهابيين (١) حين أقبلت على مكة بعد خرابهم للطائف وقتلهم لأهله بغيا وعتوا (٢)، فترك مكة ونزل جدة للحصار، وبقيت الرعايا بمكة لايقر لها قرار، وقد استسلم أهلها للشهادة، وطلبوا من الله الحسنى وزيادة، حتّى قال قائلهم .

مَسَاكِينُ سُكَّانُ أُمِّ القُرَى فَكُلٌّ يَنُوحُ على نَفْسِهِ
يَقْضُونَ أَيَّامَهُم كُلَّهَا عَلَى أَسَفٍ أَوْ على عَكْسِهِ

وذلك بعد أن دافع أشدّ المدافعة وقاتل أعظم المقاتلة، ولكن زحف عليه هذا الخارجيّ (٣) بالتغلب والأعراب، وهم كالبهائم والوحوش إلا أنهم أحزَاب . وقد ذكرت القصة تفصيلا في الجزء الثالث من تاريخنا المسمّى « نزهة الفكر في الحوادث والعبر » وكان لما استولى سعود الوهابي على مكة وما جرى له في عرصاتها من كل طريق وسكَّة، بدّل حرم الله بالخيفة بعد الأمان، وخالف في أفعاله ماجاء به القرآن (٤) ؛ أرسل إلى جدّة عليّ بن عبد الرحمان شقيق المضايفي عثمان، بكتاب لأهل جدة يطلب منهم الدخول في طاعته، وانخراطهم في سلك جماعته، فأجابوه استهزاء بعقله، وسخروا من حماقته وجهله، وقالوا : بأننا رعية لمولانا الشريف

(١) أنظر التعليق على هذه الشتائم آخر البحث

فطاعتنا من طاعته ، ولا نكون إلاَّ من جماعته ؛ وعلى كُلِّ حال هَبْ على الفرض والتقدير لو فرض أننا نطيعك ونعصيه ؛ ونقربك ونُقْصيه ، وندخل معك في هذا الدين ، ونُقِرّ على زعمك أننا من المشركين . هل تطلب منا شيئاً من الدراهم ؟ أم يصح الدخول في دينك بدونها ؟ . فلما قرأ الكتاب ؛ فرح بما فيه من الجواب . وظن من قلة عقل هذا الأحمق أن هذا الكلام حق ؛ وهم يسخرون من حماقته ، ويعجبون من رقاعته ؛ فأرسل يطلب مائتي ألف ريال ، وستين ألف مشخص عتيق . وبستة آلاف ريال من القماش الرقيق ؛ فتوجه لقبض الأموال في الحال وركب متن الطريق . بكل فاجر زنديق (٥) وتوجه إلى جدة . وفي قلبه لقبض الدراهم حِدَّةَ . وكان يوم الجمعة الثاني والعشرين من محرم سنة ١٢١٨ . فخرج قبل صلاة الجمعة . معه المنافقون والكافرون (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) وكان مدة إقامته بمكة أربعة عشر يوماً ، ولما أناخَ بساحل جدَّة ، وقد استعد له الشريف بالسلاح والعدة ، فتبسم له فَمُ المدفع بالقلل ؛ وصار يُشَتِّتهم من محل إلى محل . فحملوا حَمْلَةَ رجل واحد على السُّور ، وراموا يَنْقُرون وينهبون القصور ، فتشتتهم المدافع حتى ينهزمون ، وما زالوا على هذا الحال مدة بلياليها ثلاثة أيام ، ولحومهم يَشْوِيها البارود ، وسعود يُزَيِّنُ لهم الأماني والوعود ، وابليس يقول له المال هنا لا نعود ، فكانوا لا يصلون إلى المخيم ، إلا وقد شاهدوا نار جهنم ، ومازال هذا الشقي يقاتل تَجَبُّراً وعناداً ، حتى مضى له ثمانية أيام ، ثم ارتحل عنها بالخزي وقام ، فملأت قتلاهم السهل والوهاد ، حتى شبعت الوحوش من تلك الأجساد وجاء تاريخه (منقلبه سعود مغلوب) فارتحل هذا المعكوس ، وقد رآى من الشريف بجدة حرب البسوس ، فتوجه

الشي من أشرف مكان إلى حيث يطلع قرن الشيطان [٦] .

وفي يوم من بعض الأيام ورد عبد الوهاب أبو نقطة وظن أنه يجد بمكة سعود ، ويقاتل معه بجيش ويعود ، فما وجده إلا وقد خذل فلم يدخل مكة المحمية ونزل بجيوشه على عين الحسينية ، وخطر ببال هذا المرقد [٧] . أنه يقاتل بندر جدة ويحقد ؛ فأقام بالحسينية بياض يومه بقومه . وأرسل للشريف عبد المعين كتابًا ومعه خمسة عشر ريال ، وكتب فيه فاسد العقل فقال – وكان الشريف عبد المعين من عمال سعود

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الوهاب أبو نقطة إلى عبد المعين بن مساعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته – اعلم أن قصدى آخذ جدة واستعديت لها بالسلاح والعدة . ومذ حللت بهذا النادي . نفد زادي، فخذلي بخمسة ريال دقيق وخمسة ريال عليق ، وخمسة ريال سمن ، فلربما يطول علينا زمن الحصار . يلحقنا من عدم الزاد مضار . وأرسل لنا قدر مئة سُلَّم ننقز عليها السور ، ونهجم على البندر المذكور [٨] .

فقرأ الشريف عبد المعين كتابه بمحضر من أهل مكة ، وأناس من جماعته فأخذهم العجب من غباوة عقله وحماقته ، فأرسل له مع رسوله كل ماطلب وفاض به الأمر إلى العجب ، فتوجه من الحسينية إلى أن وصل نصف طريق جدة ، وَحَرَّض على القتال جنده ، ولم يتجاوز (الركاني) بجنوده ، حتى خفق ريح الدبور ببنوده ، فنأي عن الكفاح ؛ وامتنع عن الرواح ، ورجع ثانيا القهقرى ، ونزل بِفِنَاء أُمِّ القرى ، فسألوه لم رجعت عن القتال أيها الأمير وأنت من رجال الحروب ، وأهل التدبير ؟ فقال : قد أسلم على يدي كلُّ من كان بجدة وأطاع ، ولم يبق بيننا قتال ولا نزاع فانظر لهذا الكذوب الأصقع كيف يروم بهؤلاء الاوغاد أمرًا دونه خرط

القتاد ، كيف وهو يعلم أن سعود ماقام عنها ، ورجع ، إلا بعد ماتصنع؟ مع أنه أحد جبابرة العالم ، ولكن كما قيل :

ذُوْ الْجَهْلِ يَفْعَلُ مَاذو الرَّأيِ يَفْعَلُهُ
فِي النَّائِبَاتِ ، ولَكِنْ بَعْدَ ما افْتَضَحَا

وفي شهر محرم أيضاً من سنة ١٢١٩ أقبلوا لقتال أهل جدة المسلمين أعداءُ المؤمنين ، فأحاطوا بجدة وأطرافها أراذل الأعراب وأجلافها فنادي شريف مكة سيدنا الشريف غالب ــ وكان قد ملكها ــ على سكان البلد الحرام بحمل السلاح ، والخروج إلى الزاهر (نفير عام) فخرج الناس على طبقاتها إلى الزاهر ، حاملين السلاح ، يبيتون من وقت المساء إلى الصباح . حتى مضى لهم سبع ليال ، فتحقق انكسار فرقة الضلال ، بوصول السيد عبد الله بن شنبر مبشراً بتحقيق الخبر على [أن] أثني عشر ألف مقاتل ، أناخت بذلك الساحل ، وأحاطوا بالسور ، وفي كل يوم يحملون على البلد حملة واحدة ، ولم يجدوا من الله مساعدة ، فيعودون إلى الخيام ، فإذا قتل منهم خلق كثير ، ينفرون كنفرة الحمير ، ويقع عليهم في اليوم التالي كالأول من زيادة أعمال القنبرة والمدفع ، حتى أفنى منهم جملة ، حتى مضى لهم ثلاثة أيام فارتحلوا بالويل ، في جنح ليل ، وامتلأت من قتلاهم الحفر فتوجه ابن شقبان على طريق الوادي وأصبح بالمضيق ، وأخذ عثمان طريقاً غير هذا الطريق .

وفي ثمانية عشر من شعبان سنة ١٢٢٠ في أوان الترحيم أناخ على ساحل جدة المارق من الدين المضايفي عثمان ، بجملة من العربان ، وكان وروده إليها غدرًا واختلا س ، قبل أن تَهُبَّ أعْيُنُ الحراس من النُعاس ، لكن أخطأتْ استه الحفرة وما رجع منها إلا بالخيبة والحسرة ، فقسم

قومه من ثلاث جهات ، وجعل خلفهم الخيل حتى التصقوا بسور البلد وقد صبحوا ومعهم كثير من السلالم وقربوها ، ومعاول من الحديد لأحجار السور لينقبوها ، ثم صعد جانب منهم على تلك السلالم فرقى ، ولم يكن الا كلمحة قبل أن يتكاملوا عليها حتى ضربت عليهم المدافع والقنابر ، حتى انهزمت الفئة الظالمة - ومات كثير منهم - إلى مخيم عثمان بالخيبة والخسران .

ثم عاد عثمان العنيد بجيشه إلى قرية المدرة ، وأعمل رأيه في مكيدة مبتكرة ، فجعل يُراسِلُ العربان من كل مكان ، فكروا عليه حتى امتلأ الوادي . وكلما اجتمع عليه ناس في هذه المدة يرسله إلى طريق جدة ، وأبقى لمحاصرة جدة ، واهس شيخ زبيد ، فكم قتلوا حولها من الفقراء والمساكين . حتى وقع الفناء منهم في التكارنة الذين يجمعون الحطب والحشيش كما قيل :

يَعُدُّونَ قَتْــلَ الْمُسْلِمِينَ تَقَرُّبًا وَهَيْهَاتَ [هَيْهَاتَ] التَّقَرُّبُ بِالْبُعْدِ

وكان قد اشتد الحصار على مكة وغلت الأسعار وعدم القوت وفني الموجود . حتى أكل الناس الجلود ، فبغت بمكة الكيلة مشخصين ، من الحب والرز وقس على ذلك .

ثم إن الشريف غالب أمير مكة وَسَّطَ ناسًا للصلح ، وأن يدخل تحت أمر سعود .ورآى في ذلك إحياء لأهل مكة من الهلاك والجوع والحصار ، فتم ذلك وكان . ثم فَرَّق جنده الأتراك وغيرهم على ممالكه كالينبع واليمن وسواكن ومُصَوَّع وغيرها . ونزل هو وعبدي باشا والى جدة ، وأرسل مصطفى كتخدا جدة نائبا على البندر يجمع العشور .

ثم في تسع وعشرين محرم سنة ١٢٢١ أرسل إلى بندر جدة أربعين

خيّالا من الأتراك مع تفقجي باش ، وعين لهم ماقرره من المعاش ، فما ذالوا بساحتها مقيمين ، خمسة أشهر بثغرها مرابطين ، ثم لما اطمأنّ على رعيته من الفتن ، وسكن روعهم من المحن ، عنّ له أن يتوجه لإصلاح بندر جدة وتحصينه بالخندق والسور ، فتوجه من مكة إليها في غرة صفر وفي اليوم الثاني صبّح البندر فنزل في دار الوزارة ، ومستقر الإمارة .

وفي يوم الجمعة رابع شهر صفر نَهَى عن شُرْب الدخان بجدة في الأسواق ، وأمر بمنع بيعهِ في الدكاكين على الاطلاق ؛ لأنه كان من جملة مذهب الوهابيين .

ثم أمر بعمارة الخندق ورآى أن عمله بالمساحي صعبًا على الفعلة يحتاج إلى مُدَّةٍ مطوّلة ، فاختار بنيانه بالبقر أسهل وأيسر ، واشترى ثمانين ثور ، لنفي التعب والجور ، وجمع المعلمين أهل الهندسة والصناعة ، وجعل أربعين يشتغلون من جهة الشام ، وأربعين من جهة اليمن ؛ فشرعوا في تعميره كما أمر ، من أول شهر صفر ، وما زالوا عليه مجتهدين شمالا ويمين ، إلى شهر جماد الثاني ، وهم آخذون في تشييد تلك المباني ، ثم لم يبق للشغل بالبقر محل ، لغشيان الماء باطن الخندق ، ووجدوا حجرًا جهة الشام قدر مائة ذراع يقال له المنقبة لصلابة أحجارها متصعبة ؛ فأمر الحجّارين أن يفقشوها بمعاول الحديد ، ويحرقونها بالنار ؛ وما زالوا مجتهدين الاجتهاد التام ، إلى آخر العـام ، فجاء كما تراه خندقا يروق الخاطر ويشوق الناظر .

أقول : والآن قد انسدّ وانهار عليه التراب ، ولم يبق له إلا الآثار وكانت قد تحصنت البلاد به غاية التحصين وتمكنته نهاية التمكين ،

وانقطعت آمــال العدو عن المطامع كما هو نص في الواقع .

وفي يوم الأحد ثاني جماد الثاني سنة ١٢٢١ أمر ببناء برج على نفس باب (البغاز) المسمى بالعلم يمنع الداخل إلى الْمَرْسَى إن قصده عنوة ، فبنوا الأساس حتى اعتلى عن وجه الماء ثم تركوه إلى مـدا .

وفي ثمانية عشر صفر كان وصول حمد بن ناصر ومعه أهـل الدرعية من رؤساء الفئة الوهابية . فلما وصلوا إلى مكة بكتـاب من سعود ، وكان صاحب مكة بجدة فنزلوا إليها لملاقاة الشريف . ولإظهار ما جاؤوا به من الافك والتزييف ، فانعقد الصلح بينهما ، وزال الايهام واتضح الأمر اتضاحاً تام ، ونزل حمد بن ناصر إلى مسجد عكاش في الحال ، وقرأ رسالة جَدِّهِ التي يكفّر فيها المسلمين [٩] ، وأمر الناس وتجار البلد ، وسكانها وساداتها وأعيانها ، وما زالوا يحضرون قراءتها حتى أتمها ، وخلط فيها ابن عبد الوهاب ، وآثر الخطأ على الصواب ، وهي في الحقيقة هذيان ، يضحك منها الصبيان ، تلخيص ما فيها : تكفير جميع من في الأرض بالطول والعرض . .

وفي يوم خمسة وعشرين من شهر صفر أمر بهدم قبب الصالحين ، لتطيب نفوس أولئك المعاندين ، وأمر على أهل جدة بالإمساك عن شرب التنباك . وكل ذلك تسترا ، ومداراة لإخماد نار الفتنة ، وما أحوج الناس على طاعتهم على مثل هذا المقدار ، غير ماوقع لبلد الله من الحصار ، وإلاّ فمعاذ الله أن يرتضوا بالدخول في دينه المعوج ، والخروج من الدين الحنيف الأبلج [١٠] .

وأمر الشريف بابطال نَدْب نوبته [١١] ونوبة والى جدة حتى يفرج الله هذه الشدة .

وفي سنة ١٢٥٢ كان أول وصول قنصل الانكليز بجدة وتوطنه بها ، ونصب له بها (بنديرة) وهي أول بنديرة [١٢] نصبت بجدة ، ولم يعهد توطنهم بها قبل ذلك .

وفي سنة ١٢٧٤ كان بها فتنة عظيمة وهو أن أبناء ابراهيم جوهر تخاصموا مع صالح جوهر ، كانوا رعية الانكليز فأحب صالح جوهر أن يكون رعية للدولة العلية لقول الله تعالى « ومَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكم فإنه منهم » وأدار (بيرق) [١٣] سفينته عثماني ،ضداً في أبناء ابراهيم جوهر ، والحاج فرج يُسر ، كونه كان مُعَضِّداً لهم ، فأشار الحكومة في ذلك أي على علامة سلطان الاسلام ، وحامي حمى بلد الله الحرام ، ومدينة النبي عليه الصلاة والسلام ، فحين رأى القنصل ماذكر ، أرسل لأحد قباطنهم ، وأمره أن ينزل البيرق ويضع بيرق الانكليز محله ففعل ، فغضب حينئذ القنصل ، وأرسل إلى صالح جوهر . وحبسه لتعديه وخروجه على حكومتهم بغير أصول عنده . فاغتاض قائم مقام جدة لذلك وأرسل لكبير الحضارم : حيث لم يكن عندي بجدة عساكر بكثرة ، فخلّ جملة من الحضارم ، بالسلاح يمرون على بيت القنصل ترهيباً له ، وهذا من سخافة عقل القائم مقام ، وعدم درايته بأصول الأحكام وأن العامة والرعاع إذا قامت لا يردها شيء وكان ذلك القنصل المذكور أحمق من هَبَنَّقَة ، وأشأم من طُوَيس ، حين مَدّيَدَهُ للبيرق وقلعه ، ودَعَسَهُ وقد زام ، وما خشي الحجة والالتزام . وفي الحديث : « الفتنة نائمة . ولعن الله من أيقظها » أو كما قال ـ فحين سمع الرعاع من الناس . والغوغاءُ هذه الفعلة . أخذتهم دائرة الغفلة ، وربما كانت تتداوى هذه الأمور بأقل من ذلك . ولكن المقدور يدور ، ولله عاقبة الأمور كما قيل :

إذَا أَرَادَ اللهُ أمْـرا بامـرىء وكان ذَا عَقْل وَسَمْع ، وبَصَرْ
أصَـم أُذْنَيْـهِ وأعْمَى قلبـه وسَـلَّ عقله ؟ سَـلَّ الشَّعَر
حـتى إذَا أنْفَـذَ فِيْـهِ حُكْمَهُ رَدَّ إلَيْهِ عَقْلَهُ لِيَعْتَبِر
فلا تقلْ فيما جَرَى كَيْفَ جَرَى؟ فَـكُلُّ أمْرٍ بِقَضَـاء وقـدر

فاحتزم أهْلُ جدة والحضارم ، وبعض من المولدين الأجارم ، وصاروا قتلا ونهبًا في كل جنس يخالف دين الاسلام . ولم يدروا عن شروط المستأمنين وأهل الذمة والمعاهدين ، في دار الاسلام ، أنه لايجوز التعدي عليهم شرعا . وإن كان المذنب واحدًا فما ذنب الجنوس الأُخَر ، (إن هُمْ إلاَّ كالأنعام) فثارت الفتنة ونهبت أموالهم بعد الذبح كأن لم يكونوا

وكان الباشا والي جدة وهو محمد نامق باش مَكة المشرفة ، حتى خلت جدة من الفرنج أجمع منهم من أسلم ، ومنهم من أُسِر ، ومنهم من تردى وقتل الجميع ، ثم بعد شهر أو أزيد ، أتى مركب فرنج حَرْبيٌّ ، ورمى بالقلل على جدة في ذلك اليوم كم من هارب ، وكم من خارج من مَحَلِّه وصفصفت أهلُ جدة ، هاربين على مكة ونحوها ، ولم يصب البلد من قللهم شيءٌ غير صهريج أتت عليه قلةٌ ،ولأن قلعة جدة لم يكن عندهم أمرٌ بالرمي على المركَب المذكور ، وإلاَّ كان أهلكوهم من أول وهلة ، ثم انصرفوا بعد نزول الوالي ، وبعض من أكابر أهل مكة ورؤسائها ، وساسوا الأُمور ، وأخذوا عليهم مكاتبة بفعلهم وتعديهم ، وذهبوا إلى حالِ سبيلهم.

ثم بعد أيام قلائل أتى أمرٌ من مولانا السلطان عبد المجيد ،بِرَدَّ أموالهم والقصاص ممن فعل بهم ، سياسة شرعا لكونهم من أهل الذمة ، فأُخذ الوالي المذكور من أهل جدة ، والمولدين بها ، اثنى عشر رجلا ، قطع رؤسهم ثم الشيخ سعيد العمودي ، لكونه شيخ الحضارم ، وعبد الله أغا فران محتسب

جدة ، كذلك قطعت رؤسهما بالبنط ، وأُخِذ جَمْعٌ من أهل البلد والعامة نحواً من أربعين رجلا سُفُّروا إلى (الاستانة) ثم أُطلقوا بعد مدة ورجعوا سالمين ، ثم أُخذ تجار جدة وشيخ السادة والقاضي وسُفِّر ، فرجع القاضي بعد سبع سنين ، وبعضهم توفوا بتلك البقاع ، والحكم لله يفعل ماشاء ، وكانت أحوال مزعجة لايطيق القلب سماعهما ، تحتاج إلى مجلدات وإنما ذكرت هذه زبدتها ولله الأَمر من قبل ومن بعـد .

وفي سنة خمس وسبعين ومائتين وألف كان أول سنة مجيء محمل أهل مصر ، من طريق البحر على جدة ، ثم يطلع من البحر بموكبه من جدة إلى مكة ، وهذا لم يُعْهد سابقا أبدًا مطلقا ، وذلك بأمر والي مصر محمد سعيد باشا ، حتى أهلكه الله بعد ثلاث سنوات سنة تسع وسبعين ، رجع المحمل من البر على عادته من مصر إلى مكة .

وفي تلك المدة كثرت مراكب (بوابير) البحر في بحر القلزم من جدة إلى السويس ، حتى بلغت إلى ثلاثة عشر بابورًا ، وهي للحجاج من أعظم المنن ، لأَنَّ الغالب لمن ركب فيها السلامة [(١٤)] فجعل والي مصر وكيل (الكبانية) ببندر جدة المحمية رئيس التجار ، معدن الفخار الذي رفعه الله بأعلى بساط ، الأَمير عليها الشيخ أَحمد المشّاط ، حفظه الله ـ فكان يسوس أوامرها ، وخصوصاً يرأف ببضائع التجار مع شدة أمره على المتوكلين ، وبالحجاج المسافرين ، بخلاف غيره من الأُمراء فإنهم لما أُمِروا أكلوا البراطيل والرشا ، وزادوا على حجاج بيت الله بحيث لهم جواسيس على الحجاج : (إن كان تبغا تنزل قبل غيرك وتسلم ، هات النفر دينارا زايد على الكرا) فتجارتهم خاسرة ، وبيعتهم بايِرَة ، ولقد مدحت الشعراءُ هذا الأَمير بقصائد أرسلت إليه من مكة ومن جدة [(١٥)]

ليس يحويها هذا السفر ، فأجاز الوفاد ، وأنجز السداد . ألهمنا الله وإياه الرشاد.

وفي سنة ١٢٨٠ جددت عمارة المسجد الذي على البحر المعروف بمسجد عكاش لأنه من المساجد القديمة ، وأتقن وأحكم ، وكذا الميضاة التي هي بجانبه ، وكذلك جدد ما اندرس من المسجد الذي بالقلعة ، ويعرف بمسجد عمر .

وفي سنة ١٢٨١ في شهر صفر ورد إلى جدة عساكر مصرية عزيزية ، وأقاموا في محل (القشلة) الخارجة ، فقل الماءُ على أهل جدة وضاق بهم ذرعاً كما قيل .

مَن غَصَّ دَاوَى بِشُرْبِ الْمَاءِ غُصَّتَهُ فَكَيْفَ يَعْمَلُ مَنْ قَدْ غَصَّ بِالْمَاءِ

واحتاج أهل جدة والقاطنين بها ذلك فأبعدوهم عنها في محل بينهم وبين جدة ساعة ونصف عند آبار عقبة .

وفي سنة ١٢٨٣ كان قائم مقام جدة (نوري أفندي) رجل أصله من (الارانطة) كان كاتباً على (العرضي) وقيل على القراية الارانطة ثم صار على شونة مكة كاتب ، وكان في ضيق من العيش فساعدته الأقدار فتولّى قائم مقام الوالي جدة ثم جمعت له نظارة شونتها مع القائم مقام فمكث بها مدة سنوات فظهرت صولته وهابه الناس ، ثم إنه انقطع لتمدن البلد فقطعها من الأرض طول ذراع (؟) من سائر البلاد . وشغل فيها أهلها ، والذي لم يشتغل يؤجر بدلاً عنه وسَدّ شيئاً من ساحل البحر . من ناحية (الكرك) حتى إنه دخل في البحر نحو خمسة عشر ذراعاً من كل ناحية من الطول ، وأما العرض فجعلها نظير (مينة اسكندرية) وأتقن بناءها وكانت أولا (السنابيك) تلاصق في الزلة [١٥] ، والبضايع تصير متراكمة وربما يتلف بعضها وفي وقت الحج يضيق على الحجاج العبور ، ثم من الجهة الشامية هدم السور وأدخله إلى جهة البحر ، وسدّ من تلك

الناحية وساوى بين الأرض . ثم إنه سقف جميع أسواقها حتى صار الانسان لا يمشي إلا في ظـل ، وأمر بهدم العشش من الدكاكين والقهاوي ، وجعله كله صندقة . فصارت من قبيل (غورية مصر) والسكرية ، وجعلها ميزانا واحداً ، وكان قبل ذلك دكان خارج ، والآخر داخل ، فوسع في الصنادق كل ذلك بالقوة القهرية ، وبالمداراة السياسية ، وأمرهم بنقش الأخشاب ، وكفَّ أهلها عن المقاتلة مع بعضهم ، وطار صيته ، ودخلت هيبته في قلوب الرعية . حتى صاروا يخوفون به الأطفال ، وأمر بقطع (كَدَاوِي) من القمائم على بعضها كأمثال الجبال ، فسدَّ بها البحر من ناحية الفرضة ثم من ناحية المعمار عمل سوقا وبنى فيه دكاكين صغيرة وسقفه بالأخشاب وورنقه يعرف بالنورية . وجعله للخضرية والجزارة ، وجعل فيه قهوة لطيفة وكان طلب مني تاريخا لهذا السوق فقلت :

عَرِّجْ على أرْجَاءِ جدةَ يافتَى ... وانظر إلى السُّوْقِ الجديد الْمُثْبَتَا
طـالع سعود اليمن فوق بساطه ... ياحسنـه لـما رَنَا متلفتـا
قد أسَّس البنيان (نورينا) الذي ... مامثله في جـدة أبدًا أتَـى
(قائم مقـام) ياله من همَّة ... في فعله الخيرات صيفا والشتا
في مدة السلطـان عـز نصره ... (عبد العزيز) الْبَرِّ ، لي كُنْ منصتا
وأمير مـكة والحجـاز بـأسره ... مولانا عبدالله سيدنا الفـتى
و(وجيه باشا) واليا شيخ الحرم ... من نال بالتحقيق قـولا مثبتا
نورية ميمـونة في بلـدة ... تحوي رموز الدهر في رسم متى
يحبـوه ربي من مزيد عطائه ... بعد الوفاة من الحسان الموقتا
لما أتَمُّوا غَرْسَه أرِّخْ بِقِفْ ... (نورى أفندي) قَدْ جناه وما عتى

ثم جعل سوقا خارج باب مكة من الصندقة الأخشاب بقهاوي ، وغَيَّر القشـاع .

وفى الحقيقة كانت جدة قبل هذه العمارة لا يطيق الانسان في مدة الصيف أن يخرج من بيته من رائحة النَّدَا الكريهة والزناخة والشمس المحرقة والعشاش . والقشاع . وغير ذلك فصارت كأحاد المدن الفائقة .

ثم إنه شَغَّلَ الناس في عين أدخلها لها ، وكانت قديماً ثم بطلت ، ثم انهدم مجراها ؛ فأمر على الناس وأهل الحوايز في الشغل فيها حتى أدخلها إلى البلد ، وجعل لها (بازانا) للسماية في ناحية العلوي ، ثم أجراها إلى الفرصة حتى تصب في البحر . ثم ضعفت وقل ماؤها لكنه يجري قليلا ؛ فانتفعت به البلدة وأهلها . وإن كان ماؤها غير عذب . لكنه يعين على المهنة والغسيل وغير ذلك .

ثم في سنة ست وثمانين ومائتين وألف عمل صهريجا كبيراً للدولة العلية باسمها أكبر مايكون ني صهاريج جدة . وكل محبوس يشتغل فيه ، وأتمه ، والحاصل أنَّ الرجل لما اجتهد في عمارة البلد ذلَّ له أهلها وهابه رعاعها ، لسطوته وتجبره وتكبره — ترادفت عليه الرتب . وساعفته الأقدار ؛ حتى صار في رتبة (ميرميران باشا) فكان يقال له (نوري باشا) ونودي باسمه وخوطب بذلك وصار له معارف من رجال الدولة ومكانة وذلك لسبب كل قادم إلى الحج وغيره يجري عليه الضيافات . ووضع يده مع التجار على سائر المرابحات ، حتى نمى ماله . وترقَّى في حاله وجلبت إليه الهدايا والخيل المسومة والعربة وغير ذلك إلى أوائل سنة ١٢٨٨ عزل عنها وتولى محله (قاسم باشا) والياً عليها قال تعالى (وتلك الأيام نُدَاوِلها بين الناس) ومع ذلك كان لايوقر كبيرا ولا يرحم صغيراً فبهذا ترقَّى في أسرع مدة ولكنه صنع بعض خيرات بجدة ، وكفَّ العامة عن التعرض لبعضهم ولغيرهم ، وسوَّى بين غنيِّها وفقيرها في المقام . حتى تمَّ العام

(١٥)

وبجدة من خارجها قشلة مُتّسعة قريبة من ضريح السيدة حواء ، للعساكر الشاهانية ،، كان بناها محمد علي باشا والي الديار المصرية وهي مكينة في البنا ، وطواحين الهواء ثلاث كان بناها المذكور أيضاً .

وأما سقياها فمن ماء المطر ، ولهم خارجها صهاريج للتجار ، تمتلىء من ماء المطر وبها حفر أيضاً تجمع الماء أيضاً .

(واسكالتها) يمر عليها من بضايع الهند واليمن ومصر وسواكن ومصوع وبلاد السين (؟) والصّين والجاوى ، قيل إنها اكبر أسكلة في بلاد الاسلام بعد اسكلة اسكندرية . وللبغاز باب لا يمكن دخول مركب بغير ربان من أهلها ، محكم بابها بين شعبتين عليهما علمان لمعرفة الدخول ، بصناعة يعرفها أهلها ، فهي للتجار دار مقام ، وللمفاليس سجن لايرام كما قيل .

وَجُدَّةُ لِـذَوِي الْأَمْـوَالِ كَيِّسَةٌ ... وَلِلْمَفَالِيْسِ دارُ الْهَمِّ والضِّيْـقِ
أَقَمْتُ فِيْهـا مُضَاعًا بَيْنَ سَاكِنِهَا ... كَأَنَّنِي مُصْحَفٌ فى بَيْتِ زِنْدِيْقِ

وإلا في الحقيقة فهي أعظم ثغر من ثغور الاسلام ، فكم من وليٍّ وعالم وفاضل يريد الحج وقضاء المناسك يَمُرُّ عليها ، ويدخل من (اسكالتها) كما هو الغالب لأن الحجاج كلهم أضياف الله تعالى وفي كنفه وأمنه ، فهي مَمَرٌّ للأبرار ، ومَقَرٌّ للتجار ، ضاعف الله فيها البركات ، وأظهر فيها الخيرات .

(للكتاب بقية)

* * *

الحـــواشي

تنبيـــه :

ترددت كثيراً عندما قرأت كـلام الحضراوى فى رسالته هذه عن الدعوة السلفية ، وما نسبه إلى القائمين بهـا من أمور باطلة حتى هممت بعـدم نشر بقية الرسالة ولـكن هل عدم نشرهـا يحول دون اطلاع القراء على ما فيهـا من الزور والبهتان ؟ !

إن الرسالة يوجد منها نسخ كثيرة وكل المهتمين بتاريخ بلدة جـدة لا بد أن يكونوا قد أطلعوا عليها

ثم إن رمى دعاة الاصلاح - أتباع الإمام المجـدد الشيخ محمـد بن عبد الوهاب رحمه الله - رميهم بما هم منه براء شنشنة قديمـة ، وقـد أظهر الله زيفها وبطلانها ، فاتضح لـكل منصف أن تلك الدعوة هي حقيقة الدين الإسلامى ، المستقاة من ينابيعه الصافية كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

ولئن كان علماؤنا يحذروننا من الاطلاع على كتب أهـل البدع والأهواء والزيغ والضلال فإن ذلك التحذير كان فى محله عندما كانت تلك الـكتب حبيسة المكتبات الخاصة ، وكان الحصول عليها لا يتـأتى لـكل أحد ، وكان انتشارها فى دائرة ضيقة ، أما الآن فإن وسـائل النشر يسرت لـكل قارىء الاطلاع على كل كتاب يريده ، وهيأت لـكل كتاب أن ينتشر حسب رغبة ن يهمهم أمر ذلك الـكتاب .

لهذا أصبح لا معنى لعـدم نشر الـكتب التى تحوى أموراً لا تتفق مـع رغبة كل قارىء ، أو التى تتضمن أموراً باطلة - كما فى هذه الرسالة وأمثالها من مؤلفات أعـداء الدعوة الاصلاحية .

وخير لنا أن نوضح ما فى تلك الـكتب من آراء باطلة بالحجة والبرهان من أن نحاول إخفاءها عن أعين القراء ، وهذا أمر ليس فى استطاعة أحـد فى هـذا الزمن الذى أصبح من الميسور لـكل قارىء الاطلاع على أى كتاب يريد الاطلاع عليه .

(١) كلمة الوهابيين ألصقها بدعاة الاصلاح أعـداؤهم لتنفير من قبول تلك الدعوة ، ولـكنها أصبحت تطلق على كل من دعى إلى تطهير العقيدة السلفية من البدع والخرافات . ولله در الملا عمران صاحب لنجة حيث يقول :

إن كان تابع أحمـد متوهبـا فأنا المقـر بأننـى وهـابى

(٢) مـا حدث فى الطائف أكثره إن لم يكن كله من البوادى القريبة منه ، وقد أوضح ذلك الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى رسالة له مطبوعة معروفة فى كتاب « الهدية السنية » .

(٣) وصف أتباع الشيخ محمد أنهم خوارج أصله أن الدولة التركية وأنصارها لـكى ينفروا الناس من قبول تلك الدعوة السلفية وصموا أهلها بالخروج ، وقد تصدى علماء الدعوة للرد على هذه الفرية ، وأوضحوا أنهم براء من كل مذهب يخالف الـكتاب والسنة .

(٤) بل الأمر بعكس ذلك ، فقـد طهر الإمام سعود بيت الله مما كان يجرى حوله من البـدع والخرافات وأمور الضلال ، وهذا مما اعترف به كل إنسان منصف حتى من علماء مـكة أنفسهم ، كما أوضح ذلك الإمام الشيخ عبد الله بن الشيخ محمـد بن عبد الوهاب فى رسالته التى سبقت الإشارة إليهـا .

(٥) لا نحب الاطالة بالتعليق على الـكلمات البذيئة التى لا تليق بعـاقل ، فضلا عن عالم ، ويظهر أن الحضراوى استقى كثيراً مما ذكرنا هنا من مؤلف ابن عبد الشكور الذى نشرت مجلة « العرب » خلاصته .
(س ١٠ ص ٨٠١ إلى ٨٦٨) .

(٦) يشير إلى حديث معروف ، إلا أن العلماء المحققين قـد أوضحوا أن المقصود به بلاد العراق لا بلاد نجـد ، فتلك شرق المدينة .

(٧) كلمة المرقد سيئة استقاها الحضراوى من سلفه ابن عبد الشـكور .

(٨) لا شك أن هذا الـكتاب مختلق وليس صحيحاً ، يدل على ذلك أسلوبه وهو منقول عن كتاب ابن عبد الشـكور .

(٩) يقصد رسالة من الشيخ محمـد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وهو لم يكفر إلا من كفره الـكتاب والسنة ، كما يعرف ذلك من اطلع على مؤلفاته ومؤلفات أنصار تلك الدعوة السلفية والقول بأنه يكفر المسلمين فرية قديمة ، تصدى للرد عليها علماء الدعوة الاصلاحية منذ عهـد الشيخ رحمه الله ، إلى هـذا العهـد .
والشيخ حمد بن ناصر بن معمر الذى تولى قراءة تلك الرسالة من كبار علماء الدعوة السلفية وهـو الذى تولى مناظرة علماء مكة فى ذلك العهـد حتى أقنعهم بالحجة والبرهان بصحة تلك الدعوة الاصلاحية ، وأنها حقيقة الدين الإسلامى كما أوضح ذلك فى رسالته « الفواكه العذاب » المنشورة فى كتاب « الهدية السنية »

(١٠) الحضراوى من أولئك الجهال بحقيقة دعوة الشيخ محمـد رحمه الله ، فهو لم يأت بدين جديد ، وإنما جاء مجدداً للدين الإسلامى الحنيف الذى ألصق به الجهـال من الخرافات والبدع وأمور الضلال ماجعله يبدو غريباً على الحضراوى وأمثاله ، كما جاء فى الحديث الشريف « بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ » .

(١١) يقصد الموسيقى التى تدق له أو اوالى جدة .

(١٢) البنديرة : العلم .

(١٣) البيرق : العلم .

(١٤) كلمة غير واضحة فى الأصل .

(١٥) الـكلام الذى بعـد هـذا ليس متصلا به ، وهـذا آخر صفحة ٢٣ وما بعـده من صفحة أخرى .

نُونيّةُ الكُمَيْتِ بن زيد الأسدي وشرحها لأبي رياش اليمامي

شـــعر الكميت :

يعتبر الكميت من مكثري الشعراء ، ومع ذلك فما وصل إلينا من شعره قليل ، وهو قسمان « الهاشميات » وما جمعه الدكتور داود سلوم في جامعة بغداد بعنوان « شعر الكميت بن زيد الأسدي » وقد طبع سنة ١٣٩٠ (١٩٦٩ م) بمطبعة النعمان في النجف في أقسام ثلاثة صفحاتها نحو ٦٢٦ يحوي القسم الأول من الشعر ما جُمع قديماً ، وأضاف الدكتور داود في القسم الثاني ما يرى صحة نسبته للشاعر وخصص القسم الثالث لما نسب للكميت ولغيره من الشعراء .

نونية الكميت :

ولا يدْرِك جُهْدَ الدكتور داود في الحرص على جمع ذلك الشعرا إلا من طالع بإمعان كل صفحات ذلك الكتاب .

يُعَدُّ الكميت من أقدم مُثِيري بواعث العصبية وموقدي نار الشقاق بين العدنانِيِّيْنَ والقحطانيين ، بل يعتبر أول من شبَّ أوارها على ما ذكر المسعودي في « مروج الذهب » من أنه بَعْد أن اتصل ببعْض بني هاشم وأنشدهم ما قاله فيهم من المدح في «الهاشميات » قال له أحدهم : (إنْ رأيت أن تقول شيئاً تغضب به الناس ؛ لعلَّ فتنة تحدث ، فيخرج من بين أصابعها بعض ما نحب ، وابتدأ الكميت وقال قصيدته التى

---

(١) ٣ - ٢٤٤

يذكر فيها مناقب قومه ببني نزار ، وأنهم أفضل من قحطان) ثم ذكر المسعوديُّ غضب اليمانية وتحزب الناس وثورة العصبية في البدو والحضر ، ثم انحراف اليمانية عن الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية . وأورد المسعودي مطلع القصيدة :

أَلَا حُيِّيتِ عَنَّا يا مَدِيْنَا وَهَلْ بَأْسٌ بِقَوْلِ مُسَلِّمِينا

وأبْيَاتاً منها .

كما أورد طرفاً من ذلك الأصفهاني في « الأغاني » وسَمَّي تلك القصيدة « المُذْهَبة » وذكر بعض من عارضها من الشعراء .

وهذه القصيدة تقارب ثلاث مئة بيت ، لم تصل إلينا كاملة ، وقد رجع الدكتور داود سَلُّوم إلى أمهات كتب اللغة والأدب فجمع سبعة وثمانين بيْتاً ، اتضح لي أنَّ ثمانين بَيْتاً[1] منها من تلك القصيدة ، فهي تتفق مع أبيات القصيدة : (١٩٩ – ٥٠ – ٦٤ – ٢٥ – – ١٨٧ – ١٦٦

٢٨٣ – ٧٠ – ٤٨ – ٢٧٧ – ٢٧٨ – ١٩٢ – ١٩٦ – ١١٤ – ٢١٥ –

٢١٦ – ١٧٩ – ١٩٧ – ١٦ – ٥ – ٠ – ٧٦ – ٧٧ – ٧٨ – ٧٩ – ٨٠ – ٨٣ –

٨١ – ٢٥٢ – ٢٥٣[2] – ٢٥٤ – ٢٥٥ – ٢٥٦ – ٢٥٠ – ٢٤٨ – ١٤٤ –

١٤٥ – ٩٠ – ٩١ – ١٢ – ١٣ – ١٧٦ – ٢٦٧ – ٢٧٣ – ١١١ – ٩٢ –

١٥٩ – ٢٠٣ – ٠ – ٠ – ٤٧ – ٦ – ٠ – ٧ – ٨ – ١٠٧ – ٩٧ – ٢٦٢ – ٢٤٧ – ٧٤ –

١٦٩ – ٠ – ٢١٧ – ٢١٢ – ١٧١ – ١٥٧ – ٥٦ – ١٣٤ – ٤٦ – ١٦٠ –

٩٥ – ١٤٣ – ٢٠١ – ١٠٨ – ١١٧ – ١١٨ – ٢٠٥ – ١٨١ – ١٢٠ –

٢٠٢ – ١٠٣ – ٠ – – ٠ – ١٦١ – ٠ – ٣٠[3] – .

---

(١) تقع فى الجزء الثانى من « شعر الكميت » من ص ١٠٩ إلى ١٣٤ .

(٢) هذا البيت كرر الدكتور ذكره لاختلاف روايته

(٣) قابلت ما أورد الدكتور من القصيدة بحسب ترتيبه هو – بما هو موجود فى القصيدة بحسب ترقيمى لأبياتها الموجودة فى الأصل الذى لدى ، وما لم أجد مقابله وضعت مكانه نقطة سواء – .

وثمانية أبيات لا توجد فيما اطلعت عليه منها ، ولا شك أن واحداً منها هو مطلع القصيدة مما سقط من الأصل الذي اطلعت عليه ، فقد سقط من أوله صفحات تحوي ذلك المطلع وغيره من أول القصيدة والأبيات الأخرى هي :

وشطَّ ولي النَّوَى إنَّ النوى قُذُفٌ تَيَّاحَةٌ غربة بالدار أحيانا

وهذا يخالف وزن القصيدة ورويّها ولا أدري لِمَ أقحمه الدكتور داود بين أبياتها :

إيَادٌ حين تُنْسَبُ من مَعَدٍ وإنْ رَغِمَتْ أُنُوفُ الراغمينا
وَكَانُوا في الذُّوابةِ مِنْ نِزَارٍ وأهْـلِ لِوائهـا متنَزِّرينا

ويكاد يجزم الْمرْءُ بأَنَّ هذين البيتين من القصيدة ، ولكن يعترض هذا عدم وجودهما فيها . والقول بأنَّهُمَا قد يكونان مما سقط من الأصل الذي وصل إلينا يردُّهُ أنَّ الساقط من أول القصيدة مما يتعلق بمخاطبة (مَدِينا) ووصف الديار .

وكذا يقال في الأبيات الأُخرى وهي :

وَضَمَّ قواصِيَ الأَحْياءِ مِنْهمْ فَقَدْ رَجَعُوا كَحَيٍّ وَاحِدِينَا

ولعل المقصود به قصي بن كلاب ، وهذا لم يرد له ذكر في القصيدة :

كَأَنَّ بنى ذُوَيْبَةَ رَهْطَ قِرْدٍ فراشٌ حَوْلَ نارٍ يصطلينَا
يَطُفْنَ بِحرِّهَا ويَقَعْنَ فِيهَا ولا يَدْرِينَ ماذا يَتَّقِينَـا

هذان — إذا صَحَّتْ نسبتَهُمَا للكميت — كما في « المستقصى » للزمخشري فلعلهما من غير هذه القصيدة التي هجا فيها بطون القبائل

الكبيرة هجاءً عاماً ولم يتعرض للأفخاذ وكذا البيت :

ولا تَلجَنْ بُيُوتَ بني سَعيدٍ ولو قالوا وراءك مُضْفِحِينَا

وليس من المستبعد أن تكون القصيدة رُويَتْ من أَوْجُهٍ أخرى غير ما وصل إلينا ، وفي تلك الأَوْجه زيادات على ما في النص المذكور ، الذي نجد فيه إشارات إلى روايات أُخْرى ، فرواةُ شعر الكميت كثيرون ، وكثير من قصائده تختلف الروايات فيها . ومن أمثلة ذلك قصيدته التي مطلعها :

أَلَا لَا أَرَى الأَيَّامَ يَفْنَى عجيبُها

فهي في مخطوطة (مكتبة الحرم المكي) من كتاب « جمهرة أشعار العرب » تزيد أبياتاً كثيرة على ما ورد في النسخ المطبوعة من هذا الكتاب.ويُؤيِّد القول باختلاف روايات القصيدة أنَّ الهمداني في قصيدته « الدامغة » التي ناقض بها قصيدة الكميت هذه أشار إشارات موجزة إلى أبيات منها ليست موجودة في الأَصل الذي وصل إلينا ومنها ما نجزم بأنه من أول القصيدة فيما نقص من أول الأَصل كقول الهمداني :

لَقَدْ سَرقَ ابنَ عابِسَ بَعْضَ شِعْرٍ : (قفوا بِالدَّارِ وَقْفَةَ حابِسِيْنَا)

فهو يذكر أن عجز هذا البيت للكميت سرقه من شعر امرىء القيس ابن عابس :

قف بِالدِّيار وُقُوفَ حابِسْ وَتَأَنَّ إِنَّكَ غَيْرُ آيِسْ [1]

وكقوله [2] :

فكَيْفَ نكُونُ فى زَعْمِ ابن زَيْدٍ على هذا (كَشَحْمَةِ مُشْتَوِينَا)

وَلَمْ أَجِدْ ــ فيما لدىَّ من قصيدة الكميت بيتاً بهذه القافية .

---

(١) « شرح الدامغة » : ٥٨ (٢) « شرح الدامغة » : ١٦٩

ويظهر أنَّ الهمداني اطلع على أصل آخر للقصيدة ، ويُسْتَأْنَس لهذا بكونه روى بعض ما يتعلق بالكميت من غير طريق راوي الأصل الذي وصل إلينا فقد جاء في « شرح الدامغة [1] » ما نَصُّه : (الكيمت- على ما خَبَّرني مولاه محمد بن ابراهيم بن الأسد - : من بني دُودان مالكيٌّ) .

أما ما وصل إلينا من القصيدة فهو برواية أحمد بن أبي رياش عن الهمداني - فيما يظهر - ويبرز إشكال آخر هو : لماذا لم يعتمد الهمداني رواية ابن أبي رياش ، ولماذا لم يستفد من شرحه للقصيدة ، بل لماذا لم ترد إشارة إليه في « شرح الدامغة » ؟ هذه أسئلة لم أجد لها جواباً أطمئن إليه .

أمّا نَقْصُ ما وصل إلينا من القصيدة فهو - في رأيي - منحصر في أوّلها ، في مخاطبة (مدينا) وفي وصف آثار الديار ، وقد لا يتجاوز عشرة أبيات أو نحوها مما يقع في ورقة واحدة من ورق المخطوطة التي هي أصل ما سننشره .

أثـر قصيـدة الكميت من النـاحية الأدبية :

بصرف النظر عن كون الكميت أَجَّجَ بشعره - ها شميّاته وقصيدته هذه - أَجَجَّ نار العصبية بين القحطانية والعدنانية ، ولكنه بهذه القَصِيدة أثار في نفوس شعراء الشَّعبَيْن العظيمين من كَوَامن الْبُغْض والحقد مَا ظَلَّ أُوارُه يشتعل إلى عصرنا الحاضر ، وهو على سُوءِ بَوَاعِثه وخُبْثِ مَغَبَّتِه أَمَدَّ الأدب برافِد مستمر الجريان منذ عهد الكميت إلى عصرنا الحاضر .

فقد عارض الكميتَ شعراءُ كثيرون منهم حكيم بن عياش الأعور

---

(١) ص ٢١٢

الكلبي وسراقة البارقي – وقد وردت إشارات إليهما في شرح قصيدة الكميت وهما معاصران له .

كما عارضه دعبل بن علي الخزاعي الشاعر المعروف بقصيدته التي مطلعها :

أفيقي منْ ملامك ياظَعينا كفاك اللومَ مرُّ الأرْبَعِينَا

ومحمد بن أبي عيينة المهلبي – من معاصري دعبل – على ما ذكر الأصبهاني في «الأغاني» وعاصره شاعر يدعي أبا الذلفاء الحسن بن زيد فناصر الكميت ، على ما ذكر « صاحب الأغاني »[1] بقصيدة سماها « الدامغة » مطلعها :

أما تنفك متبولا حزينا تحب البيض تعصى العاذلينا

وجاء الهمداني – أو كما وصف نفسه (لسان اليمن) – فعارضَ الكميت بقصيدته التي تجاوزت ست مئة بيت . افتتحها بقوله :

ألَا يَادَارُ اولا تَنْطقيِنَا فإنَّا سـائلُونَ ومُخبِرُنا

وقال فيها :

وَدَامِغَة كَمِثْلِ الفهْرِ تَهْوِى عَلَى بَيْضٍ فَتَتْرُكُهُ طَحِناً
تَرُدُّ الطُّوْلَ للأسْدِىِّ عَرْضاً وَتَقْلِبُ منْهُ أظهرُهُ بطونا

وقد نشرها – مع شرحها – صديقنا الأُستاذ الشيخ محمدبن علي الأكوع[2] . وكثرت (الدوامغ) بعد ذلك . فقد ردَّ على الهمداني شاعر يدعى زيدبن محمد العُمَري العدوى بقصيدة مطلعها :

طرِبْتُ وقد هجرت اللَّهْوَ حِيْنَا وهاج لي الهوى داءٌ دفيناً

---

(١) ٢٠-١٨٦

(٢) طبعت في مصر سنة ١٣٩٧ في ٦١٣ صفحة .

وقد رأينها مشروحة مع دامغة أخرى لرجل يدعى ابن حنش الصنعاني في مجلد كتب عنوانه كتاب « الدوامغ » من كتب الشيخ عبدالله العمودي الذي كان قاضياً في مدينة جازان .

وقد ردّ على العدوي محمد بن الحسن الكلاعي المتوفي سنة ٤٠٤ بقصيدة دعاها « الدامغة » أولها :

أَبَتْ دِمَنُ المنازِلِ أَنْ تُبِيْنَا إجابَةَ سائِلِيْنَ مُعَرِّجِينَــا

واستمرَّ التّهاجي – على هذا النَّمَطِ – وخاصَّةً بين شعراء اليمن ، وكان آخر من قرأنا له شعراً من هذا القبيل وزير خارجية آخر أئمة اليمن الأُستاذ أحمد بن محمد الشامي فقد نشر قصيدة في سنة ١٣٨٦ دعاها « دامغة الدوامغ » مطلعها :

أَنَمْضِي في سَبِيْلِ الأَوَّلِيْنَــا فَنَمْدَحُ تَارَةً ونَذُمُّ حِيْنــا

ناصَر فيها الإمامَ البدر وقومه . وهجا مخالفيهم ، وهي مطبوعة .

فردَّ عليه – من الجانب الآخر – الأُستاذ مطهر بن علي الارياني بقصيدة مطلعها :

أيَا وَطَنِي جَعَلْتُ هَوَاكَ دِيْنَا وَعِشْتُ على شعائِرِهِ أَمِيْنــا

وهي مطبوعة معروفة أيضاً [(١)] .

وهناك قصائد أُخرى في محاكاة قصيدة الكميت مناقضة لها أو مؤازرة من بحرها ورويِّها ، وأُخرى تخالفها في البحر أو القافية ، لا نرى الإطالة بذكرها ، إذ الغَرَضُ إدراك جانب من أثر هذه القصيدة يتضح بما تقدم .

---

(١) رجعت هنا إلى مقدمة كتاب « الدامغة وشرحها » للقاضي الشيخ الأكوع في بعض ما ذكرت هنا .

ولكن مع ما لقصيدة الكميت من أثر ، وما بلغته لدى الشعراء من شهرة لم تصل إلينا كاملة .

الأصــــل الذى وصـــل إلينا :

حفظت خزائن علماء اليمن نفائس من المؤلفات القديمة في مختلف العلوم ، كمؤلفات قدماء المعتزلة ، ومؤلفات علماء الزيدية في الفقــه والحديث ، وغيرها من الكتب .

ومما يُحْمد لعلماء الزيدية ولأئمتهم – وهم يشترطون أن يكون الإمام عالماً – مما يُحْمَدُ لهم رحابة صدورهم ، والإبقاءُ على مؤلفات مخالفيهم .

ومن تلك المؤلفات القصيدة التي هجا بها الهمدانيُّ العدنانية وردَّ بها على الكميت ، ودعاها « الدامغة » وشرحها فقد حُفِظت في خزائن القوم وهي في هجوهم ، ولم يَضِيقُوا ذَرْعاً بها ، ووصلت إلينا في مجلد يَضُمُّ معها قصائد أخرى لشعراء من اليمن ، ومعها قصيدة الكميت .

كانت (جامعة القاهرة) أرسلت بعثة إلى اليمن قبل عشرين عاماً وفي البعثة الدكتور سليمان حزيِّن والدكتور خليل يحيي نامِي والأُستاذ فؤاد السيد ، لتصوير نوادر المخطوطات . فكان مما صورت من (مكتبة الإمام يحيي) مُجَلَّداً يحوي ، فيما يحوي –

١ – قطعة من قصيدة نونية مشروحة تقع في صفحتين .

٢ – قطعة من قصيدة رائية تقع في صفحة واحدة .

٣ – قصيدة نشوان الحميري الحائية :

لأمْرِ جدٌّ وهْوَ غَيْرُ مزَاحِ   فاعمل لنفسك صالحاً يا صَاحِ

٤ – قصيدة البحر النعامي في ذكر الشهور الحميرية – التي نشرتها « العرب »[(١)] .

٥ – كتاب « الدامغة » قصيدة الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني . المجاب بها الكميت بن زيد الأسدي بتفسيرها ومعانيها .

ويقع هذا المجموع في ١٨٤ (مئة وأربع وثمانين ورقة) ويظهر أنه مختل من حيث ترتيب الورق ، وفيه نقص في القطعتين اللتين في أوله وفي قصيدة البحر النعامي . وفي آخر شرح « الدامغة » .

والمجموع من مخطوطات القرن السابع . فقد جاء في آخر القصيدة الرائية الموضوعة في أوله ما نصه (تمت القصيدة وهي ثلثمائة واثنا عشر بيتاً ، وذلك في يوم النصف من شهر جمادى الأول (؟) من شهور سنة ثلث وعشرين وستماية سنة . بقرية مسلت من ظاهر بلد همدان . بحمد الله ومنه . . .) .

وقد اقتنيت نسخة مصورة من هذا المجموع ، وعُنيت بدراسته فاتضح لي أن القطعة التي في أوله من قصيدة الكميت . دلّ على ذلك بيته في قبيلة بارق وهو بيت مشهور ، مما جعلني أتوقع وجود القصيدة في إحدى مكتبات اليمن ، إذ من المستبعد أن يُبْقِي علماؤه على قصيدة قيلت في هجائهم محفوظة متوارثة ، ولا يهتمون بالقصيدة التي قيلت في مدحهم .

ولما قدمت مدينة القاهرة سنة ١٣٩٧ وجدت مورخ اليمن الأستاذ الجليل القاضي محمد بن علي الأكوع يقوم بنشر « الدامغة » بشرحها

(١) س ١٢ ص ٥١٠-٥٢٠ .

الهمداني وما أشدَّ سروري حينما رأيت عنده أصْلاً ثانياً لتلك القصيدة ، في مجموع يماثل المجموع الأول ، إلا أن نَقْصَهُ يَسِيرٌ في أوله ، حيث توجد القصيدة الكميتية مشروحة لا ينقصها سوى أبيات قليلة ، وزاد سروري أن شارحها عالم لغوي مشهور هو أبو رياش أحمد بن أبي هاشم اليماميُّ المتوفي في منتصف القرن الرابع الهجري (١) ، والذي وُلِد في قرية الخضْرمة (٢) ، التي درست ، وكانت تقع في الشمال الشرقي من بلدة منفوحة غير بعيدة عنها ، وكان يطلق على أطلالها اسم (المنفوحي) و (قصر المنفوحي) و (قصر الأعشى) إلى عهد غير قريب .

فأشرت على الصديق الأُستاذ الأكوع بأن ينشر القصيدة الكميتية مع القصيدة « الدامغة » للصلة بين القصدتين ، فوعد بذلك ، ويظهر أنَّ ما قاساه من تعب أثناء الطبع ، مع طول الوقت الذي أمضاه للإشراف على ذلك دفعه إلى الاقتصار على نشر القصيدة « الدامغة » مع شرحها .

وقد تحدث الأُستاذ الأكوع في مقدمة « الدامغة » عن المخطوطة التي توجد فيها القصيدة الكميتية (٣) ، فذكر أنها لدى أحد الأُدباء اليمنيين ، مشرَّف بن عبد الكريم المحرابي الجِبْلي – من مدينة ذي جِبْلة –

(١) مترجم فى « إنباه الرواة » للقفطى و « معجم الأدباء » لياقوت و « بغية الوعاة » للسيوطى وغيرها .

(٢) ذكر ياقوت أنها مشهورة بعظم البصل ، وهى تقع بقرب ملتقى وادى البطحاء (الوتر قديماً (بوادى الباطن) العرض قديماً ، حيث يتجمع الفريف الذى يجرفه وادى البطحاء من أعالى مروعه .

(٣) ص ٧٢ .

وقد صورها (معهد المخطوطات) التابع لـ (الجامعة العربية)

وهي تقع في ٢٠٤ من الورق ، وتضم :

١ ـ القصيدة الكميتية وشرحها (١ـ٢٩) ٤٦ صفحة تبدأ بالبيت

ـ من الصفحة الثانية ـ :

أَلَمْ تَتَعَجَّبِي مِنْ رَيْبِ دَهْرٍ رَأَيْتِ ظُهُورَهُ قُلِبَتْ بطونا

وتنتهي بما هذا نصه :

كَبَيْتِ الْعَنْكبوت وَجَدْتُ بَيْتاً يُمَدُّ علَى قُضَاعَةَ أَجْمَعِينَا

نسب قضاعة إلى قلة العدد ، كما قال الطِّرِمَّاحُ بن حكيم الطائي

في هجو بني تميم :

وَلَوْ أَنَّ أُمَّ العَنْكبوت بِنَتْ لَهُمْ مَظَلَّتَهَا يَوْمَ اللِّقَاءِ أَظَلَّتِ

تمت القصيدة الكميتية بحمد الله ومَنِه .

قال في نسخة الأصل : وكتبها الحسن بن يعقوب .

قرأتها على أبي رياش أحمد بن أبي هاشم القيسي .

والحمد لله وحده ، وصلاته على محمد وآله وسلامه ، وكان الفراغ من نساخته يوم الجمعة الثاني من شهر المحرم ، أول شهور سنة ست وعشرين وست مئة سنة .

بخط الفقير إلى رحمة ربّه ، علي بن زيد بن أحمد بن علي ابن عبد السلام بن أبي يحيي ، وهو يسأل الله المغفرة له ولوالديه ولجميع المسلمين ، إنه قريب مجيب .

نسخ لخزانة الفقيه الأجل الأوحد الفاضل العالم العامل الكامل ، الورع الزاهد ، تقيّ الدين أحمد بن موسى بن سعيد السحارى (؟) أدام الله سعادته .

للحسين بن علي القمي يهجو طبيباً بنا داراً فأوسع بابها :

ما طَوّل الْبابَ الطويـ ـل لأنَّه شَيْءٌ يَزِيْنُـهْ
لا كنَّه رامَ الدُّخـو لَ فلَمْ تُطَاوِعهُ قرونُهْ

٢ –وتبدأُ الصفحة الثانية من الورقة الـ (٢٩) مما هذا نصه :

وقال محمد بن الحسن الكلاعي [١] قصيدته المفحمة يجيب الفضل بن تاروح الرومي :

خَلِيلَيَّ هَلْ رَبْعٌ بِحُفَّاث مُقْفِرُ يَرُدُّ لِشكوي ذي الجَوا أو يُخَبِّرُ

وفي الصفحة الأُوْلَى من الورقة الـ (٤٠) :

فَدُونَكَ ذُقْ غِبَّ الذي أَنْتَ صانعاً سَتَحْصُدُ كَفُّ الْمرْءِ ما كانَ يَبْذُرُ
سَيكْشِفُ عَنْ عَيْنَيْك شعري دُجَى الْعَمَى
وتُصْبِحُ مِنْ حرِ الْوُسُوم تُحَـررُ .
وَلَمْ يَنْـهَ ذا بَغْيٍ كَمِثْلِ جـزائِهِ
وفي البطْشِ إِصْحَـاءٌ لِمَن هو مُسْكِرُ
وعنـدي أمثـالٌ لهـا لا تعـزُّني
وغيـريَ يَعْيَي دُوْنَ ذاك وَيَحْصـرُ

تمت القصيدة وهي ثلثماية واثنا عشر بيتاً وذلك في اليوم الرابع من شهر المحرم أول شهور سنة ست وعشرين وستماية ، بتمرية حوث [٢] بحمد الله ومنه ، وصلى الله على خاتم النبيين محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين) .

وتقع هذه القصيدة في ٢٢ صفحة ، يتخلل بعض أبياتها شروح .

---

(١) مترجم في كتاب « الممدون من الشعراء » للقفطي . طبع (دار اليمامة) .
(٢) حوث في بلاد حاشد من همدان « صفة جزيرة العرب » ص ٢٤٥ – طبع « دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر)

٣ ـ وفي الصفحة الثانية من الورقة الـ (٤٠) بعد البسملة والحمدله :

(قال الشيخ الأجلُّ نشوان بن سعيد في الزهد :

الأمْرُ جِدٌّ وهو غير مزاحِ　　فاعمل لنفسك صالحاً يا صاحِ (١)

في ست صفحات والصفحة الأولى من الورقة الـ (٤٣) تنتهي بهذا البيت :

كلّا ولا بعساكر ودَسَاكر　　وجحافل ومعاقل وسِلاَح

٤ ـ وتبتدىء الصفحة الثانية من الورقة المذكورة ـ بعد البسملة والحمدله والصلاة على النبي وآله بما هذا نصه : (وقال البحر النُّعامي من آل ذي نعامة . وهو حِمْيَرِيٌّ من سكن صنعا يذكر الشهور ، ويذكر فيه (؟) الكروم ، ومايصلح لفصول السنة من الأغذية :

أقامَتْ كرومك في شهر (آب)　　من المَاء تَفْهَقُ مثل الجوابِ (٢)

وتقع في سبع صفحات حيث تنتهي في الصفحة الثانية من الورقة الـ(٤٦) وقد أُكملت الصفحة بأبيات من الشعر في معانٍ مختلفة لا ارتباط بينها .

٥ ـ وفي الصفحة التي بعدها أبيات لمحمد بن زياد الماربي المازني ، في هجو الأمير يحيي بن حمزة بن وهاس وأخرى لما قُتِل علي بن محمد الصليحي .

وأبيات للأمير علي بن عيسى بن حمزة بن وهّاس إلى الأمير هاشم ابن فليتة بن قاسم الموسوي لما حبس قومًا من الزَّيديَّة أهل صعدة بمكة ، وهي سبعة أبيات بعدها : (وهي طويلة ، فأخرجَهم من السجن ، ووهب له جرمهم) .

---

(١) هي القصيدة الحميرية المعروفة وقد نشرت مع شرحها

(٢) نشرت في مجلة « العرب » ـ كما تقدم

٦ – وفي الصفحة المتصلة بها ، وهي الثانية من الورقة الـ(٤٧) ما هذا نَصُّهُ :

(كتاب الدامغة ، قصيدة الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، المجاب بها الكميت بن زيد الأسدي بتفسيرها ومعانيها). وبقية [1] الصفحة خالية من الكتابة ويبدأ الكتاب بالصفحة الأُولى من الورقة الـ(٤٨) وتنتهي بما نصه :

وَحَسْبُكَ أَنَّ جهل المرء يضحي عليه للعداة له ، مُعِينا

وصلى الله على محمد وآله الأئمة الأطهار وسلم) .

ثم قصيدة للهمداني هذا نصها – في الصفحة الثانية من الورقة الـ(٢٠٣) وفي الأُولى من الورقة الـ(٢٠٤) .

وهذا نصها : (ولما كان من أمر الحسن ما كان ، وكثر عدوُّهُ ولائِمُهُ ، أنشأ يقول [2] :

لَئِنْ لآمني قومٌ ولَمْ أَكُ مُجْرِمًا لأجل جوابي إذْ أجبتُهُمُ لَمَا
أمادُوا علينا الأرض من كل جانب ولاقطرتْ فينا السماءُ لَهُمْ دَمَا
ولا ناثرت منها علينا أكفُّهُمْ إذا ما ارتقتْ في سُلَّمِ الريح أنْجُمَا
لَهَانَتْ علينا في الجواب أمورهُمْ جميعا سوى ما كان منهم تعشَّمَا
وهُمْ بدأُوا بالظلمِ أوَّل مَرَّة فأرْكبهم فينا عقوقًا ومأْثَمَا
فقلنا لهم : مهلا ألَسْنَا وُكورةً لكم يا بني عدنان فيما تقدما ؟

(١) وقع خطأ في ترقيم صفحات المجموع حيث وضع هنا (٤٩) والصواب (٤٨)
(٢) آثرت إيرادها لصلتها بشرح الدامغة ، ولا أدرى لماذا لم يوردها صديقنا الأستاذ الأكوع في محلها من الشرح المذكور .

ونحن نراكم بَعْضَنَا بَلْ نراكمُ لِقُرْباكم مِنَّا أشِقَّاء وابْنَمَا
فَلاَ تصدعوا الشَّعْبَ الذي كان بيننا فيصبح ذا فَصْلين في القوم أثْلَمَا
ولا تركبونا بالعظيم فإننا متى تُرْكِبُوا نُرْكِبْكُمُ منه أعْظَمَا
فلسم بأخبار الزّمان وما جرى به في بني حَوَّاء مِنَّا بأعْلَمَا
(٢٠٤)وما كان فيكمْ ذوشَبَاة مُفَوَّه فصادف فينا منذ كنَّا مُقَحَّمَا
فمهلاً دَعُوا بَحْثَ الثَّرَى بِأكُفِّكُمْ فَرُبَّ ثرًى أبْدَى لَدَى البَحْثِ أرْقَمَا
فلاقَى بنابَيْهِ من المرء كَفَّهُ فَأتْلَفَهُ مِنْ قبل أنْ يتكلما
فَلمَّا أبوْ إلاَّ الْغِواية صادفَتْ جِباهُهُمُ عِنْد التصادُمِ صِلْدما
فكلْتُ لَهُمْ بِالصَّاعِ صاعَيْنِ ظَالِمًا وكانوا ابْتَدوْا بالظلم، لاشَكَّ أظْلَمَا
بِدَامِغَة كالنَّجْمِ خرَّ عَلَيهمُ مِنَ الْجَوِّ ، أوْمَوْتٍ أتاهُمْ مُصَمِّمَا
ومامنْ فَتىً أرْبي على ظالِمٍ لهُ بِظُلْمٍ فأضْحَى في الأنَام مُلَوَّمَا
متى لامَهُمْ مِنْهُمْ على الشِّعْرِ واحِدٌ فألْفَيْتَه ، إلا لذي الْبَدْء ألْوَما
وإنّي لَلْقَرْمُ الذي خزتْ لَه قلوب بني عَدْنانَ لمَّا تَزَعَّمَا
وحَازَ لِوَاءَ الشِعْر عن كل شاعر بِشِعْر يَقُدُّ الصَّخرَ ، أويَفْلحُ الْفَمَا
وكلُّ خروج البيت حدًّا فقدحَوَتْ أوابِدَ تُبْقِى في قَفَا الدَّهْرِ مِيْسَمَا
يفوت بها في الشَّأْوِ مَنْ كانَ غابِرًا وتُلْحِقُهُ يَوْمًا بِمَنْ قد تَقَدَّمَا
وإنِّي مِنْ هَمْدَانَ في سِرِّ سِرِّهَا إلى (آل عَبْدٍ) منْ (بكِيْل) و(أدْهَمَا)

تَمَّ الكتاب بعونِ الله ومنّه . والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد النبي وعلى آله الطاهرين وسلامه . فرغ من نساخته العبد

الفقير إلى رحمة الله عز وجل وثوابه : علي بن زيد بن أحمد بن علي أحمد بن إسحاق بن يحيي بن أبي يحيي . في شهر ربيع الأول من شهور سنة ست وعشرين وستماية سنة . حامدًا الله تعالى . ومصليا على سيد المرسلين محمد وآله الأكرمين) .

مما تقدم يتضح أن قصيدة الكميت بقيتْ محفوظة في بلاد اليمن وفي بلاد هَمْدَان خاصّةً . في (مَسْلِت) وفي (حوْث) ومعروف ميل قبيلة همدان إلى الهاشميين منذ بدء الخلاف بين عليٍّ بن أبي طالب ومعاوية ابن أبي سفيان وقول علي :

فَلَوْ كُنْتُ بَوَّابًا على باب جَنَّة ... لَقُلْتُ لِهمْدَانَ ادْخُلِي بِسَلَامِ

وبقي ولاؤهم للهاشميين إلى عَصْرِنا الحاضر .

ويظهر أنَّ الهمداني صاحب كتابي « الإكليل » و« صفة جزيرة العرب » وغيرهما من المؤلفات هو الذي أدخلها إلى اليمن كما يتضح من جملة : (قال في نسخة الأصل : وكتبها الحسن بن يعقوب : قرأتها على أبي رياش أحمد بن أبي هاشم القيسي) .

فالهمداني هو الحسن بن يعقوب . إذْ ينسب إلى جده يعقوب لأنه أشهر من أبيه . ورد هذا في كثير من الكتب التي تُرْجِم فيها(١) .

ولعله اتصل بأبي رياش أثناء مجاورته بمكة .

ويعترضنا إشكالٌ وهو أن الهمداني لما رجع إلى اليمن وأقام في صعدة حدث بينه وبين شعرائها ما دفعه إلى تأليف كتابه « شرح الدامغة » وكان

---

(١) انظر ترجمته وافية في مقدمة كتاب « صفة جزيرة العرب » طبع (ودار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

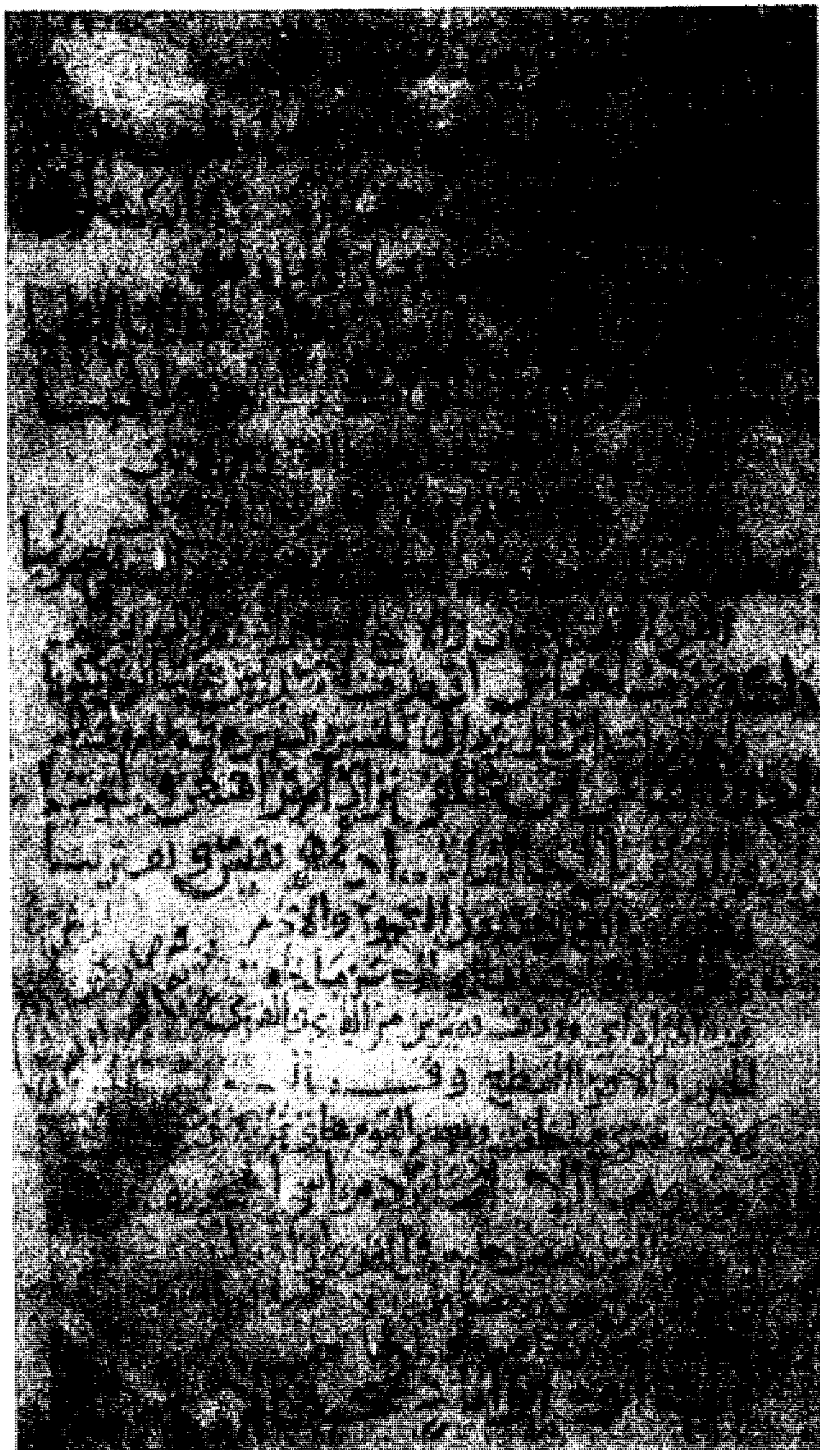
الفه سنة ٣١٦ – ولكنَّنا لانجد في هذا الشرح مايشير إلى صلته بأبي رياش . ولانجد لشرح أبي رياش لقصيدة الكميت ذكرًا في كتاب «شرح الدامغة» بل ذكر فيه مايفهم منه أن مؤلفه استقى معلوماته عن الكميت من مصدر آخر – كما تقدمت الإشارة إلى ذلك .

كل ما يعنينا هنا أنَّنا ظفرنا بأصْل للقصيدة الكميتية يضيف جَدِيْدًا إلى ما وصل إلينا منها ، وعثرنا على ما يقرب من ثلاث مئة بيت من شعر أحد فحول شعرائنا المتقدمين ، وبشرح لهذا الشعر لعالم لغويٍّ كان ذا عناية بشعر الكميت خاصّةً ، مع عنايته بشعر غيره ، وفي هذا الشرح نصوص لغوية علي جانب من الفائدة للمعنيين بالدراسات اللغوية .

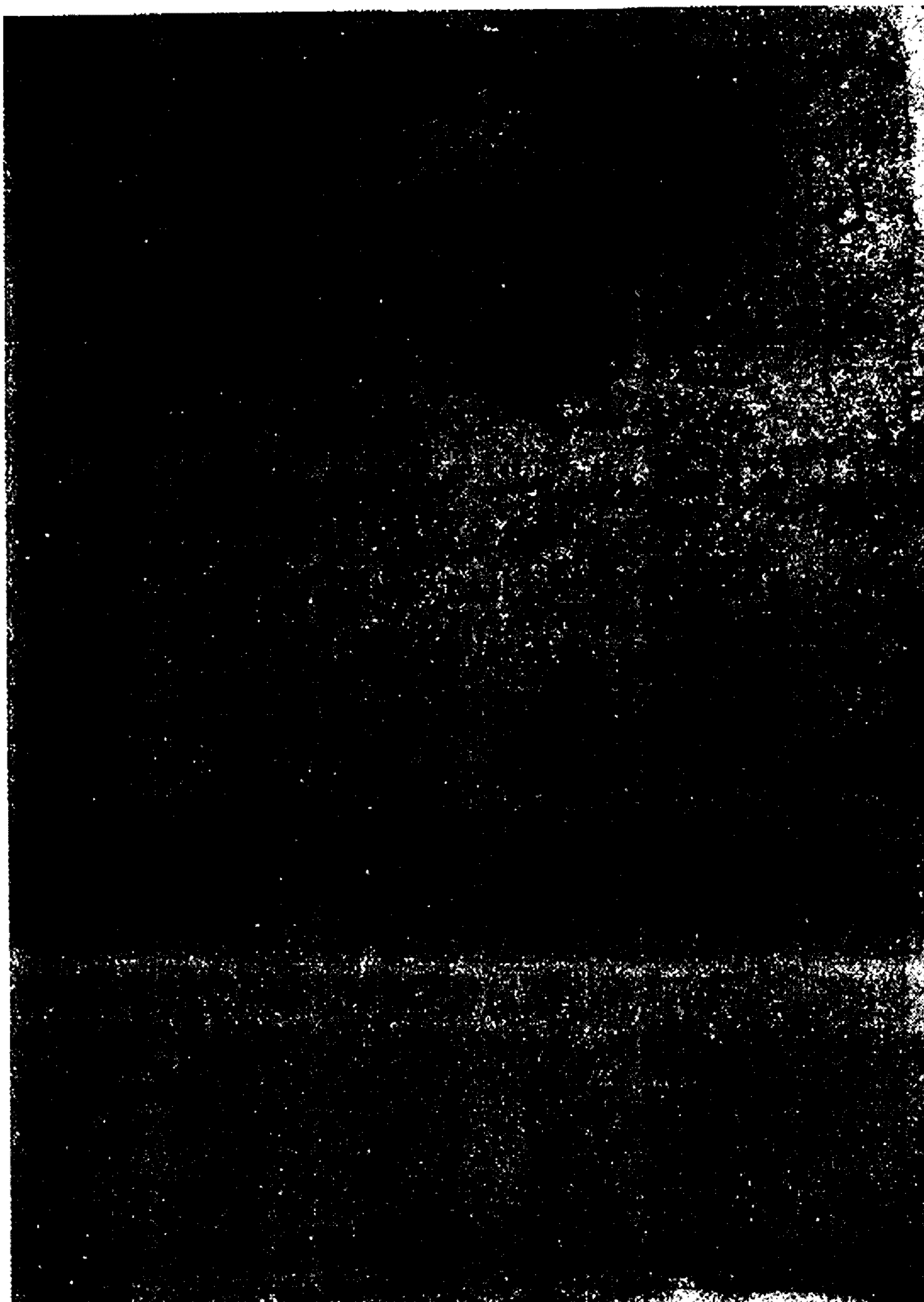
كتابة الأصل :

سأكتفي بإيراد صور ثلاث صفحات من المخطوطة مكتفياً عن الإطالة بوصفها ، ولرداءة التصوير ، وعدم إتقان الخط ، وردت كلمات كثيرة في الأصل لم أستطع قراءتها وضعت بعدها علامة استفهام (؟) كما أبحت لنفسي زيادة حروف أو كلمات يسيرة لايستقيم الكلام إلاَّ بها وضعتها بين مربّعين [...] .

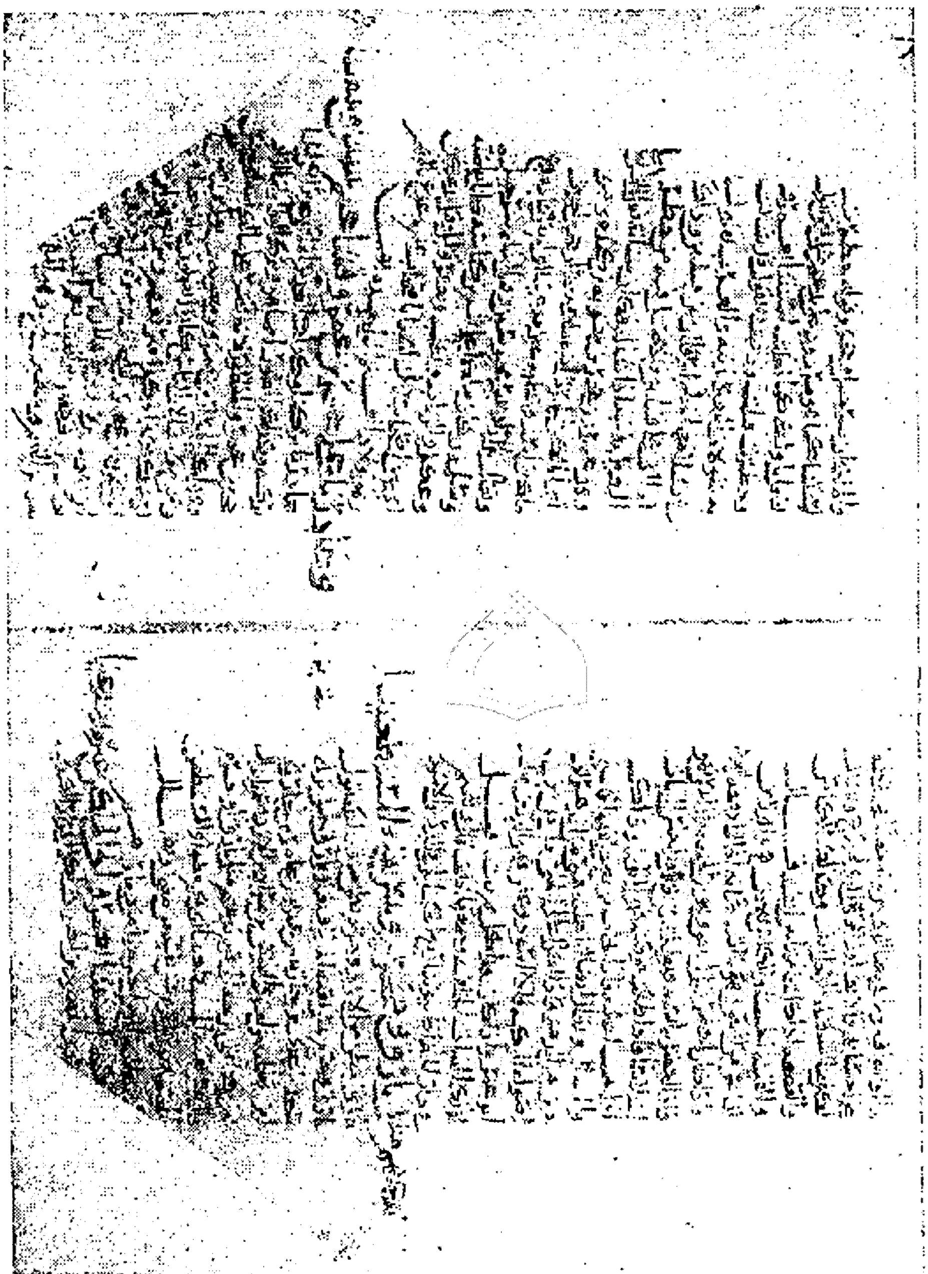
ولم أجهد نفسي بمراجعة كتب الأدب لمقابلة أبيات القصيدة أو الاستزادة من أبيات لم ترِدْ ، لأنّ الدكتور داود سلُّوم – الذي عُنِيَ أشدَّ عناية بجمع شعر الكميت ونشره ، لم يترك زيادة لمستزيد ، حسبما ذكر من المؤلفات التي رجع إليها – لهذا اكتفيت بالإشارة في (الهوامش) إلى ماجمع من أبيات القصيدة ، ورمزت لذلك بحرف (د) وهو جدير بأن يُذْكَرَ عمله مقرونًا بالشكر والتقدير .



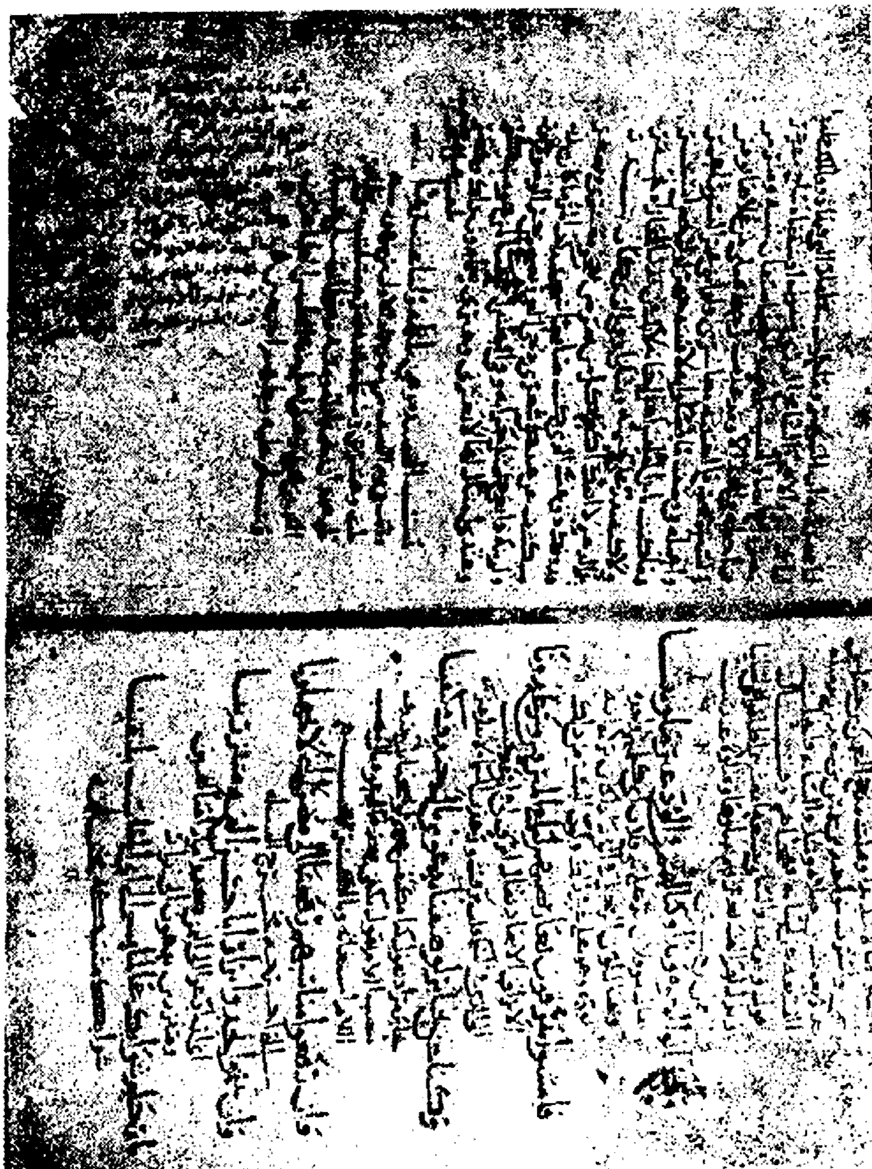
الصفحة الأولى من مخطوط الأصل



الصفحة الأخيرة من مخطوطة الأصل



صفحتان من مخطوطة الأصل



صفحتان من المخطوطة الثانية

وهـذا نص الموجود من القصيدة

١ ـ ألمْ تَتَعَجَّبِي مِنْ رَيْبِ دَهْرٍ رأيْتَ ظُهُوْرَهُ قُلِبتْ بُطُوْنَا

٢ ـ فإنَّكِ قَدْ رأَيْتِ وإنْ تَعِيْشِي تريْ [ويرى] عجائبَ ما رَأَيْنَا

أي تريْ أنْتِ ، ويرى غَيْرُكِ ما رآى قَبْلي[1] (؟) ذلك

٣ ـ رأَيْتُ الْخُرْسَ تَنْطِقُ في زَمَانٍ يُكَلِّفُ أهْلُهُ الْإبِلَ الطَّحِينَا

٤ ـ وَبُدِّلَتِ الْحَمِيرُ فَمَا فَزِعْنَا لِذاكَ مِنَ النَّهِيْقِ بِهِ الْحَنِيْنَا

النهيق للحمير ، والحنين [للإبل] يقول : حملوا الفصيل على الأتان والجحش على النـاقة . أي تَحِنُّ الحمير كما تَحِنُّ الإبلُ .

٥ ـ وعَطَّفَتِ الضِّبَابَ أكُفُّ قَوْمٍ عَلَى فُتْخِ الضَّفَادِعِ مُرْئِمِيْنَـا

الفُتْخُ : الْمُنَفَخَّةُ السِّمان . والأفْتَخُ : العريضُ . المُرْئِمُ والمُرْئِمةُ العاطفُ

٦ ـ وَذَلِكَ ضَرْبُ أخْمَاسٍ أُرِيْدَتْ لِأسْدَاسٍ ، عَسَى أنْ لاتَكُوْنَا

وأخماس وأسْدَاسٌ : إبلٌ تَرِدُ الماءَ ، الخِمْس والسِّدْسَ ، خمسة أيام وستة أيام .

٧ ـ أرَادُوْا النَّاسَ مِنْ سَلَفَيْ نِزارٍ أُمُوْرًا يَمْتَنِعْنَ وَيَمْتَرِيْنَـا

٨ ـ أرَادُوا أنْ تزيلَ خالقـاتٍ أدِيْمَهُمُ يَقِسْنَ وتَفْتَرِيْنَـا

الخالقـات اللواتي يُقَدِّدْنَ السُّيُوْرَ والأدمَ ، وهن الصانعات ، يُقال . ما أحْسَنَ ما خلقتْ هذه المرأة ، أي قَدَّدت .

يَفْتَرِين : من الفَرْي ، والفَرْيُ الْخَرْز ، والإفراءُ القطع . وقال :

وَلأنْتَ تَفْرِي ما خَلَقْتَ وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثمَّ لايَفْرِي

٩ ـ فَمَا وَجَدُوْهُمُ إلاَّ أدِيْمًـا يَرُدُّ مَوَاسِيَ الْمُتَحَيِّفِيْنَـا

---

(١) لعل الصواب : « ما رأينا قبل ذلك »

المتحيفون الذين يحيفونَ عليه في الْقَدِّ . وأرادوا أن يفرقوا بين ربيعة وَمُضَر ، فوجدوهم [الْبًا واحدا] مُتَحَيِّف : يأخذ من حافيته ، أي الجانبين .

١٠ - عُكَاظِيًّا أَبُوه أبو إياد صَحِيْحًا لاَ عَوارَ وَلاَ دَهِيْنا

لعوار [ضدّ] الصحيح ، ويقال : دهين أحمر : مدهون ، ولايحمر حتى يدهن .

١١ - لَهُ جَمَعُوا اللَّتَيْنِ إلى اللُّتَيَّا فَلَا حَلِمًا لَقُوْهُ وَلَا عَطِيْنَا

ويروي :

له جمعوا اللّتانِ إلى اللُّتَيَّا .

واللتان : أمر ، واللتيا : أصغر منه . والحلم : المثقب ، والْحلَمُ القردان ، الواحدة حَلَمَة ، له : لها لنزار . والعطين : مدهون يعطن حتى يذهب وبره .

١٢ - وكَانَ يقال : إنَّ ابْنَيْ نِزَارٍ لعَلاَّت فأَمْسَوْا تَوْأَمِينَا

الْعَلاَّتُ الواحدة عَلَّة ، وهي الأَمَة ، وأراد بها الضَّرَائر . تَوْأَمِيْنَ : كأنهم وُلدوا في بطن واحد ، الواحد توأم .

١٣ - تَنَبَّهَ بَعْدَ نوْمَتِهِ نِزَارٌ لهم بِالْمُلْحِقَاتِ مُعَانِدِيْنَا

أيْ أَلْحَقَهُمْ بِالْمُعاندين وهم المخالفون . يقول : تنبه بالملحقات بالخصال التي تُلْحِقُهُمْ وتنميهم إلى أبيهم . يقول : لحق من عاند منهم بانتآلف في حلف اليمن .

١٤ - فَضمَّ قَوَاصِيَ الأَحْيَاء مِنْهُمْ فَقَدْ أَمْسَوْا كَحَيٍّ وَاحِدِيْنَا

١٥ - وقد سَخِطَ ائْتِلافَهُمُ رِجَالٌ أَطَالَ اللهُ رَغْمَ الساخِطِيْنَا

يعني ائتلاف ربيعة ومُضر ، واجتماعهم .

١٦ - تؤلّف بَيْنَ ضِفْدعَة وضَبٍّ وتَعْجَبُ أن نَبَرَّ بَنِي أبينا

١٧ - لَعَمْرُهُمُ لَقَدْ وَجَدُوا نزَارًا عَلَى أعْلَى الشَّوَاهِقِ مُبْتَنِينَا

الشواهِقُ روس الجبال ، الواحد شاهق .

١٨ - لِخَيْرِ أُبُوَّة عُدمَتْ فَعَالاً وسابِقَةً ، وخَيْرهِمُ بَنِينا

١٩ - [ونحن] أولاكَ أَنْجُم كُلِّ لَيْلٍ يُؤَمُّ بها ، وأبْحُرُ مُظْمِئِينَا

يُؤَمُّ : يُهْتَدَى . مُظْمئين : عطشت إبلهم .

٢٠ - بَلَغْنَا النَّجْمَ مَكْرُمَةً وَعِزًّا وفُتْنَا أيْدِيَ المُتَطَاوِلِينَا

٢١ - ونُلْفَى في الجُدُوبَة أهْلَ خِصْبٍ وفي ظُلَمِ الْحَنَادِسِ مُقْمِرِينَا

٢٢ - وجَاوَزْنَا رَوَاسِيَ شَاهِقَات بِلاَ تَعَبٍ ، ولاَ مُتَطَاوِلِينَا

يعني رواسي الجبال ، أي ثوابتها . يقول : أدركناها بلا كالفة ولا مشقّة ونحن قعودٌ لم نتطاول .

٢٣ - وَإِنْ يَعْظُمْ مِنَ الْحَدَثانِ خَطْبٌ تَجِدْنَا فِيهِ غَيْرَ مُقَلَّمِينَا

خطب : أمر . غير مُقَلَّمِي الأظفار ، أي معنا سلاح ، وأظفار : يريد السلاح .

٢٤ - تَجِدْ أَسْيَافَنَا مُتَألِّقَات يُحَاكِينَ الْبُرُوقَ إذَا انْتُضِينَا

متألّقات : يبرقن . والمتألّق : البرّاقُ . وقوله : انتضين : يقال : انتضى سيفه ، إذا سلّهُ .

٢٥ - عَلَيْنَا كالنِّهَاءِ مُضَاعفَاتٍ مِنَ الماذِيِّ لم تُؤدِ الْمُتُونَا

مضاعفات : [الدروع] النِّهاء : الْغُدْران ، شبّهها بها في صفائها وبياضها والواحد نِهْيٌ . لم تؤد : أي تُثْقِل ، يقال : آده ، يؤوده : أثقله ، أي ضعه (؟) والمتون : الظهور ، الواحد مَتْنٌ ويقال : مَتْنَةٌ ومَتْنٌ .

٢٦ـ فَنَحْنُ فَوَارِسُ الْهَيْجَا إِذَا مَا أَبَالَ الْحَاصِنَ الْحَدَثُ الْجَنِينَا

الحاصن : المرأة ذات زوج ، والجنين : الولد في بطن أمه . يقول : هذا الأَمْرُ شديد ، يُسْقِطُ الحبل . وقوله : الهيجا : فإنها تُمَدُّ وتُقْصر ؛ يعني الحرب . يقول : نحن فوارس الحرب إذا ناب هذا الأمر الفضيع .

٢٧ـ وَلَمْ نَفْتَأْ غَدَاةَ (هَبِ) و(هَالِ) لِخَيْرَاتِ الْكَوَاعِبِ مُجْتَلِينَا

٢٨ـ مَتَى نَنْزِلْ بِعَقْوَةِ أَهْلِ عِزٍّ نَطَأْهُمْ وَطْأَةَ الْمُتَثَاقِلِينَا

نَفْتَأْ : نزال . و(هَب) و(هال) لِزَجْرِ الخيل . وعَقْوَة : ساحة ، يقال : نزلنا بعقوة دار فلان .

٢٩ـ إِذَا غَضِبَتْ سُيُوفُ بَنِي نِزَارٍ عَلَى حَيٍّ رَجَعْنَ وَقَدْ رَضِينَا

٣٠ـ بِضَرْبٍ تُتْبِعُ الأَلِيَّ مِنْهُ فَتَاةُ الْحَيِّ وَسْطَهُمُ الرَّنِينَا

أَلِيُّ : حكاية صوت المرأة إذا فزعت فولدت (؟) والرَّنِينُ الصَّوْتُ أي تُتْبِعُ ؟ الرَّنين بالأَلِيِّ .

٣١ـ ونَمْنَعُ بالأَسِنَّةِ ما سَخِطْنَا مُكَابَرَةً ونَأْخُذُ ما هَوِينَا

الأَسِنَّةُ : الزِّجاج ، الواحد سنان .

٣٢ـ وَمَنْ يُطْرِفُ عَلَى الأَقْذَاءِ وَهْنًا ويُغْضِ على تَجَلْجُلِهَا الْعُيُونَا

الإطراف : استرخاءُ الجفون . والتجلجل : التحرك : يقال : جَلْجَل الشيء . إذا حركه . وَهْنًا : في الليل .

٣٣ـ فإِنَّ الأَكْرَمِينَ بَنِي نِزَارٍ عَلَى الأَقْذَاءِ غَيْرُ مُغَمِّضِينَا

ويروى : على سَوَاهِكِهَا العيونَا . سهكت : ذرفت .

٣٤ـ تَنَاوَلْنَا الأَقَاصِيَ من بَنِيه وقَتَّلْنَا أَظَافِرَ مَنْ يَلِينَا

٣٥ـ وَأَحْجَرْنَا أَسَاوِدَ كُلِّ حَيٍّ وأَسْكَتْنَا نَوَابِحَ مُوسِدِينَا

أساود : جمع أسود وهي الحيّات موسدون . أي هُرّار يؤسِدون كلابهم يقال : آسدت الكلب على الصيد .

٣٦ـ إذَا مَا نَحْنُ بِالشَّفَرَاتِ يَوْمًا عَلى حيٍّ وَإنْ كَرُمُوا عَصِيْنَا

الشفرات : السيوف . يقول : جعلنا السيوف عِصِيًّا . والواحد من الشفرات . شفرة .

٣٧ـ رَجَعْنَا بِالظَّعَائِنِ مُرْدَفَاتٍ وَثَوَّرْنَا النَّوَادِي والْعُطُونَا

أراد جمع عطن ، وهي مبارك الإبل .

٣٨ـ ولم نُمْكِنْ قَتَادَتَنَا لِلمَسِ وَلَا سَلَمَاتِنَا لِلْعَاصِبِيْنَا

قتادة : شجرة مشوكة ، الجمع القتاد ، سلمات : جمع سَلَمَة ، وهي شجرة . ومنه : لَأَعْصِبَنَّك عَصْبَ السَّلَمة .

٣٩ـ ويومًا باللدان (؟) بعْد يوْم علَيْنَا اللأمُ فِيْه مُدجَّجِيْنَا

الحبرات : البرود ، واحدتهن حبرة (؟) واللأم الدرع ، جمعه لامة ، والمدجج : الداخل في سلاحه .

٤٠ـ لَنَا المِسْكُ الْفَتِيْتُ نُعلُّ مِنْهُ جُلُوْدًا ما تَفِلْنَ وماعِرِيْنَا

٤١ـ فَفِي هاذاك نَحْنُ لُيُوثُ حرْبٍ وفي هذا ثِمالُ مُعصِّبِيْنَا

يقول : نحن في الدروع ليوث حرب ، وفي المسك والمجالس غيوث الضِّعاف والمحاويج .

٤٢ـ تَرى الْجُرْدَ العِتَاقَ إذا فَزِعْنَا وأَطْرافَ الرِّماحِ لَنَا حُصُوْنَا

٤٣ـ ونَجْلُوْ عِظْلِمَ الْهبواتِ عنَّا بِغُرٍّ بِالفَعَالِ مُحَجَّلِيْنَا

العظْلِمُ : الظلمة ، والهبوات : الواحدة هَبْوة ، وهي الغبار . بِغُرٍّ : خيها سنام (؟) ، أو بخيل .

٤٤ ـ لَنَا الْجُرْدُ الْعِتَاقُ مُسَوَّمَاتٍ   مَعَادِنُها لَنَا الأُوْلَى وفِيْنَا

الْجُرْدُ : الخيل القصار الشعور ، وهي علامة العتق . وقوله : مُسوَّمات : أي فَحْلُها من الخيل الموسومة .

٤٥ ـ غَرَائِبُ حِيْنَ تَخْرُجُ مِنْ نِزَارٍ   لِـكُلٍّ إنْ وُهِبْنَ وإنْ شُرِيْنَا

يقول : نحن أهلها ، فإذا خَرجَتْ عنا فهي غريبة .

٤٦ ـ نُعَلِّمُهَا (هَب) و(هَلَا) و(أَرْحِبْ)   وَفي أَبْيَاتِنَا وَلَنَا افْتُلِيْنَا

هذه كلماتُ زَجْر للخيل ، وافتُلِين : أي فُصِلْنَ عن الأُمَّهات للفطام .

٤٧ ـ تَرَى أَبْنَاءَنَا غُرْلاً عَلَيْهَا   ونَنْكَأُهُمْ بِهِنَّ مُخَتَّنِيْنَا

الغُرْلُ : جمع أغرل ، وهو الغلام لم يُطَهَّر بَعْدُ ، أي يُرْكِبُونَها الغلمانَ وهم صغار .

٤٨ ـ نُعَلِّمُهُمْ بِهَا مَا عَلَّمَتْنَا   أُبُوَّتُنَا ، جَوَارِيَ أَوْ صُفُوْنَا

أي نُعَلِّم الأَبْنَاءَ ما علمتنا آباؤنا من الركوب . والصفون : الوقوف ، يقال : خَيْلٌ صوافن ، أي وقوف .

٤٩ ـ نُرِيْهِمْ مِنْ مَحَاسِنِهَا وَمِمَّا   نَخَافُ مِنَ الْمَسَاوِيْ ما أُرِيْنَا

٥٠ ـ وأَيْسَارٌ إذا الأَبْرَامُ أَمْسَوْا   لِتَعْثَانِ الدَّوَاخِنِ آلِفِيْنَا

أَيْسارٌ : جمع يسر ، وهو المقامر . والأَبْرام : جمع برم وهو الذي لا يدخل في الميْسر ، والتَّعْثان : تَفْعالٌ من الْعُثان وهو الدخان .

٥١ ـ كَشَفْنَا الْجُوْعَ ذَا الْهبواتِ عنْهُمْ   وأَطْعمْنَا ضَرائِكَ تَعْتَرِيْنَا

الهبوات : أراد الْغَبْرَةَ والقحط ، والضَّرائك : الضِّعاف الواحد ضَرِيْكٌ وتعترينا : تطلب ما عندنا .

٥٢ ـ كَأَنَّ جِمَانَنَا في كُلِّ يَوْمٍ   لِرَاعِفِهَا جَوَابِيَ مُتْرَعِيْنَا

الجوابي : الحياض ، الواحدة جابية . ومُتْرع : مُمْتَلِيءٍ .

٥٣ ـ تُكَلِّلُ بِالسَّدِيْفِ كَأَنَّ فِيها   إِذَا وُضِعَتْ أَنَافِحَ مُلْبِئِيْنَا

السديف : قطع السنام ، والأنافح جمع إِنْفَحَّة ، وهو الجدي والمُلْبِيءُ : الذي يطبخ اللِّبَأَ .

٥٤ ـ تَرَى الهُلَّاكَ يَنْتَجِعُونَ مِنْها   دواءَ الْجُوْعِ غَيْرَ مُؤَنِّبِيْنَا

الهُلَّاك : الضعفاء ، الواحد هالك . مُؤَنِّبٌ : عاذل ، من التأنيب .

٥٥ ـ وَأَجَّجْنَا بِكُلِّ يَفَاعِ أَرْضٍ   وَقُوْدَ الْمَجْدِ لِلْمُتَنَوِّرِيْنَا

أَجَّجْتَ النار : أوقدتها . واليَفاع : المرتفع مِنَ الأَرض .

٥٦ ـ وبِالْعَذَواتِ مَنْبِتُنا نُضَارٌ   ونَبْعٌ ، لَا فَصَافِص في كُبَيْنَا

الْعَذَوَاتُ : أَرَضون طيبة ، الواحدة عذاة . نُضار : خيار الشجر ، وفصافص : رطبة . وكُبِيْنٌ : سماد .

٥٧ ـ فَتِلْكَ ثِيَابُ إِسْمَاعِيْلَ فِيْنَا   صِحاحًا ما دنِسْنَ وما بَلِيْنَا

٥٨ ـ وإِنَّ لَنَا بِمَكَّةَ أَبْطَحَيْهَا   وَمَا بَيْنَ الأَخَاشِبِ والْحُجُوْنَا

٥٩ ـ وَبَيْتُ اللهِ نَحْنُ لَهُ وُلَاةٌ   وَخُزَّانٌ عَلَيْهِ مُسَلَّطُوْنَا

٦٠ ـ وزَمْزَمُ وَالْحَطِيْمُ وَكُلُّ سَاقٍ   يَرَى أَهْلَ الْخِصَاصِ لَهُ قَطِيْنَا

الخصاص : من الخصاصة ، وهي الحاجة . والقطين : الجار .

٦١ ـ ومُطَّرَدُ الدِّمَاءِ وحَيْثُ تَلْقَى   ضَفَائِرَ مَا دُهِنَّ وَمَا فُلِيْنَا

مُطَّرد الدماء : بمكة . والضفائر : الغدائرُ من الشعر .

٦٢ ـ وَأَطْنَابُ القِبَابِ مُمَدَّدَاتٌ   بِخَيْفِ مِنىً على الْمُسْتَأْذِنِيْنَا

٦٣ ـ عَلَى شُمِّ الأُنُوفِ أَبُو إِيَادٍ   أَبُوهُمْ مُتْلِفِيْنَ ومُخْلِفِيْنَا

إياد : ابن مَعَدٍّ . يتلفون المال ، ويخلفون : من الْخَلَف .

٦٤ – وَجَمْعًا حَيْثُ كانَ يقال: (أَشْرِقْ ثَبِيْرٌ) أَتا لدفعة (؟) وَاقفِيْنَا

ثبير: جبل كانوا يقفون عليه، فيقولون: أَشْرِق ثَبير، كَيْمَا نُغير حتى يأتوا منى، فيقضون مناسكهم، وهذا في الجاهلية. وروي عن قيس بن الرَّبيع، عن أبي حُصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خُزَاعة عمرو بن لُحَيٌّ، دَفَع من مُزْدَلِفَة قبل الشمس، فكان يسمى ذلك الشرق، فلذلك يقول الذي يدفع من مزدلفة: أَشْرِقْ ثَبِيْر، كَيْمَا نُغير، فلما بعث الله محمدًا صلى الله عليه – رَدَّ الميقاتَ إلى ما كان في أيام إبراهيم وإسماعيل – صلى الله عليهما.

٦٥ – وَمَوْقِفُهُمْ لِأَوَّلِ دَفْعَتَيْهِم عَلَيْنَا فِيْهِ غَيْرُ مُخَالِفِيْنَا

أي لايخالفوننا في ذلك لأَنَّا أَئِمتُهُم في ذلك، لايدفعون حتّى ندفع نَحْنُ، ودَفْعَتُهُمْ دفعة عرفات ودفعة المُزْدَلِفَة، فجعله الله في الإسلام كذلك.

٦٦ – وُقُوْفًا يَنْظُرُوْنَ بِهِ إِلَيْنَا لِقَائِلِنَا المُوَقَّي مُنْصِتِيْنَا

به: الهاء للمقام، ينظرون بذلك الموقف. والقائل: الخطيب، والمُنْصِتُ: الساكِتُ.

٦٧ – وَنَجْدًا حَيْثُ أَوْرَقَ كُلُّ عُوْدٍ وآنَقَ نَبْتُهُ المُتَأَنِّقِيْنَا

يقال: تأَنَّقْتُ تأَنُّقًا، وهو الإعجاب، إذا أعجبك الشيء واشْتَهَيْتَهُ فَقَدْ آنَقَكَ.

٦٨ – وَوَجًّا، والَّذِيْنَ سَمَوْا لِوَجٌّ لِآلَاتِ الحُرُوْبِ مُظَاهِرِيْنَا

كانت وَجٌّ – وهي من الطائف – لليمن، فأخرجتها ثَقِيْفُ في الجاهلية عنها، فهي اليوم لثقيف، وهي الطائف وما يَلِيها. والذين سموا لِوَجٌّ: يعني ثَقِيْفًا أي ارتفعوا له وأتوه.

وقوله : لآلات : يعني متاعَ الحرب من الدروع وغيرها من السلاح مظاهِرِين : قد ظاهروا له ـ السلاح .

٦٩ ـ فَحَلُّوْا دَارَ مَكْرُمَة وَعِزٍّ نَفَوْا عَنْهَا أَعَادِيَ شانِئِيْنَا

أيْ نفوا عنها .. الشانية (؟) وشانِئِين : مبغضين ، من شَنِئْتُ الرَّجُلَ أي أبغضته .

٧٠ ـ وَبَرُّ الْأَرْضِ بَعْدُ ، وكُلُّ بَحْرٍ أَقَلَّ الفُلْكُ مَرْكَبَه الشَّحِيْنَا

يقول : أقل مركبه : أي استقله . ومركبه : مركب الفلك من البحر ، والمشحين : الْمَمْلُوءُ .

٧١ ـ وأبْطَحَ ذِي المَجَازِ وحَيْثُ تَلْقَى رجَال عكاظ لِلْمُتَنَبِّئِيْنَا

ذو المجاز : قريب من مكة . والمتنبئين : المخبرين يتذاكرون الفعال يقول : كانت آباؤنا تفعل كذا وكذا ، وكان كذا وكذا .

٧٢ ـ وبَيْعَاتِ الْهُدَى مُتَتَابِعَاتٍ إِلَيْنَا وَابْنِ آمِنَةَ الْأَمِيْنَا

قال : كان النبي صلى الله عليه يدعو الناس إلى البيعة ، فيقولون : على ما في أنفسنا فجاء أبو سنان بن محصن الأَسَدِيُّ يوم بيعة الرضوان فقال : يا رسول الله ابسط يَدَكَ أُبَايِعْكَ على ما في نفسك ، فبسط يده صلى الله عليه فبايعه ، ثم تبعه المهاجرون والأنصار .

وبَيْعَاتُ الهُدَى : بيعة الرضوان .

وابن آمنة : هو النبي صلى الله عليه . وأُمُّه آمنَةُ بنت وَهْب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيِّ بن غالب ابن فِهْر .

٧٣ ـ وكُلُّ خَلِيْفَةٍ وَوَلِيِّ عَهْدٍ وَمُنْتَظَرٍ لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِيْنَا

٧٤ ـ وَفِي أَيَّامِ (هاتِ) بِ(هاكَ) يَلْقَى إذا رزم النـدى مُتَحَلِّبِيْنَا

يقول : من قال لنا : (هات) . قلنا له : (هاك) يلقى ذلك هو القائل

(هات) اعطنا . فنقول : (ها) خُذْ في أيام الشدائد وعند الحاجة .

ورزم الندى : انقطع المطر . ومنه حديث النبي صلى الله عليه حين بال عليه الحسين بن علي فقال : «دَعى ابني لا تُرْزِمِيْه» أي لاتقطعي عليه بوله . وقال بعضهم : وفي أيام . يقول : وفي أيام الشدائد التي لا يُفْضِلُ فيها أحدٌ على أحد إلاّ مكافأةً ، كُنَّا حِيْنَئِذٍ مُتَحَلِّبِين كما تحلَّب الشاة ، أي تَدِر .

٧٥ ـ نُبَارِي الرِّيْحَ مَا بَرَدَتْ وَفِئْنَا لِأَمْوَال الغرائب ضامنُوْنَا

وفينا : من لم يهمز قال : ضامنون ، ومن همز قال : ضامنينا ، وبلا هَمْز أجود .

نباري : نُطْعِمُ فيها . وفئنا : رجعنا لأموال الغرائب ضامنين حال ، يريد غرائب النساء ، إذا كانت غريبةً ضَمِنَّا مَالَهَا . قال ابن أنس : كان أهل مكة يقسمون الرياح ، الصَّبَا لِقَوْم ، والجنوب لقوم ، والشمال لقوم .

وفئْنَا : من فئتُ أفيءُ ، فَيْئًا وفُيُوْءاً .

٧٦ ـ لَنَا قَمرَا السَّماء وكُلُّ نَجْمٍ تُشِيْرُ إِلَيْهِ أَيْدي الْمُهْتَدِيْنَا

قمرا السماء : الشمس والقمر ، فَغَلَّب القمر على الشمس ، والعرب تفعل هذا كثيرًا ، كقولهم : (القمرين) و(العُمَرَيْن) يعنون أبا بكر وعُمَر ، وقمرا السماء : الخليفة وولي العهد .

وكلُّ نجم : أي رجل معروف ، يُضيءُ كَضَوْءِ النَّجْم في علْمه وذكْره ، وأنشد لأبي الجوزاء : .

لَنَا قَمَرا السَّمَاءِ وكُلُّ نَجْمٍ يُضيءُ لَنَا إِذَا الْقَمَرَان غارا

وَمَنْ يفخَرْ بغَيْرِ ابنَي نزَار فليس بأوّلِ الْخُطَبَاءِ جارا

أي متكلم بالجور .

٧٧ـ وَجَدْتُ اللهَ إذْ سَمَّى نزارًا وأنْزَلَهُمْ بِمَكَّةَ قاطنِيْنا

يقول : وجدت آيات الله ، كما يقال : قد قال القول . وعمل العمل ، إذا رأيت بعض ذلك . قاطنين : أي ساكنين .

٧٨ـ لَنَا جَعَلَ الْمَكَارِمَ خَالِصَاتٍ ولِلنَّاسِ الْقَفَا وَلَنَا الْجَبِيْنَا

يقول : للناس الإدبار ولنا الإقبال ، يقول : لهم ما أدبر ، ولنا ما أقبل .

٧٩ـ وما ضَربتْ هجانَ بَني نزارٍ فَوَالجُ من فُحُوْلِ الأَعْجَمِيْنَا

يعني اليمن والحبشة والفرس ، كانوا دخلوا عليهم . يقول : ما نكحت كرائم نسائهم فحولُ الأعاجم ، وذلك أنَّ كسْرَى كان أخرج إلى أهل اليمن وَهْرَزَ في ستّ مئة رجل من أهل السِّجْن ، فقال : إن غرقوا فتح(؟) فنجا منهم وغرق منهم .

والفالج من الإبل ذو السَّنَامَيْن . قال أبو عثمان : عَنَى بهذا البيت الحبشة والفرس الذين تزوجوا منهم .

٨٠ـ وَمَا حَمَلُوا الْحَمِيْرَ عَلَى عِتَاقٍ مُطَهَّمَةٍ فَيُلْفَوْا مُبْغِلِيْنَا

ضربه مثالا لهم ، أي زوجتم الحبشة والفُرْس فخرج من بينهم بِغَالٌ ونزَارٌ لم يحملوا العَبِيْدَ على كرائم النِّسَاءِ كما تُحمل الحمير على الخيل . والمطهَّمَةُ : العظامُ من الخيل ، ومنه سُميَ الرجل طهمان .

والمبغلين : الذين يُنْتِجُونَ البغَالَ ، يقال : أبغل فلانًا إذا أنْتَجَ له البغَال ، يقول : لم يضرب فيهم غَيْرُ جنْسهمْ فيختلفُ نَجْرُهُمْ ، كما أنَّ الْحِمَار إذا نَزَا على الفرس خرج بينهما بغل .

٨١ ـ وَمَا وُجِدَتْ بَنَاتُ بَني نِزَارٍ حَلَائِلَ أَسْوَدِيْنَ وأَحْمَرِيْنَا

يقول : كذالك ما افترشتهم السودان ، يعني الحبشة ، والحُمْرَانُ : الفرس . والأَحْمر في كل شيء عند العرب الأَبْيض وأنشد الأَصمعيُّ :

وأَحْمَرُ جَعْدٌ عَلَيْه النُّسُوْ رُ ، وفي صَدْرِه ثَعْلَبٌ مُنْكَسِرْ

يعني بالأَحمر الأبيض .

٨٢ ـ أَبِي آبَاؤُهُنَّ فَلَمْ يَشُوْبُوْا بِسَمْنِهِمُ إِهَالَةَ حَاقِنِيْنَا

يريد أَبِي آباءُ البنات ـ يريد نزار ـ فلم يشوبوا ـ أي لم يخلطوا بسمنهم الإِهَالَةَ ، وهي الوَدَكُ . يقول : لمْ يَغِشُّوْا حَسَبَهُمْ بغيره كما يُغَشُّ السَّمْنُ بالإِهالة ، وهو وَدَكُ الأَلْيَةِ . والحاقن الذي يصُبُّ في السقاء . احقَنْ في سقائك أي صُبَّ فيه . يقول : لم يخلطوا بخالِصِهمْ كَدِرًا . ويقال في المثل : أنا من هذا الأمر كحَاقِنِ الإِهالةَ . أي أنا عالمٌ به ، كعلمها (؟) بما تحقن في السقاء .

٨٣ ـ وَمَا سَمَّوْا ابِأَبْرَهَةَ اغْتِبَاطًا بِشَيْنٍ خُتُوْنَةٍ مُتَزِيِنِيْنَا

أَبْرَهَةُ بن الصَّبَّاح ، ملك من ملوك اليمن ، وكان مَلِكُ الحبشة ـ واسمه أَبْرَهَةُ الأَشْرَمُ ، وكان يُكْنَى أَبَا يَكْسُوْمَ ، وهو الذي قاتَلَ الفُرْسَ ، وكان النَّجَاشِيُّ وَجَّهه به لِيَنْصُرَ النصرانية ، حين وثب على النصارى ذو نُوَاس ـ وبه سُمِّيَ أبرهة بن الصَّبَّاح .

يقول : فلم نُسَمِّ بنينا بما سمَّيتم أنتم بنيكم ، بالذي يشينكم تُرِيْدُون التَّزَيُّنَ به وهو عليكم شَيْنٌ ، لأَنَّ أبرهة نكح فيهم ، وغَصبهم على أنفسهم .

٨٤ ـ بَنِي الْأَعْمَامِ زَوَّجْنَا الأَيَامَى وَبِالأَعْمَامِ سَمَّيْنَا الْبَنِيْنَا

الأَيَامَى اللواتي لا أزواج لهنَّ ، واحدتهنَّ أَيِّمٌ ، قال عمر بن الخطاب :

لمّا تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ من خُنَيْسِ بن حُذَافَةِ السَّهْمِيّ . ومنه حديث النبيّ صلى الله عليه : «الأَيِّمُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا منْ وَلِيِّهَا ، والبِكْرُ تُسْتَأْذَنُ في نفسِها ، وإذْنُهَا صُمَاتُهَا» ـ أي سكوتُها .

٨٥ ـ وَلَمْ نُمْلَكْ بِغَيْرِ بَنِيْ نِزَارٍ وَلَمْ نُعْطِ الإِتَاوَةَ مُجْتَبِيْنَا

الإتاوة : الخراج ، أي لم يملكنَا أحدٌ منْ غير قومنا ، كما ملكتهم الحبشة ، والإتاوة : الرشوة ، يقال : أَتَوْتُ الرجل آتوه أَتْوًا ، قال الشاعر :

فَفِي كُلِّ أَسْواقِ البِلَادِ إِتَاوَةٌ وَفِي كُلِّ مَا بَاعَ امْرُؤٌ وَكْسُ دِرْهَمِ

ويروى : مكس ، وهو الجباية . يقال : مَكَسْتُهُ مَكْسًا .

٨٦ ـ فَتِلْكَ قَنَاتُنَا لم تُبْلَ ضَعْفًا وَلَا خَوَرًا ثِقَافُ الْغَامِزِيْنَا

يقول : لم نعط الثقاف خورًا أي لِيْنًا . وقناتُنا : عُوْدُنا . أي لم نَلِنْ ولم نُغْمَزْ كما تلين القناة للثقاف يُقَوِّمُها كيف شاء . يقال للرجل إذا لم يهديده (؟) الكبر أو الهمومَ : إِنَّهُ لصلْبُ القناة .

يقول : قنانُنا لَمْ تُبْلَ ضَعْفًا ، أي لم يوجد فيها ضعفًا .

والخور : الرخاوة .

والثِّقَافُ : أن تُقَوِّمَ القناة بِالْعُوْدِ المثقوب والنار .

٨٧ ـ وَكُنَّا فِي الْحُرُوْبِ مَتَى نُوَجِّهْ إِلَى قَوْمٍ كَتَائِبَنَا الثُّبِيْنَا

الثُّبِينُ : الجماعة ، الواحدة ثُبَةٌ ، وقال زُهَير :

وقد أَغْدُوْ على ثُبَةٍ كِرام .

ثُبَةٌ وثُبَاتٌ وثُبِين ، ومنه قوله جلّ وعزّ : ﴿انْفِرُوْا ثُبَاتٍ﴾.

والكتائب : الجماعات ، يقال : تكتَّبوا إذا اجتمعوا وكثر عددهم ،

ويقال للقوم إذا كانوا كثيرًا : لا يُكْتَبُون ولا يُحْصَوْن ، وقال الهُذَلِيُّ :

لا يُكْتَبُوْنَ ولا يُكَتُّ عديدهم .

يكت : أي ينقص .

٨٨ - بِبِيْض يَنْتَمُوْنَ إِلَى نِزَارٍ مُهِيْبِي سَاسَة وَ مُؤَيِّهِيْنَا

ببيض : رجال ينتسبون إلى نزار .

مُهِيْبِي : أي دُعاة إلى مللك ، يقال : أهابَ به ، دعاه إليه ، قال عَدِيُّ بنُ زيد :

يومَ ينادون بآل بَرْبَر واليكسوم لا يُفْلِحْن هائبًا ومُؤَيِّهِيَا .

أي يقول : أهي أهي ، إذا دعاه ، من أيَّهْتُ به إذا دعوته ، وأيَّهْ بِهْ ، أي هم أمراءُ ، يأمرون ويَنْهُونَ .

٨٩ - عَلَوْا شُعَبَ الرِّحَالِ عَلَى الْمَطَايَا بِأَسْمَالِ الْمِلَاءِ مُعَصَّبِيْنَا

يعني البيض . والشعبتان قادمَتَا الرَّحْل ومؤخره ، وأكثر كلام العرب : آخر الرَّحْل ، والأسمال الْخِلْقَانُ ، الواحد سَمَلٌ ، مُعَصَّبِيْن : مُعْتَمِّيْنَ ، أي طَال بهم السفر ، فاخْتلقتْ عمائمهم ، صارت خلقان (؟).

٩٠ - تَضِيْقُ بِنَا الْفِجَاجُ وَهُنَّ فُتْحٌ وَنُجْهِرُ مَاءَهَا السُّدُمَ الدَّفِيْنَا

الفجاج : الطرق في الجبال ، واحدها فجٌّ ، والفُتْحُ الواسعة ، يقال أفْتح ، ونُجْهِرُ نُظْهِره ونُخرجه بعد مكثه حِيْنًا لا يُسْتَقى منه يقال : جهرت [الماءَ] إذا استخرجته وشاةٌ جَهْرَاءُ : لا تُبْصِرُ بالنهار . والاجتهار من الرَّكِيِّ إذا كانت عميقةً لا يُقْدِرُ عليها من عمق أو ضيق (؟) أخذوا حَجَرًا ثَقِيْلاً فشدوه في حَبْل ، وَضربوا به قَعْرها أبَدًا حتى تَثُوْرَ حَمْأَتُها وكلُّ شيء فيها ، ثم ينزحونها . فهذا الاجتهار .

والسُّدُمُ : المياه المتغيِّرةُ المندفنة .

أبو عمر [و]: هو الماءُ المتغير الطعم ، المصفرُّ ، يقال : ماءٌ سَدَمٌ ، ومياه أسدام .

أبو عمرو : جهرت الماء : شربته كلَّه .

٩١ –وَنَأْرِمُ كُلَّ نَابِتَةٍ رعاة وحَشَّاشًا لَهُنَّ وحَاطِبِيْنَا

أَرِمَهُ ، يأْرِمُهُ أَرْمًا ، إذا أكلَهُ رَعْيًا . ويقال : يأْرِم : يستأصِل ، ومنه أروم الرجل أصله .

حشاشا : من الحشيش للخيل ، وحطّابًا للقدور .

٩٢ –يَرَوْنَ الْجَدْبَ مَا تَرَكُوهُ خِصْبًا مُحَافَظَةً ، وكَالْأُنُف الدَّرِيْنَا

يقول : هاؤلاء البيض الذين عَلَوْا شُعَبَ الرَّحَان ، يرون ما أقاموا فيه و(ما) في معنى (الذي) ينزلونه خصْبًا ، محافظة على أحسابهم ، والأُنُف : أول الرعي الذي لم يُرْعَ ، ويقال لكل ما استقبله الرجل أنف ، وكذلك الكأس والقصعة إذا كانتا ممتلئتين أنف قال :

وَالْقَيْنَةُ الْحَسْنَاءُ ، والْكَأْسُ الْأُنُفْ .

والدَّرين : اليابس من النَّصي ، وهو نبات كأنه الحلفاء دقيقة العود فإذا كان أخضر قيل له نصيٌّ ، وهو من الحصة ؟ فإذا يبس فهو (الدَّرين) فإذا اخضر يابسه فهو الخليس ، يقال : قد أخلس النبات إخلاسًا ، فإذا طالتْ خوصته فهي السهنة ، وذاك إذا تحسب (؟) أعاليه، فإذا تَحَاتَّ فوقع على (الأرض) فهو الهني ، والسال(؟)ويقال أيضًا : أتى عليه هنى من الدهر أي حين من الدهر ، فإذا أكل أعالي الحلي قيل : بقي من أصوله الركبه ، فإذا اسْوَدَّ وعفن فهو الدرين . قال أبو عمرو : إذا كان قد أكل ثم نبتَ قيل لذلك النبات الخلفة وجمها خلف ، قال :

وَنُقِمُ في دَارِ الْحفَاظ بُيُوتَنَا رتع الحمايل (؟) في الدَّرِيْنِ الْأَسْوَد

٩٣ـ نَدعَهُمْ مِثْل بارقَ أوْ كَجَرْم وبِئْسَ بقيّةُ المُسْتَظْعَنِيْنَا

بارق : بطن من الأَزْد ، وجَرْم بطن من قضاعة يقول : بارق وجرم بِئْسَ بَقيَّةُ الموتى ، ويقال : بارق جبل نزله سعد بن عَدِيّ بن حارثة ابن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امريء القيس بن مراد (؟) ابن الأَزد ، فسُمّوا بذلك .

يقول : كنّا متى نوجه إلى قوم ندعهم مثل بارق أو جرم . قال : بئس بقية المستظعنينا أي هم مضوا . والمستظعَنُ الميِّتُ . يقول : فَجَرْمٌ بئس بقية من مضى ؛ ويقال : المستظعنين الذين أُخْرِجوا من ديارهم .

٩٤ـ [كما] خَطَرَتْ أَسِنَّتُنَا بِعمْرو أَبِي الْملكَين ، غَيْر مُدَعْدِعِيْنَا

عمرو بن المقصور بن الحارث ، آكل المُرَار ـ الكندي ؛ والملكان شرحبيل وحُجر .

وقوله : كما خطرت أَسِنَّتُنا ، هو مردود على : (ندعهم مثل بارق) يقول : نفعل بأُولئك كما فعلتْ أَسِنَّتُنا بعمرو .

وخطرت : قتلت وذهبت به . يقول : قد شالَتْ به شولان البعير بذنبه . والعرب تقول في كلامها : خاطر فلانٌ بين قَتيلين ؛ وذلك إذا أتى على قتيلين ، فالأصل فيه من خطر البعير بذنبه ، إذا شاله ، فكأن سنانه فعل بالقتيل ذلك وهو عمرو بن حُجْر بن معاوية بن كِنْدَة ، وهو أبو الملكين الحارث ابنه مَلَكَ مَعَدًّا ، وحُجْرُ بن الحارث مَلك بني أسد .

وكناية غير مُدَعْدَعِيْنَا : أيْ لم يُقَلْ لنا : (دَعْ دَعْ) .

ويقال : بل أراد غير محبوسين .

وقتل ابناه شرحبيل وسلمة ، وكان ملكًا على تميم .

ابن كناسة : كانا على ضَبَّة وعكل والرباب وتغلب وبكر وايل .

وقيل : مدعدعين : أي نحن أصحاب خيل ، لسنا بِأَصحاب غنم يُدَعْدِعُ بِالْبَهْمِ وهو أولاد الغنم ، الواحدة بهمة .

٩٥ــ وغادرنا على حُجْرِ بنِ عَمْرو قَشَاعِمَ يَنْتَهِشْنَ ويَنْتَقِيْنَا

غادرنا : تركنا وكذلك الْغَدِير إنما سمى غديرًا لأَنَّ الماءَ تركه ، وكذلك الغدر إنما هو ترك الوفا .

وإنما أراد حُجْرَ بن عمرو المقصور – لأَنه قصر على ملك أبيه – أي حبس – وهو آكِلُ المُرَار – بن عمرو بن معاوية بن ثور بن مُرْتِع . وسمي مُرْتِعًا لأَن الناس كانوا يقولون له : أَرْتِعْنَا من أَرْضِك كذا وكذا ، فيُرْتِعُهُمْ ، ومُرْتِع هو ابن معاوية بن كندة بن عُفَير بن الحارث ابن مرة بن أدد بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

والقشاعم النسور الكبار .

ينهشن اللحم ، وينتقين المخ ، وهو النقي . العظم ، ونقيته ونقوته إذا استخرجتَ ما فيه من المخ ، يقال له النقا ونقوان . والجمع أنقاءُ ، ولما توجه حُجْرُ إلى بني أسد ورد ماءَ الحلبة (؟) رجل من بني أسد ، يقال له فضالة بن كلدة بن عبد مرارة بن سواءة بن الحارث بن سعد ابن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد ، وأخذ حُجْرُ أَكُفًّا من حمّص فرمى به في الماء ، ثم قال : يا عوف أورد مالك ثلاث مَرَّات يُرَدِّدُها – فركب فضالة بن كلدة بن عبد مرارة بن سواءة بن الحارث بن سعد ابن مالك فأتى بني أسد ، فأخبرهم أن حُجْرًا قد سار إليهم بجمع كثير من اليمن ، وكانت بنو أسد بتهامة ، وكانت تهامة منزل ولد مَعَدٍّ

ابن عدنان ، فاجتمعت بنو أسد إلى عوف الكاهن . فقالوا : ما عندك ؟ قال : تَزَوَّدُوا ما قدرتُمْ وارتحلوا ، ففعلوا ، فلما ساروا ثلاثًا جَمَعَهُمْ فقال : لمن الصلهب ؟ - فرس كان لحُجْر - الغالب غير المَغَلَّب ، قالوا : هولك . قال : لمن العتاق ، وهي غَدًا تُساق ؟ قالوا : هي لك . قال : لِمَنْ سَلْمَى ، ذات الفم الأَظْمَا ، غدًا أول من يُسْبَى ؟! قالوا : هي لك ، وسَلْمَى قَيْنَةٌ كانت لِحُجْر . ثم قال : لِيَقُمْ رجل من بني مالك ابن ثعلبة : فقام إليه رجل منهم فقال : اجْلِسْ أنت ابن سوداء دَفِرة ، حملت به في ليلة غير مُقْمِرَة ، وهي من الرجال مُكْثِرة . ثم قال : يا ابن السموقة - وهو رجل من بني مالك بن ثعلبة - فعقد له ، فقال من القوم يعقد له وهو فاجر . فقال عوف لابن السموقة ، وكان قصيرًا دَحْدَاحًا ، عظيم الرأس والبطن - : أنت ابن بيضاء عَطِرة ، حملت به في ليلة مُقْمِرة ، وهي من الرجال غير مكْثِرة ، له رأس كالدبَّة ، وبطن كَالْقِربْة . فأتى على محوره أحنة (؟) فعقد له ، ثم قال : سِرْ ببني مالك ابن ثعلبة : حتى تأتي موضع ما ، فإنك تجد عليه مقدمة حُجْرٍ ومطابِخَهُ وقبابَهُ ، فَخُذْ ما قدرت وأَقِمْ ، فإني في أثرك ، ونحن ظافرون بالرجل فسار ابن السموقة حتى وافى ذلك الموضع ، فوجد الأمر على ما أخبره به عوف ، وتبعه سائر بني أسد ، وأقبل حُجْرٌ حتى التقوا بذلك الموضع ، فاقتتلوا قتالا شديدًا ، فأسرتْ بنو أسد حُجْرًا وانهزم أصحابهُ ، بعد ما قُتِل مَنْ قُتِل منهم ، فستر في فسطاط وأُقْعِد معه من يحفظه . وقال لهم عوف الكاهنُ : لاتحدثوا فيه حادثةً حتى أصعد هذا الأبرق - جبيل - فَأَنْظُر . فقال له : ربيط خَلُّوا سبيله ومُنُّوا عليه ، فإنكم إن فعلتم ذلك كان لكم الملك فيكم إلى يوم القيامة ، وكان علبَاءُ بن الحارث الكاهن

قاتل حُجْر قد قُتِلَ له أخ في المعركة ، فدخل على حُجْر وقد غَفَل الحُرَّاسُ فضربه بسيفه حتى سكت ، وضَجَّ الناسُ ، فسمع عوفٌ الصَّوتَ فانْحَدر مُقبلاً ، فقال : ما هذا ؟ فقيل : علباءُ بن الحارث قتل حُجْرًا . فأَقبل على رأسه يضْرِبُهُ ، وينتِفُ لِحْيَتَهُ ، ثم قال : يا بني أسدٍ ، مُلْك شَهْر ، وهلاك دهْر ، أما إنكم لا تكونون ملوكًا ولاذوي يدٍ عند الملوك ، فبنو أسد كذلك وانصرف الناسُ بالغنائم .

٩٦ - يُشَارِكْنَ الذِّئَابَ وَأُمَّهَاتٍ جُمِعْن بعامِرٍ لَمَّا كُنِيْنَا

يقول : القشاعم يشاركن الذئاب .

بعامر : يعني الضِّبَاعَ ، أراد أنَّ الضَّبُعَ تُكْنَى بِأُمِّ عامرٍ .

٩٧ - سَقَيْنَا الأَزْرقَ الْيَزَنِيَّ مِنْهُ وَأَكْعُبَ صَعْدَةٍ ، حَتَّى رَوِيْنَا

منه : أي من حُجْر ، ووصف السنان بصفاء الحديدة وصقاله .

واليزنيُّ والأزنيُّ : منسوب إلى يَزَن ، وهي أَرْضٌ باليمن .

والصعدة القناة ، وقيل : التي ليس فيها السِّنَان ، وأكْعُبُهَا أنابيبُها رَوِينا : رَدَّهُ على الأَكْعُب .

وذلك أنَّ رجلاً من بني أسد ، وهو عِلْبَاءُ بن الحارث بن جحيش الكاهن طعن حُجْرًا في رجله بعكازه ، فمات ، وكان حجر أبو امرئ القيس في أسد يأخذ من كل رَجُل في كل عام جزَّتَيْ صُوفٍ وجزَّتَيْ شعر ، وجزتَيْ [وبر] ونِحْيَيْن من سَمْن ، وفَرَقًا مِنْ أقِط ، وكبشا . وحبل (؟) بذلك دَهْرًا ثم بعث إليهم جابِيْه الذي كان يجبيهم ، فمنعوه ذلك ، وبلغ ذلك حُجْرًا وهويومئذ بتهامة ، فسار إليهم بجند من ربيعة وجند من أحنة (؟) قيس ، فأتاهُمْ فأخذ رؤساءهُمْ فجعل يقتلهم بالْعِصِيِّ ، فَسُمُّوا عَبِيْدَ العصا ، فأَبَاح الأموال ، وسيرهم من تهامة

والحجاز ، وآلى أليَّةً أن لايساكنهم في بلد أبدًا ، وحبس عمرو بن مسعود بن كلدة الأسديّ ، وكان سيِّدًا ، وعَبِيْدَ بن الأبرص ، وكان شاعرًا ، فسارت بنو أسدِ ثلاثًا ، فقام عَبِيْدُ بنُ الأبرص فقال : اسمع أيُّها الملك مقالتي فقال :

ياعين مافات ضحى بني أسَدٍ فَهُمْ أهْـلُ النَّـدَامَهْ

في شعر له طويل ، فلما فرغ منها رقَّ له حُجْرٌ ، فبعث في أثرهم فأقبلوا حتى إذا كانوا على مسيرة ليـلة من تِهامة تكهَّنَ كاهِنُهُمْ ، وهو عوف بن ربيعة بن عامر بن سواءة بن سعد فقال : ياعبادي ! . قالوا : لَبَّيْكَ رَبَّنـا ! قال : لِمَن الصلهب ؟ فرس كان لِحُجْر ـ قالوا : مَنْ هُوَ رَبَّنـا . قال : الغلّاب غير المَغَلَّب ، في الإبل كأنَّها الرَّبْرَب ، لايعلق راسها الصهب ، هنادمُه يثعب ، وهو غدًا أول من يُسْلب . قالوا : مَنْ هُوَ ؟ قال : لولا أنْ تجيش جائشة لَنَبَّأْتُكُمْ أنه حُجْرٌ صاحبه . فركبوا كلَّ صَعْب وذلول ، فما أشرق لهم النهار حتى انتهوا إلى عسكر حُجْرٍ ، فهجموا عليه قبته ، وكان حُجَّابُهُ ناسًا من بني كاهِل يقال لهم بنو حرار .

أبو عمرو : خَدَّار بن جشم .

فأقبل عِلْبَـاءُ بن الحارث ، وكان حُجْرٌ قتل أباه ، فلما أخذوه قتلوه ، وقالت بنو أسد : يامعشر كنانة وقيس أنتم إخوتُنا وبنو أعمامنا والرجل بعيد النسب منّا ومنكم ، وقد رأيتم مايصنع بكم ، فانتهبوه ، وشدوا على هجائنه ، قال : فَلَفُّوهُ في رَيْطَة ، وطرحوه في الطريق ، فلما رأته قيس وكنانة اغتنموا أسلابَهُ ، ووثب عمرو بن مسعود فضمّ إليه عياله ، وقال : أنا لَهُمْ جارٌ .

قال ابن الكلبيّ : وبلغني الحديث من وجه آخر ، أنّ حُجْرًا أتاهُمْ عن معه ، فلما كثروه قال : فإني مرتحِلٌ عنكم ، مُخَلِّيكم وشأنكم ، فوادعوه على ذلك ، ومال مع خالد بن حدان أحد بني سعد بن ثعلبة ، تاركًا لعسكره ، فأدْركه عِلْبَاءُ بنُ الحارث أحد بني كاهل ، فقال : ياخالد اقْتُلْ صَاحِبَكَ لا يَعُرُّكَ وإيَّانَا بِشرٌ فجعل خالد يمتنع ، ويمر عِلْبَاءُ يقصده بِرُمْح مكسور ، فيها سنانُها ، فأخذها ، فطعن بها في خاصرة حُجْر وهو غافل ، فقتله ، ففي ذلك يقول الأَسَدِيُّ :

وأقصد عِلْبَاءُ بن قَيْسِ بن كاهل   مَنِيَّة حُجْرٍ في جوار ابن خَدَّان

وكان حُجْرٌ طرد امْرَأَ القيس في حياته ، للشعر ، قال : لا يقول شعرًا ، فَأَبَى فأخرجه وكان يسير في العرب ، فإذا انتهى إلى روضة ذَبَح لهم وجلس يشرب ، وتُغَنِّيه قِيَانُهُ ، فأتاه خَبَرُ أبيه بِدَمُّونَ فقال :

تَطَاوَلَ اللَّيْـلُ عَلَيْنَـا بِدَمُّوْن   دَمُّوْنُ إنَّا مَعْشَرٌ يَمَانُونَ
وأنَّنَـا لِأَهْلِنَـا مُحِبُّوْن

وقال : ضيعني صغيرًا ، وَحَمَّلني دَمَه كبيرًا ، لاصَحْوَ الْيَوْم ، ولاسُكْرَ، اليوم خَمْرٌ، وغَدًا أَمْرٌ . وقيل : إنه آلى لما بلغه قتل أبيه : لا يشرب خمرًا ولا يأكل لحمًا حتى يدرك بثأر أبيه ، فقصد إلى بني أسد ، يريد علباءَ سِرًّا ، ولم يظهر ذلك لجلّ الناس ، فلما كانت الليلة التي صبّحهم فيها بادر قبل أن يخبروا ، فقتل وأكثر القتل في بني كنانة وهو يظنّ أنهم بنو أسد ، فلما عرف كفّ وقال :

ألا يَالَهْفَ نَفْسِيْ إِثْرَ قَوْمٍ   هُمُ كانُوا الشِّفاءَ فَلَمْ يُصَابُوْا
٩٨ـ وَخُضْنَا بِالسُّيُوْفِ إليه خَوْضًا   وسُمْرِ الْخَطِّ كِنْدَةَ والسَّكُوْنا

خُضْنَا : سِرْنا ، في كِنْدَة والسكون ، معناه قطعناهم بسيوفنا وأرماحنا والسكون : بطن من كِنْدَةَ .

٩٩ـ وَوَجَّهْنَا ظَعِينَتَهُ هَدِيًّا تُلَوِّنُ لِامْرِيءِ الْقَيْسِ الْبُرِينَا

الْبُرِينُ : الخلاخيل . تلوِّن : تُلَمِّع له بيدها . هَدِيًّا : أي عروسًا .

١٠٠ـ إِذَا أَخذتْ له في ما شَرِيْطِ (؟) رَآنَا بِالْإِسَاءَةِ مُحْسِنِيْنَا

له : لامرئ القيس ، امرأة حُجْر ، وشريطة : سِفطٌ فيه طيبها واجفاسا (؟) . قال عمرو بن معدي كرِب :

فهمُّكِ في شريْطِكِ أمُّ عَمْرو وذُو النُّونَيْنِ والْمَزنُوقُ زَيْنِي

أي إنا على إساءتنا إليه بقتل أبيه يرى أنَّا أحْسَنَّا إليه ، إذ زوجنا[هُ] امرأة أبيه .

١٠١ـ فَمَا أَهْوَى بِأَهْزَعَ مِنْ بَعِيْدٍ لَنَا إِلاَّ التَّكَهُّمَ يَبْتَغِيْنَا

يعني امْرأ القيس ، ما أهْوَى إلينا بسهم يقاتلنا به ، والتكهُّمُ : التوعد ، والإيعاد بالشَّر .

١٠٢ـ وماسَمَّى بِقَتْلِ أَبِيْهِ مِنَّا قَتِيْلاً في عِضَايِهِ مُفْتَرِيْنَا

أي لم يستطع أن يسمى فينا قَتِيلاً قتله بِأَبِيْه ، فبا يفتري ويكذب حيث قال : قتلت من بني أسد ، والافتراءُ الكذب ، وعَضَايِهُ جمع عَضِيهة وهي الكذب .

١٠٣ـ وَنَحْنُ وجَنْدِلٌ بَاغ تَرَكْنَا كَتَائِبَ جَنْدَلٍ شَتَّى عِزِيْنَا

جندل : ملك من ملوك غسَّان ، أي تركنا كتائبه حين بغي علينا ، قتله بنو سعد بن ثعلبة ، رهط الكُمَيْت .

وعِزِين : مُفْتَرِقَة ، الواحدة عِزَةٌ .

١٠٤ـ أطَرْنَا الْحَشْوَ والْعُسَفَاءعَنْهُ وَأقْعَصْنَا جَبَابِرَ مُتْرَفِيْنَا

عنه : عن جندل ، أطرْناهم ، والحشو : السفلة ، والعسفاءُ : الأُجَرَاءُ والاسفاءُ : العبيد .

وأقعصنا : قتلنا . يقال : قعصه وأقصعه بمعنى .

١٠٥ ـ كَفَيْنَا مَنْ تَغَيَّبَ مِنْ نِزَارٍ وأَحْنَثْنا أَلِيَّةَ مُقْسِمِيْنَـا

يقول : قُمْنَا به من نزار كلِّها ، وكفيناهم بقتل جندل من غاب من نزار .

وقوله : أَحْنَثْنا يَمِيْنَ جَنْدَل ، كان قد حلف أن لايرجع حتى يُطفيْ نار مُضَر ، فأطفأ نارَ هوازن وغطفان ، ثم قتله بنو سعد بن ثعلبة من بني أسد . وأَلِيَّة : يمين ، والجمع أَلَايَا .

١٠٦ ـ وَأَضْحَكْنَا بَوَاكِيَ أَهْلِ خَوْف وأَبْكَيْنَا ضَوَاحِكَ آمِنِيْنَـا

يقول: أَجَرْناهم فأَمِنُوا من خوفهم، وذلك رحاهم (؟) في جمع كبير فهابته ، فبكتْ نساؤهم وكُنَّ نساؤه آمِنات فقتلوه ، فضحكت نساؤهم ، وبكت نيك .

١٠٧ ـ بِضَرْب لَا كِفَاءَ لَهُ وطَعْن تُرَى منه الْأُسَاةُ مُوَلْوِلِيْنَـا

لا كفاءَ له : أي مِثْلَ له . والأُساةُ : الْأَطِبَّاءُ ، الواحد آسٍ ، ومُوَلْوِلِين : من الوَيْل .

١٠٨ ـ وَنَحْنُ غَدَاةَ سَاحُوق تَرَكْنَـا حُمَاةَ الْأَجْدَلَيْنِ مُجَدَّلِيْنَـا

ساحوق : موضع وقعة كانت لبني أسدٍ ، والأَجدلين: ملكان من غَسَّان .ومُجَدَّلين : مُصَرَّعين فى الجدالة ، وهي الأَرض ، يقال : جدله ، وخطره وقطره وحجله ، بمعنى .

١٠٩ ـ أَتَوْنَا عِنْدَنِسْوَتِنَا فَلَاقَوْا ظَعَائِنَ ما هَرَبْنَ ، ولَا سُبِيْنَا

١١٠ ـ ظَعَائِنَ مِنْ بَنِي الْحَلَافِ تَـأْوِي إلى خُرْس نَوَاطِق ، كَالْفَتِيْنَـا

الحلّاف : الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان، وبنو ضبّة بن الحارث وسواءة بن الحارث ، ومالك بن الحارث ، وجُشم بن الحارث ومُرّة ابن الحارث .

والخُرْس : الكتائب . سواطق : ما صنعت وما لقيت ، ومثله :

وَكُنَّا أُناسًا أَنْطَقَتْنَا سُيُوفُنَا

والفتيْنُ : الحرّةُ ، جمع لا واحدَ له ، شبّهَ الجيشَ بِحَرّةٍ سوداء .

١١١ - ظَعَائِنَ لَمْ تَزَلْ مِنْ مُسْنَمَاتٍ غَنَائِمَ ، يَصْطَبِحْنَ وَيَدّوِينَا

ظعائن : نساءٌ على الهوادج ، مسنمات : إبلٌ عظام الأسْنِمَةِ . لم تزل تَصْطَبِحُ ، وتَدّوِي : من الدُّوايةِ ، وهو ما يعلو اللبَنَ البائتِ (؟) كالجليدة .

١١٢ - وَيَجْزُزْنَ النَّوَاصِي مُنْعِمَاتٍ غَوَانِيَ عن ثَوَابِ المُعْرِضِينَا

يجززن : اللفظ للنساء ، والمعنى للرجال ، أي رجالهن يَجزُوْنَ النواصي فلما كان في ذكر النواصي اجزوهن . يقول : لايُرِدْنَ منهم جزاءً ولاثوابًا ومثله قول بشر الأسديّ :

وما مَسَّهَا مِنْ مُنْعِمٍ يَسْتَثِيبُهَا

١١٣ - مُدِلّاتٍ يَسِرْنَ بِكُلِّ ثَغْرٍ إذا أَرْزَفْنَ من ثَغْرٍ حُمِينَا

مُدِلّات : من الإدْلال ، ويقال : جاء فلانٌ مُدِلًّا ، إذا جاء وبه قُوّةٌ ، أي لايَخَفْنَ شيْئًا .

وأَرْزَفْنَ : أَسْرَعْنَ ، يقال : أَرزفَ يُرْزِفُ إرْزَافًا ، إذا أَسْرَعَ .

١١٤ - وَقُرْصًا قَدْ تَنَاوَلْنَا فَلَاقَى بَنِي ابْنَةِ مِعْيَرَ وَالأَقْوَرِينَا

قُرْص : من بني الحارث بن كعب ، قتلته بنو سعد بن ثعلبة .

معْيَر والأَقْوَرِين : داهيتانِ ، يقال : لقيت منه الأقورين والبُرَحَاء .
ويقال : قايد (؟) لقد لاقيت قيد (؟) والأَقْوَرِين .

١١٥ ـ صَبَحْناهُمْ أَسِنَّتَنَا وبِيضًا قَوَاطِعَ يَعْتَمِدْنَ وَيَصْطَفِينَا

يَعْتَمِدْنَ : أي يَخْتَرْنَ الْعُمد من القوم ، الذين يُعْتمد عليهم في الأُمور . وقال : يَقْصُدْنَ .

١١٦ ـ إِذَا الْجَبَّارُ كَانَ لَهُنَّ نَصْبًا فَرَجْنَ إِلَيْهِ حَوْمَةَ مَا غَشِينَا

لهنَّ : للسيوف ، نصبًا : كأنه شيء ينصب للسيوف والأسنة .

وحومة كل شيء : كثرته ومعظمه ، وغشين : ما غشينا منهم .

١١٧ ـ وَخُضْنَا بِالْقُرَاتِ إِلَى عَدِيٍّ وَقَدْ ظَنَّتْ بِنَا مُضَرُ الظُّنُونَا

القرات : موضع بالشَّام ، وعديٌّ : رجل من غسَّان ، أسره مطر ابن سلمة الشيباني ، قتلوه بابن أرطاة . وقال رجل من بني شيبان :

قَتَلْنَا عَدِيًّا بِابْنِ أَرْطَاةَ إِنَّنَا كَذَاكَ إِذَا مَا الْحَرْبُ شَبَّ سَعِيرُهَا

ظنَّت مضر : قالت : عساهم لاينالون الظفر بهم ، فظنُّوا أنَّا سَنهلِك

١١٨ ـ بِحَارٌ يَهْلِكُ السَّبَحَاءُ فِيهَا تَرَى الْجُرْدَ الْعِتَاقَ لَهَا سَفِينَا

الجُرْد : الخيل القصيرة الشعور ، أي هُنَّ سفائن وهذه البِحَار والغمرات ، والسُّبَحَاءُ : أراد الفرسان .

١١٩ ـ بِمُعْتَرَكٍ مِنَ الْأَبْطَالِ ضَنْكٍ تَرَى فِيهِ الْجَمَاجِمَ كَالْكُرِينَا

مُعْتَرَك : موضع القتال .

والكُرِيْن : جمع كُرَة ، والبطل : فوق النجد ، وقيل له بطل ، أي دَمُ القتيل يبطل عنده ، لا يؤخذ ، لِعزِّه .

١٢٠ ـ وَلَمْ نَفْتَأْ كَذَلِكَ كُلَّ يَوْمٍ لِشَأْفَةِ وَاغِرٍ مُسْتَأْصِلِينَا

نَفْتَأُ : نزال ، يقال : ما فَتِيءَ يفعل كذا .

والواغر : الحاقد ، والوغر : الحقد ، أي نَسْتَأْصِلُ شَأْفَتَهُمْ .

١٢١ ـ وَيَوْمِ الْجَزِّ مِنْ ظَلِمٍ وُجِدْنَا كَطَعْمِ الصَّابِ لِلْمُتَطَعِّمِيْنَا

الجَزُّ : ثَنِيَّةٌ يقال لها الجزّ ، التقت ابنا أسَدٍ والحارث بن كعب ، فانهزمت بنو الحارث . ويقال : الجَزُّ هو أسْفل الجبل .

وظلم جبل ، وهو يوم كانت فيه وقعة لبكربن وائل .

١٢٢ ـ حَضَأْنَا نارَ مَكْرُمَةَ وعِزٍّ نَشُبُّ وَقُودَهَا لِلْمُصْطَلِيْنَا

حضأنا : أي ألقينا الحطب فيها حتى عظمت ، والمحضأ والمشعر العود الذي تحرك به النار .

١٢٣ ـ [ونحن] الرَّافِدُوْنَ غَدَاةَ مَرٍّ خُزَيْمَةَ بِالَّذِيْ لَا يُنْكِرُوْنَا

غداة مَرٍّ : وهو من مكة على مرحلة من طريق المدينة .

ويقال : رفدته وأرفدته : أعَنْتُهُ .

يقول : رفدنا قومنا في تلك الغداة بالذي لا ينكرون .

١٢٤ ـ تَبَاشَرَ إذْ رَآنَا أهْلُ مَرٍّ فَكَذَّبْنَا مُنَى الْمُتَبَاشِرِيْنَا

١٢٥ ـ مَلَأْنَا حَوْضَ مَكْرُمَةٍ وعِزٍّ وَأرْوَيْنَا حَوَائِمَ قَدْ صَدِيْنَا

الحائم الذي يدور حول الحوض عطشًا .

وصَدِين : أي عطشْنَ ، والصَّدَى العطش .

١٢٦ ـ وَقَدْ آلَتْ قَبَائِلُ لَا تُوَلِّيْ مَنَاةَ ظُهُوْرَهَا مُتَحَرِّفِيْنَا

آلَتْ : يعني غَسَّانَ ، يقول : حلفوا بمناة ، وهو صَنَمٌ ، أن لا يولُّوا عنه ، وأن يجعلونه وراء ظهورهم ، ويقاتلون عنه . وقال عمرو بن شأس :

وَقَدْ أقْسَمَتْ أفْنَاءُ عمرو بن عامر بِغَسَّانَ لا يعرى مناة ولا يحلى

١٢٧ ـ فَأَلْحَقْنَا رَوَافِضَهُمْ بِبُصْرَى حُفَاةً كَالرِّئَالِ ، ونَا علينا

رَوَافضهم : ما افترق منهم. كالرِّئال : أولاد النعام ، أي شردُوا كما شرد الظليم ، والرئال أولادها الواحد رأل ، ورئلان .

١٢٨ - وَيَوْمًا بالمعا لمْ نُلْفَ فيه عَلَى دَهَش وَلَا مُتَخَاذلِيْنَـا

وهذا اليوم غدا فيه أبو جبلة ، وهو جبيلة ، وهو سويد بن ربيعة ، فأخذ ابن سهلة الطائيُّ فقال : دُلَّني وأنْتَ آمنٌ على حَيٍّ تُغَل ، فَدَلَّهُ عليهم ، فأصابَ الحيُّ بأَسْرهم ، فأقام ابن شهلة عند أبي جبلة ، ويقال جبيلة ، وترك حَيَّهُ ، لمَّا دلَّ عليهم .

١٢٩ - صَبَرْنَا فيْه أنْفُسَنَا ببيْض يُفَلِّقْنَ الرُّؤُوْسَ وَيَخْتَلِيْنَـا

أي ألزمنا أنفسنا الصبر ، ويقال : صبرنا : حَبَسْنَا ، ومنه : قُتلَ فُلَانٌ صَبْرًا .

١٣٠ - وَمَا ذَمَّ الْقَبَائلُ منْ مَعَدٍّ إلَى نَجْرانَ غَزْوَتَنَـا الْحَجُوْنَا

هذا يوم غزت بنو تميم نَجْرانَ ، فقتلوا من أهلها مقتلة عظيمة ، ومنه قول الفرزدق :

سَمَوْنَا لنَجْرَانَ الْيَمَـانيِّ أَرْضه وَنَجْرَانُ أَرْضٌ لم تُدَيَّنْ مَقَاولُهْ

والْحَجُوْنُ : البعيدة .

١٣١ - صَبَحْنَاهُمْ كَتَـائبَ منْ نزَارٍ كَأُسْد الْغَـاب حَالَفَت الْعَرِيْنَـا

الكتائب : الجماعة ، يقال : يكتب الناس أي يجمعها .

والغاب : الأَجَمَةُ . والْعَرِيْنُ مثله . يقال : أتيناهم صباحًا ، بمعنى صبحناهم .

١٣٢ - كَتَـائبَ تَحْسرُ الْهَبَوَات عَنَّا عوالِي مَا حُددْنَ وَمَا عُلِيْنَا

الهبوات : جمع هَبْوة ، وهي الغبار . عوالى : أي تعلو ولاتُعْلَى .

حُدِذْنَ : يقال : حُدَّ فلان عن حاجته إذا رُدَّ عنها ، والمحدود المحروم .

ما عُلينَ : ما قُهِرْنَ .

١٣٣ ــ أَفَأْنَ مِنَ الْكَواعِبِ مُرْدِفَات عقائل يتَّصِلْنَ وَيَعْتَزِيْنَا

أَفَأْنَ : من الفيء أي غَنِمْنَ ، والعقائل : الكرام . يتصلن : ينسبن أنفسهن ، والاتّصال الإِدّعاءُ إلى القبيلة ، وعَزَوْتُ الرجلَ إلى أبيه – أي نسبته إليه .

١٣٤ ــ وَغَادَرْنَا الْمَقَاوِلَ فِي مَكَرٍّ كَخُشْبِ الْأَثْأَبِ الْمُتَغَطْرِسِيْنَا

غادرنا : تركنا . والمقاول : الملوك ، ويقال : أقوال أيْضًا .

في مكرٍّ : في موضع الكرّ والجملة .

وقوله : الأَثْأَبُ : وهو شجر – أي الملوك مصرعين كالخشب ، والمتغطرس : المتغضب .

١٣٥ ــ وَعَبْدُ يَغُوثَ قَدْ لَاقَى نِزَارًا غَدَاةَ التَّيْمِ غَيْرَ مهللِيْنَا

عبد يغوث بن صلاءة الحارثي ، وكان سيدهم ، أسره النعمان بن حَسَّان قتلته تَيمُ الرِّبَاب .

١٣٦ ــ أَرَادَ لِيَحْقِنُوْا دَمَ غَيْرِ ثَأْرٍ وَذَكَّرَهُمْ مَعَ الْحلب الْحَقِيْنَا

أرادوا حَقْنَ دَمِ عبد يغوث بأن يعطيهم الإبل ، ولم يكونوا طلبوه بِثَأْر ، فلذلك قال : غير ثأر .

ويقال : أراد قوله : بغير ثأر أي لم يكن لهم عنده ثأر يطلب .

والحقين : اللبن المجموع في السِّقَاء ، فلم يفعلوا في أخذ الإبل شَيْئًا ، وقتلوه .

١٣٧ ــ فَكَانَ دَمٌ أَحَبَّ إِلَى نِزَار شَوَارِع مِنْ وِطَابٍ مُعْجِلِيْنَا

أي كان دمه أحبَّ إلى رماحهم الشوارع للطعن من أخذ الإبل .

والوطاب : الزِّقاقُ ، الواحد وَطْبٌ ، وهو زِقُّ اللبن .

الْمُعْجِلُ : الذي يبعث إلى أهل اللبن الإعْجَالة ، كأنه أول اللبن .

١٣٨ - فَصَادَفَ أُسْرَةً مِنْ آلِ مُرٍّ   بِأَعْلَاقِ الْمَكَارِمِ مُثْمِنِينَا

صادف عبد يغوث . والأُسرة : الحيُّ والقوم ، ومُرٌّ : أبو تميم .

والأعلاق : جمع عِلْق ، وهو النفيس من المال . مثمِنين : أي يعطون به ثمناً .

١٣٩ - وَمَا طَلَبُوا إِلَيْهِ دمًا ولَكِنْ   أَثَاثَ الْمجْدِ والْحَسَبَ الْمَصُونَا

ويروى : أثيث المجد ، وهو الكثير . والأَثاث : المتاع . وإليه : أي إلى عبد يغوث .

يقول : طلبوا بقتله الذكر ، لا لِثَأْرٍ كان لهم عنده ، قتلوه لشرفه طلبًا للمجد والنباهة والشرف .

١٤٠ - تَرَكْنَ مُلُوكَ حِمْيَر وهِيَ صَرْعَى   كَخُشُبِ الأَثْلِ ، غَيْرِ مُدَفَّنِينَا

١٤١ - وَنَحْنُ غداةَ ذِيْ قَارٍ صَبَحْنَا   مُلُوْكَ الْأَعْجَمِ الْأَلَمَ الرَّصِيْنَا

ملوك الأَعجم : الهامرز ، صاحب كِسْرَى ، وجَّهه إلى بكر بن وائل ، ومعه من العرب تغلب وبَهْراءُ وإياد ، وكانوا في طاعة كِسْرَى ، فقتلته بكر ، وهو يوم ذي قار ، بين البصرة والكوفة ، على طريق الطَّفِّ .

١٤٢ - أَتَوْنَا بِالظَّعَائِنِ وَاقِفَات   فَأَيٌّ ذَوِيْ ظَعَائِنَ إِذْ أُتِيْنَا

هذا يَوم جمعت بكر بن وائل الأعاجم ، ورئيسهم حنظلة بن سيَّار - شيبان (؟) وكان يكنى أبا معدان ، فشدَّ الحوفزانُ بن شريك على الْهَامَرْز ، وقتلت بنو عِجْل الحبايرين (؟) وضرب الله وجوه الفرس بالذلة ، فانهزموا .

يقول : أتونا ونساؤنا واقفاتٌ لم يَبْرَحْنَ .

١٤٣ ـ فَجَعْجَعْنَا بِهِنْ وكانَ ضَرْبًا تُرَى مِنْهُ جَمَاجِمُهُمْ فُثِينَا

جعجعنا : ألزمناهم الأرْض ، والجعجاع : التراب .

وقوله: فُثين : أي مشقّقة ، يقال : فآه، يَفْأَه، وفَأَوْتُ رَأْسَهُ بالسيف ويقال فأَيْتُ أيضًا . ويقال : فِئة وفئين : أي جماعة .

١٤٤ ـ فَأَيٌّ عِمَارَة كَالْحَيِّ بَكْرٍ إذَا اللَّزْبَاتُ لقبت السِّنِيْنَا

أيٌّ : تَعَجُّبٌ . أراد أي أصحاب . والعِمَارة : القبيلة العظيمة التي تطيق الانفراد ، والجمع العماير . لقبت : يقول : لم يكن للسنين اسم من شدة الحال. والا لزبة وسنة يقال : أراد به عام الرمادة، وعام الحطمة ونحو ذلك .

١٤٥ ـ وَأَيُّ عِمَارَة كَالْحَيِّ بَكْر إذَا مَا الْبِيْضُ زَايَلَتِ الْجُفُونَا

البيض : السيوف ، أيْ أُخْرِجَتْ من غمدها .

١٤٦ ـ أَكَرُّ غَدَاةَ إبْسَاس وَنَقْر وَأَكْشَفَ لِلْأَصَايِلِ إذْ عَرِيْنَا

يعني بكر بن وائل ، والإبساس : التسكين للخيل في الحرب ، ويقال : أَبَسَّ الناقةَ للحلب .

والنقر : صُوَيْتٌ مثل التَّمَطُّقِ . يقال : نقر ينقر ، معناهُ : أي حيٌ في ذلك الوقت .

والأصايل : العشيات .

وعرين : بَرَدْنَ . وعَرِيْنَ من السَّحاب ، أي انجردن ، يعني السماء .

وأكشف : أي يطعمون الضعاف فَيُكشَفَ ضُرُّهُم .

١٤٧ ـ وأَغْضَبَ عِنْدَ مَنْدَبَة قِيَامًا وأَحْلَمَ فِي الْمَجَالِسِ مُحْتَبِيْنَا

منهم : من بكر بن وائل . والمَنْدَبَةُ : الفضيحة ، وجمعها مندبات أي لا يُنْطَق عندهم بالفحش .

١٤٨ ـ وَأَطْيَبَ فِي الْمَغَارِسِ نَابِتَـاتٍ ... وأَفْضَلَ فِي التَّقَايُسِ لِلَّدِيْنَـا

أَفْضَل : أي في المقايسة . واللِّدِيْنُ : يعني الأتراب والواحدة لِدَة .

١٤٩ ـ وأَسْيَرَ باللَّوَامِعِ خَافِقَـاتٍ ... إلىَ الْغَمَرَاتِ حَتَّىٰ يَنْجلِيْنَا

أسير باللوامع : وهي الأَلْوِية ، وهي تلمع وتخفق .

١٥٠ ـ وأَقْدح في ثَواقب وارياتٍ ... وأَنْجح فِي الْمكَارِمِ طالِبِيْنَا

أي يقدحون في زنادٍ ثاقبة مضيئة ، أي يكشفون عن الظلم بِرأْيهم . يقال : أَثْقِبْ نارك ، أَيْ أَشْعِلها .

١٥١ ـ ونَحْنُ عَلَىٰ شَراحِيْل بْنِ عمْرو ... شَهرْنَا الْبِيْضَ غَيْر مُحلِّلِيْنَا

يريد شرحبيل بن عمرو المقصور ، وهو أخو حُجْرٍ ، وقُتِل شُرحبِيل يوم الكُلَاب ، قتله عُصيم بن النعمان من تغلب .

محللين : يقال : حلَّل وهلَّل إذا جبُنَ ، وكاع .

١٥٢ ـ أرادَ لِكَيْ يذوق بني نِزَارٍ ... وَلَمْ يَسْأَلْ ـ فَيُخْبَرَ ـ عَالِمِيْنَا

أراد : لم يسأل عالمين فيخبر بنا .

١٥٣ ـ فَصَادَفَ تَغْلِبَ الغَلْبَاءَ لَمَّـا ... تَمَطَّقَ فُوْهُ شَرْبَةَ ذَائقِيْنَا

تغلب : هم الذين غزوا شراحيل ، وكلُّ غليظ : أغلب .

وقوله : ذاق حربه (؟) .

١٥٤ ـ أطارُوْا قحْفَ هَامته بِعَضْبٍ ... كَأَنَّ سَنَاهُ شُعْلَة قَابِسِيْنَا

١٥٥ ـ وَقَالُوا : خُذْ تُحَيِّيكَ ابْنَ عَمْرو ... كما ذاق أَخَاكَ بَنُو أَبِيْنَا

خُذْ تحييك بهذا العَضب كما تقول : خُذْهَا مِنِّي ، تَهْزأُ به أي كما قتل أخاك بنو أبينا ، أي كما قد حيَّاه بالسَّيْفِ .

١٥٦ ـ أَبَيْتَ اللَّعْنَ دُونَكَهَا فَإِنَّا   كَذَاكَ تَحِيَّةُ الأَمْلَاكِ فِينَا

أبيتَ اللعن : كلمة كانت تقال للملوك في الجاهلية .

١٥٧ ـ وَرَاجِ لِيْنَ تَغْلِبَ عَنْ شِظَافٍ   كَمُتَّدِنِ الصَّفَا حَتَّى يَلِينَا

شظاف : يقال شظف الشيءُ إذا يَبِسَ .

وقوله : كمتدن الصفا : يقال : ودنت الشيء بللته ، فأنا أدِنُهُ ، وَدْنًا أي من يَرْجُو لِيْنًا كمن يبل الصخر . مُتَّدِنٌ : مُفْتَعِلٌ من وَدَنْت ، ومثله مُتَّعِدٌ .

١٥٨ ـ وَقَدْ لَاقَى لِصَعْبَتِهِ نِزَارًا   شَرَاحِيْلُ بن أَصْهَبَ رَائِضِينَا

يعني شراحيل بن الشيطان بن الحارث بن الأصهب ، قتلته بنو عامر ابن صعصعة .

يقول : لاقى لصعبته : يعني لناقته الصعبة ، أو لفرسه الصعبة ، وأراد : نفسه ، وهو مثل ، قتله الوَرْد بن عمرو . ويقال في مثل : والله لأُرَوِّضَنَّ صَعْبتك .

١٥٩ ـ كَأَنَّ الأُمَّ أُمَّ صَدَاهُ لَمَّا   جلوا عنها غَطَاطَةَ حابِلِيْنَا

يعني أُمَّ رأسه ، يريد الدماغ . وعنها : أي عن الأُمِّ ، وشبَّهها بغطَاطة وهي القطاة في اجتماعها ، يريد دماغه حين أطاروا عنه القُحْفَ ، فَبَدَتْ قطاة جاثمة ، والحابلين : أي أصحاب الحِبَالة .

١٦٠ ـ وَسَيْفُ الحارث الْمَغْلُوبِ أَرْدَى   غُصَيْنًا في الْجَبَابِرَةِ الرَّدِيْنَا

يعني الحارث بن ظالم ، كان يقال لسيفه المغلوب ، سيفه ـ كان مشدودًا بالعلباء ، كما تشد اليوم بالسير .

وغصين : لم يعرف .

والرَّدين : الهالكين ، الواحد : رَدٍ ، وأرديته أنا أي أهلكته .

١٦١ ـ وأَتْلَفَ وَاحدَ النُّعْمَان لَمَّا   أراد [به] الجريرة أَنْ يَشِيْنَا

أَتْلَفَ الحارث بن ظالم : قتلَ ابنَ النعمان .

وقوله : أراد به ، أيْ بالحارث . والجَرِيْرَةُ : الداهِيَة. ويشين : من الشين .

١٦٢ ـ أَرَادَ بِهِ لِيَرْأَمَ بَوَّ غَدْرٍ   فَهَيَّجَ لَا أَلَفٌ وَلَا مَهِيْنَا

أي أراد النعمانُ بالحارث بن ظالم أن يعطفه على [أمْر] فيه سبَّةٌ وعيب .

وَبَوّ غَدْر : والبَوُّ جِلْدٌ يُحْشَى تِبْنًا ، يوضع بين يَدَي الناقةِ لِتَرْأَمَهُ .

وقوله : هَيَّجَ : حَرَّكَ منه . والأَلَفُّ الضعيفُ ، والمَهِيْنُ مثله .

١٦٣ ـ وهَاشِمُ مُرَّةَ ٱلمُفْنِيْ مُلُوْكًا   بِلا ذَنْبٍ إِلَيْهِ ، ومُذْنِبِيْنَا

يعني هاشم بن حرملة المُرِّي ، شريف غطفان .

قوله : بلا ذَنْب إليه ، ومذنبينا : يقول : يقتل من له ذنب ، ومَنْ لا ذَنْبَ له . كما قال :

أَحْيَا أَبَاهُ هاشِمُ بْنُ حَرْمَلَهْ   يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ ومَنْ لَاذَنْبَ لَهْ

١٦٤ ـ وَيَوْمَ ابْنِ الْهَبُوْلَةِ قَدْأَقَمْنَا   خُدُوْدَ الصُّعْرِ ، والأَوَدَ الْمُبِيْنَا

ابنُ الهبولة : ملك من ملوك غسّان ، قتله حُجْرٌ آكِلُ المُرَار .

والصُّعْرُ : المائلة ، الواحد أَصْعَر ، وهو المائل الْخَدِّ ، في شين ، يوصف به الْمُتَجَبِّر .

والأَوَدُ : العِوَجُ ، يقال : أَوِدَ يَأْوَدُ أَوَدًا .

١٦٥ ـ وآلُ الْجَوْنِ قَدْ وجدوا لِقَيْس   أَفَاعِيَ لَا يُجِبْنَ إِذَا رُقِيْنَا

الجون : ملك في حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم قتلته عَبْس وعامر. وقوله : أفاعي أي رجال كأنهم الأفاعي ، لايقبلون الخديعة والمكر ،

كالحيّة تَمْتَنعُ عَلَى الرّاقِي ويقال: هو حسّان ومعاوية ابنا الجون الكِنديّانِ قتِلاَ يَوم رحرحان .

١٦٦ ـ هُمُ تَرَكُوا سَرَاتَهُمُ جِثِيًّا   ومَادُوْنَ السَّرَاةِ مُغَرْبَلِيْنَـا

يقول : جثوا على الرُّكَب صَرْعَى . يقول : تركنا خيارهم ، وهم السّراة مغربلين : مقتول ومجروح وناج .

جِثِيًّا : أي جثوة . ويقال : غربلوا السراة ، اختاروهم للقتل ، ومنه :

تَرَى الْمُلُوكَ حَوْلَهُ مُغَرْبَلَهْ

١٦٧ ـ وَآلُ مُزَيْقيَاء غَداةَ لاَقَوْا   بَنِيْ سَعْدِ بْنِ ضَبَّةَ مُؤْلِفِيْنَا

وإنما سُمِّي مُزَيْقياء لأنه عاش ثمان مئة سنة [سُوْقةً] ،وأربع مئة سنة ملكًا على خزاعة وقوله : مُؤْلِفيْنَ : من العَدَد ألف ، وقد ألفُوا : صاروا ألفًا ، وأمْأوْا : صاروا مئة . وكان ابن مُزَيقياء غزا بني سعد بن ضبّةَ ، فقتله عامر بن صامرك (؟) الضّبيُّ .

١٦٨ ـ أتَوْهُمْ يَحْسِبُوْنَهُمُ جَنَاةً   فأقْلص أيْدِيًا ما يَجْتَنِيْنَا

يعني آلَ مُزَيقياء أتَوْا بني سَعْد يحسبونهم شيْئًا يُجْتَنَى سَهْلاً ، عَسَلاً أو شَهْدًا ، فلما جَنَوْهُ كانَ شَوْكًا ، تنبو عنه الأيدي أقلص : أي فاتهم ؟

١٦٩ ـ وأضْحَكَت الضِّبَاعَ سُيُوفُ سَعْد   بقَتْلَى ما دُفِنَّ وَمَا وُدِيْنَا

أضحكتْ : لأنّها تأكل الحصى ، وإذا رأت الضّبُعُ قتيلا ضحكتْ وهي تخدع وجَارَهَا ، فيقَالُ لها : أبشري أمَّ عامرٍ برجال قَتْلى ، فتستخذي وتلين .

١٧٠ ـ سُيُوفٌ ماتَزَالُ ظلالَ قَوْمٍ   يُهَتِّكْنَ الْبُيُوْتَ وَيَبْتَنِيْنَا

١٧١ ـ يَرَى الراؤونَ بالشَّفرَاتِ يَوْمًا   وَقُوْدَ أبيْ حُبَاحِبَ ، والظُّبِيْنَا

الشفرات : السيوف ، والشفرة حدُّ السُّيُوف ، يقول : يرون بحَدِّهَا نَارًا كنار الحُبَاحِبِ ، وهي النار التي تقدح من الحوافر في الحصا .

والظُّبِيْنُ : جمع ظُبَة . وهي الظُّبَا للجمع أيضًا وهو حدُّ السيف .

١٧٢ ـ وَلَاقَيْنَا قُضَاعَةَ يَوْمَ كَلْبٍ بِطَلْحَةَ ، والكُمَاةِ مُقَنَّعِيْنَا

ويروى : بِطِخْفَةَ .

أراد طلحة بن خُوَيْلد الفقعسي . هزمه خالد بن الوليد ، في يوم الرِّدَّة مَرَّ بِكَلْب فأغار عليهم . وقتل وسبا .

والكماة : الأشداءُ .

وفَقْعَس بن طريف بن عمرو بن قُعَيْن بن الحارث بن ثعلبة ابن دُودان بن أسد .

١٧٣ ـ عَلَى الْجُرْدِ الْعِتَاقِ مُسَوَّمَاتٍ نُشَبِّهُهَا ضِراءَ مُكَلَّبِيْنَا

الْجُرد : الخيل القصار الشعور ، يقال : فرس أجرد .

مسومات : معلمات ، والضِّرَاءُ : الكلاب . واحدها ضِروٌ ، والأُنثى ضِروَة ، ومُكَلِّبين : أصحاب كلاب .

١٧٤ ـ غَوَامِضَ فِي الْعَجَاجَةِ مُصْعَبَاتٍ بِكَذَّانِ الأَمَاعِزِ يَرْتَمِيْنَا

أراد بغوامض قد دخلتْ في الغبار ، مصعبات : مائلات من السِّياط والكذَّان : حجارة رِخْوَةٌ ، والأَماعِزُ : حصًا صغار ، أي تَرْمِي الحصا بحوافرها .

١٧٥ ـ عَوَابِس يَتَّخِذْنَ بَنَاتَ كَلْبٍ خَوَادِمَ يَحْتَطِبْنَ وَيَحْتَسِيْنَا

عوابس : كوالح : يحتسين : يستقين الماءَ منَ الْحِسْي ، وهو ماءٌ يكون تحت الرمل ، فوق أرض صلبة .

١٧٦ ـ وَيَنْصِبْنَ الْقُدُوْرَ مُشَمِّرَاتٍ يُخَالِسْنَ الْعَجَاهِنَةَ الرَّئِيْنَا

العجاهنة : الطباخون ، الواحد عجاهن .

والرُئين : جماعة الرِّئة . أي يستلبن الرِّئة مِنَ الطبّاخين إذا غفلوا عنهن .

١٧٧ ـ وَلَا يُدْنِين (؟) من خَضَرحَيَاءٍ على أعْقَابِهِنَّ إذَا رُمِينَا

يقول : ليس لهنّ حياءٌ ، يرسلن الثياب على أعقابهن إذا رُمين ، يريد دم الحيض نسبهن إلى البذاء وقلة الحياء .

١٧٨ ـ ولايَرْضَى بِهِنّ بَنُو قُعَيْن لِأَوْلَاد ، وَلَا مُتَمَتِّعِينَا

بنو قُعَيْن : من بني أسد ، لا يتخذونهنَّ أمّهاتِ أولاد ، ولا لِلْمُتْعَةِ .

١٧٩ ـ مَعَ الْعُضْرُوْطِ والعُسَفَاء ألْقَوْا بَرَاذِعَهُنَّ غَيْرَ مُحَصَّنِينَا

العضروط : التابع . والعُسَفاءُ : الأُجَرَاءُ .

يقول : فبناتُ كَلْب ألْقوا البراذِعَ مع هاؤلاء الأُجراء ، يفجرون بهن .

والمُحْصَنَات : العفائفُ وذواتُ الأزْواج .

١٨٠ ـ ألَا أبْلغْ ذَوِيْ يَمَن رَسُوْلا فَإيَّاكُمْ وَعُرَّةَ مُجْرِبِيْنَا

أراد الرؤساء منهم . أي لاتقربوني، فإني أعْدِيْكم بالجرب . والعُرَّة : الجرب ، والمُجْرِبُ : صاحب الإبل الجرباء .

١٨١ ـ فَإنِي قَدْ رَأَيْتُ لَكُمْ صُدُوْدًا وتَحْسَاءً بِعِلَّةِ مُرْتَغِيْنَا

هذا كله مثل ، أي يظهرون لنا خلافَ ما يضمرون من العداوة كالذي يحسو اللبن في الارتغاء ، يريد الرغوة ، يقال : إنه يُسِرُّ حَسْوًا في الارتغاء.

١٨٢ ـ تَجَاوَزْتُمْ إلىَّ بِغَيْرِ ذَنْبِ شُبَيْثًا والأَحَصَّ مُوَتّرِيْنَا

شبيث والأحصُّ : ماءان بالحيرة ، ويقال : إنهما جبلان ، ومنه قول

جِسَاسٍ لِكُلَيْب : تجَاوَزْتَ الأَحصَّ وشُبَيْثًا ، أي صرت إلى هذا المكان بغير ذنب .

١٨٣ - رَجَاءَ أنْ أكُوْنَ لَكُمْ مِجَنًّا وتَرْمُوني بِأَسْهُمِ آخَرِيْنَا

أي ترجون أن أكون لكم تِرْسا تتقون به ، وترمونني بِأَسْهُمِ غيركم تظهرون أنكم أوِدَّاء ، وأنتم تحت ذلك تغرون بي . ومثله : تصيد العقارب بيدي .

١٨٤ - وأَقْصِدُ إنْ رَمَيْتُ إلى سِوَاكُمْ بنبلي حكم (؟) يحكمونَا

أي إنصاف(؟) هذا أن تكونوا أعدائي وأرمي غيركم .

١٨٥ - فَلَيْسَ كَذَاكَ أَمْرُكُمُ وأَمْرِي فَإيَّاكُمْ ومُـدْيَةَ بَاحِثِيْنَـا

يقول : ليس كالذي ذكرت لكم فيما مضى . أي رأيت لكم صدودًا وحيث يقول : تجاوزتم أي أنا لست ممن تُضْرَبُ له الأمثال ، لأنَّ القرابة قريبة ، والرحم واشِجَةٌ ، فإيَّاكم أنْ تثيروا مني مافيه حَتْفكم ، كالباحث عن مُدْية ذُبح بها .

١٨٦ - تَيَمَّنْتُمْ بِمُؤْتَشِبٍ حَمِيْلٍ لَعَلَّكُمُ بِهِ تَتَشاءَمُوْنَا

تيمنتم : من اليمن ، والمؤتشِبُ : المختلط ، يقال : أشبهُ يَأْشِبُهُ أَشْبًا : خلطه بِشَيْءٍ ورَمَا به ، ويقال للخليط من الناس : أشابه .

أراد بمؤتشب : خالد بن عبد الله القسريّ ، ويقال : أراد حكيم بن عياش الكلبيّ الأعور ، والحميل : الذي لايُدْرَى من أبوه ، يحمل من أرض الشرك .

أي لعلكم سَيُشْئِمُكُمْ . ويروي : خميل : خامل .

١٨٧ - رَكِبْتُمْ صَعْبَتِي أَشَرًا وحِينًا(؟) ولَسْتُمْ لِلصِّعَابِ بِمُقْرِنِيْنَا

أي ركبتم أمري . أشَرا : بَطَرًا . والمُقْرِنُ : المطيق .

١٨٨ - مَرَاكِبُ صَعْبَةٌ لَسْتُمْ عَلَيْهَا   إذَا غَبَّ الْحَدِيْثُ بِمُنْقِضِيْنَا

أيْ إذا تُحُدِّثَ بها لاتقدرون على الكفِّ منه ، لأنّها سارت في الأمصار .

وغبّ الحديث : صار إلى العاقبة . وغبُّ كل شيء آخره .

يقول : الدوابُّ التي ركبتموها ليستْ مما ينقض بها كما ينقض بالدواب ، والإنقاض : زجْرٌ وصوت .

١٨٩ - فَقَدْ لَقّحْتُمُ وأَبِي أَبِيْكُمْ   حَوَائِلَ ، فَانْظُرُوْا مَا تُنْتِجُوْنَا

لقحتم : يعني حُرُوبًا حوائل : أي عن حيال ، بعد طول السلم ، وهي أشدُّ ما تكون ، الواحد من الحوائل حائل ، إذا لم تحمل .

ونتجت الناقة تُنْتِجُ نِتَاجًا ، ونَتَّجْتُهَا أنا .

١٩٠ - إذَا قَبَضَ الْأَكُفَّ مُذَمَّرُوْكُمْ   عَلَى الْيَتْنِ الَّذِي تَتَنَظَّرُوْنَا

قبض : أيْ ردَّ يده ، يعني المذمِّر ، وهو الذي يضرب يَدَهُ إلى الولد في بطن أمِّه ، فيعرف ذكره من أنثاه .

يقول : أنتم تعرفون غِبَّ أمركم ، بعد ما انقلب فَصَار يتنا ، واليتن أن تخرج رِجْلاَ المولود قبل رأسه .

١٩١ - وأَلْقَيْتُمْ إليَّ دِلَاءَ قَوْمٍ   بِمَا رَفَعَتْ دِلَاؤُكُمْ عَمِيْنَا

ألقيتم : يريد ألقيتم إليَّ كلامًا لم تدروا ما فيه .

ضربه لهم مثلا ، لأنَّ الدِّلَاءَ إذَا خرجَتْ لمْ يُدْرَ أمَاءٌ فيها أمْ أفْعَى ، أم دم أمْ غيره .

لأنكم حين تعرضتم لي كقوم قذفوا دلاءهم في قليب يعرفون منها ، وهم جُهلاءُ بما يغرفون منها ، عَمُونَ بذلك ، كما قال الله تبارك وتعالى : (بَلْ هُمْ منْهَا عَمُون) .فيقول (؟) في هذا القول : زيد عمي القلب ،

فعمي القلب ذكره(؟) فلذلك نصب الياء ، وهذان الزيدانِ عميا القلوب وهؤلاء الزيدون عمِي القلوب ، الميم مكسورة ، وذهبت الياء الثانية لالتقاء الساكنين ، وكان أصله (عميين القلوب) وهذا رجل عَمِي القلب ساكنة الياء ، ورجلان عميا القلوب ، ورجال عمو القلوب ؛ هذا فيمن قرأ : (وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمِيٌ) فإنه اسمٌ تقديره صَدًى ، وهو صفة ؛ وهو فعل منه تقول رجل عَمٍ ، ورجلان عميان ، ورجال عمون ؛ قال الله جلَّ وعزَّ : (وَكَانُوْا قَوْمًا عَمِيْنَ) . وتقول : امرأة عَمِيَة ، وامرأتان عمياتان(؟) ونساءٌ عميات ، ومن قرأ : (وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) بفتح الميم فإنه مصدر من قولك : عَمِيَ يَعْمَى عَمًى ، ولايُثَنَّى ولايُجْمَع ، تقول : هو عليهم عمى ، وهما عَمًى ، وهُمْ عَمًى ، ولايقال : هو عمي القلب ؛ لأن المصدر يوصف به الواحد والاثنين والجمع . والمرة والمرتين (؟) والنساء على لفظ واحده وهو كقولك هما سواءٌ ، وهم وهي وهُنَّ سواءٌ.وليس الوجه أن تقول : هذا زيد أمره عليه عَمًى ، وهاؤلاء الزيدون أمورهم عليهم عَمًى ؛ فافهم .

١٩٢ـ سَتَأْتِيكُمْ بِمُتْرَعَة دِفَاعًا حِبَالُكُم التي لاتُمْرِسُوْنَا

أي ستأتيكم دلاؤكم التي ألقيتموها إليَّ وهي مُتْرَعة سُمًّا ذعَافًا ، والذُّعَافُ :[السّمُّ] والإِمْرَاسُ أن يقع الحبلُ بين القعْوِ والبكرة . ويقال : أمرِسْهُ ، أيْ أخرِجْهُ .

١٩٣ـ فَمَهْلاً اتركُوْا مِنكُمْ عُيُوْنًا وَأَفْئِدَةً يَنَمْنَ إذَا كَرِيْنَا

مَهْلاً : أي لاتفعلوا وكُفُّوا واقبلوا العافية ، ودَعُوا قلوبكم وأعينكم تنام ، وتهدأ .

يقول : إذا التبس بهنّ (؟) يعني بالأفئدة والأعين فاتركوهنَّ ينمن ، وإنما هذا مثل .

يقول : اتركوا أعينكم تنام لا ترى ماتكره وما يَسُوْءُهَا ، لأَنَّ الرجل إذا سهر ألزم نفسه المشقَّةَ .

يقول : قروا على أمنكم قبل أن أَقَعَ بكم . قال رُؤْبَةُ :

فأيها الموعد أن يريسا عرس ولم تمنع (؟) التَّعْرِيْسَا

أي كفوا قبل أن أقَعَ بكم بما ينفّر النوم عنكم .

وكرين : يعني من الكرى .

١٩٤ ـ فَإِنَّ الْحَرْبَ تَبْعَثُ راسِيَات وَتَقْطَعُ مِنْ قَرِيْنَتِهِ الْقَرِيْنَا

يقول : الحرب إذا هاجت أثارت ماكان ساكنًا ، وفرقت بين القرينين في الحَبْل .

١٩٥ ـ ولا يصب القتيل ثياب قوم بنَضْح دَمٍ فتنْطفَ سَالمِيْنَا

١٩٦ ـ وإيَّاكُمْ وَدَاهِيَةً تَآدى نُجِدُّ بها ، وأَنْتمْ تَلْعَبُوْنَا

أي احذروا داهية تآدى : أي شديدة منكرة .

وقوله : وإيَّاكم : [أي] أن تقربوه .

وقوله : ولا تصب القتيل . ينهاهم ، يقول : إذا أصاب القتيل إنسانا أنطفه . يقول : لا يكون السقيم غيركم ، وتتهمون أنتم . ضربه مثلا. كأنه رجل سليم مَرَّ بقتيل فأصابه دَمُ القتيل ونَزَّهُ ، وقد علقت دم يتبرا من دم القتيل ازارها (؟) ، هذا مثل .

إذا قتل الرجل قيل : دَمُ فلان في ثوب فلان ، أي هو قتله .

والنضح : هو ماينضح ، والنضح أكثر من النضخ . يقول : نحن جادُّون وأنتم تلعبون .

وقوله : ينطف : أي يلطخهم وهم بُرَآءُ . ويقال : رجل نطف من ذلك الشيء إذا كان قد فعله .

ويقال : قد أنطفني فلان ، وقد نطفَ البعير إذا وصلتْ دَبَرَتُهُ إلى جَوْفه فقتلته .

ويقال أيضًا : ما نطفت من هذا الأمْر شَيْئًا ، أيْ مَا تعلقت منه بشيء.
ونطف الأَمْرُ : فسد . والنطف : الريبة .

١٩٧ ـ فَتلْكَ غَيَابَةُ النَّقِمَاتِ أمْسَتْ تَرَهْيَأُ بالْعِقَابِ لمُجْرِمِينَا

الغيابة : سحابة رقيقة ، والغيابة : الجماعة من الطير ، يقال غياية وغيابة جميعًا في معنًى واحد ، فضربه مثلا . يقول : أرَى من النِّقَم أمورًا قد اجتمعت عليكم كتلك .

وتَرَهْيَأُ : أي تَتَهَيَّأُ وتتحرك لكي تصيبكم بعقاب . وقيل : ترهيأ تمايل ، يقال : قد تَرَهْيَأت لأخذه ، وهو أن تثب إليه .

والمجرمون : الذين أصابوا الذنوب .

١٩٨ ـ صَهٍ لجَوَابِ مَاقُلْتُمْ وَأوْكَتْ أكَفُّكُم عَلَى مَاتَنْفُخُونَا

يقول : أنصتوا واسمعوا جوابي .

وأوكت : هذا مثل للعرب ، تقول : يَدَاك أوْكَتَا وفُوْكَ نَفخ .
يقول : أنتم جلبتم على أنفسكم هذا فاستمعوا مني جواب ما قلتم ، ضرب هذا مثلا لرجل ركب البحر على زقٍّ فغرق ، ولم يستوثق من الشدِّ .
والوكاءُ : الرِّبَاط ، وأوْكَتْ : شدَّتْ .

١٩٩ ـ وَمَا أعْني بِقَوْلِي أسْفَلِيْكُمْ وَلَكِنِّي أُرِيْدُ به الذَّوِيْنَا

الذَّوين : يريد الأَشْرافَ منهم ، مثل ذي يَزَن ، وذي كلاع ، وذي جَدَن وذي نُوَاس .

٢٠٠ ـ إذَا كَانَتْ جُلُودُكُمُ لِئَامًا(؟) فَأيُّ ثِيَابِ مَجْدٍ تَلْبَسُونَا

٢٠١ ـ فَإنْ أدَعِ اللَّواتي مِنْ أناسٍ أضَاعُوهُنَّ لَا أدَعُ الَّذِيْنَا

اللواتي : يعني النساء ، لا أَدَع الرجال . يقول : إن تركْتِ نِسَاءكم اللاّتي لم تحموهُنَّ لَمْ أَدَعْكُمْ أنتم .

٢٠٢ـ وَلَا أَرْمِي الْبَرِيْءَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ ولَا أَقْفُوا الحواصِنَ إنْ قُفِيْنَا

أقْفُو : أقْذِف . أي لا أَفْتَرِي ، ولا أقصد إلى مَنْ لاذَنْبَ له إلىَّ فأنالَ منه .

إنْ قُفِيْنَا : أي إن افْتُرِيَ عليهن بالباطل والكذب .

والحواصن : العفائف وذوات الأزواج .

٢٠٣ـ ولَا أَكْوِي الصِّحَاحَ براتِعَاتٍ بِهِنَّ الْعُرُّ ، قَبْلِي مَا كُوِيْنَا

يقول : لا أَشْتِمُ من لا ذنْبَ له ومن لم يُجْرِمْ إليَّ ، والذي يشتمنى قد شتَمَتْهُ قبلي أُناسٌ ورموه بالذي أَرْمِيْه .

والعُرُّ : الجَرَبُ . والعُرُّ : قرحة تخرج على مشْفَرِ البَعير ، وكان أهلُ الجاهلية بجهلهم يعترضون بعيرًا من الإبل الذي لم يقع عليه ذلك ، فَيُكْوَى مِشْفَرُهُ ، ويروي أنه يُذْهِب القروح من إبلهم .

قال خالد : العرُّ داءٌ غير الجرب ، يَتَمَعَّطُ لَهُ وَبَرُ البعير .

يقول : لاأُلْزِمُ الذنْبَ إلا صاحبَه . ومثله :

كَذِي الْعُرِّ ، يُكْوَى غَيْرُهُ وَهْوَ رَاتِعُ

٢٠٤ـ سَتَتْخِمُونَ أخْذَ ماحَلَبْتُمْ لَبُوْنَ الْحَرْبِ إنَّ لَهَا لَبُوْنَا

يقال لِلَّبَنِ إذَا أخذ فيه طعْمُ الحموضة ، والغروض أخذ ، وقيل : اللبن إذا أخذ طعم الزِّقِّ . ومعناه :

يقول : تتخمون بما تكلمتم وما جنيتم . وجعل للحرب لبونًا ، واللَّبُون من الإبل إذا وضعتْ،وأتي على فصيلها ثلاثة أعوام ، إذ حَمَلَتْ أُمُّهُ في السنة الثانية ، فإذا أرضعته من لبن غيره فهو ابن لبون .

٢٠٥ –ويَبْلُغُ شُخْبُها الأَقْدَامَ منكُمْ   إذَا أَرْتَانِ هَيَّجَتَا إرِيْنَا

الشُّخْبُ : اللبن ، والشخب : العَصْرُ بيَدك . يقول : تبلغ منكمْ مايبلغ الشخب إذا عُصرَ فسال حَتىً ينتهي إلى أطراف الشاة وأَخْفَاف البعير . ويقال : لَأَبْلُغَنَّ شخبها قد مثل أي لاهينَّ العصب (؟) قيد (؟) من قَرْنك إلى قدمك .

أَرْتَان : حُفرَتان توقد فيهما النار ، والإِرِيْنُ : جماعة الأَرَة ، يعني نار الحرب أيْ حَرْبَان هَيَّجَتَا حروبًا .

٢٠٦ –رُوَيْدَ وَعِيْدِكمْ ورُوَيْدَ، إنَّا   وإيَّاكُمْ وآخِرُ أَوَّلِيْنَا

رُوَيْد : يقول : أقِلُّوْا وَعِيدكمْ للعرب ، ورُوَيد تنصب به بغير تنوين على تأويل : رود زيدًا . يقول : ارفقوا ببعض تهددكم وأقصروا منه ، فأنا مَنْ قد عرفتم ، كان آباؤنا لآبائكم أعْدَاءً ، ومثله :

سنَّ العداوة آباءٌ لنا سلفوا   فلن تَبِيْدَ و للآباء أبناءُ .

٢٠٧ –نَحَتُّمْ بِالْمَعَاوِلِ صَخْرَتَيْنَا   فَأَبَّسْتَا أَكُفَّ النَّاحِتِيْنَا

هذا مثل ضربه ، أراد بالصخرتين ربيعة ومُضَرَ ، أخذه من الأعْشَى :

فَلَسْتَ مُنْتَحِيًا عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِنَا   ولَسْتَ ظَائِرَهَا مَا أَطَّتِ الإبِلُ

أي نَحَتُّمْ فلم تجدوا عَيْبًا ، فأَبَّسَتْ أكفّكم ، يقال : أَبَّسَ في الحائط ، أي أثَّرَ فيه .

٢٠٨ –عَجَمْتُمْ عُوْدنَا وعَجَمْتُمُونَا   فَأَنْبَيْنَا ضُرُوْسَ الْعَاجِمِيْنَا

عجمتم : مَضَغْتُمْ ، ثم عُدْتُمْ فيه ثانيةً ، أردتم أنْ تغضُوا منا فلم تجدوا فينا وقيعةً .

فأَنْبَيْنا : أي رددناها كما ينبو الشيءُ عن الشَّيء، ومنه قول الحكيم

الصدق ينبي عنك [لا] الوعيد . يقول : إنَّ صدقك رُبَّما كان الذي يدفع عنك المقال السُّوء .

٢٠٩ - بِأَيِّ مَشِيئَةٍ في ابْنَيْ نِزَارٍ تُهَمِّمُنِي أُكُفُّ اللاَّمِسِينَا

أي بأيِّ إرادة تطلبني . والمُتَهَمِّمُ : المتلمس .

وقال خالد : تهممني : تلمسني . والتهمم والتهمهم واحدٌ ، وهو شبه الفَلْيِ ، يقال : هَمِّمِيْنِي في رأسي ، أي أَدْخِلِي يَدَكِ في رأسي .

يريد : بأيِّ مشيئة تناولني وتلمسني .

٢١٠ - وَلَوْ أَنِّي بَسَطْتُ قَبَضْتُ عَنْهُمْ وعَنِّي أَيْدِيَ الْمُتَهَمِّمِينَا

يعني لو أني مددت يدي أو بسطتُ لساني كففت عني وعن بني نزار أَيْدِيَ المتهممين أي المتلمسين الذين يطلبونهمْ بسوء .

٢١١ - أَفِي الْجُفَّيْنِ وَيْحَكَ تَبْتَغِينِي ضَفَادِعُ في وَقَائِعَ يَنْتَحِينَا

الْجُفَّانِ : بكر وتميم ، قال : هما الحلفان أسد وغطفان ، وجفُّ الشيء معظمه ، يقول : هم في عظم هذين الجفَّيْن أي الْحَيَّيْنِ . تطلبني كأنها الضفادع فالجف هو عظم الشيء وجميعه ، قال ابن عباس : لا نَفْلَ حتى يقسم جُفُّه .

أي شبهها بالضفادع لأنها ليست من الدوابِّ ، لها أظفار ومخالب فتنتصر .

والوقائع : النُّقَرُ التي تكون في الصخور ، يستنقع فيها ماءُ المطر .

وينتحين : يَصِحْنَ ، وعَنى بالضفادِع أهلَ اليمن ، جعلها ضفادعَ في ماء قليل .

أي تتبعني وأنا في بَكْرٍ وتميم ، لا يُقْدَرُ عليَّ ، ويقال لبني تميم الجُفَّيْن لكثرتهم .

٢١٢ ـ ضفادِع جَيْة حَسِبَتْ أضَاةً مُنَضَّبَةً سَتَمْنَعُهَا وَطِيْنَـا

الجيّة : الماءُ يكون في الحفيرة ، يستنقع فيها . والأضاة : الغدير .

منضبة : ذهبت إلا قليـلا .

يقول : حسبت هذه الضفادع أنَّ هذه الأضاة وهذا الطين يمنعها ممن يريدها ، فضربه مثلاً لهؤلاء .

يقول : ظنوا أن الماء والطين حصن لهم مما يكرهون . والمعنى أنصارهم ضعفاءُ ، والأضاة جمعها أضاءات .

٢١٣ ـ أنَنْفِـرُ أمْ نُعَاقِبُ إذْ أتتنـا جنادعُ مِنْ قوارص يَحْتَذِيْنَـا

يقول : أنحسن أمْ نُسِيء ، ويروى :

أتتنـا قوارص من كلام يَحْتَذِيْنَا .

من قوله : يقرص أي يوجع .

وجنادع : أوائل كل شيء ، عن الأصمعي . قال رُؤْبَةُ :

وعَطْعَطَتْ من نقضه الجنادعا (؟)

أي أوائلها ، أراد الثور وأوائل الكلاب . وعطعطت : فَرَّتْ .

ويحتذينـا : يسألنـا ذلك ، يقال : احتذيتُ الرجلَ ، أي سألته الحذي وهو العطية .

قال غير الأصمعي : الجنادع التي ترتفع فوق رأس الماء إذا صببته ، وما فوق الشراب كالحَبَب . ويحتذينـا .: يعتمدنا .

٢١٤ ـ جنادِعَ مِنْ قَوَارِصَ لَمْ تَجَاوَزْ أغَانِيَّ الذُّبَابِ وَلَا الطَّنِيْنَـا

أغاني : جمع أغنية مثل أدعية وأداعي ، يقول : هو كلام ضعيفُ الحِسِّ ، كأنه صوت الذباب ، وهو أضعف الأصوات . والطنين : طنين الذباب .

٢١٥ ـ فَأَيا ما يَكُنْ يَكُ وَهْوَ مِنَّا   بِأَيْدٍ ما وَبَطْنَ وَمَا يَدِيْنَا

يريد العقاب أو التجاوز ، أيُّ الأمْرَيْنِ كَانَ يكن بِأَيْدٍ غير ضعيفة ولاساقطة .

وقوله : وَبَطْنَ : الوابط الضَّعيف . ويقال يَدِيَ الرجُلُ مِنْ يده ، إذا خرج فيها قرح أوْ خُرَّاج .

وقوله [يدينا] : أي يشتكينَ أَيْديْهنَّ .

٢١٦ ـ فَإِنْ نَعْفُوْ فَنَحْنُ لِذَاكَ أَهْلٌ   وإِنْ نُرِدِ الْعِقَاب فَقَادِرِيْنَا (؟)

أي أما العفو والعقاب فنحن نتناوله بِأَيْدٍ ما بطن ، فنحن نقدر على ما نختاره .

٢١٧ ـ عَلَامَ تَقُولُ هَمْدَانُ احتذينا   وَكِنْدَةُ بِالْقَوَارِصِ مُجْلِبِيْنَا

عَلَام : في معنى استفهم ، أي أرادتنا همدان أو استعطتنا . والقوارص الأذى من الكلامِ الذي يوجع. والمُجْلِب: المُعين ،من قولك: أَجْلَبَ الرجلُ صاحِبَهُ ، أي أعانه .

٢١٨ ـ وَلَمْ نَقْدُدْ لَهُمْ أَدُمًا صِحَاحًا   وَلَمْ نَهْتِكْ حِجَابَهُمُ الْكَنِيْنَا

أي علام يُعين بعضهم بعضًا ، ولم نشتِم لهم عرضًا ، ولا كشفنا حجابًا عن سوءآتِهِم ، ولم نذكر لهم عيبًا فَعَلَامَ يتعمدوني بذاك ؟

الكنين : الستير ، أي لم نهتك سترهم الثخين الذي كان يستر معايبهم .

يقول : حين عتبوا علينا أرادوا أن يستعتبونا .

٢١٩ ـ فَلَاهُمْ عِنْدَ مَعْتَبَةٍ رَأَوْنَا   كَأَهْلِ أُخُوَّةٍ مُسْتَعْتَبِيْنَا

٢٢٠ ـ فَنَنْظُرَ كَيْفَ نُعْتِبُهُمْ وَإِلاَّ   فَآدِمَةٌ عَلَى بَلَلٍ طُوِيْنَا

أي نرجع لهم إلى ما يحبون ، أي إنا نبالغ في الرجوع إلى ما يُحِبُّون ،

وإلاَّ فَهُمْ مثل الأَدِيْم يُطْوَى على فساده . أي اعتبناهم (؟) وإلا فَإِنَّ قلوبنا فاسدة لهم ، كما يطوى الأَدِيم على فساده .

يقول : لم يفعلوا فينتظروا أَنُعْتِبُهُمْ أم لا ، فإن أَعْتَبْناهم وإلاَّ طَوَوْنا على ما فينا ، واغتفروا ذاك ، كما تفعل الإخوة . ومنه قولهم : طَوَيْتُ الأَدِيْمَ على بَلَلِهِ وبَلَّتِهِ وبِلَالَتِه .

٢٢١ – وَما أَرْضَى بِغَيْرِ بَلَاءِ سُوْءٍ لِهَمْدَانَ التربُّص والأُنَيْنَـا

يقول : وما أرضى لهم إلا الأُنينَ من غير أن يصيبهم منَّا أَمْرٌ يسوءهم ويبلغ منهم .

يقول : نحن أَعْدَاؤهم كما يزعمون فلا نرضى لهم إلا البلاء .

وقال غيره : يعني يرضون فلا يظهرون لي الشي (؟) .

٢٢٢ – وَمَا أَرْضَى لَهُمْ أَلاَّ يَضُرُّوا عَدُوَّهُمُ ، وأَلاَّ يَنْعَمُوْنَا

يقول : وما أرضى لهم ألا يضروا من عاداهم ، وألاَّ ينفعوا من صادقهم فليضروا ولينفعوا ، إن قدروا على ذلك ، ولكنهم لا يقدرون ، يهزأ بهم .

٢٢٣ – أَصَادِقُ أَلَّفُوْا منَّا ومِنْهُمْ بِلاَ نَسَبٍ إلى الظَّرِبَانِ نُوْنَا

أصادق : جمع صديق ، يقول : هم هكذا كانوا أصدقاءنا . فَأَلَّفُوا منَّا : جمعوا منا ومنهم إلى الظربان ، وهو دُوَيْبَّةٌ تكون في البادية ، أَنْتن ما خلق الله رِيْحًا ، فُوَيْقَ ابن عِرْس .

يقول : ألفتم بينكم وبين ربيعة كما يؤلف بين الظربان والنُّوْن ، وهو السمك ، وهذا بَحْرِيٌّ وذاكَ بَرِّيٌّ ، وكذلك نحن بَرِّيُّون واليمن من البحر ، فكيف اجتمعتم أنتم وهم ؟!

٢٢٤ – وأَزْدُ شَنُوْءَةَ انْدَرَعُوْا إِلَيْنَـا بِجُمٍّ يَحْسِبُوْنَ لَهَا قُرُوْنَا

الأَزْدُ : حيٌّ من اليمن . وشنوءة : موضع . وابذرعوا : تقدموا .
ويقال : ابذرع بين يدي .

وابذرعوا : وثبوا إلينا كأنّها كِبَاشٌ لها قرون ، وليس هُمْ كذلك ، هُمْ جُمٌّ ، جمع أجَمّ أي برجال جُمٍّ ، يظنون أنّ عندهم غناء .

٢٢٥ ـ فَمَا قُلْنَا لِبَارِقَ قَدْ أَسَأْتُمْ وَلَا قُلْنَا لِبَارِقَ : أَعْتِبُوْنَا

بارق : حيٌّ من اليمن . يقول : لم نَقُلْ لهم قد أسأتم ، فنكون في حال من يستزيد ، ولا قلنا لهم : أعتبونا ، فنسترجعهم بذاك .

أي كانوا أهْوَنَ علينا من أن نقول لهم ذلك .

٢٢٦ ـ وما إنْ بارِقٌ فأَنَالُ مِنْهُمْ بِأَعْرَاب وَلَا بِمُهَاجِرِيْنَا

نَفَاهُمْ من العرب ، ليسوا ممن يسكن البادية ، ولا ممن هاجر ، فأتوا العراق فسكنتها .

٢٢٧ ـ وَلَكِنْ بَيْنَ ذَلِكَ من أُنَاسٍ بِلَيْلَى فِيْ الْغِنَاءِ مُوَكَّلِيْنَا

يقول : هم بين الأعراب والمهاجرين ، هم نَبَطٌ بليلي غَنِيٌّ بالنبطية ، والأنباط عند جَذْفِهِم تسمعهم يقولون : ليلى أليلى !! وُكِّلوا بِهَذَا .

٢٢٨ ـ وَمَذْحِجُ قَدْ رَأَيْنَاهُمْ حَدِيْثًا لِأَطْفَالِ الأَذَاة (؟) مُرَشَّحِيْنَا

يقال : إن مذحج بلغت ثلاثين ألفًا ، فأرادوا بني تميم والرِّبَاب ، وبلغ الخبر بني تميم ، فاجتمعت بنو تميم والرِّبَاب وضَبَّةُ ، فلقوهم بالكُلَاب وهو الثاني ، فاقتتلوا قتالاً شديدًا ، وقتلت مذحجُ النعمانَ بن جسَّاس التيميَّ ، وأسرتْ بنو عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، عَبْدَ يغوث بْنَ صَلاءة ، وشَدُّوا لِسَانَهُ ، فانْحَلَّت النِّسْعَةُ عنْ لسانه فهجاهم وقال :

أَقُوْلُ ـ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ أَمَعْشَرَ تَيْمٍ أَطْلِقُوا لِي لِسَانِيَا

وبذل لهم ألْفَ بعير ، فلم يقبلوها ، وقتلوه عند بيت النعمان ابن جسّاس .

٢٢٩ - وَكَانُوا إخوَةً وَيَدًا وكُنَّا لَهُمْ في الْوُدِّ غَيْرَ مُلَوِّنِينَا

يقال : بنو فلان يَدٌ على بني فلان ، أي كلمتهم واحدة .

ويقال : لَوَّنَ الرجُلُ في الوُدِّ ، إذا كان يُريه أنه يَوَدُّهُ . وهو على غير ذلك ، ولَوَّن البُسْرُ من ذلك .

٢٣٠ - فَأَمْسَوْا يُبْرِقُوْنَ بِعَارِضَيْهِمْ لَنَا في الْمُبْرِقِيْنَ ، وَيُرْعِدُونَا

الإبراق : الإيعاد ، يقال : أَبْرَقَ لِي وأَرْعَدَ ،[فإذا جئت إلى] الذي في السماء قلت : برقتْ ورعدت السماءُ ولا يقال غير ذلك .

٢٣١ - وَكُنَّا عَنْ يَحَابِرَ لَوْ هَتَفْنَا بِدَعْوَى يَالَ خِنْدِفَ مُكْتَفِينَا

يحابر : مُرَاد. يقول : كنا مكتفين عنهم لَوْ صِحْنَا : يَال خندف . بنصبِ اللام - يقول : نكتفي بهذه الدعوة - يال : بنصب اللام استغاثة وبالكسر تَعجُّبٌ .

٢٣٢ - وَإِنْ رَفَعُوا مَنَاسِبَهُمْ رَفَعْنَا إِلَى مُضَرَ الَّتِيْ لَا يَجْهَلُوْنَا

التي : أخرجه مخرجَ القبيلة .

٢٣٣ - وإنْ يَتَيَمَّنُوْا يَجِدُوْا نِزَارًا بِأَحْسَنِ إِلْفَةٍ مُتَنَزِّرِيْنَا

أي ان ادَّعَوْا إلى اليمن وجَدُوْا نزارًا متآلفين ، ومتنزّرين : يدعون إلى نزار .

٢٣٤ - بِأَرْحَامٍ شَوَابِكَ عالِمَاتٍ إِلَى أيِّ الْمَنَاسِبِ يَلْتَقِيْنَا

شوابك : مشتبكة ، مختلفة .

٢٣٥ـلَهُنْ مَنَارُ عدْنان بْنِ أُدٍّ   بِهِنَّ إلى ابْن آجر يَهْتَدينَا

يقول : لهن ـ الأعلام التي بين مَعَدٍّ وبينها من الآباء ، كل ان (؟) معروف كالمنار على الطُّرُق ، بهن : أي بالمنار إلى ابن آجر ـ ويقال : هاجَر ـ وهي أمُّ إسماعيل بن إبراهيم صلى الله عليهما .

٢٣٦ـوَقَدْ مَلأتْ عَلَيْكَ الأرْضَ قَيْسٌ   وخِنْدِفُ دَعْوَةَ الْمُتَمَضِّرِينَا

يعني قيس بن عيلان بن الياس بن مُضَر .

والمُتَمضِّرون : الذين ينتمون إلى مضر .

٢٣٧ـتَجِدْ كَلْبًا هُنَاكَ وَآلَ نَهْدٍ   شُهُودًا في الْحَفَائِظِ غائِبِينَا

كلب : ابن وبرة بن تغلب بن حلوان .

والحفائظ : جمع الحفيظة . ويقال : مايحافظ عليه من حسب .

والحفيظة : الغضب بعينه ، يقال : أحفظني فلانٌ ، أي أغضبني .

يقول : هم شهود كأغياب ، لاعندهم غَنَاءٌ ولا نَفْع .

٢٣٨ـوإن بَلَغَتْ رَبِيْعَةَ جاء مِنْهَا   أُسُودُ الْغَابِ حَوْلِي مُوفِقِينَا

أي انتهت الدعوة إلى ربيعة جاءني أنصارٌ كأُسُودِ الغاب ، وهو الأجمة ، ومثله الغريف والخيس والعريس وقوله : موفقين ، أي أوفقوا (؟) سهامهم في الْوَتَرِ ، وجاءوني على استعداد الآله (؟) .

٢٣٩ـبِأكْثَرَ مِنْ نَفِيرِ بنِى أُرَيْش   إذَا جَمَعُوا الْهَنَاتِ إلى الْهَنِيْنَا

أُرَيْش : تصغير إراش ، وهي حيٌّ من بَجيلة بن أنمار بن إراش .

ومضر وربيعة تقول : بجيلة من أنمار بن نزار .

والهنات إلى الهنين : أي مجهولين ليسوا بمعروفين ، من هاهُنا وهُنَا .

والنفير : الذين يتقدمون بين أيدي القوم ، فيأتونهم بأخبار ما قُدّامُهُمْ .

وأُريشُ : فخذ خالد بن عبد الله الذي ينتمي إليها .

ويقال : بَجيلة بن إراش بن أنمار ، فمن نسبه إلى نزار قال . إراش ابن أنمار .

وقيل : الهنات إلى الهنين : يقول : إذا جمعوا الرجال إلى النساء .

وبَجيلة بنت صَعْب بن سعد العشيرة ، وكانت امرأة إراش فغلبتْ عليهم ، فقالوا بَجيلة .

٢٤٠ – إذَا زَخرَتْ إلَيَّ بُحُوْرُ قَيْس بِخَيْرِ عُمُوْمَةِ الْمُتَعَمِّمِيْنَا

زَخَرَتْ : ارتفعتْ واشتدت وجاشَتْ . ويقال للعرق إذا طال : قد زَخر . وقال :

جَوَادٌ بِقُوْت الْبَطْنِ والعرق زاخِرُ

٢٤١ – بِمِلْءِ تِهَامَة وبِمِلْءِ نَجْد كَأُسْدِ الْغَابِ حَوْلَ الأَنْدَرِيْنَا

تِهامة : مكة . ونَجْدُ : ما دون مكة ، بمنزلين ، العراق كله نجد (؟).

والأَنْدرينَ : قرية بالشام ، يقال لها أَنْدَر ، فجمعها بما حولها ، وهذا في كلامهم كثير ، ومثله قول أبي ذُؤيب :

فَالْعَيْنُ بَعْدَهُمُ كَأَنَّ حِدَاقَها

ولها حَدَقَةٌ واحدة .

أي يَمْلأُونَ تِهامَةَ ونَجْدًا مِنْ كثرتهم .

٢٤٢ - وَصُلْتُ بِخِنْدِفَ الجُلَّى كَأَنِّي أُصُولُ بِجِنٍّ عَبْقَرَ مُغْضَبِينَا

الجُلَّى : الكبرى ، تأنيث أَجَلّ ، يعني العظيمة ، وليس للجُلَّى واحد وَعَبْقَرٌ : وادٍ كثير الجنّ .

٢٤٣ - وَجَاءَتْنِي رَبِيعَةُ في لُهَامٍ تُفَقِّيءُ أَعْيُنَ الْمُتَشَاوِسِينَا

اللُّهَامُ : الجيش الكثير ، يلتهم كلّ شيء .

وقوله : متشاوسين : أي يتشاوس في نظره ، إذا نظر شَزْرًا .

يقول : لا يدعهم يملأون طرفَهُمْ منه . وتُفَقِّيءُ وتَسْمُلُ بمعنى واحد ، أي تُعْمِيها .

٢٤٤ - وَطِئْتُ النَّاسَ مُقْتَدِرًا وَكَانُوا عَلَى رَغْمِ الْعِدَا لِي مُقْتَوِينَا

العدا : الأعداءُ . يقال : هؤلاء قوم عداة وعِدًا و أعداءٌ، والعادي العدو .

ومُقْتَوِين : خَدَمٌ ، من قولك : قَتَوْتُهُ أَقْتُوهُ ، إذا خدمته .

وقال الأصمعي : لا أعرف مقتوينا .

٢٤٥ - وَتَرْكِي حَضْرَمَوْتَ وَلَمْ تَدَعْنَا شَجًا أَعْيَا أَكُفَّ مُسَوِّغِينَا

حضرموت : من اليمن . معناه : إنما تركتهم لأنّهم لا يدعوني شجًا لقوم يبغضوني ، يريدون قتلي ، فتركي إيّاها لذلك .

والشجا : العارض في الحَلْق ، والمُسَوّغ : الذي تدفعه بماء أو بغيره ، يقال : ساغ ريْقِي ، وساغ الشراب إذا وصل إلى جوفه .

يقول : حضرموت لم تدعني في حلوق قومي ، وأنقذتني من القتل ، حين هرب من السجن .

٢٤٦ - ولٰكِنِّي تَرَكْتُهُمُ لِقَوْمٍ أَبَوْا لإِخَائِهِمْ أَنْ يَتْرُكُونَا

أيْ عفوت عنهم لغيرهم ، لقوم علقمة ، الذي استتر عِنده لما خرج من الحبس . ومثله :

فَإنْ يَنْجُ مِنَّاخشْرَمٌ فَبِغَيْرِهِ نَجَا خَشْرَمٌ تَحْتَ السُّيُوفِ الصَّوَارِمِ

٢٤٧ـ وَلَوْلَا آلُ عَلْقَمَةَ اجْتَدَعْنَا بَقَايَا مِنْ أُنُوفِ مُصَلَّمِينَا

يقول : لولا علقمة لاجتدعت بقايا أنوف أهل حضرموت . واجدعنا [قطعنا] .

والمُصلّمُ : المُسْتَأْصَلُ .

٢٤٨ـ فَأَمَّا الأَسْدُ أَسْدُ أَبِي سَعِيْدٍ فَأَكْرَهُ أَنْ أُسَمِّيْهَا الْمَزُوْنَا

أبو سعيد : المهلَّبُ بن أبي صُفْرة . والمَزُوْن : قرية بِعُمَانَ ، أهلها ملاَّحون ، وهي قريتهم التي [هم] فيها وأهل المهلب يكرهون أن ينسبوا إليها ، فهزأ كميتُ مِنْهُمْ وقال : أكره ، وذكرهم في شعره .

٢٤٩ـ وَأَذْكُرُ مِنْ أَوَاصِرِهِمْ إِلَيْنَا وقُرْبَاهُمْ طَوائِفَ مانُسِيْنَا

أَوَاصِرُ : قرابات ، الواحدة آصِرَةٌ ، وطوائف : أي جوانب .

٢٥٠ـ هُمُ أَبْنَاءُ عِمْرَانَ بْنِ عَمْرٍو مُضِيْعِيْ نِسْبَةٍ ، أَوْ حَافِظِيْنَا

عمران بن عمرو بن أسد بن خُزَيْمَةَ .

يقول : منّا من أبناء عمرو بن عمران ، لا عمران بن عمرو بن ابن حارثة بن امرىءِ القيس ، الذي هو اليوم جَدُّهُمْ فيما يزعمون ، يقول : هم أبناؤه ، ضَيَّعُوه أو حفظوه . كما قال :

واسطى نِسْبَةِ لِمَامٍ فَهَامِ

٢٥١ـ فَإِنْ يَصِلُوْا قَرَابَتَنَا نَصِلْهُمْ وَإِنْ يَغْنَوْا فَإنَّا قَدْ غَنِيْنَا

٢٥٢ـ ومن عَجَبٍ بَجِيْلُ لعمرو أُمٌّ غَذَتْكَ وغَيْرَ هَا تَتَأَمَّمِيْنَا

يقول : من العجب أيضًا بجيلة ، وتنتمين إلى غيرنا .

وتـأمَّمين : تتخذين أمًّا ؛ وهذا مثل ضربه لهم .

يقال : تـأممت أمًّا ، وتـأبيت أبًا ، وتـأخَّيْت أخًا ، وتخوَّلْتُ خالا ، وتَعَمَّمْتُ عَمًّا ، وعبَّدْت عَبْدًا ، وتعبَّدت مثله ، وتـأيَّمْتُ أمةً ، وعبدٌ بَيِّنُ العبودةُ ، ويقال : العبودية والتَّعبد ، وأمة بينة الأُموة والتـآمِي ، قال العجاج :

يرضون بالتعبيد والتـآمي .

ويقال : غلام بيِّن الغلومة ، ويقال الغُلاميَّة ، وجارية بيِّنة الجراء والجري ، ويقال : الجراية ، ووصيف بين الايصاف ، وذكر بين الذكورة وحُرٌّ بيِّنُ الحُرِّيَّة ، والحرورية ، ورجل بين الرجولة ، ودَعِيٌّ بيِّنُ الدعوة .

٢٥٣ ـ تَجَاوَزَتِ الْمَنَارَ بِلَا دَلِيـلٍ ولا عِلْمٍ بِعَسْفِ مُخَبِّطِيْنَـا

المنار : العلم في الطريق . ويعسف : أخذ على غير الاستقامة ، أي ضللت منارَ الأرض .

٢٥٤ ـ فَإِنَّكِ والتَّحَوُّلَ عَنْ مَعَدٍّ كَهَيْلَةَ قَبْلَنَـا وَالْحَالِبِيْنَـا

شاة كان اسمها هَيْلة ، لامرأة في الجاهلية ، مَنْ أساء إليها ، أَوْضربها دَرَّتْ له ، ومن أحسن إليها نطحته ، فضربها مثلا لبجيلة .

يقول : اختارت على من كان يرفق بها إذا حلبها ويحسن إليها .

٢٥٥ ـ تَخَطَّتْ خَيْرَهُمْ حَلْبًا وَمَسًّا إلى الوالي الْمُغَادِرِهَا حَضُوْنَا

الحضون : التي أحد خِلْفَيْهَا أصغر من الآخر .

٢٥٦ ـ كَعَنْزِ السُّوْءِ تَنْطَحُ عَالِفِيْهَا وتَرْأَمُهَا عِصِيُّ الذَّائِحِيْنَا

يقول لهم : أنتم كعنز السوء تنطح من يعلفها ولاتعطف عليه ، وتعطف إذا أصابها العصي .

والذايح : الطارد ، السائق . يقال ذاح يذوح ذياحًا .

يقول : أنتم كذلك تركتمونا ونحن ولو باكم (؟) وكنا أرفق ويصربكم (؟) .

وقال خالد : الذابح الذي يأخذ غنمه على طريقين ، فيقوم هو على طريق ينظر إليها حتى يجمعها والش : المسح (؟) .

٢٥٧ـ وأَوْدٌ أَجْلَبَتْ وَأَظُنُّ أَوْدًا بِمِيْسَمِ بَارق سَيُعَلِّطُوْنَا

أود : من اليمن ، دعاهم الكميت فقال : أنتم مِنّا .

وأجلبتْ : أعانتْ .

وقوله : وأظُنُّ أوْدًا . يقول : لذا إني سَأَسِمُهُمْ بالسِّمَة التي وسمت بها بارق ، والعِلَاطُ : سِمَةٌ في العُنُق ، مثل عِلَاطِ الحِجَامة ، وقيل : مثل مايكون في العنق مثل أثر الطوق .

والمِيْسَمُ : الحديدة التي يُوْسَمُ بها ، والوسم : الفعل .

٢٥٨ ـ كَرَاكِيٌّ بَعَثْنَ إلَى أَعْمَى لِيَهْدِيْهِنَّ إِذْ لَمْ يَهْتَدِيْنَا

هذا مثل ، شبههم بالكراكي ، بعثن بواحد منها وقد خيطت عينه وهكذا يصنع بالطير ، يوضع لها واحد ، قد خيط عينه .

وقوله : ليهديهن ، أي لتهدي به وهو بهن ، أي كيف يُهْتَدَى بأعمى أي أنتم مثل ذلك ، ساقكم ذلك الأعمى لحينكم .

فأما أبو عمرو فكان يقول : الأعمى سُراقة البارقي ، جاء إلى الكميت فقال له : إنّما أنتَ دِيْكٌ آخذُكَ فأذبحك وأنْتِفُك وأشْويك . قال له الكُمَيْتُ : وَلِمَ لا أُمَّ لكَ ؟

وقيل : أرادَ بِكراكي أي لاعقول لم ، هم بمَنْزِلة البهائم . قال لَبِيْدُ :

. . . . . . فإننا عصافير من هذا الأنام المُسَخَّرِ

أي بهائم .

٢٥٩ ـ لَئِن أَوْدَتْ من الشَّنَآنِ أَوْدٌ   لَقَدْ لَقِيَتْ ثِقَافَ مُقَوِّمِينَا

يقول : إن أَوْدًا عرجت علينا للبغض والعداوة ، فقد لاقتْ رجالاً يُقَوِّمُونها ويردُّونها إلى القصد .

والثِّقَافُ : خشبة فيها [ثقوب] تُقَوَّمُ بها الرِّماح .

٢٦٠ ـ فَمَا أَوْدٌ بِأَكْثَرَ مِنْ قَلِيْل   ومَا أَوْدٌ بِأَطْيَبِ أَخْبَثِيْنَا

يقول : هم قليل لا يزيدون على القليل شيئًا ، أي إنهم لا يكثرون : وما هم بأطيب أخبثين ، أي ليس لهم فضل على الخبيث ، هم مثله .

٢٦١ ـ فَمَا ابْنُ الكَيِّسِ النَّمَرِيُّ فِيْكُمْ   وَمَا أَنْتُمْ هُنَاكَ بِدَغْفَلِيْنَا

أرادَ عُبيدَ بن مالك الذي من ولد الكيِّس ، والكَيِّسُ زيد بن جارية النَّمَرِيُّ ، والكيِّسُ لقب ، وكان يأتي بابَ النعمان ومن كان مثله من الملوك ، فيسألونه عن العرب الذين يفدون إليهم عن أنسابهم فهذا الكيِّسُ ، ثم بعده ابنه عُبَيد ، نَسَّابة . وهو الذي عنى الكُمَيتُ . وكل من جاء به في شعره فإنَّما يعني عُبَيْدًا قال خالد بن كلثوم : بن زيد الكيِّس أو ابن الكيِّس نسَّابة .

يقول : لستم بعلماء مثل هؤلاء .

٢٦٢ ـ أَلُقْطَةُ هُدْهُدٍ وَجُنُودُ أُنْثَى   مُبَرْشِمَةً ، أَلَحْمِي تَأْكُلُونا ؟

يقول : لقطهم الهُدْهُدُ لقلِّهم ، وكانوا لا يُعرفون ، يعني هدهد سليمان بن داود عليه السلام .

وقوله : مُبَرْشِمة : أي تنظر نظر البازي أو الصقر .

٢٦٣ ـ كُلُوهُ ، لايَكُنْ لَكُمُ هَنِيئًا   وَلَا حُلْوًا فَيُمْكِن قَارِمِيْنَا

أي كلوا لحمي لا استَمْرَأْتُموه ، يَعني نَميمَةً ، والقَرَمُ إلى اللحم : الشهوة إليه . يقال : رجل قَرِمٌ إلى اللحم ، وعَيْمانُ إلى اللبَن ،

ويستعمل القَرَم في الضِّرَاب ، يقال : فحل مقروم ، أي شهوان ، والقَرِم أيضاً : الشهوان إلى النَّظر إليك ، يقال : قَرِمْتُ إلى لقـائك .

٢٦٤ ـ سَلَبْنَا عَرْشَ رَبَّتِكُمْ فَبِتْنَـا بِهَا وَسْطَ الْأَسِنَّةِ مُعْرِسِيْنَـا

العرش : السرير ، وكل ما ارتَفَعَ فهو عرش ، والرَّبَّةُ الصاحِبَةُ ، ومنه رَبُّ الدار ، ورَبُّ الضَّيْعة ، يعني ربا الملكة (؟) ويقال : أعرس الرجل بأهله أي بَنَى بِهَـا ، يُعْرِسُ إِعْرَاسًا ، وهو مُعْرِسٌ . وقال امرؤ القيس :

وَبَاتَ إِلَى أَرْطَاةِ حُقْفٍ كَأَنَّهَا إِذَا لَثَّقَتْه عنبة بيت مُعْرِسِ

ويقال : عَرَّسَ القوم : إذا نزلوا للتعريس سُوَيعة ثم يرتحلون .

٢٦٥ ـ بِمُلْكٍ تَرْكُضُ الْمُرَادَاءُ فِيْهِ مِنَ الْجِنِّ الْعُتَاةِ مُسَخَّرِيْنَـا

المُرَادَاءُ : جمع أَمْرَد . يقال شيطان مريد ومارد .

تركض : أي تخوض فيه .

والعُتَاةُ : جمع عات ومنه : « وَعَتَوْا عُتُوًّا » . والجنُّ العُتَاةُ : المردَةُ الخُبَثَاءُ .

٢٦٦ ـ تَرَقَّيْتُمْ إِلَيَّ صُعُوْدَ عِـزٍّ سَيَبْهَرُكُمْ ، وَقُلْتُمْ : قَدْ هُجِيْنَـا

يقول : قد شغلتكم . يقال : قد بَهَرَه ، إذا غلبه . ويقال : بهـر القمرُ النُّجُومَ ، أي غلَبَ ضَوْءَهَا ضَوْءُهُ ، ويقال ظَبْيٌ بَهِيْر ، أيْ مُبْتَهر . وبهراءُ : قبيلة . و البهار بقلة : عَرَارُ البَرِّ .

٢٦٧ ـ فَلَوْ جَهَّزْتُ قَافِيَةً شَرُوْدًا لَقَدْ دَخَلَتْ بُيُـوْتَ الْأَشْعَرِيْنَـا

يعني قافِيةً أهجوكم فيها . شرودًا : قد شردت أَوْ تشرد في البلاد ، ومنه : بَعِيْرٌ شاردٌ : نَفُورٌ .

وأراد بيوت الأشعرين : أبا موسى الأشعري ورهطهُ .

٢٦٨ ـ وفَتَّحْتُ الْعِيَابَ عِيَابَ قَوْمٍ على نُطَفِ الْغَوَارِبِ مُسْرِجِيْنَا؟

أي فتحت الكتاب وأظهرت ما كتموه من العيب ، أي أنا عارف معايبكم وما تُجنّهُ الأوعِيَةُ ، ونُطَفُ الغوارب : فسادٌ فيها مِنَ الدَّبَرِ ، وضَغْط الحمْل . وغارِبُ كلِّ شيء أعــلاه .

٢٦٩ ـ وَلَا اتَّخَذَتْ إلى هَمْدَانَ نَهْجًا   من اللقَمِ الْمَحَجَّــةِ مُسْتَبِينَا

اللَّقَمُ : الطريق الواضح ، ويقال : اللمق . والنهج البَيِّنُ .

٢٧٠ ـ ولا اتَّلَجَتْ بُيُوتَ بَني سَعِيْد   وَلَوْ قَالُوا : وَرَاءكَ مُصْفِحِينَا

اتَّلجَتْ : وَلَجَتْ ، أي دخلت . والوالج : الداخل ، يعني القوافي .

٢٧١ ـ وَمَا تَرَكَتْ لِذِيْ مُرَّانَ بَيْتًا   وَلَمْ تَذْعَرْ حَمَائِمُهَــا السُّكُونَا

مران : موضع ، وتذعر : تفزع .

وقوله : حمائمها السكونا : أي طيرها الواقع .

٢٧٢ ـ وَلَا اقْتَعَدَتْ غَوَارِبَ ذِي رُعَيْنٍ   ولا ارْتَحَلَتْ ظُهُورَ الأشْعَثينا

اقتعدت : تتخذها قُعُودًا تقعدعليها . وغَوَارِبُها أعاليها [الأشعثينا] : يعني رهط الأشعث بن قيس .

٢٧٤ ـ وَلَا ارْتَحَلَتْ من الْعُرْيان نضوًا   غَنِيًّا عَنْ رِحَالَةِ مُنْطفِيْنَــا

العريان : رجل من النخع ، صاحب شرط خالد بن عبد الله القسري .

ومُنطف : مُدْبِرٌ منَ الدَّبَر ، وهو العَقْرُ في ظهر البعير .

٢٧٥ ـ يُكَلِّفُهُ الرَّسِيْمَ على حَفَاهُ   إذَا مَــالَتْ بالْحَقَبِ الْــوَضِيْنَــا

الرَّسِيمُ : ضربٌ من السير سَرِيعٌ . والحقَبُ والوضِيْنُ : من حبَال الرَّحْــل ، أي يعلق فيلتقي الحقَبُ والوَضِينُ .

٢٧٦ ـ يُبَيِّنُ لِلْمُلَقَّف مَنْ أَبُــوهُ   ويَنْشُر عَنْ مَقَــابر مَيِّتِيْنَــا

يعني القوافي ، اسرح في الهجاء بنسب كل إنسان فَيُعْرَفُ حينئذ أبو اللفيف من الناس .

أي ينشر الدَّفينَ .

٢٧٧ - وَجَدْتَ النَّاسَ غَيْرَ ابنَيْ نِزَارٍ   وَلَمْ أَرَ مِثْلَهُمْ ، شَرَطًا ودُونَا

الشرط : رذال المال ورَديئُهُ ، يقول : لم أجدهم كذلك .

٢٧٨ - وإِنَّهُمُ لإِخْوَتُنَا ولكِنْ   أَنَامِلُ رَاحَةٍ لا يَسْتَوِينَا

٢٧٩ - هُمُ أَبْنَاءُ آدَمَ لَمْ أَجِدْهُمْ   إلى نَسَبٍ سِوَاهُ مُجْمِعِينَا

٢٨٠ - أَنُوَّامٌ تقول (؟) بني لُؤَيٍّ   قَعِيدَ أَبِيكِ أَمْ مُتَنَاوِمُونَا

قعيد أبيك : يقول : عَمْرَ أبِيكِ . وقَالَ الفَرَزْدَقُ :

قَعِيدَكُما اللهُ الذي أَنْتُمَا لَهُ   أَلَمْ تَسْمَعَا بِالْبَيْضَتَيْنِ الْمُنَادِيَا

٢٨١ - عَنِ الرَّامِي الْكِنَانَةَ لم يردها   ولٰكِنْ كادَ غَيْرَ مُكَايِدِينَا

الْكِنَانَةُ للسِّهَام ، والجفير للنَّبْل .

وكنانة وأسد أخَوَانِ . يقال : إنَّ رجُلًا جاءَ إليهما وهما ينزعان جِلْدَ بعير قد عقراه ، وأراد أن يسألهما شيئًا من لحم الجزور فلم يعرف اسميهما ، فعمد إلى رجل قاعد حجزة ، فقال له : ماسم هٰذَيْن ؟ فقال : محقبة النَّبْل ، وهَصَّارُ الأَقْرانِ ، فعلم السائلُ أنه ألغَزَ عليه ، فقال : ياكنانة ويا أسد أَطْعِمانِي من لحم جزوركما .

٢٨٢ - رمارَبٌ الكنانة يبتغيها (؟)   كَكَلْبِ السُّوءِ هَرَّ لِمُولِغِينَا

يقال : ولغ الكَلْبُ في الإناءِ يَلَغُ وَلْغًا ، إذا شرب منه ، وأَوْلَغه صاحبُهُ .

٢٨٣ - كَبَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ وَجَدْتُ بَيْتًا   يُمَدُّ [عَلَى] قُضَاعة أَجْمَعِينَا

نسب قضاعة إلى قلّة العدد ، كما قال الطِّرِمَّاحُ بنُ حَكيم الطائيُّ في هجوبني تميم :

وَلَوْ أَنَّ أُمَّ العَنْكَبُوتِ بَنَتْ لَهُمْ   مَظَلَّتَهَا يَوْمَ اللِّقَاءِ أَظَلَّتِ

تمت القصيدة الكميتية ، بحمد الله ومَنّه .

(الحـــــواشى)

(٥) : د :

(٦) : د : ألا يكونا

(٧) : د : أراد ... من خلق نزار ضلا لا يمتنعن .

(٨) : د : أن تزايل ويعترينا .

(١٢) : د :

(١٣) : د : عن كتاب « المعانى الكبير » ... بالملحقات .

(١٦) : د : يؤلف ويصحب أن نبربى أبينا .

عن « المعانى الكبير » .

(٢٥) : د : لم تؤذ .

(٣٠) : د : عن « اللسان » : الألى : الشكل .

(٤٦) : د : وفى « التاج » نعلمها هبى وأورد البيت .

(٤٧) : د : وتنكؤهم

(٤٨) : د :

(٥٠) : د : .. لغشيان .

(٥٦) : د :

(٦٤) : د : ونحن غداة يقال أتى لدفعة واقفينا .

(٦٠) : د : الكبين : جمع الكبا وهو كساحة البيت من الزبالة . ويقال : الكبا — بالكسر . والقصر أيضا . وفى « اللسان » : الكبا : جمع كبة وهى البعر ، وقال « هى المزبلة .

(٧٠) : د : يعول الفلك .

(٧٦) : د :

(٧٧) : د :

(٧٨) : د :

(٧٩) : د :

(٧٩) : أبو عثمان — لعله الجاحظ —

(٨٠) : د : مطهرة .

(٧٢) : فى الأصل : (أبو سنان بن محكن) وانظر « الإصابة » .

(٧٤) : د : « التهذيب » .

(٨١) : د :

(٨٣) : د : بشر ختونة متزينينا .

(٨٨) بيت عدى بن زيد – كما فى « ديوانه » – ٤٧ – :

يوم يقولون يالبربر واليكسوم لا يفلتن هوادبها

ولعل الصواب : لا يفلتن هوائبها .

(٩٠) : د : فسح ونهجر .

(٩١) : د : ويأرم

(٩٢) : د : والقينة الحسناء ، قبله : إن الشواء والنسيل والزعف .

وبعده : وصفوة القدر وتعجيل الكتف . للطاعنين الخيل والخيل قطف .

ونسبه الصغانى لقيط بن زرارة – كما فى « تاج العروس » .

(٩٤) كلمة (قتيلين) غير معجمة الحروف فى جملة (خاطر الرجل بين قتيلين) .

(٩٧) : :

المعروف فى بيت عبيد بن الأبرص :

ياعين بكى ما بنى أسد ، فهم أهل الندامة

خدان : فى كتاب « الإيناس » لابن الوزير المغربى : خدان فى أسد بن خزيمة خدان – بن عامر بن هر بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد . ثم نقل عن البلاذرى : بنو خدان هم الذين أكبوا على حجر بن الحارث يمنعوه من القتل . وانظر « تاج العروس » – خدن –

(١٠٠) بيت عمرو بن معدى كرب – على ما فى « التاج » :

فزينك فى شريطك أم بكر وسابغة وذو النونين زينى

(١٠٣) : د :

(١٠٧) : د : الاساة موليـنا .

(١٠٨) : د : عن « معجم ما استعجم » .

(١١١) : د : عن « المعانى الكبير » .

البائت : مهملة الحرف ، ولعل الصواب : الراثب ، مع أن البائت لها وجه .

(١١٤) : د :

(١١٧) : د : عن « معجم ما استعجم » وقال : عدى ملك من ملوك اليمن غزا بنى أسد . والقرات موضع بالشام وقد صحفه بعض العلماء فقال : –

(وخضنا بالفرات) وإنما أوهمه وأوقعه فى هذا التصحيف قوله (خضنا) ولو تدبر البيت الثانى لسلم من التصحيف .

وأورد بعده : بحوراً تغرق السبحاء فيها

(١١٨) : د : بحوراً تفرق .

(١٢٠) : د :

(١٣٤) : د :

(١٤٦) فى كتب اللغة : نقر بلسانه نقرا : ضرب به حنكه ليسكن الفرس .

(١٤٣) وفى « التاج » : أنشد الجوهرى للكميت : — وكان ضرب الح .

(١٤٥) : د : عن « المعانى الكبير » .

(١٤٦) : د : عن « المعانى الكبير » .

(١٥٧) : د : كياليلينا .

وهو فى التاج حتى يلينا .

(١٥٩) : د : عن « المعانى الكبير » .

(١٦٠) : د : حصينا .

(١٦٦) : د : وهم دون السراة .

(١٦٩) : د : وهو فى « التاج » .

(١٧١) : د :

(١٧٦) : د :

(١٧٩) : د : عصينينا .

(١٨١) : د : عن « مجمع الأمثال » .

(١٨٧) : د : وحينا فى الأصل بدون إعجام .

(١٩٢) : د : زعاقا .

(١٩٦) : د : فإياكم .. نآدى .

(١٩٧) : د : النقمات عن « مختصر تهذيب الألفاظ » .

(١٩٩) : د : بذلك أسفليكم .

(٢٠١) : د : أصاغرهن لا أدع الذينا — عن « فصل المقال » .

(٢٠٢) : د :

(٢٠٢) كذى العر — من قصيدة للنابغة الذبيانى . وصدره :

وحملنى ذنب امرىء وتركته .

(٢٠٣) فى كتب اللغة أخذ اللبن أخوذة — حمض — بالخاء المعجمة — لا بالحاء المهملة كما هنا .

(٢٠٥) : د : سخنها : عن « مجمع الأمثال » : لأبلغن منك سخن القدمين ، أى لآتين إليك أمراً يبلغ حره قدميك .

(٢١٢) : د : « التهذيب » جيأة : الجيأة الحفرة العظيمة يجتمع فيها المطر .

(٢١٥) : د : فأيا ما يكن يك هنا منا بأيد ما وبطن وما يدينا . وهو فى « التاج » — وبط — بهى — بلفظ : فأى ما يمكن ... ... ولا يدينا .

(٢١٦) : د :

(٢١٧) : د :   احتذينا .

(٢٢٣) : من شرح هذا البيت يبدأ الموجود فى النسخة الثانية من القصيدة وينتهى بشرح البيت (٢٣٤) .

(٢٤٠) والعرق زاخر – صدره : صناع بإشفاها حصان بشكرها .

(٢٤١) فالعين بعدهم . من قصيدة أبى ذؤيب : أمن المنون وريبها تتوجع ؟ .

(٢٤٧) : د :

(٢٤٨) : د : فأما الأزد أزد أبى سعيد .

(٢٥٠) : د : هم أولاد .

(٢٥٢) : د : ومن عجب على لعمر أم   تتأيمينا .

عن « الأغانى » ثم أعاده صحيحا عن الصحاح وأشار إلى ذلك (رقم ٦٤٥ و ٦٧٥) .

(٢٥٣) : د : تجاوزت المياه   تعسف مخطئينا .

(٢٥٤) : د : من معد   وهو فى « التاج » .

(٢٥٥) : د : حلبا وتسنا   إلى الوالى المغادر هاربينا .

(٢٥٦) : د :   وترميها عصى .

(٢٦١) : د :   ولا انتم هناك .

(٢٦٢) : د :   وهو فى « تاج العروس » – برشم – .

(٢٦٣) – كذا فى الأصل (يمنى ربا المملكة) ولعل الصواب : (يمنى بالحبة المملكة ملكة سبأ) .

(٢٦٧) : د : ولو جهزت . قال يهجو العريان بن الهيثم وكان على شرط الحجاج « المعانى الكبير » وأورد بعده (٢٧٤) .

(٢٦٨) فى الأصل تشرجينا .

(٢٧٠) كذا ومفهوم البيت أن الشاعر لم يقصد مران الموضع وإنما أراد الحى اليمنى المعروف فى حمير المنتمى إلى ذى مران أحد أذواء حمير . كما لم يرد بالسكون الحمام الواقع ، وإنما أراد القبيلة المعروفة .

(٢٧٤) : د : عن « المعانى الكبير » .

(٢٧٦) : د :

(٢٧٧) : د :

(٢٨٢) يبتغيها : مهملة الحروف .

(٢٨٣) : د :

بلاد الأحساء

في هذا الجزء حديث عن رحلتي الأولى إلى الأحساء ، ذكرني بمقال كنت كتبته عن هذه البلاد بعد عودتي منها ، وفيه تعبير عما بقي في نفسي من انطباعات عن تلك البلاد .

وقد نشرته مجلة « المنهل » في جزء (رجب – شعبان) سنة ١٣٩٠ في سنتها الخامسة (١) أي منذ ما يقرب من أربعين سنة .

وقد رأيت المناسبة تدعو إلى إعادة نشره ، على ما هو عليه ، مع تغير أحوال تلك البلاد ومع احتواء المقال على معلومات اتضح لي فيما بعد أنها بحاجة إلى تصحيح أو إكمال ، حين شرعت بتأليف القسم المتعلق بهذه البلاد من « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » الذي أتممته ، وآمل أن أقدم للقراء بعض أبحاثه .

وها هو نص ذلك المقـال :

في الأحساء أمكنة هي من أجل مصايف البلاد العربية لتوفر الأمور التي يتوقف صلاح المصيف فيها ، ولا ريب أن من أهم تلك الأمور ملاءمة المناخ ، ووفرة المياه وصلاحها وجمال المناظر وبهجتها ، فأما المناخ فإن القسم الغربي من تلك البلاد ، الذي يقع في وسطه أكبر مدينة هناك مرتفع عن سطح البحر ، وواقع في أرض منبسطة ليس فيها جبال ، ولا آكام صخرية – مما يسبب اشتداد الحر . أو منع تموج الهواء والبلدان الواقعة في هذا القسم تكون على مرتفع من الأرض ، وتتكون من طبقتين غالباً وذلك مما يزيد في صلاحيتها للسكنى وقت الصيف ، ودرجة الحرارة وإن كانت في بعض المدن تقارب درجة حرارة مكة –

---

(١) نشرته « المنهل » بعنوان : (معلومات لم تنشر عن مصيف : – الأحساء : مناخها ، بعض قراها ، مياهها ، وفرة فواكهها ، جمال مناظرها ، صيفها ، تاريخها قديماً وحديثاً) من ص ٢ إلى ص ١٩ .

لا تتجاوز الأربعين بالميزان المئوي ، في كثير من القرى . وليس من المبالغة القول بأن بعض الأماكن في حَمَّارَةِ القيظ لا يُحِس الإنسان فيها للحر أثراً أكثر مما يحس به حينما يكون في بلاد معتدلة المناخ من بلدان المملكة

وإنني لأذكر أنني ذهبت مرة إلى جبل قريب من قرية (القارة) فيه مغارات أصلية فشعرت وشعر من معي — بما يشعر به كل زائر لذلك الجبل — من البرد ورقة الهواء بما يذكر ببرد الشتاء ، ومما يضايق الإنسان في تلك البلاد اشتداد السموم ولكنه لا يحس به إلا من تعرض له ، أما من استعمل الوسائل التي تحول بينه وبين السموم — وما أكثرها في تلك البلاد الكثيرة المياه والبساتين ! — فانه لا يشعر بشدته ، ومن الوسائل : الاصطياف في إحدى القرى المحفوفة بالبساتين من كل جهاتها ، وأغلب القرى الواقعة في الجهة الغربية هناك والصالحة للاصطياف فيها بهذه الصفة — ومنها ما يمتاز بجمال الموقع وارتفاعه ورقة هوائه وعذوبة مائه .

ومن تلك القرى قرية (المُنَيْزِلة) الواقعة في الجنوب الشرقي من (الهفوف) بمسافة لا تزيد عن ساعتين مشياً على الأقدام ، وقرية (الفُضُول) الواقعة في الجنوب الغربي من (المنيزلة) والقريبة منها وقرية (الشَّهَارِين) القريبة من (الهفوف) وغيرها من القرى الكثيرة .

ومن الظواهر الغريبة أنك قد تحس في النهار بشيء من الحرارة وسرعان ما يزول ذلك إذا أقبل الليل ، حيث يكون الهواء رقراقًا ، والجو صافياً ، والنسيم منعشاً .

ولقد اصطفت في الطائف وفي ينبع النخل وفي ظبا وفي القاهرة وفي كثير من بلدان نجد ، وكلها أمكنة صالحة للاصطياف ، ولكني

وجدت الصيف في الأحساء لا يقل طيباً وحسناً عن أجمل تلك البلدان صيفاً ، - إن لم يفق الكثير منها - ولعل هذا الحكم مني من قبيل قول الشاعر : (وعين الرضا) ولكنني أقول ذلك عن اطمئنان وثقة بما أقول مؤكداً أن الليل هناك أجمل بكثير من البلدان التي ذكرتها .

أما المياه وغزارتها ، وعذوبتها وصفاؤها فتلك البلاد تمتاز عن بقية بلدان المملكة بها ، وما سمى آباؤنا ذلك القسم من بلادهم باسم (البحرين) و (الأحساء) إلا لكثرة مياهه . فعيونه الثرّة ، وأنهاره الجارية وآباره الغزيرة ، أقوى مؤيد لصحة تلك التسمية ، ولعل بعض القراء يفهم من كلمة الأنهار شيئاً من المبالغة في التعبير ، والحقيقة أن في الأحساء أنهاراً ، منها نهر عظيم - عظمة نسبية - يسمى (الخدود) لِخَدِّه[1] الأرض بِقوّة جريانه ، يزيد عرض مجراه عن عشرين متراً ، ويجري ماؤه جرياناً قوياً ، بحيث لا يستطيع الإنسان حينا يقف قريباً من منبعه أن يملك توازنه ، وذلك النهر يسير متجهاً نحو الجنوب الشرقي ويسقي نخيلا كثيرة ، وهو واقع في الجهة الشرقية عن المفوف ، ولا يبعد عنه أكثر من مسيرة نصف ساعة سيراً على القدم وبقربه في الجهة الشمالية منه يقع نهر آخر يسمى (الحَقْل) منبعه يشبه البحيرة ، ومجراه عريض ، وماؤه غزير ، ويتفرع منه - كالخدود - عدة جداول تسقي كثيراً من النخيل ومزارع الأرز والبساتين ، وماء هذين النهرين يزيد عن حاجة الأهالي فيتركون الزائد تبتلعه الأرض ، ويكون مستنقعات في أراض قفراء ، ومن الأنهار نهر الجوهرية ويقع مجاوراً لموقع بلدة الأحساء القديمة

---

(١) في كتب اللغة ومعاجم الأمكنة اسمه (خدد) بضم الخاء وفتح الدال .

بين « المبرز » وقرية « البَطّالِية » ويقع في الشمال الشرقي من الهفوف مسيرة ساعة ، ويتفرع من ذلك النهر عند منبعه جداول غزيرة المياه وكثير من المزارع والنخيل القريبة من « البطالية » تسقى من ذلك النهر ومن عين قريبة تسمى « القُحَيْبَات » وغيرها .

ومنها نهر يسمى « أم سبعة » يقع في الجهة الشمالية من الهفوف مسافة ساعة ونصف ، يتفرع منه سابقاً سبعة جداول وخمسة في الوقت الحاضر ، ومنظر ذلك النهر من أجمل المناظر وأبهاها رونقاً تحف به النخيل من الجهة الشرقية وجهته الغربية عبارة عن كثيب من الرمل فيه نخيلات قليلة ، وشدة نبع الماء من ذلك النهر مما يسترعي النظر ويدهش اللب بقوته .

وبقرب « المبرز » نهر أشبه ببحيرة تزيد مساحتها عن أربعين متراً مربعاً يسمى « الحارة » ولعله هو ما يسمى في كتب التاريخ بنهر« محلم» فكثير من صفات نهر «محلم» التي ذكرها المؤرخون تنطبق عليه ومنه يستعذب أهل المبرز الماء لقربه وعذوبة مائه مع وجود آبار كثيرة عذبة في داخل البلدة ، وماء ذلك النهر حار وقت نبعه وسرعان ما يبرد .

وفي (الأحساء) عيون كثيرة كبيرة وصغيرة والماء في كثير من المواضع التي لا عيون فيها قريب من سطح الأرض .

ولقد ذهبت أنا والأستاذ عبد الرحيم الأهدل إلى قرية « جواثَى » القريبة من المبرز ذات الشهرة العظيمة في تاريخ الإسلام ، والتي لم يبق منها سوى أطلالها ، وما أشد دهشتي حينما رأيت تلك الأرض الرملية نَديَّةَ التربة ، وبمجرد حفرها بيدي جَمّ ماءٌ عذب من تلك الحفرة التي لا تزيد عن شبر ، وكثير من العيون في تلك البلاد تنبع بقوة لا تحتاج

معها إلى حفر السواقي ، لأنها ترتفع في الغالب حتى تساوي سطح الأرض أو ترتفع عليه ، ومن المدرك بالبداهة أن كثرة المياه مما يلطف الجو ، وأن ذلك من أهم الأمور التي يحب توافرها في المصايف ، وما أجمل منظر الأنهار الجارية بين بساتين قد كسيت أرضها بحلل سندسية ، من النبات المظلل بظلال وارف من أشجار النخيل والفواكه المثمرة ، والنباتات الكثيرة الأزهار ، العطرة الروائح المختلفة الألوان ! !

أما الفواكه – وهي مما لا غناء للمصطاف عنه – فمتوفرة وقيمتها زهيدة ، من أكثرها الرطب وهو مما امتازت به الاحساء على كثير من البلدان وفي الأمثال العربية « كمستبضع التمر إلى هجر » وهو رخيص جداً ، يوضع في أقفاص من الجريد يبدو ما في داخلها من خلال الجريد ويباع القفص الذي فيه ما يزيد على أربع أقات تقريباً بأقل من عشرة قروش إذا كان رطبهُ فاخراً .

ويوجد في الأحساء أنواع كثيرة للنخيل ومنها : الأشهل والطيار والمجناز والغر والحليلي والخنيزي والخُلاَص والرُّزَيزى والشيشي والشبيبي والحاتمي والخصاب والتّناجيب والبَرْحي والصيوة والجبجاب والحِلاوي والهلالي وأم رُحَيْم ومرزبان البحرين ، ومرزبان الحساء ، والكاسي والوصيلي والزاملي والحريزي ، ونبتة سيف والمجمي والسُّكَيْملي والبُريكي والزنبور والبريم واللؤلوى والعذابي وغير ذلك من الأنواع الكثيرة وموسم الرطب في الاحساء يمكث أكثر من نصف السنة .

وفيها من الفواكه العنب والرمان والتين والخوخ وغير ذلك من الفواكه والخضروات التي لا يوجد مثلها كثرة في كثير من بلدان المملكة

ومما يوجد هناك بكثرة الأُتْرُجُّ والأهالي يكثرون من غرسه ولكنهم يبيعونه بثمن بخس ، ومن المعلوم أن كثرة المياه وصلاح التربة مما يساعد على وجود الثمار ووفرتها والاحساءُ هي بهذه الصفة .

ومتى هيأ الله لها رجالاً جمعوا بين العلم والعمل ، واتصفوا بالجد والنشاط والقوة واهتموا بوسائل اصلاحها في جميع مرافقها الحيوية ـ أصبحت أخصب بقعة في البلاد العربية ، وأوفرها إنتاجاً وأكثرها خيرات ، وقامت بسد حاجات الأقطار المجاورة لها كما كانت في عهدها الماضي المجيد .

تاريخ الأحساء :

ولعل القارىء بعد أن جلوت عليه صورة لها في هذا العهد اشتاق إلى معرفة لشيء من تاريخها ، الذي يعد حلقة مفقودة من تاريخ بلاد العرب في كتب التاريخ التي بين أيدينا ـ وذلك ما يدفعني إلى إيراد نبذة ملخصة في هذا الموضوع .

العهـــد الجـــاهلي :

إن ما نعبر عنه في هذا البحث بالأحساء هو ما يعبر عنه متقدمو المؤرخين باسم (البحرين) ويقسمونه إلى قسمين .

(الخط) ويعنون به القسم الساحلي وما قرب منه ومن مدنه (القَطِيف) و (العُقَيْر) و (عَيْنَين) التي ينسب إليها الشاعر خُلَيْد .

و (هجر) ويقصدون به القسم الغربي من ذلك الإقليم ومن مدنه (الأحساء) التي صارت في عهد القرامطة العاصمة ، والتاريخ الجاهلي لهذه البلاد مجهول لا يستطيع الباحث أن يهتدي إلى شيء من معالمه إلا بعض

حوادث يذكرها بعض المؤرخين عَرَضاً وهي وهي مشوبة بما يبعدها عن الحقيقة أو يجعلها غير صالحة للاستنتاج والتعليل .

وقد كان من الأمم التي سكنت هذه البلاد على قول المؤرخين (العمالقة) و (الجرامقة) و (الحثيون) و (الفينيقيون) وقد عثر للأخرين على آثار في الساحلي كما أن بعض المواضع لا يزال محتفظاً بالإسم الفينيقي « كالجبيل [1] » و « القيصرية » و « الكوت » وبعض الباحثين يرجح كون أصل الكلمة الأخيرة كلدانيا والبعض يقول بأنها من آثار البرتغاليين الذين استولوا على ساحل الخليج الفارسي في القرن العاشر الهجري ، والرأى الأخير مرجوح .

وذكر المؤرخون أن الفرس استولوا على تلك البلاد . وأول من استولى عليها من ملوكهم أزدشير الذي أسر ملكها (سنطرق) وقتله تغريقاً في البحر ، وقد امتدت سلطة الفرس عليها حتى جاء الإسلام فأسلم من مرازبتهم اسيخب وأسد آباد كما أسلم الملك العربي من قبلهم لتلك البلاد المنذر بن سَاوَى » ومن آثار الفرس التي ذكرها المؤرخون بسا ازدجرد مدينة « الخط » بناها أحد ملوكهم و « المشقر» الحصن ذو الشهرة العظيمة في كتب التاريخ الذي بناه كسرى أنوشروان .

أول عهـــد الإسلام :

بعث النبي صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي – قبل فتح مكة – إلى المنذر بن ساوى بكتاب يدعو فيه إلى الإسلام ، وبكتاب إلى كسرى

(١) بدليل أن الفينيقيين لما ارتحلوا إلى سواحل البحر الأبيض أسسوا مدينة سموها بالجبيل .

ليرسله المنذر إليه . فأسلم المنذر وأسلم من تحت ولايته من العرب ومن لم يسلم من المجوس وغيرهم رضخ لأحكام الإسلام ، ودفع الجزية والخراج ، وأسلم بعض مرازبة الفرس ، وأرسل المنذر كتاب كسرى إليه ، وبعث وفداً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم : من عبدالقيس وقد بقي العلاء أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم لدى المنذر . وفي سنة تسع من الهجرة أمَّر الرسول صلى الله عليه وسلم أبان بن سعيد بن العاص الأموى مكان العلاء ، وكان أول خراج جبي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأكثره خراج تلك البلاد الذي بعث به العلاء مع أبي عبيدة وهو مائة ألف درهم وكان لتلك البلاد في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة فقدمهمّ بإقطاعها الأنصار وروي الترمذي بسند غريب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله تعالى أوحي إلى أي هؤلاء الثلاث نزلت فهي دار هجرتك المدينة أو البحرين أو قِنّسْرِين » .

وفي السنة التي توفي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي المنذر ابن ساوى فارتد كثير من عرب تلك البلاد إلا بني عبد القيس ، فقد قام فيهم الجارود بن االمُعَلّى ، أحد وفدهم مقاماً محموداً حتى أقنعهم بالحجة ، فبقوا على اسلامهم في قريتهم (جُوَاثَي) التي لها ذكر مجيد في التاريخ الإسلامي ، والتي لا تزال أطلالها باقية إلى الان وأطلال مسجدها الذي هوثالث مسجد عُبِدَ الله فيه حين ارتدت العرب ، وثاني مسجد أقيمت فيه أول جمعة قال شاعرهم :

والمسجد الثالث الشرقي كان لنا والمنبران وفصل القول في الخطب
أيام لا مسجد للناس نعرفه إلا بطيبة ، والمحجوج ذي الحجب

وقد حوصروا في تلك القرية ، وأصابهم بسبب الحصار أذى شديد ، حتى جاءتهم الامدادات من أبي بكر رضي الله عنه بقيادة العلاء بن الحضرمي ومعه قيس بن عاصم سيد أهل الوبر ، فقاتلوا المرتدين ، وطهروا تلك البقاع منهم وأصبح العلم الإسلامي يرفرف على تلك البقاع وبقي العلاء أميراً فيها

ولما تقدمت الجيوش الإسلامية لفتح بلاد الفرس بعد وفاة أبي بكر ، اغتنم العلاء الفرصة فأرسل جيوشاً عبرت الخليج إلى ما والاها من سواحل الفرس وبلدانهم ، واستولت على قسم عظيم منها ، وصارت من أعظم الأسباب التي ساعدت الجيوش الإسلامية التي يقودها سعد بن أبي وقاص على التقدم والتوغل في الأراضي الفارسية ، ولكن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه حينما بلغه أن الجيش الذي أرسله العلاء قد هُزِم في إحدى الوقائع ، غضب عليه وولى مكانه أبا هريرة رضي الله عنه فمكث سنة ثم قدم على عمر بالخراج فقال له عمر ما جئت به ؟ قال خمسمائة ألف درهم . فاستكثره عمر وقال أتدري ما تقول ؟ قال نعم . مائة ألف خمس مرات فصعد عمر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس قد جاءنا مال كثير ، فإن شئتم كلْنَا لكم كَيْلًا ، وإن شئتم عددنا لكم عَدًّا . فقام إليه رجل وقال يا أمير المؤمنين : رأيت الأعاجم يدونون ديواناً فَدَوِّنْ لنا ديواناً . فوضع عمر الديوان وهو أول من وضعه في الإسلام . ثم إن عمر رضي الله عنه في تلك السنة أخذ نصف أموال عماله ومنهم أبو هريرة . ثم بعد أن تبينت له نزاهة أبي هريرة أراد إرجاعه في عمله ولكنه أبي فولّى على الأحساء قدامة بن مظعون القرشي وبعد سنة عزله وولى مكانه عثمان بن أبي العاص الثقفي ولعثمان أثر حميد

في الفتح الإسلامي فقد سير الجيوش العظيمة إلى ما يليه من أرض الفرس حتى اكتسح كثيراً منها .

قال ياقوت : وأما فتح فارس فكان بدؤه أن العلاء بن الحضرمي عامل أبي بكر ثم عامل عمر على البحرين وجه عرفجة ابن هرثمة البارقي في البحر فعبر إلى أرض فارس ففتح جزيرة مما يلي فارس فأنكر عمر ذلك لأنه لم يستأذنه وقال غرّرتَ بالمسلمين . وأمره أن يلحق بسعد بن أبي وقاص لأنه كان واجداً على سعد . فأراد قمعه بتوجيهه إليه ، فسار نحوه فلما بلغ ذا قارٍ مات العلاء ، وولى عمر عثمانَ بن أبي العاص على البحرين وعمان فوجه أخاه الحكم في البحر إلى فارس بجيش عظيم ففتح جزيرة (لافت) وهي (بركوان) ثم سار إلى (توج) ففتحها . وكتب عمر إلى عثمان بن أبي العاص أن يعبر إلى فارس بنفسه فاستخلف أخاه المغيرة ، وعبر عثمان على أرض فارس فتتابعت إليه الجيوش حتى فتحت – انتهى .

وقد ذكر بعض المؤرخين أن الربيع بن زياد الحارثي قد تولى الأحساء في عهد عمر رضي الله عنه [1] وليس لتلك البلاد في عهد عثمان وعلي رضي الله عنهما من أثر مهم في التواريخ التي بين أيدينا ﻫ .

عهـــد بني أميـــة :

وأما في عهد بني أمية فقد أصبحت الأحساء مسرحاً للفتن والقلاقل، وملجأ لكثير من الخوارج على تلك الدولة ، لعدم الاهتمام بها ، ومن ذلك العهد [2] أصبحت مرتبطة في الإدارة ببلاد اليمامة ، ومن ولاتها

---

(١) وذكروا أن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه تولى خراجها .

(٢) بل من عهد عمر (العرب) .

في عهد معاوية : الأحوص ابن عبد بن أمية وزياد بن أبيه ومن مشاهير الخوارج الذين استولوا عليها نجدة بن عامر الحنفي فقد استولى عليها سنة ٦٧ هـ وقطع الميرة عن الحجاز حتى كتب إليه عبد الله بن عباس قائلا : إن ثمامة بن أثال لما أسلم منع الميرة عن مكة وأهلها يومئذ مشركون ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بتركها ، ، وإنك قطعت عنا الميرة ونحن مسلمون . فتركها ، وبقيت تحت ولايته إلى سنة ٧٢ هـ ففيها قتله أبوفليك الخارجي وتولى مكانه حتى قتل سنة ٧٣ هـ على يد عمر بن عبيد الله ابن معمر ، الذي وجهه عبدالملك بن مروان وحاصر أصحابه في (المشقر) وقتل منهم ستة آلاف بعد نزولهم على حكمه وأسر ثمانمائة .

ومن الخوارج الذين استولوا عليها في العهد الأموي مسعود بن أبي زينب العبدي فقد استولى من سنة ٨٦ هـ إلى سنة ١٠٥ هـ حيث سار إليه سفيان بن عمرو العقيلي ببني حنيفة فقتله وفي ذلك يقول الفرزدق :

ولولا سيوف من حنيفة جردت ببرقان أضحى كاهلُ الدين أزورا
تَرَكْنَ لِمَسْعُود وزَيْنَبَ أُخْتِهِ رِدَاءاً وَجِلْبَاباً مِنَ الْمَوْتِ أحمرا

عهد بني العباس :

حالة هذه البلاد في أول عهد بني العباس ، لم تتغير عما هي عليه .

ومن أمرائها من قبل العباسيين – داود بن علي عم السفاح ثم زياد ابن عبدالله ابن عبد المدان خال السفاح أيضاً وسليمان بن علي بن عبدالله ابن عباس من سنة ١٣٣ إلى سنة ١٣٩ وقثم بن العباس بن عبدالله سنة ١٤٣ وتميم بن سعيد بن دعلج في عهد المنصور و عمارة بن حمزة الكاتب في آخر عهده وأول عهد المهدي وسويد القائد الخراساني في عهد المهدي

وعبدالله بن مصعب في عهده أيضاً وفي عهد الهادي ـ وهو قبل المهدي ـ محمد بن سليمان إلى سنة ١٦٣ وصالح بن داود سنة ١٦٤ هـ ومن بعده النعمان مولى المهدي وفي سنة ٢٣١ تولاها من قبل الخليفة العباسي اسحاق ابن ابراهيم بن أبي خُمَيضة من أهل أضاخ القرية المعروفة بنجد.

وقد استولى عليها في هذا العهد ثوار كثيرون منهم سليمان بن حكيم العبدي الثائر سنة ١٥١ وقتل في هذه السنة على يد عقبة ابن سَلْم الذي أغزاه المنصور.

وقد أصبحت تلك البلاد آونة تحت حكم العباسيين الإسمي، وأخرى تحت حكم ثوار ليسوا من أهلها. وثالثة تحت حكم أناس من أهلها حتى سنة ٢٤٩ حينما اتخذها صاحب الزنج مقراً لثورته ثم سار منها إلى البصرة. ثم استقل بحكمها أناس من أهلها يقال لهم آل العياش وآخرون يقال لهم آل العريان، ثم وقع فيهم ضعف واختلاف وشقاق أدى إلى زوال حكمهم على يد القرامطة.

عهد القرامطة:

وفي سنة ٢٨٧ هـ استولى على الاحساء أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي القرمطي انتزعها من أمير من أهلها سماه ابن جرير (ابن بانو) وقد بقيت تحت حكم خلفائه إلى سنة ٤٧٠ هـ ومن مشاهير القرامطة أبو طاهر صاحب الفعلة النكراء الشنعاء التي أثارت سخط العالم الإسلامي وقد تولى الحكم بعد قتل أبيه الحسن سنة ٣٠١ هـ وبقي إلى سنة ٣٣٢ هـ ثم من بعده إخوانه الثلاثة الفضل، وسعيد، ويوسف وكانوا على حالة غريبة من الوئام والتآلف حتى توفي آخرهم يوسف سنة ٣٦٦ هـ فقام

بالأمر ستة من قومه وقد اتفقوا على تدبير أمرهم أيضاً ومن قواد القرامطة الحسين بن أحمد بن بهرام المتوفي سنة ٣٦٦ هـ فهو من مشاهير القواد العظام والشعراء المجيدين له وقائع مع العبيديين في الشام وعلى حدود « مصر » ومن شعره : —

إني امرؤ ليس من شأني ولا أربي ... طَبْلٌ يَرِنُّ ولا نَايٌ ولا عُودُ
ولا اعتكاف على خَمْرٍ ومخمرة ... وذات دَلٍّ لها غُنْجٌ وتَفْنيدُ
ولا أبيت بطينَ البطن من شِبَعٍ ... ولي رَفيقٌ خَميصُ البطن مجهودُ
ولاَ تسامتْ بيَ الدنيا إلى طمعٍ ... يومًا ولا غَرَّني فيها المواعيدُ

وقوله : —

ياساكنَ البَلَدِ المُنيْفِ تَعَزُّزًا ... بِقلاعِهِ وحُصونه وكهوفِهِ
لا عزَّ إلاَّ للعزيز بنفسه ... وبخَيْلِهِ وَبِرَجْلِه وسيوفِهِ
وبِقُبَّة بيضاء قد ضُرِبَتَ على ... شَرَفِ الْخلاَلِ بِجارِهِ وضُيوفِهِ
قرم إذا اشْتَدَّ الوَغَا أَرْدَى الْعِدَى ... وشَفَى النفوسَ بضربه وزُحوفه
لم يَجْعل الشَّرفَ التَّلِيْدَ لِنَفْسِهِ ... حتى أفادَ تليده بطريفه

ومن آثار القرامطة (قصر قُرَيمط) الواقع بين البطالية والمبرز ومسجد كبير قريب من آثار ذلك القصر بني في آخر عهدهم . ومن غريب أمر هذا المسجد أنه لا محراب له .

عهد العيونيين :

وفي سنة ٤٧٠هـ وثب الأمير عبد الله بن علي بن عبد الله بن محمد العيوني العبقسي على القرامطة بعد أن ضعفت دولتهم وتضعضع أمرهم فاستولى على تلك البلاد وبقيت تحت حكم بنيه إلى أول القرن السابع ،

ولم تسلم في عهدهم من ثورات داخلية وإغارات خارجية من الأعراب الذين حولها .

ومن مشاهير ولاة العيونيين الفضل بن عبد الله بن علي وابناه أبو الحسن أحمد . وأبو سنان محمد الذي يقول في رثائه أحد شعراء عصره : —

عزيز أن أعاتب فيك دَهْراً قليلٌ هَمُّهُ بِمُعْتَفِيه !
وأن أجد الملوك ولستَ منهم وأن أطأ التراب وأنت فيه

وفي أول القرن السابع ضعفت تلك الدولة ، وتسلط الاعراب على البلاد بالنهب والسلب وعجز الولاة عن المدافعة حتى قال شاعر الأحساء في ذلك العصر علي بن مقرب العيوني . يخاطب أبناء عمه الولاة :

قد بان عجزكم وكلكم يَدٌ عنهم فكيف وأنتم حزبان ؟
لا تحسبوا شَرَّ العدوِّ تكفُّه عنكم مصانعة وحمل جفان !
والله ما كفَّ المعادي عنكم من دون سلب معاجر النسوان
أخذوا الحساء من الكثيب إلى محا ديث العيون إلى نقا حلوان[1] !
و(الخط) (من صفواء) حازوها فما أبقوا بها شبراً إلى الظهران !
ومنازل العظماء منكم أصبحت دوراً لهم تُكْرَى بلا أثمان !
والله لو نَهْرٌ جَرَى بدمائكم وشربته غيظاً لما أرواني !
فاجْلُوا فما أنتم بأوَّلِ من جلا واختار أوطاناً على أوطان !
إني لأخْشَى أن تُلاَقوا مثلما لاقى بنو (العياش) و (العريان) !
كرهوا الجلاء عن الديار فأُهْلِكوا بالسيف عن عَرَضٍ وبالنيران

(١) علق الأستاذ خالد الفرج — رحمه الله — على هذا بما نصه : (المحاديث بالدال موضع لايزال معروفاً بهذا الاسم بقرب بلد العيون .

وكان زوال العيونيين قريباً من ذلك العهد . وفي الاحساء قرية تدعى البطالية منسوبة إلى بطال بن مالك من أوائلهم وأخرى تدعى « الفضول » منسوبة إلى آل فضل[1] منهم .

وعاصمة ملكهم « الاحساء القديمة » التي « البطالية » في القديم محلة من محلاتها وهم ينسبون إلى « العيون » قرية كثيرة العيون في شمال الاحساء وباقية إلى الآن .

حكومات أخرى :

ليس لدي من المصادر ما أعتمد عليه في تعيين الحكومة التي ورثت العيونيين . وكل ما أعلم هو أنه في الفترة التي بين زوال حكمهم وبين استيلاء دولة الأجاودة امتدت سلطة دولة (أتابكية فارس السلغرية) في عهد الاتابك أبي بكر بن سعد بن زنكي في سنة ٦٢٠ هـ تقريباً ثم زالت سلطتهم بوفاته سنة ٦٣٣هـ وحكم تلك البلاد رجل يقال له عصفور ابن عامر من بني عقيل ومن بعده بنوه على مانقل ابن خلدون والقلقشندي عن أبي سعيد المؤرخ أنه قال : سألت أهل البحرين حين لقيتهم بالمدينة سنة ٦٥١ هـ فقالوا الملك لعصفور وبنيه .

وفي أول القرن الثامن كان ملك الاحساء سعيد بن مغامس بن سليمان ابن رميثة وفي سنة ٧٠٥ هـ انتزع الملك منه رجل يدعى جروان من بني مالك بن عامر ثم لما مات خلفه ابنه ناصر ثم ابن ابنه ابراهيم بن ناصر وكان موجوداً سنة ٧٢٠ هـ .

ومن المرجح أن بلاد الاحساء في ذلك العهد مقسمة إلى أقسام عديدة كل

---

(١) هم غير آل فضل اللاميين الذين من طيء .

قسم له حاكم مستقل وأن القسم الساحلي لا يسلم من إغارة خارجية، واستيلاء بعض ملوك العجم المجاورين له .

دولة آل أجـــود :

قام الأمير سيف بن زامل بن جبر النجدي العقيلي فانتزع الملك من بقية الجراونة ، ولما مات خلفه في الملك أخوه أجود ، وقد اتسع ملكه حتى استولى على كثير من سواحل الخليج الفارسي ، وأخذ الجزية من بعض ملوك العجم المجاورين له ويعد عهده من أزهر العهود التي مرت على تلك البلاد ، فقد سار بالعدل ونشر العلم وعامل الأهالي معاملة أبقت له من حميد الذكر مالا يزال أهل الأحساء يلهجون به إلى هذا الوقت ، وقد كان بينه وبين السيد السمهودي – مؤرخ المدينة – صداقة وطيدة ، واتصال وثيق .

وفي عهده انتقل الشيخ نصر الله من آل جعفر الطيار المدنيين إلى الاحساء ليتولى إمامة مسجد أسسه أحد الجبريين وقد استوطن هناك وخلف عائلة تتكون من أفراد كثيرين : مرموقين من أهل تلك البلاد بعين الاحترام والإجلال لاتصاف كثير منهم بالعلم والفضل والأدب .

ولا يبعد أن يكون انتقال عائلة آل عبد القادر في ذلك العهد أيضاً . وهي عائلة من أعرق العائلات في العلم والفضل والأدب تنتسب إلى الخزرج من الانصار ومن تلك العائلة علماء أفاضل نشروا العلم وتولوا بعض الأعمال وقاموا بها خير قيام ومنهم شعراء مجيدون كالشيخ عبد الله بن علي آل عبد القادر بلبل الاحساء الغريد الذي توفي في العقد الخامس من هـذا القـرن في أوله وله ديوان شعر

ثم بعد وفاة الملك أجود وقع الشقاق بين بنيه وكان آخرهم مقرن ابن أجود وفي عهده زالت دولتهم في سنة ٩٦٢ هـ .

ومن آثارهم في الاحساء مسجد الجبريّ وهو من أعمر المساجد وأوسعها في داخل الكوت في الهفوف . وقصر قريب من المنيزلة احدى قرى الاحساء لم يبق منه سوى أطلاله يسمى (قصر أجود) كما أنه في أول القرن الثاني عشر استولى على جزيرة (أوال) أحد بقايا الجبريين المذكورين وفي المبرز عائلة تدعى عائلة الجبر [(١)] .

وبعض المؤرخين يذكر أن زوال دولة الاجود تأخر إلى سنة ٩٩٩ هـ والبعض يقول أن زوالهم فى سنة ٩٢٦ هـ والرأى الأخير لا يبعد عن الحقيقة وفي آخر هذا القرن استولى « البرتغاليون » على بعض السواحل .

عهـــد الترك الأول :

استولت حكومة الترك على الأحساء في القرن العاشر ومن أول ولاتهم في عهد السلطان سليمان محمد باشا الملقب بفروخ (أو فاتح) ومن آثاره مسجد في الكوت يسمى مسجد الدُّبس لوقوعه جوار سوق التمارين سابقاً وتاريخ عمارة ذلك المسجد مكتوب في حجر بهذا النص « بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله أجمعين . قد بني وعمر هذا المقام الشريف في زمان السلطان العادل سليمان خان . حضرة الحاكم الاجل قدوة الحكام كهف الأنام صاحب السيف والقلم والي بلد الحسا محمد باشا أيد الله ظلاله في سنة ٩٦٢هـ » وبقى مدرسة ومسجداً أمام باب الكوت اندرسا .

---

(١) ذكر الشيخ محمد بن عبدالقادر أن آل جبر هؤلاء من عربنة ، فلا صلة لهم بآل جبر أمراء الحساء – عل هذا (العرب) .

ثم تولى من بعده علي بن أحمد باشا البريكي ومن آثاره مسجد بداخل قصر ابراهيم في الكوت وهو مسجد فخم رائع العمارة عمره سنة ٩٧٤ هـ وبنى بجواره مدرسة وعمر رباطا ومدرسة خارج القصر وقد أوفد الوالي المذكور ابنه محمداً إلى السلطان العثماني فزور الابن على أبيه رسالة ضمنها طلب تعيينه في الولاية ، فأجيب طلبه ولما رجع اتفق مع رؤساء الجنود وهم بحبس أبيه وأخويه يحيي وأبي بكر ولكنه عدل عن ذلك لما علم بأنهم لاينازعونه ، ورحلهم إلى المدينة المنورة .

ومن آثار محمد هذا المسجد الذي يؤدي أمير البلاد في هذا العصر الصلوات فيه عمره سنة ١٠٤٦ هـ.

وقد بقيت الأحساء تحت حكم الترك إلى سنة ١٠٨٠ هـ وكانت في هذا العهد عرضة لنهب الأعراب وسلبهم ، لضعف الولاة عن الدفاع عنها ولا سيما القرى التي في الأطراف .

وفي هـذا العهد قدم جـد عائلة (آل ملا) من عينتاب البلدة المعروفة مع أحـد الولاة إماماً وواعظاً فاستقر في الأحساء وأعقب أبناءاً تناسلوا وكثروا ، وصار من بينهم من امتاز بالعلم والأدب في تلك النواحي ، وأهل الأحساء يجلونهم إجلالا عظيماً ولا سيا عميد العائلة في هذا العصر الشيخ أبو بكر .

ومن أفراد تلك العائلة الآن الشيخ أحمد بن الشيخ عبد اللطيف الملا وهو عالم فاضل والاستاذ عبد الله بن عبد الرحمن الملا أحد خريجي (جامعة ديوبند الاسلامية) وهو شاب مهذب حر التفكير ، متصف بكثير من الأخلاق الفاضلة .

عهـــد آل حميـــد :

في سنه ١٠٨٠هـ استولى آل حميد وهم عرب من بني خالد على الاحساء وبقيت تحت سيطرتهم إلى سنة ١٢٠٧ هـ وقد أصبحت البلاد في عهدهم بحالة اضطراب وقلاقل ، لعدم حسن سياسة أمرائهم ولبعض الشعراء في تاريخ استيلائهم :

رأيت البـــدو آل حميـــد لمـا　　تَوَلّوا أحْـدَثُوا في الْخَطِّ ظُلْـما
أتى تاريخهـــم لـمـا تولـــوا　　- وقانا الله شرهم - (طغى الما)

وذيلها بعضهم قائلا :

وتاريخ الـزوال أتى طبـــاقا　　(وغار) إذ انتهى الأجـل المسمى

عهـــد آل سعود والمصريين وابن عريعر والأتراك :

انتزع آل سعود ملك تلك البلاد من آل حميد في عهد الامام عبد العزيز بن محمد ثم ابنه سعود بن عبد العزيز وبقيت تحت حكمه وحكم ابنه عبد الله إلى سنة ١٢٣٣ هـ فانتزعها المصريون وبقيت دولة بينهم وبين ابن عريعر الخالدي وبين الاتراك وآل سعود ، وقد انتعشت حالتها في عهد آل سعود ثم تقهقرت بعدهم .

ومن آثار آل سعود فيها قصر ابراهيم المنسوب إلى أحـد أمرائهم ابراهيم ابن عفيصان [1] ويقال إن من آثارهم أيضاً قصر خزام ، وقصر صاهود .

وفي سنة ١٢٥٠ هـ استعاد ملكها الإمام فيصل بن تركي (جد جلالة

(١) علق الشيخ خالد الفرج على هذا : هذا غلط نشأ من أن ابراهيم بن عفيصان سكن هذا القصر ، أما الذي أنشأه فهو باني قصر الكوت . (العرب) .

الملك عبد العزيز) وبقيت تحت حكمه وحكم ابنه الإمام عبد الله إلى سنة ١٢٨٨ هـ وقد أمر الإمام فيصل بتشييد جامع فيها يعد من أفخم المساجد هناك وهو أوسع مسجد فى تلك الجهات ، وأكبر جامع تصلى فيه الجمع .

وفي شهر شوال من السنة المذكورة استولى عليها الاتراك ، وبقيت تحت حكمهم إلى سنة ١٣٣١ هـ .

ومن أشهر ولاتها الذين يزيدون على سبعة عشر[1] والياً الفريق محمد نافذ باشا الذي نقل إلى بغداد فمكة ومدحة باشا وقد أناب عنه أحمد عزة العمري ، وهو شاعر فاضل له شعر مطبوع ومن ولاتها السيد طالب النقيب العراقي المعروف ، والحكومة التركية في عهدها الأخير في الاحساء آثار عمرانية منها (المدرسة الرشدية)[2] . والمستشفى الذي هو مقر المالية الآن وقصر الإمارة ويسميه أهل الاحساء (السراج) محرفا عن كلمة السراي — أي الصرح — وكثير من المباني .

عهـــد جلالة الملك عبد العزيز . :

في سنة ١٣٣١ هـ استولى جلالة الملك عبد العزيز آل سعود المعظم على الاحساء وعين ابن عمه سمو الأمير عبد الله بن جلوي أميراً عليها ومكث

---

(١) وهم محمد نافذ باشا ثم صالح باشا إلى سنة ١٢٩٢ هـ ثم مدحة باشا إلى سنة ١٢٩٥ هـ ثم عاكف باشا إلى سنة ١٣١٠ هـ ثم سعيد باشا أبو البنات إلى سنة ١٣١٤ هـ ثم سعيد باشا الموصلى للمرة الثانية إلى سنة ١٣١٦ هـ ثم ابراهيم باشا الشامى إلى سنة ١٣١٨ هـ ثم موسى كاظم باشا إلى سنة ١٣٢٠ هـ ثم السيد طالب النقيب إلى سنة ١٣٢٢ هـ ثم السيد طالب محمد نجيب أبو سهيل إلى سنة ١٣٢٥ هـ ثم رشيد باشا أقل من عام ثم محمود ماهر باشا إلى سنة ١٣٢٧ هـ ثم السيد محمد إلى سنة ١٣٢٧ هـ ثم السيد محمد عارف إلى سنة ١٣٢٩ هـ ثم على باشا سعاد إلى سنة ١٣٣٠ هـ ثم أحمد نديم باشا إلى سنة ١٣٣١ هـ ثم قوضت .

(٢) ممن تعلم فى هذه المدرسة الصحفى العراقى الفكه نورى ثابت صاحب جريدة « حبزبوز » وقد توفى سنة ١٣٥٤ تقريباً (العرب) .

إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى سنة ١٣٥٤ هـ مخلفاً عدة أبناء منهم الأمراء سعود وعبد المحسن ومنصور ومحمد وسعد وعبد العزيز وتركي وأكبرهم فهد الذي قتل في حياة والده وله من الابناء الامراء خالد ومحمد وفيصل .

وبعد وفاة الأمير عبد الله تولى الإمارة ابنه سعود الامير الحالي .

وقد تقدمت الاحساء في هذا العهد في شتى المسائل الحيوية تقدما محسوساً ومن مشاريع الاصلاح التي جرى تنفيذها تأسيس عدة دوائر لأجراء الأعمال على طريقة تكفل صلاحها وموافقتها لما فيه النفع العام كالبلدية والمالية والمعارف وغيرها كما هي الحال في الحجاز ، وقد اهتمت حكومة جلالة الملك باصلاح البلاد في مختلف مرافقها الحيوية اهتماما تدريجيا ، وفق النواميس التي جعل الله جميع الأمور لاتتجاوزها وإن الأمل في الله وطيد بان يجعل عهد هذا الملك الميمون عهداً زاهراً .

مكة المكرمة : حمد الجاسر

حول ذكريات الرحلات :

الصَّقْعَبِي لاالقَـرْزَعى

ورد فى الحلقة الأُولى من مقال (ذكْرَيَاتِ الرحلات) ص ٣٢٨ من هذه السنة أن أخي جاسرًا ـ رحمه الله ـ ادخلنى فى مدرسة لمعلِّم يُدْعَى (القَـرْزَعى) والقـرزعى هنا سَبْقُ قَلَمٍ ، والصواب : يُدْعَى (الصَّقْعَبِي) وهو صاحب كُتَّاب مشهور فى بلدة بُرَيْدَة فى ذالك العهد ، وأذكر من زملائى فى مدرسة الصقعبي العظَامىٌ وابنَ رِزْقَانَ وأنا أنقل عن ذاكرة ضعيفة أخبارًا مضى لها نحو ٥٦ عامًا .

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم

مُرّان : ما هو أصل تسميته ؟!

... حصل بيني وبين أحد الإخوان نقاش حول اسم مران المنهل المعروف في عالية نجد ، هو يقول : إن اسمه مشتق من مرارة مائه ، وأنا أخالفه في هذا . وقد اتفقنا على أن نقتنع برأيكم الذي نرجو أن نطلع عليه في مجلتنا « العرب » . . .

الخرمـــة : فالح بن سعد

العـــرب : القول بـأنّه سمي بذلك الاسم لمرارة مائه قول غير صحيح ، فماؤه معروف قديماً وحديثاً بأنّه من أعذب المياه وأصفاها وأنْقَعها — أقطعها للظَّمَا — كما يتضح من البحث الممتع الذي كتبه الأُستاذ الشيخ سعد بن عبد الله بن جنيدل ، عنه في كتاب « عالية نجـد » أحد أجزاء « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » الذي تقوم (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) بإصداره — ونأمل أن يكون بين أيدي القراء قريباً .

ونكتفي ببحث الأُستاذ سعد عن مَرّان ، وفيه مانعتقد أنه يُقنِعُ السائلَ الكريم : —

مُرّان : أوله ميم مضمومة ثم راء مهملة مشدّدة بعدها ألف ثم نون موحدة ، من المرارة ، كأنّه للمبالغة : ماءٌ قديم ، عِـد وفير الماء مشهور بهذا الاسم قديماً وحديثاً ، وقال ياقوت : هو بالفتح والتشديد ، وكـان فيه قرية قديمة فاصبحت لم يبق إلاّ آثارها ، وقد تأسّست فيه هجرة حديثة لأُسرة الرِّبَاعيْن من ذوي ثُبَيْت من عُتيبة .

وهذا الماء من أطيب موارد البادية وأشهرها ، وقد أكثروا من ذكره في أشعارهم ، وهو واقع في الناحية الجنوبية لحرة كشب ، يمرُّ به طريق حاج البصرة القديم يردونه بعد قباء في تصعيدهم ، وسنأتي على ماذكره المؤرخون في وصفه وتحديده .

ويقول الشاعر الشعبي بخيت بن ماعز العطاوي الروقي من عتيبة ، وقد تجاوز قومه وربّعوا هم وقبيلة البقوم جماعة ابن جرشان في أسفل بلاد القصيم :

مِرْباعَنا بأَسْفَـلْ بْرَيْده والاسْياح ... يَمّ النَّفـوْد ويَمّ هَاك الزّبارا

وإنْ صَرْصَرْ الجنْدبْ ووقت الحَيَا راحْ

طَعْـونَنـا وظْعونَهُمْ جَتْ تبـارا

لِيَاجَالنا مَعْ خَشْم الإكْمُومْ مِسْراح ... جِنْـا تيَامَنَّا وراحـوْا يسَـارا

مِيْرادنا عِدّ به الجِسـمْ فيّـاحْ ... مرّانْ عـدْ مَشْرهَبـات العْشَـارا

ومِيْرادهمْ في وادي غِرْدقـهْ فَـاحْ ... عَليـهْ مذْيَانْ ومَحَـال تسَـارا

وقال شاعر من قبيلة هتيم كان يقطن في مران ، فنزحت به ظروف الحياة منه وتذكر مقامه فيه ووفرة مائه ويسر منزعه :

أنا وَرَايْ مَابكي وتَبكي ضَمايْري ... عَلَى مَنْهَل قَيْـد القَعُـودْ رشَـاهْ

أَبكي عَلى مرّان عَـدّ به الرّوى ... والجَفَـرْ يُعنَى اللْعَليـلْ بماهْ

ويقول محمد بن بليهد في قصيدة له (١) :

ذَبّنْ غرُوب الشّمس مَعْ خَشم الاصفرْ ... أَصْفَر عَفِيفْ وجَنّبنْ الخَضَـارَهْ

وِيرْدِنْ عـدّ باردهْ كَـلْ مِنْ مَـرْ ... مرّانْ جِعل المِزن يسقِيِ حرارِهْ

---

(١) تقدم شرح هذين البيتين في رسم الخضارة .

وقال الأستاذ يوسف ياسين في وصفه وتحديده : وفي الواحد والعشرين أي من الرحلة – ٣ جمادي الأولى صلينا الصبح وسرنا من البادرية في أرض الحرة وبعد أن طلعت الشمس أشرفنا على آثار بيوت خربة في واد مريع كثير الخضرة وفيه نبات يسمونه الحَلفا وأشجار تشبه النخيل يسمونها الدوم ، أمّا المكان هذا فهو مرّان من أشهر الأماكن التي مررنا بها، وفيه آبار ماؤها عذب طيب ، وفي شرق مران سهل فسيح لايدرك الطرف مداه ، وفي غربه سلسلة جبال سمّيت لنا باسم كشب .

أما قرية مَرّان التي كانت عامرة بأهلها فانّها اليوم لم يبق من آثارها إلّا رسومها ، والهواء الطلق يخفق في جنباتها إن مر بها راحل تمتع بمنظرها الجميل وشرب من مائها – إذا حمي من الأوساخ – العذب السلسبيل وإلّا فهي مهملة متروكة ليس فيها غير خفق الرّياح . لم نقم على مران الأَرَيْثَما طعمنا طعام الضحى وشربنا وملأنا قربنا ، وخرجنا من مران وقطعنا أرض الحرة [1] .

قلت : قد أجاد الأستاذ يوسف في وصفه لجغرافية مران وفي وصف آثار قريتها القديمة لأنه وصفها عن مشاهدة وتأمل. أما الهجرة التي تأسّست فيها حديثاً والتي لا تزال عامرة فان بناءها كان بعد زيارته بسنين عديدة وهي تابعة لإمارة مكة المكرمة .

وقال عرام بن الأصبغ : مرّان : قرية غنّاء كثيرة العيون والآبار والنخيل والمزارع ، وهي على طريق البصرة لبني هلال ولبني ماعز ، وبها حصن ومنبر وينزلها ناس كثير ، وفيها يقول الشاعر :

(١) الرحلة الملكية ٧٩ – ٨٣ .

أبعد الطُّوال الشم من آل ماعز يرجّي بمرّان القرَى ابن سبيل
مررنا على مرّان ليلا فلم نعُجْ على أهل آجام به ونَخيْل

ومن خلفه قرية يقال لها قباء كبيرة عامرة لجسر ومحارب وعامر ابن ربيعة من هَوازن (١) .

وقال ياقوت : مَرَّانُ : بالفتح والتشديد ، وآخره نون ، يجوز أن يكون منَ مرّ يمرّ من المرور ، قال السكري : هو على أربع مراحل من مكة إلى البصرة ، وقيل : بينه وبين مكة ثمانية عشر ميلا ، وفيه قبر تميم ابن مرّ بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر ابن نزار بن معدّ بن عدنان وقبر عمرو بن عبيد ، قال جرير يعرض بابن الرقاع :

قد جرّبت عَرَكي في كل معترك غلب الرِّجال فما بال الضَّغابيس
وابن اللَّبون إذا مالز في قَرَن لم يستطع صولة البزل القناعيس
إني إذا الشاعر المغرور حربَني جار لقبر على مرّان مَرموسِ

قال : أراد قبر تميم بن مر ، إذا حرّبني أي أغضبني ، يموت فيصير جارًا لمن هو مدفون هناك ويصدّق ذلك قوله :

قد كان أشوس أبَّاء فأورثني شَغْباً على النَّاس في أبنائه الشّوس
نحمي ونغتصبُ الجبَّار نجنبُه في مُحْصَد من حبال القدِّ مخموس

وقال الحازمي : مَرّان بين البصرة ومكة لبني هلال من بني عامر ، ثم أورد ما ذكره عرام في كتابه ، وقال عن ابن قتيبة ، قال المنصور أمير المؤمنين يرثي عمرو بن عبيد :

صلّى الإله عليك من متوسِّد قبرا مَررتُ بِه على مَرّان

---

(١) أسماء جبال تهامة وسكانها ٧٦ — ٧٧ .

قبراً تضمّن مؤمنـا متحنفاً صَدَقَ الالهَ ودَانَ بالقـرآن
لو أنّ هذا الدهر أبقى صالحـاً أبقى لنـا عَمْراً أبا عثمان

وقال ابن الاعرابي على هذا النمط من جملة أبيات :

أيا نخلتي مـرّان هَل لي إليكُما على غفلات الكاشحين سَبيلُ
أمنّيكما نفسي إذا كنت خاليـاً ونفعكما ، لولا الفَناء قليل
ومالى شيء منكما غير أنّني أحِنّ إلى ظليكما فأطيلُ

وقد علق محمد بن بليهد على ما ذكره ياقوت عن السكري فقال :
مرّان في رواية ياقوت : أنه على أربع مراحل من مكة إلى البصرة ، والصّحيح أنه على ست مراحل لحاملات الأثقال ، وموقعه في جبل كشب على طريق الحاج ، وهو مشهور ، منهل كثير الماء لو أجرى على ظهر الأرض لجرى ، ولكن المحيط به من الأرض سبخة لا تصلح للزراعة ، وبه آثار إلى هذا اليوم وأصول نخل ودوم ولم يبق به غير البُوم .[1] وذلك في الوقت الذي ألف فيه كتابه .

وقال الأصفهاني : مرّانُ وهو ماءٌ وقرية غناء كبيرة ونخيل ثم تجوز فترد الشبكة وهي ماءٌ عليه تجارة ثم ليس دون وجرة الاّ متعشّى يقال له بسيان[2] .

وقال أبو علي الهجري : كشب عن مرّان بأميال ، ومرّان عن أربع مزالف من مكة ، من طريق البصرة[3] .

---

(١) صحيح الأخبار ٢ – ٣٩ .
(٢) بلاد العرب ٣٧٢ – ٣٧٣ .
(٣) أبحاث الهجرى ٢٦٠ .

وقال : الخارج من ضرية يريد مكة : يشرب بالجديلة ثم فلجة ثم الدثينة ثم قباء ثم مرّان ثم وجرة ثم ذات عرق ثم البستان ، ثم مكة [1] .

وقال الحربي ، في ترتيب منازل الحاج ومواردهم من البصرة إلى مكة : قباء في الحرة ومن الدثينة إلى قبا (٢٧) ميلاً ، وبقباء آبار قريبة الماء وماءٌ كثير ، وعلى ثمانية أميال من قبا متعشا يقال له بلد ، فيه آبار عذبة ، ثم مَرّان ، وقبر تميم بن مرّ بمرّان ، وذكر بيت جرير المتقدم ، وقال : وبها قبر عمرو بن عبيد ، وقال : مات عمرو بن عبيد بمنزل من طريق مكة يقال له مرّان وهو دون الشبيكة ودفن بالمنزل فمرّ بقبره أبو جعفر المنصور ، ووقف عليه ثم أنشأ يقول ، وذكر شعره المتقدم وزاد فيه بيتاً واحداً قبل الأخير ، هو قوله :

كان الرِّجال إذا تنازع بعضهم فصل الحديث بحكمة وبَيَان

وقال الشيخ حمد الجاسر في تعليقه : عمرو بن عبيدبن باب البصري شيخ المعتزلة توفي سنة ١٤٤ هـ قلت : مران والمواضع التي ذكرها المؤرخون قريبة منه الدثينة وقباء وغيرها ما زالت معروفة بأسمائها .
ومرّانُ لا يزال مضرب المثل بوفرة مائه ويسره وسهولة الشرب منه ، وفي ذلك يقول الشاعر الشعبي فهيد بن سكران :

ذَا قَوْل مَنْ هُوْ للشْعاعِيْر ماقَرْ عدّ إلَى ضَكّوْا بِهَ الوِرْد طَاش
عدّ مَصَادِيرِهْ عَلَى الحَيْد الأَسْمرْ مَرّانْ بَهّاج الكبُود العْطَاش

---

(١) أبحاث الهجري ٣٣٣ .

الحوأب .. أين يقع

[.. ذكرنا مجلة « العرب » المجلة الوحيدة بين المجلات العربية في العناية بالأبحاث الجغرافية وتحديد المواقع التاريخية – ذكرناها في الكلام على الحديث المنسوب للنبي عليه الصلاة والسلام « أيتكن تنبحها كلاب الحوأب » وبالرجوع إلى كتب غريب الحديث لم يتضح لنا فيما أطلعنا عليه منها موقع الحوأب .

فهل من كلمة تحدده ، نطالعها على إحدى صفحات مجلتنا الأثيرة في نفوسنا ؟ !

سعيد المسلم

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

العرب : نكتفي – الآن – ببحث للأستاذ الشيخ سعد بن جنيدل ، من كتابه عن (عالية نجد) الذي سيصدر قريباً ، ونعد السائل الكريم بالعودة إلى الموضوع] .

مَشْقُوقُ الْخَلْفِ : بميم مفتوحة وشين معجمة ساكنة ثم قاف مثناة مضمومة ، ثم واو ساكنة ثم قاف ثانية ، من الشق ، كأنه شُقٌّ في الأَرض ، والخلف جمعَ خَلْفَةٍ ، وهي الحلوبة من الابل ، وهو اسم واد يشقّ بلاد العِبْلة (المطِلَى) من الغرب إلى الشرق ، تبدأ أعاليه من عبلة الْبِرّةِ ومن عَبَل وُطَيِّف ومن الحمام ، ويسير شرقاً بميل يسير صوب مطلع الشمس ، ومجراه واسع فيه محام وقرار كثير ، وينتهي سيله وينصرف في محام واسع بجانب جبل اليَنُوفي ، ولهذا الوادي شهرة عند البادية لوقوعه في بلاد طيبة المراعي ، ولكثرة أنواع الحمض فيه ووفرتها وجودة مراعية ، وفيه يقول الشاعر الشعبي شامان بن نشا من قبيلة العُصَمة من عُتَيْبَة :

حُلْو حَدِيثه كِنٌّ ذَوْب العَسَلْ فيه
والاَّ يشَادى درَّعرِب أبَا هِيلْ(١)

(١) كن : كأن . يشادى : يشبه . اباهيل : مبهلة .

يرعَنْ بَالْمَشْقُوق وانْ سَالْ وَادِيه
تَلْقَى لِهِنْ يَمّ اليَنُوفي مَدَاهِيل*(١)

قَلَنْ بِنُوّارِهْ وخَاضَنْ خَبَـارِيَّهْ
ويَازِيْنِهِنْ لِعْيَالِهِنّهْ مَقَابِيل*(٢)

وهذا الوادي واقع في بلاد أبي بكر بن كلاب قديماً .

أما في هذا العهد فانه واقع في بلاد قبيلة المقطة من عنيبة التابعة لإمارة عفيف ، ويبعد عن بلدة عفيف جنوباً خمسة وأربعين كيلاً .

ويبدو لِي أن هذا الوادي هو الذي كان قديماً يدعى الحوأب ، لأن ما ذكره المؤرخون فى تحديد الحوأب ينطبق عليه ، وسنأتي على ذكر ما قالوه في تحديد الحوأب .

قال الأصفهاني : البَقَرَةُ : ماءٌ لبني عبد بن كعب ، وهو على يمين الحوأب .

وقال أيضا : العُنَابُ وخَنْثَل جميعا لبني أبي بكر ، والحزير عن يسار ضَرِيْة ، وهو من جوانب الحوأب ، والحوأب ماءٌ لبني أبي بكر .

قلت : ذكر الأصفهاني أن البقرة ماءٌ على يمين الحوأب ثم ذكر الحوأب في سياق ذكر خنثل والعناب والواقع أن ماءَ البقرة يقع كما ذكره ، وهو ما زال معروفاً باسمه وكذلك خنثل والعناب فهما أقرب المواضع إلى وادي المشقوق من ناحية الجنوب ومن قوله : الحزيز من جوانب الحوأب يتضح لنا الوصف الجغرافي لهذا الوادي وهو في الواقع محفوف من جانبيه بِحَزِيزٍ من الأرض .

وقال الصّاغاني : الحَوأب وادٍ في وَهْدَة من الأرض واسع .

---

(١) يم الينوفى : صوب الينوف . مداهيل : مراتع ترتادها .

(٢) قلن : رعين فى فلاته . نواره : زهره . يازينهن : ما أجلهن .

وقال ياقوت : الحَوأب : بالفتح ثم السكون ، وهمزة مفتوحة وباء موحدة ، والحَوأب : الوادي الوسيع في هذه (؟) والحَوأب موضع في طريق البصرة محاذي البقرة ماءة أيضاً من مياههم قال أبو زياد : ومن مياه أبي بكر بن كلاب الحَوأب ، وهو من المياه الأعداد وقديم جاهلي والحَوأب والعناب والحزيز جبال سود أظنها في ديار عوف بن عبد ابن أبي بكر ابن كلاب أخي قريط بن عبد . وقال نصر : الحَوأب من مياه العرب على طريق البصرة ، وقيل : سُمّي بالحَوأب ابنة كلب ابن وبرة ، وهي أمّ تميم وبكر المعروف بالشعير او والغوث وهو الربيط ، وهو صوفة وثعلبة وهو ظاعنة وغيرهم من ولد مرّ بن أدّ طابخة وبالحوأب حصن لعبد العزيز بن زرارة الكلبي [١] . انتهى .

نلاحظ فيما ساقه ياقوت في خبر الحوأب أنه أدمج ما ورد في الحوأب الواقع في عالية نجد المحاذي لماء البقرة في بلاد أبي بكر بن كلاب فيما ورد في الحوأب الواقع في أسفل البلاد في طريق البصرة ، في بلاد كلب ، فقال فيما قاله : موضع في طريق البصرة محاذي البقرة ماءة أيضاً من مياههم . والواقع أن الحوأب المحاذي البقرة هو الواقع في عالية نجد ، أما الواقع في طريق البصرة فهو غير محاذ لها ، وهو أكثر شهرة في كتب التاريخ وهو الوارد في خبر عائشة رضي الله عنها ، وهو الذي سُمّيَ بالحوأب بنت كلب ابن وبرة ، وقد أطال ياقوت في ذكره ، وذكره البكري في معجمه ولم يذكر غيره .

وبهذا يتّضح أن الحوأب اسم لوضعين مشهورين في كتب المؤرخين أحدهما واقع في عالية نجد ، في بلاد أبي بكر بن كلاب وهو مشقوق الخَلف ، والثاني واقع في أسفل البلاد في طريق البصرة ، في بلاد كلب .

---

(١) الصواب (الكلابي) فهو من بني كلاب (انظر هامش « بلاد العرب » ص ١٥٢)

العنوان
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف ٢٢٩١٥
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب

مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري

منشئها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
٣٥ ريالاً للأفراد و٧٥ ريالاً لغير الأفراد
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ٦ ريالات

ج ١١ و١٢ س١٣ جماديان ١٣٩٩هـ - إيار - حزيران (مايو / يونيو) ١٩٧٩م

هذا الجزء !!

يُحِس المَرْءُ - عندما تتقدَّمُ به السِّنونَ - راحةً ونَشاطاً حيْن يُشاهِدُ أثرًا مِنْ آثار أعْماله . ولهذا كانَ مِنْ أعْذبِ ما سَمِعْتُ من كلمات التَّرْحيب : أنا مِنْ تَلاميذك ! ! وأعتَزُّ بهذا ! ! . سَمعتُها حين قابلْتُ رَجُلاً يتقلد عملاً جليلاً في بلاد الأحساء ، وكانَ مِنْ خَيْرِ من عرفتُ بين طُلاَّب مدرسة الأحسَاء - عام ١٣٥٨ - خُلُقاً ونَشاطاً وحِرْصاً على مُواصلَة الدراسة والتَّحصيل ، حتى بعد أن حالَتْ مَشاغِلُ العملِ الَّذي نيطَ بهِ بيْنَهُ وبيْنَ الاسْتِمْرَارِ في السَّيْر في مراحل التَّعليم .

وعندما زُرْتُ تِلْكَ البلاد - في العام الماضي - كانَ مِنْ أحْلَى عِبارَاتِ (العِتَاب) وأبْلَغِهَا وَقْعاً في النَّفْسِ ماوَجَّهَهُ إليَّ بَعْض من سَعِدْتُ بمعرفتهمْ قبلَ أربعين عاماً شُبَّاناً تزدانُ فُصولُ الدراسة بِجِدِّهِمْ وإقْبَالهِم على التَّعَلُّمِ ، ثم سُرِرْتُ بِرُؤْيتِهِمْ رِجَالاً يَحِلُّونَ رَفيعَ المناصِبِ في هذا الجُزْء الحبيب من بلادنا .

لَقَدْ عَتِبَ إليَّ بَعْضُ الإخوَةِ فيمَا عَتِبُوْا - أنَّ « العَرَبَ » لاتُعْنَى كَثيرًا بِنَشْرِ ما يَتَعَلَّقُ بهذهِ البلادِ من تاريْخ وأدَبٍ وغيرهما مما تُعْنَى به هذه المجلة .

من ذكريات الرحلات

(٤)

وفي الفترة التي تَلَتْ نقل الأمير خالد السُّدَيْري — رحمه الله — من الإمارة تولاها — وكالةً أَحَدُ خَدَمِ الأمير الذي سيخلفه ، فَحَبَّذَ صاحبي الذهابَ للسلام على هذا الأمير الجديد ، على ماجرت به العادة ، فكان ذلك ، وعند الدخول عليه قال أحد الواقفين على باب المجلس : (سَلِّمُوا واسكتوا تَرَى الأمير مايحبّ الكلام) ولعله كان يعرف عَنِّي أَنَّنِي (ثَرْثَارٌ) وهكذا كان ، فبعد أنِ اسْتَقرَّ بنا المجلس ، ورأيت من مظهر الرجلِ ووجاهته ووَسَامتِهِ وحُسْنِ مَظْهرِهِ مادفعني إلى أن أقول — موجِّها الكلام إليه — وكان في جلسته منحرفا عن الجهة التي أجلس فيها أنا وصاحبي (كيف حالكم طال عمرك ؟ !) فاتجه إلينا محدقا النظر قائلا : (وِشْ انْتُم يا حُبَيِّبِي[1] ؟ !) وسكن الحاء وفخّم الباء . فَقُلْتُ : طال عمرك ! أنا فلان

ما أوْسَعَ أَبْوابَ الإعْتِذار ! ولكنَّ عَتْبَ الأحِبَّةِ يَتجلَّى عن كلِّ اعتذارٍ ، إذْ هُوَ تَعْبِيرٌ عن صادق المَوَدَّة — كما قيل — :

إذا ذَهَبَ العِتَابُ فَلَيْسَ وُدٌّ ... وَيَبْقَى الوُدُّ ما بَقِيَ العِتَابُ

فَإِلَى اولئكَ الإخْوَةِ الَّذينَ أعادُوا لِنَفْسِي من لَذِيذِ الذكْرَيات قبل أَرْبَعِينَ عاماً — ماكان من أقوى الحوافزِ لأتَّجِهَ لدراسةِ تاريخ هذه المنطقة — إليهم يَعُود الفَضْلُ . في إصدار هذا الجُزْءِ الخَاص .



---

(١) : وش أنت : أي شيء أنت ؟ من أنت ؟ — استفهام تجاهل — حبيبي : تصغير تحقير حبيبي .

وصاحبي فلان . نعمل في (مراقبة التعليم) . فقال : (تِعْلُوْمَ العَسْكر) ؟ فقلت : لا ! تعليم المدارس ! . فما كان منه إلا أن انحرف بجسمه قائلا : (مْعَلّمة وِغدّان) !! .

فقلت في نفسي : (على نَفْسها جَنَتْ براقش) . وانصرفت خجلا .

ولما تولى الأمير عبد المحسن بن عبد الله بن جلوي الإمارة كنت أتمتع منه برعاية خاصّة ، فكان كثير التفقد لي في كثير من المناسبات ؛ ولما زار الملك عبد العزيز — رحمه الله — البلاد عرض عليّ أن ألقي كلمة في حفلة الاستقبال ، فكان أن أنْشَدْت أبياتا من النظم أولها :

احْلُلْ عَلىَ الرَّحْبِ فالأحْدَاقُ أوْطَانُ
يَا مَنْ بِمَقْدَمِهِ الأَوْطَانُ تَزْدَانُ
مَا غِبْتَ عَنْ أمَّةٍ قَدْ ظَلَّ يُمْطِرُهَا
مِنْ فَيْضِ جُوْدِكَ بالإحْسَانِ هَتَّانُ

ويظهر أنّ لِحُسْنِ الإلْقاء منَ الأثر مايُخْفِي عُوَارَ القول ، فكان الاستحسانُ وكانت الجائزة .

في أحد أيام الخميس ذهبت إلى القطيف ، وهو يوم السوق في تلك البلدة ، فمررت بدكان رجل كان يبيع الكتب القديمة ويدعي — إن لم تخنّي الذاكرة — علي الفار ، وكان دكانه واسعا مملوءا بالأنواع التي تجلب ذلك اليوم ، أقصاه فيه قلال التمر التي يتسرب منها الدبس ، ومن دونها مختلف الأواني القديمة ، وبجانب منه كتب مخطوطة مركوم بعضها فوق بعض على الأرض ،وفي المدخل أنواع الخُضرِ والأسْماك وكان أميّا ، ولهذا فهو يقدر ثمن الكتاب بأمرين : رغبة المشتري وحرصه ، وحسن مظهر الكتاب ، وثقله في اليَد ، وقد اشتريت منه في ذلك اليوم كتابين ، وسمكة بطول الذراع ، طريّة ، وقفّة صغيرة ، وضعت فيها ما اشْتَرَيْتُ وكان الجَوُّ بارِداً ، والوقتُ ظُهْراً ، وقد أحسست بالجوع ، فاستوضحت منه عن مكان عين ماؤها حارّ ، يذهب إليها أهل البلدة للاستحمام تدعى (خَبَّاقَة) فوصف

لي موقعها ، فحملت قُفّتِي ، وذهبت إليها ماشيا ، ولمّا وصلتها ، وكان الجوع قد أخذ مني مأخذه ، جلست غير بعيد عن قُبّة الحمام ، وجمعت من الكَرَب وعِسْبَان النّخَل كومة . أشعلت فيها النار . ثم وضعت السمكة قبل أن يُجَمَّرَ الحطبُ ، فانْطفأت النَّارُ ، وثار منها دُخانٌ دخل في منافذ القبّة ، فما شعرت إلاّ بعدد كبير ممن كان داخلَ الْحَمَّام يخرجون شِبْهَ عُراة مسرعين نحوي . بعد أن أشرقهم الدخان ، فلما رأيتهم أقبلوا عليّ أسرعت في الهَرَب . فما كان منهم إلا أن أتَوْا بماء وأطْفَأوا به النارَ ، وتركوا السمكةَ والقُفّةَ ، فاحتملتهما وعدت إلى الْقَطِيف.

وعلى ذكر صاحبنا الْكُتُبِيّ الأمِيّ — كان الأستاذ الشيخ خالد الفرج ، مقيما في القطيف ، وكانت صلتي به قوية ، وقد اقتنى مجموعة من المخطوطات اشتراها من صاحبنا الكتبي الأمي ومن غيره ، وله مقطوعة من الشعر ، لا أحفظ شيئاً منها ، ولكنها تدور حول وصف مدينة (حاكمها) أميٌّ . و (رئيس المجلس البلديّ) فيها أميٌّ ، ولا يقف الأمر عند هذا الحدّ ، بل حتّى (بائع الكتب) فيها أميٌّ . ومعذرة للاخوة من أهل هذه البلاد . فأنا أتحدث عن زمن مضى له الآن نحو ٣٥ سنة وقد تغيّر كل شيء الآن .

كان مما اشتريت من المخطوطات كتاب « الراموز » في اللغة . ومؤلفه معاصر لصاحب « القاموس » وكنت في إحدى رحلاتي للقاهرة أخذته معي للبحث عن نسخة أخرى منه ، وكانت نسختي بخط المؤلف .

وقد طالت إقامتي في القاهرة حتى احتجت إلى شيء من النقود ، ففكرت في تقديمه لدار الكتب ، لكي أحصل على بعض حاجتي ، ولكي يبقى الكتاب محفوظا في مكان أستطيع — فيما لو احتجت إلى الرجوع إليه — أن أجده . وفعلا قدمته لقسم المخطوطات في الدار المذكورة . وكتبت تقريراً عنه قلت فيه : إنه مسودة المؤلف .

وقد علم أحد الإخوة بذلك . وكان قد طلب مني أن أبيعه اياه فلقت له : إنني أُريد أن أضَعَهُ في مكان أتمكن من الاطلاع عليه متى أردت . وعندك لا يَتَسَنّى ذلك في كل وقت ، وقد يخرج من يدك .

وبعد أسبوع قال لي صاحبي : أتعرف ماذا قدّر (قسم المخطوطات) ثمناً للكتاب ؟ إنه أربعة عشر جنيها .

ذهبت إلى (دار الكتب) فاطلعت على تقرير (قسم المخطوطات) عن الكتاب وعن تقدير قيمته ، فإذا في التقرير : (وقد أخبرنا فلان – وهو صاحبي – بأنّ مسودة المؤلف من هذا الكتاب في مكتبة شيخ الإسلام في المدينة المنورة) .

فأخذت الكتاب ، واضطرّتني الحاجةُ إلى أن أبيعه على صاحبي – بمئتي جنيه – وما كان هذا المبلغ قيمةً له . لقد أخذته بدافع الغضب من جهل كاتب التقرير ، الذي قلت له : كيف تعتمد على مجرّد قول قيلٍ لك ، لا تعرف مبلغَهُ من الصِّدْق ؟!

وكانت الدولة قد بدأت باقطاع الأرض في الدمام لمن يعمرها ، فكان أن تقدمت بطلب إلى (الإمارة) أحيل إلى (البلدية) فأقْطِعْتُ أرضا مساحتها ٨٠ قدما طولا و ٤٠ قدما عرضا ، في ناحية من البلدة ، وكانت صغيرة إذ ذاك ، ففكرت في بناء بُوَيْتٍ في تلك الأرض ، وكنت عرفت رجلا يدعى (أبو دحيم[1]) وكان ممن يتّسمُ بسيما أهل الصلاح والخير ، وكان حمّارا لديه ثلاثة أحمرة ، ينقل عليها الحصا من البحر إلى السوق لبيعه ، فلما علم بما فكرت فيه أبدى استعداده للقيام ببناء البُوَيْتِ ، على طريقة بناء مساكن البلدة في ذلك الوقت ، تبنى جدران المنزل بألواح رقيقة من حجر البحر (فُرُوْش ٌ واحدُها فَرْشٌ) تكون طويلة وعريضة ورقيقة ، ؛ يقام بعضها فوق بعض ، ويُحشّى ما بينها من الخلل بِكِسَرٍ صغيرة من الحصا وتُبَلَّطُ بالجص ، ويقام في ملتقى الجدران سواري مربعة بالحجر والجص ، والسقف يكون بالخشب ، يوضع فوقه نوع من الحصر الخشنة تدعى (بَوَاري) واحدتها بارية ، معمولة من قصب الحلفاء .

تمّ الاتفاق مع (أبو دحيم) على بناء بُوَيْتٍ خطّطْتُ أمكنته وحددتها . والأجرة سبعة آلاف ريال ، ولها وزنها في ذلك العهد .

وكنت حين أعود ظهرا من عملي آخذ معي بعض الطعام وآتي إلى العمّال فنشترك

(١) القاعدة (أبا دحيم) ولكن كذا ينطبق الاسم في جميع حالات الاعراب .

بما أحضرته ، وأذكر أنني في احدى المرات وقد جلسنا في ظل جدار قريب من البويت نَأكُلُ تَمْراً . إذا بسيارة تقف غير بعيدة عنّا وإذا بداخلها رجل يدعو باسمي ويضيف : (يا إقطاعي يا إقطاعي) ! ! وإذا به الشيخ عبد الله الطُّرَيقي ، فدعوته للأكل معنا . فقابلني بضحكة عريضة . وكان يذكرني بذلك كل ما رآني .

انتهى بناءُ المنزل ، ودفعت للرجل الذي بناه حقَّه كاملا . ولكنني فوجئت وأنا أتأهّبُ للانتقال إليه ، عندما شاهدت في الجدار الخارجيِّ مَيْلاً ، وبصَدْعٍ (شَلْخ) مستطيل باستطالة البيت ، فاتصلت بـ (البلدية) فأرسلت معي مهندساً قرر أن البيت سيسقط ، وينبغي أن تهدمه (البلدية) لئلا يسقط على أحد ، وهكذا كان .

ذهبت إلى صاحبي (أبُودحيم) فَوْراً فأخبرته ، فكان جوابه : (سلمته لك وهو ما فيه عَيّاب) ! ثم تراضينا على الحضور عند أحد الإخوان . فقال أبو دحيم : أنا سلمته البيت وهو ما فيه خالل ، والذي حدث قضاء من الله ! فوجه إليّ الأخ سؤالا : أنت إن شاء الله تؤمن بقضاء الله وقدره ؟ ! فقلت نعم . ولكن . . غير أن الأخ الذي رضينا بحكمه — أمرنا بالقيام من عنده قبل إكمال جملة (ولكن) . . وانتهى الأمر عند هذا الحَدّ . فاضطررت لإعادة بنائه على الطريقة الأولى . ولا يزال — ولله الحمد قائما — غير أنني منذ عام مررت به ، فلم أدخله خشية أن لا أخرج منه ، ومع ذلك فقد كان مسكونا — على ما قيل لي — ! ! .

ومن أمتع الذكريات وأبقاها في النفس ، وأجلّها فائدةً رحلةٌ قمت بها مع أخَوَيَّ الجليلين ، الأستاذين الشيخ محمد بن ناصر العُبُوديّ والشيخ سعد بن عبد الله بن جُنَيْدِل في شهر صفر من عام ١٣٩٥ في عالية نَجْدٍ من الرياض فالدوادميّ ، فعفيف ، فحِمَى الرَّبَذَة ، فوادي الرُّمَةِ ، فالْعَلَمِ ، فالْحَرَّةِ ، فبلدة الْحُوَيِّط (يَدِيع) في حَرَّة خَيْبَرَ ، فبلدة الحائط (فدك) فبلاد الجبلين (حائل) فطريق الحج الكوفي إلى منتهاه من ناحية العراق ، ثم الاتجاه نحو الشمال إلى (عَرْعر) فرجوعا إلى الجوف فتيماء ، فالمدينة المنورة .

ولِهذهِ الرحلة آثارٌ طيبةٌ منها تحقيق موقع (الرَّبَذَة) البلدةِ التي توفي فيها

الصحابيُّ الجليل أبو ذَرٍ – جُنْدَبُ بن جُنَادَةَ الْغِفَارِيُّ – رضي الله عنه – وتحقيق مواضع تاريخية أخرى – أرجو أن اتحدث عنها بتفصيل ، بعد الحديث عن رِحْلَةٍ دعت مناسبةُ إصدار هذا الجزء الخاص إلى تقديمها ، وهي الرحلة إلى المنطقة الشرقية .



صورة رقم (١)

رفاق رحلة عام ١٣٩٥ يشاهدون حجراً بقرب قرية يَدِيع (الْحُوَيِّط) فيه أبيات من الشعر كتبت بالخط الكوفي البديع مؤرخة في اليوم الثالث والعشرين من شهر شعبان سنة تسع وثلاثمائة – أي قبل ألف وتسعين عاما . ونص الكتابة :

بَادِرْ زَمَانَكَ قَبْلَ وَقْتِ رَحِيلِه واعْمَلْ لِيَوْمِكَ يَا أَخَا الإِسْرَافِ

(١) انظر عن الربذة « العرب » السنة الأولى ص ٧٢٤/٤٦٢٥/٤٦٥/٤١٨ والسنة العاشرة ص٤/١ والسنة الحادية عشرة ص ١٦٧/١٦١ .

فَكَأَنَّ يَوْمَكَ قَدْ أَتَاكَ بِغُصَّةٍ   فَأَزَالَ عَنْكَ لَذِيذَ عَيْشٍ صَافِ

وكتب محمد بن يعقوب يوم الاربعا لسبع بقيت من شعبان سنة تسع وثلاثمائة) .

إلى المنطقة الشرقية أيضاً : وحينما هُيِئَتْ جميع وسائل الرحلة من قبل (وزارة الاعلام) حرصتُ بأن أحظى بمرافقة الأخوين الكريمين الأستاذين الشيخ محمد العبوديّ والشيخ سعد بن جُنَيْدل . وهُمَاهُمَا في دراسة النصوص الجغرافية المتعلقة ببلادنا ، وفهمها وتطبيقها على المشاهدة فيما قاما بتأليفه من أقسام « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » وفي الإلْمَام التامّ بتلك النصوص في مختلف مصادرها ومواقعها ، وبهما تُصْبِح الأسفارُ وسيلةَ إمْتَاعٍ ونُزْهَةٍ ، بما يتصفّان به من أدبٍ جمّ ولطف وظرف ، وطول معاناة لها ، مكنتهما من التغلب على ما يحدث فيها من عناء وتعب ومشقة .

وقد أفْضَلاَ — أدام الله لهما المزيدَ مِنْ فَضْله — فأسْعَدَاني بتحقيق رغبتي .

فكان السفر في صباح يوم الأحد المكمل لشهر جمادى الأولى سنة ١٣٩٨ .

وقد رآى الأخَوَانِ — وَحَسَناً مَا رَأَيا — أنْ تَبْدَأَ الدّراسة من طريق الحج البصريّ القديم ، الذي يخترق الدّهنا ، فيما بين شقيق النِّبَاج والأسياح غربا ، حيث تقع السُّمَيْنَةُ قديما (البُنَيْصِيَّةُ الآن) وبين أسفلِ وادي الأجرديّ شرقا ، حيث توجد بُرَيْكَةُ الأجرديّ (اليَنْسُوعَةُ قديما) .

فكان السير مع طريق سُدَيْرٍ ، والقيلولة بقرب مدينة المجمعة ، قاعدته ، ثم المرور ببلدة الأرطاوية[1] ، ومنها تفترق الطرق ، وتَتَشَعَّبُ ، وحينئذ فَلاَبُدَّ من دَليل ، يعرف أسهلها سَيْراً ، وأقصدها لبلوغ الوَجهة . فقصدنا مَقَرَّ الإمارة ، واتجه أبو ناصر — حيّاه ورعاه — وهو عميد الرحلة ووجيهها ، بل (جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ ، وعُذَيْقُهَا الْمُرَجَّبُ) في جميع أمورها — اتجه لمقابلة الأمير .

(١) انظر عن هذه البلدة « معجم اليمامة » أحد أقسام « المعجم الجغرافي » ج ١ ص ٧٢/٧٣ تأليف الأستاذ الشيخ عبد الله بن خميس .

وسرعان ما أتيا معاً ، فرحّب الأمير وألَحّ بطلب النزول ، مبالغةً في الاكرام ، ولما رآى حرصنا على مواصلة السير . أنْعَمَ لنا بالدليل . وأتبع ذلك بضيافة سَخيّة . على حَدّ قول الشاعر :

وَنُكْرِمُ ضَيْفَنَا مَادَامَ فِينَا   وَنُتْبِعُهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ سَارَا



صورة رقم (٢)

عند باب (مركز إمارة الارطاوية) ويبدو في الصورة من اليمين : أحد أبناء الأمير ثم الشيخ محمد العبوديّ ثم حمد الجاسر فالأمير سلطان بن عبد الرحمن الدويش ، فالشيخ سعد بن جُنَيدل فبعض الاخوة من موظفي الامارة .

وكان السير – بإرشاد الدليل – نحو الشمال ، حتّى جُزْنَا الأرض السهلة ، واعترضتنا كثبان الرمال (نفود السَّيَّارِيَّات) الممتدة من الدهنا ، فكان المبيت ،

وما أهنأ النوم بافتراش ناعم الرمل النَّقِيّ . والنَّسِيْمُ العليل يُعَطِّرُ الجوّ بأريج الشُّجَيْرَاتِ الغَضَّةَ الريانة غِبَّ القَطْرِ أو النَّدَى :

كَمْ ضَجْعَةٍ فِي القَاعِ فِي غَلَسِ الدُّجَا
بَيْنَ الرِّمَالِ العُفْرِ . وَهْيَ وِسَـــادي[1]

ومقيل يوم الاثنين غرّة شهر جُمَادَى الآخرة ١٣٩٨ تحت ظلال الأثل ، على مقربة من قرية (الطِّرَاق) - بكسر الطاء المهملة وفتح الراء بعدها ألف فقاف - ويظهر أن الموضع سمى بهذا الاسم لأنه أرض منخفضة بين مرتفعين الجنوبي منهما حِبَال رمالِ الدَّهنا . والشمالي آكام وحزون وأرض خشنة مرتفعة تدعى (التيْسِيّة) والطراق منخفض ممتد من الغرب نحو الشرق ، فيه مجرى وادي (الأجرديّ) الذي هو امتداد لوادي الرُّمّةِ ، لو لم تحجز رمال شقيق النباج (عروق الأسْيَاح) ذلك المَجْرَى من جهة الغرب ثم رمال الجُرَّع من الشرق ، وتلك الرمال أَلْسِنَةٌ ممتدة من حِبَال الدهنا .

وكانت المسافة التي قطعناها من الرياض إلى الطراق ٤٣٧ من الأكيال : (من الرياض إلى المجمعة ٢٢٧ ومن المجمعة إلى الارطاوية ٧٠ كيلا ومن الارطاوية إلى الطراق ١٤٠ كيلا) .

رغب الإخوة في زيارة هجرة (قُبَّة) - بضم القاف وفتح الباء مخففة بعدها هاء - وتبعد عن قرية (الطِّرَاق) نحو ٢٦ كيلا ، وتقع في الشمال الغربي منها غرب مرتفعات التَّيْسِيَّة ، التي هي قديما من الحَزْنِ ، حَزْنِ بَنِي يربوع ، وتقع (قُبَّةُ) في وَهْدَةٍ من الأرض ، حيث تفيض أودية التيسية الغربية في براح واسع ، يَلُبُّ به من الغرب رمالُ الدهنا ، ومن الجنوب منخفض وادي الأجردي ، ومن الشمال والشرق آكام وحزون هي امتداد التَّيْسِيَّةِ .

وتقع البلدة على أوسط الطُّرُق التي تَتَّجِهُ من شمال الجزيرة ووسطها إلى

(١) البيت لفؤاد الخطيب . وكلمة (القاع) لاتتلاءم مع (الرمال) فلو قال : (في البيد) .

الكويت والعراق ، كما أنها تقع متوسطة بين الدهناء وبين الأرض التي كانت تعرف قديما باسم (الحزن) والدهناء والحزن من أطيب مواضع الجزيرة من حيث جودة المراعي ، ووفرة النبات ، متى جاد الغيث تلك البلاد ، ومن هنا كانت الرغبة الدافعة إلى اتخاذها هِجْرَةً في أول الأمر . ومن مأثور العرب قديما : (مَنْ تَشَتَّى الدَّهْنَا وتَرَبَّعَ الحَزْنَ فقد أصاب المرعى) وقيل : (لاَ يُصْلِحُ العَرَبَ ، إلاَّ ما يُصْلِحُ إبِلَهُمَ) والقرية الآن حَضَرِيَّةٌ بَدَوِيَّةٌ في مظهرها ، ونُمُوُّهَا بَطِيءٌ ، وذلك يرجع إلى قلة الماء فيها .

ثم كان السَّيْرُ من (الطِّراق) باتجاه الشرق ، مع مجرى وادي الأجرديُّ ، والمرور بروضة واسعة في ملتقى وادٍ يأتي من الشمال ، منحدرا من مرتفعات التَّيْسِيَة ، يدعى شَعِيبَ السَّهْلِ ، وتُدْعى هذه الروضة التي يكثر فيها شجر العُشَرِ (أمّ عُشَرٍ) العُلْيا ، و (أم عُشَرِ الأجردي) للتفريق بينها وبين موضع آخر سيأتي ذكره قريباً .

والاسم القديم لهذه الروضة هو (الخَبْرَاءُ) وقد تضاف إلى منهل كان يقع بقربها فيقال : (خبراء اليَنْسُوعَةِ) . وتبعد عن (الطراق) سبعة عشر كيلا . ولا أدري لِمَ لَمْ تُحْيَ هذه الروضة ! ولعل هذا يرجع إلى عدم العثور على الماء الكافي .

ويدل على هذا وجود آثار حفْر بالآلات الحديثة ، وبجواره طين يابس ، مستخرج من جوف الأرض ، وفوهة ما حُفِرَ مُغطّاة .

وكان مبيت ليلة الاثنين (ثاني جمادى الآخرة ١٣٩٨) بقرب هذه الروضة .

وكان السير صباحاً من (أمّ عُشَرٍ) هذه — الخبراء قديما — إلى بُرَيْكة الأجرديّ تصغير بركة — مضافة إلى وادي الأجرديّ ، والبركة من آثار طريق الحج القديم ،

(١) انظر وصفا لهذا الموضع في كتاب « بلاد القصيم » أحد أقسام « المعجم الجغرافي » للأستاذ الشيخ محمد العبودي و « شمال المملكة » لكاتب هذا .

وموقعها يدعى (اليَنْسُوعَة) . بالياء المثناة التحتية والنون الساكنة بعدها سين مهملة مضمومة . فواو ساكنة فعين مهملة مفتوحة فهاء — ويُصَحَّفُ هذا الاسم لغرابته وتشابُهِ بعض حروفه .

والمسافة بين الخبراء (أمّ عُشبرٍ) وبريكة الأجْرَديّ (الينسوعة) ستة عشر كيلا .

وتقع (بُريكة الأجرديّ) في جَوّ واسع من الأرض . في مفيض الوادي . وما يرفده من شعاب تأتيه من الجهة الشمالية . من مرتفعات التَّيْسِيَّة . ويكثر السِّدْرُ في الجهة الغربية منه . حيث يستريض السيل . فَيُكَوِّنُ مُسْتَنْقَعَاتٍ واسعة(رياضا)

أما البركة فهي في الجانب الشرقي مرتفعة عن تلك المنخفضات ، لئلا تَمْتَلِيء بما يجرفه السيل من الطين الناعم (الْغَرين) والماءُ يصل إليها من مجارٍ تمتد من الْخَبَارى التي تجتمع فيها سيول وادي الأجري ، ومن شُعَبٍ أخرى .

وقد تهدمت جوانب البركة ، وامتلأ جوفها بالطين ، وكثر نبات السِّدْرِ بقربها .

وتقع البركة في الجانب الشمالي الموالي لمفيض الوادي ، من ذلك الجوّ الواسع . وبقربها آبارٌ قديمة ، لا يزال بعضها مستعملا ، وتلك آبار الينسوعة إحدى منازل طريق الحج البصرىّ التي قال عنها الأزهريُّ صاحب كتاب « تهذيب اللغة » — قبل ألف عام : (يَنْسُوعَةُ الْقُفّ : منهل من مناهل مكة ، على جادّةِ البصرة ، بها ركايا عَذْبَةٌ ، عند منقطع رمال الدّهْنا ، بين مَاوِيَّةَ والنِّبَاج ، وقد شربت من مائها) . انتهى . وقد وصف ماءها بالعذوبة قبل الأزهريّ وهب ابن أبي حازمٍ من أهل القرن الثاني الهجري فقال في أرجوزته في وصف طريق الحج (١) :

فَأَوْرَدُوا الْمَطِيَّ عَذْباً بَارِدَا ثُمَّ ارْتَوَوْا ، وَقَرَّبُوا الْمَزَارِدَا

ولن أطيل — عند وصف الاماكن والمناهل — بذكر أقوال المتقدمين ، بل سأكتفي

---

(١) انظر تلك الأجوزة الفريدة في بابها في كتاب « المناسك ومواضع طرق الحج » من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .



صورة رقم (٢) بريكة الأجردي (الينسوعة قديماً)

بإشاراتٍ موجزة ، ومن رغب الاستزادة فليرجع إلى « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » .

تَفَرَّق الإخوة في مفيض الوادي بحثا عن موقع البركة ، وهذا المفيض روضة من أوسع ما رأيت من الرياض ، وأكثرها أشجارا ، وقد جرفت السيول التي تأتي من الوادي ومن الشعاب المنحدرة من المرتفعات الواقعة شمالها جرفت من الطين الناعم (الغرين) ما كَوّنَ طبقة سميكة غطّت أرض هذه الروضة الواسعة . ويستغرب المرء بقاء هذا المكان الخصب بدون إحياء .

وبعد أن بلغ أحد الإخوة موقع البركة أخْبَر الباقين ، وكان بعضهم قد أعياه

اكثار المشي فاستظل تحت شجر السَّدر ، إذ السيارة يصعب سيرها داخل الروضة لكثرة الأشجار ، ولوجود كثير من الآكام الصغيرة المتكونة من تراكم الطين حول جذوع تلك الأشجار .

فكان الاجتماع عند البركة . ثم أبصرنا على مقربة منها آثار الآبار ، ورأينا إبلاً غير بعيدة عنّا تبين لنا أنها مجتمعة على ماء يمتحه لها صاحبها من إحدى الآبار ــ آبار الينسوعة ــ .

ولما بلغناها بادر بعض الاخوة للشرب من الماء ، فناولهم الماتح الدّلو . ولعلهم أرادوا التأكد من وصف المتقدمين لماء الينسوعة بالعذوبة . وللاقتداء بفعل عالم جليل شرب من هذه الآبار ، ولكن هذا العالم في حالة أسْر [1] ، والأسير قد يستعذب ما ليس عذبا ! ولهذا بدا طَعْمُ ماء هذه البئر مقبولا ، مُسْتَسَاغاً في الشرب وإن لم يكن عذبا ، فهو ــ بتعبيرنا اليوم (دَبْج [2]) . ويظهر أن طعم الماء تغيَّر خلال هذه السنين الطويلة . أو أنَّ الآبار العَذْبَة الماء قد درست .

وبعد الاستراحة كان الاتجاه شرقاً . وبعد اجتياز حبال الدهنا ، كان الاتجاه إلى ذات العُشَر . ابتداء من أعلى وادي الباطن (فَلْج قديما) ولتشعب الطرق في الرمال لم يكن سيرنا قصدا ، بل امتدّ شرقا بدون قصد منا ، ثم عدنا للاتجاه نحو الجنوب الغربي ، حتى خرج بنا الطريق على منهل الثُّمَامِيّ (المجازة قديما) فجزناه ولم نقف ولم نَقِل إلاّ في أُمّ عشر ــ وهذه أُمّ عشر الباطن ــ وهي (ذاتُ الْعُشَر) قديما ــ وفيها مزارع ، وآثار عمران قديم ، وبيوت وسكان من قبيلة مُطَيْر .

كان الحجاج قديما يقطعون ما بين المجازة (الثُّماميّ الآن) وبين الينسوعة (بريكة الأجردي) من رمال الدهنا بأقل من مرحلة ، إذ المسافة بينهما تقارب ثلاثة عشر ميلا . فالمرحلة عندهم من ذات العشر إلى الينسوعة ، أما المجازة فكانت المُتَعَشَّى بعد رحيلهم من ذات العشر ، ومنها إلى الينسوعة نحو عشرة أميال .

---

(١) انظر ما سيأتي عن الأزهري في مقدمة كتاب « المنطقة الشرقية » أحد أجزاء « المعجم الجغرافي »

(٢) لعل هذا الوصف للماء مما فات علماء اللغة تدوينه فلم أره فيما اطلعت عليه من كتبهم .



صورة رقم (٤) عند إحدى آبار الينسوعة (بريكة الأجردي)

ولكن السَّيْرَ فيها شاقٌ حيث تَعْظُمُ رمالُ الدهنا ، فيصعب قطعها . وأهل السيارات الآن يتحامون السَّيْرَ فيها ، فَيَنْكُبُونَها ذاتَ اليمين أو ذاتَ اليسار ، إلى الجوانب التي يمكن اجتيازها .

كان المقيل في بستان ، في أم عشر (ذات العشر قديما) صاحبهُ مُطَيْري يُدعَى الحُمَيْدَاني ، والمسافة بينها وبين الثمامي (المجازة) سبعة عشر كيلا . ولم يضِقْ صاحبُ البستان ذَرْعاً بنا ، فقد تظللنا بشجر بستانه وانتفعنا بمائه ، وقابلنا بمُحَيّاً طلق ، ورَحَّبَ بنا .

ويعلّل صاحب كتاب « المناسك » الاسم قائلا[1] : سميت ذات العُشَرِ لأنها كانت منابت العُشَر ، وذكر أن فيها آبارا .

وقد شاهدنا آثار بناء قريب من مقيلنا . على الجانب الشمالي للوادي . يظهر أنه من الحصون التي بُنَيِت لتكون مقرًّا لحراس منازل طرق الحج . وقد نقلت أحجاره لاستعمالها أثناء عمران القرية في هذا العهد ، ورأينا صخورا عظيمة بقرب موقعه عند مَبْزَنَةٍ (محطة بنزين) بقربه .

ووادي الباطن (فَلْج) قديما . يتضح مجراه من غرب مَنْهل الثّمامي غير بعيد ، حيث يبدو جانبا الوادي مرتفعين ، ومجراه غَوْرٌ منخفض انخفاضا عميقاً . وفم الوادي من أعلاه قد سَدَّتْهُ رمال الدهنا ، وحفّتْ بجانبي المَجْرَى جنوبا وشمالا ، منحدرة بانحدار الوادي إلى قرب (أمّ عشر) حيث انقطعت الرمال . وبرزت جوانب الوادي مرتفعة ، ذات أرض صلبة .

ويظهر أن الوادي من أعلاه إلى قرب مفيضه كان في العهود القديمة مَمْلُوءًا بالآبار ، كما تدل على ذلك الآثار ونصوص المتقدمين .

وكان وادي الحَفَرِ هذا من منازل بني العنبر ، من بني تميم ، ويجاورهم بعض فروع من تميم من بني مازن وغيرهم . وكان الوادي يُسَمَّى (فَلْجاً) بالفاء مفتوحة واللام ساكنة وآخره جيم .

يقول الراجز :

إنّ بَنِي العَنْبَرِ أَحْمَوْا فَلْجَا مَاءً رُوَاءً وَطَرِيقاً نَهْجَا[2]

وكانت مياهه عَذْبَةً . قال أحد الشعراء :

ألا شَرْبَةَ مِنْ مَاءِ مُزْنٍ على الظَّمَا حَدِيثَةُ عَهْدٍ بالسَّحَابِ المُسَخَّرِ
عَلَى رَضَفٍ مِنْ بَطْنِ فَلْجٍ كَأَنَّهَا إذا ذُقْتُهَا بَيُّوتَةٌ مَاءُ سُكَّرِ

ـ لندع الحديث عن هذا الوادي في محلِه من « المعجم » ولْنَسِرْ على بركة الله من ذات العُشَر ـ

---

(1) : ٥٨١ . (2) ويروى : من يك ذا شك فهذا فلج ماء رواء وطريق نهج .



صورة رقم (٥) آثار بناء قديم في (ذات العشر) - أم العشر

بعد أن قطعنا نحو ٣٠ كيلا قاربنا قريةً حديثةَ ، سيِّئة الاسم ، فاستحسن الإخوةُ المبيتَ قبل بلوغها ، وتدعى (ذَبْحَة) وتجاوزناها في الصباح ، وكنَّا مررنا بعد مسيرنا من أمِّ العُشَر بروضتين واسعتين ، متجاورتين في بطن الوادي تدعيان (القَرَاين) وقد تحدثت عنهما في قسم (شمال المملكة) وظننتهما (الرقمتين) اعتمادا على نَصٍ أورَدْتُه هناك . غير أنني بعد مشاهدة هذه المواضع ، والمسير في هذا الوادي ، بَدَا لي وللأخوين رَأْيٌ آخر . هو أنَّ الرقمتين الواقعتين في هذا الوادي هما أقرب إلى الحَفَرِ من روضتي (القرائن) ويدل على هذا نصٌ أورده صاحب

« المناسك »[1] : (وكان في البطن مِنْ وراء ماويّةَ عند التواء الوادي) ـ وذلك الموضع يسمى العَوْصَاء لالْتِوَائِهِ ـ الرقمتان . وفلج يضيق في ذلك الموضع . وهما قريتان على شفير الوادى من جانبيه ، والقُفُّ في ذلك الموضع مرتفع ، كانت إحداهما بإزاء الأخرى ، وهي منزل مالك بن الريب[2] . قال :

فَلِلّهِ دَرِّيْ يَوْمَ أَتْرُكُ طَائِعاً   بَنِيَّ بِأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ وَمَالِيَا

ثم ذكر بعد ذلك المُتَعَشَّى لِلْمُتَّجِهِ من ماويّةَ ، والمنزل الذي يلي ماوية ذات العشر ، والقراين شرق ذات العشر بنحو ستة أكيال ، فهي بعيدة عن الموضع الذي حدده صاحب « المناسك » للرقمتين .

بعد أن أقبلنا على قرية (أُمّ العَوَاقِيل) الواقعة غرب ماوية بنحو ثلاثة أكيال شاهدنا روضتين واسعتين متجاورتين على الجانب الشمالي من الوادي ، على مقربة من التوائه وارتفاع جانبه ، وهو قفّ ـ أرض خشنة ـ لم يداخلنا شكٌ في أنهما الرقمتان ، وتقعان غرب (أم العواقيل) التي هي ماويّة في القديم . التي تبعد عن أم عشر ٣٨ كيلا .

وقد حدد صاحب « المناسك » المسافة بينهما ٢٩ ميلا وهي تقارب التحديد الأول .

كان علينا أن نتحقق من انطباق موقع (أم العواقيل) على موقع ماويّة .

وماويّة هذه من أشهر منازل طريق الحج البصرى ، بل من أشهر المناهل في هذا الوادي (فَلْج) . نقل صاحب كتاب « المناسك » : كان من وراء الحفر منازلُ للعرب قديمةٌ ، في بطن فَلج ، مياهها عذبة ، وزعمت العرب أنهم لم يشربوا

---

(١) ص : ٥٨٠ .

(٢) مالك هذا من بني مازن وكان من مشاهير اللصوص في أول أمره ثم ترك ذلك وانضم إلى الغزاة أثناء الفتوحات الاسلامية في القرن الأول الهجري ، فلدغته حية وهو في بلاد فارس ببلدة (طبس) التي تحرف في أخبار (إيران) هذه الأيام إلى (تاباس) فرثى نفسه بقصيدة من عيون الشعر أوردها صاحب كتاب « جمهرة أشعار العرب » كما أوردها ياقوت مجزأة في « معجم البلدان » ولمالك هذا ترجمة في « الأغاني » ١٩/١٦٤ ط الساسي .

أعذب من ماء ماويّة ، غابّاً في السّقاء . وكان الحجاج[٢] لما سار في طريق البصرة منصرفا من الحج ، أمَرَ بالمياه فَوُزِنَتْ ، فيما بين البصرة ومكة ، فلم يَجِدْ أخَفَّ من ماء ماويَّة . انتهى .

لقد شاهدنا آثارَ عُمْران قديم ، من آبار دارسة ، وبركة واسعة ، رأينا بوسطها كِسْرَةَ حجرٍ من رخام بقيت بعض حروف كتابة فوقه بارزة ، وهذه البركة على شَفير الوادي من الناحية الجنوبية .

ومن شاهد موقع (أمّ العواقيل) وما حولها وقرأ ما ورد من النصوص القديمة عن (ماوية) يجزم بأن الاسمين ينطبقان على موضع واحد ، أي أن (أُمّ العواقيل) أحْدِثت مكان (ماوية) القديمة . مع ملاحظة اتساع موقع ماوية في القديم ، لكي يَسع عشرات الآلاف من قوافل الحجاج ، في العهود القديمة .

فالبركة وآثار الآبار تقع شرقا من القرية الحديثة (أُم العواقيل) بنحو ثلاثة أكيال . وهذه تقع في بطن الوادي وعلى ضفتّيه ، وبئرها ارتوازية حديثة ، وماؤها ليس عذبا ، واسم القرية حديث ، والعواقيل : العاقول ، وهو شُجَيْرَة شائكة ، يجود نباتُها في القيعان ، فتتكاثر في روضة هنا عرفت بالاسم . ثم حفرت فيها آبار ، فأصبحت قرية .

والآن وقد انتهينا من مشاهدة المواضع الواردة في النصوص التي اطلعنا عليها في كتب المتقدمين ، مما هو واقع في بطن وادي فلج (الباطن) ولم يبق بيننا وبين بلدة (الحفر) ما هو جدير بالمشاهدة ، ومواصلة السير في بطن الوادي شاقة ، فلنعدل ذات اليمين لسلوك الطريق المعبّد ، الممتد من المطار العسكريّ الحديث إلى بلدة الحفر ، وفيها كان المقيل .

(للحديث صلة)

حمد الجاسر

---

(١) : ٥٨٠ .

(٢) هو الحجاج بن يوسف الثقفي المعروف .

المنطقة الشرقية (البحرين قديماً)

[مقدمة كتاب « المنطقة الشرقية » أحد أجزاء « المعجم الجغرافي » الذي سيصدر قريباً]

لَنْ يبلغَ المَرْءُ الكَمالَ ، في أيّ عَمَلٍ من الأعمال ، مَهْما بلغ من القُوَّة . عَقْلاً وعِلْماً وعَمَلاً ، والأعمال — في هذه الحياة — تَنْمُو وتَقْوَى بِتَظَافُرِ العاملين وتعاونهم على كَرِّ العصور ، ولهذا فإنّ على المَرْءِ أن يعمل ما في استطاعته عمله ، وأن يدع لغيره من العاملين أساساً لذلك العمل ، وأن لا يَتَقَاعَس عن فعل ما يستطيع فِعْلَهُ في سبيل الخير والنفع العامّ ، عندما يَرَى عَدَمَ قُدْرَتِهِ على بلوغ الغاية ، فالعمل النافع — مَهْما بَلَغَ — ذو فائدة ، والعاملُ — وإنْ قصَّر — خَيْرٌ مِمَّنْ لا عَمَلَ له .

وعلى هذا سأُحاوِلُ القيام بتأليف ما يتعلّقُ بالمنطقة الشرقية من كتاب « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » — بعد أن أنهيت ما استطعت عمله مما يتعلق منه بشمال المملكة .

ولقد عُنِيتُ — منذ شهر رمضان سنة ١٣٥٨ — حين قدمت المرة الأولى إلى مدينة الأحساء ، وأقمت فيها أعمل في التعليم — بالبحث في تاريخ هذا الجزء الحبيب من بلادنا ، وحاولتُ الكتابة فيه ، وأعددت بعض الأبحاث عنه ، مما نشر بعضه في جريدة « أم القرى [1] » وفي مجلة « المنهل »[2] .

ثم لما ألّفَ الشيخ محمد بن عبد القادر كتابه « تحفة المستفيد ، بتاريخ الأحساء في القديم والجديد » ، رغب منّي الاشراف على تصحيحه عند طبعه ، ولم يكتف بذلك

---

(١) انظر عدد ٨٦٣ تاريخ ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٠ (٤يوليو سنة ١٩٤١م) .
(٢) انظر جزء رجب وشعبان سنة ١٣٦٠هـ (يوليو أغسطس ١٩٤١م) .

بل طلب أن أضيف إليه ما أراه ، فكان أن أدخلتُ في الجزء الأول من ذلك الكتاب معلوماتٍ في صلبه وفي هوامشه ، وفي لواحقه . ومنها ما استقيته من مخطوطات لم يطلع عليها المؤلف وقد أشرْتُ في المقدمة إلى ذلك .

ثم علمت بأن الشيخ عبد الله بن سليمان المزروع — رحمه الله — وهو ممن قويتْ صلتي به فترة من الزمن تقارب أربعين عاماً ، علمت بأنه يُعْنى بتأليف كتاب عن تاريخ تلك البلاد ، فقدَّمت له — بعد طلبٍ منه وإلحاحٍ في الطلب — ما كنت جمعته من المعلومات ، مما لم يسبق نشره ، وانصرفت عن الاهتمام بهذا الجانب من تاريخ بلادنا .

ولما فكَّرت في تأليف « المعجم الجغرافي » قبل عشر سنوات ، دعَوْت في مجلة « العرب » إلى الإسهام فيه وأوضحتُ أن الأمْرَ يتطلب تظافر جُهُودٍ كثيرة من الباحثين من أبناء البلاد ، وأن يتولى الكتابة عن كل منطقة من مناطق المملكة من أبنائها ذوو الكفاءة والقدرة على الكتابة فهم أقدر من غيرهم كما قيل في المثل : (أهْلُ شُعَبَى أدْرَى بِشعابِها)[1] .

وقد استجاب لتلك الدعوة نُخْبَةٌ طيِّبةٌ من أبناء البلاد ، وسارَ العمل في ذلك المعجم سيراً حَسَناً ، وطُبِعَت بعض أجزائه .

وكان ممَّن أظهرَ استجابته لتلك الدعوة الأستاذ عبد الرحمن بن عبد الكريم العُبَيِّد ، فقد بعث إليَّ كتاباً مطولا قال فيه[2] : (تلقيت دعوتكم الكريمة منذ أكثر من عام على صفحات مجلة « العرب » لكتابة معجم جغرافي لبلادنا . أُستاذي : إن الذي يشفع لي في تأخير المبادرة للكتابة إليك هو مشاغلي الخاصة من ناحية . بالإضافة إلى أنني فكرت في كتابة هذا المعجم منذ ثلاثة عشر عاماً .

---

(١) لعل هذا أصل المثل : (أهل مكة أدرى بشعابها) .

(٢) انظره بنصه في مجلة « العرب » س ٧ ص ٦٦٨ — شهر محرم سنة ١٣٩٠هـ .

في خلال الأشهر القليلة الماضية تمكنت من تنسيق المعجم الخاص بالمنطقة الشرقية ، بحيث يشمل جميع المدن والقرى وحقول الزيت بما في ذلك المياه والجبال والأمكنة .

لا أدري هل تُفَضِّل نشر المعجم بصورة متسلسلة في المجلة أم تتركه لنفاجىء به القراء ضمن المجموعة ؟! أما أنا فسيَّان عندي ، (والأمر في ذلك راجع لتقديركم) هذه جمل من ذلك الكتاب .

ولقد سُرِرْتُ حقاً باستجابة هذا الأخ ، وأظهرت له — عندما جاء إلى بيروت — لطبع كتابه عن قبيلة « العوازم » الذي وضعت مقدمته — أنني مستعد للقيام بمساعدته بما أملك في جميع النواحي . فأخبرني بأنه قد انتهى من التأليف ، ولم يبق سوى إعادة النظر في بعض مواضع منه .

وقبل بضع سنوات ذهبت إلى الدَّمام ، فلما قابلته ، علمت منه أنه أكمل الكتاب وبعث به إلى الدكتور عبد الرحمن الأنصاري — عميد كلية الآداب في جامعة الرياض — ولكنني لم أرَ منه من الرغبة والاهتمام بالموضوع ما رأيته في أول الأمر ، والظاهر أنه شُغِل عن الكتاب بأمور أخرى ، بعد ذلك بعثت إليه ثلاث رسائل ، لم أتلَقَّ جواب واحدة .

ولمَّا قدمت بلدة الجُبَيْل — وهي مسقط رأس الأستاذ ابن عُبَيِّد — في شهر ذي القعدة من عام ١٣٩٧ — عند افتتاح مصانعها ومشروعات تعميرها — حرصت على مقابلته عندما ذُكِرَ لي أنه من بين الحاضرين فلم أرَهُ ، فكان أن فكَّرت منذ ذلك الوقت بالقيام بكتابة هذا القسم من « المعجم » وأنا واثق بأن الأمر يتطلب مَزِيْداً من العناية ، فلا ما سأكتبه ولا ما كتبه الأستاذ ابن عُبَيِّد ، مهما بلغا من الشمول والصحَّة ، بِمُوْفِيَيْنِ على الغاية ، ولا بمشارِفَيْن لها ، ، وما هما سوى لَبِنَتَيْنِ صغيرتين ، يمكن وضعهما في أساس بناء صَرح عظيم .

فهذه البلاد من أوسع أجزاء المملكة ، والحديث عن جغرافيتها لا يفي به كتاب

أو كتابان . بل يحتاج إلى مجلدات [1] . ففضلاً عن كثرة المواضع من قرى ومياه قديمة ، كان العثور على حقول النفط فيها حدثا عظيماً في تطوّرِ عمرانها . وكثرة ما أُنشِيءَ فيها من المدن والقرى ، وحقول النفط .

يُضَاف إلى هذا أنَّ التَّشَارُكَ – في عمل مَّا – من الأسباب التي تعين على إتقان ذلك العمل .

من هنا بدأت في الكتابة بعد أن رَسَمْتُ الطريقة التي سأسير عليها . وهي التي سرت عليها فيما سبق أن كتبته من أجزاء هذا المعجم :

١ – مراجعة ما أستطيع مراجعته من المؤلفات القديمة والحديثة مما يتعلق بالموضوع . لجمع المعلومات وتنسيقها وترتيبها .

٢ – الاطلاع على ما أتمكن من الاطلاع عليه من تقارير وبيانات رسمية : حول أسماء المدن والقرى وموارد البادية .

٣ – القيام برحلات أزور فيها تلك المنطقة ، وأقوم بجولة في جهاتها لمشاهدة ما أحتاج إلى مشاهدته من الأمكنة التي سيشملها الحديث في هذا الكتاب . لمحاولة التثبت من صحة ما جمعته من معلومات عنها .

٤ – والحديث في « المعجم الجغرافي » لا يقف عند حدّ وصف الأمكنة على ما هي عليه ، بل يتعدى ذلك إلى محاولة تحقيق المواضع القديمة ، الواردة في الأخبار أو الأشعار القديمة ، وربط الحاضر بالماضي كما وضحت ذلك في مقدمة [2] المعجم .

وهذا ليس من الأمور اليسيرة ، أو التي يمكن لكاتب أو باحث أن يوفيها حقها من البحث والتحقيق . فإذا كان أحد الشعراء القدامى ، ممن مضى لهم ما يبلغ ثلاث مئة وألف من السنين ذكر في شعره مواضع تزيد على الثمانين في هذه المنطقة وحدها . لا يتجاوز المعروف الآن منها عدد أصابع اليد ، والباقي على درجة من الغموض تتطلب

(١) قدر الأخ ابن عبيد ما كتبه من ١٥٠ إلى ٢٠٠ صفحة على أكثر تقدير .

(٢) ص ٦٠ .

دراسة وبحثاً جادَّيْن ، لا في بطون الكتب وحدها بل في السير في مساحة من الأرض لاتقدر بمئات الأميال بل بآلافها — تمتد من الدهناء غرباً حتى جزائر البحرين (أوال قديماً) شرقاً ومن عمان جنوباً إلى مشارف البصرة شمالاً — أي ما يطلق عليه اسم (البحرين) قديماً — إذا كان هذا بالنسبة لشاعر واحد عاش في غرب هذه المنطقة عيشة البداوة ، وهو ذوالرُّمَّة[1] . فأي جُهْد يتطلبه تحقيق مئات المواضع الأثرية الواردة في أشعار غيره كالفرزدق وجرير وغيرهما من شعراء تميم وعبد القيس وغيرهما من القبائل التي عاشت في هذه البلاد ؟ !

ولقد أقَمْتُ في الأحساء مدرساً في مدرستها الأولى من شهر شوال سنة١٣٥٨ حتى صفر سنة ١٣٥٩ وقويت صلتي بعلمائها وأدبائها ، ومنهم الشيخ محمد بن عبدالله آل عبد القادر ، مؤلف كتاب « تحفة المستفيد » والشيخ يوسف بن راشد آل مبارك وأخوه الأستاذ أحمد ، وكان شاعراً وكاتباً وغيرهم .

ثم عُيِّنْتُ في شهر ذي الحجة سنة ١٣٦٣ رئيساً لمراقبة التعليم في الظهران ، التي كانت تشرف على المدارس التي أنشأتها (شركة الزيت) وبَقِيتُ هناك حتى نُقِلْتُ إلى وظيفة مدير للتعليم في نجد سنة ١٣٦٨ وكنت في خلال تلك المدة كثير التنقل بين مُدُن المنطقة فعرفت كثيراً من الأدباء في القطيف كخالد الفرج ، وعبد رب الرسول الجشي ومحمد سعيد المُسْلم وآل الخُنَيْزي وغيرهم .

ثم لما بَدَأتُ في كتابة هذا القسم من المعجم قمت برحلة استغرقت نحو شهر قطعت خلالها بالسيارة ٤٢٣٤ كيلاً من الرياض حتى حدود العراق والكويت شمالاً وشرقاً ، ثم إلى حدود قطر جنوباً ورمال يبرين ، وتجولت في أغوار الأحساء[2] وأجوافها[3] وفي الصمَّان ، وشرق الدهناء ، وكانت الرحلة في أيام الصيف . اعتباراً من أول شهر جمادى الآخرة ١٣٩٨ .

---

(١) ورد في شعره من اسماء المواضع نحو ١٤٣ منها ٨٧ في البلاد التي عاش فيها أو بقربها و ٢٨ خارجة عنها وهي مشهورة و ٢٩ مواضع ليست في بلاده وليست مشهورة وإن كان بعضها معروفا .

(٢) هي الأرض المنخفضة المعروفة باسم (الغوار) .

(٣) الأجواف ما يعرف قديماً باسم الجوف و (دار) و (الستار) و (السودة) .

وقد حَرِصْتُ في خلال هذه الرحلة أن أشاهد ما أستطيع مشاهدته من المواضع القديمة التي لا تزال معروفة بأسمائها مثل ثاج ونَطَاع وعَيْنَيْ مُتَالِع ومَعْقُلة والنِقّار ، وصُلاصِل وغيرها ، مشاهدة تحدثت عنها عند ذكر هذه المواضع ، كما بذلت الجُهْدَ لمعرفة ما تغير اسمه من المواضع مثل طُوَيْلِع ، واليَنْسُوْعَةِ ، وماوِيّة والخَرْجَاء . وغيرها من الأسماء التي وردت في المؤلفات القديمة ، على قِلّتها ، وعدم العناية بضبط تحديدها . كما حرصت على تسجيل جميع ما استطعت معرفته من أسماء المواضع المعروفة من قرى وآبار وأودية وجبال وغيرها ، مع ضبطها وتحديد مواقعها .

لقد جمعت ما استطعت جمعه من المعلومات المتعلقة بالموضوع مما وقع تحت يدي من المؤلفات ، وحرصت على أن أريح القارىء من مطالعتها للبحث عن نصوص لها صلة بهذه البلاد ، ومن تلك الكتب :

١ — « معجم البلدان » لياقوت الحمويّ .

٢ — « معجم ما استعجم من أسماء المواضع » لأبي عُبَيْدٍ البكريّ الأندلسي .

٣ — « مختصر كتاب البلدان » لابن الفقيه الهَمَذَاني .

٤ — « صفة جزيرة العرب » للهَمْدَاني .

٥ — كتاب « المناسك » للحربي أو تلميذه القاضي وكيع (محمد بن خلف بن حيّان) .

٦ — كتاب « تهذيب اللغة » للأزهري .

ومن الكتب المخطوطة :

١ — كتاب « الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها المذكورة في الأخبار والأشعار » لأبي الفتح نصر بن عبد الرحمن الاسكندري .

٢ — كتاب « الأماكن » للحازمي .

ومن دواوين الشعر :

١ – ديوان ذي الرُّمَّة – تحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح – طبع (مجمع اللغة العربية بدمشق) .

٢ – ديوان جرير – شرح محمد بن حبيب . تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه – ص ١٢٦٦ طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١ من سلسلة (ذخائر العرب – ٤٣) .

٣ – ديوان الفرزدق بشرح الصاوي .

٤ – ديوان العجَّاج .

٥ – ديوان ابن مُقَرَّبٍ الأحسائي ، في طبعته الهندية الأولى سنة ١٣٠٩هـ وغيرها.

وَعَوَّلْتُ – في أسماء القرى والبلدان والمياه في العصر الحاضر على مصادر (رسميَّة) هي : –

١ – كتاب « حصر المباني والسكان » وضع مصلحة الإحصاءات العامة بوزارة المالية والاقتصاد الوطني – المملكة العربية السعودية – البيانات الأولية – سنة ١٣٨٣ (١٩٦٣م) .

٢ – دليل مسميات المدن والقرى والهجر ، بالمملكة العربية السعودية منْ عمل مصلحة الإحصاءات العامة في وزارة المالية – جمادى الأولى سنة ١٣٩٠ .

٣ – « دليل القرى والقبائل في المملكة » عمل وزارة الداخلية سنة ١٣٩٤ .

٤ – بيان إحصائي بسكان المنطقة الشرقية .
قدم لي نسخة منه الاستاذ محمد الهلالي المدير العام للأمن في المنطقة .

٥ – « دليل الخليج »[١] الذي نقل إلى العربية من اللغة الإنجليزية من قبل (مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر) وطبعته حكومة قطر في ١٤ جزءاً وهو قسمان : قسم تاريخي وقسم جغرافي .

---

(١) اسمه : Gazetteer Of The Persian Gulf, Oman And Central Arabia
ومؤلفه : ج . ج . لوريمر J. G. Lorimer. C. I. E.

وقد طالعت القسم الجغرافي – ويقع في سبعة أجزاء – ويحوي معلومات واسعة عن هذه المنطقة وغيرها من مناطق الجزيرة .

ولكنّ الترجمة العربية سيئة بدرجة تحمل على عدم الوثوق بها ، وخاصة في تحريف الأسماء .

ومع ذلك نقلت جُلّ ما فيه من معلومات عن تلك الترجمة[1] .

كما طالعت كتاب « تحفة المستفيد ، في تاريخ الأحساء في القديم والجديد » تأليف الشيخ محمد بن عبد القادر – رحمه الله – .

وكان الدكتور جورج رنس رئيس قسم البحث والترجمة والنشر في (شركة الزيت العربية الأمريكية) جمع أبحاثاً تتعلق ببعض قبائل المنطقة الشرقية ، وبعض مناطقها الجنوبية في كتاب لم يطبع دعاه : « المناطق الشرقية من مقاطعة الحساء » .

وقد رجعت إليه .

ورجعت إلى مصورات جغرافية (خرائط) نشرتها (المديرية العامة لشئون الزيت والمعادن) في وزارة المالية والاقتصاد الوطني . تحت عنوان (أبحاث جيولوجية مختلفة) طبعت سنة ١٩٥٨ م في واشنطن –

فاقتبست من الخرائط الجغرافية الموضوعة لهذه المنطقة[2] .

ومما تجب ملاحظته وقوع تحريف في الأسماء في تلك المصورات غير أن الذي يشفع في الاقتباس منها أنها تتعلق بمنطقة عرفها الذين رسموا تلك الخرائط معرفة مشاهدة أكثر من معرفتهم غيرها من الجهات الأخرى ، وأن كثيراً من المياه والمواضع لم أجد لها مصدراً غير هذه الخرائط .

– واطلعت على بيان موجز عنوانه : (أسماءُ أمكنة عربية) Names Arabian Places باللغتين العربية والإنجليزية ، يقع في نحو ٢٨ ورقة ، ويحوى نحو ٥٠٠ اسم من

---

(١) مع الإشارة إلى الأسماء التي لم أتحقق من صحتها بعلامة الاستفهام (؟) .

(٢) أرقامها (٢٠٣ / ٢٠٧ / ٢٠٨ / ٢٠٩ / ٢١٣ / ٢١٤) .

أسماء المدن والقرى والمواضع . في جميع أنحاء المملكة . من وضع (شركة الزيت العربية الأمريكية) لاستفادة موظفيها وعمالها .

ـ واطلعت على أوراق عنوانها : ـ

(بيانات تشمل جميع المواقع الجغرافية الهامة ، من مدن وقرى وهجر مهجورة ، بمنطقة الأحساء ـ إعداد مكتب الرئاسة العامة لرعاية الشباب في الأحساء) .

ولقد حرصت على إيراد كل ما وقع عليه نظري في تلك الكتب من أسماء المواضع الواقعة في هذه المنطقة ؛ بل ذكرت بعض المواضع التي ذكر المتقدمون أنها في بلاد البحرين ، والمواضع التي ذكروها بقرب البحرين أو بين البحرين وبين غيرها من الجهات ، فقد تكون داخلة ضمن ما أتحدث عنه وقد أردت بهذا التقريب لِمَنْ يُعْنَى بعدي بالدراسة والتعمق في الاستقصاء . بل قد أورد من أسماء المواضع ماأراه خطأً للتنبيه على هذا الخطإ .

وبالاجمال فقد حاولت أن أقدم للقارىء خلاصة ما في تلك الكتب التي طالعتها لأوَفِّر من جُهْدِهِ وأقدّم له ما يستعين به على مواصلة البحث والدراسة ، ووضعت أمامه طائفة كبيرة من أسماء المواضع ، لم أهتد إلى معرفة مواقعها في هذه المنطقة ، مع محاولة التوفيق بين متضارب النصوص ، وتطبيق كثير منها على مواضع لاتزال معروفة ، وأوردت نصوصا لم أحَدِّد المواضع المذكورة فيها تحديدا تامًّا . بل اكتفيت بذكر الجهة التي ترجّح عندي وقوعه فيها ، بمعنى أنني حصرته في جهة معروفة وأرحت الباحث من أمثال : (بين البصرة ومكة) أو (بين اليمامة والبحرين) .

ونَظَراً لأن هذا الكتاب يعتبر قسما من « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » فقد استطردت عند ذكر بعض المواضع ، فذكرت بَعْض ما يماثلها في الاسم مما هو خارج عن هذه المنطقة ، خشية أن يكون فات ذِكْرُهُ من عُني بالكتابة عن المنطقة التي هو فيها .

كما ذكرت مواضع قريبة من المنطقة ، وإن لم تكن معدودة فيها لذلك السبب ، فقد أورد أسماء مواضع في الدهناء وبقربها ، لارتباط ذكرها بمواضع تحدثت عنها .

ويُلاحَظ أنّني لَمْ أُعْنَ بوَصْف المُدُنِ والقُرى ، إذ الحركةُ العمرانيةُ على درجة مِنَ القوة لا يتمكن الكاتب من مجاراتها فما أصفه اليوم أجِدُهُ متغيراً بعد زمن قصير .

ومن المعروف أن هذه المنطقة تسمى قديما (البَحْرَيْن) فتقلَّصَ هذا الاسم حتى انحصر في جزيرتين من جزرها هما (المنامة) و (المُحَرَّق) وكانا يسمَّيان (أوال) . وقد رأيْتُ الابقاء على اسم (البحرين) إذ هو الاسم الذي تعرف به هذه البلاد في المؤلفات القديمة ، الممتدة من قرب البَصْرَة حتى أطراف عُمَان الشمالية الغربية ، فيدخل فيها منطقتا (قطر) و (الكويت) .

وقد حرصت على ذكر جميع المواضع التي عدّها المتقدمون من بلاد البحرين وإن كانت في إحدى منطقَتَيْ قطر أو الكويت مثل (أُوارة) المعروف الآن باسم (وارة) [١] ولكنني لم أتطرّق لذكر المواضع الحديثة في المنطقتين المذكورتين ، إذ الغاية مما ذكرت محاولة معرفة ما ورد في النصوص القديمة من المواضع ، لاَ حصر جميع اسماء المواضع مما هو خارج عن مسمّى هذا المعجم .

ومن يَدْري ؟ ! فقد يتصدّى أحد الباحثين من أهل المنطقتين المذكورتين لتأليف معجم جُغْرافيٌّ عنهما ، فَيَتكامَل لِكُلٌّ هذه البلاد مُعْجَمٌ جُغْرَافي شاملٌ .

إنّ دراسة النصوص العربية القديمة من أخبار وأشعار لا تَتِمُّ بدون معرفة مواقع المواضع المذكورة فيها ، وهذا لا يَتِمُّ ما لم يتَصَدّ العلماءُ لتأليف معجم جغرافي عَرَبي يحوي كُلَّ أسماء تلك المواضع محدّدة ، مذكورة كل النصوص المتعلقة بها .

ولايقتصر هذا على قُطْر من الأقطار العربية ، بَلْ يشمل جميع تلك الأقطار ، وجزيرة العرب – وإن كانت مهد مشاهير الشعراء في العصور القديمة ، وفيها نشأ العرب ، ومنها امتدّ الإسلام فحفلت جميع أجزائها بحوادث وأخبار قام عليها أساس

---

(١) وكذا رقان – الذي ينسب إليه حقل النفط في الكويت .

تاريخ الأُمة العربية ، فكانت بهذا أولى الأَقطار العربية بالدراسة ، إلا أن دراستها وحدها لا تكمل إلا بدراسة الأَقطار المجاورة لها ، والجهات التي انساح إليها العرب ، واستقروا بها من جرَّاء هجراتهم المتتابعة منذ عصورهم القديمة .

وَخُذْ مَثَلاً : تلك القبائل التي استقرت في العراق أو الشام ممن لاتزال جذورها وأصولها في الجزيرة – إذًا عمدْتَ إلى دراسة شعر أحد شعرائها كالفرزدق ، أو الأَخطل أوْ عديّ بن الرقاع العاملي أو غيرهم فإنك لن تستطيع تحديد كل ماذكر في شعر أحدهم من المواضع ، ما لم تكن عارفاً بمواطن تلك القبائل المتصلة بالعراق أو بالشام من أطراف الجزيرة . ومعرفة ذلك لاتتم إلا بقيام باحثين متخصصين بالدراسات الجغرافية من أهل الجهات التي تحتاج إلى دراسة بتأليف معاجم جغرافية عنها .

وأُعِيدُ القَوْلَ بأنَّ هذا الكتاب ما هو سوى محاولة أُوْلَى لتحديد المواضع الجغرافية المعروفة ، مع الاستنارة بما ورد في المؤلفات القديمة مما يتعلق بالموضوع .

وهناك مواضع كثيرة بحاجة إلى دراسة أوفى وأعمق مما جاء في هذا الكتاب ، ومواضع أخرى لم يتعرض لتحديدها ، وخاصة ما يتصل بصحارى الجافورةوبَيْنُوْنَةَ وكل منطقة الرُّبْع الخالي مما يقع جنوب واحة يبرين ، وجنوب شبه جزيرة قطر ، مما هو معدود من (المنطقة الشرقية) التي خُصِّص هذا الكتاب للحديث عنها .

هذه البلاد في المؤلفات التاريخية

لا نُنكِرَانَّ لِمَا لمتقدمي العلماء من عناية بتدوين ما عرفوه من المعلومات المتعلقة بهذه البلاد ، في مختلف جوانب الحياة فيها ، إلا أنها معلومات على جانب من الإيجاز والقلة .

لا يجد الباحث منها سوى نُتف مقتضبة مفرقة في المؤلفات القديمة من حيث تحديد المواضع ، تنحصر بما في المؤلفات والمعجمات المعروفة ، وهي معلومات يمكن إرجاع كثير منها إلى شعراء عاشوا في نواحي المنطقة أو وفدوا عليها ، وإلى علماء تطرقوا للحديث عن بعض مواضعها عرَضاً ومن أبرز هؤلاء :

١ ــ الحفصيُّ اليمامي ، وهو محمد بن إدريس بن أبي حفصة[1] ، من أهل القرن الثالث الهجري ذكره المرزباني في « معجم الشعراء » والصفديُّ في « الوافي بالوفيات » ونقل عنه صاحب « الأغاني » .

وآل أبي حفصة استَوْطَنُوا اليمامة منذ القرن الأول الهجري في عهد عبد الملك بن مروان ، وعرفوا فيها إلى القرن الرابع ، ولهذا عُنِيَ ابن أبي حفصة هذا بهذه البلاد .

فقد ذكر ياقوت في « معجم البلدان » وفي « المشترك » أن الحفصيَّ ألّفَ كتاباً عن اليمامة . ونقل عن هذا الكتاب نصوصاً كثيرة ، ويظهر أنه تحدث عما حولها ، ولهذا فقد نقل ياقوت عنه معلومات موجزة عن بعض المواضع الواقعة في منطقة البحرين مثل : البحرين ، الحنبلي ، سويقة ، الصَّمَّان ، سمسم ، السُّودة ، طُويلع ، عينين ، القارة ، القطيف ، المعا ، المعرفة ، المقاد ، ملْج ، نطاع ، والغ ، وغيرها كما

(١) انظر بحثاً عن الحفصيين في مجلة « العرب س ١ ص ٧٧٩ » .

تحدث عن طرق اليمامة إلى البلاد المجاورة لها كطريقها إلى مكة[1] :

وطريق اليمامة إلى هجر[2] .

وطريق اليمامة إلى البصرة[3] .

أما اسم كتاب ابن أبي حفصة فقد جاء في كتاب « المشترك وضعا ، المختلف صقعا » لياقوت ما نصه : (ذو مرخ : قال الحفصيُّ في كتاب « اليمامة » : الخارجة قرية لبني يربوع ، وفيها يَمُرُّ ذو مَرَخ - ثم أورد قول الحطيئة فيه .

على أنه قال في مقدمة « معجم البلدان » عند ذكر ابن أبي حفصة : (وقفت له على كتاب سماه « مناهل العرب » وذكر في رسم (روضة القطا) اسمه « مناهل اليمامة » .

فأنت ترى أنَّ ياقوتا سمي الكتاب ثلاثة أسماء ، وأراها لِمُسمًّى واحد .

العالم الثاني : الأَزْهَرِيُّ (٢٧٢ - ٣٧٠هـ) العالم اللغويُّ مؤلف كتاب «التهذيب» الذي طبع حديثاً في مجلدات ، وليس منسوباً إلى الجامع الأزهر ، بل إلى أحد أجداده فهو أبو منصور محمد بن أحمد بن طلحة ابن نوح بن الأزهر الأزهريُّ الهرويُّ الشافعي المولود سنة ٢٨٢[4] . لقد جاء هذا العالم من أقصى الشرق من بلاده هراة في خُراسان حاجًّا سنة ٣١١ إبَّان استِشْراء شَرّ القرامطة الذين نهبوا الحجاج ، فوقع هذا العالم في أسْرِهم - وكما قيل : (رُبَّ ضارَّة نافعة) . قال : (وكنت امْتُحِنْتُ بالإسار سنة عارضت القرامطةُ الحاجَّ بالهبير[5] ، وكان القوم الذين وقعتُ في سهمهم عرباً ، عامَّتُهم من هوازن ، واختلط بهم أصرامٌ من تميم وأسد ، بالهَبِير ، نشؤوا في البادية ، يتتبَّعُونَ مساقط الغيث أيامَ النُّجَع ، ويرجعون إلى

---

(١) انظر « معجم البلدان » : الحنظلة - قرمـا .

(٢) انظر « معجم البلدان » : الوحيد ، المـا .

(٣) انظر « معجم البلدان » : الخربة روض القطا .

(٤) مقدمة كتابه « التهذيب » : ١ / ٧ .

(٥) انظر تحديد موقع الهبير في (قسم شمال المملكة) من « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » .

أعداد المياه ، ويرعون النعم ، ويعيشون بألبانها ، ويتكلمون بطباعهم البدوية وقرائحهم التي اعتادوها ، ولا يكاد يقع في منطقهم لَحْنٌ ، أو خطأ فاحش ، فبقيت في إسارهم دَهْرًا طويلاً وكُنَّا نتشتَّى الدهناء ، ونتربَّع الصَّمَّانَ ، ونتقيَّظ السِّتارَيْنِ ، واستفدت من مخاطباتهم ومحاورة بعضهم ألفاظاً جَمَّةً ، ونوادر كثيرة ، أوقعت أكثرها في مواقعها من الكتاب . انتهى .

ويظهر أن الأزهري مكث مع القرامطة ما يقارب سنتين من الزمان فقد نَصَّ في كتابه « التهذيب »[1] على أنه أقام في الصَّمَّان شتوتَيْنِ .

وأنه أقام في بيضاء بني جذيمة قَيْظَةً مع القرامطة[2] .

وذكر أن الأسباب التي دعته إلى تأليف كتابه « تهذيب اللغة »[3] ثلاثة ، عَدَّ منها تَقْييدَ نُكَت حفظها ووعاها عن أفواه العرب الذين شاهدهم ، وأقام بين ظهرانيهم سُنَيَّات .

ويظهر أن الأزهريَّ لَمْ يُدَوِّنْ في كتابه « تهذيب اللغة » كل ماعرفهُ عن هذه البلاد ، وإنما ذكر فيه ما له صلة باللغة ، ولهذا لانجد في كتابه توضيحاً لمعنى اسم (القرامطة) الذي اختلف المتقدمون في سبب إطلاقه على تلك الطائفة ، مع أنه أورد كلمة (قرمط) وأوضح معناها اللغَوي[4] .

ومع ذلك ففي كتابه معلومات قيمة ، لا في تحديد مواضع في هذه البلاد تحديداً لايوجد في كتاب غيره أو عمن نقل عنه ، فالباحث لايعدم في كتاب الأزهري معلومات وإن كانت ناقصة ، ولمحات موجزة ، عن مختلف مظاهر الحياة في هذه المنطقة .

---

(١) ٣ / ٣٤ ومن الطريف أنه يفرق بين شتونا وشتينا ففي التهذيب : ٣٩٧/١١ : (ويقال شتونا بالصمان أي أقنا في الشتاء ، وشتينا الصمان أي رعيناها في الشتاء ، وهذه مشاتينا ومصايفنا ومرابعنا ، أي منازلنا في الشتاء والصيف والربيع) .

(٢) ١٢ / ٨٨ .

(٣) « التهذيب » : ١ / ٦ .

(٤) « التهذيب » : ٩ / ٤٠٨ .

فيجد الأزهريّ يشير إلى وجود بعض القبائل التي خالطتْ سكانها المعروفين كعبد القيس وبني تميم ، فهو يكثر النقل عن أناسٍ من بني عُقَيل من بني مُضَرِّس منهم ، وعن رواة من بني كلاب ، مما يدلُّ على قدم تغلغل هؤلاء في هذه البلاد .

وهو يقيِّدُ بعض اللهجات التي لاتزال مستعملة في هذه المنطقة مثل السّخّين التي هي المِسْحَاة ، فينصُّ على أنها من لغة بني سعد ، والكَنّار عند بني عبد القيس ، وهو النَّبْقُ[1] .

بل قد يصحح بعض أغلاط اللغويين . فيقول :

قال الليث : الكَشْمَخَةُ بقلة تكون في رمال بني سعد ، طيّبةٌ رَخْصَةٌ .

قلت : قد أقمت في رمال بني سعد دَهْراً ، فما رأيتُ بها كَشْمَخَة ، ولا سمعتُ بها . وأحسِبُها نبطيَّة وما أراها عربية . انتهى[2] .

ويصف أنواع النَّبَاتِ وصف العليم عن مشاهدة ومعرفة .

قال في « التهذيب » : قال الليث : الطرثوث نَبات كالفطر مستطيل دقيق يضرب إلى الحمرة يَيْبَسُ وهو دباغ للمعدة ، منه مُرٌّ ، ومنه حلو ، يجعل في الأدوية .

قلت : رأيت الطرثوثَ الذي وصفه الليثُ في البادية وأكلت منه ، وهو كما وصفه ، وليس بالطَّرثوث الحامض الذي يكون في جبال خُراسان لأن الطرثوث الذي عندنا له ورق عريض ، منبتهُ الجبال ، وطرثوث البادية لاورق له ولاثمر ، ومنبتهُ الرِّمال وسهولة الأرض ، وفيه حلاوة مُشْرَبَةٌ عفوصة ، وهو أحمر مستدير الرأس كأنه ثومة ذَكَرِ الرَّجُل .

والعرب تقول : طراثيث لا أرْطَى لَها وذآنين لا رِمْثَ لها ، لأنهما لاينبتان

---

(١) وفي الأحساء نوع من النبق لانوى له ، ولهذا فلا غرابة أن يكون من بين الهدايا التي تجلب إلى البصرة انظر « الأغاني » : ١٣/٢٥٠ط : (دار الكتب) .

(٢) « تهذيب اللغة » : ٧ / ٦٣٥ .

إلا معهما ، يضربان مثلاً للذي يُستأصل فلا تبقى له بقيّة بعد ما كان له أصل وقَدْرٌ ومال .

وأنشد الأصمعيّ :

فالأطيان بها الطرثوث والضَّرَبُ[1]

انتهى .

كما يصف السّحالي والحشرات عن خبرة ومعرفة ، ولا يكتفي بما يذكره من تقدمه من اللغويّين . فيقول[2] — مثلا : قال اللّيث : الورل شيء على خلقة الضّبّ إلا أنه أعظم منه ، يكون في الرمال والصّحارى ، والجمع : الوِرْلان ؛ والعدد : أورال . قُلْتُ : الورل سَبِطُ الخَلْق طويل الذّنب ، كأن ذَنَبه ذَنَبُ حيّة . ورُبَّ وَرَلٍ يُرْبي طولُه على ذراعين وأما ذنب الضّبّ فهو ذو عُقَد ، وأطول ما يكون قدر شِبْر . والعرب تستخبث الوَرَل وتستقذره ، فلا تأكله .

والضّبُّ أحرش الذّنب خَشِنُه مُفَقَّرُه ، ولونه إلى الصُّحْمَة ، وهي غُبْرة مُشْرَبَة سواداً ، وإذا سمن اصفرّ صدرُه ولا يأكل إلا الجنادب والدَّبَا ، والعُشْبَ ولا يأكل الهوامّ . وأما الوَرَلُ فإنه يأكل العقارب والحيّاتِ والحَرابي والخنافس ؛ ولَحْمَهُ دِرْيَاقٌ ، والنّساء يتسمّنّ بِلَحْمِه .

ويورد — عن الوَرَل — جُمْلةً لايزال أهلُ البادية يُعَايُون بها من حيث الإسراع في النطق مع إخراج الحروف واضحة ، إنهم يطلبون منك أن تقول بِسُرْعَة كما يقولون : (الوَرَرُ[3] يُمَرْمِر المَرْوَة ، والمَرْوة تمَرْمِر الورر) . ولكن الأزهريّ يقول سمعت أعرابيّاً يقول في كلام لهم : وَرَلٌ وَرَلٌ[4] يُمَرْمِرُ مَرْوَةً وَيَلُوكُهَا . انتهى .

---

(١) ١٣ / ٣١٢ .
(٢) ١٥ / ٢٢٣ .
(٣) العامة يبدلون اللام راء في كلمة الورل .
(٤) ١٥ / ٢٠٠ في المطبوع : (وذل وذل) خطأ .

وبالإجمال فإن كتاب « تهذيب اللغة » للأزهري ذخيرة من أنفس الذخائر لدارسي اللغة ، ولبعض الباحثين في أحوال هذه المنطقة بصفة عامة .

وتجدر الإشارة إلى أن كثيراً من المواضع القديمة في هذه البلاد لم أرَ لها ذكراً في ذلك الكتاب ، كما أن تحديد الأزهري للمواضع الخارجة عن هذه المنطقة لا يصح الاعتماد عليه ، لإيجازه ولوقوع التصحيف في كثير من الأسماء التي يوردها ، إذ هو ينقلها عن مؤلفات غير متقنة . بل ليس من المبالغة القول بأن الأزهريّ إذا خرج عن هذه البلاد لا يُبْصِرُ مَوْضِعَ قَدَمِه .

وقد نقل ياقوت في « معجم البلدان » والحازميُّ في كتابه « الأماكن » وكذا الصَّغانيُّ في كتاب « التكملة » جُلَّ ماورد في كتاب الأزهري في تحديد المواضع .

وقد لاحَظْتُ اختلافاً يسيراً بين ما نقلوا وما في الكتاب ، أشرت إليه في مواضعه .

وأعود للقول بأن النصوصَ الواردة عن الحفصيّ والأزهري تعتبر الأساس لتحديد كثير من المواضع في هذه المنطقة .

وما عدا ما ورد عن هذين العالمين فمعلومات مبعثرةٌ في معجمات الأمكنة ، وبعض الرحلات وفي الكتب المؤلفة عن « الممالك والمسالك » وأخبار عن سكان هذه المنطقة قبل الإسلام وإبّانَ ظهوره — وفي زمن قصير بعد ذلك — في الكتب التاريخية المطولة المعروفة .

إلاّ أنّ في الشعر العربي القديم من أسماء المواضع ، وفي شروح ذلك الشِّعْرِ ما يعتبر مَصْدَرًا هاماً من مصادر الدراسات الجغرافية لا لهذه المنطقة وحدها ، بل لجميع مناطق الجزيرة .

▼▼▼▼▼▼

موقف الباحث في المصادر القديمة

وأكرر الإشارة إلى أن الباحث في المصادر القديمة من تاريخ هذه المنطقة وجغرافيتها – مع شهرتها – يعترضه كثير من المشكلات ؛ منها :

١ – أنّ تحديد الموضع أيّاً كان – بأنه من بلاد البحرين ، أو في البحرين ، أو نحوهما من عبارات المتقدمين ليس كافياً ولا مُوْصلا للغاية التي هي معرفة موقعه على وجه التحديد ، فالمنطقة طويلة عريضة ومعالمها القديمة تغيرت ، وجهلت أكثر الأسماء القديمة .

٢ – أن هناك من أسماء المواضع التي وردت في كتب المتقدمين ما لم تُبَيَّنْ جهته ، ومهمة الباحث المدقق إيضاح تلك الجهة متى استطاع إلى ذلك سبيلا .

وقُلْ لي بربّك – أيها القارىء الكريم – كيف تستطيع تحديد موقع هذا الجبل الذي قال عنه ياقوت – رحمه الله تعالى – في « معجم البلدان » : تُلَيْل – تصغير التّل – جبل بين مكة والبحرين . عن نصر ، وهو يقصد نصر بن عبد الرحمن الاسكندريّ صاحب كتاب « الأمكنة والمياه والجبال والآثار » . وياقوت نقل عبارة نصر بنصّها ، كما وردت في كتابه [١] . ومثل هذا قولهم : شُرَيب بلد بين مكة – حرسها الله – وبين البحرين [٢] .

---

(١) الورقة ٣٣ مخطوطة المتحف البريطاني ، قال : باب تليل ويليل ، أما بضم التاء وفتح اللام جبل بين مكة والبحرين . وأما بياءين مفتوحتين ، بينهما لام ساكنة – وادى الصفراء بين مكة والمدينة . انتهى . وجاء الحازمي – الذي اتخذ كتاب نصر مصدراً له نقل جـــل ما فيه إن لم يكن كله ولكنه بعد أن أورق الكلام على يليل أورد عن تليل ما نصه : (بضم الياء(؟) تحتها نقطتان ثم بعدها لا م مفتوحة وأما الثالث – بليل – بالباء الموحدة المضمومة بعدها لام مفتوحة ثم ياء ساكنة : شريعة صفين في الشعر) انتهى بنصه الورقة ١٩٨ مخطوطة لاله لى .

(٢) « التكملة » للصغاني : ١ / ١٦٨ .

وقولهم : الصعاب : جبل بين اليمامة والبحرين[1] .

٣ ـ ان التحريف والتصحيف في الأسماء داءان قديمان في المخطوطات القديمة ، منذ مصادرها الأولى . ولهذا فإن ورود الاسم في أحد المؤلفات ليس كافياً للحكم بصحته ، ما لم تتوافر النصوص على صحة ضبطه ، وما ليس كذلك فعلى الباحث تصريف الاسم على عدة وجوه حتى يهتدي إلى الوجه الذي يراه قريباً من الصواب . فإذا كان اسم (النِّيْر) الجبل المشهور في عالية نَجْد ، الوارد في كثير من الأشعار والأخبار يَرِدُ في كتاب أحد أئمة الأدب واللغة هو كتاب « الأمالي » للقالي بصور مختلفة متعددة ، ومن تلك الصور : (النير) و (الثبر) و (البتر) في رواية البيت المشهور :

وَشِمْتُ الْبَارِقَاتِ فَقُلْتُ: جِيْدَتْ ... جِبَالُ النِّيْرِ أَوْ مُطِرَ الْقَلِيْبُ[2]

ثم يأتي عالم من أشهر علماء الجغرافية ليصحح أوهام القالي فيقرر في اسم هذا الجبل صورة أبعَدَ ماتكون عن الصواب[2] . فكيف بكثير من أسماء المواضع التي لاشهرة لها ، ولم يتكرر ذكرها في المؤلفات القديمة مما سيمرُّ بالقارىء من أسماء مواضع هذه البلاد ؟ ! .

٤ ـ متى صحَّ الاسم واتَّضح وُقُوعُهُ في المنطقة التي يتعلق البحث بها فمن الصعب تطبيق كل النصوص التي يوردها المتقدمون عن ذلك الموضع عليه ، إنهم كثيراً ما يوردون أقوالاً متضاربة ، وهذا ناشيء عن كون الاسم الواحد قد يطلق على عدد من المسميات مثل (متالع) فهو يطلق على جبال أشهرها واقع شمال حِمَى ضريَّة بمنطقة القصيم يعرف الآنَ باسم (أم سنون) وآخر غرب جبال أجا ، بمنطقة حايل ، لايزال معروفاً ، وثالث في المنطقة الشرقية ، وهو معروف أيضاً . ومثل (قَوّ) فهناك واد يقع بين خيبر وبين تيماء لايزال معروفاً ، وقوٌّ أيضاً في شرق

(١) « التكملة » للصغاني : ١ : ١٨١ .

(٢) هو أبو عبيد البكري مؤلف كتاب « التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه » وصاحب « معجم مااستعجم من أسماء المواضع » .

القصيم على طريق الحج البصري غرب النباج ، وقوٌ ثالث يضاف إليه اسم (الفروق) فيقال فروق قوٌ وهذا في المنطقة الشرقية .

ومثل (النِّباج) فهناك ثَيْتَلُ والنِّباج ، وهذا نباج بني سعد ، في المنطقة الشرقية وهو أحد القريتين (قرية العليا) و (قرية السفلى) المعروفتين الآن . والنِّباجُ في شرقي القصيم ويعرف الآن باسم (الأسياح) والنِّباج الثالث من مناهل وادي السِّرْحان المعروفة .

والأسماء التي من هذا القبيل كثيرة ، فكيف يُستطاع تطبيق وَصْف ماوَرَدَ عن المتقدمين عن مكان على موضعه الحقيقي ؟ وهم غالباً يوردون الأوصاف بدون تمييز .

كان بعض العلماء يتَّخذُ من ورود الاسم في شعر شاعر من قبيلة مَّا دَليْلاً على وقوع ذلك الموضع المسمَّى في بلاد قبيلة الشاعر ، ولكن هذا لا يصحُّ دائماً ، فكثيراً ما يرد اسم الموضع في شعر أحد الشعراء وذلك الموضع بعيد عن بلاد قوم ذلك الشاعر ، وأمثلة ذلك في كتب المتقدمين لاتحصى .

وبعضهم يجعل من ورود الاسم مقروناً باسم موضع آخر قربه من هذا الموضع ، ولكن هذا لايصدق على جميع أسماء المواضع ، فقد يقرن الشاعر اسْمَيْ مَوْضِعَيْنِ وهما متباعدان أشدَّ التباعد .

وينبغي أن يدرك الباحث أن العلماء الذين ألَّفوا معاجم الأمكنة ، فاتتهم أسْمَاءُ مواضع كثيرةٌ ، مع شدة عنايتهم وحرصهم على تسجيل كل ما يطلعون على ذكره في الكتب التي وقعت لهم ، فرجعوا إلى دواوين الشعر وإلى كتب التاريخ ، وإلى معاجم اللغة ، وإلى غيرها من الكتب ، ولكن من المعروف أنَّ طاقة المرء محدودة ، وأن أسماء المواضع الواردة في الأخبار والأشعار القديمة من الكثيرة بالدرجة التي لايتمكن المرءُ — مهما بلغ من القدرة — من حصرِها .

وخُذْ مثلاً على ذلك : لقد حرص ياقوت على أن يُدَوِّنَ في كتابه « معجم

البلدان » من أسماء المواضع أوفى عدد وصل إلينا مُدَوَّناً في كتاب وكان مما رجع إليه كتاب « التكملة » للصغاني . ومع ذلك فقد عثرت أثناء مطالعتي أجزاء من هذا الكتاب على أسماء مواضع كثيرة ، ذكرها الصغاني في كتابه ، ولم أرها في كتاب « معجم البلدان » ومنها — على سبيل المثال لا الحصر — : بَيْشَانُ : الوادي الواقع قرب الطائف المشهور بالحنطة الجيِّدة ، وهو لايزال معروفاً .

حَمُوْمَةُ : ذكره الصغاني ولم يحدده وهو جبل لايزال معروفاً مُطِلٌّ على موقع بلدة جُرَش القديمة بمنطقة بلاد عَسِير .

دَغْبَجُ : ماءٌ يعرف الآن باسم دُغَيْبِجَة — بالتصغير — بقرب مَرَّانَ ذكر الصَّغَاني أنه وَرَدَهُ .

ومواضع كثيرة أوردها علماءُ اللغة في مؤلفاتهم . ولهذا يحسن الرجوع إلى هذه المؤلفات باعتبارها من مصادر تحديد المواضع ، ولا ينبغي القول بأنَّ الموضع الفلاني لم يذكره المتقدمون بمجرد عدم ذكره في معاجم الأمكنة .

ولما خصَّ الله هذه المنطقة من بلادنا بنعمة العثور على النفط في جميع جهاتها كانت مقصداً لطلاب النعمة والخير ، لامن أهل البلاد وحدهم ، بل من جميع الناس ، فأصبح سكانها من أهلها بين غيرهم من سائر الخلق عُرْضَةً للتغَيُّر في عاداتهم ، وفي لهجتهم مما كان سبباً لتحريف كثير من أسماءِ المواضع ، فمثلاً :

١ — اسم (بُقَيْق) بضم الباء ينطق ويكتب بزيادة ألف في أوَّله (أبقيق) ويكتب في الصحف والكتب ولوحات الطريق والمصورات الجغرافية (أبقيق : ABQAIQ) .

٢ — متالع الجبل المعروف الذي أصبح بجواره قرية تسمى بهذا الاسم يكتب (متاله) بالهاء بدل العين ، محاكاة لنطق الإفرنج الذين لايحسنون النطق بالعين .

٣ — مَعْقُلة الاسم القديم الوارد في الشعر ومعاجم الأمكنة كثيراً — يُنْطق ويكتب الآن خطأ (أمّ عقلة) و (مَعَقْلاً) .

٤ — نَطَاع اسم الموضع الذي أصبح الآن قرية مسكونة يكتب وينطق (انطاع)

محاكاة للعامة الذين يبدأون بإسكان الحرف المتحرك فيقولون في (محمد) : (مْحَمَّد) فيتوهم السامع الجاهل وجود ألف قبل الاسم فيكتب الاسم بهذه الصورة .

٥ ــ النُهلَيْسيَّة ــ اسم قرية في وادي المياه ، يحار المرء في هذا الاسم هل هو بالحاء ــ كما هو مكتوب في لوحات الطريق ، أم بالهاء ، كما يسمع من أهلها .

هذا من الأسباب التي سببت تحريف بعض أسماء المواضع ، ويُخْشَى أن يزداد الأمرُ سوءاً فيشمل التحريف كثيراً من أسماء مواضع هذه المنطقة .

ومن أسباب تغير الأسماء القديمة طغيان الأسماء الحديثة واستعمالها بدل الأسماء القديمة ، فكثير من المواضع والمناهل القديمة حُفِرَتْ فيها آبار (ارتوازيَّة) عُرِفَتْ بأسماء أناس متأخرين ، وتركت الآبار القديمة ، فنسِيَتْ أسماؤها ، وحَلَّتْ الأسماء الحديثة مَحَلَّها ، وهذا كثير في جهات الصَّمَّان ، حيث تكثر الرياض التي كانت مراتع للبادية ، فحفرت فيها آبار ليردوها ، بقرب الآبار القديمة ثم مُنِحت هذه الآبار رِجَالاً عُرِفَتْ بأسمائهم مثل (شَوْيَةَ) .

وهناك من عوامل دروس كثير من قرى هذه البلاد ما أشار إليه المتقدمون ، وهو أن بلاد البحرين منهالة الكثبان ، جارية الرمل ، حتى يسكروه بسعف النخل ، وربَّما غلب عليهم في منازلهم ، فإذا أعياهم حملوا النُّقُوضَ وتَحَوَّلوا ــ كما جاء في « الروض المعطار »[١] .

هذه أمثِلَةٌ لبعض ما يعترض الباحث في تحقيق أسماء المواضع أو تحديد المُسَمَّيَات في هذه المنطقة ، فيحول بينه وبين ما يُرِيد .

غير أنَّ الأمْرَ يتَطَلَّبُ بَذْلَ الجهْدِ في البحث ، وإيضاح جوانب الرأي ، بعد إيراد ما يمكن إيراده من النصوص ، وتهيئة ذلك لمن يُعْنَى بدراسة هذا الجانب المُهِمِّ من أحوال بلادنا ، وعدم الاستسلام لوسائل التثبيط وصرف الهمم عن العناية به .

---

(١) : ٨٢ ومثله في « المسالك والممالك » للبكري مخطوطة (لا له لي) .

لمحة موجزة عن هذه المنطقة

تعرف هذه المنطقة من الجزيرة قديماً باسم (البحرين) وللمتقدمين في إطلاق هذا الاسم عليها أقوال كثيرة سيأتي ذكر بعضها في موضعها .

ولعل أقرب تلك الأقوال إلى الصواب كثرة المياه من العيون الجارية والبحيرات الراكدة في واحاتها القريبة من البَحْر ، كواحة الأحساء وواحة القطيف وواحة وادي المياه . ثم تقلَّص اسم البحرين في العصور الماضية حتّى انحصر إطلاقه على جزيرة كانت تعرف قديماً باسم (أوَال) وهي جزءٌ من المنطقة التي عرفت بعد ذلك باسم الأحساء .

والأحْسَاءُ اسم كان يطلق على مواضع منها ثم شملها كلها لكون مدلول هذه الكلمة من أبرز الظواهر في هذه البلاد ، لقرب مياهها من سطح الأرض فأينما حفر المرءُ – في كثير من جهاتِها – وجد الماء .

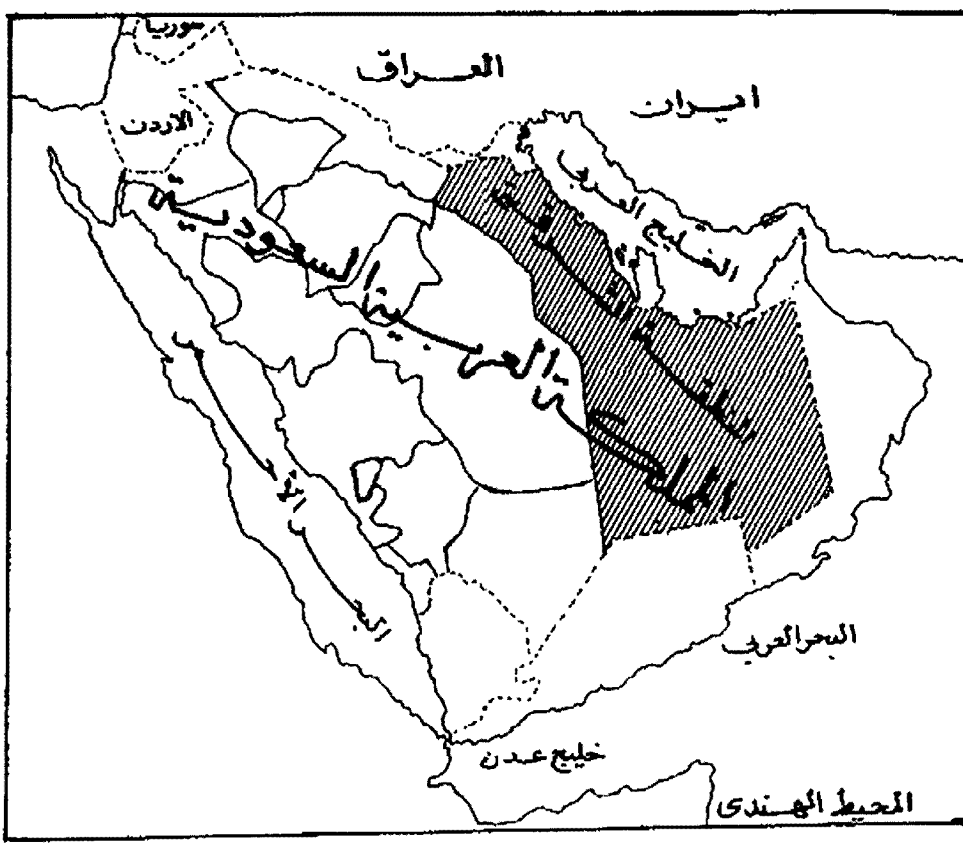
وقد يطلق عليها أيضاً اسم (هَجَر) وهو اسم كان يقصد به قديما مدينةٌ كانت قاعدة هذه البلاد ، وقد دَرَسَتْ ولكن الاسم ظَلَّ حيّاً يطلق على واحة الأحساء .

وقد ظلّ اسم الأحساء يُطْلَقُ على جميع هذه المنطقة إلى ما بعد منتصف القرن الرابع عشر الهجريّ حيث عُثِرَ على النِّفْط في عشر الستين منه ، فكان العثور عليه من الأمور التي غيَّرت مجرى الحياة لا في هذه المنطقة وحدها بل في جميع العالم .

ولتوسط منطقة (الظهران) بين حُقُول النفط ، ونشوء عدد من المدن فيها أصبحت القاعدة هنالك في مدينة الدمام ، وصارت الأحساءُ تابعة لها من الناحية الإدارية ، واستلزم هذا إطلاق اسم (المنطقة الشرقية) على هذه البلاد ، وذلك في سنة ١٣٧٠ هـ .

وتمتاز هذه المنطقة على بقية النواحي الإدارية الأخرى بأمور :

المنطقة الشرقية
(موقعها فى المملكة)



خريطة (١)

منها : امتداد ساحلها البحري من قرب الكويت حتى ساحل إمارة (أبوظَبْي) وفي هذا السَّاحِل عدد من الموانئ ، وبقربه جزر كثيرة .

ومنها : وجود واحات صالحة للزراعة . لتوفر مياهها ، وسعة أراضيها كواحة الحسا وواحة القطيف ، وواحة الجوف وواحة وادي المياه (الستاران قديماً) وواحة يَبْرين ، وواحة الخنْ ، وواحة العُقَيْل ، جنوب شرق جزيرة قطر .

ومنها : اتصال حدودها بحدود دول وإمارات مجاورة ، كالعراق في الشمال ، والكويت والبحرين وقطر و (أبوظَبْي) فهي مركز اتصال بين هذه الجهات .

ومنها وجود حقول النفط فيها ، وهذه أهم الميزات ، إذ عليها تقف في هذا العصر – حياة الأمم .

ومنها : وفرة الأراضي التي تجود بالمراعي الجيدة الخصبة . التي تتوقف عليها حياة البادية – كالصَّمَّان والدَّهناء – بقربها – والربع الخالي والسودة . وغيرها .

والمنطقة الشرقية ، أوسع المناطق الإدارية (الإمارات) في المملكة .

وتأتي من حيث عدد السكان الثالثة بعد إمارة مكة المكرمة التي يبلغ سكانها ١٧٦٠٢١٦ وإمارة الرياض (١٢٥٩١٤٥) وعدد سكان المنطقة الشرقية (٧٦٢٠٣٧) حسب إحصاء سنة ١٣٩٧ (١٩٧٧م) .

والمنطقة مقسمة إلى ٢٧ قِسْماً إدارياً كل قِسْم يطلق عليه اسم (إمارة) ها هو بيانها مع بيان عدد ما يلحق بها من القرى والموارد ، مع ذكر عدد السكان ، على ماجاء في البيان الذي أصدرته (مصلحة الإحصاءات العامة ، في وزارة المالية والاقتصاد الوطني) عام ١٣٩٧ هـ(١٩٧٧م) [١] :

(١) وهناك إمارتان تحت الإنشاء إحداهما في (العيون) والأخرى في الصقيرى .

أولا – التقسيم الإداري
للمنطقة الشرقية

العدد	اسم الإمارة	عدد القرى	عدد الموارد
١	الدمام	١	٢
٢	الخبر	٣	—
٣	الثقبة	٢	—
٤	الظهران	٣	—
٥	بقيق	١٠	٤٠
٦	عين دار	٣	٢٧
٧	الأحساء	٤٧	٢٩
٨	العيون	٧	—
٩	العقير	٣	٩
١٠	سلوا	٣	٧٥
١١	العضيلية	٢	٦
١٢	الحنيّ	٢	١
١٣	حرض	١٩	٦٤
١٤	خريص	١	١
١٥	القطيف	١٩	٩
١٦	سيهات	٣	—
١٧	صفوا	١٤	٥
١٨	رحيمة	٥	—
١٩	الجبيل	١٥	٦
٢٠	النعيرية	١	٥٣
٢١	نطاع	١٥	٥٦

(تابع) للمنطقة الشرقيـــة

العدد	اسم الإمارة	عدد القرى	عدد الموارد
٢٢	قــرية	٣	٢٢
٢٣	معقـــلة	٢	١
٢٤	السفانية	٤	٣٢
٢٥	الحفقي	٣	١٠
٢٦	الرقعي	١٣	٢
٢٧	الحفـــر	٦	٨
٢٨	الصقيري	١	—
٢٩	القيصومة	٢	—
	الجملـــة	٢١٢	٤٥٨



تمثال من الحجر يقدر عمره بخمسة آلاف عام ، عثر عليه قرب قلعة « تاروت »

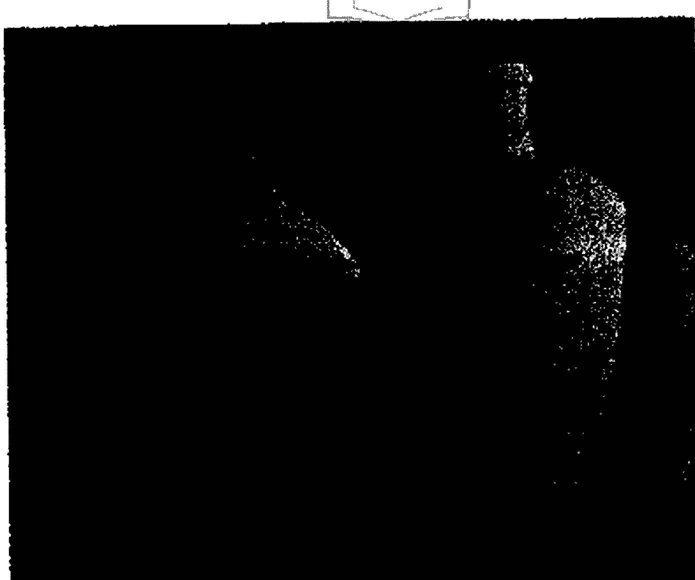
ثانياً ـ سكان إمارات المنطقة

العدد	الامارات	عدد السكان		الجملة
		ذكور	إناث	
١	الدمام	٧٧٨٠١	٤٧٥٣٤	١٢٥٣٣٥
٢	الخبر	٢٨٢٣٠	١٥١٨٦	٤٣٤١٦
٣	الثقبة	١٥٦٨٥	١١٦٤٩	٢٧٣٣٤
٤	الظهران	١٢٥٣١	٣٧٤٧	١٦٢٧٨
٥	بقيق	١٦٠١٨	٨٧٧٨	٢٤٧٩٦
٦	عين دار	٥١٨٤	٤٤٩٤	٩٦ ٨
٧	الاحساء	١٢٤٥٩٧	١١٩٧١٠	٢٤٤٣٠٧
٨	العقير	٣٦٣	٣٢٦	٦٨٩
٩	سلوا	٤٦٨٩	٣٥٧٣	٨٢٦٢
١٠	العضيلية	٢٥٧١	٢٥١	٢٨٢١
١١	الحني	١٠٢٩	٨٧٨	١٩٠٧
١٢	حرض	٥٤٢٦	٣٩٦٣	٩٣٨٩
١٣	خريص	٣٢٦٨	٢٤٠١	٥٦٦٩
١٤	القطيف	٤٦٠٧٦	٤٥١٢	٨٨٥٨٨
١٥	سيهات	١١٥١٩	١٠٨١٢	٢٢٣٣١
١٦	صفوا	١٠٦٦٩	١٠٢٣١	٢١٠٠٠
١٧	رحيمة	١٣٩٨٥	٧١٨٨	٢١١٧٣
١٨	الجبيل	٤٧٢٣	٤٠٠١	٨٧٢٤
١٩	النعيرية	٤٥٢٤	٣٦٠٥	٨١٢٩
٢٠	نطاع	٤٥٣٢	٤٢٢٨	٨٧٦٠
٢١	قرية	٥٥٣٠	٥٤٠٩	١٠٩٣٩

(تابع) ثانياً ـ سكان إمارات المنطقة

العدد	الإمارات	عدد السكان		الجملة
		ذكور	إناث	
٢٢	معقلة	٨٨٧	٨٣٤	١٧٢١
٢٣	السفانية	٤١٥٨	٢٨٥٦	٧٠١٤
٢٤	الخفقي	٨١٥٠	٥٤٠٠	١٣٥٥٠
٢٥	الرقعي	١٨٩٨	١٢٨٤	٣١٨٢
٢٦	الحفر	١٢٤٨٧	١٠٩٣٥	٢٣٤٢٢
٢٧	القيصومة	١٩٨٣	١٦٣٩	٣٦٢٢
	جملة سكان المنطقة الشرقية	٤٢٨٥١٣	٣٣٣٥٢٤	٧٦٢٠٢٧

تنبيه : أرجعنا بعض الأسماء إلى أصولها الصحيحة مثل (معقلة) و (الخفقي) .



قلتان من الفخار لهما نحو ٤٥٠٠ من السنين عثر عليهما بقرب منجم الملح جنوب (بقيق)

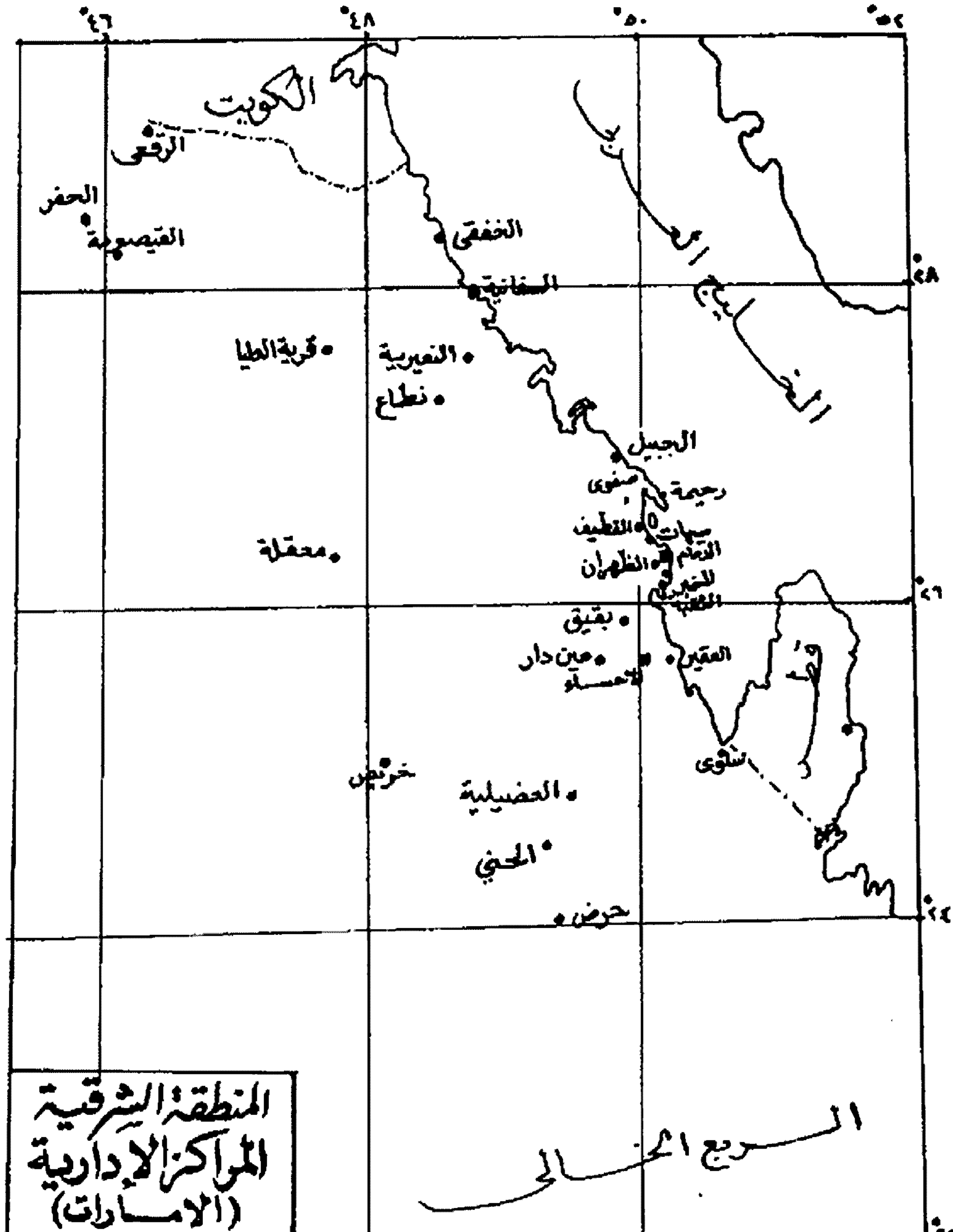
ثالثاً ـ تعداد سكان مراكز

الإمارات في المنطقة الشرقية

	عدد السكان		الجملة
	ذكور	إناث	
حرض	٢٩٧	٢١٢	٥٠٩
خريص	١١٢٩	٨٧٢	٢٠٠١
القطيف	١٣٥٢٤	١١٩٨٦	٢٥٥١٠
سيهات	٨٥٠٨	٧٦٥٩	١٦١٦٧
صفوا	٦٦٤٩	٦٥٨٨	١٣٢٣٧
رحيمة	١٢٨٥٦	٦٥٣٩	١٩٣٩٥
الجبيل	٣٨٤١	٣٢٨٠	٧٢٢١
النعيرية	٩٧٩	٥٣٨	١٥١٧
نطاع	٣٧١	٢٩٧	٦٦٨
قرية العليا	١٠٩٢	١١٤٢	٢٢٣٤
معقلة	١٧٤	١٥٥	٣٢٩
السفانية	٨٨٨	٣٢٢	١٢١٠
الخفقي	٧٥٦٧	٤٩٥٢	١٢٥١٩
الدمام	٧٧٠٢٥	٤٧٣٢١	١٢٤٣٤٦
الخبر	٢٨١٥٧	١٥١٣٥	٤٣٢٩٢
الثقبة	١٤٦٣٢	١٠٩٠٤	٢٥٥٣٦
الظهران	١٢٥٢٣	٣٧٤٢	١٦٢٦٥

(تابع) الإمارات في المنطقة الشرقية

	عدد السكان		الجملة
	ذكور	إناث	
بقيق	١٢١٩٩	٥٨٩٠	١٨٠٨٩
عين دار	٦١٦	٤٩٠	١١٠٦
الهفوف	٥٢٥٦٩	٤٨٦٤٤	١٠١٢١٣
العقير	٦٩	١٩	٨٨
سلوا	٣٢٤	٩١	٤١٥
العضيلية	٧٨٠٨	١٤٨	٢٢٢٦
الحسي	٣٩	٣٤	٧٣
الرقعي	٧٨٨	٥١٤	١٣٠٢
الحفر	٦٦٥١	٥٥٣٩	١٢١٩٠
القيصومة	١٥٥٦	١٣١٢	٢٨٦٨
جملة مراكز الامارة	٢٦٧١٠١	١٨٤٤٢٥	٤٥١٥٢٦


٤٦°
٤٨°
٥٠°
٥٢°
٢٨°
٢٦°
٢٤°
٢٢°
الكويت
الرقعي
الحفر
الخفجي
السفانية
قرية العليا
النعيرية
نطاع
الجبيل
صفوى
رحيمة
القطيف
الدمام
الظهران
الخبر
بقيق
عين دار
العقير
سلوى
خريص
العضيلية
حرض
الربع الخالي
المنطقة الشرقية
المراكز الإدارية
(الإمـارات)

خريطة (٢)

الحـــالة الاقتصادية :

من المعروف – منذ أقدم العصور – أن هذه البلاد – بلاد (البحرين) كانت بالنسبة لمختلف مناطق الجزيرة أزهاها حضارة ، وأخْصَبُها أرضــاً ، وأغزرها مياهاً ، وأكثرها خيرات ، وأقواها صِلة بالأقطار المجاورة للجزيرة ، شرقاً وشمالاً ، ولهذا كانت لعرب الجزيرة مصدرًا لقضاء حاجاتهم على اختلاف أنواعها ، فمنها يستمدُّون غذاءهم في ذلك العهد ، وكساءهم ، وسلاحهم ، وتوابلهم وآنيتهم .

فكان التمر – وهو غذاؤهم مع الحليب – يُجْلَبُ من تلك البلاد ، ويُضْرَبُ المثل بوفرته : (كمستبضع التمر إلى هجر) وكانت الحُلَلُ الظَّهْرَانيَّة – وهي منسوبة إلى الظَّهْران – ذات شهرة بينهم مما يدل على كثرة انتشارها ، وقُلْ مثل ذلك في قُلَلِ هَجَرَ ، من الأواني التي تصنع من الفخار أما الأسلحة فالرماح الخَطِّيَّة والدُّرُوعُ الحُطَميَّةُ[1] والسيوف الهندية كلها مما يرد من تلك البلاد ، أو عن طريقها . وكذا العطور والروائح التي يُتَطَيَّبُ بهما كالمسك الدّاري ، المنسوب إلى دَارِين ، والعنبر الهندي .

بل إنَّ كثيراً من الصناعات انتشرت بين العرب من جراء صلتهم بهذه البلاد . كصناعة الدَّبَّابة – وهي من آلات الحرب القديمة – وغيرها[2] .

وكما كانت هذه المنطقة بالنسبة للجزيرة – في العصور الماضية – مَصْدَرَ خَيْر ونعمة ، فقد أصْبَحَتْ في عَصْرِنا أعْظَمَ مَصْدَرٍ للثروة والغنا ، حين عُثِر في كثير من جهاتها على بِحَارٍ من النِّفْط ، الذي هو عَصَبُ حياة الأمم في هذا العصر ، فأحدث في البلاد عامَّةً أعْظَمَ تَطَوُّرٍ حضاري غيَّرَ مَجْرَى الحياة العالميَّة عامَّة ، وأصبحت بلادُنا – بما حباها الله من وفرته – مَضْرِبَ المثل في سعة الغنا ، ووفرة أسباب الثروة بين أقطار المعمورة كلها .

---

(١) منسوبة إلى حطمة بن محارب بن عمرو بن وديعة من عبدالقيس ، سكان البحرين ، مما يدل على على انتشار الصناعة في هذه البلاد في الوقت الذي كان العرب يرونها من الأعمال المحتقرة .

(٢) ذكر صاحب « الأغاني » : ٢٤/٥ (طبع دار الكتب) أن عبد الله بن جمدة أول من صنع الدبابة حين انتجع البحرين .

والحديث عن النفط وآثاره في حياة هذه البلاد أوسع وأشمل من أن يتّسع له هذا الكتاب .

وقد أُلّف فيه من المؤلفات في مختلف اللغات فيما يخصُّ هذه المنطقة وحدها مالا يدخل تحت الحصر . فلْنَكْتَفِ بإشارة موجزة إلى تاريخ العثور عليه ، مع سرد أسماء أهم حقوله .

ففي سنة ١٣٥٢ اتفقت الحكومة مع إحدى الشركات الأمريكية للتنقيب عن النفط في هذه المنطقة ، فتم حفر عدد من الآبار التي عثر فيها على النفط الجيّد بمقدار كبير ، وكان ذلك فيما بين سنتي ٥٥ و ١٣٥٨ ، فكان أنْ هُيِّئَتِ الوسائلُ من مصانع وآلات ومساكن لبدء العمل في الاستثمار .

وفي سنة ١٣٥٩ أُقيم احتفال في منطقة الظهران – التي تتوسط آبار النفط برئاسة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود ، للبدء بتصدير النِّفْط .

ثم استَمَرَّ حفر الآبار ، والعثور على مقادير عظيمة من النفط في جهات كثيرة من هذه المنطقة ، وكان من أثر ذلك في تطوير حياة سكان المملكة ماهو معروف .

وقد أُلِّفت المؤلفات الكثيرة عن النفط ، شملت جميع جوانب أعمال استخراجه وتصفيته وتصريفه ومقاديره ، وبيان حقوله ، وأكتفي الآن بسرد أسماء المواضع التي عُثر فيها على النفط ، مرتبة على الحروف ، بصرف النظر عن مقادير مايستخرج منها أو يُقَدَّر فيها من النفط .

أَبُوْ حَـــدْرِيَّة :

سيأتي الكلام عليه في موضعه من هذا الكتاب – ، وكذا كل موضع لم يُحَدَّد موقعه – .

أبو سَعَفَة :

في البحر ، شرق رأس تنورة .

البيرّي [1] :

شمَال شرق القَطيف ، في البحر .

بَقّـــةُ :

المنطقة الشمالية من حقل نفط بُقَيق .

الجثوم :

بئر نفط ، غرب عُرَيْعرة .

جُرَيْبيعــات :

غرب (أبو حَدْرِيّة)

جَنّـــا :

جزيرة في البحر شمال القطيف ، وهي غير جزيرة جِنّة التي بقرب الجبيل .

الجَوْف :

الحبياك :

موضع ، فيه بئر نفط ، في الربع الخالي .

الحرمليـــة :

شمال يبرين ، وشرق حقل الغوار .

الحرسانية :

شمال الفاضلي وجنوب شرق (أبو حدريّة) .

خُرَيْص :

الدَّمَّامُ :

السَّفَّانِيَّةُ :

---

(١) لعل أصل الكلمة (البرج) فأبدلت الجيم ياء كعادة سكان هذه الجهات .

على ساحل البحر ، في المنطقة المحاذية لحدود الكويت .

شَدْقَم :

جزءٌ من حقل نَفْط الْغَوَار .

شيبة :

موضع في الشمال الشرقي من الربع الخالي فيه حقل نفط .

طخمان :

موضع في الربع الخالي ، فيه حقل نفط ، تحت التجربة .

الظلوف :

في البحر ، متصل بمرجان ، شرق السفانية .

الْعَمَدُ :

موضع في الربع الخالي ، فيه بئر نفط .

عَيْن دارِ :

الْغَوَار :

يمتد من الجنوب من حدود الربع الخالي إلى الشمال على مقربة من بُقَيْق وهو أعظم حقول النفط .

الفاضلي :

غرب بلدة الْجُبَيْل .

فزْرَان :

منطقة من حقل الغوار .

القرضي :

شرق (أبو جيفان) في الصَّمَّان .

القطيف :

كَـرَّان :

جزيرة في البحر شمال الجبيل . وشمال جزيرة جَنَّا .

مَـحَارَة :

شرق السفّانية . في البحر بالقرب من مرجان .

المحاكيك :

في الربع الخالي .

المحراض :

في الربع الخالي .

مرجان :

على شاطىء البحر ، غير بعيد عن الظلوف ، شرق السفّانية .

مَزَالِيْج :

في شرقي الدَّهْنَاء ، غرب حَـرَض وجنوب خُـرَيْص .

مَعْقُلَة :

مُنِيْفَةُ :

على شاطىء البحر ، جنوب السفّانية .

وهناك آبار نفط وحقول ، لا تزال تحت التجربة . .

وأخرى اتضح أن مقدار نفطها ليس على درجة من القوة التي تمكن من الاستفادة منه .

وفي التقارير التي تصدرها شركتا النفط العاملتان في هذه البلاد تفاصيل وافية عن هذه الحقول .

سكان هذه البلاد

إنَّ أيَّةَ بلاد تَتَوَفَّرُ فيها وسائلُ الحياة بدون مشقة وكبير جهد ، تشتدُّ الرغبة في سكناها ، ويتهافت إليها الناس ، وهكذا حال هذه المنطقة ، فقد حباها الله بأمورٍ امتازت بها على جُلّ أقطار الجزيرة من الخصب ووفرة المياه والسعة ، والصلة بالبلاد الأخرى ، ومجاورتها للبحر بحيث يتوفر فيها من متطلبات الحياة ماقلّ أن يتوفّر في غيرها .

ولهذا فقد كانت مطمحا للراغبين منذ عصور التاريخ الأولى ، إلا أنّ تاريخها القديم — كغيرها من مناطق الجزيرة — لا يزال غامضا ، لايصل الباحث فيه إلا إلى عبارات موجزة في المؤلفات القديمة ، فمع ما أشار إليه المتقدمون من أنّ من سكانها الأقدمين من العمالقة ، — أبناء عمليق ابن لاوذ بن سام بن نوح — أمّة تدعى جاسم[(1)] وأن قوم عاد سكنوها في غابر الدهر ، على ماذكر ابن خلدون في تاريخه[(2)] وغيره ، وأن نفوذ طسْم امتدّ إلى البحرين ، إذْ كان يشمل كل بلاد الْعَرُوْض — اليمامة والبحرين — ومن آثارها في الأحساء حصن المشقّر — على ما ذكر الهمداني[(3)] ولا يمكن لتلك العبارات الموجزة أن تجلو ما يكتنف تاريخ هذه البلاد من غموض ، ولا أن تمد الباحث بقدر من المعرفة يدرك من خلاله أحوال تلك الأمم البائدة .

وقد انحصر أمل المتطلعين إلى معرفة جوانب من تاريخها الغامض المجهول في التَّنْقيب عن الآثار ، فقد عثِر في الجزر القريبة من الأحساء والكويت وفي جزيرة

---

(1) « تاريخ ابن جرير » : ١ / ٢٠٣ ط دار المعارف بمصر و « الاكليل » للهمداني ج ١ ص٧٣ و ٧٥ .

(2) « تاريخ الأحساء » ١ / ٥٣ .

(3) « صفة جزيرة العرب » .

البحرين (أوال) وفي رأس تنورة وفي (ثاج) على كثير من الآثار العمرانية التي تدل على رسوخ قواعد الحضارة في هذا الجزء من الجزيرة .

وتتطلع أنظار الباحثين إلى المزيد من الدراسة والتنقيب عن الآثار ، حتى يتوفَّر من المعلومات مايمكن أن يجلو بعض جوانب الغموض في تاريخ هذه البلاد[1] .

وبعد تلك الشعوب التي ورد ذكرها في عبارات قدماء المؤرخين كان من سكان هذه البلاد :

١ ــ فُروع من قبيلة الأزد على مانقل ابن جرير[2] عن ابن الكلبي ، وأورد الهَمْدَاني في « صفة جزيرة العرب »[3] لشاعر يمني :

وَأَزْدٌ لها البَحْرَانِ والسِّيفُ كُلُّهُ   وأَرْضُ عُمانِ بَعْدَ أرْضِ المُشَقَّرِ

٢ ــ تَنُوخ : ونقل ابن جرير[4] عن ابن الكلبي أيضاً أن قبائل من أولاد معدٍّ بن عدنان أقبلوا من تهامة حتى نزلوا البحرين على الأزد ، وهؤلاء الذين أقبلوا من تهامة من بني وبرة من تغلب من قضاعة[5] قنص بن معد كلها ، ومن إياد بن نزار بن معد ، فاجتمعوا بالبحرين فتحالفوا على التَّنُوخ وهو المقام ، وتعاقدوا على التناصر فصاروا يداً على الناس ، وضمَّهم اسم تنوخ ، فكانوا بذلك الاسم كأنهم عمارة من العمائر ، وتنخ عليهم بطون من نُمَارَةَ من لَخْم ، وتَنَخَ عليهم من الأزد في البحرين بعض بني فهم بن غانم بن دوس قوم جذيمة الأبرش .

ونقل البكريُّ في « معجم ما استعجم » عن كتاب « الأغاني »[6] فسارت تيم اللات بن أسد بن وبرة ، وفرقة من بني رفيدة بن ثور بن كلب ابن وبرة ــ من

(١) عن الآثار انظر (الآثار في المنطقة الشرقية) : كرنوال ــ معرب ــ « العرب » ١٢/٨٠٤ و (حملة يهوعش على شرق الجزيرة) الدكتور خالد السلي « العرب » : ٣٥ / ٨٢ .
(٢) « تاريخ ابن جرير » : ١ / ٦٠٩ .
(٣) ٣٦٩ .
(٤) ج ١ ص ٦٠٩ ط ١٩٦١ : دار المعارف بمصر و « الأغاني » ١٣/٨ ــ ط : دار الكتب .
(٥) على القول بأن قضاعة من معد .
(٦) ص ٢١ .

قضاعة — وفرقة من الأشعريين نحو البحرين حتّى وردوا هـَجـَر ، وبها يومئذ قوم من النـَّبط فأجلوهم .

فلما نزلوا بهجر قالوا للزرقاء بنت زهير — وكانت كاهنة — : ماتقولين يازرقاءُ ؟ فقالت : سَعـَفٌ وإهان[1] ، وتمر وألبان ، خير من الهوان . وأنشدت تقول :

وَدِّعْ تِهـامَةَ لا وداع مُخَالِقٍ بذمـامـةٍ ، لـكن قِـلاً مكرَامِ

لا تنـكري هـَجـَراً مُقـامَ غريبة لَنْ تعدمي مـن ظَاعنين تَهـَامِ

قالوا : فما ترين يازرقاءُ ؟ قالت : مُقام وتَنُوخ ، ماوُلد مولود وأُنـْقِفت فروخ .

فسميت تلك القبائل تنوخ .

٣ — كِـنْدَةُ : وذكر الهمدانيُّ في صفة « جزيرة العرب[2] » أن كِنْدة سكنت حضرموت بعد جلائها عن البحرين والمشقّر وغمرذي كندة في الجاهلية بعد قتل ابن الجون ، وكان الذي نقل منهم عن هذه البلاد إلى حضرموت نَيِّفاً وثلاثين ألْفاً . انتهى .

وهذا القول على جانب كبير من الغرابة فالمعروف في اتّجاه هجرات القبائل في الجزيرة الانحدار من اليمن أو الحجاز شمالاً أو شرقا إلى بلاد الرِّيْف في جوانب الجزيرة . لا (العكس) .

وقد أشار ابن الكلبي في « جمهرة النسب » إلى أن قبيلة كندة كانت تسكن في الحجاز حول الغمر ، الذي عرف بها ، وهو وادٍ من روافد وادي نخلة الشامية لا يزال معروفا .

٤ — إياد : وذكر المتقدمون أن قبيلة إياد — وهي قبيلة عدنانية هاجرت من الحجاز حتّى استوطنت البحرين .

---

(١) الإهان : عرجون التمر .

(٢) ١٧٥ .

(٣) إلى ص ٦٠ .

٥ – وقبيل ظهور الاسلام كانت فروع من قبيلة ربيعة ، من بكر ابن وائل وغيرهم تحتل هذه البلاد حتى ظهر الاسلام ، وهم فيها .

ومن أشهر هؤلاء بنو عبد القيس :

فقد ذكر البكريُّ في «معجم ما استعجم»[١] أن حربا وقعت بين قبائل ربيعة : (فارتحلت عبد القيس ، وشنٌّ بن أفصى ومن معهم فاختاروا البحرين وهجر ، وضامّوا من بها من إياد والأزد ، وشدّوا خيلهم بكرانيف النخل فقالت إياد : أترضون أن توثق عبد القيس خيلها بنخلكم ؟ فقال قائل : (عرَفَ النَّخلُ أهله) فذهب مثلا . وأجلتْ عبدُ القيس إياداً عن تلك البلاد وكانت إياد يقال لها الطبق لشدّتهم ولإطباقهم على الناس بعُرامهم وشرهم فقال الشاعر :

لقيتْ شـنٌّ إيـاداً بالقنـا طَبَقاً وافـق شنٌّ طبَقَـه

وقال عمرو بن أسوى الليثي (؟) من عبد القيس بعد ذلك بزمان :

شحطنا إياداً عن وقـاع[٢] فقلّصت وبكرا نفينا عن حيـاض المشقّـر

فغلبت عبد القيس على البحرين واقتسموها بينهم فنزلت جذيمة الخطّ وأعباءها (؟) ونزلتْ نكرةُ وسط القطيف وما حوله .

وقال ابن شبّة : نزلت نكرة الشفار[٣] والظهران إلى الرمل ، وما بين هجر إلى قطر وبَيْنُونَةَ – وإنما سميتْ بينونة لأنها وسط بين البحرين وعمان .

ونزلت بنو عامر – العُمُور – وهم بنو الديل بن عمرو ومحارب بن عمرو وعجل بن عمرو بن وديعة بن لكيز ومنهم عميرة بن أسد بن ربيعة حلفاء لهم – الجوف والعيون والأحساء حذاء طرف الدهناء ، وخالطوا أهل هجر في دارهم . انتهى .

---

(١) : ٨١ .
(٢) لعله (نطاع) .
(٣) لعله (الستار) .

وقال الميداني في « مجمع الأمثال »[1] : عَرَفَ النَّخْلَ أَهْلُهُ : أصله أنَّ عبد القيس وشَنَّ بنَ أَفْصَى لما ساروا يطلبون المُتَّسَعَ والرِّيفَ ، وبعثوا بالروَّاد والعيون ، فبلغوا هَجَرَ وأرض البحرين ، ومياهاً ظاهرة ، وقرى عامرةً . ونخلا وريفاً ، وداراً أَرْيَفَ من البلاد التي هم فيها ، ساروا إلى البحرين وضامُّوا من بها من إياد والأزد ، وشدُّوا خُيُولَهُمْ بكرانيف النخل ، فقالت إياد : عرفَ النخلَ أَهْلُهُ . فذهبت مثلاً يضرب عند وُكُولِ الأمر إلى أهله . انتهى .

٦ – تميم وضَبَّة :

نقل البكري في « معجم ما استعجم[1] » عن كتاب « افتراق القبائل » لابن الكلبي ما ملخصه : (وظهرت تميم بن مُرّ بن أُدٍ ، وضبَّةُ بن أُدّ إلى بلاد نجد وصحاريها ، ثم مضوا حتى خالطوا أطراف هجر ، ونزلوا ما بين اليمامة وهَجَر .

ونفذتْ بنو سعد بن زيد مناة إلى يَبْرِيْنَ وتلك الرمال ، حتى خالطوا بني عامر بن عبد القيس في بلادهم قطر ، ووقعت طائفة منهم إلى عُمَان ، وصارت قبائلُ منهم بين أطراف البحرين إلى ما يلي البصرة ، ونزلوا هنالك إلى منازل كانت لإياد فساروا عنها إلى العراق .

عناصر غير عربية :

تميزَّت هذه البلاد عن غيرها من مناطق الجزيرة بأمور منها :

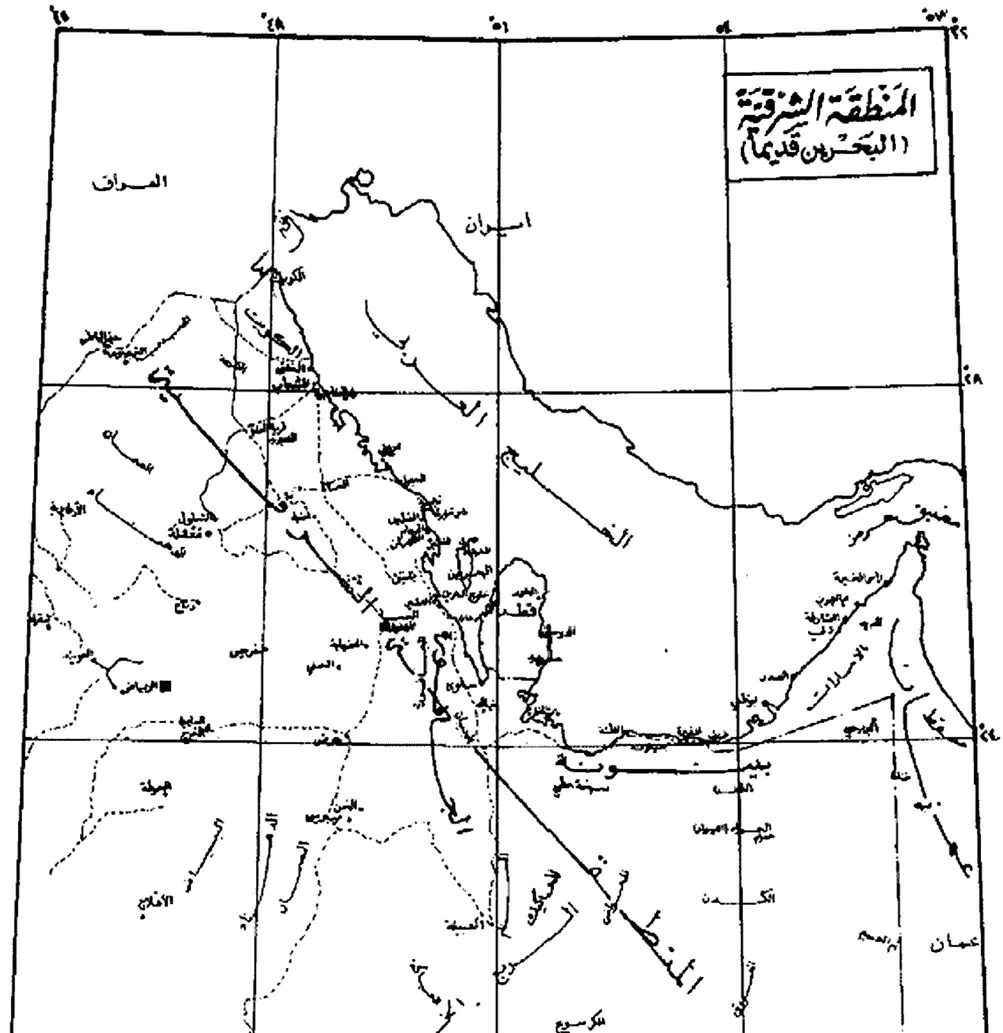
١ – وفرة مياهها من الأنهار والعيون الجارية مع خصوبة أرضها ، فازدهرت الفلاحة فيها .

٢ – صلتها بأقوام على جانب من الحضارة ، ورغبة في تعاطي أسبابها كالتجارة والفلاحة والصناعة .

٣ – مجاورتها لحدود دولة كانت من أقوى دول العالم في عهدها وهي دولة الفُرس .

---

(1) ١ / ٥٨٢ .



خريطة (٣) منازل القبائل العربية القديمة

لهذه الأسباب ولأخرى غيرها تسربت إليها طوائف وأمم غير عربية النجار للاستيطان فيها ، وللاشتغال بالأعمال والحرف التي كانت القبائل العربية تأنف وتترفع عن تعاطيها كالصناعة والفلاحة . فاستقرت في حواضرها . وامتدّ نفوذ دولة الفُرس عليها حتى ظهور الإسلام .

فمن تلك الطوائف التي عاشت في تلك البلاد في عصورها القديمة ، وكانوا عَوْناً لسكانها لصدّ النفوذ العربي حتى أثناء حروب الردّة في صدر الإسلام .

١ — الزُّط — وهم على ما في « القاموس » وشرحه — : جيل من الناس . وجاء في البخاري في صفة موسى عليه السلام — كأنه من رجال الزُّط — واختلف فيهم فقيل هم السبابجة . وقال القاضي عياض : هم جنس من السودان طوال . ونقل الأزهري عن الليث أنهم جيل من الهند . قال : وهو معرّب (جَتّ) بالهندية — الواحد زُطيٌّ . وأورد قول الشاعر :

فجئنا بِحَيَّيْ وائِلٍ وبِلَفِّهَا وجاءت تميمٌ زُطُّهـا والأساور

وقد ساعد الزُّط المرتدين أثناء حروب الردّة — على ما ذكر ابن جرير [١] وغيره .

(ب) السَّبَابجة — بالموحدتين وآخره جيم .

قال في « تاج العروس » : وفي « الصحاح » : السبابجة قوم من السند ، كانوا بالبصرة جلاوزة وحراس السجن ، والهاء للعجمة والنسب ، قال يزيد بن مفرغ الحميري :

وطماطِيم مِـن سبابيج خـزر يلبسوني مـع الصباح القيودا [٢]

وفي كتاب « النقائض» [٣] في شرح قول عرهم بن عبد الله — من بَلْعَدَويَّة :

وتُغْنِيي الزُّطُّ عَبْدَ القَيْس عنَّا وتكفِينَنـا الأساوِرَةُ المزُونا

(١) « تاريخ ابن جرير » ج ٣ ص ٣٠١ — ٣٠٣ ط : دار المعارف بمصر .
(٢) رسم (سبج) وفي بعض الكتب السبايجة .
(٣) ص ١١٥ .

الزُّطُّ : السيابِجَةُ – قوم من السند بالبصرة لهم قَدَمٌ وكانوا يحفظون بيت المال في الدهر ، والمزون مدينة عُمَان – انتهى .

وهؤلاء ممن انضموا إلى المرتدين أيضاً .

(ج) النَّبَطُ – الأنباط – وعرف هؤلاء بنشاطهم العمراني في الفلاحة فقد ذكر صاحب « الأغاني »[١] والبكري في « معجم ما استعجم »[٢] أن فروعاً من قبيلة قضاعة وغيرها وردوا البحرين فأجلَوْا عنها النَّبَط وسكنوها . ويظهر أن هؤلاء ممن بقيت لهم بقايا في البلاد إلى عصور متأخرة .

(د) الجرامقةُ : وهؤلاء قوم من العجم كان منهم من يقيم في البحرين[٣] ومنهم جرامقة الشام ، وهم من الأنباط الذين عرفوا بالاشتغال بأعمال الفلاحة ، كالزُّطِّ أيضاً .

(هـ) الفُرس : وانتشار هذه الأمة في هذه البلاد منذ عصور ما قبل الإسلام إلى عهدنا الحاضر معروف . ولهذا قوي نفوذهم أثناء قوة دولة الأكاسرة ، فكانت لهم معارك وحروب مع العرب ، كيوم الصفقة ويوم الزارة .

وكانت ملوك الفُرس في ذلك العهد تستعين ببعض القبائل العربية على بعضها . فقد ذكر المتقدمون أن سابور ذا الأكتاف أنزل بني عبد القيس وطوائفاً من تميم بلاد هجر[٤] .

وذكر ابن جرير في تاريخه[٥] أن أرْدَشير سار إلى البحرين فحاصر ملكها سنطرق ، واضطره الجهد إلى أن رمى بنفسه من سور الحصن فهلك .

وأن أردشير بنى بالبحرين (فنياذ أردشير) وهي مدينة الخط .

---

(١) ١٣ – ٨٠ ط دار الكتب .
(٢) ٢١ .
(٣) انظر رسم (محلم) و (هجر) .
(٤) « تاريخ ابن جرير » ٢ – ٥٧ .
(٥) ج ٢ ص ٤١ ط دار المعارف بمصر .

وذكر أن كِسْرَى[1] أنوشِرْوان مَلّك على ما بين عُمان والبحرين واليمامة إلى الطائف وسائر الحجاز رجلاً من لخم يقال له المنذر بن النعمان .

وكان عامل كسرى على البحرين يدعى آزاذفروز بن جُشْنَس ، الذي سمّته العرب المُكَعْبِر ، لأنه كان يقطع الأرجل والأيدي ولما أخذ بنو تميم لطيمة كِسرى كتب إليه أن لايدع من بني تميم عيناً تطرف ، فكان يوم الصفقة .

وعند ظهور الإسلام كان للدولة الفارسية عامل على البحرين من العرب من بني تميم غير (مرازبتهم) وهم رؤساء الجند ، في بعض مدن هذا الإقليم كمرزبان هجر ، ومرزبان الزّارة (في القطيف)[2] .

ولوقوع هذه المنطقة متاخمة للدهناء التي تعتبر من أجود مراتع الإبل والغنم ، ولوقوع بلاد الصّمّان وهي من أفضل البلاد في حياة البادية ولقربها من المياه والأرياف ووفرة خيراتها ، كانت ميداناً للصراع بين القبائل التي كثيراً ما اضْطَرّها الجدب وطلب المرعى إلى مزاحمة سكانها ، مزاحمة تنتهي بسيطرة القبيلة القويّة ، واستسلام القبيلة الضعيفة استسلاماً يضطرها للانضواء تحت سيطرة القبيلة الغالبة أو النزوح عن هذه البلاد إلى ما يجاورها من أرياف العراق .

وجاء الإسلام ، وسكان هذه البلاد طوائف من ربيعة ، عبد القيس ، ومن بكر بن وائل ، وفروع من قبيلة بني تميم وضَبّة ، وأخلاط من بقايا السكان القدماء من أصول مجهولة ، أو غير عربية ، وهكذا شأن البلاد العريقة في التّحَضُّر ، تزول عن سكانها المميزات القبلية ، وما لبثت القبائل بعد ظهور الإسلام تتدفق على هذه البلاد ، وتنازع سكانها البقاء ، وتمتزج بقبائلها ، فكان من سكانها بُطُونٌ من بني عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر هوازن ، من بني عُقَيْل ، وبني كلاب وغيرهم ، على مايفهم من كلام الأزهريّ وابن خلدون ، وما جاء في « شرح ديوان ابن مُقَرّب »

(١) ج ٢ ص ١٤٩ .

(٢) من غريب ماذكر عن هذا ماجاء في « معجم البلدان » في الكلام على المدينة : (وكان على المدينة وتهامة في الجاهلية عامل من قبل مرزبان الزارة يجبي خراجها) . انتهى .

الذي صوّر جوانب كثيرة من تطاحن القبائل في هذه المنطقة في القرن الخامس الهجريّ وما بعده .

وقد تكرر اسم بني عامر بين سكان هذه البلاد وهم في الأصل من بني عبدالقيس [(١)] غير أن انضواء بطون من بني عامر بن صعصعة إلى هذه النواحي واتفاق اسم القبيلتين سبّب اختلاطهما .

وتكون من ذلك بروز بطون من مختلف تلك القبائل عرفت باسم بني عامر ، ثم ببني خالد ، في عصور متأخرة : منذ القرن الحادي عشر الهجري إلى منتصف القرن الثالث عشر [(٢)] ، وكان لهؤلاء نفوذ قويّ في هذه البلاد ، وسيطرة واسعة ، كما يفهم تاريخها الحديث .

السكان في العهد الحاضر :

لقد تحضّرتْ فروع كثيرة من القبائل التي كانت تقيم في هذه البلاد فاندمجت مع أهل المدن والقرى ، واختلطتْ بالسكان القدماء ، ولم تَعُدْ تَهْتَمُّ بما كان أبناء البادية يحافظون عليه من عادات وتقاليد أبرزها الاعتزاز بالأنساب ، غير أن كثيراً من الأسر المتحضرة تنتمي إلى أُصول القبائل القديمة كتميم وعبد القيس وبني عامر - مثلاً - بدون استطاعة إثبات هذا الانتماء بذكر اتصاله بفرع معروف من فروع إحدى القبائل المذكورة ، وليس هذا الأمر خاصاً بسكان هذه المنطقة ، بل هي صفةٌ عامّةٌ من صفات التّحَضُّرِ والاستقرار ، في جميع البلاد .

ومن القبائل التي لا تزال تتمسك بالمميزات القَبَلِيَّة القديمة ، من سكان هذه البلاد :

١ - آل مُرَّة والعجمان ، وعند ضعف قبيلة بني خالد انساح إلى هذه البلاد ، من جنوب الجزيرة بطنان من قبيلة يام من همدان من قحطان ، هما آل مُرَّة والعُجْمَانُ

(١) ويعرفون باسم العمور ، ثم العماير الآن .
ونجد نصاً صريحاً ذكره الهمداني في الكلام على عرب البحرين ؛ ونقله عنه ابن فضل الله العمرى في « مسالك الأبصار » وعن هذا نقل القلقشندي والسويدي أنهم غير عامر المنتفق وغير عامر بن صعصعة .

(٢) انظر عن بني خالد مجلة « العرب » س ٥ ص ٥٧٨ .

فأزاحوا سكانها من البادية ، إلا من رضخ لسيطرتهم ، وانتشروا فيها ، فحلت قبيلة العجمان في وسطها في أريافها ، ونزلت قبيلة آل مُرَّة في ناحيتها الجنوبية ، في أطرف الرمال ، وفيما بين الأحساء وشبه جزيرة قطر .

٢ ــ وانتشرت فروع من قبيلة مُطَيْر في الجانب الغربي منها : في الصَّمَّان ونواحي وادي الباطن (فَلْج) قديماً ، في القريتين وفي اللِّهابَةِ واللِّصَّافة وماحولهما .

٣ ــ وحَلَّتْ بطون من بني هاجر بجوار قبيلة العجمان من الجنوب في الجوف وأطراف وادي المياه (الستار قديماً) وعَيْن دار ، وتلك النواحي ، وامتدت بطون منها إلى شبه جزيرة قطر .

٤ ــ وفي الجانب الشمالي الموالي لحدود الكويت تحلُّ أفخاذٌ من قبيلة العَوَازِم في النِّقَار ــ (النَّقيْرة ونُقَيْر) وثَاج وتلك الجهات .

٥ ــ وفي الجانب الشمالي الواقع بقرب حدود العراق شمال وادي الباطن (فَلْج قديماً) استوطنت فروع من قبيلة الظفير ، في هجرة الصُّقَيْري الواقعة شمال مدينة الحَفَر ، بنحو ١٥ كيلاً .

٦ ــ زِعْبُ ــ بالزاي المكسورة بعدها عين مهملة فباء موحدة ــ وهؤلاء بطن من قبيلة سُلَيْم ، كان ذا ثروة في العدد ، وقوة ونفوذ ، إلاّ أن الضعف أدركه ، فحل بجوار بلاد قبيلة مطير ، فيما بينها وبين بلاد قبيلة العجمان .

٧ ــ سُبَيْعُ : وبعد منتصف هذا القرن حَلَّتْ بطون من قبيلة سُبَيْع ــ من بني عامر بن صعصعة ــ غرب بلاد مُطير ، في شرق الدَّهْنَاء في مَعْقُلَة وحُزْوَا والسَّبِيَّة وما حولها[1] .

---

(١) نجد في كتاب « دليل الخليج » ــ القسم الجغرافي ج ٢ ص ١٠٠٨ تقديراً لعدد السكان من أبناء البادية قبل ثمانين عاماً على هذا النحو :

١ ــ العجمان ٣٥,٠٠٠ .

٢ ــ بنو خالد بدون المتحضرين منهم ١٠,٠٠٠ .

٣ ــ آل مرة ٧,٠٠٠ .

وما عدا هذه القبائل الثلاث اعتبر مؤلف الكتاب إقامتهم غير دائمة كالعوازم ومطير وغيرها .

ومما تجب ملاحظته أن كل قبيلة من القبائل متى ضَعُفَتْ ، وزاحمتها في بلادها قبيلةٌ أقوى منها تعمد كلها أو بعض فروعها إلى أحد أمور ثلاثة : الانضواء تحت سيطرة القبيلة القويّة ، أو الهجرة إلى بلاد أخرى تستطيع العيش فيها ، أو الركون إلى سكنى القرى ، والتّحضُّر ، وترك مظاهر البداوة ، فيزول اسم القبيلة من بلادها ، ولو بقي منها بعض الفروع الضعيفة التي تنتسب إليها ، ولهذا فإنّ كثيراً من الأسَرِ المتحضرة في هذه المنطقة تنتمي إلى قبائل كانت تسكنها .

فالدّوَاسِرُ — مثلاً — وكانوا من أكثر سكان الدمام والخُبَر وجزيرة البحرين قد يكونون من بقايا بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، فقد ذكر الأزهريُّ في « التهذيب »[1] وغيره من علماء اللغة أن بني سعد ، يقال لهم دَوْسَر[2] .

وبنو سَلِيْط (السُّلَطَة) المعروفون في هذه المنطقة يَمُتُّون بنسبهم إلى بني سَلِيط بن يربوع ، من تميم وكانوا يسكنون هذه الجهات .

والجُبْلانُ الذين يُعَدُّونَ الآن من قبيلة مُطَير ، وبلادهم في شمال الصَّمّان في اللصافة وما حولها يرجع نسبهم إلى بني تميم ، سكان هذه الجهة في القديم .

والجلاهمة الذين تنتمي إليهم أسَرٌ كبيرة متحضِّرة في سواحل هذه البلاد ، في البحرين والكويت والدمام وغيرها ، يرجع نسبهم إلى الجلاعمة من وائل من ربيعة .

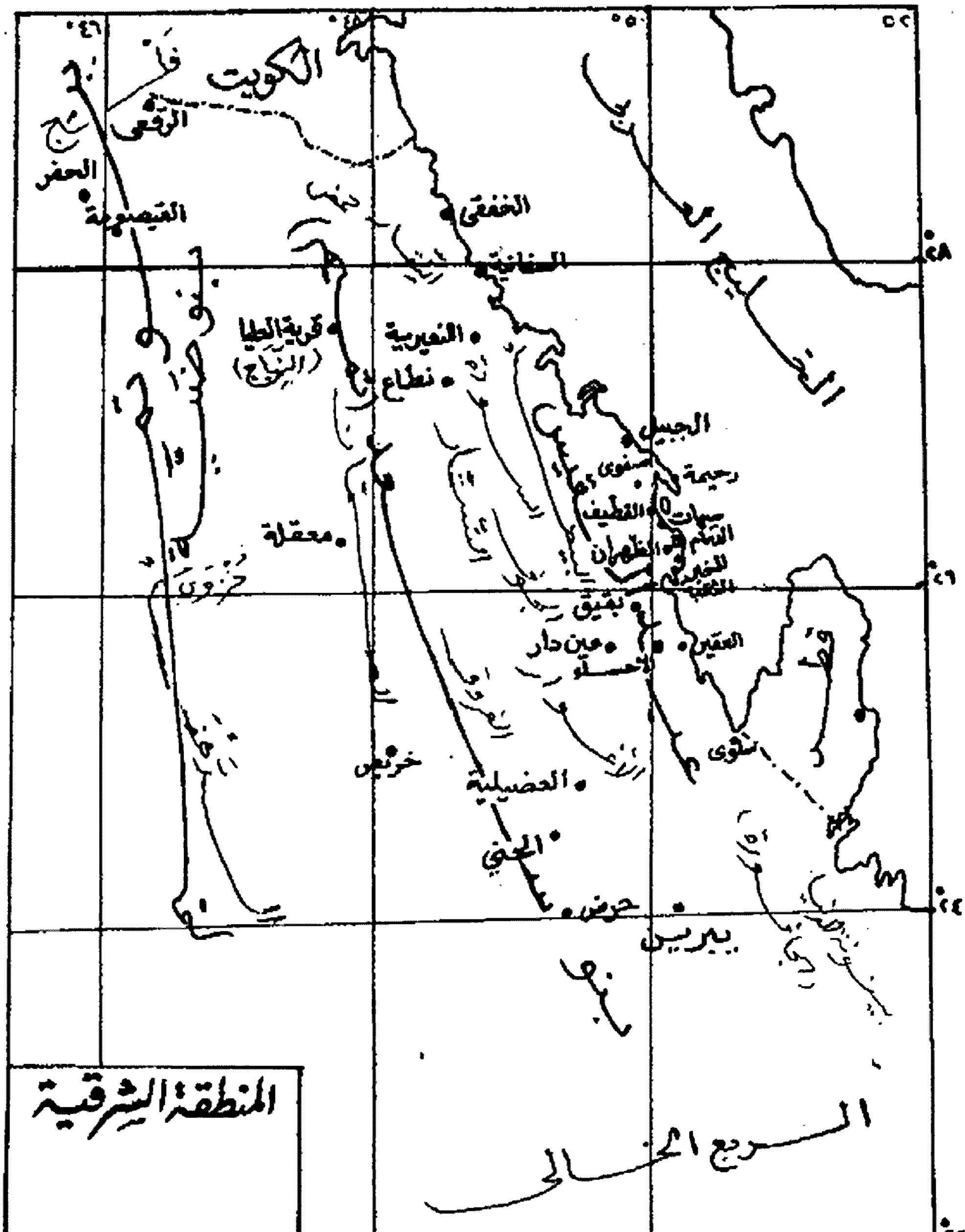
والعمور (العماير) المعدودون الآن من بني خالِدٍ المنتمين إلى بني عامر من نزار ، هم المعروفون قديماً باسم العمور من بني عبد القيس ، من ربيعة .

✖ ✖ ✖

---

(١) : ٥ / ٣٦٥ .

(٢) أما الدواسر الذين في الوادي المعروف بهم فيرجعون إلى جذمين همدان وتغلب من قحطان .



(منازل القبائل العربية القديمة)

خريطة (٤) منازل القبائل في العصر الحاضر

من تاريخ هذه البلاد

إنَّ هذا المُؤَلَّفَ مخصص لتحديد المواضع ووصفها من الناحية الجغرافية مع إيراد ما يتعلّق بها من الأخبار أو الأشعار ، أما التَّوَسُّعُ في ذكر الحوادث والوقائع المتعلقة بها فمحله المؤلفات التاريخية ، ولما لم يؤلف — فيما أعلم — من الكتب مايعالج هذا الجانب باستثناء كتاب « تحفة المستفيد ، في تاريخ الأحساء في القديم والجديد » للشيخ محمد بن عبد القادر الأنصاريّ وهو على إيجاز مباحثه وعدم استيفاء كثير من الجوانب التاريخية فيه — فإن نسخه أصبحت نادرة ، ولايَتَيَسَّرُ لكل باحث الاطلاع على هذا الكتاب — فقد رأيت إيراد لمحة مختصرة عن تاريخ هذه البلاد ، قد يُمَهِّدُ لمن يعنى بدراسة الجانب التاريخي الطريق للتوسع في الدراسة والبحث .

في العهود القديمة : هذه البلاد — كغيرها من أجزاء الجزيرة — لم يُدْرس تاريخها القديم ، إذ لم تتوفَّرْ بَعْدُ مصادر دراسته ، التي تعتمد — أول ما تعتمد — على الآثار ، وهذه لم يَجْرِ بَحْثٌ عنها ، مع كثرة ما يشاهَدُ منها بارزاً للعيان في مواضع كثيرة ، مما يدل على عراقة حضارتها ، وقِدَمِ عُمْرانها ، ولا غَرْوَ فكل بلاد تتوفر فيها وسائل الحياة من الخِصْب والاتصال بالعالم الخارجيّ تكون محل استيطان وعُمران منذ قديم الزَّمان .

جاء في كتاب أصدرته (إدارة الآثار والمتاحف) في (وزارة المعارف) سنة ١٣٩٥ (١٩٧٥م) مانصه :

تكاد تكون آثار الاستيطان البشري في المنطقة الشرقية من المملكة أكثرَ وضوحاً منها في أيِّ جزء آخر من المملكة . وسبب ذلك يرجع إلى عدة عوامل : أهمها اشتهار المنطقة لتوسطها بين مراكز الحضارات القديمة وإشرافها على جزء كبير من ساحل الخليج العربي ، الذي سبق أن لعب دوراً هاماً في مجال الاتصالات البشرية والتجارية

والعسكرية بين شعوب تلك الحضارات منذ أكثر من خمسة آلاف سنة . فقد انطلقت من شرق الجزيرة إسهامات ثقافية امتزجت مع ثقافات الأقطار المجاورة ، فتكونت منها دوائر حضارية كانتْ ذاتَ شأنٍ في تاريخ الشرق القديم .

مواقع عصر العُبَيْد (بضم العين) : تعتبر هذه من أقدم دلائل الاستيطان في المنطقة الشرقية حيث يعود تاريخها إلى ما قبل ٧٠٠٠ سنة سابقة .

والعبيد هو فترة من عصور ماقبل التاريخ تم التعرف عليها أولاً في بلاد ما بين الرَّافِدَيْنِ (العراق) وأبرز دلائل هذا العصر هو الفخّار الملون ذو الطابع الفريد به ، وقد اكتشف هذا الفخّار في عدة مواقع بالمنطقة الشرقية أهمها موقع الدوسرية جنوب الْجُبَيْل .

جزيرة تاروت : تقع على الخليج العربي مما يلي القطيف بالمملكة ، وتتصل بالقطيف بجسر طبيعي يتراوح عرضه بين ١٠ ، ٢٠ متراً في طول أربعة أكيال وتقع مدينة تاروت التاريخية في قلب الجزيرة ومن أهم مرافئها : سنابس في الشرق ودارين في الطرف الجنوبي . وقد اكتشفت بالجزيرة آثار هامة يرجع بعضها إلى فترة عصر فجر السلالات الأولى لبلاد ما بين النهرين (أي قبل مدة تتراوح بين ٤٠٠٠ و ٥٠٠٠ عام) أما البعض الآخر فيعود إلى فترات زمنية مختلفة معاصرة للحضارة العيلامية الفارسية ، وحضارة (الموهنجودارو) على نهر السند ، وحضارة (أم النــار) التي قامت بالمنطقة الجنوبية من الخليج العربي والتي تم اكتشاف بقاياها في (أبو ظبي) .

بقايا العصر الهليني : وجاء هذا العصر في أواخر الألف الأول قبل الميلاد وامتدّ إلى أوائل العصر الميلادي وذلك إثر غزوة الاسكندر المقدوني للشرق ، وتأسيس الامبر طورية السلوقية في العراق . وهناك العديد من المدن التجارية الخامة التي تعود إلى هذا العصر والتي تنتشر في أرجاء المنطقة الشرقية .

وأهم هذه المدن هي : ثاج والحناة والجرهاء (العقير) بالإضافة إلى الضريح الذي تم اكتشافه في عين جاوان شرقي رأس تنورة .

وتعتبر ثاج أكثر تلك المدن الهلينية حجماً حيث يظهر من أطلالها أن سوراً ضخماً ، يبلغ طوله حوالي ٣ كم ، كان يحيط بها .

آثار العصر الإسلامي الأول : وهناك العديد منها ، خصوصاً في واحة الأحساء . أهمها آثار مسجد جُوَاثَا القديم الذي يعتبر أول مسجد أُسِّسَ في شرق الجزيرة . ويحتمل أن يعود تاريخه إلى العشر السنوات الأولى من الهجرة . ولم يَبْقَ من البناء القديم سوى قوسين متداعيين .

وفي مدينة الهفوف بالأحساء أيضاً توجد قصور تاريخية ضخمة أهمها قصر إبراهيم وبداخله مسجدالقُبَّة ، الذي أسس في القرن العاشر الهجري . كذلك هناك قصر خزام الذي شُيِّد في عصر الإمام سعود بن عبد العزيز الكبير سنة ١٢٢٠ . انتهى .

ومن المواضع الأثرية في هذه المنطقة :

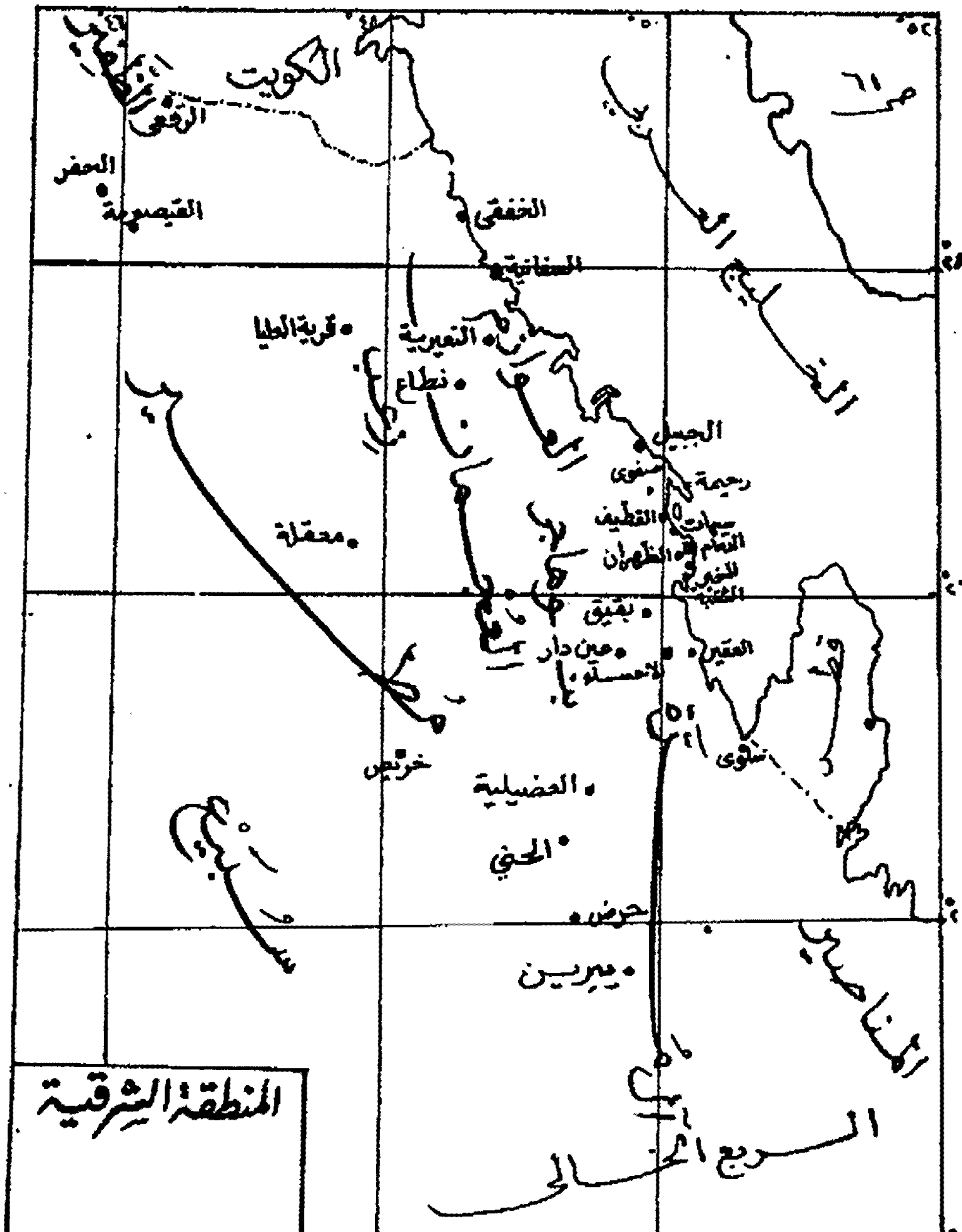
أبا الدلاسيس : شرق بُرْق أبا الدلاسيس ، شمال قرية الجديدة .

ولاتزال آثار بَرْقا (أبو الدلاسيس) وتارُوتَ وثاج وجَاوَان والحنَّاءة والقُفَيْلة وغيرها بارزة للعيان ، تنتظر اليوم الذي يكشف فيه عنها لتخبر بما تخفي من أسرار .

والدَّارُ لو كلَّمتنا ذاتُ أسرار ! !

في العهد الإسلاميّ : جاء الإسلام والدولة الفارسيَّةُ مُسيْطِرة على منطقة البحر الشرقي ، من حدود عُمَان جنوباً حتى أطراف العراق الغربية ، وكانت تتخذ من موالاة بعض القبائل العربية لها مايردُ عنها عادية القبائل الأخرى غير أن تلك البلاد المشمولة بسيطرتها كانت على حالة من الفوضى وعدم الاستقرار من جرَّاءِ ضعف تلك الدولة ، وعجزها عن ضبط الأمور في كثير من أجزاء البلاد التي تحت نفوذها .

ومن هنا كان سكان هذه البلاد يتحيَّنون الفرصة التي تخلصهم من الحكم الفارسي وهو – في ذلك العهد – حكم مُنْهَارٌ ، يقوم على أساليب من العُنْف وجهل ما جُبِلَتْ عليه الطبيعة العربية من كثير من الأخلاق ، ولهذا سارع أهل هذه البلاد ببعث وَفدهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب وَالِي البحرين المنذر بن ساوَى العبديُّ إليه مظهراً الطاعة ، ومتطلعاً إلى مايأمر به .



(منازل القبائل العربية المعاصرة)

خريطة (٥) بعض المواضع الأثرية

ويروي بعض المؤرخين [1] أن صلة بني عبد القيس ـ سكان هذه البلاد ـ برسول الله صلى الله عليه وسلم كانت قبل الهجرة ، وأن الأشجّ العبديّ كان صديقاً لراهب ينزل في (دَارِين) فلقيه في إحدى المرّات ببلدة الزّارة . فعرف منه صفات النبي الذي سيخرج في مكة . فبعث الأشج ابن أخته له ومعه تمر وملاحف ليبيع ذلك في مكة . فأتاها عام الهجرة فلقي النبي صلى الله عليه وسلم . فأسلم ، ولما عاد أخبر خاله الأشجّ فأسلم أيضاً وكتم إسلامه . حتى كان في طليعة وفد قومه عبد القيس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة سبع من الهجرة [2] .

وفي السنة السادسة من الهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء ابن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين من قبل الفرس ، بكتاب يدعوه إلى الإسلام ونَصُّه : (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبيّ ، رسول الله . إلى المنذر بن ساوى . سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإنّ كتابك جاءني ورسُلُك ، وإنّ من صلّى صلاتنا وأكل ذبيحتنا ، واستقبل قبلتنا فإنه مسلم . له ما للمسلمين . وعليه ما على المسلمين [3] .

ومن أبي فعليه الجزية .

وقد أسلم المنذر وحسن إسلامه ومات قبل الردّة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد وَلّى الرسول صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي [4] على البحرين بعد إسلام المنذر وبقي والياً ، فانقاد له جميع السكان ، فكان يأخذ الزكاة ممن أسلم ، والجزية من المجوس ممن بقي على دينه .

وكان العلاء ذا حنكة وسياسة ، فاستمال بحسن معاملته قلوب أهل هذه البلاد ،

---

(١) : « الإصابة » لابن حجر – ترجمة صحار العبدي .

(٢) قد فصل خبر الوفد ابن سعد في « الطبقات الكبرى » .

(٣) « تاريخ ابن جرير » ج ٢ ص ٦٤٥ وج ٣ ص ٢٩ .

(٤) انظر بحثاً عنه نشرته في جريدة « أم القرى » سنة ١٣٦٠ عدد ٨٦٣ و ٨٦٤ و ٨٦٥ في شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٦٠هـ (١٩٤١م) .

مع تنافر أحوالهم واستفاد من بعض أساليب الحكم ، فكان – على ماذكر المؤرخون – هو الذي أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم باستعمال الخاتم ، ليختم به الكتب التي كان يبعثها إلى الملوك وغيرهم ، لِئَلّا يدخلها العبث والتزوير .

وكان لانضواء هذه البلاد تحت لواء الإسلام أثر كبير لا في الحياة الاقتصادية في الدولة الإسلاميّة التي كانت في دور النشوء ، وكانت محدودة الموارد ، بل في تنظيم شؤون تلك الدولة بصفة عامّة .

لقد بعث النّبيُّ صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي والياً على البحرين وبَعث أبَا عُبيدة ، ليأتي بجزيتها وخراجها ، فقدم بمال من البحرين ، فسمعت الأنصار بقدومه ، فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرضوا له ، فتبسَّم وقال : « أظنكم سمعتم أبا عُبيدة قدِمَ بشيء » ؟ قالوا : أجَلْ – يارسول الله – فقال : « فأبشروا وأمِّلُوا مايسركم ، فو الذي نفسي بيده ما الفَقْرَ أخشى عليكم ، ولكنْ أخشى أن تُبْسَطَ عليكم الدنيا كما بُسِطَتْ على من كان قبلكم ، فتتنافسوها تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم » .

وفي « صحيح البخاريّ » عن أنَس رضي الله عنه ، قال : أُتِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين فقال : « انثروه في المسجد » وكان أكثر مالٍ أُتِيَ به النبي صلى الله عليه وسلم – إذ جاءه العبَّاسُ فقال : يارسول الله أعطني فإني فاديت نفسي وعَقيلاً . قال : فخذ ! فحثا في ثوبه ، ثم ذهب يُقِلُّهُ فلم يستطع ، فقال : مُرْ بَعْضَهم يرفعه إليَّ . قال : لا ! قال : فارفعه أنت عليَّ ! . فقال لا . قال : فنثر منه ، ثم احتمله على كاهِلِه ، ثم انطلق ، فمازال النبي صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره حتى خفي علينا عجباً من حرصه . وما قام النبي صلى الله عليه وسلم وثَمَّ منها درهم . رواه البخاري[1] وفي « نيل الأوطار »[2] أنه كان مئة ألف ، وبلغ في إحدى السنوات مئة وخمسين ألفا .

---

(١) « معجم ما استعجم » .
(٢) : « نيل الأوطار » ٥ – ٢٣٤ .

ونكتفي بالإشارة إلى أن الحالة الاقتصادية في قاعدة الإسلام الأولى في عهد النبي عليه الصلاة والسلام بعد انْضِوَاء هذه البلاد تحت لوائه تغيرت تَغَيُّرًا عَظِيما ، فقد قامت على قاعدة قويّة من حيث وفرة أموال الخراج والجزية[1] . ووجد المسلمون فيها من وسائل الرزق والرخاء مالا عهد لهم به مما أثّر في حياتهم أبلغ تأثير في عهد الخلفاء الراشدين .

ومع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عزل العلاء عن ولاية البحرين وولّى مكانه أبان بن سعيد بن العاص الأموي القرشي — لأسباب نجهلها — وذلك في سنة تسع من الهجرة . إلاّ أنّ أبا بكر الصديق حين آلت إليه الخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وحَزَبَتْهُ الأمور بارتداد أكثر قبائل العرب ، رآى في العلاء الرَّجُلَ الذي يمكن التعويل عليه ، فلما أخرج أهل البحرين أبانَ بن سعيد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، طلبوا من أبي بكر أن يرد عليهم العلاء ففعل[2] ، وولاه قيادة الجيوش لمحاربة أهل الردة في تلك الجهة .

قال ابن جريــر[3] :

ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدّ أهل البحرين فيمن ارتدّ فأما عبد القيس ففاءتْ وأما بكر فتمـّت على ردّتها ، وكان الذي ثـنّى عبدَ القيس الجارودُ .

فبعث أبو بكر العلاء بن الحضرميّ لقتال المرتدين سنة ١١ وكانت ربيعة في البحرين قد ارتدت واجتمعت على المنذر بن النعمان بن المنذر فملّكوه ، وكان يسمى الغرور قال ابن جرير : وخرج الحطم بن ضُبيعة أخو بني قيس بن ثعلبة فيمن اتبعه من بكر بن وائل على الردّة ، وممن تأشب[4] إليه لن غير المرتدين ممن لم يزل كافراً حتّى نزل

---

(١) في « الأغاني » ١٧ ٣٢٥ ط (دار الكتب المصرية) أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطع فرات بن حيان أرضا بالبحرين تغل ألفاً ومئتين .

(٢) « معجم البلدان » — البحرين .

(٣) « تاريخ ابن جرير ج ٣ ص ٣٠١ ٣٠٥ » .

و « الأغاني » : ١٥ — ٢٥٦ — ٢٦٠ — ٢٥٧ طبعة دار الكتب .

(٤) تأشب : تجمع .

القطيف وهجر ، واستغوى الخط ومن فيها من الزُّطّ والسبابجة . وبعث إلى دارين فأقاموا له ليجعل عبد القيس بينه وبينهم ، وكانوا مخالفين لهم ، يمدُّون المنذر والمسلمين ، وأرسل إلى الغرور بن سويد أخي النعمان بن المنذر . فبعثه إلى جواثى وقال : اثبتْ فإني إن ظفرت ملكتك البحرين حتّى تكون كالنعمان في الحيرة . وبعث إلى جؤاثي فحصرهم فألحُّوا عليهم ، فاشتد على المحصورين الحصر ، واشتد عليهم الجوع حتّى كادوا أن يهلكوا وفي ذلك يقول عبد الله بن حذف أحد بني أبي بكر بن كلاب :

ألا أبْلغْ أبـا بـكْرٍ رسولاً   وَفِتْيانَ المدينَـةِ اجْمَعِينَا
فهَلْ لـكم إلى قَوم كرامٍ   قُعُـودٍ جؤاثا مُحْصَرِينَا
كأنَّ دماءهم في كـل فَـجٍّ   شعاعُ الشَّمس يُعْشي النَّاظِرِينَا
توكَّلنـا على الرَّحْمَن إنَّـا   وَجَـدْنا الصَّبْرَ للمتـوكلينَا

فسار العلاء إلى البحرين ولما مَرَّ باليمامة انضم إليه ثمامة بن أثال في مسلمة بني حنيفة ، كما تلقاه قيس بن عاصم وسار معه إلى قتال أهل البحرين .

فلما نزل العلاءُ هجر أرسل إلى الجارود وإلى رجل آخر وأمرهما بالمسير إلى الحُطَم مما يليهما . وخرج العلاءُ بمن معه نحو الحطم لينزل عليه مما يلي هجر . وتجمع المشركون إلى الحُطَم إلا أهل دارين ، وتجمَّع المسلمون كلهم إلى العلاء ، وخندق المسلمون والمشركون ، وكانوا يتراوحون القتال ، ويرجعون إلى خندقهم ، فكانوا كذلك شهراً . فبينا الناس ليلة إذ سمعوا في عسكر المشركين ضوضاء شديدة . فقال العلاءُ : من يأتينا بخبر القوم ؟ فقال عبد الله بن حُذف — وكانت أمُّهُ عِجْلِيَّةً — أنا آتيكم بخبرهم . فخرج حتّى إذا دَنى من خندقهم أخذوه ، فقالوا له منْ أنت ؟ فانتسب لهم . وجعل ينادي : يا أبجراه ! ! فجاء أبجر ابن بُجَيْر فعرفه ، فقال : ماشأنك ؟ . فقال : لا أضيعنَّ الليلة بين اللهازم ! علَى مَ أُقْتَلُ وحولي عساكر من عجل وتيم اللات وقيس وعنزة ؟! أيتلاعَبُ بي الحطم ونُزَّاع القبائل وأنتم شهود ؟!

فخلّصه ، وقال : والله إني لأظنك بئس ابن الأخت لأخوالك الليلة ! فقال : دعني من هذا وأطعمني فإني قد متّ جوعا . فقرب له طعاماً فأكل ثم قال : زوّدني واحملني وجوّزني أنطلق إلى طيّتي — يقول ذلك لرجل قد غلب عليه الشراب — ففعل ، وحمله على بعير وزوده . فخرج عبد الله حتى دخل عسكر المسلمين فأخبرهم أنّ القوم سكارى . فخرج المسلمون فاقتحموا عليهم عسكرهم ، فوضعوا السيوف فيهم . فاقتحموا الخندق هرّاباً ، فمتردّ ونّاج ودهش ومقتول أو مأسور ، واستولى المسلمون على ما في العسكر . وقتل الحطم ، وأسر الغرور بن سويد .

وقصد عظم الفلاّل لدارين . فركبوا فيها السفن ، ورجع الآخرون إلى بلاد قومهم .

وذكر أبو هلال العسكري في كتاب « الأوائل »[1] والماوردي في كتاب « الأحكام السلطانية » أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من وضع الديوان في الإسلام . قال الماوردي : واختلف الناس في سبب وضعه ، فقال قوم : سببه أن أبا هريرة قدم عليه بمال من البحرين . فقال له عمر : ماجئت به ؟ قال : خمس مئة ألف درهم . فاستكثره عمر ، وقال : أتدري ما تقول ؟ قال : نعم ، مئة ألف خمس مرات . فقال عمر : أطيّبٌ هو ؟ قال : لا أدري ! فصعد عمر المنبر . فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس قد جاءنا مال كثير . فإن شئتم كلنا لكم كيلاً ، وإن شئتم عددنا لكم عدًّا . فقام إليه رجل ، فقال : يا أمير المؤمنين : رأيتُ الأعاجم يدوّنون ديواناً . فدوّن لنا ديواناً[2] .

وقد وضع الديوان — وهو السجل الذي يتضمن أسماء مستحقي العطاء من بيت المال — في عهد عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، ويظهر أن أهل البحرين لم يبرزوا من الأعمال في ذلك العهد ما يحمل الخليفة على أن ينظر إليهم نظرة ترفعهم عن أن يكونوا في أنزل مراتب العطاء في ذلك الديوان[3] .

---

(١) « صبح الأعشى » : ١٣ / ١٠٦

(٢) « صبح الأعشى » : ١٣ / ١٠٦ .

(٣) انظر « تاريخ ابن جرير » : ج ٣ ص ٦١٤ (طبعة دار المعارف بمصر) .

من ولاة البحرين في عهد الخلفاء الراشدين

كثيراً ما يُصيب القائد المظفر من نشوة الانتصار والظفر ما يدفعه إلى الاستمرار في المغامرات ، وهكذا كان شأنُ بطل جواثا والزّارة ودارين العلاء بن الحضرمي . فبعد أن افتتح مدينة الزّارة آخر معقل للمرتدين ؛ في القطيف بعد وفاة أبي بكر ، بزمن يسير ؛ عزم على مواصلة الجهاد ، وكانت بلاد فارس متاخمة لبلاد البحرين . بل كان الفرس — في ذلك العهد — إحدى القوتين العظيمتين اللتين تتصدّيان لإيقاف انسياح الجيوش الإسلامية خارج الجزيرة ، وللمساعدة على عدم الانقياد للدعوة الإسلامية ، لهذا وجّه العلاءُ عزْمه لغزو بلاد فارس القريبة منه ، والّتي التجأ إليها فلول من هزمهم في حروب الردّة .

ومن بلاد البحرين غزا المسلمون بلاد فارس وفتحوا كثيراً من جهاتها[1] :

وكأنّ رؤساء قبيلة عبد القيس — أبرز القبائل الّتي كانت تسكن البحرين في ذلك الوقت — أرادوا أن يعبروا للمسلمين وللخليفة عن صدق إخلاصهم وحسن بلائهم فأظهروا للعلاء رغبتهم في محاربة من يليهم من الأعداء ؛ فأذن لهم في ذلك فعبروا البحر إلى (اصطخر) في بلاد فارس ويظهر أن العلاء لم يرجع بذلك إلى الخليفة — القائد الأعلى — وانضاف إلى هذا أن الفُرْسَ جمعوا للغزاة من القوة مالا قِبَلَ لهم به ؛ فلما التقى الجمعان كان الظفر للفرس الذي طوقوا جيش المسلمين ؛ وحالوا بينه وبين السُّفُن التي عبر بها البحر ، فهزم المسلمون ، وقتل كثير منهم ، ونجا بقيتهم حين أمدّهُمْ أمير البصرة بجيش فكّ عنهم الحصار ؛ وذلك بأمر الخليفة .

أثار هذا الأمر غضب الخليفة ، فعزل العلاء عن ولاية البحرين . وأمره بأن

(١) « تاريخ ابن جرير » : ٤ / ٧٩ — حوادث سنة ١٧ .

يذهب إلى البصرة ليكون تحت إمرة واليها الذي كان العلاء يساميه وينافسه في بسط رقعة الإسلام في بلاد الفُرْس ، ولكن الله اختار للعلاء أن يموت في الطريق في منطقة العدان ، بقرب تياس ، في حدود الكويت .

قال ياقوت في « معجم البلدان »[(١)] : وأما فتح فارس فكان بَدْؤُهُ أن العلاء بن الحضرمي وجّه عرفجة بن هرثمة البارقي في البحر ، فعبر إلى أرض فارس ففتح جزيرة مما يلي فارس ، فأنكر عمر ذلك لأنه لم يستأذنه ، وقال : غَرَّرْتَ بالمسلمين وأمره أن يلحق بسعد بن أبي وقّاص — لأنه كان واجداً على سعد ، فأراد قمعه بتوجيهه إليه ، فسار نحوه فلما بلغ ذا قارٍ[(٢)] مات . انتهى .

وذكر بعض المؤرخين أن عمر عين العلاء أميراً على البصرة بعد وفاة أميرها عقبة بن غزوان ، وأنه مات في طريقه إليها .

وقد ولي البحرين في عهد عمر — رضي الله عنه — ولاةٌ منهم عثمان ابن أبي العاص الثقفي وقدامة بن مظعون ، وأبو هريرة[(٣)] ، والربيع ابن زياد الحارثي ، من قِبَل والي البصرة ، إذ كانت ولاية البحرين في آخر خلافة عمر ضمّتْ إلى والي البصرة بينما كانت قبل ذلك هي واليمامة ولاية واحدة :

فقد ذكر بن جرير — في حوادث سنة ١٦ أن العلاء كان والياً للبحرين واليمامة[(٤)] .

كما ذكر أن والي اليمامة والبحرين في سنة ١٧ عثمان بن أبي العاص الثقفي .

وفي سنتي ٢٠ و ٢١ كان واليهما أبو هريرة — ولاية جباية الخراج — إذ ولاية عثمان بن أبي العاص استمرت إلى أن تولى عثمان بن عفان الخلافة في سنة ٢٤ فأقره في ولايته .

وقام عثمان بن أبي العاص الثقفي بغزو بلاد فارس فاستولى على جوانب من تلك

---

(١) فارس .

(٢) انظر (تياس) ففيه مات العلاء على ماذكر أكثر المؤرخين .

(٣) على الصلاة والخراج ، لا الأمور الإدارية .

(٤) « تاريخ ابن جرير » ٤ — ٣٩ ط دار المعارف بمصر .

البلاد ، وكان — في عمله ذلك — رِدْءًا للجيوش الإسلاميَّة الزاحفة إلى تلك البلاد من العراق .

وفي عهد الخليفة الرابع على بن أبي طالب رضي الله عنه — كان من ولاة البحرين عمر بن أبي قتادة ، ثم النعمان بن العجلان[1] الزرقي الأنصاري ، ثم عبيد الله بن عباس وضَمَّ إلى ولايته اليمن[2] .

بعض ولاتها في العهد الأمويّ :

كان معاوية بن أبي سفيان ذا اهتمام عظيم بشؤون العمران ، وخاصَّة الزراعة[3] فلابِدْعَ أنْ يتجه بنظره إلى هذه البلاد ، فكان أن عَيَّنَ في ولايتها رجالا من أسرته الأحوص بن عبد بن أميَّة ومروان بن الحكم[4] .

وعبد الملك بن مروان ، على ما ذكر ابن قتيبة تولى هجر[5] ، ولعل ذلك أثناء ولاية أبيه البحرين لمعاوية وزياد بن أبي سفيان ، مع الهند وعمّان[6] .

ولما استقرَّ الأمر لعبد الملك بن مروان وولّى الحجَّاجَ بن يوسف العراق أضاف البحرين إلى ولايته ، فكان يولى عليها من قبله ، ومن ولاّتها حسان بن سعيد وقطن بن مدركة الكلابي[7] .

كما تولاها لعبد الملك الأشعث بن عبد الله بن الجارود من عبد القيس أهل هذه البلاد .

ولم ترسخ أقدام الأمويين في البحرين لبعدها عن مقر الخلافة ولكثرة مناوئيهم .

---

(١) انظر « مختصر جمهرة النسب » مخطوطة راغب باشا ١٩٨ و « فرحة الأديب » مخطوطتي ٣٨–٣٩ .

(٢) « تاريخ ابن جرير » .

(٣) بسطت الحديث عن هذا في بحث بعنوان (العمران في عهد معاوية بن أبي سفيان) من كتاب « ابن عربي موطد الحكم الأموي في نجد » .

(٤) « المعارف » لابن قتيبة — طبع دار المعارف بمصر ص ٣٥٢ ، والبلاذري أيضاً ، واورد في مدحه : وبدارين من قريش أمير عبشمي نفاعة ضرار .

(٥) : ٣٥٥ .

(٦) « الشعر والشعراء » لابن قتيبة — ١٥٠ .

(٧) : « ديوان الفرزدق » : ٧٠٠ .

الخـوارج في البحـرين

وَجَد الْخَوارج ــ بعد أن وقع الاختلاف بين المسلمين بوفاة معاوية سنة ٥٩ ــ في هذه البلاد خير مكان يسيطرون منه على معظم أَنْحَاء الجزيرة ، ولولا أنهم أُصيبوا من أنفسهم باختلافهم ووقوع الشقاق والتنافس بينهم لتغير مَجْرَى التاريخ .

لقد خرج من بني حنيفة ــ في اليمامة ــ نَجْدَةُ بن عامر ، وكان معاوية بن أبي سفيان قد اتجه إلى الاستفادة من المياه الغزيرة والأرض الواسعة الخصبة في إقليم الْخَرْج . في جَوّها المعروف بجوّ الخضارم ، فأتى بأربعة آلاف رجل من الفلاحين من أهل الشام بأهلهم وهيأ لهم الاستقرار والاشتغال في الزراعة ، فلما اختل الحكم بوفاة معاوية قام نجدة بنهب ما جمعه أولئك الفلاحون ، بل إنه استرقّهم ، وباعهم كما تباع العبيد ، وقسم كل ذلك على أصحابه ، وذلك في سنة ٦٥هـ[1] .

فاستولى نجدة على اليمامة ، ثم سار إلى البحرين ، فاستولى عليها ، بعد حروب يطول ذكرها ، وامتد نفوذه إلى اليمن وغيره .

ولكن الخلاف بينه وبين أتباعه في مسائل من أصول مَذْهَبهم دفع كثيراً منهم إلى أن ينحازوا عنه ، ووَلَّوْا أمرهم أبافُدَيْك حيث قتل نجدة سنة ٧٢[2] ولكن الأمر لم يستقم لأبي فُدَيك هذا ، فقد استعادت الدولة الأمويّةُ قوتها بولاية عبد الملك

---

(١) « تاريخ ابن جرير » : ٣ — ٣٥٢ .

(٢) انظر تفصيل أخبار نجدة في « تاريخ ابن جرير » ٦ / ١١٧ ط المعارف بمصر .

بن مروان ، الذي جهّز جيشاً لقتاله ، فتمكن هذا الجيش من محاصرة الخوارج في المُشَقَّر ، حتى تمّ الاستيلاء عليهم بعد قتل رئيسهم أبي فُدَيْك سنة ٧٣ [٣] .

غير أن الخوارج أعادوا الكرّة — أثناء ضعف الحكم الأموي — فاستولوا على البلاد سنة ٨٦ بقيادة سعيد ومسعود ابني زينب الخارجيين وهما من أهل هجر ، ومدّوا نفوذهم إلى اليمامة [١] حيث سار إليها من هجر هلال بن دُمْلُجٍ أحد ولاتهم . وكان والي الأمويين فيها سفيان بن عمرو العُقيلي . ولكن هذا الوالي استطاع أن يهزم الجيش الخارجي وأن يقضي على حركة الخوارج في تلك البلاد . وفي ذلك يقول الفرزدق [٢] :

وَلَوْلا سُيُوفٌ مِنْ حَنِيفَةَ جُرِّدَتْ
بِبُرْقَانَ [٣] أَضْحَى كَاهِلَ الدِّيْنِ أَزْوَرَا

تَرَكْنَ لِمَسْعُودٍ وَزَيْنَبَ أُخْتِهِ
رِدَاءً وَجِلْبَاباً مِنْ الْمَوْتِ أَحْمَرَا

ــــــــــــ

(٣) « تاريخ ابن جرير » و « الكامل » لابن الأثير ٤ / ٢٨ .

(١) « ديوان جرير » : ١ ٥ .

(٢) « معجم البلدان » — برقان .

(٣) برقان : بقرب مدينة الكويت فيه حقل نفط معروف ولكنهم يعرفونه (البرقان) .

البحرين أثناء الحكم العباسي

يدل على عدم اهتمام الدولة العباسية بهذه البلاد أنهم صيّروها مع اليمامة وعُمان وجنوب العراق (كُوَر دجلةَ) عَمَلاً واحداً[1] . يتّصلُ ولاتُها بولاة البصرة لا بقاعدة الخلافة . ووالي البصرة – كان في الغالب – من رجال الدولة المقرّبينَ إليها ، وهو الذي يختار ولاة الأقطار التي تحت ولايته .

ومنهم داود بن علي عمُّ الخليفة السفاح ، وزياد بن عبد الله ابن عبد المَدان خاله ، وسليمان بن علي بن عبد الله بن عباس[2] والسَّري ابن عبد الله الهاشمي . وقُثم بن العباس[3] بن عبد الله بن علي بن عبد الله ابن عباس ومحمد بن سليمان بن علي[4] وهؤلاء كلهم من بيت الخلافة . ومن رجالها الآخرين تميم بن سعيد بن دعلج[5] . وعمارة بن حمزة الكاتب . وسويد الخراساني القائد ، وعبد الله بن مصعب ، وصالح[6] ابن داود والنعمان مولى المهدي والمُعَلّى مولاهُ[7] وداود بن ماسجور ومحمد ابن اسحاق بن ابراهيم بن مصعب[8] . . وآخرون لا نطيل بذكرهم ممن تمرُّ أسماؤهم على القارىء في المؤلفات القديمة على أنهم من ولاة البحرين .

---

(١) ابن جرير حوادث سنة ١٣٣ و « معجم البلدان » – البحرين .
(٢) من سنة ١٣٣هـ إلى ١٣٩هـ .
(٣) سنة ١٤٣هـ .
(٤) سنة ١٦٣هـ ومن ١٧٠ إلى ١٧٣هـ .
(٥) سنة ١٦٤هـ .
(٦) ١٦٥ إلى ١٦٩هـ .
(٧) من ١٦٥ إلى ١٦٩هـ .
(٨) سنة ٢٣٦هـ .

والواقع أن ولايتهم اسميّة ، وأن أكثرهم — إن لم يكن كلهم — كانوا يقيمون بقرب دار الخلافة ، ويبعثون بولاة من قبلهم إلى البلاد المنوطة بهم ولايتها .

ولا تفوت الإشارة إلى بعض ولاتها في العهد العباسي .

ففي عهد المنصور — في سنة ١٥١ — خرج في البحرين سليمان بن حكيم العبدي ، من عبدالقيس ، فولى المنصور لحربه أميرَ البصرة عُقْبَةَ ابن سَلْم الهُنَائي الأزدي[١] وذلك إبّان اشتعال أُوار العصبيّة بين القحطانية والعدنانية ، فلم يكْتَفِ سَلْمٌ بالقضاء على الخارجين على الخلافة ، بَلْ فعل في تلك البلاد مالايجوز فعله مع أشَدِّ الأعداء ، فقد قتل من قدر عليه من الرجال ، وسَبَا النساء والأطفال ، وأسر كثيراً من أهل البلاد وأتى بهم إلى دار الخلافة (بغداد) كأنهم غَنائِم دَارِ حَرْبٍ وكُفْر ، يتحكم فيهم الخليفة (المنصور) فيقتل بعضهم ، ويهب بعضهم لبعض رجال حاشيته كولي عهده الذي عُدَّ من مناقبه أنه مَنَّ عليهم وأعتقهم وكَسَا بَعْضَهُم[٢] .

وفي عهد المأمون ولي البحرين رجل من أهل اليمامة (نَجْد) هو اسحاق بن ابراهيم بن أبي حُمَيْضَةَ[٣] القيسي ولاء ، من أهل أُضاخ — إحدى قرى نجد التي لا تزال معروفة — وقد ذكر البلاذري في « فتوح البلدان » أن اسحاق هذا بني في أيام المأمون مسجداً جامعاً مكان الحديقة التي قُتل فيها مُسَيْلمة ، في عَقْرباء ، في وادي حنيفة .

وذكر ابن جرير[٤] — في حوادث سنة ٢٣١ — أن محمد بن عبد الملك الزيات عقد لإسحاق هذا — في دار الخلافة — على البحرين واليمامة وطريق مكة .

---

(١) انظر عن سلم هذا « المقتالون » لابن حبيب ص١٩٦هـ و « تاريخ الموصل » للازدي حوادث سنة ١٥١هـ و « تاريخ ابن جرير » و « مروج الذهب » ٣ — ٢٤٢هـ و « مجمع الأمثال » أجرأ من قاتل عقبة .

(٢) انظر « تاريخ ابن جرير » : ٨ — ٣٩ طبع المعارف بمصر .

(٣) في كثير من الكتب ورد اسم (خميصة) بالخاء المعجمة ، ولكن جاء في مخطوطة (دار الكتب) من « نوادر الهجرى » : (حميضة) بإهمال الحاء وإعجام الضاد ، وهذا الاسم يكثر في نجد بخلاف الأول .

(٤) « تاريخ ابن جرير » ٩ — ٢٣٠ طبع دار المعارف بمصر .

وذكر أيضاً أن المتوكل وَلّى الشاعر مروان ابن أبي الجنوب – من آل أبي حفصة أهل اليمامة – ولاه البحرين واليمامة .

والظاهر أن إعجاب المتوكل بشعر مروان دفعه إلى أن يسخو له بولاية إقليمين من أوسع أقاليم الخلافة . وقد يكون باعث هذا السخاء – فيما يظهر – الاستهانة بقدر هذين الإقليمين ، وضعة منزلتهما في نفس هذا الخليفة . ويدل على هذا أنه اتخذ أحدهما منفًى يُبْعِد إليه من غضب عليه من حاشيته أو رجال دولته .

ذكر ابن جرير – في حوادث سنة ٢٤٤ أن المتوكل غضب على بختيشوع . وقبض ماله ، ونفاه إلى البحرين . فقال أعرابي[1] :

يَا سَخْطَةً جَاءَتْ على مِقْدَارِ
ثَارَ له اللَّيْثُ على اقتــدارِ
منــه وبَخْتَيْشُوعَ في اغْتِــرارِ
لمَّـا سَعَى بالسَّادَةِ الأقْمَـارِ
وُلاةِ عَهْدِ السَّيِّدِ المُخْتَـارِ
وبَالْمَوَالِي وَبَنِي الأحْـرَارِ
رَمَى بــه في مُوحِشِ الْقِفَـارِ
بِسَاحِلِ الْبَحْرَيْنِ للصَّغَـارِ

ومثل هذا – وإن كان متأخراً عنه في الزمن – ماذكره الفاسي في « العقد الثمين » في ترجمة قاسم بن محمد بن جعفر بن هاشم العلوي المتوفي سنة ٥١٨ أن ابن الأثير ذكر في « الكامل » أن في سنة ٥١٥ ظهر بمكة إنسان علوي وأمر بالمعروف ، فكثر جمعه ونازع أمير مكة ابن أبي هاشم فظفر به ابن أبي هاشم ، ونفاه إلى البحرين عن الحجاز . وكان هذا العلوي من فقهاء النظامية ببغداد . انتهى .

لقد كان النفي إلى هذه البلاد التي هي بدون مبالغة من أخصب بقاع الجزيرة وأكثرها خيرات ، وأوفرها في وسائل المعيشة ، فلم كان هذا ؟

(١) كان طبيباً . وقد عذب سنة ٢٤٥هـ وحبس بالمطبق وكان يعرض ببعض رؤساء زمنه (انظر ابن جرير : ٩ – ٤٣٩) .

كانت المياه العظيمة الجارية المتفجرة من العيون تكوِّنُ مستنقعات في بعض الجهات فيتولد عليها البعوض المسبب لداء الحمَّى (الملاريا) وكان سكان هذا الإقليم يصابون بهذا الداء . بدرجة تؤثر في ألوانهم فتحيلها إلى الصفرة ، وتحدث تَضَخُّماً في بطونهم حتى عَدَّ بعض المتقدمين من خصائص هذه البلاد انتفاخ البطن .

نقل الثعالبي عن الجاحظ : (من أقام بالبحرين مُدَّةً رَبَاطحالهُ وانتفخ بطنه :

وَمَنْ يَسْكُنِ البحرين يعظُم طُحالُه
ويُغبَطْ على ما في بَطْنِه وهو جائعُ [1]

وقال ابن الفقيه[2] : الناس يقولون : حُمَّى خَيْبَر ، وطواعين الشام ، ودماميل الجزيرة ، وطحال البحرين .

أبعدنا عن الموضوع ، فَلْنَعُدْ إليه :

لقد انصرفت الدولة عن هذه البلاد – وإن شئت فقل : شُغِلَتْ بنفسها عنها فلا غَرْوَ أنْ يَحْدُثَ فيها من الثورات والقلاقل والفتن ما يحدث عادة في بلاد يُحِسُّ أهلها من الحوافز والرغبات ما يدفعهم إلى تَطَلُّب حياة أكثر استقراراً وسعادة . أيًّا كان مصدرها .

ففي سنة ٢٤٩[3] خرج فيها خارجي عُرِف عند المؤرخين بـ (صاحب الزَّنْج) لأن أكثر من استجاب له في أول أمره من الْعَبِيد السُّود ، الهاربين من الرق ، وقد انقاد له أهل البحرين ، ولكن لم يطل زمنه فقد هزمته جيوش الخليفة العباسي المعتمد سنة ٢٥٨ هـ وقد فَصَّل أخباره ابن جرير ومن جاء بعده من المؤرخين . ولا يكاد الباحث يجد ما يَدُلُّ على صلة هذه البلاد – بعد ذلك – بالدولة العباسية[4] التي أدركها الضَّعْفُ ، فبدأها التمزُّق ، فاستولى على اليمامة بنو الأُخَيْضِر في منتصف القرن الثالث ، وانفصلت اليمن بعد ذلك كما انفصلت هذه البلاد في سنة ٢٨٦ .

---

(١) « الحيوان » للجاحظ : ٤ – ١٣٩ و « ثمار القلوب » للثعالبي ٣٥٢هـ .
(٢) « مختصر البلدان » : ٩١٨ .
(٣) حوادث سنة ٢٤٩هـ .
(٤) في سنة ٢٨١هـ حدث بين أحمد بن ثور وبين الأباضية أهل عمان معركة انتصر فيها ابن ثور وقومه من أهل البحرين على العمانيين ، وقتل كثيراً منهم حمل بعض رؤوسهم إلى بغداد .

القرامطة في البحرين

قام القرامطة بانشاء دولة في بلاد البحرين في سنة ٢٨٦ [١] وبقيت نحو ١٨٠ سنة وبلغت من القوة ما جعلها تهدد الخلافة في بغداد بعد أن هزمت جيوشها التي وجهت للقضاء عليها . بل لقد طمعت بأن تتجاوز العراق ومن فيه للقضاء على دولة العُبَيديين في الشام وفي مصر ، وفي ذالك يقول الحسين بن أحمد بن بهرام القرمطي المتوفي سنة ٣٦٦ وكان من القواد العظام [٢] :

زَعَمَتْ رِجَالُ الْغَرْبِ أَنِّيْ هِبْتُهَا
فَدَمِيْ إِذَنْ مـا بَيْنَهُمْ مَطْلُوْلُ

يَا (مِصْرُ) إِنْ لَمْ أَسْقِ أَرْضَكِ مِنْ دَمٍ
يُرْوِيْ ثَرَاكِ فَلاَ سَقَانِي (النِيْلُ)

ولقد سار هذا القائد حتى نزل بعسكره في (عيْن شَمْس) فحاصر الْمُعِزَّ الفاطِمِيَّ في مصر ، ولكن هذا عمد إلى حِيْلَةٍ فَرَّقَ بها جيش القرمطي حتى هزمه .

وقد استولى القرامطة على الجزيرة باستثناء بلاد اليمن ، في سنة ٣١٧ فأزالوا إمارة الأخيضريين عن اليمامة واستولوا على مكة المكرمة ، وفعلوا فيها من الأفعال

(١) انظر « تاريخ ابن جرير » وغيره حوادث هذه السنة .

(٢) انظر ترجمته في « وفيات الأعيان » لابن خلكان و « تاريخ دمشق » لابن عساكر ٤/١٤٨ .

المنكرة ما طفحت بذكره كتب التاريخ ، ولكن الباحث حين يحاول البحث عن مصادر لأخبارهم يعْوزه وجودها في غير مؤلفات مخالفيهم ، وتكاد تلك المؤلّفات تُجْمع على إبرازهم بأبشع صورة باستثناء إشارات موجزة في مؤلفات أُناس زاروا بلاد البحرين أثناء حكمهم ، كناصر خسرو في رحلته « سفر نامة » والمقدسي في « أحسن التقاسيم »[1] وينبغي إدراك عدم الصلة بين قرامطة البحرين ، وقرامطة اليمن ، وإن اتفقوا في بعض الآراء — كالإباحيّة مثلا — فقرامطة اليمن ذوو صلة بالعبيديين ولاة مصر في ذلك العهد ، بخلاف قرامطة البحرين .

وقد خيّم على تاريخ هذه البلاد منذ آخر القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن العاشر ظلام من الجهل ، لا يتبين الباحث فيه معالم سيره ، ولكنه يستنتج من إشارات موجزة وردت في بعض المؤلفات استنتاجات لا يصح الجزم بصحتها في جميع الحالات ، ولكنها هي كل ما أمكن الوصول إليه .

---

(١) ص ٩٣ ط ليدن سنة ١٩٠٦م .

العُيُونيُّونَ حُكَّام البحرين

بدأ الضَّعْفُ في حكم القرامطة في القرن الخامس الهجريّ ، فاستولى على القطيف وعلى جزيرة أوال آل عيَّاش من بني عبد القيس . وتخلصت أجزاء أخرى من مملكتهم الواسعة من حكمهم . فقام عبد الله بن علي العيوني العبقسي [1] في سنة ٤٦٦هـ بالإجهاز على بقيتهم بمساعدة من الدولة العباسية . وتوارث الحكم في هذه البلاد رجال من أسرته إلى منتصف القرن السابع الهجري ، حيث وقع الشقاق بين رجال الحكم فضعفوا حتّى تحكم أعداؤهم من رجال البادية في البلاد . وأزالوهم عن حكمها .

وأهَمُّ مَصْدَر يمكن الرجوع إليه لمعرفة حالة تلك البلاد في ذلك العهد هو « ديوان ابن مقرب » الشاعر الأحسائي ، وهو أحد الأمراء العيونيين وممن عاصر بَدْءَ زوال حكمهم .

وفي كتاب « أزهار الرياض » [2] لابن شَدْقَم المَدني ــ من أهل القرن العاشر ــ بيان عن تسلسل حكم أمراء العيونيين وكان بدء انحلال الحكم بسبب ضعف العيونيين مدعاة لمحاولة تدخل اليد الأجنبية لبسط نفوذها في هذه البلاد حيث حاولت (الأتابكية السلغرية) في بلاد فارس بسط نفوذها على أطراف السواحل وما يقربها في عهد الأتابك أبي بكر ابن سعد بن زنكي في سنة ٦٢٠ تقريباً إلى سنة ٦٣٢ وبعدها في فترات متقطعة أخرى كما أشار إلى ذلك صاحب « أزهار الرياض » وغيره .

ولكن نفوذهم انحصر في المدن القريبة من السواحل .

---

(١) نسبة إلى العيون الناحية المعروفة في الاحساء وهم من عبد القيس .

(٢) لا يزال مخطوطاً ، ومنه أجزاء مفرقة في المكتبة التيمورية (في دار الكتب المصرية) وفي (المتحف البريطاني) ويقال : إن في إحدى مكتبات النجف في العراق نسخة كاملة منه في ثلاثة مجلدات .

بَنُو عُقَيْل يحكمون البلاد

تَسَلَّطَ بنو عُقَيْل[1] من البادية في هذه البلاد بعد أن عاثوا فيها فساداً ، وتَوَلَّى إدارة شؤونها أُناسٌ في فترة من الزَّمن تقرب من ثلاثة قرون ، وهي فترة حالكة السواد لا يكاد الباحث يتبين شيئاً من معالمها يهتدى به إلى معرفة شيء من تاريخها ، فالإشارات الموجزة الواردة في كتب ابن خلدون وابن فضل الله العمري وابن زماج الحمداني وابن حجر ، لاتحوي سوى أسماء أُسَرٍ أو أمراء مثل آل عصفُوْر سنة ٦٥١ وآل جَرْوان من سنة ٧٠٥ إلى سنة ٨٢١ .

وكان آخرهم آل جَبْر ، ثم آل مُغَامِس .

وَلأجود بن زامل بن جَبْرٍ من الصِّيت والشهرة في عهده ما دفع مؤرخي عصره - كالسخاوي والسمهودي وابن فهد - إلى الإشادة بذكره ، وقد اتسع حكمه حتى شمل نَجْداً ، ويُعَدُّ عهده من أزهى العهود التي مرت بهذه البلاد ، عَدْلاً وإصلاحاً وانتشار علم[2] .

وقد انتزع آل جَبْر حُكم البلاد من آل مغامس ، وهاؤلاء انتزعوه من آل جَرْوَان من أبناء عمومتهم من بني عامر في منتصف القرن التاسع . وامتد عهدهم إلى سنة ٩٣١ بعد امتداد نفوذ (البرتغاليين) إلى سواحل البلاد ، وقتل مُقْرِن بن جبر سنة ٩٢٨ ووقع الخلاف بعد ذلك بين آل جبر فانتقل الحكم إلى آل مُغَامس من بني عامر[3] أيضاً .

---

(١) بنو عقيل هؤلاء كانوا من بادية الأحساء منذ القرن الثالث الهجري كما يفهم من نصوص نقلها الأزهري .

(٢) انظر عن « الدولة الجبرية » مجلة « العرب » س الأولى ٦٠١ - ومجلة « المنهل » ج ٥ ص ١٠٨ سنة ١٣٦٠هـ - في مقال الكاتب هذا .

(٣) بنوعامر هؤلاء يظهر لي أنهم من بني عبد القيس ممن كانوا يدعون (العمور) ثم عرفوا أخيراً باسم=

وكان لآل مغامس حكم في هذه البلاد ، في أول القرن السابع ، فانتزعه آل جروان سنة ٧٠٥[1] . ثم استعادوه من آخر الجبريين غصيب بن زامل بن هلال بن زامل سنة ٩٣١ وكان أول أمرائهم في هذه الفترة راشد بن مغامس[2] . غير أن عهدهم لم يَطُلْ ، فقد استولى الأتراك على البلاد .



أطلال مسجد جواثا الذي أنشيء منذ ١٣٨٩ عاما

=(العماير) ومنهم بنو عقيل وهم غير بني‌عقيل الذين من بني عامر بن صعصعة من هوازن، ولكن الاتفاق حصل بالاسم .

(١) انظر « الدرر الكامنة » لابن حجر ١ – ٧٣ الطبعة الأولى و « الدرر الفوائد المنظمة » للجزيري مخطوطة (دار الكتب) – المكتبة التيمورية ص ٢١٦هـ .

(٢) الدرر الفرائد المنظمة ص ٣١٦ مخطوطة التيمورية في (دار الكتب المصرية) .

الدولة العثمانية في الأحساء

ليس صحيحاً ما جاء في كتاب « عنوان المجد في تاريخ نجد » لابن بشر من أن استيلاء الأتراك على هذه البلاد على رأس الألف من الهجرة . بل كان قبل ذلك حيث يوجد من آثارهم في الأحساء مسجد يدعى مسجد الدِّبس ، بناه أحد ولاتهم في عهد السلطان سليمان القانوني . في سنة ٩٦٢ — كما هو مسجل في حجر في جدار ذلك المسجد[١] .

وضَمُّوا وِلايَتَها إلى ولاية بغداد والبصرة .

وامتد حكمهم إلى سنة ١٠٨٠ (نحو ١٢٠ سنة) حيث استعادت البادية سيطرتها على هذه البلاد بسبب ضعف الدولة التركية ، فحاول آل مغامس استعادة نفوذهم ولكن آل حُمَيْد منافسيهم على النفوذ كانوا أقوى منهم فاستولوا على البلاد ، وكان مقدمهم بَرَّاك بن غُرَيْر ، الذي امتدت سيطرته إلى بلاد نَجْد .

ولاية آل حميد :

كانت ولاية هؤلاء قائمة على العُنْفِ والشدة كما قال أحد الشعراء :

رَأَيْتُ البَدْوَ (آل حُمَيْدَ) لَمَّا
تَوَلَّوْا أَحْدَثُوا في (الْخَطِّ) ظُلْمَا
أَتَى تارِيْخُهُمْ لَمَّا تَوَلَّوْا
وَقَانَا اللهُ شَرَّهُمُ : (طَغَى المـا[٢])

---

(١) انظر نص ما هو مكتوب في مجلة « المنهل » عدد رجب وشعبان سنة ١٣٦٠هـ ص ١٦ .

(٢) كلمة (طغى المـاء) تعادل ١٠٨٢ من العدد ، ط = ٩ ، غ = ١٠٠٠ ، ى = ١٠ ، ١ = ١ ل = ٣٠ ، م = ٤٠ ؛ أ = ١ المجموع : + ١٠٠٠ + ١٠ + ١ + ٣٠ + ٤٠ + ١ = ١٠٨٢ .

وقد استمر حكم آل حميد إلى أن استولت الدولة السعودية الأولى في عهد الإمام سعود بن عبد العزيز الأول سنة ١٢٠٧هـ ولم يزل إلاّ بزوال تلك الدولة ١٢٣٣ حيث سيطرت الجيوش الغازية عليها كغيرها من أجزاء البلاد ، ولكن الفَوْضى عادت إليها باضطراب الأمن واستشراء شرّ البادية حتى سنة ١٢٥٠ حيث حكم البلاد الإمام فيصل بن تركي — رحمه الله — .

ولما وقع الخلاف بين ابنيه عبد الله وسعود بعد وفاته امتدّ إليها نفوذ الدولة التركية بعد وقعتي الوجَّاج وجودة سنة ١٢٨٧ حيث استولى سعود على الأحساء وهزم أخاه عبد الله ، فاستعان بوالي بغداد ، فأرسلت الدولة جيشاً تمكّن من احتلال البلاد . وظهر للإمام عبد الله بن فيصل طمع الدولة في الاستمرار بحكمها ، وأنها تُبيِّتُ له أمراً فترك البلاد سراً ، وعاد إلى الرياض . وامتدت فترة الحكم التركي في تلك الحقبة نحو ٤٣ عاماً (من سنة ١٢٨٨ إلى سنة ١٣٣١) .

وأغْرَتْ خصوبة أرض هذه البلاد وكثرة مياهها ومزروعاتها ونخيلها كثيراً من ولاة الأتراك في هذه الحقبة إلى الاستفادة من هذه الناحية . فأنشأوا فيها فَرْعاً من (الدائرة السنيَّة) أو (دائرة الأحوال المدنية) التي وُصِفَتَ في كتاب « دليل الخليج » بما نَصُّه (١) :

الدائرة السنيَّة : أو دائرة الأحوال المدنية . وهي تلعب دوراً هامّاً في اقتصاديات العراق التركي ، ومنذ ظهورها في الحسا منذ حوالي عشرين سنة سابقة . وكانت تملك في واحة الحسا زراعات في قرية باب الجفر ، وكانت تُغِلُ مايتراوح بين ٢٠٠٠ إلى ٢٥٠٠ نخلة من التمور ، وإنتاجها السنوي من التمور في القطيف يبلغ حوالي ١٦,٠٠٠ قلة من التمر ، ويبلغ قيمة الإنتاج السنوي من تمورها في كلا الواحتين حوالي ٣٠٠٠ جنيه استرليني ، وفي قرى الحبيل ، وجليجلة ، والحليلة ، والمنيزلة ، والمطيرفي والمزاوي ، والشقيق ، في واحة الحسا توجد أراضي أرز مملوكة للدائرة السنية ، تُغِلُ ١٠٠٠ موسمية (٢) من الأرز سنوياً وتملك أيضاً الدائرة حوالي ٢٥ منزلا في

(١) دليل الخليج : القسم الجغرافي ص ١٠٢٥ .
(٢) هي نحو الكيس من الأرز .

مدينة القطيف ، كانت مملوكة في السابق للشيخ ابن غانم من شيوخ البحارنة .

ويوجد بالحسا مدير أملاك (الدائرة السنية) ولكن بصورة غير دائمة ، وكذلك رئيس (الجندرمة) في الهفوف ، وواحة القطيف لا زالت منحصرة في (حاجي منصور باشا ابن جمعة) في مدينة القطيف انتهى .

وكانت الدولة التركية جعلت هذه البلاد لِوَاء . له حاكم يدعى المتصرف . وهذا اللواء مؤلف من قضاء القطيف وقضاء قطر وقضاء الهفوف وهو المركز .

ولكن في هذا العهد كانت السلطنة العثمانية – في البلاد العربية – قد أشرفت على الزوال ، وتم ذلك بالنسبة لهذه البلاد في منتصف عام ١٣٣١هـ .

إحدى قواعد تأسيس الدولة السعودية

في اليوم الخامس من شهر جمادى الأولى من سنة ١٣٣١ تَمَّ استيلاء الملك عبد العزيز – رحمة الله – على الأحساء قاعدة البلاد ، وإزاحة كابوس الحكم الأجْنَبِيّ عنها وفي آخر تلك السنة طهَّر هامن عبث البادية التي كانت قد اتخذت منها مسرحاً للنهب والسلب ، فأصبحت بانضوائها تحت لواء الحكم السعودي إحدى القواعد الصلبة القوية التي قام عليها – فيما بعد ذلك – تشيد صرح هذه المملكة العظيمة في مختلف النواحي من عمرانية وسياسية واقتصادية .

هذه لمحاتٌ موجزة عن تاريخ هذه البلاد في مختلف أطْوَارها ، لَنْ تُشْبِعَ نَهَمَ الباحث المُتَعَمِّق ، ولكنَّها قد ترسم معالم طريقه لبلوغ الغاية التي يُمْكِنُ بلوغها ، حتى تَتَّضِح مَعَالِمُ أخْرَى قَدْ تنتهي إلى غايات أخرى ، وما أصعب اتّضاح هذه المعالم ! !

البحرين

– على لفظ مُثَنّى بَحْر – وهكذا يتلفظُ به في جميع حالات الإعراب ، لأن الكلمة صارت اسماً لهذه البلاد المعروفة . فأشبه الأسماء المفردة . قال ياقوت : ولم يُسْمَعْ على لفظ المرفوع إلاّ أن الزمخشريّ حكى أنه بلفظ التثنية فيقولون : هذه البَحْرَان وانتهينا إلى البحرين ولم يبلغني من جهة أُخْرَى . كذا قال ياقوت مع أن البكريّ في « معجم ما استعجم » أوردَ الاسم مبتدئاً مرفوعاً بالألف قال : البحرانِ – تثنية بَحْرٍ – وهو بلد مشهور بين البصرة وعمان . وفي قصيدة الأخْنَس بن شهاب التّغلبيّ :

لُكَيْزٌ لها البَحْرَانِ والسِّيفُ دُونَهَا
وَإنْ يَأتِهَا بأسٌ مِنَ الهِنْدِ كَارِبُ
تَطَايَرُ على أعْجَازِ حُوشٍ كأنَّها
جَهَامٌ هَرَاقَ مَاءَهُ فَهْوَ آيِبُ

والأخْنَسُ شاعرٌ جاهليٌّ ، ولكن رواة الأشعار من المتأخرين قد يتصرفون فيها في تغيير بعض الكلمات والبكريُّ قبل ياقوت وكذا ورد في « لسان العرب » وفي « المصباح المُنير » ولكنّ الإمام الأزهريّ – وهو أقدم منهم وأعرف بهذه البلاد اقتصر على لزوم الياء في جميع حالات الإعراب .

والنِّسْبَةُ إلى البحرين – هذه البلاد – بَحْرَانيٌ لئلاّ تشتبه بالنسبة إلى البَحْر . قال الهَجَرِيُّ: وإذا نَسَبْتَ إلى عَيْنَين قُلْتَ عَيْناويٌّ وَإلى البحرَيْنِ : بَحْرَانيٌّ وإلى السَّرَيْنِ سِراني . انتهى .

(١) : « أبو علي الهجري » : ٢٠٦ .

وجرى بين عالمين لغويين هما الكسائيُّ واليزيدي بحضرة الخليفة المهدي قصة في موضوع النسبة إلى البحرين ، أوردها ياقوت في « معجم الأدباء » وأشار إليها في « معجم البلدان » .

ولا تزال كلمة (البحراني) التي هي في الأصل نسبة إلى البحرين مستعملة ، ولكنها لا يُقصد بها معناها الصحيح ، بل تطلق — في تلك الجهة — على الشِّيْعِي ، بصفة عامَّة ، وسبب ذلك يرجع إلى كون كثير من سكان تلك الجهة منذ عهد قديم من الشيعة ، قال في « معجم البلدان » في الكلام على عُمَان :

عُمَان : في شرق هَجَر . وأكثر أهلها في أيامنا خوارج إباضيَّة ليس بها من غير هذا المذهب إلاَّ طارئٌ غريبٌ ، وهم لا يخفون ذلك .

وأهل البحرين بالقرب منهم بضدّهم ، كلهم روافض سبائيون ، لا يكتمونه ولا يتحاشون ، وليس عندهم من يخالف هذا المذهب إلاَّ أن يكون غريباً — انتهى .

وقد تغيرت الأحوال في القطرين المذكورين ، وانتشر العلم ، وعَمَّ التَّآخي بين جميع المسلمين وزالت الفوارق السيِّئة ولله الحمد .

أما أصل تسمية هذه البلاد بالبحرين فلعلماء اللغة فيه آراءٌ أورد ياقوت طائفة منها وقال بعد ذلك : هذا كله تَعَسُّفٌ لا يشبه أن يكون اشتقاقاً للبحرين ، والصحيح عندنا ما ذكره أبو منصور الأزهريّ .

ولكنَّ بعض العلماء لهم آراءٌ أيضاً لم يطَّلع عليها ياقوت — فيما يظهر — ولهذا يحسن عرضها :

١ — وهذا قول الأزهريّ الذي ارتضاه ياقوت . قال في كتاب « تهذيب اللغة[١] » :
وإنَّما ثَنَّوْا[٢] البَحْرَيْن لأنَّ في ناحية قُراها بُحَيْرة على باب الأحساء وقُرى هَجَر ، بينها وبين البحر عشرة فراسخ وقَدَّرْتُ هذه البُحَيْرة ثلاثة أميال في مثلها ، ولا يغيض ماؤها ، وماؤها راكدٌ زُعَاقٌ — وسيأتي ذكر هذه البحيرة .

---

(١) : ٥ — ٤٠ .
(٢) في « معجم البلدان » : وإنما سموا البحرين .

٢ — وقال الهمدانيُّ — وهو معاصر للأزْهَرِيِّ —[1] : والبحرين إنما سُمِّيَتِ البَحْرَيْنِ من أجْلِ نَهْرِهَا مُحَلِّم ، ولنهر عين الجريب . انتهى .

٣ — وقال الإدريسي في « نزهة المشتاق »[2] : وسميت الجهة بالبحرين بجزيرة أوال ، وذلك أن جزيرة أوال بينها وبين فارس مَجْرَى ، وبينها إلى بَرِّ العرب مجرى ، وهي ستة أميال طُولاً ، وعرضاً كذلك .

ويلاحظ أن الإدريسي (٤٩٣ — ٥٦٥٠هـ) عوّل على كتاب العذري الذي ألفه وهو في مكة سنة ٤١٧[3] .

ويظهر أن مؤلفي « دائرة المعارف الاسلامية » وهم من المستشرقين — استأنسوا بهذا الرأي ، على ما سيأتي .

٤ — وفي كتاب نصر[4] : قال الأصمعي : إنما سُمِّيت البحرين لأنهما عينان ، بينهما مسيرة ثلاث ، إحداهما مُحَلِّم ، والأخرى قضْباءُ ، وهي خبيثة الماء ، على أحدهما هَجَر والأخرى قطيف وهي الخط .

ومثل هذا في كتاب الحازمي[5] إلا أن قضباء عنده (قَضْبَى) .

وهذا الكلام كان ينبغي تقديمه على كلام الأزهري ، لقدم الأصمعي في الزمن والعلم ، ويكاد يتفق مع قول الهمداني .

٥ — وفي كتاب ابن المجاور[6] رأيٌ طَرِيفٌ يحسن إيراده لطرافته لا لصحته ، قال — على ما تقدمَ في الكلام على أوال — : سمي البحرين بحرين لأجل البحر ، وأهلها العرب شِبْهُ البحر في كرمهم ، أي بلاد تسمى البحرين بَحْرُ ماء ، وبَحْرُ

(١) : « صفة جزيرة العرب » : ٢٨١ .

(٢) : « العرب » س ٥ ص ٥١٩ .

(٣) انظر عن العذري « العرب » ج القعدة س ١٢ .

(٤) : ١٤٥ .

(٥) : ١٨٧ .

(٦) ابن المجاور هذا رحالة فارسي — وليس ابن المجاور الشيباني الدمشقي فهذا متأخر عن زمن الأول الذي قدم من الديبل سنة ٦١٨هـ وزار جدة ومكة وعدن وكتابه مطبوع .

خـُلـُق . وقال عن جزيرة أوال (البحرين الآن) : ويقال إنها جزيرة في بحر مالح فوق بَحْرٍ عَذْبٍ فلأجل ذلك سميت البَحْرَيْن[١] .

٦ — وفي كتاب « نخبة الدهر في عجائب البرّ والبحر » : بحيرة هجر في بلاد البحرين وبها وبالبحر الكبير سُمِّيَتْ أرض هجر بالبحرين ، وقيل : بل سمي البحرين لأن هناك دخلة من الأرض في البحر الكبير كالجزيرة وسُمِّيَ ذلك الموضع بالبحرين . انتهى .

أما الدّخلة من الأرض في البحر فغير مفهوم المراد بها ، هل شبه جزيرة قطر وهي معدودة من البحرين قديماً ؟ إنها أبرز رأس من البر داخل البحر ، وهناك رؤوس أخرى صغيرة .

٧ — وفي « دائرة المعارف الاسلامية »[٢] : يظهر أن اسم البحرين مُشْتَقٌّ من شبه الجزيرة التي تمتد من الحساء ، وتقسم البحر شطرين . انتهى .

ولكن أيْن شبه الجزيرة الممتدة من الحساء ؟ !

هل أرخبيل البحرين كان في العهود القديمة يكون شبه جزيرة تمتد من رأس البرّ الواقع شرقي الظهران ، ثم انفصلت ، وتكونت جزر البحرين وما بينها وبين الساحل الغربي من الجزر ؟ .

٨ — وقال الأستاذ رشدي ملحس[٣] — بعد إيراد أقوال المتقدمين في اشتقاق كلمة البحرين وأنه تثنية بحر : (هذا تعليل فاسد) ، لا يعدو الحدس والتخمين والصواب أن البحرين لفظة حِمْيَرِيَّة قديمة ، اصطلحت عليها القبائل الحميرية التي نزلت في هذه المنطقة وهي مشتقة من (بحر) وهو اليَمّ ، و (ين) أداة التعريف في اللغة الحميرية . ومعناها اللغوي (البحر) .

---

(١) ص ١٢١ .

(٢) ج ٣ ص ٣٩٣ . الترجمة العربية .

(٣) : جريدة « البلاد السعودية » عدد ٦٥٠ في ١٢ ٥ ١٣٦٦هـ .

وأما في الاصطلاح الجغرافي فهو المقاطعة البحرية لأنها واقعة على ريف البحر ، أو لأنها تشبه البحر في غزارة مياهها وكثرة عيونها —

وقد أسماها الأشوريون (مات تمتَم) أي الأراضي البحرية .

أما أداة التعريف الأولى فزائدة ، أضافها المتأخرون ، والفرنجة يكتبونها بحذف الألف واللام ، وهو أقرب إلى الصحة .

وأما صواب لفظها وكتابتها فهو (BAHRIN) على وزن فَعْلِين ، بإشباع الياء التحتيّة . انتهى .

هذا مُجْمَلُ ما اطلعت عليه من الآراء حول تعليل تسمية هذه البلاد باسم (البحرين) أوردته ليكوِّن القارئ له رأياً حيالَهُ .

وفي رأيّ يرتكز على ما ألمح إليه كثير من المتقدمين من كثرة عيونها التي يشبه بعضها الأنهار في غزارة الماء وقوة الجريان — وهو أن المنطقة الممتدة من القطيف إلى نهاية واحة الحساء في الجنوب تكاد تشبه بَحْراً من الماء ، لكثرة أنهارها ، وهذا في القديم ، وهي تجاور البَحْر أيضاً . ومن هُنَا سميت البَحْرَيْن .

وهذا الرأي لايبعد عن أقوال الأصمعي والأزهري والهمداني .

موقع البحرين من أقسام الجزيرة .

يقسم المتقدمون جزيرة العرب إلى أقسام هي تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن[1] .

ثم يقسمون العروض إلى قسميْن هما اليمامة والبَحْرَيْن[2] .

ومن هنا يتضح خطأ من عدّ البحرين من نَجْد إلا إذا كان المراد أنّهُما في بعض الأزمان كانت ولايّة واحدة .

---

(١) كتاب « المناسك » : ٥٣ ٥٣٤ « صفة جزيرة العرب » : ٥٩ .

(٢) كما في كتاب « المصباح المنير » وكتاب « تاج العروس » .

ويحسن أن نورد بعض نصوص المتقدمين في تحديد بلاد البحرين قديماً ، وتكاد تشمل جميع ما يعرف الآن باسم المنطقة الشرقية إلا من الناحية الشمالية فهي تشمل بلاد الكويت أيضاً حيث أنّ مواضع هناك مثل : أوارة (وارة حديثاً) وبرقان وغيرهما معدودة من بلاد البحرين .

قال ابن الفقيه في « مختصر كتاب البلدان »[1] : قال أبو عبيدة : — بين البحرين واليمامة مسيرة عشرة أيام ، وبين هَجر مدينة البحرين وبين البصرة مسيرة خمسة عشر يوماً على الإبل .

وهي الخط والقطيف والآرة وهجر وبينونة والزارة وجُوَاثا والسابور ودارين والغابة .

وقصبة هجر الصفا .

والمشقَّر والشبعان ، والمسجد الجامع في الـمُشَقَّرِ .

وبين الصفَا والمشقَّر نهر يجري يقال له العين .

ومن قرى البحرين : الجوس[2] والكثيب الأكبر ، والكثيب الأصغر ، وأرض نوح ، وذو النَّار ، والمالحة والذرائب والبدى ، والخرصان ، والسهلة والحوجر ، والوجير ، والطربال ، والمنسلخ والمزري ، والمطلع والشط والقرحاء والرُّميلة ، والبحرة والرجراجة والعرجة ، فهذه قرى بني محارب بن عمرو بن وديعة .

وقرى بني عامر بن الحارث بن أنْمار بن عمرو بن وديعة أضعاف هذه . انتهى .

ويلاحظ أن كثيراً من أسماء القرى دخله التحريف ، وكتاب ابن الفقيه الذي هو الأصل لم يصل إلينا ، ومختصره لم يطبع طبعة محققة ، وقد حرصت على اقتناء نسخ مصورة منه يرجع أقدمها إلى القرن الخامس الهجريّ ، ومع ذلك لاتخلو من التحريف .

---

(١) ص ٣٠ .

(٢) لعله : (الجونين) .

وقال الإصْطَخْريُّ في « المسالك والممالك » [1] : وأما البحرين فإنها في ناحية نجد ، ومدينتها هَجر ، وهي أكثر تمورا . . وهي على شط بحر فارس . وهي ديار القرامطة ، ولها قرى كثيرة ، وقبائل من مضر . ذوو عدد قد احتفوها . انتهى .

ويلاحظ أن مدينة البحرين – أي قاعدتها في عهد الاصطخري كانت الأحساء بعد إحراق هجر في أول عهد القرامطة .

وقال ابن خُرْدَاذَبَة : قُرى البَحْرين : الخَطُّ والْقَطِيفُ والآرَةُ وهَجَرُ والْفروق وبَيْنُونَة – قال النابغة الْجَعْدِيُّ :

عَلَيْهِن مِنْ وَحْشِ بَيْنُونَة نِعَاجٌ مَطَافِيلُ في رَبْرَبِ

والمشَقّر والزارة وجواثا . قال الشاعر :

مَاضَرَّ أشْنَاس لا يكوْن لَه يَوْم جواثا ويَوْم ذِي قَار

وسابُون ، ودارين والغابة والشنون انتهى [2] .

وقال المسعودي [3] : – في كلامه عَلى ما كان من أبي طاهر القرمطي . وفتحه سائر مدن البحرين : وكان أهلها في نهاية العدة والقوة . كالقطيف . وكان بها على بن مِسْمَار واخوته ، وهم من عبدالقيس . وقتله عليًا . والزارة وكان بها الحسن بن العوام من الأزد ، وصفوان [4] وكان بها بنو حفص وهم من عبد القيس أيضاً . والظهران ، والأحساءُ وكان بها بنو سعد من تميم .

وجواثا وكان بها العوام بن الهيثم الربعي . وهجر وكانت أعظم مدن البحرين ، وكان بها عياش المحاربي ، وكان أعظمهم عدةً ، وأسدهم شوكة .

---

(١) ص ١٩ طبعة لندن سنة ١٩٢٧م .

(٢) « المسالك والمالك » : ١٥٢ الطبعة الأولى وابن خرداذبة من أهل القرن الثالث الهجري قبل الاصطخري .

(٣) « التنبيه والإشراف » : ٣٩٢ مطبعة بريل (ليدن) سنة ١٩٦٧ .

(٤) الصواب : (صفوا) .

وقال ابن حوقل[1] : وأمّا البحرين ومدنها وهي هَجَرُ والأحْساءُ والقَطيفُ والعُقَيْر وبيشة[2] والخَرْجُ وأوالُ ، وهي جزيرة كان لأبي سعيد الحسن بن بَهْرام ولولده سلَيمان بها الضَّريبةُ العظيمةُ على المراكب المجتازة بهم ، وإلى وقتنا هذا هي لِمُخلّفيهما ونسلهما . ويكون نسلُ أبي سعيد لظهره بين مرّةٍ ورَجُلٍ نحو الأربع مئة نسمة . وبها أموال وعشورٌ ووجوهُ مرافق ، وقوانينُ ومراصد ، وضروب مرسومة من الكُلَف ، إلى ما يصل إليهم من بادية البصرة والكوفة وطريق مكة بعد إقطاع ما بالبحرين من الضِّياع بضروب ثمارها ومزارعها من الحنطة والشعير والنخل لأتباعهم المعروفين كانوا بالمؤمنين ، ومبلغها نحو ثلاثين ألف دينار ، وما عدا ذلك من المال والامر والنهي والحلّ والعقد ، وما كان يصل إليهم من طريق مكة ومال عُمان ، وما وصل إليهم من الرَّمْلَة والشام فَمُتَساوٍ فيه آراءُ ولد أبي سعيد الباقين ، ومفاوضةُ أبي محمد سنبر[3] بن الحسن بن سنبر . وكان أكملَ القوم وأشدَّهُمْ ثمَّ تمكّناً من نفسه . فإذا همّوا بقِسْمَة ما يصل إليْهِم من مال السنة كان ذلك ليوم معلوم مذ لم يزالوا ، فَيُعْزَلُ منه الخُمُسُ بسهم صاحب الزمان ، والثلاثة الأخماس لولد أبي سعيد ، على قوانين وضعوها بينهم ، وكان الخمسُ الباقي للسَّنابِرَةْ مُسَلَّماً إلى أبي محمد . ليفرقه في ولد أبيه وولده ، ويكونون نحو عشرين رجلا .

وكان ولد أبي طاهر فيهم يُعَظَّمُونَ ويُكْرَمُون ، وكان أجَلَّهُم سابورَ فلما قتله أعمامه تشتتت كلمتهم ، وتغيرت أحوالهم . وكان لهم من الثلاثة الأخماس مالٌ معلوم دون الجِرايات عليهم من الغنائم بحسب منازلهم ، دون ما لهم من الضِّياع والنِّعْمَةِ المختصة بهم إلى سنة ثمان وخمسين[4] . فإنهم لما فتكوا بسابور استوحش بعضهم من بعض وانقبضوا عن الالتقاء بالجرعاء وغيرها .

(١) صورة الأرض : ٣٣ ٣٤ - طبعة (دار الحياة) في بيروت .
(٢) ورد في بعض الكتب المخطوطة ومنها كتاب الإدريسي (سسه) بدون نقط .
(٣) يرد هذا الاسم في بعض المصادر (شنبر) بالشين المعجمة .
(٤) أي وثلاث مئة .

وكان من رسومهم ركوب مشائخهم وأولادهم فرادى فيجتمعون إلى قبلة الاحساء بالمكان المعرف بالجرعاء ، ويلعب أحداثهم بالرماح على خيولهم وينصرفون أفذاذاً بغاية التواضع ، وقد لبسوا البياض لا غير .

وكان من رسومهم أن تقع شوراهم بالجرعاء فيمن يخرجونه لما فدحهم وأهمّهم ، فإن اتّفق رأيهم على خروجهم بأجمعهم لم يتخلفوا ونفذوا وتركوا في البلد أوثقهم وأشفقهم منزلةً عندهم .

ولما أنفذوا قديما أبا علي بن أبي المنصور إلى عُمان وتعذّر عليه فتحها ساروا بأجمعهم إليها فافتتحوها .

ولما انفذوا أباعلي بن أبي المنصور إلى الشام وعاد عنها ظُنّت به خيانةٌ فيما صار إليه من الغنائم ، فردّ إليها كسرى بن أبي القاسم وصخر بن أبي اسحاق ، فكان منهم مع أبي محمد الحسن بن عُبيد الله بن طُغْج ماسيَرِدُ في مواضعه من أخبارهم . وبالله القوّة . انتهى

ويظهر أنّ ابن حَوْقَلٍ نقل هذا الكلام ، من كتاب يتعلّقُ بالتاريخ ، إذ كتابه وهو « صورة الأرض » لايتضمّنُ أخبارًا مُفَصَّلَةً عن القرامطة . وفي هذا الكلام مايَدُلُّ على أنّ أخبارهم سترد في مواضعها .

ويُلاحَظُ على هذا الكلام – أياً كان مصدره – :

١ – أنه ذكر من مُدُن البحرين (بيشَةَ) وهذا الاسم ورد في كتاب الإدريسي وعصره متأخِّرٌ عن عصر ابن حَوْقَلٍ ، وجُلُّ معلوماته عن بلاد العرب نقلها – فيما يظهر – عن العُذْرِيِّ أحمد بن أنَسٍ . الذي أقام في مكة من سنة ٤٠٨ إلى سنة ٤١٦ وجمع معلوماته عن هذه البلاد خلال هذه الفترة . كما نصَّ على ذلك في كلامه على (الجار [١]) .

---

(١) انظر مجلة « العرب » س ١٢ ص ٣٢٣ .

وبِيشَةُ المعروفة بعيدة عن البحرين ، فهي في الجنوب الغربي من الجزيرة . ولا أشُكُّ في أنَّ الاسم غير صحيح .

ولا أستبعد أن يكون تحريف بنيونه ، وهذا اسم صحراء معدودة من البحرين ، غير أنَّ بعض الجغرافيِّيْنَ الذين سَبَقُوا عهد الاصطخريّ ومَنْ بعده عَدُّوْهَا من مُدُنِ البَحْرَيْن ، وسيأتي الكلام على (بينونة) .

٢ ـ أمَّا الْخَرْجُ فليس من مُدُنِ البَحْرَيْن ، ولكنه من أقاليم الْيَمَامَةِ وكانت قاعدتها (الخِضْرِمَةُ) تقع في هذا الإقليم الذي يضمّ عدداً من القُرَى .

وقد استولى عليه القرامطة سنة ٣١٧هـ وأزالوا حكم (بني الأخَيْضِرِ) من اليمامة [١] .

ولَعَلَّ ذِكْرَ (الْخَرْج) بين مُدُنِ البَحْرَيْن ناشيءٌ عن كونه داخلاً في ولاية القرامطة ولاة البحرين في ذلك العهد ، فَظُنَّ أنه من مُدُنِ البحرَيْن .

٣ ـ وفي هذا الكلام نَصٌّ صريح يُحَدِّدُ موقع الجَرْعَاء ، ويُوَضِّحُ بعض ما كان يجري فيها ، ويؤرخُ زَمَنَ إهمال ذلك الموضع ، وهو سنة ٣٥٨ .

وقال البكريُّ : ذكر البحرين [٢] وأعمالها وهي بلاد واسعة شرقيها ساحل البحر ، وغربيها متصل باليمامة ، وشمالها بالبصرة ، وجنوبها متصل ببلاد عمّان ، وهي بلاد سهلة كثيرة الأنهار من العيون ، عذبة المياه ، ينْبِطُونَ الماءَ على القامة والقامتين . والحنَّا والقطن على شطوط أنهارها بمنزلة السوسن ، وهي كثيرة النخل والفواكهِ ، ولهم تمر يسمى المانجي إذا نُبِذَ وشرب اصْفَرَّتْ الثياب من عرقهِ ، وبساتينهم على نحو ميل منها ، ولا يَأتونها إلاَّ غُدُرًّا أو رواحاً لإفراط حَرِّ الرمضاء ، وأن حوافر الدواب تسقط فيها إذا احتدمت من حرِّهِ .

وهي مخصوصة بعظم الطحال ، ولذلك قال بعض الشعراء :

---

(١) انظر عن الأخيضريين كتاب « عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب » .

(٢) « جزيرة العرب » من كتاب « المالك والمسالك » تحقيق الدكتور عبد الله الغنيم ص ٣٨ .

وَمَن يَسكُنِ البَحرَينِ يَعظُمْ طُحَالُهُ
وَيُغْبَطْ بِمَا فِي بَطْنِهِ وَهْوَ جَائِعُ

ولها سبع مدن . فعلى ساحلها منها القطيف والزّارة والعُقَير .

وأوال وهي جزيرة بينها وبين الساحل مجرى يوم ، وهي كثيرة النّخل والموز والجوز والاترنج والأشجار والزرع والأنهار . ومما يلي أوال جبل في البحر أسود يسمى الخازم[1] . يقيم به الغوّاصون الأشهر .

وبلاد البحرين مُنْهَالَةُ الكثبان جارية الرّمال حتى يُسكّروه بسَعَفِ النخل ، وربما غلب [عليهم] في منازلهم ، فإذا أعياهم حملوا النُّقُوض وتحولوا .

وفي البحر جزائر على مسيرة يوم ويومين (وثلاثة) وفيها آبار .

وقال ياقوت في « معجم البلدان » : البحرين اسم جامع لبلاد على بحر الهند ، بين البصرة وعُمان . قيل : هي قصبة هجر ، وقيل : هَجَرُ قصبة البحرين ، وعَدّها قوم من اليمن ، وجعلها آخرون قصبةً برأسها ، وفيها عيون ومياه وبلاد واسعة ، ورُبّما عَدّ بعضهم اليمامة من أعمالها ، والصحيح أن اليمامة عمل برأسِه ، في وسط الطريق بين مكة والبحرين .

روى ابن عباس[2] : البحرين من أعمال العراق ، وحَدّه من عُمَانَ ناحيةُ جُرَّفَار[3] ، واليمامة على حيالها ، ورُبّما ضُمّت اليمامة إلى المدينة ، ورُبّما أُفرِدَتْ هذا كان في أيام بني أُمية ، فلما وَلِيَ بنو العباس صَيّروا عُمَان والبحرين واليمامة عملاً واحداً قاله ابن الفقيه .

وقال أيضاً[4] : والغالب على أهل البحرين عبد القيس ، وهم أصحاب المشقَّر والصفا — حصنين هناك — انتهى .

---

(١) لعله الجارم فشرق جزيرة البحرين صخور مرجانية تدعي فشت الجارم (انظر هذا الاسم) .
(٢) كذا وأرى الصواب (ابن عياش) وهو أبو بكر بن عياش .
(٣) هي جلفار : من بلاد عمان .
(٤) رسم أسبذ .

وأقول : بنو عبد القيس كانوا ينزلون جانباً ضيّقاً من المنطقة هما واحتا الحساء والقطيف وما بينهما وبين البحر ، ولعل ياقوتا يقصد الأحساء التي كانت قاعدة البلاد .

وأما صلة اليمامة بالبحرين فقد كانتا ولاية واحدة قبل استيلاء القرامطة على ما جاء في كتاب « بلاد العرب[1] » : جابي اليمامة يَجْبِي البحرين . ومنبر الأحساء أحساء هجر يُدْعَى عليه لصاحب اليمامة ، وواليها من قبل عامل اليمامة . انتهى .

وقال ابن فضل الله العمري في « التعريف بالمصطلح الشريف[2] » : وأما عرب البحرين فهم قوم يصلون إلى باب السلطان وصول التُّجَّار ، يجلبون الخيل وكرام المهارى واللؤلؤ ، وأمتعة من أمتعة العراق والهند ، ويرجعون بأنواع الحِبَاء ، والإنعام والقماش والسكّر وغير ذلك ، ويكتب لهم بالمسامحة فيردون ويصدرون . وبلادهم بلاد زرع وضَرْع وبرٍّ وبَحْر ، ولهم متاجر مرْبحة وواصلة إلى الهند ، وبلادهم مابين العراق والحجاز ، ولهم قصور مَبْنيَّة ، وآكام عَلِيَّةٌ ، وريفٌ غير مُتَّسع ؟ إلى ما لهم من النعم والماشية والحاشية والغاشية ، وإنما الكلمة قد صارت بينهم شَتَّى والجماعة متفرقة : ورسم المكاتبة إلى كبرائهم بالسامي — بالياء — والعلامة الشريفة (أخوه) ثم مادون ذلك لمن دونهم . انتهى .

وهو في كلامه هذا يقصد البادية — فيما يظهر — ويزيد هذا إيضاحاً ما ذكره في « مسالك الأبصار »[3] في كلامه على آل عامر وذكر مقدّمهم ووفوده على السلطان بيبَرْس قال : وتوالت وفادتهم وبرز الأمر السلطاني إلى آل فضل بتسهيل الطريق لوفودهم . وتأمينهم في صدورهم ورودهم — إلى أن قال — : ودارهم الأحساء والقطيف وملح وأقطاع ، والقرعاءُ واللهابة والجود ومبالغ[4] انتهى على ما فيه من تصحيف في الأسماء .

---

(١) : ٣٢٥ .

(٢) ص ٨٠ — مطبعة العاصمة بمصر سنة ١٣١٢هـ .

(٣) لا يزال مخطوطاً .

(٤) اقطاع صوابه : نطاع . الجود : جودة . مبالغ : متالع .

وفي « رحلة ابن بطوطة »[1] : ثم سافرنا من سيراف إلى مدينة البحرين ، وهي مدينة كبيرة حسنة ، ذات بساتين وأشجار وأنهار ، وماؤها قريب المؤنة(؟) يحفر عليه بالأيدى فيوجد .

وبها حدائق النخل والرمان والاترج .

ويزرع بها القطن .

وهي شديدة الحرّ ، كثيرة الرمال ، وربّما غلّبَ الرمل على بعض منازلها .

وكان فيما بينها وبين عُمَان طريق استولت عليه الرمال ، وانقطع ، فلا يوصل من عُمَان إليها إلا في البحر .

وبالقرب منها جبلان عظيمان يسمى أحدهما بِكُسَيْر . وهو في غربيِّها ، ويسمى الآخر بِعُوَيْر ، وهو في شرقيها . وبهما ضُرِبَ المثل فقيل كُسَيْر وعُوَيْر ، وكلٌّ غير خير . انتهى بنصه .

ويلاحظ على هذا الكلام :

١ — أن البحرين إقليم وليس مدينة كما ذكر هنا وكما سيأتي عن ابن خلدون . ولعله يقصد بكلمة (مدينة البحرين) قاعدة البحرين التي هي الأحساء في ذلك العهد .

٢ — وقوله : (وبالقرب منها) ليس المقصود البحرين — كما هو ظاهر الكلام ، بل عُمَان ، فالجبلان المذكوران عُوَيْر وكُسَيْر معروفان في بَحْر عمان إلى هذا العهد .

وقال ابن خلدون[2] : البحرين بلاد واسعة على بحر فارس ، من غربيه ، وتتّصل باليمامة من شرقيها ، والبصرة من شمالها وبعمان من جنوبها .

وتعرف ببلاد هجر .

ومنها القطيف وهجر والعقير[3] وجزيرة أوال والأحساء وهجر .

---

(١) : ١ / ١٧٧ طبعة مصر : .

(٢) : « العبر » ج ٢ ص ٣٠١ — الطبعة الأولى .   (٣) في الأصل العسير .

وهي باب اليمن من العراق .

وكانت أيام الأكاسرة من أعمال الفرس وممالكهم ، وكان بها بشر كثير من بكر بن وائل وتميم في باديتها .

فلما نزل عليهم عبد القيس زاحموهم في ديارهم تلك وقاسموهم في الموطن .

وقال أيضاً[1] : البحرين إقْلِيمٌ يُسَمَّى باسم مدينته ، ويقال هَجر ، باسم مدينة أخرى منه ، كانت حاضرة ، فخربها القرامطة ، وبنوا الأحساء وصارتْ حاضرة . انتهى .

وقد ظَلّ اسم البحرين يطلق على هذه الناحية حتّى القرن الثامن ففي « الدرَر الكامنة[2] » : ابراهيم بن ناصر بن جروان المالكي من بني مالك بطن من قريش[3] ، انتزع جدُّه جروان الملك من سعيد بن مغامس ابن سليمان بن رميثة القرمطي[4] سنة ٧٠٥ وحكم في بلاد البحرين كلها ، ثم لما مات قام ولده ناصر مقامه ، ثم قام ابراهيم مقام أبيه وكان موجوداً في العشرين وثماني مئة ، وهم من كبار الروافض . انتهى .

ثم إن اسم البحرين انْحَسر إلى جزيرة أوال ، التي كانت تدعى جزيرة البحرين بإضافتها إلى القطر ، ثم انحصرت التسمية بها .

ونَجد ابن مقرب الشاعر الأحسائي المتوفي سنة ٦٣٠ تقريباً يُعَبِّر بكلمة الأحساء عن هذه البلاد أكثر من تعبيره بكلمة البحرين التي يستعملها غالباً عند التحدث عن الماضي . فهو لَمَّا ذكر تسلط البادية حين ضعفت الإمارة العيونية قال :

---

(١) المصدر : ٤ – ٩٢ .
(٢) : ١ / ٨٣ .
(٣) ليس من قريش بل من عبد القيس .
(٤) القرامطة انقرضوا منذ القرن الخامس ، فلم يدركوا القرن الثامن .

أخَذُوا الْحَسَاءَ من الكثيب إلى مَحَا ... ديْثِ الْعُيُونِ إلى نَقَا حُلْوان
والْخَطِّ مِنْ صَفْواء حَازُوْها فَمَا ... أبْقَوْا بِها شِبْرًا إلى الظهْــــران

وابن المُجَاور – وهو معاصر لابن مُقرب لما ذكر البحرين قصَدَ بها الجزيرة . وتقدم كلامه في أوال .

وابن شَدْقَم الحَسَنِي – من أهل القرن العاشر – عبَّر بهجر والْخطّ وقال : البحرين هي الجزيرة مما يدل على شهرتها بالاسم أكثر من شهرة المنطقة ، وتقدم كلامه .

ولعل ماورد من إطلاق كلمة البحرين بعد القرن السادس كان ناشئاً من التأثر بشهرة هذا الاسم بخلاف (الحسا) الواردة في شعر ابن مقرب لغرابته .

ثم منذ القرن العاشر كان يطلق على هذه البلاد اسم الحساء ، والأحساء واستمر ذلك إلى مابعد منتصف القرن الرابع عشر – أي بعد سنة ١٣٧٠ . حين انتقلت القاعدة إلى مدينة الدمام ، وصارت الشهرة لمنطقة الظهران ، منطقة صناعة النفط فأطلق على البلاد اسم (المنطقة الشرقية) .

لا يملأُ الأمر صدري !! . .

قَالَ عبدُ العزيز بن زُرارةَ الكلابيُّ[1] :

قَدْ عِشْتُ في الدَّهْرِ أطْوَاراً عَلَى طُرُقٍ
شَتَّى ، فَصَادَفْتُ مِنْهُ اللِّينَ والْفَظَعَا
كُلاًّ بَلَوْتُ فَلاَ النَّعْمَاءُ تَبْطِرُنِي
وَلاَ تَخَشَّعْتُ مِنْ لأْوائِــــهِ جَزَعَا
لاَ يَمْــلأُ الأمْرُ صَدْرِي قَبْلَ مَوْقِعِه
وَلاَ أضِيقُ بِــــهِ ذَرْعاً إذَا وَقَعَــــا

---

(١) انظر عنه : « بلاد العرب » هامش ص ١٥٢ و « أبو علي الهجري » ص ٢٢٥ وهما من مطبوعات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر » .
والأبيات في « العقد الفريد » ج ٦ ص ١٠٣ مطبعة الاستقامة بمصر سنة ١٣٧٢هـ .

الأحساء

بفتح الألف وإسكان الحاء المهملة وفتح السين المهملة بعدها ألِفٌ ممدودة — : اسم كان إلى عهدنا يطلق على ما يعرف الآن باسم المنطقة الشرقية ويقال الْحَسَاءُ — بفتح الحاء والكلمة فَصِيْحَةٌ كما سيأتي في حرف الحاء .

والمعنى اللغويُّ لكلمة الأحساء قد أوضحه صاحب « معجم البلدان » بقوله : الأحساءُ : بالفتح والمدّ ، جمع حِسْي — بكسر الحاء وسكون السين ، وهو الماءُ الذي تَنْشُفُهُ الأرض من الرمل ، فإذا صار إلى صلابة أمسكته فتحفر العرب عنه الرمل فتستخرجه . قال أبو منصور : سمعت غير واحد من بني تميم يقول: احْتَسَيْنَا حِسْياً أي أنْبطنا ماء الحِسْي والحِسْيُ الرمل المتراكم أسفله جبل صَلْدٌ ، فإذا مُطِر الرمل نشف عنه ماءُ المطر ، فإذا انتهى إلى الجبل الذي تحته أمسك الماء ومنع الرمل وحَرَّ الشمس أن يُنشفا الماء فإذا اشْتَدَّ الحَرُّ نُبِثَ وَجْهُ الرَّمْل عن الماء فنبع بارداً عَذْباً ، يُتَبَرَّضُ تَبَرُّضًا . انتهى .

وهذا من كلام الأزهري في « التهذيب » [1] وواحد الأحْسَاء حِسْيٌ — بكسر الحاء وإسكان السين بعدها مثناة تحتية — ولا تزال الكلمة مستعملة في نَجْد ، ولكنَّ أبناء البادية يبدلون الياء واواً فية ولون (حِسْو) . ويجمعه العامة على حِسْيَان وأحسية وحساوة بالواو أيضًا مع أن أصْلَهُ يائيٌّ .

والأحْسَاءُ في بلاد العرب كثيرة ، كما قال الأزهري في « التهذيب » [2] وقد رأيت في البادية أحساءً كثيرة على هذه الصفة ، منها :

---

(١) ٥ — ١٦٩ .
(٢) : ٣٤٣ .

لحساءُ بني سعد بحذاء هَجَر وقُراها ، وهي اليوم دارُ القرامطة وبها منازلهم . ومنها : أحساءُ خِرْشاف . وأحساءُ القطيف .

وبحذاء حاجر في طريق مكة أحساءٌ في وادٍ متطامنٍ ذي رملٍ[1] ، إذا رويتْ في الشتاء من السيول الكثيرة لم ينقطع ماءُ أحسيتِها في القيظ . انتهى .

وقال صاحب « بلاد العرب » وهو من أهل القرن الثالث في الكلام على بلاد بني سعد بن زيد مناة تميم : وأما سعد فأقصاها يَبْرِين بحذاء عُمَانٍ ، ثم هم مُتَّصِلُون بالأحساء .

والأحسَاءُ من هَجَر على ميلين ، ينزلها أخلاَطُهُمْ ، وبها سَيِّدهُمْ وعامِلُهُمْ إبراهيم بن موسى . انتهى .

وليس في النصوص التي بين أيدينا مايحدد لنا موقع الأحساء القديم ونعني التي أخذت هذه المنطقة منها هذا الاسم ، فالقسم الأكبر منها الممتد من الجبيل شمالاً إلى العُقير جنوباً ، ومن البحر شرقاً إلى الآكام الصخرية الممتدة غرب الأغوار والأجواف ووادي المياه ، كل هذا القسم تكون المياه فيه قريبة من سطح الأرض ، دع القسم الذي تجري فيه العيون ، في الواحات كواحة القطيف وواحة الأحساء وواحة الجوف وواحة وادي المياه ولكن يُستَأنَسُ بما ذكره بعض المتقدمين من أن القرامطة خربوا (هجر) مدينة البحرين ، وبنوا الأحساء أن هذه تقع في وسط الواحة حيث توجد قرية البطاليَّة وما حولها ، وصاحب كتاب « بلاد العرب » قال : إن الإحساء على ميلين من هَجَر .

وذكر ابن خلدون في تاريخه[2] أن أبا طاهرٍ القرمطي في سنة ٣١٤هـ بني مدينة الأحساء ، وسماها المُؤْمِنِيَّة ، فلم تُعْرَف إلا به ، وبني قصره وأصحابه حوله .

وقال أيضاً : البحرين إقليم يسمى باسم مدينته ويقال هجر – باسم مدينة أخرى منه ، كانت حاضرة ، فخربتْها القرامطة ، وبنو الأحساء وصارت حاضرة .

---

(١) انظر كتاب « شمال المملكة » رسم (حسى) .

(٢) « العبر » : ٤ – ٨٩ – ٩٢ (الطبعة الأولى) .

وقال : الأحساءُ بناها أبو طاهر القرمطي في المئة الثالثة ، وسميت بذلك لما فيها من أحساء المياه في الرمال ومراعي الإبل . انتهى .

ومنذ القرن الرابع أصبح اسم الأحساء يطلق على قاعدة هذه البلاد — وكانت القاعدة قبلها (هَجَر) كما سيأتي .

ويَحْسُنُ أن نعرض بعض النصوص القديمة في وصفها .

وصفها الهمداني في القرن الرابع فقال [1] : (فالأحساءُ منازل ودور لبني تميم ؛ ثم لسعد من بني تميم ، وكان سوقها على كثيب ، يسمى الجرعاء ، تتبايع عليه العرب) .

وهذا النصُّ ونصُّ صاحب كتاب « بلاد العرب » قبله يفهم منهما أن أحساء بني سعد هي أحساءُ القرامطة ولكن يلاحظ على هذا :

١ — كانت الأحساءُ في عهد الهمداني قاعدة حكم القرامطة ، وليس لبني تميم في ذلك العهد من النفوذ ما يمكن القول معه أن الأحساء منازلهم ودورهم ، فكونها قاعدة الإقليم أبلغ في الوصف والشهرة من أن تضاف إلى هؤلاء .

٢ — كانت السيطرة والنفوذ في الأحساء وقراها للقرامطة ، وقبلهم كانت لعبد القيس ، أما بنوتميم فكانوا في الضَّواحي والأمكنة الواقعة خارج المدينة وقراها في جهات يبرين ووادي الستار (وادي المياه الآن) .

وهذا لا يمنع من أن الأحساء هذه كانت تضاف إلى بني سعد التميميين ولكنهم بعد استيلاء القرامطة على البلاد ضعف نفوذهم أعني بني سعد ، وأصبحت تضاف إلى القرامطة ، كما في كلام الأزهري المتقدم المعاصر للهمداني ، ولكنه أعلم منه بهذه البلاد .

ولا شَكَّ أن كلام الهمداني ينطبق على الأحساء قبل عهد القرامطة ويؤيد هذا

---

(١) « صفة جزيرة العرب » ٢٨١ .

أنه ذكر أن مدينة (هجر) هي مدينة البحرين العظمى[1] — كما سيأتي — وهذا قبل سنة ٣١٤ بل إن كلام الهمداني بنصه ورد في كتاب « بلاد العرب » المؤلف في القرن الثالث — كما سيأتي في الكلام على أحساء بني سعد ، وهو نصٌ صريح في أنّها كانت تضاف إلى بني سعد قبل عهد القرامطة . ويؤيد هذا قوله[2] : منبر الأحساء أحساء هجر يدعى عليه لصاحب اليمامة ، وواليها من قبل عامل اليمامة . انتهى ولا شكّ أن هذا قبل استيلاء القرامطة عليها .

وقال المقدسيُّ في « أحسن التقاسيم »[3] : الأحساء قصبة هجر ، وتسمى البحرين . كبيرة . كثيرة النخيل ، عامرة آهلة . معدن الحَرِّ والقحط ، على مرحلة من البحر ، ولهم شبه نبع متجر[4] وثَم جزائر وبها مستقرُّ القرامطة ، من آل أبي سعد ثَمَّ نظرٌ وعدل . غير أنّ الجامع معطّل .

وقال ناصر خسرو ما تعريبه[5] : (وكانت الأحساء سوادها وقراها محاطة بأربعة أسوار ، بين كل سورين فرسخ ، وفيها ينابيع المياه العظيمة ، يدير كل نهر منها خمسة طواحين ، ويوجد فيها كل ما يوجد في البلاد المتمدنة ، وليس فيها مسجد تقام فيه الصلاة حتى مرَّ بها رجل أعجمي يسمى أحمد علي ، يحمل الحجاج إلى مكة ، فبنى مسجداً . وتصنع بها القراطيس الجيدة ، وتحمل إلى البصرة والبلاد الأخرى ، وتباع فيها جميع لحوم الحيوانات حتى الحمير والكلاب ويوضع رأس الحيوان عند لحمه ، وكانت العملة التي يتعاملون بها من الخزف) انتهى والظاهر أن المسجد الذي أشار إليه هو الذي لا يزال موجوداً في قرية (البطّالية) قرب آثار القصر المعروف بقصر قُريمط .

وقال الإدريسي[6] : فأما الأحساء فهي مدينة على البحر الفارسي تقابل أوال ،

---

(١) « صفة جزيرة العرب » : ٢٧٩ .
(٢) « بلاد العرب » : ٣٢٦ .
(٣) ص ٩٣ ط ليدن سنة ١٩٠٦م .
(٤) كذا ولعله (نبع متبحر) أي قد يكون بحيرة من المـاء .
(٥) « سفر نامة » ؟ .
(٦) « نزهة المشتاق » — مجلة « العرب » س ٥ ص ٥١٨ .

وهي بلاد القرامطة ، وهي مدينة حصينة لأنها صغيرة ، وبها أسواق تقوم بها في تصرفاتها . انتهى .

وقوله : على البحر . ليس صحيحاً ؛ بل بينها وبين البحر يومان لسير الإبل .

وقال ياقوت في « معجم البلدان » والاحساء : مدينة بالبحرين ، معروفة مشهورة كان أول من عمرها وحصنها وجعلها قصبة هجر أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنّابي وهي إلى الآن مدينة مشهورة عامرة . انتهى .

وقال أبو الفداء (المتوفى سنة ٧٣٢) : الأحساء بُلَيْدة ذات نخيل كثير ، ومياه جارية ومنابيعها حارّة شديدة الحرارة ، والأحساء في البرّيّة وهي عن القطيف في الغرب بحيلة إلى الجنوب على نحو مرحلتين ، ونخلها بقدر غوطة دمشق مستدير عليها .

وليس للأحساء سُورٌ ، وبين الأحساء واليمامة نحو مسيرة أربعة أيام .

وأهل الأحساء والقطيف يجلبون التّمْرَ إلى الخَرْج ، وادي اليمامة ، ويشترون بكل راحلتين من التّمْرَ راحلةً من الحنطة . انتهى[1] .

وذكر في « نخبة الدهر »[2] : من أمصار البحرين الأحساء وهي القصبة وتعرف بأحساء بني سعد .

وفي « صبح الأعشى »[3] : ومن بلدان البحرين الأحساء – قال في « تقويم البلدان » بفتح الهمزة وسكون الحاء وفتح السين المهملتين وألف في الآخر – وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة قال في « الأطوال » : حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض اثنتان وعشرون درجة قال في « تقويم البلدان » : ذات نخيل كثيرة ومياه جارية ومنابعها حارة شديدة الحرارة ، ونخيلها يقدر غوطة دمشق ،

(١) : « تقويم البلدان » : ٩٩ الطبعة الأوربية .
(٢) ص ٢٢٠ .
(٣) ج ٥ ص ٥٥ .

وهو مستدير عليها . وهي في البرية في الغرب عن القطيف . بميلة إلى الجنوب ، على مرحلتين منها .

وتعرف بأحساء بني سعد . انتهى .

هذه بعض النصوص الواردة عن المؤرخين منذ القرن الرابع الهجري إلى القرن التاسع فهل بقيت الأحساء قاعدة لهذه البلاد كل ذلك العهد ؟

هذا ما يفهم من كلامهم . فقد كانت قاعدة القرامطة ثم العيونيين الذين حلوا محلهم إلى الثلث الأول من القرن السابع ، وبعد ذلك كان المتغلبون على حكم البلاد جُلُّهُمْ إنْ لم يكن كلهم من البدو ، وهؤلاء لا يستقرون في المُدُن إلا فيما قَرُب من منازل قومهم في الصحارى ؛ ولهذا يمكن القول بأنَّ شأن هذه المدينة بدأ يضعف منذ زوال حكم القرامطة ؛ واستيلاء العيونيين حين كان بعض حكامهم يستقرون في القطيف حينا وفي البحرين حيناً آخر (أي جزيرة أوال)[1] .

ويرى بعض الباحثين أن دولة آل أجود كانت قاعدتها في قرية (المُنَيْزلة) وهناك آثار قصر يدعى (قصر أجود) وليس بمستبعد هذا القول . فموقع مدينة الأحساء في مكان منخفض . تحيط به النخيل والمياه . مما يجعله غير ملائم من الناحية الصحيَّة . هذا بصفة عامة . ولوقوع المدينة بين القُرَى بعيدة عن الرِّيف الذي يألف البدو سكناه يُصبح الاستقرار فيها غير مرغوب فيه من قبل هؤلاء .

وفي القرن العاشر – حين امتد النفوذ التركي على هذه البلاد – أصبح مقر الحكم قصر (الكوت) الواقع غرب موقع مدينة الأحساء بنحو مسيرة ساعة ونصف على القدم[2] – أوما يقارب عشرة أكيال – وهو قصر أنشأوه مُنْفَصِلاً عن بلدة الهفوف التي نشأت في مكان مرتفع عن مجاري العيون وحدائق النخيل . وقد أقاموا في (الكوت) كثيراً من القصور والمساجد المتقنة البناء . وأحيط بسور محكم ، وبخندق يحيط بالسور .

---

(١) وهم أصلا من قرية (العيون) الواقعة في شمال الأحساء .

(٢) قطعت المسافة سيراً في يوم الجمعة ١٩ ذي القعدة سنة ١٣٥٨ه من محلة الكوت إلى قصر قريمط في ساعة وخمسين دقيقة .

ومنذ منتصف القرن العاشر أصبح (الكوت) الواقع في بلدة الهفوف هو مقرّ الحكم .

إلاّ أن آل عُرَيْعر — من بني خالد من البدو [1] — لما استولوا على البلاد ، بعد زوال الحكم الأول للأتراك عنها سنة ١٠٨١ اتخذوا بلدة (المبرَّز) قاعدة لهم في عهد مقدمهم براك بن غرير ، الذي بنى قصراً في تلك البلدة وأنشأ مسجداً لايزال يُعْرَف به

وبزوال آل عريعر وعودة الأتراك ثم استيلاء آل سعود على حكم البلاد عاد مقر الحكم إلى الكوت في بلدة الهفوف التي أصبحت القاعدة حتّى سنة ١٣٧٠ هـ .

أين موقع مدينة الأحساء ؟ : كانت تقع في وسط حدائق النخيل التّي تحيط بها من جميع الجهات ، شرق جنوب مدينة المبرز ، وفي الشمال الشرقي من مدينة الهفوف الآن ، وعين الجوهرية التّي تعَدُّ من أقوى العيون وأصفاها ماء ، تقع وسط مدينة [2] الأحساء ، ومكان المدينة تقع في جزء منه قرية البطالية ، وكانت آثار تلك المدينة قائمة ومشاهدة إلى ما قبل ثلاثين عاماً ، شاهدت منها مسجداً واسعاً ، وجدران قَصْرٍ يُدْعَى قصر (قريمط) وكثيراً من آثار المدينة ، وَأَشَرْتُ إلى ذلك في الكلام على (البطاليَّة) .

وقد ذكر الشيخ محمد بن عبد القادر في كتاب « تحفة المستفيد » [3] أن الأحساء بقرب قرية البطالية ، وهناك قصر يعرف بقصر قريمط — بالتصغير للتحقير — وقال عن القرمطي لما أنشأ الأحساء — : إنه جعل للبغاء موضعاً خاصًّا . يعرف حتّى الآن

---

(١) « تحفة المستفيد » : ١ — ١٢٣ .

(٢) وجاء في شرح قول ابن مقرب :

فخير لمصري مــن بساتين مـــــرغـــم ... على ذي المجــارى طلح نجــد وشوعها

مرغم : محلة من مدينة الأحساء ، مما يحيط به الحصن ، كثير المياه والبساتين .

ومـــن مـــاء نهـــر الجوهـــريــة لوصفا ... ذبــابــة حسي لا يـــــرجى نبـــوعها

الجوهرية : عين جارية ، في وسط مدينة الأحساء . وذبابة الشيء بقيته . انتهى .

« ديوان ابن مقرب » : ٨٥ — الطبعة الهندية سنة ١٣٠٩هـ .

(٣) : ١ — ٩٠ .

بالقحيبات . كذا قال الشيخ – رحمه الله – وأراه من قبيل التشنيع من العامة الذين يفسرون الأسماء حسب ما يحلو لهم . والقُحَيبات اسم عَيْنٍ بقرب القصر . وليس موضعا .

وقول الشيخ : إن مدينة الأحساء بقرب قرية البطالية . والذي يظهر لي أن كل القرية وما حولها وما غربها حتى عين الجوهرية كان موقع المدينة ، فلما بدأ الخراب أطرافها صارت تنكمش شيئاً فَشَيْئاً حتى درست ولم يبق منها سوى الحارات الثلاث التي أطلق عليها اسم البطالية ، وما حولها . ثم غرست حدائق النخيل على أنقاض المدينة الدارسة واستمرّ ذلك إلى عصرنا ، كل ما درس جانب أُحْيِيَ بالغراس .

إطلاق الاسم على المنطقة :

ثم أُطلق هذا الاسم – بعد اشْتِهارِ المدينة التي بلغت أوج مجدها في القرنين الرابع والخامس الهجريين فشمل الواحة ، وذلك من آخر القرن الخامس كما يفهم عن عبارات المؤرخين القدماء إلى القرن العاشر ، وبعد استيلاء الأتراك تُوُسِّعَ في إطلاق الاسم فأصبح يشمل منطقة القطيف أيضاً . واستمرّ هذا إلى سنة ١٣٧٠هـ حيث أصبحت مدينة الدمام قاعدة هذه المنطقة ، التي سُميت (المنطقة الشرقية) بعد أن كانت تعرف باسم (إمارة الأحساء) .

وفي عهد الأتراك (ولاية الأحساء) أو (سنجق الأحساء) .

ولكن الإمارة تلك كانت أضيق مما هي عليه الآن . قال الشيخ محمد ابن عبدالقادر في كتاب « تحفة المستفيد » [(١)] ويطلق الأحساءُ على المقاطعة الشرقية ، يحدها غرباً عَقَبَةُ الفَروق ، وشمالاً القطيف وجُوْدة ، وشرقاً رمال العُقير ، وجنوباً رمال يَبْرِين – انتهى .

---

(١) : ١ – ٢ .

وما أرى هذا التحديد دقيقاً ، فقد كانت الإمارة تمتدُّ إلى حدود الكويت شمالا وإلى الدهناء غرباً ، وتتجاوز شبه جزيرة قطر جنوباً .

ولعل الشيخ ابن عبد القادر يقصد مُسَمَّى (الأحْسَاء) .

أحْسَاءُ بني سَعْد :

يفهم من نصوص متقدمي العلماء التي تقدم بعضها أن الأحساء التي أصبحت مدينة ، وقاعدة لهذه البلاد كانت تعرف باسم أحساء بني سعد ، ولمَّ هؤلاء من بني تميم ، ففي كتاب « صفة جزيرة العرب »[1] للغدة الأصبهاني – وهو من أهل القرن الثالث – مانصه : (ثم ترجع إلى البحرين ، فالأحساءُ منازل ودور لبني تميم ثم لبني سعد من بني تميم ، وكان سوقها على كثيب يُسَمَّى الجرعاء ، تتبايع عليه العرب) وذكر قبل ذلك أن مدينة البحرين العظمى هجر ، وأنَّها سوق بني محارب من عبد القيس

وتقدم قول الأزهري أن أحساء بني سعد هي دار القرامطة – في عهده – فهل بنو سَعْد كانوا مخالطين لقبيلة بني عبدالقيس المنتشرة في هذه البلاد ، في جانبها القريب من البحر من القطيف إلى العُقَيْر ؟ مفهوم كلام المتقدمين يدلُّ على هذا ، ولكنني لاأكاد أطمئن إليه ، وإن كُنْتُ أعلم أن بني تميم – وخاصة بني سعد – تحل جوانب كثيرة وواسعة بقرب الأحساء ، مثل يبرين والحن والستار (وادي المياه) وغيرها . ولكن كيف تتوسط في بلاد عبد القيس فتنزل (الأحساء) المجاورة . لقاعدة تلك البلاد (هجر) ؟ .

لاشكَّ أن بني سعد كانوا أثرى عدداً وأقوى من بني عبد القيس الذين كانوا عند ظهور الإسلام قد تحضَّروا وسكنوا القرى ، بخلاف بني سعد الذين لا يزال أكثرهم على بدواته ، وكانت لهم السيطرة على أوسع منطقة في هذه البلاد كما تقدم في قول صاحب « بلاد العرب »[2] عن هذه القبيلة : أقصاها يبرين ، ثم هم متصلون إلى

---

(١) : ٢٨١ .
(٢) ٢٤٣ .

الأحساء . والأحساءُ من هجر على ميلين – ثم وصف بلادهم وعدد أسماءها إلى كاظمة (شمال الكويت) وقال : وهم متّصلون إلى ستّوان ، منْ يَبْرين . وعَرْضُهُمْ من البحرين إلى الدهناء . انتهى .

وإذَنْ : فأحساءُ بني سعد هي التي عرفت فيما بعد بأحساء القرامطة .

أحْسَاءُ خِرْشَاف :

قال في « المشترك » : أحساءُ خرشاف بالبيضاء من بلاد جَذِيمة ، على سيف البحرين .

وسيأتي زيادة إيضاح في الكلام على خرشاف وبنو جذيمة هؤلاء من عبد القيس ، وإليهم تضاف البيضاء – كما سيأتي – وهي الأرض الممتدة بامتداد الساحل فيما بين الجبيل والعُقَير ، غرب واحة القطيف ، وشرق واحة الحساء وشمالها .

أحْسَاءُ هَجَر :

بالاضافة إلى هَجَر البلدة التي كانت قاعدة بلاد البحرين ، قبل القرامطة . وهذه الأحساءُ هي أحساءُ بني سعد ، ثم أحساءُ القرامطة – كما جاء في صاحب « بلاد العرب » : منبر الأحساءِ أحساءِ هَجَرٍ يدعى عليه لصاحب اليمامة وواليها من قِبَلِ عاملِ اليمامة . وذكر قبل هذا أن جابي اليمامة يجي بالبحرين .

oooooo

الجواهر المُعَدَّة

— ٤ —

ومنها : أن الله تعالى جعل أكثر رِزْقِ أهل الحَرَم من جِهتَيها ، فتراهم ينظرون[1] ويتطلعون ما يقبل من جهتها .

ومنها : أن الله تعالى جعل سُقْيَا أهلها من ماء السماء وبركاتها وليس بها بِئْرَ ولا نهر عَذْبٌ غير المطر ، ولهذا تراهم غالبا في ضيق من الماء حتى أن بعض الفضلاء هَجَا أهلها نظرا لبعض الميل ، وبعض المنكرات للاتعاظ والاستيقاظ فقال :

يَمُرُّ السَّحابُ علىَ جُــــدَّةٍ ... بِمَاءٍ مَعِيْنٍ مِنَ الْمُعْصِرَاتِ
يُرِيْدُ الْهُبُوطَ فَلاَ يَسْتَطِيعُ[1] ... لِمَا حَلَّ فِيهْا مِنَ الْمُنْكَرَاتِ

ولقد شَطَّرْتُ هذين البيتين مع تذييل زائد :

يَمُرُّ السحاب على جــــدة ... لَعَلَّ يكون بها الاقْتِوَاتِ
فــلا يمطــرن ولا يسمحَنْ ... وماء مَعِيْنٍ مــن المُعْصرات
يريـــد الهبوط فلا يستطع[2] ... لقول إلَهِنَــا في المحكمـات
لِما حَلَّ فِيْهَا مِنَ المُنْكَرَات ... ولو أن هل القُرَى اتَّقَوْا
فَلاَ تَعْبَــأن بأحْــوَالِهِمْ ... ولاَ تَأمَنَنَّ لِتِلْكَ الجِهَـــات
فَيَا أهْلَ جُدَّةَ تُوْبُوا قَرِيْبًا ... لَعَلَّ يُصِيْبُهَا مَاءُ الفُــرَات

---

(١) في الأصل (ينظرو) .
(٢) الصواب (يستطيع) ولكن المؤلف لا يتقيد بالقواعد النحوية ، لضعفه فيها .

وقد قلت في ذلك مادحا لماء المطر وما هنالك فقلت أيضاً :

إنْ رُمْتَ إدْرَاكَ السَّعَادَةِ والمُنَا ... وَأَرَدتَ إلقاء القساوة ... [1]

فَعليك بالمـاء القراح بجـدة ... مـاء السماء وأنسه المستوطنـا

واشْرَبْ هَنيئاً سَيُبْدِي لك بالشفا ... مع صح عافية تقيلـك مـن ...

واطْرب على شجن البحار بحيّها ... تلقى سرورا في حبـور . . .

وأما أسواقها فأولها واعلاها سوق النَّدَا وسُمِّيَ به لنداوة ما يراد منه ؛ ووجوده فيه وتَطَرِيه وفيه يقول الفاضل الأريب ، والجهيد الكامل الكاتب الاديب الشيخ محمد القفطنجي حفظه الله :

سوق النَّدَا مـا أَلْطَفَـهْ ... يا حُسْنَهُ زَايِدْ كَمَـالْ

رُمْتُ الذَّهَابَ فَتجزْتُـه ... فَوَقَعْتُ فِي شَرَكِ الْجَمَالْ

ولقد شَطَّرْتُ هَذَيْنِ البيتين فقلت أيضاً :

سُوقُ النَّدَا مـا أَلْطَفَـهْ ... يُشْفَى بِهِ الـدَّاءُ الْعُضَالْ

إنْ رُمْتَ قَطْفَ غُصُونِـهِ ... يا حُسْنَهُ زايدْ كَمَـالْ

رُمْتُ الذَّهَـابَ فَتجزْتُـهُ ... مِنْ أجْلِ خَشْفٍ كالْهِلاَلْ

وَوَقَفْـتُ أَنْظُرُ بَدْرَهُ ... فَوَقَعْتُ فِي شَرَكِ الْجَمَالْ

أقول : وهو سوق مستطيل ، في غاية اللطافة ، وبه بعض أحوشَةِ التجار وغيرهم وأنواع الأقمشة والأطعمة .

وكذا سوق الجامع وسمي باسم الجامع المعروف بمسجد الشافعي وهو من المساجد

---

(٣) لم تظهر قوافي الأبيات الثلاثة في النسخة المصورة ، وليت كل الهذيان الذي سماه المؤلف شعراً اختفى أيضاً . ولولا المحافظة على الأصل بمقتضى الأمانة العلمية لكان حذفه أولى ، ولكنه يصور مظهراً من مظاهر ضعف اللغة لدى بعض أدباء هذه البلاد في ذلك العصر .

الشهيرة القديمة ، وهذا السوق تقابله وأنتَ داخلٌ من باب مكة ، على جهة اليمين يسيرا ، مستطيل أيضاً وفيه يقول الشاعر :

وَبِسوق جامعِنا اللَّطِيفِ تَزَخرفَتَ أَرُجَاؤُهُ بحمامة وقمـاريــا
من كل غانية حوراء قاتلـه بالأُنسِ فاتكـة تشير لِثالِيًا
الدر منحدر والبحر منفـرق في وسطه زهج في عرفه عليه كماليا

وقلت فيه أيضاً :

عجبا لسوق الجامـع ولأُنسِه المتجامـع
يحويــه كل لطيفـة مع كل حلو خالع
الله معلم انّي اهــوى لقـاء الجامع

ومنها سوق البُنْط ، وهو سوق ظريف مجمع الصيارف ، وفيه يباع السمك الطريّ والتمر الصفري المُلَيّفَ وانواع سُبَحِ البُسْرِ والنُّقْلِ وغير ذلك ، وبحذائه خان صغير بسقيفة ، يوصل لِسُوق الحَرّاج ، وفيه قال الشاعر :

البُنْطُ سوقٌ لطيفٌ مُحَرِّكٌ لِلسَّواكِنْ
الأَصْل فيه ظريفٌ والأُنس فيه مَسَاكِنْ
عند العوام خريف والحوت فيه رواكن
والتمر فيه منيف نحو الصيارف ساكنْ
يغديك منـه رغيف بلين البطـن لكن
يكون معك حريف يأخذ ويعطى بواطن ؟ !

والحاصل أن هذا السوق في أيام الموسم يكون في الازدحام الغاية مع كثرة الحجاج ومنها سوق بَرَّهْ – أي خارج البلد – وهو خارج باب مكة ، وهو سوق طريف محتوى على أَبْنِيَةٍ ودكاكين ، وسمى بذلك لكونه خارج البلد وفيه يقول الشاعر :

ولسوق (بَرًّا) أرجوبِرًّا دائما يزكو وينمو بره المتــواترُ

لله در السوق في غسق الضحى (؟) دوما دواما نشره المتكاثر
من نحو مكة سوق جدة قد غدى يا حسنه يا أنسه المتناثر

ومنها سوق الخاسكية ، وهي شقايق نفيسة ، وأحوال زكية ، منيسة ، قد تحلى عليها القبول . وتدوامت[1] الوصول والفصول وفيها يقول الشاعر :

(خاسكية) بجدة منعمة جلاسها كروضها فأنعم
وسوقها مزخرف منبسط ارجاؤه مزخرف بالنعم

كيف لا ولأجل مكة شرفت جدة ، والفرع تابع لأصله ، وقد تشرفت مجامع جدة لمكة . ولازالت مواسم المجد لذكرها متجمله ، ومباسم البلاغة بشفاه فرائدها مُقَبَّلَةً . وقُبَلُ الفصاحة بوجوه قلائدها مُسْتَقْبَلَةً ، لا يعرف لها مقتضيا ، ولايعلم لها مستوجبا ، الاما اشتهر بين الحاضر والبادى ، حتّى أذاعها الولي وأذعن لها المعادى ، من ايثارها الخير بعد اختيارها ، وإيلاء الصنايع إلى مستحقها ، ولا زالت نسيم بوارق مآثرها التي راقت ، وبرود حدائق مفاخرها التي فاقت ، شمول إحسانها المسفر عن فلق الصبّاح ، ما استنفد شكرها واستغرق وسعها . وفي فلك بدرها أقول :

يا شمسُ جدة حدثني ترى عجب ؟ مما جناني وناجى البحر من فلقه .

وأما أحوِ شتها المحتوية على قصور عوالى ، ومرافق ومراجع ومجالس ، وغير ذلك فهي لا تحصر ، وتكاد مع عظمها يمصر[2] .

فمن أكبرها وأعظمها الحوش المعروف بحوش الشريف وهو قريب من البُنْطَ بناه مولانا الشريف عبد الله بن المرحوم مولانا الشريف محمد بن عَوْن أمير مكة والحجاز ، وهو مُعَدٌّ للحجاج والتجار ، مشتمل على مَحَلاّتٍ على نفيسة ، وقصور عوالي ، رئيسة .

---

(١) لعلها : (وتداومت) .
(٢) كذا ولعل الصواب (تشبه بمصر) .

وقال الأديبُ محمد افندي الساعاتي مؤرخا هذا الحوش .

خَيْرُ البِنَاء الذي عَمَّتْ منافعُهُ كُلَّ البَرِيَّةِ مِنْ نَاءٍ وَمِــنْ داني
كالرَّوْضِ قَدْ سَجَعَتْ وُرْقُ الوُفُودبه كَأَنَّها طَرَباً تُثْنِي عَلَى البَانِي
العَبْدَ لِيِّ الذي [1]
بِتاجِ دَوْلَتِهِ الإقْبَالُ أَرَّخَهُ : (أقَامَ هَذَا ابْنُ عَوْنٍ مَلْجَأَ العَانِي)

ومنها حوش مثقال وهو لأحد خواص الشريف غالب أمير الحجاز سابقاً .

ومنها حوش الدولة ، ومنها حوش أبو اليُسْر ، وحوش الصالحه وحوش عُكاش وحوش النخله .

وجملة أحواشها تنوف على مئة حوش مشتملة على قصور وبيوت مرونقة وأكشاك على البحر من أنفسها كشك حوش الشرايبي ، فهي نفيسةٌ أنيسَةٌ ، وفيها يقول الشاعر :

احـــواش جـــدة زخرفت لمـــا رأتْ جُـــلاَّسهـــا
قـــد رقت اذهـــا[2] لمـــا صفت انفـــاسهـــا

وأمَّا المساجد فأشهرها مسجد الشافعي ذكرا بن جبير في رحلته أنه رأى بجدة مسجدين ينسبان إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه احدهما يقال له مسجد الأبنوس وهو معروف والآخر غير معروف أقول ولعله الذي يقال له الآن مسجد الشافعي انتهى .

ومنها مسجد عكاش وهو من مساجد جدة القديمة وهذا المسجد هو الشهير بقول الغزالي في « الإحْيَاء » في (باب السماع) والامام عز الدين بن عبد السلام في كتابه « حل الرموز ومفاتيح الكنوز » عن طاهر بن بلبل الهمداني رحمه الله قال :

---

(١) البيت غير واضح في النسخة المصورة .
(٢) أصبع المصور غطت بقية الكلمة ولعلها) أذهانها .

وكان من أهل العلم والفضل أنه قال كنت معتكفا في جامع جدة على البحر فرأيت طائفة تقول في جانبي قولا ويستمعون فأنكرت عليهم بقلبي وقلت : في بيت من بيوت الله يقولون الشعر ؟ ! قال : فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية أي ناحية المسجد المذكور بجدة ، وإلى جانبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وإذا أبو بكر يقول شيْئاً من السماع ، والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع منه ويُصْغِي ويضع يده على صدره كالمتواجد فقلت في نفسي : ماكان ينبغي لي أنْ أنكر على هؤلاء القوم الذين كانوا يسمعون فالتفت إليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : هذا حَقٌ بِحَقٍّ أو قال : حَقّاً مِنْ حَقٍّ شَكٌ من الراوي انتهى .

ومنها مسجد الحنفي وهو قريب من قصبة الهنود ، وهو مسجد عظيم الفضل من المساجد القديمة أيضاً تقام فيه الجمعة والجماعة .

ومنها مسجد سيدنا عثمان بن عفان جهة القلعة أقول : ولعله المذكور في قول ابن جبير بمسجد الابنوس .

وكذا مسجد الباشا ، ومسجد المغربي جهة باب مكة ، ومسجد المعمار وهو مسجد لطيف تقام فيه الجمعة أيضاً ، ومسجد الحضارم وهو جهة سوق النَّدا وغير ذلك .

واما الزوايا(١) فهي تنوف عن المئة منها زاوية السادة الشاذلية نفعنا الله بهم . بحارة اليمن ، بناها العارف بالله تعالى شيخنا السيد محمد بن محمد الفاسي الشاذلي

---

(١) معروف موقف علماء المسلمين المحققين من الزوايا ومن أصحاب الزوايا ، فقد ابتلي المسلمون بطائفة من هاؤلاء انتسبوا للتصوف وهم على جانب عظيم من جهل أصول الاسلام ، وعن طريق هاؤلاء وأمثالهم انتشرت البدع والخرافات .

وقد طهر الله – وله الحمد – بلادنا – من هذه الزوايا ، ومن جميع ما ابتدعه أهلها في الدين .

والغاية من دراسة التاريخ العظة والاعتبار ، وهذا مما يدفع إلى نشر أمثال هذه الكتب على ما فيها للاتعاظ والعبرة ، وإدراك ما أنعم الله به علينا من نعمة أعظمها السلامة من البدع والخرافات .

المغربي ، في سنة تسع وسبعين تَمَّ بناؤها وهي وراء القشلة من جهة البحر يذكر فيه الله تعالى وهو مجمع للفقراء الصادقين ، والاولياء العارفين ، نفعنا الله بهم اجمعين .

وفي سنة ثمانين زيد فيها البناء والاتقان فأرسل إليها شمس الاقران العالم العامل الأخ في الله سيدي محمد بن الفاضل العلامة سيدى الشيخ محمد العزب الشافعي المدني عالم المدينة المنورة تاريخاً يقول فيه :

إن جَنَّ ليلُ الحادثات وعسعسا … والقلب من رَيْنِ المعاصي قد قسا
وعجزت عن إصلاحه وعلاجه … وتزايد الوجد الشديد مع الأسا
فانهض إلى غوث الانام المتقي … فَيُرشده صبح الفلاح تنفّسَا
هو شيخنا الفاسي محمد من سما … طوبى لمن يسبيْ سيرته انتسا
قطب الورى للشاذليّ خليفة … يحكى البدور إذا الدُّجا قد اغلسا
لا غَرْوَ جَمع الجمع بعض صفاته … فمقامه في الحضرتين تقدسا
شمس العوارف والحقيقة والهدى … قد شاد رَبْعاً بالمعارف أنفسا
وبه زوايا العارفين تعمرت … يكفيك زاوية بها قد غرسا
فلقد كستها حُلَّةٌ أسراره … فتكاملت أنعِمْ بذلك مِنْ كسا
فأمُمْ رُبَاها والتمس لي دعوةً … فَعَسَى بها يحيا الفواد عَسَى ! !
وَعُبَيْدُكُمْ نَجْلُ الملقّبِالْعزَبْ … يرجو يكون بِذِكْرِها مُتَأنِّسا
أنَّى لَهُ أنْ يستطيع مُؤرِّخاً : … (وعلى التُّقى بنيانها تأسّسَا)

$= ١٠٧ + ٥٣٢ + ١١٩ + ٥٢٢ = ١٢٨٠$

ثاج

إحدى المدن الأثرية

ثَاجُ – بالفتح فألِفٌ فَجِيمٌ – : وقد تُهْمَزُ الألِفُ ، وهذا ناشِيءٌ عن اختلاف اللغويين في مصدره . فبعضهم أورده في (ثَأَجَ) وبعضهم في (ثَوَجَ) ويظهر أنَّ الكلمة قَدِيمَةٌ مثل (فَيْد) و (فَدَك) ومحاولة ربطها بأصول الكلمات العربية المعروفة لا توصل إلى رأي قاطِع .

ويلاحظ أنَّ بعض سكان تلك الجهة يبدلون الثاء فاءً في كثير من الكلمات ولهذا فمنهم من يقول : (فاج) .

جاء في كتاب « المُفَضَّليات » من قصيدة لراشد بن شهاب اليشكُرِيِّ :

بَنَيْتُ بِثَاجٍ مَجْدَلاً مِنْ حِجَارَةٍ ... لأَجْعَلَهُ عِزًّا عَلَى رَغْمِ مَنْ رَغِمْ
أَشَمَّ طُوَالاً يَدْحَضُ الطَّيْرُ دُونَهُ ... لَهُ جَنْدَلٌ مِمَّا أَعَدَّتْ لَهُ إِرَمْ
وَيَأْوِي إِلَيْهِ المُسْتَجِيرُ مِنَ الرَّدَى ... وَيَأْوِي إِلَيْهِ المُسْتَعِيضُ مِنَ العَدَمْ

والمِجْدَلُ – على ما في كتب اللُّغَةِ – : القَصْرُ المُشْرِفُ المُحْكَمِ البِناء . قال الأعْشَى :

فِي مِجْدَلٍ شُيِّدَ بُنْيَانُهُ ... يَزِلُّ عَنْهُ ظُفُرُ الطَّائِرِ

وجَمْعُهُ مَجادِلُ قال الكُمَيْتُ :

كَسَوْتَ العِلاَفِيَّاتِ هُوجاً كأنَّها
مَجَادِلُ شَدَّ الرَّاصِفُونَ اجْتِدَالَهَا[1]

(١) « لسان العرب » – جدل –

فالشاعر اليشكريُّ يصف قصرهُ في ثاج بالطول والقوَّة والامتناع ، ، وأنه بُنِيَ من صَخْرٍ قَدْ هُيِّئَ وأُصْلِحَ من عهد إرَمٍ — وهي قبيلةٌ من عادٍ — والعرب ينسبون كلَّ قديم إلى عادٍ . فهو على زعم الشاعر قد شُيِّدَ من حجارة كانت قد أُعِدَّتْ للبناء في عصور أقدم من عصر إنشائه ، مما يدلُّ على أن هذا الحصْنَ شُيِّدَ على آثار عُمْرَانٍ قديمٍ وفي « النقائض[1] » في شرح قول الفرزدق :

وَلَوْلاَ حَيَاءٌ زِدْتُ رَأْسَكَ هَزْمَةً إِذَا سُبِرَتْ ظَلَّتْ جَوَانِبُهَا تَغْلِي
بَعِيدَةُ أَطْرَافِ الصُّدُوعِ كَأَنَّهَا رَكِيَّةُ لُقْمَانَ الشَّبِيهَةُ بِالدَّحْلِ

رَكِيَّةُ لُقْمَانَ بثَاجٍ ، وهي مَطْوِيَّةٌ بحجارةٍ ، الحجر أكثر من ذراعين .

وثَاجُ أطرافُ البحرين ، وخَرَاجُهَا إلى اليمامة . كانت لبني قيس بن ثعلبة ، ولعنزة فكانوا مُتَعَادِينَ فيها ؛ بائنٌ بعضُهُمْ من بعض ، لهاؤلاء مسجد يجتمعون فيه ، ولهاؤلاء مسجد يجتمعون فيه .

والدحلان : خُرُوقٌ في روض وغيطان من البلاد ، يذهب فيها الرجل عامَّةَ يومه ، وقد يُوجد في الدحل الواسع الشجَرُ والغَضَا . انتهى .

وفي « معجم البلدان » : ركيَّةُ لُقْمانَ — هو لُقْمَانُ بن عادٍ ، وهي رَكِيَّةٌ بثاج ، قريب من البَحْرَيْنِ ، بين البَحْرَيْن وَاليَمَامَةِ ، كانت لبني قَيْس بن ثَعْلَبَةَ ، ولِعَنَزَةَ فَغَلَبَتْ عليها بنو سعد — ثم أورد الوصف والشعر — وقال ذو الرُّمَّة : — في وصف حُمُرٍ وَحْشِيَّةٍ[2] : —

على ذَرْوَةِ الصُّلْبِ الَّذِي وَاجَهَ المِعَا سَوَاخِطَ من بَعْدِ الرِّضَا لِلْمَرَاتِعِ
فَلَمَّا رَأَيْنَ اللَّيلَ والشَّمْسُ حَيَّةٌ حَيَاةَ الذَّي يَقْضِي حُشَاشَةَ نَازِعِ
نَحَاهَا لِثَاجٍ نَحْوَةً ثُمَّ إِنَّهُ تَوَخَّى بِهَا العَيْنَيْنِ عَيْنَيْ مُتَالِعِ

نحاها : انصرف بها : نَحْوَةً : أي صرفَهَا صَرْفَةً

---

(١) ص : ١٣٠ .
(٢) ديوان ذى الرمة : ٨٠٢ .

وفي ثاج مات مالك بن مِسْمَع سنة ٩٣ وهو من أشراف أهْل البصرة ورؤساء رَبيعةَ ورثاه جرير وغيره . وكان التجأ إلى نجدة بن عامر الحنفي اليمامي الذي كان مسيطرا على الأحساء واليمامة في ذلك العهد ، فأكرمه ووهب له مئة من الإبل ، وكان التجاؤه سنةَ سبعين بعد هزيمته في وقعة الجفرة . من قبل جيش مصعب بن الزبير ، وكان مالك من شيعة عبد الملك بن مروان[١] .

وفي كتاب « المناسك[٢] » : فإذا خرَجْتَ من البصرة تريد البحرين فأولُ مَدينةٍ تدخُلُها مِنبَرٌ بِثَاج ، على أربعة عشر مرحلة ، ساكنها بنو سعد بْنِ زَيد مناة بن تميم . انتهى .

وفي كتاب « بلاد العرب »[٣] : — السِّتَارُ ، وفيه أكثر من مئة قرية ، لأفنَاء سَعْدٍ . والقَيْس بن زَيْدٍ . ومن قراها ثَاجُ ، وبها سُوقٌ . قال ذو الرُّمَّة :

نَحاهَا لِثَاجٍ نَحيَةً[٤] ثُمَّ إنَّهُ تَوَخَّى بِهَا العَيْنَيْنِ عَيْنَيْ مُتَالِعِ

وفي « صفة جزيرة العرب[٥] » : وثاج ومتالع ماءانِ ، كُلٌ هذه لتميم . انتهى .

وقال الأزهريُّ في « التهذيب[٦] » : وثَاجُ قرية في أعراض البحرين ، فيها نخل زَيْنٌ ، انتهى .

وفي « معجم البلدان » : ثاج : بالجيم ، قال الغوريُّ يُهمَز ولا يهمز : عَيْنٌ من البحرين على ليال ، وقال محمد بن ادريس اليماميُّ : ثاجُ قرية بالبحرين .

---

(١) انظر « ديوان جرير » : ٤٩٩ و « النقائض » ٧٤٩ ١٠٩١ و « معجم البلدان » رسم (الجفرة).
(٢) ص ٦٢٠ .
(٣) : ٣٤٥ .
(٤) في ديوانه و « معجم البلدان » » و « معجم ما أستعجم » : نحوة .
(٥) : ٣٣٣ .
(٦) : ١١ / ١٧٠ .

قال : وَمَرَّ تَمِيمٌ بنُ أُبَيِّ بْنِ مقبِل العَجْلانيُّ بِثاجٍ على امرأتَيْنِ فاستسقاهما فأخرجتَا إليه لبَناً . فلما رآتاه أعْور أبتا أن تَسْقِياه ، فقال :

يا جارتَيَّ ، على ثاجٍ سَبِيلُكُمَا سَيْراً شَدِيداً ، ألمَّا تعْلَمَا خبَرِي؟
إنِّي أُقَيِّدُ بِالمَأْثُورِ رَاحِلَتِي ولا أُبالِي وَلَوْ كُنَّا علَى سَفَرِ[1]

فلما سمع أبوهما قوله قال : ارْجِعْ مَعِيْ إليهما ، فرجع معه ، فأخرجهما إليه وقال : خُذْ بِيَدِ أيَّتِهِمَا شِئْتَ ، فاختار إحداهما ، فزوجه منها ثم قال له : أقِمْ عندي إلى العَشِيِّ ، فلما وَرَدَتْ إبِلُهُ قَسَمَهَا نِصْفَيْنِ فقال له :

خُذْ أيَّ النِّصْفَيْنِ شِئْتَ ، فاختار ابنُ مُقْبِلٍ أحَدَ النِّصْفَيْنِ فذهب إلى أهْلِهِ ، وقال شاعر آخر :

دَعَاهُنَّ مِنْ ثَاجٍ فَأَزْمَعْنَ رِحْلَةً ويروي : وِرْدَهُ ، وقال آخر :

وأنْتَ بِثاجٍ ماتُميرُ ومَا تُحْلِي

وفي « معجم ما استعجم » : ثاجُ – بالجيم على تمثال تاج – قال أبو عُبَيْدة : هو ماءٌ لبني الفَزَعِ من خَثْعَمَ من مياه بِيشَةَ . قال تَمِيمُ – واورد شعره –

وأورد بيت ذي الرُّمَّةِ وقال الأصمعي : ثاج بناحية اليمامة ، وأنشد الراشد بن شهاب اليشكريّ[2] : – البيت المتقدم .

وقال كراع : ثاج قرية بالبحرين . انتهى .

---

(١) أوردها الصغاني في « التكملة » : ١ / ٤٠٦ – بعد قوله : ثأج – بالفتح قرية بالبحرين ، فيها نخل قال ابن مقبل ثم أوردها . وهما في ديوانه ص : ٧٧ .

(٢) يشكر بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة .

من النصوص القديمة يتَّضِحُ :

١ – أن ثاجاً من المواضع الموغلة في القدم ، فاسمه – مع قدمه وذكر اللغويين له غريب كأسماء كثير من المواضع القديمة ، وكذا نسبة إحدى آباره إلى لقمان بن عادٍ ، وقول راشد بن شهاب عن حجارة قصره أنها من آثار إرم .

وقد أثبتت الآثار التي وجدت في عصرنا صحة قدم ثاج – كما سيأتي تفصيل هذا فيما بعد .

٢ – كانت ثاج إبَّانَ ظهور الإسلام ، وما حولها من منازل فروع من قبيلة ربيعة من عنزة ومن بني بكر بن وائل ، ومن غيرهم من فروع ربيعة .

كما يفهم من قصيدة راشد وهو من بني يشكر بن علي بن بكر بن وائل ، وكما في كلام صاحب « النقائض » أن من أهلها بني قيس بن ثعلبة – بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

وهذا يُفَسِّرُ لنا التجاء مالك بن مسمع إلى هذه البلاد في القرن الأول الهجري ، فمالك هذا من بكر بن وائل ، كما أنَّ نَجْدَةَ من بني حنيفة وهم من بَكْرٍ أيضاً .

٣ – ثم بدأت المناوشات بين بني تميم وبين سكان هذه الجهات من ربيعة منذ ذلك العهد حتى انتهت بتغلُّبِ بني تميم على البلاد ونزوح بطون ربيعة إلى أرياف العراق ، فانتشرت بطون تميم مكانها في وادي السِّتارِ (وادي المياه الآن) الذي تقع فيه بلدة ثاج وفيما حوله من المواضع إلى فَلْجٍ (وادي الباطن) شمالاً حيث حلت في الوادي بطون من بني تميم في صدر الإسلام ، مع احتمال بقاء أناس من ربيعة متحضرين في القرى كثاج وغيره ممن لا ترهب سطوتهم .

٤ – ونجد بلدة ثاج في منتصف القرن الثالث الهجري تُعَدُّ منْ مُدُنِ البَحْرين كما في كلام صاحب « المناسك » فذكر أنها مِنْبَرٌ [1] ، والمتقدمون يعنون بهذا القول

(١) وعده رابع بلدة في هذه المنطقة – فيها منبر : ثاج وهجر وجبلة والمقير (ص ٦٢٠) .

أنها بلدة تُصَلّي فيها الجمعة ، وليست بلدة صغيرة كما أنْ صاحب « بلاد العرب » وقد ذكر أن في السِتّار أكثر من مئة قرية بدأ بثاج ، باعتبارها أهم تلك القرى، ويلاحظ أن كلمة قرية تطلق على المدينة كما في القرآن الكريم حيث سُميّت مكة (قرية) .

٥ — ولوقوع ثاج في وادي السِّتَار وُصِفَ الموضعُ بجودة النخل . فالأرض صالحة ، والمياه غزيرة ، وهي عيون سائحة على وجه الأرض .

٦ — وقول الأصمعي — فيما نقله عنه البكرى — عن ثاج أنه بناحية اليمامة ، يُفَسّره ما جاء في « النقائض » أنّ خَرّاجها إلى اليمامة ، وليس المقصود قربها من اليمامة .

٧ — أما القصّةُ التي أوردها البكري وياقوت عن الشاعر تَميم بن أبَيّ بن مُقْبِل العامريّ ، فأكاد أجزم بأنها لا تتعلق بثاج الواقع في البحرين ، لأمور : منها أن الرجل من بني عامر ، وهاؤلاء كانوا في ذلك العهد من أعْداء بني تميم ، الذين أصبح ثاج من بلادهم .

ومنها : أن القصة تذكر أنّ تميما استَسْقَى الجاريتين ماءً . وموقع ثاج هذا بَيْنَ عُيُوْنٍ جارية لا يحتاج أحَدٌ معها أن يستقِي الماء ، فليس في صحراء ومنها : أنّ أبَا الجاريتين صاحب إبِلٍ وردت عليه في ذلك الموضع ، وثاج في ذلك العَهد بلدةٌ معمورة ، وليس مَنْهَلاً لورود الابل .

ولهذا فينبغي أنْ يكون المقصود بثاج في خبر الشاعر الموضع الذي ذكر البكري أنه في بلاد الْفَزَعَ من خَثْعم ، وهاؤلاء لا يزالون معروفين ، في بلادهم القديمة الواقعة جنوب المملكة فيما بين بِيْشَة وبلاد عَسِيْر ، وتلك البلاد هي المجاورة لبلاد بني عامر من الجنوب ، حيث تجاور بطونٌ منهم بطونا من خَثْعَم وجيرانهم في وادي بِيْشَة .

٨ – ولشهرة ثاج القديمة نجد ياقوتا في « معجم البلدان » يورب تحديداً لبعض المواضع بالنسبة لصلحها بثاج ، مثل : البيضاء والنّـقيرة . ولا شكّ أنه نقل ذلك عن مصادر سابقة لعهده .

٩ – ويُلاحظ أنّ جميع النصوص المتقدمة ترجع إلى أول القرن الرابع فما قبله وليس للبكريّ ولا لياقوت – وهما متأخران عن ذلك العهد – إلا مُجرّد النّقل .

ومنذ القرن الرابع الهجري إلى منتصف القرن الثّاني عشر الهجري يكاد الباحثُ ييأسُ من العثور على مصادر تُضيف جديداً في ميدان البحث الجغرافيّ المتعلق بأيّ موضع من المواضع المشهورة في قلب جزيرة العرب ، فَضْلاً عن غير المشهورة .

وجاء في « شرح ديوان ابن مقرّب » :

مِنّا الّذي حَازَ مِنْ ثَاجٍ إلى قَطَرٍ وصَيّرَ الرّمْلَ مِنْ مَالِ العَدُوِّ حِمَى

ثاجُ وقَطَرُ والرّمل أمكنة معروفة ، وكان الأمير فضل قد حماها من أن تُرْعَى .
انتهى .

وفي القرن الثالث عشر الهجري كانت قبيلة بني خالد – التي هي خليط من القبائل العربية التي تحل هذه الجهات منذ العهد القديم – قد بدأها الضعف فهاجرت فروع منها إلى العراق ، وتحضرت فروع أخرى ، فانتقلت قبائل أخرى إلى هذه الجهات ، وحَلّتْ في بلاد بني خالد ، ومن تلك القبائل العُجْمان ، والعوازم وهاؤلاء جَاوَرُوا العجمان ، وعاشوا في كَنَفِهم .

وعند بَدْء تأسيس الهُجَر في أول عهد الملك عبد العزيز – رحمه الله – اتّخَذَ العوازم منهل ثاجٍ هجرةً لهم ، سنة ١٣٣٦ هي والحِنّاة (الحناءة) وعُتَيِّقُ (عُتَيِد قَدِيماً) والحِسيُّ ، ولكن الدوافع للاستقرار في الهُجَر لَدَى البادية – بصفة عامّة – ما كان قَوياً ، كما أنّ تلك الدّوافع بدأت تَضْعُفُ بعد

استقرار الحكم للملك عبد العزيز بانتصاره في وقعة (السَّبَلة) سنة ١٣٤٧ فبدأ كثير من أصحاب الهُجَر يعودون إلى حياة البادية ، ومنهم العوازم ، أهل هجرة ثاج .

ولكن منذ نحو عشر سنوات عادت الحياة إلى الهجر ، وتهافتت البادية إلى مياهها القديمة ، توجد حولها من وسائل الاستقرار ما يجعلها تُعَدُّ بين القُرىَ التي توليها الدولة صُنُوفاً من الرعاية ، ممثلة في انشاء المرافق العامة وبناء المدارس والمساجد والمستوصفات ، وتسجيل السكان المحتاجين ليشملهم (الضمان الجماعي) .

فكان أهل ثاج ممن عاد إلى هجرتهم ، وهي الآن — كما شاهدتها في شهر رجب سنة ١٣٩٨ قرية فيها بيوت قليلة ، ومسجد بناؤه قديم ، وبستان فيه نُخَيْلات وأشجار غير مُعْتَنّى بها .

وقيل لي إن السكان يقاربون ٣٠٠ نسمة وأنَّ المنازل نحو ٧٥ وبناؤها قديم وقد أمْلَى عَلَيَّ أحدهم أثناء القيلولة في تلك القرية ، في ظلال أشجار ذلك البستان :

يَا الرَّبْع أنَا فَاكِرٍ في نَخَلْ ثَاجْ   حَمْلِهْ كِثِيرْ وْجَارْهُمْ مايذُوْقِه[1]
عَلَّهْ ثَمَانِ سْنِينْ مَا فِيهْ دَوَّاجْ   كُوْدَ الْغرابِ يْسَوِيْالْعِشِ فَوْقِهْ[2]

ولقد قَسَا هذا الشاعر ، والله أرحم من أن يَستجيب دَعْوتَه ، ولقد عرض علينا بعض أهل القرية الضِّيافة ، ودعونا لتناول القهوة ، فاعتذرنا .

آثار ثاج : وجد بعض الغربيين أحجاراً فوقها كتابات قديمة بالخط المسند (الحروف الحميرية) وثاج — كان يقع على طريق الممتد من اليمن إلى مملكة الحيرة — في العراق .

---

(١) الربع : الرفقة . فاكر : متفكر .
(٢) عله : لعله . دواج : ماش ومتحرك .
كود : سوى . يسوي : يصلح . أي يدعو عليه بالخراب وبخلائه من كل ماش وأن يعشش فيه الغراب ، والغراب مأواه الخراب .

وقد جاء في كتاب « مقدمة عن الآثار[1] » ما نصه : وتقع ثاج حوالي ٨٠ ك غربي مدينة الجُبَيْل ، وهي اليوم عبارة عن قرية صغيرة ، على طرف السَّبخة المعروفة بسبخة ثاج . وقد أشارت البحوث التي قامت بها البعثة الدانمراكية عام ١٣٨٨ إلى أنّ حضارةً إنسانيّةً عريقة ، لا تزال رابضةً ، تحت خرائب تلك السَّبخَة ، تنتظر مكانها في دُنيَا الدراسات والبحث العلمي ، فيوجد بثاج مدينة متكاملة ، يحيط بها سور خارجي ضخم يبلغ طوله حوالي ٩٠٠ متر . ويرجع عصر بناء المدينة إلى الفترة الاغريقية المعروفة بالعصر السلوقي — حاضرتها سلوقيا في جنوب بغداد في العراق ويبدأ تاريخ هذا العصر عقب فتوحات الاسكندر المقدوني سنة ٣٣٠ قبل الميلاد .

وفي متحف إدارة الآثار توجد تسعة نقوش ضخمة عُثِر عليها بين خرائب ثاج . وقد كتبت بالمسند القديم ، ويعود تاريخها إلى أواسط الألف الأول قبل الميلاد .

وعندما جاء الإسلام كانت ثاج مُجَرَّدَ قريةٍ بعد أن انتقلت الحضارة والتجارة منها إلى هَجَر في الأحساء .

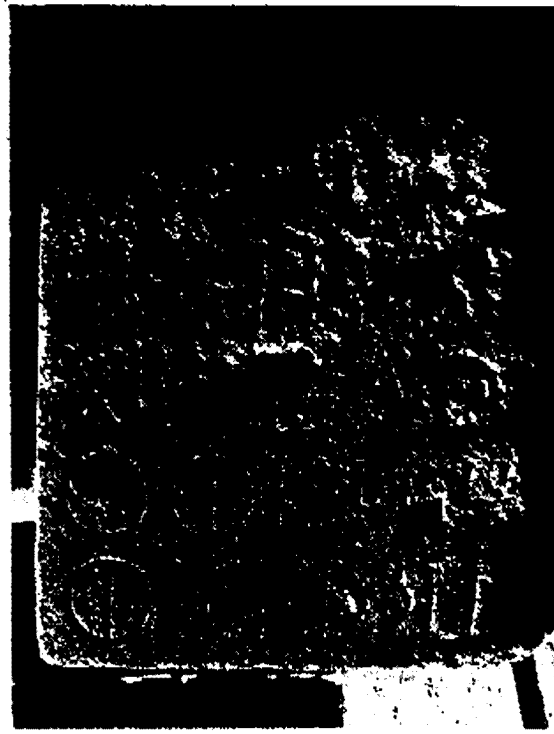
وقد نشر جيمس ماندفيل بحثا عن (ثاج) من الناحية الأثرية جاء فيه (*) : —

ومن الأماكن المهمة في المنطقة الشرقية الحالية من المملكة العربية السعودية (ثاج) وهي قرية تكاد تكون دارسة تقع على بعد ٩٥ كيلاً من الجبيل إلى الداخل .

إن وجود آثار مهمة في ثاج صار متوقعا منذ سنة ١٩٠٨ على الأقل عندما قدم أحد البدو العائدين للسلطات البريطانية في الكويت تقارير عن هذه الأرض Ainter Land التي لم تكتشف آثارها والكابتن (دبليو . إج . آي . شكسبير) وهو معتمد سياسي بريطاني من سنة ١٩٠٩ إلى سنة ١٩١٥ أكد تلك التقارير عندما مر بثاج والحناة في

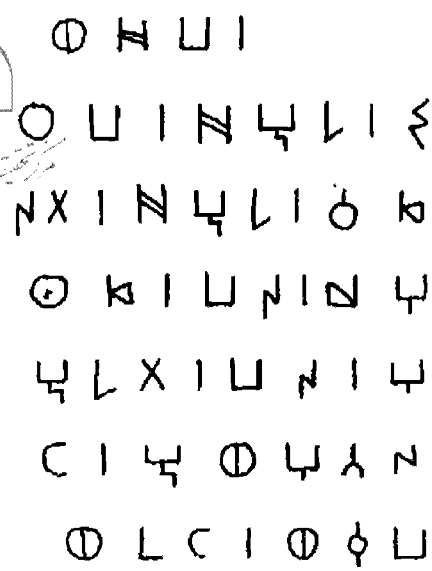
(١) ص : ٣٧ .

(*) عن مجلة Bulletin of the American Schools Research No. 172. De. 1963 ونشرته مجلة « العرب » ٢/٦٢٩ وقد عربه الاستاذ عبد الرزاق الريس .

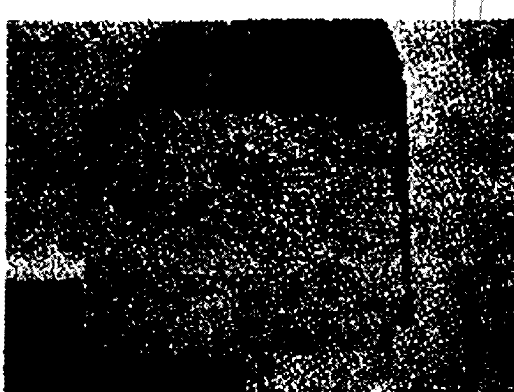


من آثار ثاج

حجر كان موضوعا على ضريح وفيه كتابة سبئية (حميرية) يتضح منها اسم صاحب القبر « عواد هنأت بنت يفعان » يعود تاريخها للقرن الخامس قبل الميلاد .



صورة منقولة بالقلم للكتابة التي عثر عليها (H. R. P. DICKSON) في « ثاج » ونشر عنها دراسة في كتابه : (the Arab of the Desert) .



حجر فوقه كتابات بالمسند (الخط الحميري) عثر عليه (H. R. P. DICKSON) في قرية ثاج ويقع الحجر على مسافة تقرب من عشرة أميال في الجنوب الشرقي من « الحنشاة » في « وادي المياه » المعروف قديما بوادي الستارين .

(صور لآثار ثاج)

سنة ١٩١١ في احدى رحلاته الاستكشافية المبكرة . وجد شكسبير نصبين حجرين من نصب المقابر في ثاج (أو في ثاج والحناة) محفور عليهما كتابة من كتابات سكان الجنوب من الجزيرة العربية وكان هذان النصبان أول ما وجد من نوعهما في شمال شرقي بلاد العرب . هاتان الكتابتان اللتان درسهما (إس . دي مارغوليوث) قدما دليلا مادياً على صلة حضارية طالما اعتقد بوجودها بين الجنوب الذي كان متطوراً في حضارته وبين الشمال الشرقي في بلاد العرب .

وحجر ثالث محفور عليه كتابة جنوبية أحضره بدويٌ إلى (إج . آر . بي . ديكسون) وهو معتمد سياسي بريطاني سابق في الكويت قال البدويٌ عنه إنه وجده في ثاج . هذا الحجر الذي كان نصب قبر . مثل الحجرين اللذين اكتشفهما شكسبير قام (جي . ريكمانز) بنشر ما كتب عليه في سنة ١٩٣٧ .

ومر (الجنرال ديكسون وزوجته فايولت) بثاج والحناة في ربيع سنة ١٩٤٢ : ومع أنهما رأيا خرائب ثاج في مدة أقل من ساعة إلا أنهما تمكنا من تكوين ملاحظات قيمة عن المكان ، نشرت في سنة ١٩٤٨ مع خريطة إجمالية للخرائب . ولم ينشر لثاج وصف أفضل منذ ذلك الحين مع أن جيولوجيي شركت الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) كانوا يعرفون المنطقة منذ سنة ١٩٣٦ تقريباً .

وتقع قرية ثاج على بعد ١٥٠ كيلا من الظهران مقر (أرامكو) وهي على خطوط عرض ٢٦ و ٢٥,٥ درجة شمالا ، وخطوط طول ٤٨ و ٤٢,٩ درجة شرقاً على بعد خمسة أكيال من طريق جمال مشهور يعرف بدرب الكنهري ، وهو طريق هام وربما كان قديما طريقاً لتجارة الشرق والغرب بين الخليج العربي ونجد قبل مجيء السيارات .

وتقع ثاج على ملتقي ثلاث بقاع هامّة من شرقي بلاد العرب . ولدى البدو في هذه المنطقة اسماء خاصة يطلقونها على كل بقعة ، حسبما يسودها من خصائص

طبيعية . فالمنطقة الواقعة في جنوب ثاج تعرف بالحبل ، وفي الشمال والشمال الشرقي الرَّدَايف . وفي الشمال الغربي وادي المياه (وهو ليس واديا في الحقيقة ولكنه حوض منخفض لمجرى ممتد من الجنوب إلى الشمال) وهو نسبيا متوفر الماء وتقوم على آباره الضحلة عدة مجموعات سكنية صغيرة ، يمر بها طريق تجاري من الشمال إلى الجنوب ويظهر أنه كان يستعمل في العصور الإسلامية الأولى وربما قبل ذلك .

وثاج اليوم قرية صغيرة تضم بيوتا متواضعة مبنية من الحجر والطين بعض هذه البيوت مقرات صفية لحوالي ٢٥٠ شخصا نصف رحل من أفراد الملاعبة والمساحمة التي تنتمي إلى قبيلة العوازم . ومعظم هؤلاء الأفراد يقضون الفصل الممطر (٣ بوصات سنويا) في رعي قطعانهم في بقاع تسمي الصعدة وراء الراديف في الشمال الشرقي تجاه الكويت ، ويعودون للمياه الموجوده في ثاج في أول الصيف ، حيث يقيمون في البيوت المهدمة جزئياً . وعندما تغادر المجموعة بيوتها في الشتاء تترك وراءها في هذه البيوت ما يصعب حمله من ممتلكات ومحرقات ، كأكياس الحبوب والتمر المكبوس ويوجد في ثاج بعض بساتين صغيرة وأشجار نخل ضعيفة .

وتقع ثاج جنوبي سبخة تسمى سبخة ثاج . والسبخة من الصفات البارزة في أرض المنطقة وتختلف أحجام هذه السبخات من الأحواض الملحية حيث يبلغ قطرها بضعة أمتار ، في بعض المناطق ، وعدة أكيال في مناطق أخرى . والسبخة أرض تُغَطِّي سطحها قشرةٌ ملحية تكون صلبةً في فصول الجفاف ، بحيث تتحمل مرور السيارات فوقها ، ومع ذلك فهي تنكسر في بعض الأحيان في بعض المناطق ذات القشرة الرفيعة ويظهر تحتها طين مشبع بالماء المالح ، وسائقوا السيارات ذوو الخبرة يفضلون السير في طرق رملية شاقة على السير فوق سبخة غير معروفة .

ويوجد في ثاج ووادي المياه مياه صالحة للشرب ولو أنها ليست عذبة في حواشي الأحواض المالحة حيث يكون الماء قريباً من سطح الأرض ، وتكون الآبار الضحلة قريبة من السبخات .

وثاج من الناحية الجيولوجية مبنية على موقع تُغَطّيه طبقة خفيفة من الرمال التي تأتي من نوع ما يسميه الجيولوجيون (قاعدة الحبس) وهذا التشكيل الرسوبي ثلاثي الصفات (مايوسيني) يتكون من طين خزفي وصلصال (طين جيري) وحجر صَدَفي ويكثر فيه الحجر الكلسي الصدفي والطباشيري وهـذا الحجر استعمله أهل ثاج قديماً وحديثاً .

وتحتل خرائب ثاج القديمة مساحة يبلغ مجموعها مائتي كيل مربعا بما في ذلك المجموعتان الكبيرتان من الأكمات اللاتي تقع في الشمال الشرقي وفي الغرب من ثاج الحالية . وأرض الموقع القديم التي عليها أدلة أكيدة للسكن (أسس بناء . . الخ) هي على شكل مستطيل يبلغ طوله ١١٠٠ متر ويبلغ عرضه حوالي ٦٠٠ متر وتمتد أضلاعه الطويلة في الشمال والشمال الغربي وفي الجنوب والجنوب الشرقي ويحد هذا الموقع القديم من الشمال قرية ثاج الحالية وربما امتدت حدودها إلى السبخة وراء ثاج الحالية . ويحده من الجنوب منطقة مرتفعة قاحلة مكونة من حجر الكلس . ويحده من الشرق جُرُفٌ تقوم على طول حافته آثار واضحة لجدار يظهر أنه كان يحيط بالقرية القديمة من جهتها الشرقية . وأرض المستطيل القديم ليست مستوية وإنما يرتفع مستواها ارتفاعا تدريجيا عاماً يبدأ في الشمال الغربي متجها نحو الزاوية الجنوبية الشرقية . وتظهر في الجزء الشمالي الغربي من الموقع آثار واضحة لثلاثة جدران تلتقي في زاويتين ربما كان داخلها محصنا .

وتتناثر على سطح أرضَ المنطقة قطع الجرار المكسورة ولكنها ليست من النوع المصقول الذي يوجد بكثرة في معظم أراضي المنطقة الشرقية والذي يرجع إلى العهد الاسلامي الأول وانما من نوع القطع السوداء والحمراء غير المصقولة . وأسس الجدران ظاهرة في كثير من الأماكن ويبدو أنّهـا غالباً كانت تبني من قوالب جيدة من حجر الكلس ، وكثير من هذه الجدران تبدو عليها آثار المعدات المستعملة . وقد انتفع سكان ثاج الحاليون من هذه القوالب (البلوكات) في بناء بيوتهم وفي أحد الأماكن عملوا مقطعا جيدا للقوالب . ويوجد هناك حوالي ٢٠ بئراً جيدة البناء ولكن

حوالي ١٢ فقط منها يوجد فيها ماء . ويستخرج الماء من كل هذه الآبار بواسطةالحمير التي تزعبه وهي طريقة شائعة في الواحات العربية . ومعظم هذه الآبار يلاحظ عليها مرحلتان من البناء إحداهما ما يرى في أسفل البئر وهو مبني من قوالب الكلس الناعمة الحسنة القطع والأخرى في أعلى البئر وهي ما جُدِّدَ إصلاحه بقوالب خشنة . ويبلغ عمق هذه الآبار من ٥ إلى ٦ أمتار كما يبلغ قطر فتحتها ٤ أمتار ومع أنها تحوي قليلا من الماء إلا أنها يمكن أن تكون أعمق مما هي عليه فيما لو نُظِّفَتْ .

ومن بين ما وجد على سطح الأرض في ثاج أشكالٌ مختلفة من الفخار يمثل أكثرها الجمل العربي ويبلغ معدل ارتفاعها ٢٠ سم وهي مختلفة بأشكالها ولو أن بعضها مكسور رأسه ، وبعضها مكسور فيه يد أو رجل . وقد وجد ربع أمامي مع رأس لشكل بقرة جميل الصُّنع ، وأشكال كاملة لمباخر . بل توجد أشكال لأجسام بشرية كثير منها يظهر نساءاً في أوضاع يكن فيه راكعات .

وهنالك في ثاج أَكَمَاتٌ كثيرة من صنع الانسان مغطاة بالتراب لبعضها قمم مستديرة ولبعضها قمم منضغطة إلى الداخل مما قد يوحي بوجود انهيار داخلي في بنائها . ولا يمكن معرفة ما إذا كانت هذه الأكمات قصوراً أو بنايات أخرى إلاّ بالتنقيب .

أما ارتفاعها فيبلغ خمسة أو ستة أمتار . وتوجد أكَماتٌ مماثلة في البحرين وعدة أماكن في المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية . ولبعض أكمات ثاج المستديرة القمة لونٌ غامق خاصٌ يمكن لمن ينظر إلى صورة مأخوذة لها من الجو أن يعد ٦٥ منها . وتوجد الاكمات في مجموعتين كبيرتين إحداهما في الشمال الشرقي والأخرى في الغرب من الموقع .

اثنا عشر مخطوطاً عربياً جنوبياً سجلت حتى الآن وكلها وجدت في ثاج أو بالحناة القريبة منها . تسعة منها منذ اكتشافات شكسبير والبدوي الذي حمل حجراً للكويت وكلها ما عدا واحداً أو اثنين محفور على قوالب من حجر الكلس المحلّي ، وعلى

الأقل ستبعة منها نصب قبور معمولة حسب قاعدة ثابتة مع اختلاف أسماء الأشخاص في كل منها .

أول هذه المخطوطات التسعة كان مكتشفا منذ ١٩٣٧ ووجده السيد جون مرلر (أحد موظفي ارامكو) ١٩٥٨ ولم يعرف الموقع الحقيقي لهذا المخطوط وإنما هو نصب قبر تظهر على كتابته القاعدة المعتادة في ثاج التي تعبّر عن « حجارة وقبر . . » وهذا المخطوط معروض الآن في مكتبة ارامكو للأبحاث في مقر ارامكو في الظهران

والسيدة (فايوليت ديكسن) التي رأت ثاجاً لأول مرة ١٩٤٢ مع زوجها زارت المنطقة الشرقية ١٩٦١ واكتشفت جزءا من مخطوط على حجر مبني في أحد جدران القرية الحديثة وقالت : إن قطعة الحجر التي اكتشفتها لونها غامق ومائل إلى الخضرة وذلك على غير شاكلة حجر الكلس المحلي . وقد أعطت السيدة ديكسون نسخة من هذا المخطوط كتبتها بخط يدها للمتحف البريطاني . والأحرف القليلة التي يمكن قراءتها من هذا المخطوط تبين أنها جزء مما يكتب على حجارة القبور .

وكاتب هذا المقال (السيد ما ندفيل) وزوجته وجدا نصبين في الجزء الشرقي من ثاج سنة ١٩٦٢ واحد من هذين النصبين وربما الآخر ايضاً (لأن الآخر غير كامل) تبتدىء الكتابة عليه بعبارة ثاج التقليدية المستعملة على النصب . واحدى هاتين الحجارتين تخلد ذكر دفن مشترك لأختين ويبدو أن اسمي الأختين عربيان شماليَّان وقد وجد السيد (توماس سي . بارقر) رئيس شركة ارامكو جزءاً علويا من حجارة قبر من نفس المنطقة في ٨ فبراير ١٩٦٢ ومع أن السطر فقط مما خط على الحجر كان جليا إلا أنه يظهر القاعدة المعتادة .

وقد وجد الكاتب أول مخطوط لم يكن محفورا على حجر وإنما على قطعة من النحاس ولم يكن المخطوط كاملا وكان عليه حرفان من حروف الجنوب . وتوجد قطع مشابهة لهذا النوع في الجزء الجنوبي من البلاد العربية . وقد زار السيد (سي . دبليو . هارينغتون) موقع ثاج مع الكاتب في ١٠ مارس ١٩٦٢ ووجد مخطوطا على

حجر كلسي مبنياً في تعمير احدى الآبار الجافة . وهذه القطعة قد تكون كاملة أو قد تكون مقتطعة من حجر أكبر عندما أعيد طي البئر .

وقد اكتشف السيد (شارلز كين) أحد موظفي (ارامكو) في ٩ مارس سنة ١٩٦٢ مخطوطا ربما يكون أهم مخطوط تمّ اكتشافه . هذا المخطوط في أربعة سطور ومحفور على حجر كلسي محلي ولا يبدو أنه نصب لأحد القبور وإنما تكريس من نوع آخر ومع أن كتابة هذا المخطوط رديئة إلا أنه يمكن للخبير الذي يدرسها بعناية فائقة أن يقرأها .

وقد وجد الكاتب في الحناة في سبتمبر سنة ١٩٦٢ جزءاً سفلياً مما يحتمل أن يكون حجارة قبر . لم يكن على المخطوط سوى جزء من الأسطر الأخيرة ولكن آخر كلمة في المخطوط هي (WD'B) مطابقة لما كتب على المخطوط الذي وجد في جدار بئر ثاج . وهذه العبارة هي قاعدة دينية تعبر عن الصفة الأبوية للمعبود القمري « ود » وتكتب عادة على الجدران والتعاويذ في الجنوب العربي . وعلى الحجارة التي وجدت في الحناة يأتي بعد التعبير (WD'B) فاصل وسطور عمودية وهذه قد ترمز لأعداد أو قد تكون مجرد ملء فراغ .

وقد أرسل الكاتب صورا فوتوغرافية ونسخاً من هذه المخطوطات إلى الأب (أي . جام) الأستاذ في جامعة أمريكا الكاثولكية بواشنطن وننتظر ببالغ الاهتمام ملاحظاته على مخطوطات شرق بلاد العرب ، كما أرسلت نماذج من كسر الجرار المتناثرة على سطح أرض ثاج إلى الدكتور (جس . فان بيك) في مؤسسة (سمشونيان) في واشنطن وهو عالم له خبرة بالآثار العربية لعله يستطيع أن يصل إلى بعض الاستنتاجات حول تاريخ ثاج .

* * *

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم

قرى بيشة

كتب الأستاذ يحيي بن علي عكور – إدارة التعليم في بيشة – يصحح اسماء قرى وردت في الجزءين الخامس والسادس من « العرب » لهذا العام – و « العرب » تقدم للأخ الكريم شكرها ، وتنشر ملخص ما بعث به إليها :

(أ) فمن اسماء القرى :

١ – الغالية – بالمثناة التحتية – ص ٤٥٦ .

٢ – الوهسة – بالسين المهملة – ص ٤٥٦ .

٣ – قُريظة – بالقاف – لا بالفاء – ص ٤٥٦ .

٤ – عُتَامُ – بضم العين المهملة والتاء المثناة الفوقية بعدها ألف فميم .

٥ – المقلَّعُ – اللام مشدّدة مفتوحة .

٦ – الْمَلَد – بفتح الميم واللام .

٧ – عُوَيَّا – بضم العين المهملة وفتح الواو والمثناة التحتية المشددة بعدها الف .

(ب) وأورد الأخ يحيي أسماء قرى لم يرد لها ذكر ، وهي من قرى بني مالك :

١ – الأشْرَق – بالقاف – مفتوحة .

٢ – الصَّفَق – بالصاد المهملة والفاء مفتوحة والقاف .

٣ – مَهْوَر – بفتح الميم وإسكان الهاء وفتح الواو وآخره راء – قرية السُّوق .

٤ ــ العُشُّو ــ بالعين المهملة والشين المعجمة ، وهي قرية آل بلال .

(ج) وقال الأخ : أما قرى بني ماالك فيحدُّها من الجنوب قرية حِرِق ــ بالحاء والراء المكسورتين المهملتين ، وهي الحدُّ بين بني ماالك من الجنوب وزهران من الشمال .

قرية الحِنْو ــ بكسر الحاء المهملة وسكون النون وهي من قرى بني حرب .

وبنوحَرْب بطن من بطون بني ماالك ، وتلك البطون هي : بنو علي وبنو حَرْب وأبَا النَّعِيمْ ، وبني عمرو .

وتمنَّى الشيخ يحيي لو أنَّ أحد أبناء القبيلة أمَدَّ « العرب » بأسماء القرى التي لم تذكر . .

و « العرب » تتمَنَّى مثل ذلك .

وهي تفتح صفحاتها لنشر كل ما يصلُ إلَيْهَا صالحاً للنَّشْر ، من أسماء القُرَى ، وأسماء الأَوْدية والجبال المشهورة ، وخاصَّةً ما ورد في الأشعار أو الأخبار القديمة .

وكذا أنساب القبائل وفروعها وتحديد منازلها . وما يتعلق بتاريخها قديماً أوْ حديثاً .

ومجلة « العرب » لم تُنْشَأ إلا لخدمة تاريخ العرب وثقافتهم وجغرافية بلادهم ، وكل ما يتَّصل بتُرَاثهم الفكريِّ .

وشكراً للأخ يحيى ولكل من عُني بما تنشره المجلة تصحيحا أو استدراكاً ، أو إيضاحا . وكما قيلَ : (الْمَرْءُ قَليلٌ بِنَفْسِهِ ، كَثِيرٌ بِإِخْوَانه .

والله الموفق

الفقراء من (عنزة) وأفخاذهم

كنت تحدثت في كلمة نشرتها في مجلة « العرب » في جزء رمضان وشوال سنة ١٣٩٧ — عن (الفقراء) الساكنين في (العُلا) بمناسبة رحلتي إلى تلك البلاد .

فبعث الأخ شالح بن محمد بكلمة في الموضوع ، نشرت في جزء رجب وشعبان سنة ١٣٩٨ من المجلة .

ويظهر أن كلمة الأخ شالح لم تُفهم على وجهها الصحيح ولهذا كَثُرَ التَّعْليق عليها .

وكان من بين الكتابات التي وردت إلى المجلة .

١ — رسالة من كاتب بن علي الفقير — وعنوانه (إمارة تبوك) .

٢ — رسالة من عبد الهادي بن التيهي الفقير — سلاح الحدود في القريَّات .

٣ — رسالة من فارس بن حاكم بن شهاب الفقير .

وصفحات المجلة لا تتسع لنشر الكتابات الكثيرة المتعلقة في موضوع كهذا ، ولهذا نكتفي بتلخيص الرسائل الثلاث ، ونُقفل باب الأخْذِ والرَّدّ .

ومجلة « العرب » يسرُّها أن تنشر كل نافع مفيد ، مما يتعلق بالأنساب أو تحديد المواضع ، وغير ذلك مما يفيد القراء عامَّةً .

وهي لا تتعرَّض لما يَخُصُّ الأفْراد ، وتحسن الظنّ بكل أحَدٍ .

١ — **ملخص رسالة الشيخ كاتب :**

لقد اطلعت على مجلة العرب الصادرة بالعدد (ج ١ و ٢ س ١٣) رجب / شعبان سنة ١٣٩٨هـ — فقرأت مقالا من أحد القراء الكرام حول قبيلة الحماعلة وصلتهم بقبيلة الفقراء من عنزة — والساكنين (مدائن صالح والحجر والعُذيب)

وما تفضل به المذكور : من أن قبيلة الفقراء ينقسمون إلى خمسة أقسام رئيسيّة لا ستة أقسام على ما سبق نشره في المجلة .

١ ــ الشفقة .

٢ ــ الجمعات .

٣ ــ المغاصيب .

٤ ــ الزوارعة .

٥ ــ الحجور .

وقد تحدث عن الحماعلة وعدم ارتباطهم بالفقراء .

وبصفتي أعرف فخوذ هذه القبيلة معرفة تامة أحب أن أوَضّح ثلاثةَ جوانب :

الجانب الأول : أن كلمة الفقير تطلق على فخذ المبارك فقط رأس قبيلة المنابهة ــ في الماضي والحاضر ، ولا يُلَقّب بـ (الفقير) إلا من كان من فخذ المبارك .

ثانياً : صحة الفخوذ ثمانية ليست خمسة وهي :

١ ــ فخذ المبارك الذي يرأس قبيلة المنابهه .

٢ ــ الشفقه .

٣ ــ الجمعات .

٤ ــ الزوارعة .

٥ ــ المغاصيب .

٦ ــ المصاليخ .

٧ ــ الحجور .

٨ ــ الصقرة .

وصحة فخوذ الحماعله هي : ــ

١ ــ الشهاب .

٢ – الذيابه .

٣ – الفضيل .

٤ – اليزيد .

وتتصل هذه القبيلة بقبيلة الفقراء في جدهم (مُنَبّه) ويطلق على هذه القبيلة (المنابهة) وشيخ الشمل في الماضي والحاضر هو (الفقير) هذا ماجرى ايضاحه .

أرجو نشر هذا في مجلة العرب .

٢ – رسالة الشيخ فارس :

اطلعنا على الرسالة المنشورة في مجلة العرب ج ١ و ٢ س ١٣ رجب / شعبان سنة ١٣٩٨هـ . بعنوان (الحماعلة وصلتهم بالفقراء) وصاحب الرساله شايح بن محمد وقد لفت نظرنا ما كتبه المذكور عن تلك القبيلة وللإيضاح ونفياً للإلتباس نبين لفضيلتكم بهذه الرسالة راجين نشرها استجابة لرغبة مشائخ قبيلة المنابهة وأعيانهم وهم يناشدون فضيلتكم التكرم بسرعة نشرها في أول عدد لمجلة العرب لإيضاح الحقيقة للقراء كما نرجو تلخيصها بالطريقة المناسبة .

أولا : أن ما سمي بقبيلة الفقراء هي قبيلة (المنابهة) من عنزة المتكونه من الأفخاذ التالية :

(أ) المبارك . مشائخ قبيلة المنابهة المكونة من الأفخاذ الآتية .

(ب) الشفقه – (ج) الجمعات – (د) الزوارعه – (هـ) المغاصيب –

(و) الحجور – (ز) الحسنة – (ح) المصاليخ – (ط) الحماعه – (ك) الصقرة .

أما لقب الفقير فهذا يخص المبارك مشائخ قبيلة المنابهة فقط أما الأفخاذ من فقرة (ب) وحتى فقرة (و) (فلقبهم الفقيري) نسبة إلى شيخهم الفقير (فخذ المبارك) .

ثانياً : الخماعلة سابقاً رئيسهم (الشن) فخذ (الشنون) تحت لواء الفقير . وعلى عهد حكومتنا الرشيده اعزها الله رئيسهم صياح بن نابت .

ثالثاً : جميع افخاذ هذه القبيلة رئيسها الفقير (فخذ المبارك) أما في الشمال فرئيسها ابن ملحم (فخذ الملحم) .

رابعاً : إن الأخ صاحب الرساله ليس لديه الدراية أو المعلومات التاريخية عن تلك القبيلة .

خامساً : اقترح على فضيلتكم الرجوع إلى الشيخ / صباح بن رحيل الفقير والشيخ / هجر بن سلطان بن دوشان والشيخ / كريم بن جبل والشيخ دالش بن حمدان ابوقرينات والشيخ حامد بن حمير ليؤكدوا لفضيلتكم المعلومات الصحيحة عن القبيلة .

٣ ــ رسالة الشيخ عبد الهادي :

يسرني أن ابعث هذه الرسالة وأن اعرفكم أولا عن نفسي أنا عبد الهادي بن التيهي الفقير العنزي من الفقراء فخذ المبارك الساكنين في مداين صالح : الحجر والعذيب الذين ورد ذكرهم في مجلة العرب بعددها الصادر ج ١ و ٢ س ١٣ رجب / شعبان سنة ١٣٩٨هـ . .

أحب أن اوضح بعد ماتبين لي او بعد قراءة صفحات مجلة العرب وجدت على احدى صفحاتها ١٥٠ و ١٥١ بعض الاخطاء بالنسبة للخماعلة وصلتهم بالفقراء .

أولا : اسم الفقراء ليس اصلاً بل اطلق على شيخ القبيلة الجد الأول لآل مبارك

الذين هم شيوخ الشمل من قديم الزمان حتى هذا التاريخ وهو الجد صالح بن حمدان الذي كان فيه (زار) وأطلق عليه اسم (الفقير) وقيل : (عرب الفقير) حتى اطلق على بعض هذه القبيلة اسم الفقراء اما الاسم الجامع لهذه القبيلة فهو المنابهة وإليكم أسماء افخاذ هذه القبيلة :

١ ـ الحسنة وينقسمون إلى عدة افخاذ ساكنين بالشمال « سُورية » .

٢ ـ عتب راشد وينقسمون إلى الأسماء الآتية :

(أ) التفقه الذي منهم شيوخ الشمل (المبارك) .

(ب) الجمعات وينقسمون إلى عدة افخاذ .

(ج) المغاصيب وينقسمون إلى عدة أقسام .

(د) الزوارعه وينقسمون إلى عدة أقسام .

٣ ـ المصاليخ وينقسمون إلى عدة افخاذ .

٤ ـ الصقرة وينقسمون إلى عدة افخاذ .

٥ ـ الخماعلة وينقسمون إلى أربعة افخاذ .

٦ ـ الحجور وينقسمون إلى عدة اقسام .

أما شيوخ المشايخ في نجد الحجر مدائن صالح والعذيب الشيخ دبْشي الفقير لعموم هذه القبيلة وفي الشمال (سوريا) الشيخ ثامر بن طرار الملحم .

أما صلتهم ببعضهم فهم المنابهه جدهم مُنَبِّه ، وهم تحت لواء واحد من قديم الزمان وان ملكهم واحد في مدائن صالح والعذيب ووادي خيبر لا يفرقهم نسب ولا حسب .

حول مقـــال :

عُتَيبة : فروعها ومنازلها

اطلعت في مجلة العرب ج ١ و ٢ س ٣ج (رجب/وشعبان سنة ١٣٩٨هـ) صفحة٦٢ على ماكتب عن قبيلة عُتَيْبَة : فروعها ومنازلها بقلم الأخ العقيد حمود بن ضاوي القثامي وبصفتي أحد أفراد قبيلة الشيابين الذين أورد الأخ العقيد ذكرهم قد تبين لي أن معلومات العقيد عن الشيابين ناقصة وهناك في بعض منازل فخوذ عتيبة ملاحظات .

أولاً : قبيلة الشيابين ينقسمون إلى قسمين كبرين وهم ذوي صالح وذوي خليفه وكل قسم ينقسم إلى أفخاذ والفخذ الواحد ينقسم إلى خوامس أما ما اورد العقيد مثل ذوي مَرْشد / ودموخ / وذوي نجم / فهاؤلاء ثلاثة خوامس من فخذ ذوي عبد الله من ذوي صالح .

أمامنازلهم فأقدم هجرة هي الروضة في العِرْض غرب القويعيه وليست الرويضه أو الرواضه حسب ماورد في المجلة وهي هجرة قديمة على وقت الاخوان ويسكنها ابن فهيد شيخ شمل الشيابين كافة وهي عامرة حتى الآن وحلّبانُ والخاصرة كذلك من قرى الشيابين .

٢ ــ ملاحظة عن الدعاجين : لقد ذكر العقيد أن مُغَيْراء والحُفَيِّرة للخيوطية وهذا خطأ بل الحقيرة هجرة الهيظل شيخ شمل الدعاجين ومُغَيّراء هجرة محسن الهيظل وهجرة الخيوطية ماسل الجمْع والعقيد لم يذكر شيخ شمل الشيابين ولا شيخ شمل الدعاجين بل اقتصر على ذكر شيخ القثمة .والعُصَمة فقط مع العلم أن الشيخ ابن فهيد والشيخ الهيظل معروفان عند الجميع ولهم مواقف محمودة منذ زمن المغفور له الملك عبد العزيز .

٣ ــ وذكر العقيد أن العلجة من العصمة قريتهم أم سُرَيحة وهذا خطأ ، إذْ أم سريحة هجرة ناصر العقيلي وجماعته العمرية من العصمة .

سلطان بن ماجد بن فهيد

العرب : شكراً للأخ الكريم والأخ حمود أورد ما يعرف استجابة لطلب من المجلة ، ويااليت كل عارف بشيء من أنساب قبيلته يكتب للمجلة بما يعرف إذ كما قيل في المثل (أهل شُعْبا أدْرَى بِشِعابِها) .

فَدَك : أَيْنَ موقعه ؟ !

. . . أشرتم أثناء حديثكم في (المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأوَّل) إلى ما ورد من الأخبار عن فَدَك . ولكنَّكم لم تُحَدِّدوا مَوْقِعَهُ . فأين يقع ؟ ! فقد حدث نقاش بيني وبين أحد الإخوة ممن يرى أنَّهُ من قرى المدينة .

الرياض : عثمان السعيد ــ جامعة الإمام محمد بن سعود .

العرب : قد تكون تلك الإشارة شفويَّةً ، أما فَدَكُ فَيُعْرَفُ الآنَ باسم (الحائط) بلدة معمورة ، فيها مركز إمارة يتبعه عدد من القرى مثل النُّحَيْوِيْط وضَرْغَد ، و الروض ، وهي تابعة لإمارة منطقة حايل .

وتجد تَفْصِيلاً وافياً عنَ فَدَك (الحايط) في كتابي « في شمال غرب الجزيرة » و « شمال المملكة » من مؤلفات صاحب هذه المجلة .

وموقع فَدَك (الحايط) في شرقيِّ حَرَّةِ خَيْبَرَ ، وبلاد خَيْبَر الآن تابعة من حيث الشؤون الإدارية لإمارة المدينة المنورة ، بخلاف فدك الحائط وما يتبعه من القرى الواقعة شرقي الحرة وللسائل الكريم تحية طيبة .

مكتبة العرب

● **معجم اليمامة :**

وصدر الجزء الأول من كتاب « معجم اليمامة » أحدُ أقسام « المعجم الجغرافي للبلاد العربيَّة السعودية » تأليف الأستاذ الجليل الشيخ عبد الله بن محمد بن خميس، يحوي من المواد ما بُدِيء بحرف الألف إلى نهاية حرف الزاي، ويقع في ٦٦١ صفحة. مطبوعا بمطبعة الفرزدق – وهي المطبعة التي أنشأها الأستاذ عبد الله حديثاً في مدينة الرياض، طباعة جيِّدة.

هذا الجزء مفصل الفهارس الوافية، بحيث استغرقت نحو ١٢٠ صفحة.

● **الإمام الشافعي :**

أستاذُنا العالم الجليل السيد أحمد العربي، من علماء المملكة البارزين في حقل التَّربية والتعليم، بل من خيرة العلماء فَضْلاً وخُلُقاً وأدَباً، ومؤلفه « الامام الشافعي الفقيه » هو الحلقة السابعة والعشرون من سلسلة كتب (المكتبة الصغيرة) التي يتولى إصدارها معالي الأستاذ الجليل عبد العزيز الرفاعي. هو خلاصة مُصَفَّاة من ترجمة ذلك الإمام الذي أُلِّفت في ترجمته المؤلفات.

ويقع في نحو تسعين صفحة من القطع الصغير، وقد طبع في عام ١٣٩٨ (١٩٧٨م) بمطبعة الروضة في جدة.

● أطـــلال :

هو اسم المجلة التي أصدرتْها (إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف) صدر عددها الأول في شهر ربيع الأول ١٣٩٩ — مؤرخاً في ١٣٩٧ (١٩٧٧) . ويقع في قسمين قسم باللغة العربيّة صفحاته ٧٤ وآخر باللغة الانجليزية صفحاته ٧٠ — عدا اللوحات التي تبلغ خمسين لوحة من القطع الكامل .

ويحوي هذا الجزء فاتحته كتبها صاحب المعالي الدكتور عبدالعزيز الـخُوَيْطر وزير المعارف ورئيس المجلس الأعلى لِلاثار — في صفحة — .

ثم مقدمة عن آثار الاستيطان البشري في المملكة : للدكتور عبد الله حسن المصري في اثني عشرة صفحة .

فكلمة بعنوان (تمهيد) عما يتضمنه هذا الجزء الذي هو باكورة الحولية — في صفحة أيضاً —

أمّا الاستكشاف الأثري للمملكة سنة ١٩٧٦ — الذي قام بإعداده أربعة من[١] علماء الآثار فهو — على ماجاء في عنوانه (تقرير مَبْدَئِيٌّ عن المرحلة الأولى من برنامج المسح الشامل) ريقع في ٢٦ صفحة ، ويتحدث عن مسح المنطقتين الشرقية والشمالية .

ثمّ (تَقْرِيرٌمَبْدَئِيٌّ عن المرحلة الأولى لمسح دَرْبِ زُبَيْدَةَ) كتبه جيمس كنودستاد ، في ٣٦ صفحة .

أمّا (النقوش الإسلامية بدرب زُبيدة ، فقد قام بدراستها الأستاذ أحمد حسين شرف الدين ، وهي نحو ٢٧ نقشا عثر عليها في مسافة من ذلك الدرب تبلغ ١٥٠

---

(١) هم : روبرت آدمز ، ومحمد الإبراهيم ، وبيتر بار ، وعلي المغم .

كيلاً من مكة المكرمة – حتى غار زُبيدة . ولعله بقرب وادي نخلة الشامية . وهذا البحث يقع في صفحتين .

يُلحق بهما صُوَرَتَا نقشين مؤرخين في سنة أربعين .وسنة ست وخمسين من الهجرة .

ثم اللوحات والصور . فالقسم الإنجليزي فترجمة للأبحاث العربية .

ويتولى تحرير المجلة : الدكتور عبد الله حسن مصري والأستاذ أحمد شرف الدين والسيدان محمود محمد الصفطي وستيفن . ك . كاتون . وطباعتها بلغت الغاية – بالنسبة للطباعة العربية – جودة ورق ووضوح حروف ، وإتقان تصوير ، والطباعة في لندن .

ومن فضول القول شدة احتياج دارسي تاريخ هذه البلاد إلى إصدار هذه المجلة التي يتمنى لها كل مُثَقَّفٍ أنْ تكمل نَقْصاً يُحِسُّ به كل مَعْنِي بدراسة تاريخنا . ويرجو لها الاستمرار والقوّة والازدهار ، لتثمر الثمرة النافعة .

● **الأمير عبد العزيز بن مساعد :**

سمو الأمير عبد العزيز بن مُسَاعَد بن جِلَوِي بن تُرْكي آل سعود رحمه الله من الرجال الذين ساعدوا الإمام عبد العزيز آل سعود في إنشاء هذه الدولة . وفي توحيد أجزاء هذه المملكة ، منذ سنة ١٣١٩ إلى قبيل وفاته سنة ١٣٩٧ .

وقد عهد ابنه سمو الأمير عبد الله إلى السيد حسن سليمان بتأليف كتاب يتضمن جوانب من تاريخ حياة الأمير عبد العزيز ، بعد إمداده بكثير من الوثائق والمعلومات التي تضمنها كتاب « الأمير عبد العزيز بن مساعد – حياته ومآثره » يقع في ٢٩٣ صفحة وفيه صور ووثائق ، ومعلومات لاتوجد في غيره .

وتاريخ الأمير ابن مساعد جزء من تاريخ هذه البلاد خلال الفترة التي كان أحد السواعد القوية للملك عبدالعزيز – رحمهما الله – في تصريف شؤون قسم كبير من أقسامها . فضلا عن مشاركته في كثير من أحداث المملكة ، بحكم صلته القوية . ووفائه ، وإخلاصه .

● مارأيت وما سمعت :

رحلة أستاذنا خير الدين الزركلي الأولى إلى الحجاز ، التي دونها في كتاب « مارأيت وما سمعت » من أمتع الرحلات ، فمع ماحوته من مباحث تاريخية واسعة وابحاث جغرافية ، إلا أن قلم الخير الزركلي السيال ، وأسلوبه السهل أضفيا على تلك الأبحاث ما جعل القارىء يتنقل بين صفحات الكتاب مدفوعا بلذة الاسترسال في القراءة .

وقد أصبح ذلك الكتاب نادرا في طبعة الأولى ، فقامت (مكتبة المعارف) لصديقنا الأستاذ الشيخ محمد سعيد كمال بإعادة نشره ، وتصدى الأستاذ عبد الرازق بن الأستاذ سعيد للتعليق على هذه الطبعة الجديدة ، بما أضفى على الكتاب من الامتاع والفائدة مافاق به طبعته الأولى .

وجاء في ٢٦٠ صفحة ، من مطبوعات الشعب في القاهرة ، سنة ١٣٩٨ (١٩٧٨م) مصدرا بترجمة مؤلفه الأستاذ الزركلي رحمه الله .

● الأمن في المملكة :

وصدر للواء يحي بن عبدالله المُعَلِّمي – مساعد مدير الأمن العام لشؤون العمليات – كتاب « الأمن في المملكة العربية السعودية » مقدما بكلمة لصاحب السمو الملكي الأمير أحمد بن عبد العزيز ، نائب وزير الداخلية تضمنت وصف الكتاب بأنه : (يضم صورة صادقة لأوضاع الأمن في الجزيرة قبل استقرارها . . وتصويراً لا يجاوز الحقيقية لأوضاع الأمن في البلاد منذ بداية العهد السعودي إلى الوقت الحاضر) .

ويحوي الكتاب من الفصول أربعة أولها وصف مجمل للمملكة . والثاني عن حالة الأمن قبل العهد السعودي . والثالث : عن استتباب الأمن في العهد السعودي . والرابع – وهو أوفى الفصول عن الأجهزة المشرفة على الأمن . وفيه تفصيل عن وزارة الداخلية والإمارات التي تتكون منها الأقسام الإدارية في المملكة ، ثم الأمن العام وما يتبعه من أقسام وفروع . فكلية قوات الأمن . فالجوازات والأحوال المدنية ، فالدفاع المدني فسلاح الحدود ، فإدارة المجاهدين .

ومؤلف الكتاب اللواء المعلمي تخرج في (كلية قوى الأمن الداخلي) في سنة ١٣٦٧ وله سجل حافل عن أعماله خلال أربعين عاماً في المجال الأمني الواسع . ولهذا جاء مؤلفه الجديد من خير ما أُلّف في موضوعه . مما اطلعت عليه .

وقد طبع سنة ١٣٩٨ (١٩٧٨) بمطبعة (الشركة المصرية لفن الطباعة) طباعة حسنة . ووقع في ١٤٣ صفحة على ورق صقيل ، مزدان بالصوّر .

● مطبوعات النادي الأدبي في الطائف :

هذا النادي من أنشط النوادي الأدبية في المملكة من حيث نشر . المؤلفات المنوّعة موضوعاتها . وقد تقدم الحديث عن بعضها .

ومما اطلعتُ عليه مما نُشِر حديثاً[1] .

١ – المُخْتَصر من كتاب « نشر النَّوْر والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر » وهو كتاب ألفه الشيخ عبد الله مِرْدَاد أبُو الْخَيْر (١٢٨٥/١٣٤٣هـ) واختصره ورتّبَهُ الأستاذان الفاضلان الشيخ محمد سعيد العامودي والسيد أحمد علي . ويحوي من التراجم (٦٠٥) ستَّمِئَةٍ وخَمساً . منها مالا تتجاوز بضعة أسطر . ومنها ما تقع في صفحات .

(١) لرئيس التحرير كلمة حول ما تنشره النوادي الأدبية في بلادنا نشرت في مجلة « العرب » بعنوان رابطة الأدباء في ص ٨٠١ / ٨٠٣ من السنة الثانية عشرة (جزء جمادين سنة ١٣٩٨) .

وقد طبع في جزءين صفحاتها (٢٥٦ ÷ ٢٤٢ = ٤٩٨ مع مقدمتين للأستاذين عبد القدوس الأنصاري ومحمد سعيد العمودي في ٢٨ صفحة . والكتاب يترجم رجالا عاشوا في أحلك فترات التاريخ وهي فترة مَهْما كانت يجب أنْ يُعْرَف تاريخها الذي هو جزء من تاريخ هذه البلاد .

● كتاب القصة :

وهذا من منشورات (نادي الطائف الأدبي) يحوي بعد مقدمة في تعريف القصة لرئيس النادي الأستاذ علي حسن العبادي — نحوا من إحْدَى وعشرين قصة لكتاب مختلفين أعدها الأستاذ محمد المنصور الشقحا وهاؤلاء الكتاب هم : خليل إبراهيم الفُزَيِّع . وحمد الزيد ، وناصر العديلي ، وفهد الخليوي ومحمد علي علوان لكل واحد قصتان .

وشارك بقصة واحدة : حسين علي حسين وعبد الله بن صديق القرشي ونصيب الذي تولى الإعداد للنشر خمس قصص .

وللفتيات : رقية الشبيب وابتسام العباسي وحصة التويجري نصيبهن في الكتاب الواقع في ١٥٥ — وهو كأكثر مطبوعات النادي — مطبوع في مطبعة الزائدي في الطائف عام ١٣٩٨ (١٩٧٨م) .

● عذراء المَنْفى :

وهي — على ما في طُرَّتِها — رواية . كتبها الأستاذ إبراهيم الناصر . ونشرها (النادي الأدبي في الطائف) وتقع في ١٣٠ صفحة . والطباعة حسنة . وتاريخ الصدور غير مذكور . وقد طبعت في مطابع الزايدي في الطائف .

● نافذة على الحائط المهدوم :

سبع عشرة رسالة عاطفية مؤثرة كتبت بقلم هند صالح باغَفَّار . وهي من منشورات (نادي الطائف الأدبي) الذي تجاوزت منشوراته الثلاثين إلى تاريخ

صدور هذا المنشور سنة ١٣٩٨ وتلك الرسائل تقع في ٥٥ صفحة برسوم فنية . على ورق أخضر ، بطباعة مؤسسة مكة للطباعة والاعلام .

• أهازيْجُ :

وهذا هو الديوان الثالث من شعر الأستاذ محمد إبراهيم جدع . وهو من منشورات (نادي الطائف الأدبي) يحوى ثمانيا وثلاثين قصيدة ومقطوعة . في موضوعات متنوعة ، تطغى عليها العاطفة الدينية . والطباعة حسنة في ورق أخضر من القطع الصغير في ١٤٠ من الصفحات ، بمطبعة الزايدي في الطائف سنة ١٣٩٨ .

• عاد في التاريخ :

عُنِي الأستاذ الفاضل هادُون[1] أحمد العطّاس ، بدراسة جنوب الجزيرة منذ زمن ، ومن آثار تلك الدراسة كتاب « عاد في التاريخ » الذي يدل على سعة اطلاع ، ودقّة نظر ، وإعمال فِكْرٍ .

ويقع في نحو ٩٥ صفحة . مقدما بكلمة لرئيس تحرير هذه المجلة .

وقد طبع في مطبعة حسّان بمصر سنة ١٣٩٨ (١٩٧٨م) .

• معجم معالم الحجاز :

وقام (نادي الطائف الأدبي) بنشر كتاب « معجم معالم الحجاز » تأليف الأستاذ عاتق بن غيث البِلاّدي - فصدر الجزء الأول في ٢٨٠ صفحة ، وهو معجم جغرافي مرتب على حروف الهجاء ، يحوي الأسْمَاء الْمُبْتَدَأة بحرفي الألف والباء . مما تحدّث عنه المؤلف . فيحدد بعض المواضع . وقد يكتفي بنصوص المتقدمين في تحديد بعضها . وقد يتوسّع في الحديث آونة بحيث يستغرق صفحاتٍ . ويُوجِزُ فلا يتعدّى ما يكتب بضعة سطور .

---

(١) هادون - بالدال لا بالراء -

وقد طبع الكتاب بمطبعة (مؤسسة مكة للطباعة والإعلام) وصدر عام ١٣٩٨ (١٩٧٨م) .

● نسب حَرب :

وصدر كتاب « نسب حَرْب » تأليف الأستاذ عاتق بن غيث البلادي . حاوياً لفصول ثمانية :

١ ـ أصل حرب ونسبهم .
٢ ـ ديار حـــرب .
٣ ـ فـــروع حرب قبيلة حرب .
٤ ـ تـــاريخهـــا .
٥ ـ الأدب الشعبي عند القبيلة .
٦ ـ القضاء .
٧ ـ تراجم الأعلام .
٨ ـ معجم جغرافي لبلاد حرب .

ويقع الكتاب في ٣٩٣ صفحة عدا الفهارس المفصلة التي تقع في ٥٤ صفحة .

وقد طبع في دمشق بمطبعة (دار المعارف للطباعة) بإشراف (مكتبة دار البيان) وتاريخ الطبع ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) .

● الرحلة النجدية :

قَامَ الأستاذ عاتق بن غيث البلادي برحلة من مكة المكرمة إلى الرياض في شهر المحرم من سنة ١٣٩٦هـ فَسَجَّل مُشَاهَدَاتِه وآثارها في كتاب دعاه « الرِّحْلَة النَّجْدِيَّة » ورجع إلى بعض المؤلفات فاستعان بها في تسجيل بعض أوصاف المواضع أو تحديدها .

وقد نشر تلك الرحلة في كتاب بلغت صفحاته ١٥٨ . وهو من منشورات (دار المجمع العلمي) في جدة بدون ذكر المطبعة ولا تاريخ الطبع .

فهارس السنة الثالثة عشرة

أولاً: الكتاب والمعلقون والمؤلفون

ثانيًا: الموضوعات العامة

ثالثًا: الأعــــلام

رابعًا: الأسر والقبائل والجماعات

خامسًا: الكتب والصحف والمجلات

سادسًا: المواضـــــع

سابعًا: الشعر

مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
تلفون : ٤٨٢٤٨٦٥ - ٤٨٢٤٩٨٣